

# معجزات حسية

موقع المؤلف: [/http://noursalam.free.fr](http://noursalam.free.fr)  
بريد المؤلف: [nouresalam@hotmail.com](mailto:nouresalam@hotmail.com)

## الطبعة الأولى حقوق الطبع محفوظة

دار الكتاب الحديث - القاهرة -  
للطباعة والنشر والتوزيع

البريد الالكتروني	الفاكس	الهاتف	العنوان	الفرع
<a href="mailto:dkh_cairo@yahoo.com">dkh_cairo@yahoo.com</a>	٠٠٢٠٢٢٢٧٥٢٩٩٢	٠٠٢٠٢٢٢٧٥٢٩٩٠	ص.ب ٧٥٧٩ البريدي مدينة ١١٧٦٢ نصر - ٩٤ شارع عباس العقاد	القاهرة
<a href="mailto:ktbhades@ncc.moc.kw">ktbhades@ncc.moc.kw</a>	٠٠٩٦٥٢٤٦٠٦٢٨	٠٠٩٦٥٢٤٦٠٦٣٤	١٣٠٨٨ شارع الهلالى برج الصدىق ص.ب ٢٢٧٥٤	الكويت
<a href="mailto:dkhadith@hotmail.com">dkhadith@hotmail.com</a>	٢١٣٥٣٠٥٥	٢١٣٥٤١٠٥	ص ب ٠٦١ درارية الجزائر عمارة ٣٤	الجزائر

## من القرآن الكريم

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا  
وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ  
مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ  
بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النَّذِرُ ﴿٥﴾ ﴿

(القمر)

﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
ثَانِيًا اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ  
اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا  
وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا  
وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿

(التوبة: ٤٠)

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ  
يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿  
﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿

(الأنعام: ٣٧)

(النجم: ١٨)

## تنبيه

نحب أن ينتبه قارئ هذه السلسلة لما يلي:

١ — بما أن الغرض من هذه الرسائل هو أن تكون مدرسة تعلم فنون الحوار الإيماني، والجدال والتي هي أحسن، فقد اهتمنا في أصل الرواية بما يحقق هذا الغرض، ولم ننشغل عنه بأي شاغل.. ولكن الكثير من المعلومات التفصيلية أو التوثيقية قد يحتاج إليها لتحقيق هذا الغرض، وهي مما لا يمكن إدراجه في الأصل.. فلذلك اكتفينا بإيرادها في الهوامش..

فلذلك يحتاج من يتعلم من هذه الرواية مراجعة ما ورد في الهوامش والاهتمام بها باعتبارها معلومات أساسية تيسر عليه فهم وتحصيل ما يرد في أصل الرواية من معلومات.

٢ — أنا لم نهم كثيرا بتوثيق كل ما نرجع إليه من مصادر ما عدا ما يتعلق بالنصوص المقدسة الإسلامية والمسيحية.. أما سائر النصوص، فتوثيقها يستهلك صفحات كثيرة، وقد يشغل القارئ عن المهمة التي تهدف إليها هذه الرواية..

بالإضافة إلى أن أكثر ما نورده مما توزع وجوده في الكتب الكثيرة التي اهتمت بهذه الناحية.. ولهذا نكتفي بذكر المراجع العامة التي لجأنا إليها دون التدقيق في التوثيق في كل محل.

٣ — نحب أن نعتذر هنا عن عدم ذكر الصلاة على رسول الله ﷺ أو على الأنبياء، وعدم الترضي عن الصحابة والعلماء والأولياء — كما هو شأن المؤلفات الإسلامية — في بعض المواضع أو في كثير منها، وذلك لأن الحديث المفترض فيها بحسب الرواية بين مسيحين.. والضرورة الفنية تقتضي أن لا نذكر ذلك حتى لا يؤثر في أصل الرواية وجانبها الفني.. ولا حرج على القارئ المسلم أن يصلي على رسول الله ﷺ والأنبياء كلما ذكروا بغض النظر عن كتابة ذلك..

٤ — قد يعترض بعض أدباء الأدب الواقعي على كثير مما يرد في هذه السلسلة مما لا يمكن انسجامه مع الجانب الفني الواقعي.. كحفظ أبطال الرواية للنصوص الطويلة مع كون بعضهم من العامة البسطاء.

ونحن نقدر هذا النقد.. ولكننا ننبه إلى أن الغرض من السلسلة ليس أحداث الرواية، وإنما الجانب العلمي منها.. وإنما ذكرنا هذه الأحداث لنمزج المعلومة التي قد تكون جافة بما ييسر تحصيلها من التشويق والمتعة. ولذلك إذا تعارض التشويق مع المعلومة قدمنا المعلومة عليه بناء على اعتبارها الأصل.

## المقدمة

في اليوم الرابع من زيارة البابا لي، رأيت عجبا، سأحكيه لكم كما رأيته، ولا جناح عليكم أن تنكروه، فأنا نفسي كنت أنكر الكثير مما يحكى لي من هذا الباب، إلى أن رأيته بأمر عيني. كنت قد أعددت للبابا غرفة خاصة منذ زيارته لي، هي أحسن غرف منزلي، وقد كانت منفصلة عن سائر الغرف، وتطل على حديقة البيت.

في منتصف تلك الليلة، انقطعت الكهرباء، فنبهني أهلي إلى أخذ سراج — كنا نستعمله في هذه الحالات — إلى غرفة البابا، لعله يحتاج إليه، فقد كانت الظلمة شديدة جدا.

ما سرت قليلا إلى غرفة البابا حتى رأيت عجبا.. لقد رأيت أضواء ساطعة، كأجمل ما يمكن أن تراه من أضواء دفئا وحنانا وإنارة ولطفا.. فتعجبت كل العجب من مصدرها، فلم يكن لدى البابا أي شيء يمكن اعتباره مصدرا لها.

لقد أراي البابا حقيقته الصغيرة التي كان يحملها، ولم يكن فيها إلا مصحفه الصغير الذي أهده له رجل الإسكندرية، كما ذكر لي قصته في (الكلمات المقدسة)، ومنها بعض الأوراق التي تشمل بعض ما استطاع تسجيله في رحلاته إلى الإسلام، وبعض المقتنيات التي احتفظ بها من رحلاته.

ولكن، لم يكن من بينها أي سراج أو أي مصابيح..

أصابني هيبة من ذلك كادت تقعد بي عن زيارته وإيصال السراج له، ولكنني تغلبت عليها، وقهرت مخاوفي، وسرت نحو غرفته.

أطلت من نافذة صغيرة على البابا، فرأيتة جالسا على السجادة التي هيأها له، رافعا يديه إلى السماء، والدموع تنحدر من عينيه بخشوع وجلال، وقد غمرت تلك الأضواء الجميلة وجهه، فصار كالشمس، أو قريبا من الشمس.

لقد كان منظرا يصور الخشوع والإيمان بأرقى درجاته.. ولا يمكن لأي آلة تصوير في الدنيا أن تصور جلال ذلك المنظر وجماله.

لست أدري كيف سقط السراج من يدي، فأحدث بعض الجلبة، جعلت البابا ينتبه من ذلك الخشوع الذي ملأ كيانه، ثم يلقي بصره إلى النافذة ليراني.

غمري الحياء من نظره لي، خشية أن يتهمني بالتحسس عليه.. لكنه ناداني، فدخلت إليه، لتشملني تلك الأنوار التي شملته، والتي لم يكن لها أي مصدر ظاهر.

قلت: ما هذا.. إن هذا لعجب!؟

قال: ليس عند ربك عجب.. إن ما تراه من أنوار فضل من فضل الله لا يقل عن أي فضل آخر نراه في كل لحظة، ونعيشه، وننعم به.

قلت: ولكن تلك الأنوار ينعم بها كل الناس.. أما هذا النور، فلا أراه الآن إلا في بيتك، وهو كرامة عظيمة لا تقل عن الكرامات التي حكيت عن أهل الله.

قال: إن فضل الله العظيم يشمل الكل.. وما أنا إلا فرد بسيط حقير فقير.. وقد علم الله فقري إليه، فأنا لني بعض ما أنا لهم، وذلك لا يعني أنني مثلهم، بل ولا قريباً منهم.

ثم أخذ نفساً عميقاً، وقال: أنا الآن مشغول ببناء حياتي الجديدة مع الله.. أنا لست سوى مرید صغيرة يجلس أمام أشعة تلك الشمس الجميلة المشرقة ليشم عطر أنوارها..

قلت: ولكن أحاديث الكرامات صارت موضوعة في هذا الزمان.. فأنا بين قوم لا يصدقون إلا بالأسباب، وعالم الأسباب.. ولو أصبحت أحدهم بما رأيت لاثموني بالكذب، بل بالدجل.. بل يملأون الأرض ضجيجاً على خفة عقلي، وأحسنهم حالاً، وأقربهم إلي مودة من يذهب يلتمس لهذا الأمر أسبابه وقوانينه التي لا تخرج به عن قوانين الكون التي نعيشها.

ابتسم، وقال: الله رب القوانين والأسباب والكون.. فلا ينبغي أن تخضعوا الله للقوانين التي خلقها.

نظر إلى السراج الذي كنت أحمله، ثم قال: ما هذا؟

قلت: سراج.. لقد أتيت به إليك، لما انقطعت الكهرباء.

قال: فحدث قومك عن سراجك هذا، لتقنعهم بسراج ربك.. استعمل القياس لإقناعهم بذلك.

قلت: كيف ذلك؟

قال: لم تكن عادتك أن تحمل سراجاً في هذا الوقت من الليل لتحمّله إلى هذا الموضع من بيتك.

قلت: أجل.. ذلك صحيح.. لعل هذه أول مرة أفعل هذا.. فقد كان هذا البيت معداً للضيوف.. ولم

يكن من عادة الكهرباء أن تنقطع في حضورهم.

قال: فما فعلته إذن خرق للعادة..

قلت: كيف ذلك؟

قال: البشر يتعرفون على القوانين من خلال التجربة والاستقراء.. إنهم يرون للأشياء صوراً معينة في ظل

ظروف معينة، فيستنتجون القوانين من خلال ذلك.

قلت: ذلك صحيح.. كل القوانين تبدأ هكذا، ثم تعمم أحكامها.

قال: وحينذاك يقع الخطأ.

قلت: أي خطأ؟

قال: التعميم.. التعميم أعظم الأخطاء.

قلت: لا بد للقوانين أن تعمم.. وإلا ذهب العلم.. ولاحتجنا في كل لحظة إلى تجارب جديدة.

قال: يمكنكم أن تعمموا، ولكن مع ذلك لا ينبغي أن يمنعكم التعميم من اعتقاد احتمال خرق التعميم.

قلت: لم أفهم.. عد بنا إلى السراج، وتطبيقه على هذا.. لعلني أفهم مرادك.

قال: فلنفترض أن هناك رجلاً تتبع حياتك في هذا الوقت من الليل.. فرآك في كل السنوات التي مرت بما

حياتك، وفي هذا الوقت بالذات من الليل لا تفعل ما فعلته الليلة، فراح يستنتج قانوناً يذكر فيه هذا.. بناء على

استقراء كل المدة التي مضت من حياتك.. هل ترى ذلك ممكناً؟

قلت: أجل.. فكل العلماء الذين يستنتجون القوانين يفعلون هذا.. إهم ينطلقون من استقراء حالات معينة في فترة معينة، ثم يحكمون من خلال ذلك، ثم يعممون الحكم.

قال: فما فعلته أنت اليوم إذن بهذه المقاييس حرق للعادة؟

قلت: يمكنك أن تقول ذلك.. بل نحن في عرفنا نصف الكثير من تصرفاتنا بأنها حارقة للعادة، أو أنها مستحيلة.

قال: فكيف أجزتم لأنفسكم — وأنتم المتلفون ضعفاً — أن تنحرق لكم العوائد، ولم تجيزوا لربكم أن يحرق العوائد لمن شاء، وكيف شاء؟!

قلت: وعيت هذا.. ولكني أعلم أن الله سننا في الكون.. وأنه لا تبديل لسنن الله، فكيف ينسجم هذا مع ما أراه؟

قال: هذا من سنن الله..

قلت: هذا حرق للعوائد.. فكيف تذكر أنه من سنن الله؟

قال: أليست السنن هي القوانين التي تحكم الأشياء؟

قلت: أجل.. فالله نظم الكون بنظام دقيق محسوب لا ينحرق.

قال: سأضرب لك مثالا يوضح لك هذا.. لقد من الله تعالى على إبراهيم عليه السلام بأن جعل النار بردا وسلاما عليه، فقال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الانبياء: ٦٩)

قلت: هذا حرق للعادة.. وقد تحقق لإبراهيم عليه السلام، لأنه نبي الله.. ولكن مع ذلك فإن من قومي من يستحيي من ذكر مثل هذا..

قال: نعم إن ما حصل لإبراهيم عليه السلام حرق للعادة، ولكنه ليس حرقا لسنن الله.. بل هو من سنن الله.. فسنن الله مطلقة لا تتبدل، ولا تتغير.

قلت: كيف ذلك؟

قال: لقد كان إبراهيم عليه السلام في تلك اللحظات يعيش حالة إيمانية عالية.. لقد ألقى في المنجنيق ليرمى به إلى ما أضرم له أعداء الله من النار، فلم يتحرك قلبه، ولم ترتعد فرائصه، بل بقي كالطود الأشم لا تزعزعه الرياح، بل سرت السكينة من باطنه إلى ظاهره إلى ما حوله، فأطفأت بيرودها وسلامها نار النمرود وزبانيته.

جمعوا الحطب شهرا ثم أوقدوها، واشتعلت واشتدت، حتى أن الطائر كان يمر بجناحتها، فيحترق من شدة وهجها.

ثم قيدوا إبراهيم ووضعوه في المنجنيق مغلولا، وغفلوا أن يقيدوا سكينته، أو عجزوا أن يقيدوها. وحينذاك ضجت السموات والأرض ضجة واحدة: ربنا! إبراهيم ليس في الأرض أحد يعبدك غيره يحرق فيك، فأذن لنا في نصرته.

وكان الله يعلم ما في قلب إبراهيم، فقال — كما يروي المفسرون —: (إن استغاث بشيء منكم أو دعاه، فلينصره، فقد أذنت له في ذلك، وإن لم يدع غيري، فأنا أعلم به وأنا وليه)

فلما أرادوا إلقاءه في النار، أتاه خزان الماء - وهو في الهواء - فقالوا: يا إبراهيم إن أردت أخدمنا النار بالماء. فقال: لا حاجة لي إليكم.

وأناه ملك الريح فقال: لو شئت طيرت النار. فقال: لا.

ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: (حسي الله ونعم الوكيل)

وحينها جعل الله من هذا الذي أرادوا حرقه به بردا وسلاما وبشارة.

قلت: وعيت هذا.. وهذا من حرق السنن، فكيف تعتبره من السنن؟

قال: بل هو من السنن.. ف ﴿لَنْ تَجِدَ لِسِنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الفتح: من الآية ٢٣)

قلت: كيف ذلك؟

قال: رأيت لو أن عالما - يحترم نفسه، ويحترم تخصصه، ويحترم العلوم التي وهبت له - تمكن من إجراء

تجارب معينة في ظروف معينة، واستنتج قوانين منها، ولكنه لم يتمكن من إجراء تجارب على ظروف أخرى..

فهل يستطيع الحكم على نتائج ما لم يجرب عليه؟

قلت: لو فعل ذلك لخرج عن المنهج العلمي.. ولدخل في زمرة أهل الخرافة الذين يستخدمون كل ما

توجيه لهم أنفسهم من أهواء.

قال: فهذا ينطبق على من ينكر هذه الحارقة، أو يعتبرها خارج سنن الله.

قلت: كيف ذلك؟

قال: لأن إبراهيم عليه السلام كان في ذلك الحين في حالة نفسية معينة، حولت من النار الحارقة بردا وسلاما..

فلو أن أحدا مر بنفس ظرف إبراهيم عليه السلام، وب نفس حاله الإيمانية، فإن النار ستبرد له، وستصير سلاما كما

صارت على إبراهيم.

قلت: لا يمكن لأحد أن يكون كإبراهيم.

قال: إذن لا يمكن الحكم على شيء لا يمكن التجريب عليه، وإلا كان ذلك الحكم محض خرافة.

قلت: إن ما ذكرته يحتاج إلى تأمل لاستيعابه.. دعنا منه، وأخبرني عن السنة التي جعلت غرفتك تضاء

بالسرج دون غرفتي.. ودون غرف كل أولئك الخلق الذين نراهم.

قال: لا طاقة لي بالتعرف على السنن التي تضبط هذا، ولكني سأذكر لك حديثا قد يبين لك بعض

القوانين التي يمكن أن تستنتجها لهذا.

حدث حنظلة بن الربيع الأسدي أحد كتاب رسول الله ﷺ، فقال: لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال:

كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة! قال: سبحان الله ما تقول؟! قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا

بالجنة والنار كأننا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا

كثيراً، قال أبو بكر رضي الله عنه: فوالله إنا لنلقي مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله

ﷺ فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: (وما ذاك؟)، قلت: يا رسول الله نكون عندك

تذكرنا بالنار والجنة كأننا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً.



فقال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعةً وساعةً) ثلاث مرات<sup>١</sup>.

قلت: أفي هذا الحديث قوانين تشير إلى هذا؟

قال: أجل.. لقد ذكر رسول الله ﷺ شيئاً خارقاً في تصوراتنا الهزيلة، وهو مصافحة الملائكة لنا، وذكر لها سببين، عبر عنهما رسول الله ﷺ بقوله: (لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر) فأولهما الديمومة على استذكار المعاني الإيمانية التي كان يذكر بها رسول الله ﷺ، والثاني هو الديمومة على الذكر.

قلت: وعيت هذا.. وقد ذكرني حديثك هذا بمحدث آخر يذكر هذه السرج الجميلة التي نستضيء الآن بضوئها.

قال: لا أعرفه.. فحدثني به.

قلت: حدث أسيد بن الحضير عن نفسه، فذكر أنه بينما كان يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوطة عنده، إذ جالت الفرس، فسكت فسكنت، ثم قرأ، فجالت، فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت الفرس، فانصرف، وكان ابنه يجي قريباً منها، فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال: (اقرأ يا بن حضير، اقرأ يا بن حضير)، قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ بجي، وكان منها قريباً، فرفعت رأسي وانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظلة، فيها أمثال المصايح، فخرجت حتى لا أراها قال: (أو تدري ما ذاك؟)، قال: لا، فقال ﷺ: (الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت نظر الناس إليها لا تتوارى منهم)<sup>٢</sup>

وفي رواية أخرى عن أسيد بن حضير قال: قلت: يا رسول الله، بينما أنا أقرأ البارحة بسورة، فلما انتهيت إلى آخرها سمعت جبة من خلفي، حتى ظننت أن فرسي تطلق، فقال رسول الله ﷺ: (اقرأ أبا عتيك) مرتين، قال: فالتفت إلى أمثال المصايح ملء بين السماء والأرض، فقال رسول الله ﷺ: (اقرأ أبا عتيك)، فقال: والله ما استطعت أن أمضي فقال: (تلك الملائكة نزلت لقراءة القرآن، أما إنك لو مضيت لرأيت الأعاجيب) قال: فهذا الحديث الذي قرأته يبين لك أن ما تراه ليس شيئاً غريباً.. إنه فضل من فضل الله يكرم الله به من توفرت فيه أسباب تنزل ذلك الكرم..

إنه يشبه حرصك علي بأن أتيتني بالسراج خارقاً بذلك سنتك في حياتك جميعاً..

قال ذلك، ثم رمى ببصره إلى السماء، وسبح في آفاقها البعيدة، وقال: ألا يرمي هؤلاء المساكين الذين ينكرون هذا بأبصارهم إلى السماء ليروا هذا الكون العريض؟

أليس الذي خلق كل هذا بقادر على أن يخلق أي شيء؟

إن حياتنا جميعاً خواق يعجز العقل عن تفسيرها.. فكيف ينكر العقل الذي يعجز عن تفسير كل شيء ما

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٠١٨).

لا يستطيع فهمه أو إدراكه؟  
نظرت إلى الساعة، فوجدتنا قد قطعنا شوطا طويلا من الليل، فأخذت السراج، وأردت أن أنصرف، فقال: اجلس..

قلت: لقد خشيت أن أكون قد آذيتك.. وإلا فإن الحديث معك لا يمل.  
قال: اجلس لأحدثك عن رحلتي الرابعة التي اكتشفت فيها أشعة جديدة من شمس محمد ﷺ.. فلا حال أنسب للحديث عن هذه الأشعة من هذا الحال، ولا وقت أنسب لها من هذا الوقت.

\*\*\*

تحت أشعة تلك السرج الجميلة بدأ البابا يحدثني عن رحلته الرابعة إلى الإسلام.  
قال: لقد انتهينا في حديثنا — أمس — إلى رسالة الكنيسة لي، والتي تأمرني بالذهاب إلى الهند، وإلى مدينة من مدنها الفقيرة، وقد عرفت سر اختيار تلك المدينة، وعرفت أن أخي التوأم هو الذي أوحى لهم بذلك، فقد صار له منزلة رفيعة عندهم.

لقد كان يعرف توجهي العقلي.. ويعرف مثله بغضبي للتخلف.. فأراد من خلال هذه الرحلة أن أتعرض لما يفاجئني.. فأرى الخرافة التي تصادم توجهي العقلي، وأرى الفقر الذي يصادم بغضبي للتخلف.  
ولكن الله شاء أن أتعرض في تلك المدينة الفقيرة.. والجميلة بفقرها.. إلى أشعة لم أكن لأظفر بها لولا أن قبض الله لي تلك الرحلة.

امتطيت الطائرة المتوجهة إلى الهند..

ولست أدري كيف خطر على بالي العذراء.. لقد ارتسمت صورتها التي رأيتها في مخيلتي.. كما ارتسمت الكلمات التي ذكرتها لي في أذني..

لقد صرت أسمعها في اليقظة كما سمعتها في النوم.. وهي تصيح في بصوتها الرقيق الخنون.. والذي يحمل شدة مكسوة برحمة.. تقول لي: ابحث عن الشمس التي بشرت بها الأنبياء، وتحطمت أمام أشعتها الطواغيت.. ومن أفواهاها سارت الكلمات المقدسة.

ابحث عن الشمس التي فتحت لها خزائن العلوم، وحرقت لها أسوار الأقدار، وامتألت القلوب حبا لها، وشفقا إليها.

ابحث عن الشمس التي هي رحمة وعدل وسلام.

ابحث عن الشمس التي تبشرك بحقيقة الوجود، وحقيقة الإنسان، وحقيقة الحياة.

فلن ينقذك من بردك وظلمتك إلا هذه الشمس.

قالت ذلك، ثم انصرفت في طي الغيب، كما جاءت..

أما أنا، فبقيت أتأمل ما ذكرت..

لقد رأيت البشارات.. وانطبقها على محمد ﷺ.

ورأيت الكلمات المقدسة.. وانطباقها على القرآن الكريم.  
ورأيت خزائن العلوم، وهي تنفتح على آيات القرآن، وفي كلام محمد ﷺ.  
رأيت كل ذلك.. ولكن قلبي لا يزال في شك من أمره..  
تألمت كثيرا لذلك الشك.. ووددت أن أصبح ليسمعني الكل.. ولكني جنبنت عن ذلك.. وكأن الله أراد  
لقلبي المزيد من الأنوار.. والمزيد من الأشعة.  
لست أدري كيف خطر على بالي صاحبك معلم السلام.. فقد تعودت أن يصاحبني في بداية كل رحلة  
ليدل عقلي على منهج التفكير السليم..  
التفت، فإذا هو بجاني، كعهدي به، مشرقا كالشمس، هادئا كصفحة الماء التي لم تعبت بصفائها  
التيارات.

ابتسم، وقال: ألا تزال تذكر رؤياك للعدراء؟  
قلت: أجل.. وقد كانت تخطر على بالي الساعة.. بل كان صوتها العذب الجميل يترنم بألحانه العذبة الآن  
في أذني.

قال: فهل أسمعتك حديث الخوارق؟  
كنت في ذلك الحين لا أؤمن بالخوارق.. حتى ما ورد عن المسيح.. كنت أقلد فيها تقليدا.. لقد كان  
توجهي العقلي يكاد يحيلني ملحدا في هذا الباب.

قلت: أجل.. أنت لا تزال تذكر تلك الرؤيا إذن.. أنت تنعم بذاكرة طيبة.  
ابتسم، وقال: ذاكرتك تبع لهمتك.. وهمتك تبع لطبيعتك.. وطبيعتك تبع لحقيقتك.  
قلت: وحقيقتك تبع لمن؟

قال: تبع لإرادتك.. فلن يصنعك غيرك.. أنت الذي تقرر كيف تكون.  
قلت: ولكن الإرادة قد يعتربها ما يملؤها بالعجز، فتقع في أدغال الجبن.  
قال: لقد زود الله الإرادة بما يخرجها من كل السجون..  
قلت: حتى لو رميت مفاتيح سجونها في أعماق المحيط؟!  
قال: حتى لو رمي بمفاتيحها في أدغال الجرات.. فإن الروح تستطيع أن تصرخ مستغيثة ليأتيها المدد من  
كل مكان..

قلت: بالعوائد.. أم بخرق العوائد؟  
قال: ليس هناك شيء اسمه عوائد.. فلذلك لا وجود لخرق العوائد.  
قلت: العوائد هي القوانين التي يسير بها الكون.. فكيف تزعم عدم وجودها؟  
قال: العوائد تعني التكرار.. ولا تكرر عند ربك.. إن ربك هو البديع الذي لا يكرر صنعه..  
قلت: ولكننا نرى القوانين السارية..  
قال: أنتم ترونها بعين الغفلة.. فلذلك ترونها تكرارا.. ولكنكم لو رأيتموها بعين الحقيقة لرأيتم في كل

قديم جديدا، وفي كل حادث حديثا.  
إن الكون الذي ترونه كآلات تتحرك بتلقائية، فتشبهونه بآلاتكم التي تتفنون في صنعها أشبه ما يكون  
بتلك العرائس التي تحتاج من يحركها.. فإذا رآها الغبي الغافل تصورها تتحرك من ذاتها.  
قلت: لقد ذكرت لي العذراء أن القوانين تحرق لتلك الشمس التي بشرتني بها.  
قال: لا بد للقوانين أن تحرق لكل شمس، لتثبت أنها شمسا.. فلا يمكن لطاقة الشمس أن تكون كطاقة  
السرّج التي تستضيئون بها.  
قلت: فما حاجة الشمس لأن تحرق لها العادات؟  
قال: ليعرف الناس أنها من مصدر علوي..  
ثم التفت إلي، وقال: أنت الآن ذاهب إلى الهند.. وهناك لا يعرفك أحد.. وستذهب إلى قوم قد  
ينكرونك، وقد يطردونك من بينهم، فما الذي تفعله لتثبت لهم أنك أنت، وأن وظيفتك هي وظيفتك؟  
قلت: لا تخف علي من ذلك.. فهناك من أنبأهم بأبي سآتي..  
قال: فهناك من بشرهم بقدمك إذن.  
قلت: تستطيع أن تقول ذلك..  
قال: ولكن.. يمكن أن يستغل أحد من الناس تلك المبشرات، فيدعي أنه المبشر بها دونك، فكيف يميز بين  
الكاذب والصادق منكما؟  
قلت: ذلك بسيط.. لدي في هذه الحقيبة كل الوثائق الدالة على هويتي ووظيفتي، ولن يستطيع أحد من  
الناس أن يأتي بمثلها.  
قال: ولكن يمكن أن يزور وثائق مثلها.  
قلت: يمكن أن يزور الكتابة.. ولكن هناك أشياء مهمة يستحيل تزويرها، وهي تعرف بالمصدر الذي  
ابتعثني لهذه الوظيفة.  
قال: فتقليدها مستحيل إذن.  
قلت: أجل.. لقد ابتكر قومي في هذا الباب وسائل حارقة يستحيل تقليدها.  
قال: فربك يفعل هذا إذن مع الشمس التي يرسلها لتضيء على خلقه.. فهو لا يكتفي بالبشارات التي  
تبشر بها، بل يعطيها من القوى والخوارق ما يعجز الدجالون عن تقليده.  
قال ذلك، ثم قام مستأذنا، بعد أن طلبت المضيئة المشأومة أوراقه.  
بقيت متأملا ما قال، فوصلت إلى نتيجة نفت عن عقلي ما كان يتمسك به مما يعتبره روح العلم  
وحيقيقته.  
لقد صرت أدرك أن الله تعالى لا بد أن يمد عباده الذين يصطفئهم بما يؤكد كونهم من عنده.. حتى يقطع  
الطريق على الدجالين من المتنبئين.

\*\*\*

كان في المقعد الأمامي للطائرة شابان يتحدثان بحماسة، وقد ارتفعت أصواتهما، وكل منهما يريد أن يفرض قناعته على أخيه.

قال أحدهما، وهو عبد الحكيم، على حسب ما عرفت بعد ذلك: اسمع.. يا أخي عبد القادر.. إن الذي تقوله خطير جدا.

قال عبد القادر: لست أرى أي خطورة فيه.. بل لا أرى شيئا يناسب تلك البلاد، ويناسب أهلها والظروف التي يمرون عليها إلا هذا.

قال عبد الحكيم: ولكن ألا تخشى من ثورة الخبز والعلماء على الإسلام كما ثاروا قبل ذلك على الكنيسة؟

قال عبد القادر: نحن لا نزعم أن هذه قوانين تنطبق على كل الناس.. هذه أحكام خاصة ارتبطت ببيئة خاصة، وكان قصدها تحقيق أهداف خاصة.

قال عبد الحكيم: ولكننا يمكن أن نتوسل للإقناع بذلك بأدلة أخرى كثيرة غير هذه.. يمكننا أن نستدل ببلاغة القرآن الكريم.

قال عبد القادر: هم لا يعرفون العربية، فكيف نقنعهم ببلاغة القرآن الكريم؟

قال عبد الحكيم: فنقنعهم بعلومه؟

قال عبد القادر: هم يتخبطون في مستنقعات الجهل التي فرضها عليهم عدوهم، فكيف يفهمون ما تقول؟

قال عبد الحكيم: نقنعهم بتشريعات الإسلام وتنظيماته.

قال عبد القادر: هم لن يفهموا كل هذا.. هم قوم لا يؤثر فيهم شيء مثلما تؤثر فيهم الخوارق.. إن

آباءهم هم الذين اخترعوا فنون اليوغا، وأنواع السحر.. إنهم لا يؤمنون بشيء كما يؤمنون للخوارق..

وقد استغلت الكنيسة القائمة هناك هذه الطبيعة المتأصلة فيهم، فراحت تستنفر لها كل ما روي عن المسيح

عليه السلام من الخوارق، لا لتثبت لهم نبوته، بل لتثبت لهم إلهيته.

قال عبد الحكيم: أجل.. وقد علمت أن مبشرا خبيرا قدم تلك البلاد.. واسمه (بولس) وقد كان لهذا

الرجل أثره الخطير في ردة الكثير من المسلمين في إفريقيا، فله القدرة على تصوير الخوارق ببلاغة، وكأها تحدث أمامك.

---

(1) الأسماء التي نوردتها في العادة في هذه الرسائل وغيرها تكون لها دلالة معنوية خاصة، فعبء الحكيم يشير هنا إلى عالم الحكمة والأسباب والسنن الإلهية التي يسير عليها الكون، وعبد القادر يشير إلى الناحية الثانية المكتملة لهذه الناحية، وهي أن قدرة الله لا يحدها شيء، ولا يحكم عليها شيء.

والإشارة فيهما — كالإشارة في الرسالة السابقة (معجزات علمية) في شخصية علي وحذيفة.

فعبء القادر في هذه الرسالة يمثل الحديث عن القدرة الإلهية، والخوارق المرتبطة بها، ويمثل في نفس الوقت جمهور المسلمين القائلين بذلك، وعبء الحكيم يمثل عالم الحكمة، وهو يمثل طائفة من الناس ظهرت في هذا العصر تحاول التهرب من المعجزات خشية على تلبس الدين بالخرافة.

قال عبد القادر: أفترك هذا الرجل يعيث في الأرض فسادا، ونظل نتجادل.  
قال عبد الحكيم: لم أقصد أن أحادلك، ولكنني أردت أن نتحرى الحقيقة فيما نقول، خشية أن يتسرب  
لدينا من الخرافة ما يكدر صفوه.  
قال عبد القادر: لا تخف.. فنحن أحرص الناس على صفاء الدين.. إن الأدلة التي نستند إليها في إثبات ما  
نقوله تعجز كل الدنيا عن ردها..

قال عبد الحكيم: فما ترى من سبيل لرد دعوة هذا المبشر؟  
قال عبد القادر: ذلك بسيط.. أخرج ورقة وقلما.. وتعال أخبرك بما سنفعل.  
أخرج عبد الحكيم ورقة من محفظته، وراحا يهمسان بما سيفعلانه.

\*\*\*

وصلت إلى الهند، فاستقبلني الرجل الموكل بكنيستها، ولست أدري كيف عرفني، لقد جاء، واحتضني،  
وقال: مرحبا بك معنا رسولا من رسل المسيح.  
ثم عرفني بنفسه، وأنه (بولس) — الذي كان يتحدث عنه عبد القادر وعبد الحكيم — وحدثني، والسرور  
يهز نفسه، عن الفتوح العظيمة التي فتحت له في إفريقيا.  
لقد كان بولس من خلال كلماته وحركاته كتلة عجيبة من النشاط قل نظيرها، وكان له من الإخلاص  
والصدق بقدر ما كان له من النشاط، فلم يكن يرغب في أي مسؤولية أو وظيفة غير وظيفة التبشير، قال لي:  
في الحقيقة أنا لا أصلح لتولي هذه المسؤولية التي أنيطت بي في هذه الكنيسة.. أنا لا أصلح لأن أكون مسؤولا..  
ولذلك فقد سررت كثيرا بمجيئك.. فأنت الذي ستتحمل ما يرتبط بهذه الكنيسة من مسؤوليات.. أما أنا،  
فدعني أسير بين الناس أبشر بذلك المخلص الذي فدانا على خشبة الصليب.  
قلت: هل لي أن سير معك، لأتعلم على يديك فنون التبشير.  
قال: إن ذلك يسرني.. سوف أعلمك من أساليب التبشير في هذه البلاد ما يجعل الناس يتهافتون عليك  
كما يتهافت الفراش على النار.  
ابتسم، وقال: عذرا.. أنا دائما لا أعرف صياغة التشبيهات.. أقصد.. يتهافتون عليك كما يتهافت النحل  
على الأزهار.

قلت: من أين لك هذه المقدرة العجيبة؟  
قال: لقد اكتسبتها من طول المدة التي مكنتها في إفريقيا.. تصور.. لقد استطعت عن طريق قصي لحادثة  
واحدة — هي حادثة إحياء المسيح لبنت يابرس، والتي وردت قصتها في (مرقس ٥: ٢١-٤٣) — من إدخال  
الآلاف المؤلفرة رحاب الكنيسة.

قلت: وهل يصدق الناس أنباء الخوارق بسهولة؟  
قال: وهل تتصور أن هناك ديننا من غير خوارق.. الدين لا يثبت إلا بالخوارق.. بل ولا يستمر إلا

بالخوارق.. بل إن الكنيسة في جميع أطوارها التاريخية اعتمدت هذا الأسلوب.. حتى بولس.. بولس الرسول.. لولا تلك الخارقة التي حصلت له<sup>١</sup> ما كان ليصير بولس الذي يزاحم الحوارين، بل يبعدهم عن طريقه، ويسبقهم مكانة وتقديرا ودورا.

قلت: أليس في هذه البلدة مسلمون؟

قال: بلى.. كما كان في إفريقيا التي بشرت فيها مسلمون.. إن الإسلام يسير لنا التبشير أكثر من أي دين آخر.. فالمسلمون يؤمنون بالله أصلا، فلذلك لا نحتاج لأن نقتنعهم بالله، بل نكتفي بإضافة ابن الله.. فيتحولون من الإسلام إلى المسيحية.

قلت: فإن حصلت اعتراضات من المسلمين، أو ناقشنا بعضهم!؟

قلت هذا، وأنا أشير إلى عبد القادر وعبد الحكيم اللذين سمعت عزمهما على تعطيل محاولات (بولس) التبشيرية.

قال: نرحب بكل كلمة تقال.. بل نسمع لها.. ولو حصل ذلك، فإننا نكون أنشط لما نقول.. وقد نجد من الشبهات حينها ما منظرهم به..

قلت: متى تبدأ جلساتنا التدريبية؟

قال: من الغد.. غدا تبدأ تلك الجلسات أو تلك الخرجات.. لقد نذرت حياتي للمسيح.. ولا ينبغي أن أضيع لحظة منها.

---

(١) الخارقة التي حصلت لبولس، والتي جعلت المسيحيين يولونه كل ذلك الاهتمام هي أنه رأى المسيح بعد رفعه بسنوات، فبينما هو ذاهب إلى دمشق في مهمة لرؤساء الكهنة تجلّى له المسيح دون القافلة التي كان يسير معها، وفي ذلك التجلي منحه منصب الرسالة.. وكان مما قاله له: «وَلَكِنْ فَمَ وَقَفَ عَلَيَّ رَجُلِيكَ لِأَنِّي لِهَذَا ظَهَرْتُ لَكَ لِأَنَّكَ خَادِمٌ وَشَاهِدٌ بِمَا رَأَيْتَ وَبِمَا سَأَظْهَرُ لَكَ بِهِ مُنْقِذًا إِيَّاكَ مِنَ الشَّعْبِ وَمِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ أَنَا أُرْسِلُكَ إِلَيْهِمْ لِتَفْتَحَ عَيْنَهُمْ كَيْ يَرْجِعُوا مِنَ ظُلْمَاتٍ إِلَى نُورٍ وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللَّهِ حَتَّى يَنَالُوا بِالْإِيمَانِ بِي غُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيبًا مَعَ الْمُقَدَّسِينَ» (اعمال ١٦/٢٦-١٨)

## أولا — إرهابات

في اليوم الأول.. خرجت مع بولس إلى القرية الهندية الفقيرة الجميلة.. فرأينا الناس مجتمعين حول بيت من البيوت، وهم ممثلثون فرحا وسعادة، وقد علمنا أن سبب فرحهم يرجع إلى ولادة مولود لأحدكم، كان به مرض يمنعه من الإنجاب، ولكن الله قدر أن يرزقه هذا الولد بعد أن هرم، وكاد يرد إلى أرذل العمر. اقتربنا منهم، لنهنتهم بذلك الميلاد السعيد، فسمعنا ذلك الشيخ الوقور يحدث أضيافه عن دعائه الله بأن يرزقه ولدا صالحا، وكيف رأى الرؤى الصالحة التي تبشره بميلاد ذلك الولد.. وحدثهم عن أشياء كثيرة ترتبط بميلاد ذلك الولد هي أقرب للخوارق منها إلى العادات. هنا تحين بولس الفرصة ليبدأ تبشيره.

قال بولس: إن ما تذكرونه من إرهابات بمولد هذا الصبي يذكرنا بالمسيح..

لقد كانت للمسيح إرهابات كثيرة ارتبطت بمولده الشريف.

إن حادث ميلاد المسيح لم يكن له مثيل في تاريخ البشرية، فقد كان مظاهرة سماوية وأرضية، فرح في السماء، وبهجة على الأرض.

فبالرغم من أنه وُلِدَ في مزود حقير للبقرة، إلا أن ما حدث كان أكبر وأروع من أن يحدث مع أي من أبناء البشر مهما كانت مكانتهم على الأرض.

لقد جاء ملاك من السماء، ومعه جمهور من الجند السماوي في احتفال سمائي، وبشر جماعة من الرعاة بميلاد المسيح الذي وصفه بالمخلص الرب: ( وَإِذَا مَلَائِكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ وَمَجَّدَ الرَّبُّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا. فَقَالَ لَهُمُ الْمَلَائِكُ: ( لَا تَخَافُوا. فَهَآ أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. وَهَذِهِ لَكُمْ الْعَلَامَةُ: تَجِدُونَ طِفْلاً مَقْمَطًا مُضْجَعًا فِي مِذْوَدٍ). وَظَهَرَ بَعْتَهُ مَعَ الْمَلَائِكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللَّهَ وَقَائِلِينَ: ( الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ وَبِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ ). وَلَمَّا مَضَتْ عَنْهُمْ الْمَلَائِكَةُ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ الرَّعَاةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ( لِنَذْهَبِ الْآنَ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ وَنَنْظُرَ هَذَا الْأَمْرَ الْوَاقِعَ الَّذِي أَعْلَمْنَا بِهِ الرَّبُّ ). فَجَاءُوا مُسْرِعِينَ وَوَجَدُوا مَرِيَمَ وَيُوسُفَ وَالطِّفْلَ مُضْجَعًا فِي الْمِذْوَدِ. فَلَمَّا رَأَوْهُ أَحْبَرُوا بِالْكَلامِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ عَنْ هَذَا الصَّبِيِّ. وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوا تَعَجَّبُوا مِمَّا قِيلَ لَهُمْ مِنَ الرَّعَاةِ. وَأَمَّا مَرِيَمُ فَكَانَتْ تَحْفَظُ جَمِيعَ هَذَا الْكَلَامِ مُتَفَكِّرَةً بِهِ فِي قَلْبِهَا ) ( لوقا: ٢/٨-١٩ )

وهذا ما لم يحدث ولن يحدث مع أي كائن ظهر على الأرض، لم تحف السماء لميلاد أحد، ولم تسبح الملائكة لميلاد أحد، سواء كان نبيا أو رسولا أو قديسا، سوى شخص المسيح فقط.

التفت إلى الجمع المندهبس لحديثه، وقال: أتدرون لماذا؟

ثم أجاب نفسه بنفسه: لأن المسيح هو فوق الكل، أو كما قال هو في مقارنة بينه وبين كل من وُجِدَ على الأرض ( فَقَالَ لَهُمْ: ) أَنْتُمْ مِنْ أَسْفَلِ أَمَّا أَنَا فَمِنْ فَوْقِ. أَنْتُمْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ ) ( يوحنا: ٢٣/٨ )، وقال القديس يوحنا بالروح ( الَّذِي يَأْتِي مِنْ فَوْقِ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ وَالَّذِي مِنَ الْأَرْضِ هُوَ أَرْضِيٌّ وَمِنَ الْأَرْضِ يَتَكَلَّمُ. الَّذِي يَأْتِي مِنَ السَّمَاءِ هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ ) ( يوحنا: ٣/٣١ )



ابتسم ابتسامة عريضة، ثم قال: ليس ذلك فقط.. هناك المزيد من الإرهاصات..

لقد جاء المجوس، وهم حكماء علماء، من المشرق، يحملون هدايا لهذا المولود الإلهي، وكان قد ظهر لهم نجم من السماء ليُبلغهم بخر الميلاد ويُرشدهم في الطريق للوصول إلى هذا الطفل الإلهي، يقول الكتاب: (وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدَّ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ. قَائِلِينَ: (أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ)، وَإِذَا النَّجْمُ الَّذِي رَأَوْهُ فِي الْمَشْرِقِ يَتَقَدَّمُهُمْ حَتَّى جَاءَ وَوَقَفَ فَوْقَ حَيْثُ كَانَ الصَّبِيُّ. فَلَمَّا رَأَوْا النَّجْمَ فَرَحُوا فَرَحًا عَظِيمًا جَدًّا وَأَتَوْا إِلَى الْبَيْتِ وَرَأَوْا الصَّبِيَّ مَعَ مَرِيَمَ أُمِّهِ فَخَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ ثُمَّ فَتَحُوا كُنُوزَهُمْ وَقَدَّمُوا لَهُ هَدَايَا: ذَهَبًا وَلُبَانًا وَمُرًّا) متى: (١٢-١/٢)

قال رجل من الجمع، عرفت بعد ذلك أنه مستأجر من بولس للقيام بدور السائل والمتأثر: ما هذا النجم يا مولانا.. إن خبره لعجيب!؟

سر بولس لهذا السؤال، وقال — متوجها للسائل —: بورك فيك.. لقد آتاك الله ذكاء وفهما.. وسؤالك هذا يدل على ذلك.

إن علماء اللاهوت ذكروا أن هذا النجم قد يكون نجما حقيقيا جعله الله يتحرك خارج إطار قانون وناموس الكون ويظهر بصورة إعجازية، ليرشد المجوس إلى ميلاده ومكان ولادته.

وإما أنه ملاك ظهر في شكل نجم ليقوم بنفس المهمة.

فإذا اعتبرناه نجما حقيقيا — كما هو الظاهر — فإنه بذلك يعبر عن أن الأفلاك السماوية شاركت هي أيضا في الاحتفال بهذا المولود الإلهي.

التفت إلى الجمع، وقال: فهل حدث مثل هذا عند ميلاد أحد الأنبياء؟! ولماذا حدث ذلك عند ميلاد المسيح؟ والإجابة هي كما قال الملاك أنه هو (المسيح الرب)، وليس سواه.

أظهر مستأجر بولس الكثير من الاستغراب والدهشة لكلام بولس، وقال: إن هذا لعجيب.. فهل هناك غيره؟

قال بولس: أجل.. في وقت ختانه في اليوم الثامن في الهيكل حسب عادة اليهود جاء رجل من أورشليم اسمه سمعان، وهذا الرجل يقول عنه الكتاب أنه كان (بَارًّا تَقِيًّا يَنْتَظِرُ تَعْزِيَةَ إِسْرَائِيلَ وَالرُّوحَ الْقُدُسُ كَانَ عَلَيْهِ. وَكَانَ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ أَنَّهُ لَا يَرَى الْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَسِيحَ الرَّبِّ. فَأَتَى بِالرُّوحِ إِلَى الْهَيْكَلِ. وَعِنْدَمَا دَخَلَ بِالصَّبِيِّ يَسُوعَ أَبَوَاهُ لِيَصْنَعَا لَهُ حَسَبَ عَادَةِ النَّامُوسِ أَحَدَهُ عَلَى ذِرَاعَيْهِ وَبَارَكَ اللَّهُ وَقَالَ: (الآن تُطَلِّقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلَامٍ لِأَنَّ عَيْنِي قَدْ أَبْصَرْتُ خَلَاصَكَ الَّذِي أَعَدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورَ إِعْلَانٍ لِلْأُمَمِ وَمَجْدًا لِشُعْبِكَ إِسْرَائِيلَ). وَكَانَ يُوسُفُ وَأُمُّهُ يَتَعَجَّبَانِ مِمَّا قِيلَ فِيهِ. وَبَارَكُهُمَا سِمْعَانُ وَقَالَ لِمَرِيَمَ أُمِّهِ: (هَا إِنَّ هَذَا قَدْ وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ وَالْعَلَامَةِ مُتَقَاوِمًا. وَأَنْتِ أَيْضًا يَجُوزُ فِي نَفْسِكَ سَيْفٌ لِيُتَعَلَّنَ أَفْكَارًا مِنْ قُلُوبِ كَثِيرَةٍ) (لوقا: ٢٥/٢-٣٦)

وكان هناك — أيضا — في الهيكل امرأة نبيّة اسمها حنة يقول عنها الكتاب: (وَكَانَتْ نَبِيَّةً حَنَّةً بِنْتُ فُتُوئِيلَ

مِنْ سَبِيْطٍ أَشْبَهَ وَهِيَ مُتَقَدِّمَةٌ فِي أَيَّامٍ كَثِيْرَةٍ قَدْ عَاشَتْ مَعَ زَوْجٍ سَعَى سِنِيْنَ بَعْدَ بُكُوْرِيَّتِهَا. وَهِيَ أَرْمَلَةٌ نَحْوَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِيْنَ سَنَةً لَا تُفَارِقُ الْهَيْكَلَ عَابِدَةً بِأَصْوَامٍ وَطَلِبَاتٍ لَيْلًا وَنَهَارًا. فَهِيَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ وَقَفَتْ تُسَبِّحُ الرَّبَّ وَتَكَلِّمَتْ عَنْهُ مَعَ جَمِيْعِ الْمُنتَظِرِيْنَ فِدَاءً فِي أُورُشَلِيْمَ." (لو ٢/٣٦-٣٨).

فجاء سمعان إلى الهيكل بالروح، وكان الروح القدس قد سبق أن وعد أن لا يري الموت قبل أن يري المسيح الرب، وتكلمت عنه حنة النبية مع جميع الذين كانوا يتوقعون ميلاده، بحسب النبوات، جميع المنتظرين الفداء الذي كان سيأتي من إسرائيل.

قال ذلك، ثم التفت للجمع، وقال: هذا ما حدث في ميلاد المسيح.. فهل حدث مثل ذلك عند ولادة أي نبي أو رئيس أنبياء أو أي شخص ظهر علي الأرض مهما كانت أهميته؟

ثم أحاب نفسه بنفسه: بالطبع لم يحدث مثل ذلك إلا في ميلاد الرب يسوع لأنه ليس مجرد شخص عادي، ولا هو مجرد نبي، بل هو المسيح الرب الذي ظهر في الجسد، فهو مُرْسِلُ الأنبياء.

لم يكن بولس يتصور أن يفاجأ بأي اعتراض، فقد كان يتصور أنه يتكلم مع أميين جهلة لا علم لهم يناقشون به ما يقال، ولا عقول لهم تستطيع أن تعترض على ما يقال.

لكنه فوجئ بصوت يريد أن يناقشه.. وقد فوجئت مثله، لا بالاعتراض، وإنما بصوت المعارض.. لقد عرفته.. إنه صوت عبد القادر، ذلك الرجل الذي سمعته يتحدث مع عبد الحكيم في الطائرة..

لست أدري كيف شعرت بسرور عظيم، وأنا أسمع صوته، وكأن روحي أدركت أنها ستعال من ذلك الصوت المزيد من أشعة شمس محمد ﷺ.

قال عبد القادر: إن أذنت لي — حضرة القس الفاضل — فإن قرأنا قد ذكر في ميلاد المسيح من العجائب ما لم تذكره، سأقرأ عليك ما ورد في القرآن الكريم من ميلاد المسيح ﷺ.

فتح عبد القادر المصحف، وراح يقرأ بخشوع ما ورد في قصة ميلاد المسيح من سورة مريم: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ نَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيِّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلُهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَاتَّيَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهَزَّتْ يَدَاكِ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا حَنِيًّا (٢٥) فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٦) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجَعَلْنَاهُ آيَةً لِلْعَالَمِينَ

ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ (مریم)

رفع رأسه، والتفت إلى بولس، وقال: هذه هي قصة ميلاد المسيح ﷺ كما وردت في القرآن الكريم..  
إن المسيح ﷺ ولد من عذراء.. وقد حصل لأمه في فترة حملها من البركات والخيرات ما ذكره القرآن الكريم.

وعند ميلاده أنطقه الله في المهده ليصور حقيقته ووظيفته التي أنيطت به على هذه الأرض، لقد كانت أول كلمة قالها، وأشرف كلمة قالها هي ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ (مریم: من الآية ٣٠).. لقد بدأ بإعلان عبوديته لله، فليس هو ابن الله، ولا هو الله، ولا هو ثالث ثلاثة هم إله واحد، وهم في نفس الوقت ثلاثة آلهة.  
ثم يذكر أن الله جعله نبيا، لا ولداً ولا شريكاً، وأنه بارك فيه، وأوصاه بالصلاة والزكاة مدة حياته وأوصاه بالبر بوالدته والتواضع مع عشيرته.. وأنه قدر له السلام والأمان والطمأنينة يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً.

ظهر عبد الحكيم، هو الآخر، وقال: هذا ما يقوله العقل والمنطق.. فلا يمكن لهذا الكون أن يكون له إله غير إله واحد.. إن النظام والتناسق والدقة تدل على أن المبدع واحد.  
هنا تدخل مستأجر بولس، وأراد أن ينقذ الموقف، فقال: ولكن ما تقول في تلك المعجزات العظيمة التي صاحبت ميلاد المسيح.. لقد ولد كما ذكرت من عذراء..

ابتسم عبد الحكيم، وقال: إن هناك ملايين الكائنات يولدون من عذراوات، فهل نعتبرهم جميعاً آلهة؟  
ثم التفت لبولس، وقال: أيهما أحق بالآلوهية من لم يكن له والد أصلاً لا أمًا، ولا أبًا، أم من له أم؟  
سكت بولس، فقال: لقد خلق الله آدم من تراب.. ليس له أب، ولا أم.. فلذلك لو اعتمدنا المنطق الذي تعتمدونه في هذا الباب، فهو أحق بالآلوهية من المسيح!

لقد ذكر القرآن الكريم هذا، فقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٥٩)

قال مستأجر بولس: ولكن ما تقول في هذه الخوارق التي حصلت للمسيح، ولم تحصل لغيره؟  
قال عبد القادر: ومن قال: إنها لم تحصل لغيره.. إن الله تعالى بحكمته يظهر بعض الإرهاصات الدالة على المصطفين الذين يختارهم لهداية خلقه.. ليكون ذلك تمهيدا لتقبل الناس لهم.

لقد ذكر القرآن الكريم هذا عن موسى ﷺ.. فموسى ﷺ هبى منذ ولادته للوظيفة الخطيرة التي كلف بها.

فبعد أن ذكر الله تعالى ما أراده للمستضعفين من بني إسرائيل من الخروج عن ضعفهم، فقال: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (٦) (القصص)

(١) هناك ردود كثيرة جدا متصلة بهذا ذكرناها في رسالة (الله جل جلاله) من هذه السلسلة.

بعدها ذكر الله تعالى مقدمات تلك التهيئة، فقال: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا حِفَّتْ عَلَيْهِ فَالْقِيَهُ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨) وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكْ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا إِنَّ كَادَتْ لِتُنْبِئِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاصِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِنَعْلَمَ أَنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلِكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) ﴾ (القصص)

ويحيى عليه السلام ذكر القرآن الكريم قصة ميلاده، وما ارتبط بها من البشارات، والإرهاصات.. وهكذا كل الأنبياء — عليهم السلام — جعل الله في مقدمات حياتهم ما يشير إلى الدور الخطير الذي كلفوا به.

قال بولس: إلا محمد.. فمحمد ولد ولادة عادية، كما يولد سائر الناس.  
 قال عبد القادر: نعم ولد ولادة عادية بفضل الله، ولكنه — كسائر الأنبياء — سبق ميلاده ورافقه إرهاصات كثيرة تدل على الوظيفة الخطيرة التي هيئ لها.  
 قال مستأجر بولس: ذلك غير صحيح.. لقد ولد ولادة عادية.. هذا ما أعرفه.  
 ابتسم عبد القادر، وقال: أنت تحثني إذن على أن أعرفك ما لم تكن تعرف، وأعلمك ما لم تكن تعلم.  
 قال الجمع: نعم.. لقد حدثنا هذا عن إرهاصات المسيح، فحدثنا أنت عن إرهاصات محمد.  
 قال عبد القادر: لقد حدثت محمد عليه السلام ثلاثة أنواع من الإرهاصات — على حسب ما ذكرت للمسيح عليه السلام —: إرهاصات سبقت مولده، وإرهاصات تزامنت مع مولده، وإرهاصات حدثت بعد مولده.. وسأحدثكم عن بعض الحوادث المرتبطة بكل نوع منها.

## ١ - قبل الميلاد

قالوا: فحدثنا عن الإرهاصات التي سبقت مولده.  
قال عبد القادر: لقد كانت الجزيرة العربية في ذلك الزمن الذي ولد فيه محمد ﷺ كلها على أحر من  
الجمر في انتظار ذلك النبي الموعود الذي بشرت به الأنبياء.  
قالوا: فكيف عرفوا أنه سيبعث في ذلك الزمان؟  
قال عبد القادر: لقد ذكر الكتاب المقدس الكثير من العلامات المرتبطة بهذا النبي، والزمن الذي سيولد فيه،  
والمكان الذي سيخرج منه، والذي حرف أكثره بعد أن أرسل الله رسوله.  
قالوا: من فعل ذلك، ولم؟

قال عبد القادر: فعله من وكله الله بحفظ كتابه، وفعلوه ليصرفوا النبوة عن محمد ﷺ بغيا وحسدا.. لقد  
ذكر القرآن الكريم هذا، فقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَأَنُومًا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ  
عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٨٩)  
فهذه الآية الكريمة تخبر عن ذلك الانتظار الطويل الذي عاناه أهل الكتاب، وهم يبشرون الناس بمحمد  
ﷺ.

قالوا: فحدثنا عن ذلك.

### انتظار طويل:

قال عبد القادر: لقد رويت الروايات الكثيرة الدالة على ذلك.. وسأذكر لكم منها ما يبين لكم الجو العام  
الذي كان يمهد لمجيئ محمد ﷺ.

حدث عاصم بن عمر بن قتادة قال: حدثنا أشياخ شتى قالوا: لم يكن أحد من العرب أعلم بشأن رسول  
الله ﷺ منا، كان معنا يهود، وكانوا أهل كتاب وكنا أهل وثن، وكنا إذا بلغنا منهم ما يكرهون قالوا: إن نبيا  
مبعوثا الآن قد أطل زمانه نتبعه، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم.

فلما بعث الله تعالى رسوله ﷺ اتبعناه وكفروا به، ففيهم أنزل الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ  
مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَأَنُومًا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى  
الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٨٩)<sup>٢</sup>

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كانت يهود خيبر تقاتل يهود غطفان، فلما التقوا اهزمت  
يهود خيبر.

فعاذت اليهود بهذا الدعاء فقالوا: اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في  
آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم، فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان، فلما بعث رسول الله ﷺ  
كفروا به، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَأَنُومًا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ

(١) انظر: أنبياء يبشرون بمحمد.

(٢) رواه ابن إسحاق.

عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ (البقرة: ٨٩) <sup>١</sup>

وعن سلمة بن سلامة بن وقش — رضي الله عنه — قال: كان بيننا يهودي، فخرج على نادي قومه بني عبد الأشهل ذات غداة، فذكر البعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان، فقال ذلك لأصحاب وثن لا يرون أن بعثا كائن بعد الموت، وذلك قبل مبعث النبي ﷺ، فقالوا: ويحك يا فلان! وهذا كائن أن الناس مبعوثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ويجزون من أعمالهم؟ قال: نعم والذي يحلف به لو ددت أن يكون حظي من تلك النار أن توقدوا أعظم تنور في داركم فتحموه ثم تقذفوني فيه ثم تطينوا علي وأن أنجو من تلك النار غدا، قالوا: فما علامة ذلك؟ قال: نبي يبعث من ناحية هذه البلاد، وأشار بيده نحو مكة واليمن، قالوا: فما الذي تراه، فرمى بطرفه إلي وأنا أحدث القوم فقال: إن يستنجد هذا الغلام عمره يدركه.

فما ذهب الليل والنهار حتى بعث رسول الله ﷺ، وإنه لحي بين أظهرنا، فأما به وصدقناه وكفر به بغيا وعنادا، فقلنا له: يا فلان أليست الذي قلت لنا فيه ما قلت وأخبرتنا به؟ قال: ليس به <sup>٢</sup>.

وعن محمد بن عدي أنه سأل أباه كيف سماه في الجاهلية محمدا؟ فقال: خرجت مع جماعة من بني تميم، فلما وردنا الشام نزلنا على غدير عليه شجر، فأشرف علينا ديراين <sup>٣</sup> فقال: من أنتم؟ قلنا: من مضر، فقال: أما إنه سوف يبعث منكم وشيكا نبي فسارعوا إليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا، فإنه خاتم النبيين. فقلنا: ما اسمه؟ فقال: محمد. فلما صرنا إلى أهلنا ولد لكل واحد منا غلام فسماه محمدا <sup>٤</sup>.

وعن سعيد بن المسيب قال: كانت العرب تسمع من أهل الكتاب ومن الكهان أن نبيا يبعث من العرب اسمه محمد، فسمى من بلغه ذلك من ولد له محمدا، طمعا في النبوة <sup>٥</sup>.

وعن أبي سفيان قال: خرجت أنا وأميمة بن أبي الصلت إلى الشام، فمررنا بقرية فيها نصارى، فلما رأوا أمية عظموه وأكرموه، وأرادوه على أن ينطلق معهم، فقال لي أميمة: يا أبا سفيان انطلق معي فإنك تمضي إلى رجل قد انتهى إليه علم النصرانية، فقلت: لست أنطلق معك.

فذهب ورجع وقال: تكتم علي ما أحدثك به؟ قال: نعم قال: حدثني هذا الرجل الذي انتهى إليه علم الكتاب: أن نبيا مبعوث، فظننت أنني هو، فقال: ليس منكم، هو من أهل مكة. قلت: ما نسبه؟ قال: وسط قومه.

وقال لي: إن آية ذلك أن الشام قد رجفت بعد عيسى ثمانين رجفة، وبقيت رجفة يدخل على أهل الشام منها شر ومصيبة: فلما صرنا قريبا من ثنية إذا راكب قلنا: من أين؟ قال: من الشام.

قلنا: هل كان من حدث؟ قال: نعم، رجفت الشام رجفة دخل على الشام منها شر ومصيبة <sup>٦</sup>.

- 
- (١) رواه الحاكم والبيهقي.
  - (٢) رواه ابن إسحاق، والبخاري في التاريخ وصححه الحاكم.
  - (٣) الديرني: الراهب الذي يسكن الدير.
  - (٤) رواه الطبراني والبيهقي وأبو نعيم.
  - (٥) رواه ابن سعد.
  - (٦) رواه الطبراني والبيهقي.

وعن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قال: كنت جالسا بفناء الكعبة وزيد بن عمرو بن نفيل قاعد، فمر به أمية بن أبي الصلت فقال: أما إن هذا النبي الذي ينتظر منا أو منكم أو من أهل فلسطين. قال: ولم أكن سمعت قبل ذلك بني ينتظر فلا يبعث.

فخرجت أريد ورقة بن نوفل، فقصصت عليه الحديث، فقال: نعم يا بن أخي، أخبرنا أهل الكتاب والعلماء، أن هذا النبي الذي ينتظر من أوسط العرب نسبا، ولي علم بالنسب فقومك أوسط العرب نسبا. قال: يا عم وما يقول النبي؟ قال: يقول ما قيل له، إلا أنه لا يظلم ولا يظالم. قال: فلما بعث رسول الله ﷺ آمنت وصدقت<sup>١</sup>.

وعن زيد بن حارثة - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نفيل، فقال له النبي ﷺ: (ما لي أرى قومك قد شنفوك<sup>٢</sup>)؟ قال: أما والله إن ذلك لغير ثائرة<sup>٣</sup> كانت مني إليهم، ولكن أراهم على ضلالة فخرجت أبتغي هذا الدين حتى أتيت على شيخ بالجزيرة، فأخبرته بالذي خرجت له، قال: ممن أنت؟ قلت: من أهل بيت الله. قال: فإنه قد خرج في بلدك نبي أو خارج قد طلع نجمه، فارجع فصدقه وآمن به. فرجعت فلم أحس بشئ بعد.

قال: ومات زيد بن عمرو قبل أن يبعث رسول الله ﷺ<sup>٤</sup>.

وعن عامر بن ربيعة - رضي الله عنه - أن زيد بن عمرو بن نفيل قال: خالفت قومي واتبعت ملة إبراهيم وما كان يعبد، فأنا أنتظر نبيا من ولد إسماعيل اسمه أحمد، ولا أراي أدركه، فأنا أو من به وأصدقه وأشهد أنه نبي، فإن طالت بك مدة فأقره مني السلام، وأخبرك يا عامر ما نعته حتى لا يخفى عليك: هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير، ولا بكثير الشعر ولا بقليله، وليس يفارق عينيه حمرة، وخاتم النبوة بين كتفيه، واسمه أحمد، وهذا البلد مولده ومبعثه، ثم يخرج قومه منها ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يثرب فيظهره أمره، فإياك أن تتدع عنه فإني بلغت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم، وكل من أسأله من اليهود والنصارى والجوس يقول: هذا الدين ورائك، وينعتونه مثل ما نعته لك، ويقولون: لم يبق نبي غيره.

قال عامر: فلما تنبأ رسول الله ﷺ وأخبرته، فقال: (قد رأيت في الجنة يسحب ذيله)<sup>٥</sup>

وروي عن عمرو بن عبسة - رضي الله عنه -: قال رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية، ورأيت الباطل يعبدون الحجارة، فلقيت رجلا من أهل الكتاب فسألته عن أفضل الدين فقال: يخرج رجل بمكة ويرغب عن آلهة قومه ويدعو إلى غيرها، وهو يأتي بأفضل الدين، فإذا سمعت به فاتبعه.

فلم يكن بي هم إلا مكة آتيتها فأسأل: هل حدث فيها أمر؟ فيقولون لا.

فإني لقاعد على الطريق إذا مر بي راكب فقلت: من أين جئت؟ قال: من مكة. قلت: هل حدث فيها

(١) رواه ابن عساكر.

(٢) شنفوك: أي أبغضوك.

(٣) لغير ثائرة: أي لم أصنع لهم شرا.

(٤) رواه أبو يعلى والطبراني والحاكم وصححه.

(٥) رواه ابن سعد وأبو نعيم.

خبر؟ قال: نعم، رجل رغب عن آلهة قومه ودعا إلى غيرها. فقلت: صاحبي الذي أريد.  
فأتيته فوجدته مستخفياً، فقلت: ما أنت؟ قال: نبي. قلت: وما النبي؟ قال: رسول. قلت: من أرسلك؟  
قال: الله. قلت: بماذا أرسلك؟ قال: أن توصل الأرحام وتحقن الدماء وتؤمن السبل وتكسر الأوثان ويعبد الله  
ولا يشرك به شيئاً. قلت: نعم ما أرسلك به، أشهدك أني قد آمنت بك وصدقتك أفأمكث معك ما ترى؟ قال:  
ترى كراهة الناس لما حثت به فامكث في أهلك، فإذا سمعت أني قد خرجت مخرجاً فاتبعني.  
فلما سمعت به ﷺ خرج إلى المدينة سرت حتى قدمت عليه<sup>١</sup>.

وعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال: بلغني أن بني إسرائيل لما أصابهم ما أصابهم من ظهور بختنصر -  
وفرقتهم وذلمهم تفرقوا، وكانوا يجدون محمداً رسول الله ﷺ مبعوثاً في كتبهم وأنه سيظهر في بعض القرى العربية  
في أرض ذات نخل، ولما خرجوا من أرض الشام جعلوا يتقرون كل قرية من تلك القرى العربية بين الشام  
واليمن يجدون نعتها نعت يثرب، فتزل بها طائفة منهم ويرجون أن يلقوا محمداً ﷺ فيتبعونه، حتى نزل من بني  
هارون بيثرب منهم طائفة، فمات أولئك الآباء وهم مؤمنون بمحمد ﷺ أنه جاء ويحثون أبناءهم على اتباعه إذا  
جاء، فأدركه من أدركه من أبنائهم فكفروا به وهم يعرفونه<sup>٢</sup>.

التفت عبد القادر إلى بولس، وقال: هذه أول الإرهاصات.. فمحمداً ﷺ كان منتظراً من الكل.. من  
اليهود، ومن المسيحيين، ومن الأحناف الذين يبحثون عن ملة إبراهيم.

قال مستأجر بولس: نحن نريد الآيات العجائب.

قال عبد القادر: وهذا من الآيات العجائب.. فكيف يتفق كل ذلك الجمع على ذلك الانتظار؟  
ثم كيف يرحل الأحبار والرهبان من ديارهم لينتظروا ذلك المولود الموعود في تلك البلاد القاحلة؟  
ومع ذلك.. فهناك آية أخرى تناسب مع الطريقة التي تفكر بها.

قال الجمع: ما هي؟

### حماية الكعبة:

قال عبد القادر: أنتم تعلمون أن محمداً ولد بمكة المكرمة في عام يسمى عام الفيل.  
قالوا: أجل.

قال عبد القادر: لقد كان هذا الفيل الذي ولد في عامه محمد ﷺ إرهاباً من إرهابات النبوة.  
قالوا: كيف ذلك؟

قال عبد القادر: في شهر الحرم قبل مولد النبي ﷺ بخمسين يوماً أو بخمسة وخمسين يوماً، وهو ما يطابق  
أواخر فبراير أو أوائل مارس سنة ٥٧١ م، حصلت واقعة خارقة حفظت البلد الذي ولد فيه محمد ﷺ،  
وحفظت الكعبة المشرفة.  
قالوا: فحدثنا عنها.

(١) رواه ابن سعد وأبو نعيم وابن عساکر.

(٢) رواه أبو نعيم وابن عساکر.



قال عبد القادر: في ذلك الحين، قدم أبرهة الأشرم ملك اليمن إلى مكة المكرمة، لهدم الكعبة المشرفة، ولكن الله حماها منه، وأنزل به وجنوده عقاباً أليماً خارقاً.

وخلاصة الحادثة أن الحاكم الحبشي لليمن — في الفترة التي خضعت فيها اليمن لحكم الحبشة — بعد طرد الحكم الفارسي منها وتسميه الروايات (أبرهة)، كان قد بنى كنيسة في اليمن باسم ملك الحبشة، وجمع لها كل أسباب الفخامة، على نية أن يصرف بها العرب عن البيت الحرام في مكة، وقد رأى مبلغ انجذاب أهل اليمن الذين يحكمهم إلى هذا البيت، شأنهم شأن بقية العرب في وسط الجزيرة وشماليها، وكتب إلى ملك الحبشة بهذه النية.

لكن العرب لم ينصرفوا عن بيتهم المقدس، فقد كانوا يعتقدون أنهم أبناء إبراهيم وإسماعيل صاحبي هذا البيت، وكان هذا موضع اعتزازهم على طريقتهم بالفخر بالأنساب، وكانت معتقداتهم على تهافتها أفضل في نظرهم من معتقدات أهل الكتاب من حولهم، وهم يرون ما فيها من خلل واضطراب وتهافت كذلك. عندئذ صح عزم (أبرهة) على هدم الكعبة ليصرف الناس عنهم؛ وقاد جيشاً جراراً تصاحبه الفيلة، وفي مقدمتها فيل عظيم ذو شهرة خاصة عندهم.

فتسامع العرب به وبقصده، وعز عليهم أن يتوجه لهدم كعبتهم، فوقف في طريقه رجل من أشرف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر، فدعا قومه ومن أحابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن البيت الحرام، فأجابه إلى ذلك من أحابه، ثم عرض له فقاتله، ولكنه هزم وأحذه أبرهة أسيراً. ثم وقف له في الطريق كذلك نفيل بن حبيب الخنعمي في قبيلتين من العرب ومعهما عرب كثير، فهزمهم كذلك وأسر نفيلاً، الذي قبل أن يكون دليلاً في أرض العرب.

حتى إذا مر بالطائف خرج إليه رجال من ثقيف فقالوا له: إن البيت الذي يقصده ليس عندهم إنما هو في مكة، وذلك ليدفعوه عن بيتهم الذي بنوه للآت، وبعثوا معه من يدلّه على الكعبة.

فلما كان أبرهة بالمغمس بين الطائف ومكة، بعث قائداً من قواده حتى انتهى إلى مكة فساق إليه أموال تامة من قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك.

وبعث أبرهة رسولاً إلى مكة يسأل عن سيد هذا البلد، ويبلغه أن الملك لم يأت لحربهم وإنما جاء لهدم هذا البيت، فإن لم يتعرضوا له فلا حاجة له في دمائهم، فإذا كان سيد البلد لا يريد الحرب جاء به إلى الملك.

فلما كلم عبد المطلب فيما جاء به قال له: والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة. هذا بيت الله الحرام. وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمة، وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه.

ثم انطلق عبد المطلب مع رسول أبرهة إليه، فلما استؤذن لعبد المطلب، قالوا لأبرهة: هذا سيد قريش، فأذن له.

فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه عن أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة معه على سرير ملكه، فترل أبرهة عن سيره، فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال له: حاجتك؟ فذكر عبد المطلب أباعره التي أخذت له فقال أبرهة: قد كنت أعجبتي حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلمتك، أتكلمي عن مائي بعير

أصبتها لك، وترك بيتنا هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه؟ قال له عبد المطلب: أنا رب الإبل، وإن للبيت ربا سيمنعه.

فرد أبرهة على عبد المطلب الإبل، فانصرف إلى قريش، فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز بالجبال والشعاب تحوفا عليهم معرة الجيش، وقد كانوا أكثر من قريش عددا. ثم قام عبد المطلب، فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجيشه.

وكان مما قال عبد المطلب، وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

لا هم أن العبد يمنع رحله فامنع حلالك

لا يغلبن صليبيهم ومحالمهم غدوا محلك

إن كنت تاركهم وقيلتنا فأمر ما بدا لك

فأما أبرهة فوجه جيشه وفيه لما جاء له، فبرك الفيل دون مكة لا يدخلها، وجهدوا في حمله على اقتحامها فلم يفلحوا<sup>١</sup>.

ثم إن الله تعالى أرسل على هذا الجيش جماعات من الطير تحصبهم بحجارة من طين وحجر، فتركتهم كأوراق الشجر الحافة الممزقة، وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم يسقط أتملة أتملة، حتى قدموا به صنعاء، فما مات حتى انشق صدره عن قلبه كما تقول الروايات.

وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحادثة، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥)﴾ (الفيل)

هنا تدخل بولس، وقال: أعرف هذه الحادثة، وهي حادثة عادية، وهي لا تعني سوى أن وباء أصاب ذلك الجيش، فمنعه من غزو الكعبة.

لا تنهمني.. فلست أنا الذي أقول هذا..

إن هذا يقوله مفسروكم.. لقد قال محمد عبده في تفسيره للسورة في جزء عم: (وفي اليوم الثاني فشا في جند الجيش داء الجدري والحصبة.. قال عكرمة: وهو أول جدري ظهر ببلاد العرب. وقال يعقوب بن عتبة فيما حدث: إن أول ما رؤيت الحصبة والجدري ببلاد العرب ذلك العام. وقد فعل الوباء بأجسامهم ما يندر وقوع مثله. فكان لحمهم يتناثر ويتساقط فذعر الجيش وصاحبه وولوا هارين، وأصيب الجيش، ولم يزل يسقط لحمه قطعة قطعة، وأتملة أتملة حتى انصدع صدره ومات في صنعاء، هذا ما اتفقت عليه الروايات، ويصح

---

(١) وهذه الحادثة ثابتة بقول رسول الله ﷺ يوم الحديبية حين بركت ناقته القصواء دون مكة، فقالوا: خلأت القصواء (أي حرنت)، فقال رسول الله ﷺ: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل» وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة: «إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب»

الاعتقاد به. وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة أن ذلك الجدري أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله الله مع الريح )

ثم قال: ( فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات، فإذا اتصل بجسد دخل في مسامه، فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بإفساد الجسم وتساقط لحمه. وأن كثيراً من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله في إهلاك من يريد إهلاكه من البشر، وأن هذا الحيوان الصغير الذي يسمونه الآن بالمكروب لا يخرج عنها. وهو فرق وجماعات لا يحصي عددها إلا بارئها )  
قال ذلك، وسكت، فرد عليه عبد الحكيم: أكمل.. لقد قال بعد هذا كلاماً جميلاً.

قال بولس: هذا ما حفظته من كلامه.

قال الحكيم: لقد قال بعدها كلاماً يرد على سوء الفهم الذي قد يعرض لمن قرأ موقفه هذا، لقد قال: ( ولا يتوقف ظهور أثر قدرة الله تعالى في قهر الطاغين، على أن يكون الطير في ضخامة رؤوس الخيال، ولا على أن يكون من نوع عنقاء مغرب، ولا على أن يكون له ألوان خاصة به، ولا على معرفة مقادير الحجارة وكيفية تأثيرها.. فله جند من كل شيء:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وليس في الكون قوة إلا وهي خاضعة لقوته. فهذا الطاغية الذي أراد أن يهدم البيت، أرسل الله عليه من الطير ما يوصل إليه مادة الجدري أو الحصبة، فأهلكته وأهلكته قومه، قبل أن يدخل مكة. وهي نعمة غمر الله بها أهل حرمه على وثيبتهم حفظاً لبيته، حتى يرسل من يحميه بقوة دينه ﷺ وإن كانت نعمة من الله حلت بأعدائه أصحاب الفيل الذين أرادوا الاعتداء على البيت دون جرم اجترمه، ولا ذنب اقترفه )

ثم قال: ( هذا ما يصح الاعتماد عليه في تفسير السورة. وما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله إلا بتأويل، إن صححت روايته. ومما تعظم به القدرة أن يؤخذ من استعز بالفيل وهو أضخم حيوان من ذوات الأربع جسماً ويهلك، بحيوان صغير لا يظهر للنظر، ولا يدرك بالبصر، حيث ساقه القدر لا ريب عند العاقل أن هذا أكبر وأعجب وأهم )

قال عبد القادر: لقد علق سيد قطب على قوله هذا تعليقا جميلاً، فقال: ( ونحن لا نرى أن هذه الصورة التي افترضها الأستاذ الإمام — صورة الجدري أو الحصبة من طين ملوث بالجراثيم — أو تلك التي جاءت بها بعض الروايات من أن الحجارة تحرق الرؤوس والأجسام وتنفذ منها وتمزق الأجساد فتدعها كفتات ورق الشجر الجاف وهو ( العصف ).. لا نرى أن هذه الصورة أو تلك أدل على قدرة الله، ولا أولى بتفسير الحادث. فهذه كتلك في نظرنا من حيث إمكان الوقوع. ومن حيث الدلالة على قدرة الله وتدييره، ويستوي عندنا أن تكون السنة المألوفة للناس، المعهودة المكشوفة لعلمهم، هي التي جرت فأهلكت قوماً أراد الله إهلاكهم. أو أن تكون سنة الله قد جرت بغير المألوف للبشر، وغير المعهود المكشوف لعلمهم، فحققت قدره ذلك.

إن سنة الله ليست فقط هي ما عهده البشر وما عرفوه. وما يعرف البشر من سنة الله إلا طرفاً يسيراً يكشفه الله لهم بمقدار ما يطيقون، وبمقدار ما يتهيأون له بتجارهم ومداركهم في الزمن الطويل، فهذه الخوارق كما يسمونها هي من سنة الله. ولكنها خوارق بالقياس إلى ما عهدوه وما عرفوه!

ومن ثم فنحن لا نقف أمام الخارقة مترددين ولا مؤولين لها متى صحت الرواية أو كان في النصوص وفي ملابسات الحادث ما يوحي بأنها جرت خارقة، ولم تجر على مألوف الناس ومعهودهم. وفي الوقت ذاته لا نرى أن جريان الأمر على السنة المألوفة أقل وقعاً ولا دلالة من جريانه على السنة الخارقة للمألوف. فالسنة المألوفة هي في حقيقتها خارقة بالقياس إلى قدرة البشر.

إن طلوع الشمس وغروبها خارقة وهي معهودة كل يوم وإن ولادة كل طفل خارقة وهي تقع كل لحظة، وإلا فليجرب من شاء أن يجرب! وإن تسليط طير كائناً ما كان يحمل حجارة مسحوقة ملوثة بميكروبات الجدري والحصبة وإلقائها في هذه الأرض، في هذا الأوان، وإحداث هذا الوباء في الجيش، في اللحظة التي يهجم فيها باقتحام البيت.. إن جريان قدر الله على هذا النحو خارقة بل عدة خوارق كاملة الدلالة على القدرة وعلى التقدير. وليست بأقل دلالة ولا عظمة من أن يرسل الله طيراً خاصاً يحمل حجارة خاصة تفعل بالأجسام فعلاً خاصاً في اللحظة المقررة.

هذه من تلك.. هذه خارقة وتلك خارقة على السواء<sup>١</sup>.

قال بولس: قد أسلم بما ذكرت من أنها حادثة خارقة، ولكن كيف تذكر أنها من الإرهافات المرتبطة بمحمد.

قال عبد القادر: أنت تعلم أن بيت المقدس لا يقل حرمة عن الكعبة المشرفة.

قال بولس: نحن لا نرى للكعبة أي مكانة مقارنة ببيت المقدس.

قال عبد القادر: ومع ذلك فقد استولى عليه بُخْتَنَصَّر سنة ٥٨٧ ق.م، ثم استولى عليه الرومان سنة ٧٠ م، ولكن الكعبة المشرفة لم يتم استيلاء مسيحيو الحبشة عليها مع كونهم من المسيحيين، وأهل الكعبة من

(١) وقد رجح سيد اعتبار الخارقة في هذه الحادثة، فقال: فأما في هذا الحادث بالذات، فنحن أميل إلى اعتبار أن الأمر قد جرى على أساس الخارقة غير المعهودة، وأن الله أرسل طيراً أبابيل غير معهودة وإن لم تكن هناك حاجة إلى قبول الروايات التي تصف أحجام الطير وأشكالها وصفاً مثيراً، نجد له نظائر في مواضع أخرى تشي بأن عنصر المبالغة والتحويل مضاف إليها! تحمل حجارة غير معهودة، تفعل بالأجسام فعلاً غير معهود..

نحن أميل إلى هذا الاعتبار. لا لأنه أعظم دلالة ولا أكبر حقيقة. ولكن لأن جو السورة وملابسات الحادث تجعل هذا الاعتبار هو الأقرب. فقد كان الله سبحانه يريد بهذا البيت أمراً. كان يريد أن يحفظه ليكون مثابة للناس وأمناء؛ وليكون نقطة تجمع للعقيدة الجديدة تزحف منه حرة طليقة، في أرض حرة طليقة، لا يهيمن عليها أحد من خارجها، ولا تسيطر عليها حكومة قاهرة تحاصر الدعوة في محضنها. ويجعل هذا الحادث عبرة ظاهرة مكشوفة لجميع الأنظار في جميع الأجيال، حتى ليتمن بما على قریش بعد البعثة في هذه السورة، ويضربها مثلاً لرعاية الله لحرماته وغيرته عليها.. فمما يتناسق مع جو هذه الملابسات كلها أن يجيء الحادث غير مألوف ولا معهود، بكل مقوماته وبكل أجزائه ولا داعي للمحاولة في تغليب صورة المألوف من الأمر في حادث هو في ذاته وبملابساته مفرد فذ..

وبخاصة أن المألوف في الجدري أو الحصبة لا يتفق مع ما روي من آثار الحادث بأجسام الجيش وقائده، فإن الجدري أو الحصبة لا يسقط الجسم عضواً عضواً وأئمةً أئمةً، ولا يشق الصدر عن القلب.

المشركين.

وليس لذلك من سر إلا حفظ هذا البلد من كل تأثيرات أجنبية قد تنحرف بالدين الخاتم. بالإضافة إلى ذلك، فقد وقعت هذه الواقعة في الظروف التي يبلغ نبؤها إلى معظم المعمورة المتحضرة إذ ذاك، فالحبشة كانت لها صلة قوية بالرومان، والفرس لا يزالون لهم بالمرصاد، يترقبون ما نزل بالرومان وحلفائهم؛ ولذلك سرعان ما جاءت الفرس إلى اليمن بعد هذه الواقعة، وهاتان الدولتان كانتا تمثلان العالم المتحضر في ذلك الوقت.

فهذه الواقعة لفتت أنظار العالم ودلته على شرف بيت الله، وأنه هو الذي اصطفاه الله للتقديس، فإذا لو قام أحد من أهله بدعوى النبوة كان ذلك هو عين ما تقتضيه هذه الواقعة، وكان تفسيراً للحكمة الخفية التي كانت في نصرة الله للمشركين ضد أهل الإيمان بطريق يفوق عالم الأسباب.

## ٢ — عند الميلاد

سكت عبد القادر، فقال الجمع: لقد وعدتنا بأن تحدثنا عن الإرهاصات المرتبطة بمولد محمد، فحدثنا عنها.

**نجم محمد ﷺ:**

قال أبحر بولس: عم تريدون أن يحدثكم؟.. عن نجم محمد؟!.. لم يظهر عند ولادة محمد أي نجم، كما ظهر للمسيح.

قال عبد القادر: لقد روى الرواة — وهم لا يقلون عن رواة نجم المسيح ثقة — بأن نجما ظهر في الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ، وسأذكر لكم بعض ما وري في ذلك.

لقد حديث حويصة بن مسعود - رضي الله عنه - قال: كنا ويهود فينا كانوا يذكرون نبيا يبعث بمكة اسمه أحمد، ولم يبق من الأنبياء غيره، وهو في كتبنا وما أخذ علينا صفته كذا وكذا حتى يأتوا على نعته. قال: وأنا غلام وما أرى أحفظ وما أسمع أعي إذ سمعت صياحا من ناحية بني عبد الأشهل، فإذا قوم فزعوا وخافوا أن يكون أمر حدث، ثم خفي الصوت ثم عاد فصاح ففهمنا صياحه: يا أهل يثرب هذا كوكب أحمد الذي ولد به.

قال: فجعلنا نعجب من ذلك، ثم أقمنا دهرًا طويلا ونسينا ذلك، فهلك قوم، وحدث آخرون، وصرت رجلا كبيرا، فإذا مثل ذلك الصياح بعينه: يا أهل يثرب قد خرج محمد، وتنبأ وجاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى عليه الصلاة والسلام.

فلم أنشب أن سمعت أن بمكة رجلا خرج يدعي النبوة، وخرج من قومنا وتأخر وأسلم فتبان منا أحداث ولم يقض لي أن أسلم، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة<sup>١</sup>.

وعن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال: إني لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل ما رأيت وسمعت، إذا يهودي في يثرب يصرخ ذات غداة: يا معشر يهود، فاجتمعوا إليه — وأنا أسمع — فقالوا: ويملك مالك؟ قال: قد طلع نجم أحمد الذي يولد به في هذه الليلة<sup>٢</sup>.

و عن مالك بن سنان قال: جئت بني عبد الأشهل يوما لأحدث فيهم، ونحن يومئذ في هدنة من الحرب، فسمعت يوشع اليهودي يقول: أظن خروج نبي يقال له أحمد يخرج من الحرم.

فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهلي، كالمستهزئ به: ما صفته؟ فقال ليس بالقصير ولا بالطويل، في عينيه حمرة، يلبس الشملة ويركب الحمار، سيفه على عاتقه وهذا البلد مهاجرة.

قال: فرجعت إلى قومي بني خدرة وأنا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع، فأسمع رجلا منا يقول: ويوشع يقول هذا وحده؟! كل يهود يثرب يقولون هذا.

قال أبي مالك بن سنان: فخرجت حتى جئت بني قريظة فأجد جمعا، فتذاكروا النبي ﷺ، فقال الزبير بن باطا: قد طلع الكوكب الأحمر الذي لم يطلع إلا لخروج نبي أو ظهوره، ولم يبق أحد إلا أحمد، وهذا مهاجرة.

(١) رواه الواقدي وأبو نعيم.

(٢) رواه ابن إسحق.

قال أبو سعيد: فلما قدم النبي ﷺ أخبره أبي هذا الخير، فقال رسول الله ﷺ: (لو أسلم الزبير لأسلم ذووه من رؤساء اليهود، إنما هم له تبع) <sup>١</sup>  
وعن زيد بن ثابت — رضي الله عنه — قال: كان أحبار يهود بني قريظة والنضير يذكرون صفة النبي ﷺ، فلما طلع الكوكب الأحمر أخبروا أنه نبي، وأنه لا نبي بعده، واسمه أحمد ومهاجره إلى يثرب، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنكروا وحسدوا وكفروا <sup>٢</sup>.  
وعن أسامة بن زيد — رضي الله عنه — قال: قال زيد بن عمرو بن نفيل: قال لي حبر من أحبار الشام: قد خرج في بلدك نبي، أو هو خارج، قد خرج نجمه، فارجع فصدقه واتبعه <sup>٣</sup>.

### أحداث كبرى:

قال رجل، عرفت بعد ذلك أنه مستأجر من طرف عبد الحكيم ليقوم بالدور الذي يقوم به أجير بولس: لقد سمعنا أشياء أخرى ارتبطت بمولده ﷺ منها ارتجاس الإيوان، وسقوط الشرفات، وحمود النيران، ورؤيا الموبدان، وغيرها من الإرهاصات.

قال عبد القادر: أجل.. لقد رويت في ذلك روايات كثيرة، وهي لا تقل عن مرويات الأناجيل وثوقا، فقد تحدث بعض المعاصرين لميلاد رسول الله ﷺ، فقال: لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وحمدت نار فارس، ولم تحمد قبل ذلك بألف عام، وغاضت بحيرة ساوة.

ورأى الموبدان إبلا صعبا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة، وانتشرت في بلادهم، فلما أصبح كسرى أفرغه ذلك، فتصبر عليه تشجعا، ثم رأى أنه لا يدخر ذلك عن مرزبته، فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره.

ثم بعث إليهم فلما اجتمعوا عنده، قال: أتدرون فيم بعثت إليكم؟ قالوا: لا إلا أن يخبرنا الملك. فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب حمود النيران، فازداد غما إلى غمه، ثم أخبرهم بما رأى وما هاله، فقال الموبدان: وأنا، أصلح الله الملك، قد رأيت في هذه الليلة رؤيا، ثم قص عليه رؤياه في الابل.  
فقال: أي شيء يكون هذا يا موبدان؟ قال: حدث يكون في ناحية العرب، وكان أعلمهم من أنفسهم. فكتب عند ذلك: من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر، أما بعد فوجه إلى برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه، فوجه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيان بن ببيعة الغساني، فلما ورد عليه قال له: ألك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ فقال: لتخبرني أو ليسلني الملك عما أحب، فإن كان عندي منه علم وإلا أخبرته بمن يعلم. فأخبره بالذي وجه به إليه فيه.

قال: علم ذلك عند حال لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيح، قال: فائته فأسأله عما سألتك عنه ثم

(١) رواه أبو نعيم.

(٢) رواه أبو نعيم.

(٣) رواه أبو نعيم وابن حبان.

اثنتى بتفسيره.

فخرج عبد المسيح حتى انتهى إلى سطيح وقد أشفى على الضريح، فسلم عليه وكلمه، فلم يرد إليه سطيح جواباً، فأنشده شعراً، فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه قال: عبد المسيح، على جمل مشيح، أتى سطيح، وقد أوفى على الضريح، بعثك ملك بنى ساسان، لارتجاس الايوان، وحمود النيران، ورؤيا الموبدان، رأى إبلا صعبا، تقود خيلا عربا، قد قطعت دجلة، وانتشرت في بلادها.

يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة، وظهر صاحب الهراوة، وفاض وادى السماوة، وغاضت بحيرة ساوة، وخذت نار فارس، فليس الشام لسطيح شاما، يملك منهم ملوك وملكات، على عدد الشرفات وكلما هو آت آت، ثم قضى سطيح مكانه.

فلما قدم عبد المسيح على كسرى أخيره بما قال له سطيح، فقال كسرى: إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا كانت أمور وأمور، فملك منهم عشرة في أربع سنين، وملك الياقون إلى خلافة عثمان رضي الله عنه.

ليس هذا فقط.. بل قد انتشر خبر ميلاده صلى الله عليه وسلم بين الكثير من الأبحار والرهبان، لعلامات خاصة كانوا يعرفونها، ومن ذلك ما رواه الرواة أنه كان بمر الظهران راهب من الرهبان يدعى عيصا من أهل الشام، وكان متخفرا بالعاص بن وائل، وكان الله قد آتاه علما كثيرا، وجعل فيه منافع كثيرة لأهل مكة من طيب ورفق وعلم.

وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة في كل سنة، فيلقى الناس ويقول: إنه يوشك أن أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة يدين له العرب ويملك العجم، هذا زمانه، ومن أدركه واتبعه أصاب حاجته، ومن أدركه، فخالفه أخطأ حاجته، وبالله ما تركت أرض الخمر والخمير والامن ولا حللت بأرض الجوع والبؤس والخوف إلا في طلبه.

وكان لا يولد بمكة مولد إلا يسأل عنه، فيقول: ما جاء بعد، فيقال له: فصفه، فيقول لا.

ويكنم ذلك للذى قد علم أنه لاق من قومه، مخافة على نفسه أن يكون ذلك داعية إلى أدن ما يكون إليه

---

(١) رواه الخرائطي وابن إسحق وغيرهما، ونحن نورد هذا من باب التساهل في النقل في مثل هذه المواضع، وإلا فإن البعض تشدد فيها، كالدكتور أكرم ضياء العمري الذي قال في كتابه (السيرة النبوية الصحيحة) (١/٩٨-١٠١): «وكذلك وردت روايات موضوعة حول هواتف الجن في ليلة مولده وتبشيرها به، وانتكاس بعض الأصنام في المعابد الوثنية بمكة. وحول ارتجاس إيوان كسرى، وسقوط شرفاته، وحمود نيران الجوس، وغضب بحيرة ساوة، ورؤيا الموبدان الخيل العربية تقطع دجلة، وتنتشر في بلاد الفرس. كذلك وردت روايات ضعيفة عن إخبار يهود بليلة مولده، وإخبار الراهب عيصا بمر الظهران بمولده. وقول العباس عمه إنه رآه في المهدي ناغمي القمر. ولكن ثمة أخبارا تقوى ببعضها إلى الحسن احتفت بمولده منها ما يفيد أن آمنة رأت حين وضعته نوراً خرج منها أضواء منه قصور بصرى من أرض الشام»

ونحن لا نعتبر ما روي من ذلك أحاديث مرفوعة، فلذلك لا نأخذ وصفها بالوضع، فالحديث الموضوع لا يجوز روايته، ولكنها أخبار تاريخية، قد تدل مجموعها على حقيقة الإرهاصات التي سبقت ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بالإضافة إلى ذلك، فإننا قد أوردنا هذا هنا من باب المشاكلة، فالأسانيد التي روى بها المسيحيون إرهاصات المسيح صلى الله عليه وسلم ليست أقوى من الأسانيد التي روى بها علماء السيرة إرهاصات محمد صلى الله عليه وسلم.

(٢) انظر الرسالة الأولى من هذه السلسلة (أنبياء يشرون بمحمد)



من الاذى يوماً.

ولما كان صبيحة اليوم الذى ولد فيه رسول الله ﷺ خرج عبد الله ابن عبد المطلب حتى أتى عيصاً، فوقف في أصل صومعته، ثم نادى: يا عيصاه، فناداه من هذا؟ فقال: أنا عبد الله. فأشرف عليه فقال: كن أباه فقد ولد المولود الذى كنت أحدثكم عنه يوم الاثنين، ويبعث يوم الاثنين، ويموت الاثنين.

قال: فإنه قد ولد لى مع الصبح مولود.

قال: فما سميته؟ قال: محمداً قال: والله لقد كنت أشتهى أن يكون هذا المولود فيكم أهل البيت لثلاث حصال نعرفه بها، منها أن نجمه طلع البارحة، وأنه ولد اليوم، وأن اسمه محمد، انطلق إليه فإن الذى كنت أخبركم عنه ابنك.

قال عبد الله: فما يدريك أنه ابني؟ ولعله أن يولد في هذا اليوم مولود غيره؟ قال: قد وافق ابنك الاسم، ولم يكن الله ليشبه علمه على العلماء، فإنه حجة، وآية ذلك أنه الآن وجع، فيشتكى أياماً ثلاثة، فيظهر به الجوع ثلاثاً ثم يعافى، فاحفظ لسانك، فإنه لم يحسد أحد حسده قط، ولم يبيع على أحد كما يبيع عليه، إن تعش حتى يبدو مقاله، ثم يدعو لظهر لك من قومك ما لا تختمله إلا على صبر وعلى ذل، فاحفظ لسانك ودار عنه، قال: فما عمره؟ قال: إن طال عمره وإن قصر لم يبلغ السبعين، يموت في وتر دونهما من الستين في إحدى وستين أو ثلاث وستين في أعمار جل أمته<sup>١</sup>.

### أنوار الميلاد:

قال أجيروبولس: هل حدث شيء عند ميلاده ينبي عنه؟

قال عبد القادر: أجل.. لقد روى الرواة الكثير من ذلك..

وأول ذلك ما من الله به على أمه من أنها لم تجد مشقة في حمله، بل إن الله تعالى بشرها بحمله، وبما له من شأن عظيم:

فقد ذكرت أمينة — أم رسول الله ﷺ — أنها لما حملت برسول الله ﷺ كانت تقول: ما شعرت أني حملت به، ولا وجدت ثقله كما تجد النساء إلا أنني أنكرت رفع حياضتي وربما ترفعتي وتعود وأتاني آت وأنا بين النائم واليقظان فقال لي: هل شعرت أنك حملت؟ فأقول: ما أدري فقال: إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبينا وذلك يوم الاثنين وآية ذلك أنه يخرج معه نور بملأ قصور بصرى من أرض الشام، فإذا وضع فسميه محمداً. قالت: فكان ذلك مما يقن عندي الحمل، ثم أمهلني حتى إذا دنت ولادتي أتاني ذلك فقال قولي: (أعيذه بالواحد من شر كل حاسد)، قالت: فكنت أقول ذلك، فذكرته لنسائي فقلن: تعلقي عليك حديداً وفي عضديك وفي عنقك<sup>٢</sup>، ففعلت، فلم يكن يترك علي إلا أياماً، فأجده قد قطع، فكنت لا أتعلقه<sup>٣</sup>.

(١) رواه أبو نعيم وغيره.

(٢) على عادة الجاهلية.

(٣) رواه ابن سعد، والبيهقي وغيرهما.

وعن ابن عباس — رضي الله عنهما — أن آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ، قالت: (لقد علقت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته)<sup>١</sup>

وكانت آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ تحدث أهما أتيت حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض فقولي: أعيذه بالواحد، من شر كل حاسد، من كل بر عاهد وكل عبد رائد، يذود عنى ذائد، فإنه عند الحميد الماجد، حتى أراه قد أتى المشاهد<sup>٢</sup>.

وروي عن أبي جعفر محمد بن علي — رضي الله عنهما — قال: أمرت آمنة وهي حبلى برسول الله ﷺ أن تسميه أحمد<sup>٣</sup>.

وعند مولده ظهرت الأنوار العظيمة التي أشار إليها قوله ﷺ عندما سئل: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك، فقال: (أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام)<sup>٤</sup>

وقد ذكرت بعض النسوة الحاضرات مولده ﷺ هذه الأنوار، فعن عثمان بن أبي العاص، قال: حدثتني أمي، أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسول الله ﷺ ليلة ولادته، قالت: فما شئ أنظره في البيت إلا نور، وإني أنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول: لتقعن علي<sup>٥</sup>.

وقد اشتهر هذا النور الذي ظهر وقت ولادته ﷺ في قريش وكثر ذكره فيهم، وإلى ذلك أشار عمه العباس — رضي الله عنه — في قوله في مدح النبي ﷺ:

وأنت لما ولدت أشرقت الأرض وضاءت بنورك الأفق

فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

وقد قال الشاعر يذكر تلك الأنوار:

لما استهل المصطفى طالعا أضواء الفضا من نوره الساطع

وعطر الكون شذى عطره الطيب من دان ومن شاسع

ونادت الأكوان من فرحة يا مرحبا بالقمر الطالع

وفي خروج هذا النور معه ﷺ حين وضعته إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض،

كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (المائدة: من الآية ١٥)

ومما حصل عند مولده ما ذكره الرواة من أنه وقع على يديه، رافعا رأسه إلى السماء، وقبض قبضة من

تراب:

فعن موسى بن عبيدة عن أخيه قال: لما ولد رسول الله ﷺ فوقع على يديه رافعا رأسه إلى السماء وقبض

(١) رواه ابن سعد وابن عساكر.

(٢) رواه محمد بن إسحاق.

(٣) رواه البيهقي.

(٤) رواه الحاكم وصححه والبيهقي.

(٥) رواه البيهقي.

قبضة من تراب، فيبلغ ذلك رجلا من لهب فقال لصاحبه: انجه لئن صدق الفأل ليغلين هذا المولود أهل الأرض

وعن محمد بن عمر الأسلمي بأسانيد له متعددة عن آمنة أنها قالت: لما وضعتني خرج معي نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب، ثم وقع جاثيا على ركبتيه معتمدا على الأرض بيديه، ثم أخذ قبضة من تراب وقبضها ورفع رأسه إلى السماء، وأضاءت له قصور الشام وأسواقها، حتى رأيت أعناق الإبل ببصرى<sup>٢</sup>.

وعن حسان بن عطية أن رسول الله ﷺ لما ولد وقع على كفيه وركبتيه شاخصا ببصره إلى السماء<sup>٣</sup>. وقد روي أن المولود كان إذا ولد في قريش دفعوه إلى نسوة من قريش إلى الصبح يكفأن عليه برمة، فلما ولد رسول الله ﷺ دفعه عبد المطلب إلى نسوة، فكفأن عليه برمة، فلما أصبحن أتين فوجدن البرمة قد انفلقت عنه باثنتين، ووجدنه مفتوح العينين شاخصا ببصره إلى السماء.

فأتاهن عبد المطلب فقلن له: ما رأينا مولودا مثله، وجدناه قد انفلقت عنه البرمة، ووجدناه مفتوحا عينيه شاخصا ببصره إلى السماء.

فقال: احفظنه فإن أرجو أن يكون له شأن، أو أن يصيب خيرا.

فلما كان اليوم السابع ذبح عنه ودعا له قريشا، فلما أكلوا قالوا: يا عبد المطلب، رأيت ابنك هذا الذي أكرمنا على وجهه، ما سميته؟ قال: سميته محمدا.

قالوا: فما رغبت به عن أسماء أهل بيته؟ قال: أردت أن يحمده الله في السماء وحلقه في الأرض.

---

(١) رواه ابن سعد.

(٢) رواه ابن سعد.

(٣) رواه ابن سعد وأبو نعيم بسند قوي.

### ٣ — بعد الميلاد

بعد أن أمهى عبد القادر حديثه عن الإرهاصات المرتبة بمولد النبي ﷺ، استحثه أجيير بولس قائلاً: لقد حدث بعد ميلاد المسيح الإرهاصات الكثيرة المنبئة عن عظم شأنه، فهل حصل مثلها لمحمد؟ قال عبد القادر: إن المسيح ومحمدا أخوان.. وقد أظهر الله للناس ما يدل على مكانتهما، ليتبعوهما، وليس بينهما أي تنافس في هذا، ولا في غيره. فكلاهما عبد لله، وكلاهما يبشر بما أمره الله أن يبشر به.

#### غلام له شأن:

قال أجيير بولس: لقد ذكر الكتاب المقدس عن المسيح أن المحوس عرفوا أنه المسيح. قال عبد القادر: وقد روي من ذلك الكثير عن معرفة أهل الكتاب وغيرهم بمحمد ﷺ، فقد روي عن رجل من العرب كان عائفاً، فكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر إليهم ويعتاف لهم فيهم، فأتى به أبو طالب، وهو غلام مع من يأتيه، فنظر إلى رسول الله ﷺ، ثم شغله عنه شيء، فلما فرغ قال: الغلام.. علي به، فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه، فجعل يقول: ويلكم ردوا علي الغلام الذي رأيت آنفاً، فوالله ليكون له شأن، فانطلق به أبو طالب خوفاً عليه.

وعندما خرج مع عمه أبي طالب في تجارة إلى الشام، ونزل الركب ببصرى، كان هناك راهب يقال له (بحيرى) في صومعة له، وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام، فلما نزلوا به قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا، وسبب ذلك هو أنه رأى رسول الله ﷺ، وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا، وغمامة تظله من بين القوم، ثم أقبلوا فترلوا في ظل شجرة قريبا منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة، وتحصرت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها، فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته، ثم أرسل إليهم فقال: إني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش، فأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحرکم.

فقال له رجل منهم: والله يا بحيرى إن لك لشأنا اليوم، فما كنت تصنع هذا بنا، وقد كنا نمر بك كثيرا، فما شأنك اليوم؟

فقال له بحيرى: صدقت، قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما، فتأكلوا منه كلكم.

فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرى في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده، فقال: يا معشر قريش، لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي؛ قالوا له: يا بحيرى، ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام وهو أحدث القوم سنا، فتخلف في رحالهم فقال لا تفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم.

فقال رجل من قريش مع القوم: واللاتي والعزى، إن كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب

عن طعام.

فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظا شديدا، وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام إليه بحيرى، فقال له: يا غلام أسألك بحق اللاتي والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، وإنما قال له بحيرى ذلك، لأنه سمع قومه يلحفون بهما، فقال له رسول الله ﷺ: (لا تسألني باللاتي والعزى، فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما)، فقال له بحيرى: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، فقال له: (سألني عما بدا لك)، فجعل يسأله عن أشياء من حاله في نومه وهيئته وأموره فجعل رسول الله ﷺ يخبره، فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته، ثم نظر إلى ظهره، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده، فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني. قال له بحيرى: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا؟ قال: فإنه ابن أخي؛ قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه يهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لبيغنه شرا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده<sup>١</sup>.

### رؤى صادقة:

قال عبد القادر: ومن الإرهاصات المعرفة بعظم شأن رسول الله ﷺ رؤى كثيرة رؤيت تنبئ بأن محمدا ﷺ هو رسول الله الذي كان ينتظره العالم.

ومن تلك الرؤى ما حدث به أبو طالب عن رؤيا أبيه عبد المطلب، قال: بينما أنا نائم في الحجر، رأيت رؤيا هالتي، ففرغت منها فزعا شديدا، فأتيت كاهنة قريش وعلي مطرف خز وجمتي تضرب منكبي، فقلت لها: إني رأيت الليلة كأن شجرة نبتت قد نال رأسها السماء، وضربت بأغصانها المشرق والمغرب، وما رأيت نورا أزهق منها، أعظم من نور الشمس بسبعين ضعفا، ورأيت العرب والعجم لها ساجدين، وهي تزداد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا، ساعة تخفى وساعة تظهر، ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا بأغصانها، ورأيت قوما من قريش يريدون قطعها، فإذا دنوا منها أخذهم شاب لم أر قط أحسن منه وجهها، ولا أطيب منه ريحا، فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم، فرفعت يدي لأتناول منها نصيبا، فلم أقدر فقلت: لمن النصيب؟ قال: النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها، وسبقوك، فانتهت مذعورا.

فأريت وجه الكاهنة قد تغير، ثم قالت: لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ويدين له الناس.

فقال عبد المطلب لأبي طالب: لعلك أن تكون عم هذا المولود.

فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث، والنبى ﷺ قد خرج ويقول: كانت الشجرة والله أبا القاسم الأمين<sup>٢</sup>. ومن تلك الرؤى التي سبقت مبعثه الشريف ﷺ ما روي عن أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص — رضي الله عنها — قالت، قبيل مبعث النبي ﷺ: كان خالد بن سعيد بن العاص ذات ليلة نائما فقال: رأيت

(١) سيرة ابن هشام: ١/١٨٠.

(٢) رواه أبو نعيم في الدلائل.

كأنه قد غشيت مكة ظلمة عظيمة حتى لا يبصر امرؤ كفه، فبينما هو كذلك إذ خرج نور من زمزم، ثم علا في السماء، فأضاء في البيت، ثم أضاءت مكة كلها، ثم ضرب إلى نخل يثرب فأضاءها، حتى إني لأنظر إلى السر في النخل، فاستيقظت، فقصصتها على أخي عمرو بن سعيد، وكان جزل الرأي فقال: يا أخي إن هذا لأمر يكون في بني عبد المطلب، ألا ترى أنه خرج من حفرة أبيهم.

قال خالد: فإنه لما هداني الله للإسلام.

قالت أم خالد: فأول من أسلم ابني وذلك أنه ذكر رؤياه لرسول الله ﷺ قال يا خالد: أنا والله ذلك النور وأنا رسول الله.

فقص عليه ما بعثه الله به فأسلم خالد وأسلم عمرو بعده<sup>١</sup>.

ومما يروى من هذا عن حرام بن عثمان الأنصاري ﷺ قال: قدم أسعد بن زرارة من الشام تاجرا في أربعين رجلا من قومه، فرأى رؤيا أن آتيا أتاه، فقال: إن نبيا يخرج بمكة يا أبا أمامة، فاتبعه، وآية ذلك أنكم تزلون منزلا، فيصاب أصحابك، فتنجو أنت، وفلان يطعن في عينه.

فتزلوا منزلا، فبيتهم فيه الطاعون، فأصيبوا جميعا غير أبي أمامة، وصاحب له طعن في عينه<sup>٢</sup>.

ومما يروى في هذا عن عمرو بن مرة الجهني ﷺ قال: خرجت حاجا في جماعة من قومي في الجاهلية، فرأيت في المنام وأنا بمكة نورا ساطعا خرج من الكعبة حتى أضاء لي من الكعبة إلى جبل يثرب وأشعر جهينة، فسمعت صوتا في النور، وهو يقول: انقشعت الظلم وسطع الضياء وبعث خاتم الأنبياء.

ثم أضاء إضاءة أخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن، فسمعت صوتا في النور، وهو يقول: ظهر الإسلام، وكسرت الأصنام، ووصلت الأرحام.

فانتبهت فرعنا، فقلت لقومي: والله ليحدثن في هذا الحي من قريش حدث، وأخبرتهم بما رأيت.

فلما انتهينا إلى بلادنا جاءنا خبر أن رجلا يقال له أحمد قد بعث، فخرجت حتى أتيتها فأخبرته بما رأيت فقال ﷺ: (يا عمرو بن مرة أنا النبي المرسل إلى العباد كافة أدعوهم إلى الإسلام وأمرهم بحقن الدماء وصلة الأرحام وعبادة الله ورفض الأصنام وحج بيت الله وصيام شهر رمضان شهر من اثني عشر شهرا، فمن أجاب فله الجنة ومن عصى فله النار، فأمن بالله يا عمرو بن مرة يؤمنك الله من هول جهنم)

فقلت: يا رسول الله، آمنت بما جئت به من حلال وحرام.

ثم أنشدته أبياتا قلتها حين سمعت به وهي:

شهدت بأن الله حق وأنني  
لألهة الأصنام أول تارك  
لأصحب خير الناس نفسا ووالدا رسول ملك الناس فوق الجبائك<sup>٣</sup>

شق الصدر:

(١) رواه أبو نعيم.

(٢) رواه ابن سعد.

(٣) رواه وابن الجوزي.

قال عبد القادر: ومن الإرهاصات الدالة على ما ينتظره من شأن عظيم ما روى الرواة الثقة من شق صدره ﷺ .. فقد سأل الصحابة ﷺ رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك، فقال ﷺ: (أنا دعوة أبي إبراهيم<sup>٢</sup>، وبشر بي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء له قصور بصرى من أرض الشام، واسترضعت في بني سعد بن بكير، فبينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا، إذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض<sup>٣</sup> بطست من ذهب مملوءة ثلجاً، فأخذاني، فشقا بطني<sup>٤</sup>، ثم استخرجا منه قلبي، فشقاها، فاستخرجا منه علقة سوداء، فطرحاها، ثم غسلوا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه<sup>٥</sup>، ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته، فوزنني بهم فرجحتهم، ثم قال: زنه بمائة من أمته، فوزنني بهم، فوزنهم ثم قال: زنه بألف من أمته، فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال: دعه عنك، فلو وزننته بأمته لوزنها.

وفي رواية أخرى: ثم ضموني إلى صدورهم، وقبلوا رأسي وما بين عيني، ثم قالوا: يا حبيب لم ترع، إنك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقرت عيناك.

### عصمة النشأة:

قال أحمير بولس: لقد حفظ المسيح من صغره من تأثيرات البيئة اليهودية المنحرفة، فهل حفظ محمد؟ قال عبد القادر: أجل.. ومما يروى في ذلك قوله ﷺ، وهو يحكي عن صباه: لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان كلنا قد تعرى، وأخذ إزاره، فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة، فإني لأقبل معهم كذلك وأدبر إذ لكمي لاكم ما أراه لكمه وجيعة، ثم قال: شد عليك إزارك؛ قال: فأخذته وشدته علي، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وإزاري علي من بين أصحابي<sup>٦</sup>.

وفي حديث آخر عن ابن عباس ﷺ قال: حدثني أبي العباس بن عبد المطلب قال: لما بنت قريش الكعبة انفردت رجلين رجلين ينقلون الحجارة، فكنت أنا وابن أخي، فجعلنا نأخذ أزرنا، فنضعها على مناكبنا، ونجعل عليها الحجارة، فإذا دنونا من الناس لبسنا أزرنا، فبينما هو أمامي إذ صرع، فسعيت، وهو شاخص ببصره إلى السماء، فقلت: يا بن أخي ما شأنك؟ قال: نهيته أن أمشي عريانا.

- 
- (١) وقد حصل ذلك مرات كثيرة، سنعرض لها في فصل (طاقات)
- (٢) يعني قوله: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٩)
- رسولاً منهم)
- (٣) وفي حديث آخر ثلاثة رجال.
- (٤) قال في غير هذا الحديث من نخرى إلى مراق بطني.
- (٥) قال في رواية أخرى: ثم تناول أحدهما شيئاً فإذا بجاتم في يده من نور يحار الناظر دونه ففتح به قلبي فامتلاً أيماناً وحكمة ثم أعاده مكانه وأمر الآخر يده على مفرق صدري، فالتأم.
- وفي رواية: إن جبريل قال قلب وكيع أي شديد فيه عينان تبصران وأذنان تسمعان.
- (٦) سيرة ابن هشام: ١٨٤/١.

قال: فكتمته حتى أظهره الله بنوته<sup>١</sup>.

ومما له علاقة بهذا أن النبي ﷺ لم يكن يحلف بحلف أهل الجاهلية الذين كانوا يحلفون بأصنامهم، ومما يروى في ذلك أن بحيرا حين ناشد النبي ﷺ باللالات والعزى، قال له النبي ﷺ: (لا تسألني باللالات والعزى شيئا، فوالله ما أبغضت بغضهما شيئا)<sup>٢</sup>

ويخبر رسول الله ﷺ أنه ما هم بشيء من فعل الجاهلية من اللهوء، ولو كان من المباح، فعن علي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهتمون به من الغناء إلا ليلتين كلتاها عصمني الله منهما).

ثم ذكر تينك الليلتين، فقال: (قلت ليلة لبعض فتيان مكة، ونحن في رعاية غنم أهلنا، فقلت لصاحبي: أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة، فأسمر بما كما يسمر الفتيان، فقال: بلى، فدخلت حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفا وغراييل ومزامير، قلت ما هذا؟ قيل: تزويج فلان فلانة، فجلست أنظر، وضرب الله على أذني، فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فقلت: (ما فعلت شيئا)، ثم أخبرته بالذي رأيت.

ثم قلت له ليلة أخرى: أبصر لي غنمي حتى أسمر بمكة، ففعل، فدخلت، فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة، فجلست أنظر، وضرب الله على أذني، فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال: ما فعلت؟ فقلت: لا شيء، ثم أخبرته بالذي رأيت، فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما لشيء من ذلك، حتى أكرمني الله بنوته<sup>٣</sup>.

ويذكر ﷺ تحنبه لأكل الحرام في الجاهلية مع كونه مما تعم به البلوى في ذلك الزمان، فقال: (سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب كل ما ذبح لغير الله، فما ذقت شيئا ذبح على النصب حتى أكرمني الله برسالته)<sup>٤</sup> وإذا كان بهذه الحالة، فحري به أن لا يقع فيما كان يقع فيه أهل الجاهلية من عبادة الأصنام وشرب الخمر وغيرها، وقد ذكر علي ﷺ أنه قيل للنبي ﷺ: هل عبدت وثنا قط؟، قال: (لا) قالوا: فهل شربت خمرا قط؟ قال: (لا وما زلت أعرف أن الذي هم عليه كفر، وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان)<sup>٥</sup>

وذكرت حاضنته أم أيمن — رضي الله عنها — بعض حاله في صغره المرتبط بعصمته من شؤون الجاهلية، فقالت: كان بوانة صنما تحضره قريش يوما في السنة، فكان أبو طالب يحضره مع قومه، وكان يكلم رسول الله ﷺ أن يحضر ذلك معه، فيأبي حتى رأيت أبا طالب غضب عليه، ورأيت عماته غضبن عليه، وقلن: يا محمد، ما

(١) رواه الطبراني والبيهقي في الدلائل وابن جرير في التهذيب، وأبو نعيم في المعرفة وفي الدلائل، وهذا يدل على أن هذه الحادثة مخالفة للأولى، وقد قال السهيلي وتبعه ابن كثير وأبو الفتح وابن حجر: إن صح حمل على أن هذا الأمر كان مرتين مرة في حال صغره، ومرة في أول اكتهاله عند بنين الكعبة.

(٢) رواه الترمذي، أبو نعيم في الدلائل (١٢٧) وابن سعد في الطبقات: ١ / ١٠٠.

(٣) رواه ابن إسحاق وإسحاق بن راهويه والبخاري وابن حبان، قال ابن حجر: وإسناده حسن متصل.

(٤) رواه أبو نعيم في الدلائل ١ / ٥٩.

(٥) رواه أبو نعيم وابن عساکر.



تريد أن تحضر لقومك عيداً، ولا تكثر لهم جمعاً.  
فلم يزالوا به حتى ذهب، فغاب ما شاء الله، ثم رجع مرعوباً فرعاً، فقالت عماته: ما دهاك؟ قال: إني أحشي أن يكون بي لم، فقلن: ما كان الله يبتليك بالشیطان، وفیک من خصال الخیر ما فیک، فما الذي رأیت؟ قال: إني كلما دعوت من صنم منها تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي: وراءك يا محمد لا تمسه، قالت: فما عاد إلى عيد لهم<sup>١</sup>.

وفوق هذا كله، فقد كان رسول الله ﷺ في غاية الخلق والنبل، حتى لقبه قومه (الصادق الأمين)<sup>٢</sup> ولهذا عندما نادى رسول الله ﷺ في قريش بطنا بطنا فقال: (أرأيتم لو قلت لكم: إن خيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟)، قالوا: نعم ما جربنا عليك كذباً قط<sup>٣</sup>.  
ولهذا — أيضاً — لما ذكر ﷺ لزوجه خديجة — رضي الله عنها — خوفه على نفسه بعد نزل الوحي، قال له: (كلا، أبشر، فو الله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق)<sup>٤</sup>

\*\*\*

لست أدري كيف ظهر لبولس أن ينصرف، ويجري معه، ليترك عبد القادر وعبد الحكيم مع الجمع يذكرون لهم ميلاد رسول الله ﷺ، والإرهاصات التي ارتبطت به، والتي لا تقل عن الإرهاصات التي ارتبطت بميلاد المسيح وغيره من الأنبياء.  
انصرفت مع بولس، وفي قلبي بصيص جديد من النور اهتديت به بعد ذلك إلى شمس محمد ﷺ.

---

(١) رواه ابن سعد وأبو نعيم وابن عساکر.  
(٢) فعن الزهري، أن قريشا سمعت رسول الله ﷺ الأمين قبل أن يتزل عليه الوحي، فطفقوا ألا ينحروا جزوراً إلا التمسوه فيه، فيدعو لهم فيما.  
(٣) رواه البخاري ومسلم.  
(٤) رواه البخاري ومسلم.

## ثانياً — بركات

في اليوم الثاني.. جاني بولس صباحاً، وأخبرني أنا مدعوان لوجبة غذاء مفتوحة عند بعض الوجهاء من مسيحيي المنطقة، وأخبرني كيف سيستغل الموقف ليشر ببركات المسيح، والتي ستجر الحاضرين إلى المسيح، وبعده إلى الكنيسة.

ذهبنا إلى تلك الوجبة التي أقيمت في ساحة عامة، وقد حضرها جمع كبير من فقراء المسلمين.. وقد لمحت من بينهم عبد القادر وعبد الحكيم، وكأتهما علماً بالدعوة الموجهة إلينا، وبما عزم بولس أن يقوله ذلك اليوم. بعد انتهاء الغذاء، وقف أجيير بولس، والذي حفظ كل ما يقوله في هذه المواقف، وقال: أيها الجمع المبارك.. لقد شرفنا اليوم رجل تقي من رجال الله بالجلوس معنا، وبالأكل من الطعام الذي أكلنا منه.. ولذلك فإنه من دواعي سرورنا أن يحدثنا — في هذه المناسبة — عن البركات التي ارتبطت بأعظم المباركين في الأرض، وما فتح عليهم من خزائن البركات.. ليكون ذلك مفتاحاً لنا نفتح به أبواب بركات الله.

وقف بولس، وقال: أيها الجمع المبارك، لقد طلب مني هذا الرجل الفاضل أن أحدثكم عن البركات.. وما كان لهذا العبد الضعيف أن يتأخر عن هذا الطلب..

ولذلك أبادر، فأقول لكم: هيا نبحث جميعاً عن هذا المبارك العظيم الذي امتلأ بالبركات، وملاً ما حوله بالبركات..

ولنيسر البحث عنه أسألكم: ما تقولون فيمن يشبع أكثر من خمسة آلاف رجلٍ مع من معهم من أطفال ونساء بخمسة خبزات وسمكتين؟

تعجب الجميع، وقال بعضهم لبعض: هل يمكن هذا.. إن هذا لغريب؟!

قال بولس: نعم هو غريب.. هو في غاية الغرابة.. ولكنه عند المسيح بسيط غاية البساطة.

قال أجيير بولس: حدثنا عن قصة ذلك.. كيف حصل ذلك؟

قال بولس: لقد نص على هذه الحادثة الكتاب المقدس.. لقد ورد فيه هذا النص الذي يثبت لكم ما ذكرته: (ثُمَّ أَخَذَ الْأَرْغِفَةَ لْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَيْنِ وَرَفَعَ نَظْرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى الْأَرْغِفَةَ لِلتَّلَامِيذِ وَالتَّلَامِيذُ لِلْجُمُوعِ، فَأَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا، ثُمَّ رَفَعُوا مَا فَضَّلَ مِنَ الْكَيْسِرِ: اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قُفَّةً مَمْلُوءَةً، وَالْأَكِلُونَ كَانُوا نَحْوَ خَمْسَةِ آلَافٍ رَجُلٍ مَا عَدَا النِّسَاءَ وَالْأَوْلَادَ) (متى: ١٤/١٩-٢١)<sup>١</sup>

قال أجيير بولس: حدثنا عن القصة من مبدئها.

استغل بولس هذا السؤال لجعل من القصة موعظة يكسب بها جمهور الحاضرين، فقال: في ذلك المساء الذي حصلت فيه تلك المعجزة، تقدم التلاميذ الاثنا عشر إلى المسيح الذي كان يعظ الجموع الكثيرة، وقالوا له: (الموضع خلاء والوقت مضى، اصرف الجموع لكي يمشوا إلى الضياع والقرى حولينا، فيبيتوا ويتاعوا لهم طعاماً، لأننا ههنا في موضع خلاء، وليس عندهم ما يأكلون )

لقد خاف التلاميذ أن يطالبهم الجمهور بحقوق الضيافة، وحسبوا أن هؤلاء الرجال والنساء والأطفال مع

(١) وانظر: مرقس: ١٣/٦-٢١؛ لوقا: ٩/١٠-١٧؛ ويوحنا: ٦/١-١٤.

مرضاهم يتضرّرون إذا دخل الليل عليهم في هذا الخلاء.

وهنا وجّه المسيح لفيلبس جوابه على هذا الكلام، وكان في صيغة سؤال عن مكان يوجد فيه طعام، وكأنه يكلف فيلبس بتدبير ما يلزم لهؤلاء الضيوف، سأله المسيح: (من أين نتاع خبزاً ليأكل هؤلاء؟) لم يقل المسيح ذلك ليستفهم، بل ليمتحن ويعلم، لأنه كان يعلم جيداً ما سيفعل، لكنه أراد أن يبيّه تلاميذه إلى عجزهم وضعف إيمانهم، لأن درس التواضع درس أوّلي يجب أن يتعلموه.

كان فيلبس متنبّهاً إلى صعوبة الأمر من وجوه عديدة، فعمل حساباً بأن الخبز وحده يكلف أكثر من مئتي دينار، فأين الدينارين؟ هل هي عند المسيح الذي ليس له ما يسند رأسه؟.. فضلاً عن ذلك: لو وجدوا الدينارين، فأين الوقت للذهاب إلى قرى عديدة لجمع كمية كهذه، ولو من الخبز وحده والإتيان به، والشمس أوشكت أن تغرب؟.. وفوق هذا كله: أين وسائل النقل لإحضار طعام يكفي الألف؟ ويلاحظ أيضاً أن حصّة يسيرة من الخبز الحاف لا تقوم بضيافة يليق أن يقدمها شخص كالمسيح لضيوفه.

بناء على هذا كله أجاب فيلبس المسيح: (لا يكفيهم خبز بمئتي دينار ليأخذ كل واحد منهم شيئاً يسيراً)، وظن أن جوابه يقع، المسيح فيتبع نصيحة الرسل ويصرف الجمع، لكن عجبه اشتد لما أجابه المسيح: (لا حاجة لهم أن يمضوا، أعطوهم أنتم ليأكلوا)

لقد قال المسيح ذلك، وهو يعلم أنه ليس لديهم طعام، ليعلمهم أن الذين يقصدون إفادة الآخرين يحتاجون إليه، إذ ليس لديهم ما يطعمون به نفوساً جائعة، وفي الوقت ذاته يشير إلى أن الله يختار الوسائط البشرية ليُجري مقاصده في العالم، لأنه لا يوزّع خيراته الروحية والزمينية رأساً، أو بواسطة الملائكة إلا نادراً - وذلك عندما لا توجد وسائط بشرية، وهذا القانون هو لخير الذين يقدمون والذين يأخذون معاً، إذ تنشأ بذلك رُبط المحبة بين المحسن والمحسن إليه، ويتنشط الذي يوزّع في ممارسة إنكار الذات وخدمة الآخرين.

لكن التلاميذ اعترضوا على أمر المسيح قائلين: (أمضي ونبتاع خبزاً بمئتي دينار ونعطيهم ليأكلوا؟)، فسأل: (كم رغيفاً عندكم؟ اذهبوا وانظروا)

لقد تبّهّم المسيح بهذا الكلام إلى أن العمل الإلهي لا يُعني عن العمل البشري المستطاع، ولم يُرد أن يوجد خبزاً من لا شيء، طالما يوجد شيء، فاستخدم أولاً الموجود بين أيديهم ليعلمهم أن لا يطلبوا من الناس عملاً يستطيعونه بالوسائط الطبيعية، لأن هذه دبرها لهم الله، فلا حق لهم في غيرها، إلا بعد الفراغ من استعمالها. فاعتماد الإنسان على غيره في ما يستطيعه يُحسب دناءة، وانتظاره أن الله يعمل ما يطلب منه هو يُعدّ كسلاً وتواكلاً، فمئتي عجز العمل الإنساني أو انتهى، يحقُّ طلب العمل الإلهي.

وكان أندراوس تلميذ المسيح الأول قد لاحظ غلاماً بين الجمهور معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان، فأخبر المسيح عنه مع التحفظ قائلًا: (لكن ما هذا لمثل هؤلاء؟)

ولم يقل المسيح بعد أن سمع بوجود هذا القليل: (اتركوه لأنه لا يستحق الذكر)، ولا قال: (قدموها للجمع)، بل قال: (إيتوني بما إلى هنا) ليعلمهم أنه هو مصدر الخير والبركة، هو الملك وصاحب الحق.. وكل ما عندنا هو له، يتصرف فيه كما يشاء دون معارض.

ولما كان الترتيب من أبواب الرقي في الدين والدنيا، فلا نعجب من اهتمام المسيح به، فأمر أن يجعلوا الناس يتكثون فرقاً خمسين خمسين على العشب الأخضر، فلو توزع الطعام على هذه الألوف دون ترتيب، لداس بعضهم بعضاً، وتغلب القوي على الضعيف. وأخذ البعض كثيراً والبعض لم يأخذوا شيئاً، لكن بواسطة الترتيب يتم التوزيع بسرعة ولياقة وإنصاف، ويرى كل مفكر في أمور الطبيعة، اهتمام الخالق بأمر الترتيب.

استلم المسيح الأرغفة الخمسة والسبعين، ثم رفع نظره نحو السماء وشكر، فعلم تلاميذه أن كل خير — حتى الطعام الذي نشتره — هو عطية إلهية، وأنا يجب دائماً أن نقدم الشكر للمعطي الجواد عندما نتناول الطعام، ولا يجب أن نشكر في وقت الطعام فقط، بل نشكر عندما ننال أي نوع من الخيرات. لأن (كُلَّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلَّ مَوْهَبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ مِنْ فَوْقَ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الْأَنْوَارِ) (يعقوب ١: ١٧)

وبعد أن شكر المسيح برك وكسر الأرغفة والسبعين، ثم ناول الكسر التي باركها للرسول ليقدموها للمصطفين فرقاً على البساط الأخضر، وفي هذا العمل علمهم أن يطعموا غيرهم أولاً، ثم يأكلوا هم بعدهم، كما يجدر بالمؤمنين الأفاضل.

وفي أثناء التوزيع علي هذا العدد الغفير حدثت معجزة الإكثار، فقد قسم السبعين على الجميع بقدر ما شاءوا فأكلوا وشبعوا جميعاً، وليس ذلك فقط بل إن القطع التي لم تؤكل كانت أضعاف الموجود أصلاً. بهذه المعجزة المؤثرة الغنية بالفوائد، علم المسيح أتباعه أنه مستعد أن يأخذ خدمتهم الدينية الضعيفة، وكلامهم البسيط، ويضع فيها قوة وتأثيراً ليزيد فعلهما أضعاف فعلهما الطبيعي، لأنه يأخذ ما يقدم له ويزيده، ثم يعيده لمقدمه زائداً.

بعد أن أطعم المسيح الجموع هتفوا له، وأرادوا أن يملكوه عليهم، وكان ردُّ فعله الأول هو أنه فضل تلاميذه عن الجمهور المتحمس لهذا العمل، وألزمهم أن يدخلوا السفينة، ويسبقوه إلى العبر، حتى يكون قد صرف الجموع.

لم يسهّل عليهم ترك سيدهم أثناء نجاحه الباهر، وانتشار صيته، خصوصاً بعد أن ظهر لهم أن باب العظمة العالمية، والثروة الزمنية، قد فتح أمامهم، وإن كان المسيح قد صرفهم بشيء من العنف، لأنهم رفضوا فكره، نراه يُتبع العنف باللطف، لأن البشير يذكر صريحاً أنه ودّعهم. ومع أنه سيفترق عنهم ساعات قليلة فإنه يودّعهم وداعاً حبيباً يحقق لهم به عواطفه الحارة نحوهم.

وكان رد فعل المسيح الثاني أنه صرف الجمهور. وكانت خطواته الثالثة انصرافه هو، وصعوده منفرداً إلى الجبل ليصلي، وما أكثر المرات التي كان فيها يختلي للصلاة.

ليس هذا فقط ما روي من بركات المسيح..

لقد ورد في محل آخر من الكتاب المقدس أنه قام بإطعام أربعة آلاف وثني.. اسمعوا ما جاء في الكتاب المقدس.

فتح الكتاب المقدس وراح يقرأ: (فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ إِذْ كَانَ الْجَمْعُ كَثِيراً جِدّاً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَا يَأْكُلُونَ، دَعَا

يَسُوعُ تَلَامِيذَهُ وَقَالَ لَهُمْ: (إِنِّي أَشْفِقُ عَلَى الْجَمْعِ، لِأَنَّ الْآنَ لَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَمَكُونُونَ مَعِي، وَلَيْسَ لَهُمْ مَا يَأْكُلُونَ، وَإِنْ صَرَفْتُهُمْ إِلَى بِيُوتِهِمْ صَائِمِينَ يُخَوَّرُونَ فِي الطَّرِيقِ، لِأَنَّ قَوْمًا مِنْهُمْ جَاءُوا مِنْ بَعِيدٍ). فَاجَابَهُ تَلَامِيذُهُ: (مَنْ أَيْنَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُشْبِعَ هَؤُلَاءِ خُبْزًا هُنَا فِي الْبَرِّيَّةِ؟) فَسَأَلَهُمْ: (كَمْ عِنْدَكُمْ مِنَ الْخُبْزِ؟) فَقَالُوا: (سَبْعَةٌ). فَأَمَرَ الْجَمْعَ أَنْ يَتَكَيَّفُوا عَلَى الْأَرْضِ، وَأَخَذَ السَّبْعَ خُبْزَاتٍ وَشَكَرَ وَكَسَرَ وَأَعْطَى تَلَامِيذَهُ لِيُقَدِّمُوا، فَقَدَّمُوا إِلَى الْجَمْعِ. وَكَانَ مَعَهُمْ قَلِيلٌ مِنْ صِعَارِ السَّمَكِ، فَبَارَكَ وَقَالَ أَنْ يُقَدِّمُوا هَذِهِ أَيْضًا. فَأَكَلُوا وَشَبِعُوا، ثُمَّ رَفَعُوا فَضَلَاتِ الْكَيْسِرِ: سَبْعَةَ سِلَالٍ. وَكَانَ الْأَكْلُونَ نَحْوَ أَرْبَعَةِ آلَافٍ. ثُمَّ صَرَفَهُمْ) (مرقس ٨: ١-٩).

أغلق الكتاب المقدس، وقال: لقد أجرى المسيح معجزة إشباع خمسة آلاف نفس في الجليل، وأجرى معجزة إشباع أربعة آلاف نفس في دائرة ديكابوليس، أي (المدن العشر)، وهي من البلاد الوثنية. لقد اجتمع الناس هناك من حول المسيح في البرية، وطال اجتماعهم به ثلاثة أيام حتى نفذ الزاد، لأن قوماً جاءوا من بعيد، فحمله إشفاقه على تكرر إشباع الجمهور بمعجزة.

وإشفاق المسيح هذا يرافق كل فرد من البشر من مهده إلى لحدده. كان كلامه الحنون: (لست أريد أن أصرفهم إلى بيوتهم صائمين لئلا يخجروا في الطريق) لا يسعنا إلا أن نستغرب تكرر التلاميذ اعتذارهم بالعجز في صيف ذات السنة التي في ربيعها أشبع المسيح جمعاً أكثر بشيء زهيد من الطعام، غير أن المسيح بكتهم بعد قليل على نسيان المعجزتين معاً وعدم استفادتهم منهما، فالشكوك الحاضرة تولد نسيان المراحم الماضية. ازداد استغراب الجمهور الحاضر، فقال أجيرو بولس: إن هذه عجائب عظيمة تدل على أن الذي فعلها لا يقل عن الرب في قدراته وتصرفاته وبركاته.

سر بولس لهذا الكلام، وقال: صدقت.. ففي المعجزة الأولى التي حوّل المسيح فيها من الرغيف الواحد طعاماً يُشبع أكثر من ألف رجل غير النساء والأطفال، بل وفضّل عنه حوالي قفّتين ونصف، كما حوّل من أقل نصف سمكة صغيرة إلى سمكٍ كثير أشبع أكثر من ألف شخص.

وفي المعجزة الثانية فعل تقريباً نفس ما فعله في الأولى. إن هذا كله يعني أنّ ما حدث علي يديّه هو عمليّة خلق، خلق من الرغيف الواحد كمّاً كبيراً من الأرغفة، وخلق من أقل من نصف سمكة صغيرة كميةً كبيرةً من السمك.

قال ذلك، ثم توجه للحاضرين قائلاً: هل يمكن أن يكون الذي فعل هذا مجرد إنسان!؟

سكت الجميع، فقال بولس: لا.. إن الذي فعل هذا لا يمكن إلا أن يكون إلهاً، أو أقنوماً من إله!؟

هنا قام عبد الحكيم، وقال: بناء على قولك هذا.. فإنه ليس المسيح وحده من نال هذه المرتبة العظيمة.. فاستحق أن يصير إلهاً، أو أقنوماً من إله.

قال أجيرو بولس: لا.. ليس هناك غير المسيح.

قال عبد الحكيم: لقد ذكر الكتاب المقدس تكثير الطعام ومباركته عن غير المسيح، فقد ذكر عن إيلياء

(١) هذا — طبعاً — بناء على اختلاف الطوائف المسيحية، فنحن في هذه السلسلة نتعامل معهم — كطائفة واحدة — مهما اختلفت آراؤهم في طبيعة المسيح.

تكثر الدقيق والزيت في بيت امرأة أرملة.. كما جاء في الكتاب المقدس.

فتح الكتاب المقدس، وراح يقرأ: ( وَقَالَ إيلياَ التَّسْبِيُّ مِنْ أَهْلِ جَلْعَادَ لِأَخَابَ: ( حَيَّ هُوَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي أَخَذْتُمُ، إِنَّهُ لَنْ يَهْطَلَ نَدَى وَلَا مَطَرٌ فِي هَذِهِ السَّنِينَ، إِلَّا حِينَ أُعْلِنَ ذَلِكَ، وَأَمَرَ الرَّبُّ إيلِيَا: (أَمْضِ مِنْ هُنَا وَاتَّجِهْ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، وَاحْتَبِئْ عِنْدَ نَهْرِ كَرِيثِ الْمُقَابِلِ لِنَهْرِ الْأُرْدُنِّ، فَتَشْرَبَ مِنْ مِيَاهِهِ وَتَقْتَاتَ مِمَّا تُحْضِرُهُ لِكَ الْعَرَبَانِ الَّتِي أَمَرْتَهَا أَنْ تَعُولَكَ هُنَاكَ )، فَانْطَلَقَ وَتَفَدَّ أَمْرَ الرَّبِّ، وَأَقَامَ عِنْدَ نَهْرِ كَرِيثِ مُقَابِلِ نَهْرِ الْأُرْدُنِّ، فَكَانَتِ الْعَرَبَانُ تُحْضِرُ إِلَيْهِ الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ صَبَاحًا وَمَسَاءً، وَكَانَ يَشْرَبُ مِنْ مَاءِ النَّهْرِ. وَمَا لَبِثَ أَنْ جَفَّ النَّهْرُ بَعْدَ زَمَنٍ، لِأَنَّهُ لَمْ يَهْطَلَ مَطَرٌ عَلَى الْأَرْضِ.

فَخَاطَبَ الرَّبُّ إيلِيَا: ( قُمْ وَتَوَجَّهْ إِلَى صِرْفَةَ التَّابِعَةِ لِصَبِيدُونَ، وَامْكُثْ هُنَاكَ، فَقَدْ أَمَرْتُ هُنَاكَ أَرْمَلَةً أَنْ تَتَّكِفَلَ بِعَالَتِكَ ) فَذَهَبَ إِلَى صِرْفَةَ. وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى بَوَابَةِ الْمَدِينَةِ شَاهَدَ امْرَأَةً تَجْمَعُ حَطْبًا، فَقَالَ لَهَا: (هَاتِي لِي بَعْضَ الْمَاءِ فِي إِنَاءٍ لِأَشْرَبَ). وَفِيمَا هِيَ ذَاهِبَةٌ لِتُحْضِرُهُ نَادَاهَا ثَانِيَةً وَقَالَ: (هَاتِي لِي كِسْرَةً خُبْزٍ مَعَكَ، فَأَجَابَتْهُ: (حَيَّ هُوَ الرَّبُّ إِلَهُكَ إِنَّهُ لَيْسَ لَدَيَّ كَعْكَةٌ، إِنَّمَا حَفْنَةٌ دَقِيقٍ فِي الْجِرَّةِ، وَقَلِيلٌ مِنَ الزَّيْتِ فِي قَارُورَةٍ. وَهَذَا أَنَا أَجْمَعُ بَعْضَ عِيدَانِ الْحَطَبِ لِأَخَذَهَا وَأَعِدَّ لِي وَلِابْنِي طَعَامًا نَأْكُلُهُ ثُمَّ نَمُوتُ)، فَقَالَ لَهَا إيلِيَا: (لَا تَخَافِي. اَمْضِي وَاصْنَعِي كَمَا قُلْتِ، وَلَكِنْ أَعِدِّي لِي مِنْهُ كَعْكَةً صَغِيرَةً أَوَّلًا وَأَحْضِرِيهَا لِي، ثُمَّ اَعْمَلِي لَكَ وَلِابْنِكَ أَحْبْرًا، لِأَنَّ هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: إِنَّ حِرَّةَ الدَّقِيقِ لَنْ تَفْرُغَ، وَقَارُورَةُ الزَّيْتِ لَنْ تَنْقُصَ، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي يُرْسِلُ فِيهِ الرَّبُّ مَطَرًا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ)، فَرَاخَتْ إِلَى مَنْزِلِهَا وَتَفَدَّتْ كَلَامَ إيلِيَا، فَتَوَافَرَ لَهَا طَعَامٌ لِتَأْكُلَ هِيَ وَابْنُهَا وَإيلِيَا لِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ. حِرَّةَ الدَّقِيقِ لَمْ تَفْرُغَ، وَقَارُورَةُ الزَّيْتِ لَمْ تَنْقُصَ، تَمَامًا كَمَا قَالَ الرَّبُّ عَلَى لِسَانِ إيلِيَا) (الملوك الأول: 17/1-16)

فهل تعتبرون إليها أيضا إلهًا.. أو تعتبرونه أقنوما من إله؟

سكت بولس، فقال عبد الحكيم: ليس إيليا وحده من فعل هذا.. لقد ورد في الكتاب المقدس أن اليسع

— أيضا — فعل هذا.

فتح الكتاب المقدس، وراح يقرأ من (سفر الملوك الثاني: ٤ / ١ - ٧): (وَاسْتَعَاتَتْ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي الْأَنْبِيَاءِ بِأَلْيَسَعَ قَائِلَةً: (عَبْدُكَ زَوْجِي تُوفِّي، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ يَتَّقِي الرَّبَّ، وَقَدْ أَقْبَلَ مَدِينَهُ الْمُرَابِي لَيْسْتَرِقًا وَلَدَيَّ (لِقَاءَ دُبُونِهِ)). فَسَأَلَهَا أَلْيَسَعُ: مَاذَا يُمَكِّنُ أَنْ أَصْنَعَ لَكَ؟ أَخْبِرْنِي مَاذَا عِنْدَكَ فِي الْبَيْتِ؟) فَقَالَتْ: (لَا أَمْلِكُ فِي الْبَيْتِ شَيْئًا سِوَى قَلِيلٍ مِنَ الزَّيْتِ). فَقَالَ لَهَا أَلْيَسَعُ: (أَذْهَبِي اسْتَعِيرِي أَوَانِي فَارْغَةَ مِنْ عِنْدِ حَمِيمِ حَيْرَانَكَ وَأَكْثِرِي مِنْهَا. ثُمَّ ادْخُلِي بَيْتَكَ وَأَغْلِقِي الْبَابَ عَلَى نَفْسِكَ وَعَلَى بَنِيكَ، وَصَبِّي زَيْتًا فِي حَمِيمِ هَذِهِ الْأَوَانِي، وَأَنْقَلِي مَا يَمْتَلِئُ مِنْهَا إِلَى جَانِبِ). فَصَصَّتْ مِنْ عِنْدِهِ وَأَغْلَقَتِ الْبَابَ عَلَى نَفْسِهَا وَعَلَى أَبْنَائِهَا، الَّذِينَ رَاحُوا يُحْضِرُونَ لَهَا الْأَوَانِي الْفَارِغَةَ فَتَصَبُّ فِيهَا. وَحِينَ امْتَلَأَتْ حَمِيمِ الْأَوَانِي قَالَتْ لِابْنِهَا: (هَاتِ إِنَاءَ آخَرَ). فَأَجَابَهَا: (لَمْ يَبْقَ هُنَاكَ إِنَاءٌ). عِنْدَئِذٍ تَوَقَّفَ تَدْفُقُ الزَّيْتِ. فَجَاءَتْ إِلَى رَجُلِ اللَّهِ وَأَخْبَرَتْهُ. فَقَالَ لَهَا: (أَذْهَبِي وَبِيعِي الزَّيْتِ وَأَوْفِي دَيْنَكَ، وَعَيْشِي أَنْتِ وَأَبْنَاؤُكَ بِمَا يَبْقَى مِنْ مَالِ).

فأنتم ترون أن أليشع صنع معجزة تكثير الزيت، بل إن أليشع لم يرفع نظره نحو السماء كما فعل المسيح،

ولا بارك ولا شكر الله كما فعل المسيح، ومع ذلك لم يقل أحد أن في أليشع طبيعة لاهوتية مع أن هذه الأعجوبة أبلغ مما وقع للمسيح.

هنا نطق أجير بولس، كعادته في إفساد خطط بولس من غير أن يقصد: نعم.. لقد روي عن هذين النبيين هذه البركات.. ولكن نبيكم الذي تزعمون كونه نبيا خلعت سيرته من أي بركة.. حتى أنه كما تروون كان يعصب الحجر على بطنه من الجوع، وكانت الأهلة تمر وتمر، ولا يوقد في بيته نار.

نظر عبد القادر إليه بابتسامه، وقال: لكأني بك تريد أن تستفزني لأحدثك عن بركات النبوة المرتبطة بهذا الجانب.

قال الأجير: وهل هناك شيء مرتبط بهذا الجانب حتى تحدثني عنه؟  
ود بولس في تلك اللحظة لو يلقم أجيره حجرا يسكته به، ولكن وقاره وسمته منعه من ذلك، كما كان يمنعه كل مرة.

فقال عبد القادر: نعم.. لقد روي ذلك مرات كثيرة.. وسأذكر لك بعض ذلك ما دمت مصرا على أن أذكره.

قال بعض الجمع: كلنا نحب أن نسمع ذلك.. لقد سمعنا بركات المسيح.. وبركات الأنبياء، فحدثنا عن بركات محمد.

قال عبد القادر: ما دمت قد طلبتم ذلك، فسأحدثكم عن خمس نواح من البركات ارتبطت به ﷺ.

أما الأولى، فبركاته ﷺ على كل من صاحبه، أو لقيه، أو عاش معه.

وأما الثانية، فبركاته ﷺ على كل من لمسه.

وأما الثالثة، فبركاته ﷺ في بعض الولايم التي أقامها هو أو أقامها أصحابه.

وأما الرابعة، فبركاته ﷺ على بعض الأطعمة.

وأما الخامسة، فبركاته ﷺ في المياه.

وكل هذا بعض بركاته ﷺ المرتبطة بما نحن فيه.. أما بركاته المرتبطة بالجناب الأخرى، فلا عد لها ولا

حصر.

## ١ — الصعبة المباركة

قال رجل من الجمع: فابدأ حديثك البركات التي تترلت على من صاحب محمد، أو لقيه، أو عاش معه.

### ١ — بركاته على أهل بيته:

قال عبد القادر: لقد كان أعظم من تشرف ببركاته ﷺ من عاش ﷺ في كفالتهم، أو عاشوا في كفالته، وسأحدثكم عن بعض ما روي من ذلك..

أول ما ظهر من بركاته ﷺ في هذا الباب — على حسب ما ذكرت الروايات الكثيرة التي لا تقل عن الروايات التي نقل بها الكتاب المقدس — هو ما ذكرته مرضعته حليلة السعدية.

والتي نقل عنها الرواة ذكرها لخبرها مع رسول الله ﷺ، وبركاته عليها وعلى أهلها، فقد ذكرت أنها خرجت من بلدها مع زوجها، وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر، تلتمس الرضعاء قالت: وذلك في سنة شهباء، لم تبق لنا شيئاً.

فخرجت على أتان لي قمرء معنا شارف لنا، والله ما تبض بقطرة، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا، من بكائه من الجوع ما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغديه، ولكننا كنا نرجو الغيث والفرج.

فخرجت على أتاني تلك، فلقد أدمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجفاً، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ، قيل لها: إنه يتيم، وذلك أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيم وما عسى أن تصنع أمه وجدته فكنا نكرهه لذلك.

فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً غيري، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم، فلاخذنه، قال: لا عليك أن تفعلني، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة.

قالت فذهبت إليه فأخذته، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره.

وهنا بدأ حليلة تستشعر بركات رسول الله ﷺ.. قالت: فلما أخذته رجعت به إلى رحلي، فلما وضعتني في حجرني أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك.. وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا إنما لحافل فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا ربا وشعباً، فبتنا بخير ليلة، قالت يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلمي والله يا حليلة لقد أخذت نسمة مباركة، قالت: فقلت: والله إني لأرجو ذلك.

قالت: ثم خرجنا وركبت أتاني، وحملته عليها معي، فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها أبي ذؤيب، حتى قال الذين معي: ويحك أربعي علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله إنما لهي هي، فيقلن: والله إن لها لشأناً.

قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها، فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به معنا شباعاً لبناً، فنحلب ونشرب وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم



جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح غنمي شباعا لبنا.

فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته، وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا.

قالت: فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكته فينا، لما كنا نرى من بركته، فكلمنا أمه، وقلت لها: لو تركت بني عندي حتى يغلظ، فإني أحشى عليه وبأ مكة، قالت فلم نزل بها حتى رده معنا<sup>١</sup>.

قال رجل من الجمع: لقد بقي محمد مدة في كفالة عمه أبي طالب، فهل ظهرت بعض بركاته عليه.

قال عبد القادر: أجل.. لقد رويت في ذلك روايات كثيرة.

فعن ابن عباس رضي الله عنه وغيره قالوا: لما توفي عبد المطلب كفل أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يكون معه، وكان يجبه حبا شديدا لا يجبه ولده، وكان لا ينام إلا إلى جنبه، وصب به صباية لم يصب مثلها قط، وكان يخصه بالطعام، وكان عيال أبي طالب إذا أكلوا جميعا أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شبعوا.

وكان أبو طالب إذا أراد أن يغديهم أو يعشيهم، يقول: كما أنتم حتى يحضر ابني، فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم، فيفضلون من طعامهم، وإن لم يكن معهم لم يشبعهم، وإن كان لبنا شرب أولهم، ثم يتناول العيال القعب، فيشربون منه، فيروون عن آخرهم من القعب الواحد، وإن كان أحدهم ليشرب قعبا وحده، فيقول أبو طالب: إنك لمبارك.

وكان الصبيان يصبحون رمضا شعثا، ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهينا كحيا<sup>٢</sup>.

وفي حديث آخر عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان أبو طالب يقرب للصبيان تصبيحهم، فيضعون أيديهم، فينتهبون، ويكف رسول الله صلى الله عليه وسلم يده، فلما رأى ذلك أبو طالب عزل له طعامه.

وقد ذكرت حاضنته أم أيمن — رضي الله عنها — سيرته في طعامه، فقالت: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا جوعا ولا عطشا لا في كبره ولا في صغره، وكان يغدو إذ أصبح، فيشرب من ماء زمزم شربة، فرما عرضنا عليه الغداء فيقول: أنا شبعان<sup>٣</sup>.

ومن بركاته على عمه أبي طالب ما ورد من استسقائه به، فعن جلهمة بن عرفطة، قال: قدمت مكة وقريش في قحط، فقائل منهم يقول: اعتمدوا واللات والعزى، وقائل منهم يقول: اعتمدوا مناة الثالثة الأخرى، فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأي: أئني توفكون، وفيكم بقية إبراهيم وسلالة إسماعيل، قالوا: كأنك عنيت أبا طالب؟ قال: إيها.

(١) وقد بقي معها صلى الله عليه وسلم إلى أن حدثت حادثة شق الصدر، فخشيت حليلة عليه، فردته إلى أمه، فقالت: أفتخوفت عليه الشيطان؟ قالت: قلت نعم قالت: كلا، والله ما للشيطان عليه من سبيل وإن لبني لشأنا، أفلا أخبرك خبره قالت: ( قلت ) بلى، قالت: رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء لي قصور بصرى من أرض الشام، ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف ( علي ) ولا أبسر منه ووقع حين ولدته وإنه لو اضع يديه بالأرض رافع رأسه إلى السماء دعيه عنك وانطلقني راشدة.

(٢) رواه ابن سعد والحسن بن عرفة وابن عساكر وغيرهم.

(٣) رواه أبو نعيم.

فقاموا بأجمعهم، وقيمت معهم، فدفقناه عليه بابه، فخرج إلينا رجل حسن الوجه، عليه إزار قد اتشح به، فثاروا إليه، فقالوا: يا أبا طالب أقحط الوادي، وأجذب العبال، فهلهم فاستسقى لنا. فخرج أبو طالب، ومعه غلام كأنه شمس دجنة، تجلت عليه سحابة قماء، وحوله أغيلمة، فأخذه أبو طالب، فألصق ظهره بالكعبة، ولاذ بأضبعه الغلام وما في السماء قرعة، فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا أغدق واغدودق وانفجر له الوادي وأخصب النادي والبادي. وفي ذلك يقول أبو طالب:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

ومن البركات المرتبطة بصحبة رسول الله ﷺ لعمه أبي طالب ما حدث به عمرو بن سعيد من أن أبا طالب قال: كنت بذى الحجاز مع ابن أخي — يعني النبي ﷺ — فأدركني العطش، فشكوت إليه، فقلت: يا ابن أخي قد عطشت.

وما قلت له ذلك، وأنا أرى عنده شيئا إلا الجزع قال: فثنى وركه، ثم قال: يا عم عطشت؟ قلت: نعم.

فأهوى بعقبه إلى الأرض، فإذا أنا بالماء، فقال: اشرب، فشربت<sup>١</sup>.

كت عبد القادر قليلا، ثم قال: ومن بركاته ﷺ على أهل بيته، ما روي في الحديث عن جابر — رضي الله عنه — قال: قام رسول الله ﷺ أياما لم يطعم طعاما حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يصب عند واحدة منهن شيئا، فأتى فاطمة، فقال: (يا بنية، هل عندك شيء آكله، فإني جائع) فقالت: لا والله.

فلما خرج من عندها رسول الله ﷺ بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم، فأخذته منها، فوضعت في جفنة لها وغطت عليها، وقالت: والله، لاوثرن بهذا رسول الله ﷺ على نفسي ومن عندي، فكانوا جميعا محتاجين إلى شبة طعام، فبعثت حسنا أو حسينا إلى رسول الله ﷺ فرجع إليها فقالت له: قد أتى الله بشيء فخبأته لك، قال: (هلمي يا بنية)

فشكفت عن الجفنة، فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً، فلما نظرت إليها هتت وعرفت أنها بركة من الله عز وجل، فحمدت الله عز وجل وصلت على نبيه ﷺ وقدمته إلى رسول الله ﷺ فلما رآه حمد الله عز وجل، وقال: (من أين لك هذا يا بنية؟) قالت: يا أبت، هذا من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، فقال: الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بني إسرائيل، فإنها كانت إذا رزقها الله عز وجل شيئا فسئلت عنه قالت: هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، فبعث رسول الله ﷺ إلى علي، ثم أكل رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة وحسن وحسين وجميع أزواج النبي ﷺ وأهل بيته حتى شبعوا وبقيت الجفنة كما هي فأوسعت بقيتها على جميع جيرانها، وجعل الله عز وجل فيها بركة وخيرا كثيرا<sup>٢</sup>.

ومما يروى في هذا ما حدث به علي ﷺ قال: نمنا ليلة بغير عشاء فأصبحت فالتمست فأصبت ما اشتري

(١) رواه الخطيب وابن عساکر.

(٢) رواه أبو يعلى، انظر: السيوطي في الدر المنثور ٢ / ٢٠ وابن كثير في التفسير ٢ / ٢٩.

به طعاما ولحما بدرهم، ثم أتيت به فاطمة فخبزت وطبخت، فلما فرغت، قالت: لو أتيت أبي، فدعوته، فجئت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: (أعوذ بالله من الجوع ضجعا)، فقلت: يا رسول الله، عندنا طعام فهلهم، فجاءوا والقدر تفور، فقال: (اغرفي لعائشة في صحفة) حتى غرفت لجميع نساءه، ثم قال: (اغرفي لابيك وزوجك)، فغرفت، فقال: (اغرفي فكلي)، فغرفت ثم رفعت القدر، وإها لتفويض فأكلنا منها ما شاء الله عز وجل<sup>١</sup>.

## ٢ — بركاته على أصحابه:

قال عبد القادر: بالإضافة إلى أهل بيته، فقد نال الكثير من بركاته — المرتبطة بهذا الباب — كل من لقيه ﷺ أو صاحبه من النساء والرجال.

وسأحدثكم عن بعض ما وردت به الأسانيد من ذلك:

## رجال:

فمن نالهم بركات النبي ﷺ في هذا الجانب **جابر بن عبد الله** ﷺ، فقد حدث عن بعض بركاته ﷺ عليه، فذكر أن أباه توفي، وترك عليه ثلاثين وسقاً لرجل من اليهود، فاستنظره جابر<sup>٣</sup>، فأبى أن ينظره، فكلم جابر رسول الله ﷺ ليشفع إليه، فجاءه رسول الله ﷺ، فكلم اليهودي ليأخذ تمر نخله بالذي له، فأبى، فدخل رسول الله ﷺ، فمشى فيها، ثم قال: يا جابر، جد له، فأوفه الذي له فجد بعدما رجع رسول الله ﷺ، فأوفاه ثلاثين وسقاً، وفضلت له سبعة عشر وسقاً.

فجاء جابر رسول الله ﷺ ليخبره بالذي فعل، فوجد رسول الله ﷺ يصلي العصر، فلما انصرف رسول الله ﷺ جاءه فأخبره أنه قد وفاه، وأخبره بالفضل الذي فضل، فقال رسول الله ﷺ: (أخبر ذلك ابن الخطاب)، فذهب جابر إلى عمر فأخبره، فقال عمر رضي الله عنه: لقد علمت حيث مشى فيها رسول الله ﷺ ليباركن الله عز وجل فيها<sup>٥</sup>.

وقد ذكر هذا الصحابي بركة أخرى حصلت لجملة ببركة رسول الله ﷺ، فقد ذكر أنه كان يسير على جمل له قد أعيا فأراد أن يسييه<sup>٦</sup>، فقال: فلحقني رسول الله ﷺ، فضربه ودعا له، فسار سيرا لم يسر مثله، ثم

(١) رواه ابن سعد: ١ / ١٢٤.

(٢) الوسق: مكيال مقداره ستون صاعا والصاع أربعة أمداد، والمدُّ مقدار ما يملأ الكفين.

(٣) استنظره: طلب منه الانتظار إلى ميسرة.

(٤) الجداد: قطع الثمر وحثته وحصاده.

(٥) رواه البخاري، قال ابن كثير: وهذا الحديث قد روي من طرق متعددة عن جابر بألفاظ كثيرة، وحاصلها أنه ببركة رسول الله ﷺ، ودعائه له، ومشيه في حائطه وجلوسه على تمره، وفي الله دين أبيه، وكان قد قتل بأحد، وجابر كان لا يرجو وفاءه في ذلك العام ولا ما بعده، ومع هذا فضل له من التمر أكثر وفوق ما كان يؤمله ويرجوه والله الحمد والمنة. انظر: البداية والنهاية ١٢١/٦.

(٦) السائبة والسوابب: كان الرجل إذا نذر لِقْدُوم من سفر، أو بُرء من مرض، أو غير ذلك قال ناقبي سائبة، فلا تُمنع من ماء ولا مَرعى، ولا تُحلب، ولا تُرْكَب، وكان الرجل إذا أعتق عبداً فقال هو سائبة فلا عقْل بينهما ولا ميراث، وأصله من تسيب الدواب، وهو إرسالها تذهب وتجيء كيف شاءت.

وقد كان هذا قبل تحريم السائبة، والذي نص عليه قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المائدة: ١٠٣)

قال: ( بعينه بأوقية )، قلت: لا قال: ( بعينه بأوقيتين ) فبعته، واشترطت حملانه<sup>١</sup> إلى أهلي، فلما قدمنا أتيت به بالحمل، فنقدني ثمنه، ثم انصرفت، فأرسل على أنري، وقال: ( أتري أي ما كستك<sup>٢</sup> لأخذ جملك؟ خذ جملك ودراهمك وهما لك )<sup>٣</sup>

وقريب من هذا الحديث ما حدث به أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: فزع الناس، فركب النبي ﷺ فرسا لأبي طلحة بطيئا، ثم خرج يركض وحده، فركب الناس يركضون خلفه، فقال: ( لن ترعوا إنه لبحر )، قال: فوالله ما سبق بعد ذلك اليوم<sup>٤</sup>.

ومن تلك البركات ما حصل لأبي هريرة رضي الله عنه، قال: أتيت رسول الله ﷺ بتمرات فقلت: ادع لي فيهن بالبركة، قال: فقبضهن، ثم دعا فيهن بالبركة، ثم قال: ( خذهن فاجعلن في مزود<sup>٥</sup>، فإذا أردت أن تأخذ منهن، فأدخل يدك فخذ ولا تنثرهن نثرا )، قال: فحملت من ذلك التمر كذا وكذا وسقا في سبيل الله، وكنا نأكل ونطعم، وكان المزود معلقا بحقوي لا يفارق حقوي، فلما قتل عثمان انقطع<sup>٦</sup>.

وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أتت علي ثلاثة أيام لم أطمع، فجئت أريد الصفة، فجعلت أسقط فجعل الصبيان يقولون: جن أبو هريرة، فجعلت أناديهم، وأقول: بل أنتم المجانين، حتى انتهينا إلى الصفة، فوافقت رسول الله ﷺ أتى بقصعة من ثريد، فدعا عليها أهل الصفة وهم يأكلون منها، فجعلت أتطاول كي يدعوني حتى قام القوم وليس في القصعة إلا شيء في نواحي القصعة، فجمعه رسول الله ﷺ فصارت لقمة فوضعه على أصابعه، فقال لي: ( كل باسم الله )، فوالذي نفسي بيده ما زلت أكل منها حتى شبع<sup>٧</sup>.

وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أصبت بثلاث مصيبات في الاسلام لم أصب بمثلهن: موت رسول الله ﷺ، وقتل عثمان، والمزود، قال زيد بن أبي منصور عن أبيه: فقلت: وما المزود يا أبا هريرة؟ قال: كان رسول الله ﷺ في غزاة، فأصابهم عوز من الطعام فقال: ( يا أبا هريرة عندك شيء؟ ) قلت: شيء من تمر في مزود لي، قال: ( جئ به )، قال: فجئت بالمزود، قال: ( هات نطعا )، فجئت بالنطع فبسطته، فأدخل يده، فقبض على التمر، فإذا هو إحدى وعشرون تمرة، فجعل يضع كل تمرة، ويسمي الله عز وجل حتى أتى على التمر، فقال به هكذا، فجمعه، فقال: ( ادع عشرة )

فدعوت عشرة، فأكلوا حتى شبعوا وكذلك حتى أكل الجيش كله وفضل تمرات، فقلت: يا رسول الله، ادع لي فيهن بالبركة فقال: فقبضهن ثم دعا فيهن بالبركة ثم قال: ( خذهن فاجعلن في المزود، وإذا أردت أن

(١) حملانه: الحمل عليه.

(٢) الماكسة في البيع: انتقاص الثمن واستحطاطه.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري.

(٥) المزود: الوعاء الذي يُحمل فيه الزاد ونحوه.

(٦) رواه الترمذي، وأحمد ٣٥٢/٢، والبيهقي في الدلائل ١٠٩/٦، وأبو نعيم مجموعاً من روايتين ٥٨٨/٢-٥٨٩، وابن

حبان في صحيحه ٤٦٧/١٤.

(٧) رواه ابن حبان، ذكره الهيثمي في الموارد (٢١٤٨) والسيوطي في الدر المنثور ٤ / ٢١٦.

تأخذ منهن شيئاً فأدخل يدك فيه ولا تكفأ فيكفأ عليك ) قال: فما كنت أريد تمراً إلا أدخلت يدي فأخذت منه، ولقد حملت منه خمسين وسقا في سبيل الله، ونأكل ونطعم منه حياة رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وحياة عثمان.

وكان معلقاً خلف رحلي، فلما قتل عثمان انتهب ما في بيتي وانتهب المزود وفي رواية فلم نزل نأكل منه حتى كان آخر إصابة أهل الشام حين غاروا بالمدينة ألا أخبركم كم أكلت منه أكثر من مائتي وسق<sup>١</sup>.  
ومن تلك البركات ما حصل **حباب بن الأرت** — رضي الله عنه — فعن ابنة حباب بن الارت قالت: خرج حباب في سرية، فكان رسول الله ﷺ يتعاهدنا حتى كان يجلب عتراً لنا، فكان يجلبها في حفنة لنا فتمتلئ فلما قدم حباب حبلها، فعاد حلالها كما كان، فقالت أُمي: أفسدت علينا شاتنا، قال: وما ذاك؟ قالت: إن كانت لتحلب ملء هذه الحفنة، قال: ومن كان يجلبها؟ قالت: رسول الله ﷺ قال: وقد عدلتيني به؟ هو والله أعظم بركة<sup>٢</sup>.

ومن تلك البركات ما حصل **لنضلة بن عمرو الغفاري**، فقد حدث أنه حلب لرسول الله ﷺ إناء، فشرب، ثم شرب نضلة، فامتلا، فقال: يا رسول الله، إني كنت لاشرب السقية فما أمتلي، فقال رسول الله ﷺ: (إن المؤمن ليشرب في معاء واحد، وإن الكافر ليشرب في سبعة أمعاء)<sup>٣</sup>

ومن تلك البركات ما حصل **لنوفل بن الحارث** — رضي الله عنه — فقد روي عنه أنه استعان رسول الله ﷺ في التزويج فأنكحه امرأة فالتمس شيئاً فلم يجده فبعث رسول الله ﷺ أبا رافع وأبا أيوب بدرعه فرهناه عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير، فدفعه رسول الله ﷺ إليه، قال: قطعنا منه نصف سنة ثم كلناه فوجدناه، كما أدخلناه، قال نوفل: فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: (لو لم تكله لاكلت منه ما عشت)<sup>٤</sup>

ومن تلك البركات ما حصل **لحمزة الاسلمي** — رضي الله عنه — فقد روي عنه أنه قال: عملت طعاماً للنبي ﷺ ثم ذهب به، فتحرك به النحي فأهريق ما فيه، فقلت: على يدي أهريق طعام رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (ادنه) فقلت: يا رسول الله لا أستطيع، فرجعت مكاني، فإذا النحي يقول قب قب، فقلت: مه قد أهريق فضلة فضلت فيه، فاجتذبتته، فإذا هو قد ملي إلى يديه، فأوكيته، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فقال: (أما إنك لو تركته للملئ إلى فيه، ثم أوكى)<sup>٥</sup>

وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ: (لو تركته لسال واديا سمناً)<sup>٦</sup>  
ومن تلك البركات ما حصل **لمسعود بن خالد** — رضي الله عنه — فقد روي عنه أنه قال: بعثت إلى رسول الله ﷺ شاة، ثم ذهب في حاجة، فرد رسول الله ﷺ شطرها، فرجعت، فإذا لحم، فقلت: يا أم حناسة ما

(١) رواه أحمد وابن سعد والترمذي وابن حبان والبيهقي في الدلائل ٦ / ١١٠.

(٢) رواه أحمد وأبو داود الطيالسي وابن سعد والطبراني.

(٣) رواه مسلم (٣ / ١٦٣٢).

(٤) رواه الحاكم في المستدرک ٣ / ٣٤٦ والبيهقي في الدلائل ٦ / ١١٤.

(٥) رواه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي، انظر: مجمع الزوائد: ٨ / ٣١٣.

(٦) رواه الطبراني والبيهقي وأبو نعيم.

هذا اللحم؟ قالت: رد رسول الله ﷺ من الشاة التي بعثت بها إليه شطرها، قلت: مالك لا تطعمينه عيالك، قالت: هذا سؤرهم، وكلهم قد أطعمت، وكانوا يذبحون الشاتين والثلاثة فلا تجزئهم<sup>١</sup>.

ومن تلك البركات ما حصل **لخالد بن عبد العزى** — رضي الله عنه — فقد روي أن النبي ﷺ أجزره شاة، وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة، فلا يبد عياله عظما عظما، وإن النبي ﷺ أكل منها، ثم قال: (أرني دلوك يا أبا حباش)، فوضع فيه فضلة الشاة، ثم قال: (اللهم بارك لأبي حباش)، فانقلب به، فنثره لهم، وقال: تواسوا فيه فأكل منه عياله وأفضلوا<sup>٢</sup>.

ومن تلك البركات ما حصل **لعبد الله بن طهفة** — رضي الله عنه — فقد روي عنه أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا اجتمع الضيفان قال: (لينقلب كل رجل مع جليسه)، فكنت أنا ممن انقلب مع رسول الله ﷺ فقال: (يا عائشة، هل من شيء) قالت: حويصة كنت أعددها لافطارك، فأتي بها في قعبة فأكل منها رسول الله ﷺ شيئا ثم قدمها إلينا ثم قال: (بسم الله كلوا) فأكلنا منها حتى والله ما ننظر إليها، ثم قال: (هل من شراب؟) فقالت لبينة: أعددها لافطارك، فجاءت بها فشرب منها شيئا، ثم قال: (باسم الله اشربوا)، فشربنا حتى والله ما ننظر إليها<sup>٣</sup>.

ومن تلك البركات ما حصل لرجل أنه أتى النبي ﷺ يستطعمه، فأطعمه شطر وسق شعير فما زال يأكل منه هو وامرأته ومن ضيفهما حتى كالوه فأحبر النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: (لو لم تكله لاكلتم منه ولقام لكم<sup>٤</sup>)

#### نساء:

ومن تلك البركات ما حصل **لأم سليم** — رضي الله عنهما — فقد حدثت عن ذلك، فقالت: كانت لنا شاة فجمعت من سمنها في عكة فملاهما العكة وبعثت بها مع الجارية فقالت: أبلغني هذه العكة رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله هذه عكة سمن بعثت بها إليك أم سليم، قال: (فرغوا لها عكتها) ففرغت العكة فدفعت إليها فانطلقت وجاءت أم سليم، فرأت العكة ممتلئة تقطر فقالت أم سليم: أليس قد أمرت أن تنطلقي بها إلى رسول الله ﷺ فقالت: قد فعلت فإن لم تصدقيني فانطلقني فسلي رسول الله ﷺ فانطلقت أم سليم، فقالت: يا رسول الله إني بعثت إليك بعكة سمن قال: (قد فعلت جاءت بها)، قالت: والذي بعثك بالهدى ودين الحق إنها لممتلئة تقطر سمننا فقال لها رسول الله ﷺ: (يا أم سليم أتعجبين إن كان الله أطعمك كما أطعمت نبيه كلي وأطعمي)، فجاءت إلى البيت، ففتت لنا كذا وكذا وتركت فيها ما ائدمننا شهرا أو شهرين<sup>٥</sup>.

ومن تلك البركات ما حصل **لأم أوس البهزية** — رضي الله عنها — فقد حدثت عن ذلك، فقالت:

(١) رواه الطبراني.

(٢) رواه الحسن بن سفيان والنسائي في الكنى والطبراني والبيهقي.

(٣) رواه أحمد: ٥ / ٥٢٦ وأبو نعيم في الدلائل (١٥٣) وانظر المجمع: ٨ / ١٠١.

(٤) رواه أحمد في المسند ٣ / ٣٣٧، ٣٤٧، ومسلم.

(٥) رواه أبو يعلى والطبراني وأبو نعيم وابن عساكر، انظر: البداية والنهاية ٦ / ١٢٠ وأبو نعيم في الدلائل ١٤٨ والكثر

سليت سمننا لي فجعلته في عكة فأهديته إلى رسول الله ﷺ فقبله، وترك في العكة قليلا ونفخ فيه، ودعا بالبركة، ثم قال: (ردوا عليها عكتها) فردوها عليها وهي ممتلئة سمننا، قالت: فظننت أن رسول الله ﷺ لم يقبلها فجاءت ولها صراخ فقالت: يا رسول الله إنما سليت لك لتأكله فعلم أنه قد استجيب له، فقال: (أذهبوا فقولوا لها لتأكل سمنها وتدعو بالبركة)، فأكلت بقية عمر رسول الله ﷺ وولاية أبي بكر وولاية عمر وولاية عثمان حتى كان من أمر علي ومعاوية ما كان<sup>١</sup>.

ومن تلك البركات ما حصل **لأم شريك الدوسية** — رضي الله عنها — فقد حدث عن ذلك أبو هريرة — رضي الله عنه — فقال: كانت امرأة من دوس يقال لها أم شريك أسلمت فأقبلت تطلب من يصحبها إلى رسول الله ﷺ فلقيت رجلا من اليهود، فقال: تعالي أنا أصحبك، قالت: انظري حتى أملا سقائي ماء، قال: معي ماء فانطلقت معه، فساروا حتى أمسوا، فترل اليهودي ووضع سفرته وتعشى، وقال: يا أم شريك، تعالي إلى العشاء، قالت: اسقني، فإني عطشى ولا أستطيع أن أكل حتى أشرب، قال: لا أسقيك قطرة حتى تهودي، قالت: والله لا أهود أبدا فأقبلت إلى بعيرها فعقلته ووضعت رأسها على ركبته، قالت: فما أيقظني إلا برد دلو قد وقع على جيبني فرفعت رأسي فنظرت إلى الماء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فشربت حتى رويت ثم نضحت على سقائي حتى ابتل ثم ملاته ثم رفع بين يدي وأنا أنظر حتى تواری مني في السماء فلما أصبحت جاء اليهودي، فقال: يا أم شريك قلت: والله قد سقاني الله، قال: من أين؟ أنزل عليك من السماء ماء؟ قالت: نعم، والله لقد أنزل علي من السماء ماء ثم رفع بين يدي حتى تواری عني في السماء ثم أقبلت حتى دخلت على رسول الله ﷺ فوهبت نفسها له فزوجها زيدا وأمر لها بثلاثين صاعا وقال: (كلوا ولا تكيلوا)، وكان معها عكة سمن هدية لرسول الله ﷺ فأمرت جاريتها أن تحملها إلى رسول الله ﷺ فانطلقت فأخذوها، فأفرغوها، وأمرها رسول الله ﷺ إذا ردها أن تعلقها ولا توكتها فدخلت أم شريك فوجدتها ملاي، فقالت للجارية: ألم أمرك أن تذهبي إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: قد فعلت ثم أقبلت بما ما ينظر منها شيء، ولكنه قال: (علقوها ولا توكتوها)، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يوكتوها، فلم تزل حتى أوكأها أم شريك، ثم كالوا الشعير فوجدوه ثلاثين صاعا لم ينقص منه شيء<sup>٢</sup>.

ومن تلك البركات ما حصل **لعائشة** — رضي الله عنها — فقد حدثت عن ذلك، فقالت: لقد توفي رسول الله ﷺ وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد إلا شطر وسق من شعير في رف، فأكلت منه حتى طال علي، فكلته ففني<sup>٣</sup>

(١) رواه الطبراني والبيهقي، وانظر: ابن كثير في البداية والنهاية ٦ / ١٢٠.

(٢) رواه البيهقي.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

## ٢ — اللمسات المباركة

قال رجل من الجمع: لقد حدثتنا عن الصعبة المباركة، فحدثنا عن اللمسات المباركة.  
قال عبد القادر: لقد كانت البركات تتبع كل ما مسه النبي ﷺ، كما كانت تتبع كل من لقيه،  
وسأحدثكم عن بعض أحاديث تلك البركات:

فمن الذين أصابتهم لمساته ﷺ المباركة ما حدث به أبو الطفيل من أن رجلا ولد له غلام على عهد رسول  
الله ﷺ فأتى به، فدعا له بالبركة، وأخذ بجبهته، فنبت شعره في جبهته كأها هلبة فرس، فشب الغلام، فلما كان  
زمن الخوارج أجاهم فأخذه أبوه فأوثقه وحبسه، فسقطت تلك الشعرة، فشق عليه سقوطها، فقيل له: هذا مما  
هممت به، ألم تر بركة رسول الله ﷺ وقعت، فلم نزل به حتى تاب، فرد الله تعالى عليه الشعرة بعد في وجهه،  
قال أبو الفضل: فرأيتها بعد ما نبتت قد سقطت، ثم رأيتها قد نبتت<sup>١</sup>.

**ومن ذلك** ما حدث به أبو عطية البكري، قال: انطلق بي أهلي الى رسول الله ﷺ وأنا شاب، فمسح  
رأسي، قال الراوي: فرأيت أبا عطية أسود الرأس واللحية، وكانت قد أتت عليه مائة سنة<sup>٢</sup>.

**ومن ذلك** ما حدث به عبد الله بن هلال الأنصاري، قال: ذهب بي أبي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول  
الله ادع الله له فما أنسى وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي حتى وجدت بردها فدعا لي، وبارك علي، فرأيت  
أبيض الرأس واللحية ما يستطيع أن يفرق رأسه من الكبر، وكان يصوم النهار ويقوم الليل<sup>٣</sup>.

ومن ذلك ما حدث به عمرو بن ثعلبة الجهني — رضي الله عنه — قال: لقيت رسول الله ﷺ بالسالة،  
فأسلمت، فمسح رأسي، قال الراوي: فأئت على عمرو مائة سنة، وما شاب موضع يد رسول الله ﷺ من  
رأسه<sup>٤</sup>.

وقد حدث الرواة<sup>٥</sup> أن وسط رأس السائب كان أسود، وبقيته أبيض، وحدثوا عن عطاء مولى السائب  
بن يزيد قال: رأيت السائب لحيته بيضاء، ورأسه أسود، فقلت: يا مولاي، ما لرأسك لا تبيض؟ فقال: لا تبيض  
رأسي أبدا!، وذلك أن رسول الله ﷺ مضى وأنا غلام ألعب مع الغلمان، فسلم عليهم وأنا فيهم، فرددت عليه  
السلام، من بين الغلمان، فدعاني، فقال: (ما اسمك؟) فقلت: السائب بن يزيد بن أخت النمر فوضع يده على  
رأسي، وقال: (بارك الله فيك)، فلا يبيض موضع يد رسول الله ﷺ.

ومن ذلك ما حديث به مدلوك أبي سفيان قال: أتيت رسول الله ﷺ مع موالي فأسلمت فمسح رسول الله  
ﷺ يده على رأسي قال: فرأينا مسح رسول الله ﷺ من رأسه أسود وقد شاب ما سوى ذلك<sup>٦</sup>.

(١) رواه البيهقي.

(٢) رواه الطبراني بسند جيد.

(٣) رواه الطبراني بسند حسن.

(٤) رواه البغوي في معجمه والبيهقي والطبراني.

(٥) رواه ابن سعد والبيهقي والطبراني في الثلاثة.

(٦) رواه البخاري في التاريخ وابن سعد والبيهقي.



ومن ذلك ما محمد بن أنس الظفري قال: قدم النبي ﷺ المدينة وأنا ابن اسبوعين، فأقي بي فمسح رأسي، ودعا لي بالبركة وحج حجة الوداع، وأنا ابن عشرين سنة.

قال يونس: ولقد عمر أبي حتى شاب كل شئ منه، وما شاب موضع يد النبي ﷺ من رأسه، ولا من لحيته<sup>١</sup>.

ومن ذلك أن رسول الله ﷺ مسح رأس عبادة بن سعد بن عثمان الزرقني، ودعا له، فمات وهو ابن ثمانين سنة، وما شاب.

ومن ذلك ما حدث به بشر بن عقربة الجهني أن رسول الله ﷺ مسح رأسه، فكان أثر يده من رأسه أسود، وسائره أبيض<sup>٢</sup>.

ومن ذلك ما حدث به أبو زيد الانصاري قال: مسح رسول الله ﷺ بيده على رأسي وقال: (اللهم جمه وأدم جماله) قال: فبلغ بضعا ومائة سنة وما في لحيته بياض، ولقد كان منبسط الوجه، ولم ينقبض وجهه حتى مات<sup>٣</sup>.

ومن ذلك ما حدث به أنس أن يهوديا أخذ من لحية النبي ﷺ فقال: (اللهم جمه)، فاسودت لحيته بعدما كانت بيضاء<sup>٤</sup>.

ومن ذلك ما حدث به قتادة، قال: حلب يهودي للنبي ﷺ ناقة، فقال: (اللهم جمه)، فاسود شعره، حتى صار أشد سوادا من كذا وكذا، قال معمر: وسمعت قتادة يذكر أنه عاش تسعين سنة فلم يشب<sup>٥</sup>.

ومن ذلك ما حدث به حنظلة بن جندب بن حنيفة التميمي أن أباه قدم على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ان لي بنين ذوي لحى، وإن هذا أصغرهم، فادع الله له، فمسح رأسه، وقال: (بارك الله فيك) أو قال: (بورك فيك)، قال الذيال: فلقد رأيت حنظلة يؤتى بالانسان الوارم وجهه فيتفل على يديه ويقول: باسم الله، ويضع يده على رأسه موضع كف رسول الله ﷺ ثم يمسح موضع الورم، فيذهب الورم<sup>٦</sup>.

ومن ذلك ما حدث به بشر بن معاوية بن ثور أنه وفد من بني البكاء على رسول الله ﷺ ثلاثة نفر، معاوية بن ثور، وابنه بشر، والفجيع بن عبد الله، ومعهم عبد عمرو البكائي، فقال معاوية: يا رسول الله، اني أتبرك بمسك، فامسح وجه ابني بشر، فمسح وجهه، ودعا له، فكانت في وجهه مسحة النبي ﷺ كالغرة، وكان لا يمسح شيئا الا برأ وأعطاه أعترا عفرا، قال الجعد: فالسنة ربما أصابت بني البكاء ولا تصيبهم<sup>٧</sup>.

(١) رواه البخاري في تاريخه والبيهقي.

(٢) رواه ابن عساکر واسحاق بن ابراهيم الرملي وابو يعلى في فوائده.

(٣) رواه الترمذي وحسنه والبيهقي وصححه.

(٤) رواه البيهقي.

(٥) رواه عبد الرزاق.

(٦) رواه احمد وابن سعد والحسن ويعقوب بن سفيان وابو يعلى وصححه والضياء في المختارة عن حنظلة برجال ثقات.

(٧) رواه ابن سعد وابن شاهين وعبد الله بن عامر البكائي عن أبيه، والبخاري في تاريخه، وابو نعيم وأبو القاسم البغوي في

وقد قال يذكر ذلك محمد بن بشر بن معاوية، ويفخر به:

وأبي الذي مسح الرسول برأسه ودعا له بالخير والبركات  
أعطاه أحمد إذ أتاه أعترا عفرا نواجل ليس باللجبات  
بملاًن وفد الحمي كل عشية ويعود ذاك الملاء بالغدوات  
بورك في منح وبورك مانحا وعليه مني ما حبيت صلاتي

ومن ذلك ما حدث به أبو وجزة السعدي قال: قدم وفد محارب سنة عشر في حجة الوداع، وهم عشرة نفر منهم سواء بن الحارث، وابنه خزيمية، فمسح رسول الله ﷺ وجهه خزيمية، فصارت له غرة بيضاء<sup>١</sup>.

ومن ذلك ما حدث به خزيمية بن عاصم البكائي أنه قدم على رسول الله ﷺ فمسح رسول الله ﷺ وجهه فما زال جديدا حتى مات<sup>٢</sup>.

ومن ذلك ما حدث به أبو العلاء بن عمير قال: كنت عند قتادة بن ملحان حيث حضر، فمر رجل من أقصى الدار، فأبصرته في وجه قتادة، قال: وكنت إذا رأيته كأن على وجهه الدهان، كان رسول الله ﷺ بمسح وجهه<sup>٣</sup>.

ومن ذلك ما حدث به عائذ بن عمرو — رضي الله عنه — قال: أصابني رمية — وأنا أقاتل بين يدي رسول الله ﷺ يوم خيبر، فلما سألت الدماء على وجهي وجبين وصدري، فوضع رسول الله ﷺ يده، فسلت الدم عن وجهي وصدري الى ثنودتي ثم دعا لي.

قال حشرج: فكان عائذ يبحرنا بذلك حياته، فلما هلك وغسلناه نظرنا الى ما كان يصف لنا من أثر يد رسول الله ﷺ التي مسها ما كان يقول لنا من صدره، فإذا غرة سائلة كغرة الفرس<sup>٤</sup>.

ومن ذلك ما حدث به أبو العلاء قال: عدت قتادة بن ملحان في مرضه، فمر رجل في مؤخرة الدار، فرأيته في وجه قتادة، وكان رسول الله ﷺ مسح وجهه، وكنت قلما رأيته الا رأيت كأن على وجهه الدهان<sup>٥</sup>.

ومن ذلك ما حدث به المدائني عن خاله أن أسيد بن أبي اياس — رضي الله عنه — مسح رسول الله ﷺ وجهه وألقى يده على صدره فكان أسيد يدخل البيت المظلم فيضيء.

ومن ذلك ما حدث به وائل بن حجر — رضي الله عنه — قال: كنت أصافح النبي ﷺ أو بمس جلدي جلدة فأعرف في يدي بعد ثلاثة أصيب من ريح المسك<sup>٦</sup>.

ومن لك آثار يده الشريفة في إدرار اللبن في المواشي التي يلبها، وقد رويت في ذلك روايات كثيرة: منها أنه لما هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، مر في هجرته ببعض الناس، وكان منهم عبد كان يرعى

(١) رواه ابن سعد.

(٢) رواه ابن شاهين.

(٣) رواه أحمد برجال الصحيح.

(٤) رواه الطبراني.

(٥) رواه البيهقي.

(٦) رواه البيهقي وابن عساكر.

غنما، فاستسقاها اللبن، فقال: ما عندي شاة تحلب غير أن ههنا عناقا<sup>١</sup> حملت أول الشتاء، وقد أخرجت وما بقي لها لبن، فقال ﷺ: ( ادع بها )، فجاء بها الرجل، فمسح النبي ﷺ ضرعها، ودعا حتى أنزلت.

ثم جاء أبو بكر بمجن، فحلب وسقى أبا بكر، ثم حلب، فسقى الراعي، ثم حلب فشرّب، فقال الراعي: بالله من أنت؟ فوالله ما رأيت مثلك قط. قال: ( أوتراك تكتم علي حتى أخبرك؟ ) قال: نعم، قال: ( فإني محمد رسول الله )، فقال: أنت الذي تزعم قريش أنه صابئ<sup>٢</sup>؟ قال: ( إنهم ليقولون ذلك ) قال: فأشهد أنك نبي، وأشهد أن ما جئت به حق، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي، وأنا متبعك، فقال ﷺ: ( إنك لن تستطيع ذلك يومك، فإذا بلغك أي قد ظهرت فأتنا<sup>٣</sup> )<sup>٤</sup>

وحدثت له حادثة أخرى في طريقه هذه حدث بها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقال: خرجت مع رسول الله ﷺ من مكة، فانتبهينا إلى حي من أحياء العرب، فنظر رسول الله ﷺ إلى بيت منتحيا فقصده إليه، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة، فقالت: يا عبد الله إنما أنا امرأة، وليس معي أحد، فعليكما بعظيم المحي إذا أردتم القرى قال: فلم يجبهما، وذلك عند المساء، فجاء ابن لها بأعتر له يسوقها، فقالت له: يا بني انطلق بهذه العنز والشفرة إلى هذين الرجلين، فقل لهما: تقول لكما أمي: ادبجا هذه وكلا وأطعمانا، فلما جاء قال له النبي ﷺ: ( انطلق بالشفرة، وجئني بالقدح )، قال: إنما قد عزبت، وليس لها لبن قال: انطلق، فانطلق فجاء بقدح فمسح النبي ﷺ ضرعها، ثم حلب حتى ملاً القدح، ثم قال: انطلق به إلى أمك، فشربت حتى رويت، ثم جاء به فقال: ( انطلق بهذه وجئني بأخرى )، ففعل بها كذلك، ثم سقى أبا بكر، ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك، ثم شرب النبي ﷺ، قال: فبتنا ليلتنا.

ثم انطلقنا، فكانت تسميه المبارك، وكثرت غنمها حتى جلبت جلبا إلى المدينة، فمر أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فرآه ابنها يعرفه، فقال: يا أمه، إن هذا الرجل الذي كان مع المبارك، فقامت إليه، فقالت: يا عبد الله، من الرجل الذي كان معك؟ قال: وما تدرين من هو؟ قالت: لا قال: هو النبي ﷺ، قالت: فأدخلني عليه، قال: فأدخلها عليه، فأطعمها وأعطاهما، وأسلمت.

وفي طريقهما — أيضا — لقيا المرأة المشهورة أم معبد، وهذا حديثها، كما رواه علماء السيرة: فقد ذكروا أن رسول الله ﷺ حين أخرج من مكة مهاجرا إلى المدينة، هو ومن معه، مروا على خيمتي أم معبد الخزاعية وكانت برزة جلدة<sup>٥</sup> تحتي بفناء القبة، ثم تسقى وتطعم، فسألوها لحما، وتمرًا، ليشتروه منها، فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك، وكان القوم مرملين مستنين، فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزناكم نحرها.

فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة، فقال: ( ما هذه الشاة يا أم معبد؟ )، قالت: شاة خلفها

(١) العناق: الأنتى من المعز إذا قويت ما لم تستكمل سنة.

(٢) صبا الرجل وصبا: ترك دين قومه ودان بآخر.

(٣) نماه ﷺ في هذا الحديث عن الهجرة معه في ذلك الوقت، لا عن الإسلام، أو الهجرة مطلقا، كما قد يفهم.

(٤) رواه البيهقي في الدلائل.

(٥) جلدة: صلبة.

الجهد<sup>١</sup> عن الغنم، قال: (أما من لين؟)، قالت: هي أجهد من ذلك، قال: (أتأذنين لي أن أحلبها)، قالت: بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلبا، فاحلبها.

فدعا بها رسول الله ﷺ، فمسح بيده ضرعها، وسمى الله تعالى، ودعا لها في شاتها، فتفاجت عليه ودرت واجترت، ودعا بإناء يربض الرهط، فحلب فيه ثجا حتى علاه البهاء، ثم سقاها حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب آخرهم رسول الله ﷺ، ثم أراضوا، ثم حلب فيه ثانيا بعد بدء حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها، ثم بايعها، وارتحل عنها.

فلم تلبث إلا قليلا حتى جاءها زوجها أبو معبد يسوق أعترأ عجافا، فلما رأى اللبن عجب، وقال: من أين لك هذا اللبن يا أم معبد، والشاء عازب حبال ولا حلوب في البيت؟ فقالت: لا والله، إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا، قال: صفيه لي يا أم معبد. قالت: (رأيت رجلا ظاهر الوضأة، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تبعه نخلة، ولم تزر به صعلة، وسيم قسيم<sup>٢</sup> إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبها من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب. حلو المنطق، فصل، لا نذر ولا هذر. كأن منطقته خرزات نظم يتحدرن. ربعة لا بائن من طول ولا تقتحمه عين من قصر، غصنا بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا، وأحسنهم قدرا، له رفقاء يحفون به، إن قال أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لا عابس ولا مفند.

فقال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا.

فأصبح صوت بمكة عاليا، يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزاية رفيقين قالوا خيمي أم معبد  
هما نزلها بالهدى واهتدت به فقد فاز من أمسى رفيق محمد  
فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فعال لا تجارى وسؤدد  
ليهن بني كعب مقام فتانم ومقعدها للمؤمنين بمرصد  
سلوا أحتكم عن شاتها وإنائها فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد  
دعاها بشاة حائل فتحلبت له بصريح ضرة الشاة مزبد  
فغادرها رهنا لديها بحالب يرددها في مصدر ثم مورد<sup>٣</sup>

ومن ذلك بركة يده ﷺ في شاة أبي قرصافة، فعنه — رضي الله عنه — قال: كان بدء اسلامي أبي كنت

(١) الجُهدُ والجُهدُ: بالضم هو الوُسْعُ والطَّاقة، وبالفتح: المشقَّة. وقيل المُبالِغةُ والعَنايةُ. وقيل هُما لغتان في الوُسْعِ والطَّاقة، فأما في المشقَّةِ والعَنايةِ فالفتح لا غير.

(٢) أبلج الوجه: مشرق الوجه مضيبه.

(٣) وقد أضاف بعض الرواة هنا، وهو محمد بن موسى قولها: وسيما قسيما في عينه دعج، وفي أشفاره غطف، وفي صوته سهل، وفي عنقه سطح، وفي لحيته كئانة، أزج أقرن.

(٤) رواه البيهقي في الدلائل وغيره.

بيتما بين أمي وخالتي، وكان أكثر ميلي لخالتي، وكنت أرمي شويهاً لي، وكانت خالتي كثيراً ما تقول لي: يا بني، لا تمر على هذا الرجل، فيغويك ويضلك، فكنت أخرج حتى آتي المرعى، وأترك شويهاً وآتي رسول الله ﷺ فلا أزال أسمع منه ثم أروح غنمي ضمراً يابساً الضروع، فقالت لي خالتي: ما لغنمك يابساً الضروع؟ قلت: لا أدري، ثم عدت إليه اليوم الثاني، ففعل كما فعل اليوم الأول، ثم إني رحت بغنمي كما رحت في اليوم الأول، ثم عدت إليه في اليوم الثالث، فلم أزل عنده أسمع منه حتى أسلمت وبايعته وصافحته، وشكوت إليه أمر خالتي، وأمر غنمي، فقال لي رسول الله ﷺ: (جنني بالشيء)، فجننته بمن، فمسح ظهورهن وضروعهن ودعا فيهن بالبركة، فامتلات لحماً ولبناً، فلما دخلت على خالتي بمن قالت: يا بني هكذا فارغ، قلت: يا خالة، ما رعيت إلا حيث أرمي كل يوم، ولكن أحررك بقصتي، وأخبرتها بالقصة، وإني رسول الله ﷺ وأخبرتها بسيرته وبكلامه، فقالت أمي وخالتي: اذهب بنا إليه، فذهبت أنا وأمي وخالتي فأسلمنا، وبايعنا رسول الله ﷺ وصافحهن<sup>١</sup>.

ومثلما رويت الآثار في بركات يده ﷺ، رويت الآثار في بركات ريقه الشريف:

ومن ذلك ما حدث به أبو عقيل الديلي — رضي الله عنه — قال: أتيت رسول الله ﷺ فأمنت به، وصدقت وسقاني رسول الله ﷺ - شربة سويق، شرب رسول الله ﷺ أولها، وشربت آخرها، فما زلت أجد بلتها على فؤادي إذا ظممت، وبردها إذا أضحيت<sup>٢</sup>.

وفي حديث آخر عن حنش بن عقيل، قال: دعاني النبي ﷺ إلى الإسلام، فأسلمت، فسقاني فضلة سويق، فما زلت أجد ريقها إذا عطشت، وشبعتها إذا جعت<sup>٣</sup>.

ومما يروى في هذا ما حدث به جمع من أصحاب النبي ﷺ — فيهم أبو أسيد وأبو حميد وأبو سهل بن سعد — فقالوا: أتى رسول الله ﷺ بئر بضاعة، فتوضأ في الدلو، وردده في البئر، ومج مرة أخرى في الدلو، وبصق فيها وشرب من مائها، وكان إذا مرض المريض في عهده يقول: (اغسلوه من ماء بضاعة)، فيغسل، فكأنما حل من عقال<sup>٤</sup>.

ومن ذلك ما يروى عن حنظلة بن قيس أن عبد الله بن عامر بن كريز أتى به رسول الله ﷺ فتفل عليه وعوده، فجعل يتسرع ريق النبي ﷺ فقال: (إنه ليشفي)، وكان لا يعالج أرضاً الا ظهر له فيها الماء<sup>٥</sup>.

ومن ذلك ما روي عن ثابت بن قيس بن شماس أنه فارق جميلة بنت عبد الله بن أبي، وهي حامل بمحمد، فلما ولدته حلفت لا تلبنه من لبنها، فدعا به رسول الله ﷺ فبزق في فيه، وحنكه بتمرة عجوة، وسماه محمداً، وقال: اختلف به، فان الله رازقه، فأتيته في اليوم الأول والثاني والثالث، فإذا أنا بامرأة من العرب، تسأل عن ثابت بن قيس بن شماس، فقلت: ما تريد من منه؟ فقالت: رأيت أبي أرضع ابناً له، يقال له: محمد، قال: فأنا

(١) رواه الطبراني برجال ثقات.

(٢) رواه الطبراني.

(٣) رواه قاسم بن ثابت في الدلائل.

(٤) رواه ابن سعد.

(٥) رواه الحاكم.

ثابت، وهذا ابني محمد، قال: وإذا درعها ينعصر من لبنها<sup>١</sup>.  
ومن ذلك ما روي عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ بصق على أثر سهم في وجهه في يوم ذي قرد، قال:  
فما ضرب علي قط ولا قاح<sup>٢</sup>.  
ومن ذلك ما روي عن عكرمة أن رسول الله ﷺ تغل على رجل زيد بن معاذ حين أصابها السيف — أي  
العلب — حين قتل ابن الأشرف فبرأت<sup>٣</sup>.  
ومن ذلك ما روي عن بشير بن عقربة، قال: لما قتل ابني يوم أحد، أتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، فقال:  
أما ترضى أن أكون أبوك، وعائشة أمك، فمسح رأسي فكان أثر يده من رأسي أسود وسائره أبيض،  
وكانت بي رثة فتغل فيها فانحلت<sup>٤</sup>.  
ومن ذلك ما حدث به جرهد — رضي الله عنه — عن نفسه أنه أتى رسول الله ﷺ وبين يديه طعام،  
فأدى (جرهد) يده الشمال وكانت يده اليمنى مصابة، فنفت عليها رسول الله ﷺ، فما شكى حتى مات<sup>٥</sup>.  
ومن ذلك ما روي عن وائل بن حجر — رضي الله عنه — قال: أتى رسول الله ﷺ بدلوا من ماء زمزم،  
فشرب، ثم توضأ، ثم بجه في الدلو مسكا، أو أطيب من المسك، واستنثر خارجا من الدلو<sup>٦</sup>.  
ومن ذلك ما حدث به أبو هريرة — رضي الله عنه — قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا ببعض  
الطريق سمع صوت الحسن والحسين، وهما يبكيان، فقال لفاطمة: (ما شأن ابني؟) قالت: العطش، فنأدى في  
الناس: (هل أحد منكم معه ماء؟) فلم يجد أحد منهم قطرة، فقال: (ناوليني أحدهما)، فناولته إياه من تحت  
الخد، فأخذ فضمه إلى صدره وهو يضغط لم يسكت، فأدلع لسانه فجعل يمصه حتى هدأ، وسكن، فلم أسمع له  
بكاء، والآخر يبكي كما هو ما يسكت، فقال: (ناوليني الآخر)، فناولته إياه ففعل به كذلك، فسكتنا فما سمع  
لهما صوتا<sup>٧</sup>.

\*\*\*

قال رجل من الجمع: فكيف لم يعرف الناس قيمة لمساته المباركة وريقه المبارك مع كثرة هذه الروايات؟  
قال عبد القادر: أما أعداؤه، فقد طمس الله على قلوبهم بحسدهم وكبرهم، فمنعوا من بركات الدنيا، كما  
منعوا قبلها من بركات الآخرة.

- 
- (١) رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي، والبيهقي في الدلائل ٦ / ٢٢٧.
  - (٢) رواه البيهقي.
  - (٣) رواه عبد بن حميد، والواقدي.
  - (٤) هكذا ورد مرفوعا، وهو مبني على رفع بعض العرب المبتدأ والخبر بكان، وقد جاء على ذلك قول الشافعي:  
إذا سبني نذل تزايديت رفعة وما العيب إلا أن أكون مسابه  
ولو لم تكن نفسي علي عزيزة لمكنتها من كل نذل تحاربه.
  - (٥) رواه ابن عساکر.
  - (٦) رواه الطبراني.
  - (٧) رواه الحميدي برجال ثقات.
  - (٨) رواه الطبراني وابن عساکر.

وأما أصحابه، فقد كانوا أكثر الناس التماسا لبركاته وتعظيمها لها، وسأذكر لك بعض الروايات التي تبين ذلك، والتي تدل على أنه لولا يقينهم ببركاته ﷺ ما فعلوا ذلك:

فمن ذلك ما روي عن أبي جحيفة — رضي الله عنه — قال: خرج رسول الله ﷺ بالهاجرة، فأتي بوضوء فتوضأ، فجعل الناس يأخذون من فضل وضوئه فيتمسحون به<sup>١</sup>.

ومن ذلك ما روي عن أبي موسى — رضي الله عنه — قال: كنت عند رسول الله ﷺ وهو نازل بالجعرانة، فذكر حديثا وفيه: ثم دعا رسول الله ﷺ بقدر فيه ماء، فغسل يديه ووجهه ومج فيه، ثم قال لهما: اشربا منه، وأفرغا على وجوهكما ونحوركما<sup>٢</sup>.

ومن ذلك ما روي عن مروان والمصور بن مخزومة — يصدق كل واحد منهما صاحبه — أن النبي ﷺ كان إذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه<sup>٣</sup>.

ومن ذلك ما روي عن المسور بن مخزومة قال: خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت، ولا يريد قتالا، فذكر الحديث، وفيه: أن قريشا بعثت إليه عروة بن مسعود الثقفي — رضي الله عنه — فجعل عروة يرمق أصحاب رسول الله ﷺ بعينه قال: فوالله ما بصق رسول الله ﷺ الا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بما وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، ما يحدون النظر إليه تعظيما له، فرجع الى أصحابه، وقد رأى ما يصنع برسول الله ﷺ فرجع الى قريش فقال: يا معشر قريش، اني جئت كسرى في ملكه، وجئت فيصرون والنجاشي في ملكهما، فوالله ما رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم اصحاب محمد ومحمد، والله ان بصق الا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بما وجهه وكفه، وان أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون النظر إليه تعظيما له ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا، فروا رأيكم فيه<sup>٤</sup>.

ومن ذلك ما روي عن أنس — رضي الله عنه — قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم أهل المدينة بآيتهم فيها الماء، فلم يؤت باناء الا غمس يده فيه، فرمى في الغداة جاؤوا الباردة، فيغمس يده فيها<sup>٥</sup>.

ومن ذلك ما روي أن أبا محذورة كانت له قصة في مقدم رأسه يرسلها، فتبلغ الارض إذا جلس فقيل له: ألا تحلقها؟ فقال: ان رسول الله ﷺ مسح عليها بيده، فلم أكن لأحلقها حتى أموت، فما حلقها حتى مات<sup>٦</sup>.

ومن ذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري — رضي الله عنه — قال: كنت يوما عند رسول الله ﷺ فأتى بتمر يفرقه علينا، وكنا نذنيه منه ليمسه لما نرجو من بركة يده، فإذا رآه قد اجتمع فرقه بيننا<sup>٧</sup>.

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري تعليقا وأسنده الاسماعيلي.

(٣) رواه البخاري تعليقا وأسنده الاسماعيلي.

(٤) رواه البخاري وغيره.

(٥) رواه أبو الحسن بن الضحاك.

(٦) رواه أبو القاسم البغوي.

(٧) رواه أبو سعيد بن الاعرابي.

ومن ذلك ما روي عن السائب بن يزيد — رضي الله عنه — قال: ذهبت بي خالتي الى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ان ابن أخي وقع فمسح رأسي، ودعا لي بالبركة ثم توضأ فشربت من وضوئه. الحديث<sup>١</sup>.

ومن ذلك ما روي عن الاسلع بن شريك قال: كنت أرحل ناقة رسول الله ﷺ فأصابني جنابة في ليلة باردة وأراد رسول الله ﷺ الرحلة، وكرهت أن أرحل ناقته، وأنا جنب وخشيت أن اغتسل بالماء البارد، فأمرض، فأمرت فأمرت رجلا من الانصار فرحلتها ووضعت احجارا فأسخنت بها ماء فاغتسلت ثم لحقت برسول الله ﷺ واصحابه، فقال لي: (يا أسلع مالي أرى راحلتك قد تغيرت؟) فقلت: يا رسول الله، لم أرحلها، رحلتها رجل من الانصار<sup>٢</sup>.

ومن ذلك ما روي عن أم اسحاق، قالت: هاجرت مع أخي الى رسول الله ﷺ فقال لي: نسيت نفقتي بمكة، فرجع ليأخذها، فقتله زوجي، فقدمت على رسول الله ﷺ فقلت له: أخي قتل، فأخذ كفا من ماء، فنفخه في وجهي، فكانت تصيبها المصيبة، فترى الدموع في عينيها ولا تسيل على خدها<sup>٣</sup>.

ومن ذلك ما روي عن الزهري، قال: حدثني من لا أتهم من الانصار أن رسول الله ﷺ كان إذا توضأ أو بصق ابتدروا بصاقه، فمسحوا به وجوههم وجلودهم، فقال رسول الله ﷺ: (لم تفعلون هذا؟) فقالوا: نلتمس البركة<sup>٤</sup>.

ومن ذلك ما روي عن أبي العشاء عن أبيه قال: لما مرض أبي أتاب رسول الله ﷺ ففعل عليه رسول الله ﷺ من قرنه الى قدمه ثلاث مرات بريقه الى جسده<sup>٥</sup>.

ومن ذلك ما روي عن ابن مسعود — رضي الله عنه — قال: رأيت رسول الله ﷺ كحل علي بيزاقه<sup>٦</sup>.  
ومن ذلك ما روي أن زينب بنت أبي سلمة دخلت وهي صغيرة على رسول الله ﷺ في مغتسله فنضح في وجهها الماء وقال: (ارجعي)، قال عطف: قالت أمي: ورأيت زينب وهي عجوز كبيرة ما نقص من وجهها شيء<sup>٧</sup>.

ومن ذلك ما روي عن خالد بن الوليد — رضي الله عنه — قال: اعتمرنا مع رسول الله ﷺ فعلق شعره فاستبق الناس الى شعره، فسبقت الى الناصية فأخذتها فاتخذت قلنسوة فجعلتها في مقدمة القلنسوة فما وجهت في وجهه إلا فتح لي<sup>٨</sup>.

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الطبراني.

(٣) رواه أبو نعيم.

(٤) رواه عبد الرزاق.

(٥) رواه ابن عدي.

(٦) رواه أبو نعيم.

(٧) رواه عبد الله بن الإمام أحمد.

(٨) رواه أبو الحسن بن الضحاك وأبو يعلى بسند صحيح.



ومن ذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري أن أباه مالك بن سنان لما أصيب رسول الله ﷺ في وجهه يوم أحد مص دم رسول الله ﷺ وازدرده فقال له: (أتشرب الدم؟) قال: أشرب دم رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ: (من خالط دمي دمه لا يضره الله)<sup>١</sup>

ومن ذلك ما حدث به سفينة قال: احتجم رسول الله ﷺ وقال: (وغيب عني الدم)، فذهبت فشربته، ثم جئته فقال: (ما صنعت؟)، قلت: غيبته، قال: (أشربته؟) قلت: نعم<sup>٢</sup>.

وفي حديث آخر عن سفينة، قال: حجج رسول الله ﷺ حجاما فأمر أن يوارى الدم من الطير والدواب، فذهبت فشربته، ثم أتيت النبي ﷺ فذكرت له ذلك فضحك ولم يقل لي شيئا<sup>٣</sup>.

ومن ذلك ما روي عن عبد الله بن الزبير — رضي الله عنهما — أنه أتى النبي ﷺ وهو يحتجم، فلما فرغ قال: (يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراه أحد)، فلما برزت عن رسول الله ﷺ عمدت إلى الدم فحسوته، فلما رجعت إلى النبي ﷺ قال: (ما صنعت يا عبد الله؟) قال: جعلته في مكان ظننت أنه خاف عن الناس، قال: (فلعلك شربته؟) قال: نعم. قال: (ومن أمرك أن تشرب الدم، ويل لك من الناس، وويل للناس منك)<sup>٤</sup>

---

(١) رواه أبو علي بن السكن.

(٢) رواه البزار.

(٣) رواه بقي بن مخلد.

(٤) رواه أبو يعلى والبزار باسناد حسنه الابوصيري في التحفة.

### ٣ — الولايم المباركة

قال رجل من الجمع: لقد حدثنا عن الصحبة المباركة، وعن اللمسات المباركة، فحدثنا عن بركات محمد في الولايم التي أقامها هو، أو أقامها أصحابه، فقد سمعنا من هذا القس الوليمة العظيمة التي أقامها المسيح بعض الخبز، وبعض السمكات.

قال عبد القادر: محمد والمسيح كلاهما رسولان لله، وكلاهما مباركان، ونحن لا نقيم هنا مسابقة بينهما، ولكننا نريد أن نثبت نبوة كليهما.. فمثل هذه البركات العظيمة لا يجريها الله إلا على أيدي أنبيائه، أو من هم سائرون على أقدام أنبيائه.

وبما أنك رغبت إلي في أن أحدثك في هذا، فسأذكر لك بعض ما وردت به أسانيدنا الثابتة التي تفيد بمجموعها تواتر ذلك عن نبينا ﷺ:

**فمن ذلك** ما ما حصل يوم الخندق، حيث أطعم رسول الله ﷺ جيش المسلمين الذي كان يحفر يوم الخندق من طعام فئة قليلة من الناس.

وقد حدث صاحب الوليمة جابر بن عبد الله ﷺ عن ذلك، فقال: كنا يوم الخندق نحفر الخندق، فعرضت فيه كذانة، وهي الجبل، فقلنا: يا رسول الله، إن كذانة قد عرضت فيه، فقال رسول الله ﷺ: (رشوا عليها)، ثم قام رسول الله ﷺ، فأتاها، وبطنه معصوب بحجر من الجوع، فأخذ المعول أو المسحاة، فسمى ثلاثاً ثم ضرب، فعادت كئيباً أهيل، فقلت له: ائذن لي يا رسول الله إلى المتزل، ففعل، فقلت للمرأة: هل عندك من شيء؟ فقالت: عندي صاع<sup>١</sup> من شعير وعناق<sup>٢</sup>، فطحن الشعير وعجنته، وذكت العناق وسلختها، وخلبت من المرأة، وبين ذلك.

ثم أتيت رسول الله ﷺ، فجلست عنده ساعة ثم قلت: ائذن لي يا رسول الله، ففعل، فأتيت المرأة فإذا العجين واللحم قد أمكنا، فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إن عندي طعيماً<sup>٣</sup> لنا، فقم يا رسول الله أنت ورجلان من أصحابك، فقال: (وكم هو؟) فقلت: صاع من شعير، وعناق، فقال للمسلمين جميعاً: (قوموا إلى جابر)، فقاموا، فلقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله، فقلت: جاء بالخلق على صاع شعير وعناق، فدخلت على امرأتي أقول: افتضح، جاءك رسول الله ﷺ بالجند أجمعين، فقالت: هل كان سألك كم طعامك؟ فقلت: نعم، فقالت: الله ورسوله أعلم، قد أحبرناه ما عندنا، فكشفت عني غماً شديداً.

فدخل رسول الله ﷺ فقال: خذي ودعيني من اللحم، فجعل رسول الله ﷺ يثر، ويغرف اللحم، ثم يخمر هذا، ويخمر هذا، فما زال يقرب إلى الناس حتى شبعوا أجمعين، ويعود التنور<sup>٤</sup> والقدر أملاً ما كانا، ثم قال رسول الله ﷺ: (كلي وأهدي)

- 
- (١) الصاع: مكيال المدينة تقدر به الحبوب وسعته أربعة أمداد، والمد هو ما يملأ الكفين.
  - (٢) العناق: الأنتى من المعز إذا قويت ما لم تستكمل سنة.
  - (٣) طعيماً: تصغير طعام، أي طعاماً قليلاً.
  - (٤) التنور: الموقد.

قال جابر: فلم نأكل ونهدي يومنا أجمع<sup>١</sup>.

وفي رواية ذكر العدد الذي أكل من هذه الوليمة، فقال: (وجعل رسول الله ﷺ يبرد، ويغرف اللحم، ويخمر هذا ويخمر هذا، فما زال يقرب إلى الناس حتى شبعوا أجمعين، ويعود التنور والقدر أملاً ما كانا، فكلمنا فرغ قوم جاء قوم حتى صدر أهل الخندق، وهم ألف حتى تركوه، وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليختبز كما هو، ثم قال رسول الله ﷺ: (كلي وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة) فلم نزل نأكل ونهدي يومنا.

وفي حديث آخر عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: صنعت أمني طعاما إلى رسول الله ﷺ قالت: ادعه، فجننت فساررتي، فقال لأصحابه: (قوموا)، فقام معه خمسون رجلا، فقال: (ادخلوا عشرة عشرة) فأكلوا حتى شبعوا وفضل نحو ما كان<sup>٢</sup>.

**ومن ذلك وليمة** حصلت في نفس الغزوة، ذكرتها ابنة بشير بن سعد، فقالت: دعيتني أمني فأعطيتني جفنة من تمر في ثوبي، ثم قالت: يا بنية، اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بغدائهما، قالت: فأخذته ثم انطلقت بها، فمررت برسول الله ﷺ فقال: (تعالي ما معك؟) فقلت: يا رسول الله هذا تمر بعثتني به أمني إلى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله بن رواحة يتغديانه فقال: (هايتي)، فصببته في كفي رسول الله ﷺ فما ملاها ثم أمر بشوب فبسط ثم دعا بالتمر فصبه فوق الثوب ثم قال لانسان عنده: (اخرج في أهل الخندق أن هلموا إلى الغداء، فاجتمع أهل الخندق عليه، فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليستقط من أطراف الثوب<sup>٣</sup>.

**ومن ذلك** ما حدث به أنس ﷺ، فقال: جئت رسول الله ﷺ فوجدته جالسا مع أصحابه يحدثهم قد عصب بطنه بعصابه، فقلت لبعض أصحابه: لم عصب رسول الله ﷺ بطنه؟ فقالوا: من الجوع، فذهبت إلى أبي طلحة فأخبرته فدخل على أمني فقال: هل من شيء؟ قالت: نعم عندي كسر من خبز وتمر، فإن جاءنا رسول الله ﷺ وحده أشبعناه وإن جاء معه بأحد قل عنهم، فقال لي أبو طلحة: قم قريبا من رسول الله ﷺ فإذا قام فدعه حتى يتفرق عنه أصحابه ثم اتبعه حتى إذا قام على عتبة بابه، فقل: أبي يدعوك، ففعلت ذلك، فلما قلت: أبي يدعوك، قال لأصحابه: (يا هؤلاء تعالوا) ثم أخذ بيدي فشدّها، ثم أقبل بأصحابه حتى إذا دنونا من بيتنا أرسل يدي فدخلت وأنا حزين لكثرة من جاء به، فقلت: يا أبتاه، قد قلت لرسول الله ﷺ الذي قلت لي فدعا أصحابه، وقد جاء بهم، فخرج أبو طلحة، فقال: يا رسول الله، إنما أرسلت أنسا يدعوك وحدك ولم يكن عندي ما يشبع من أرى، فقال: رسول الله ﷺ ادخل، فإن الله سيبارك فيما عندك، فدخلت فقال: (اجمعوا ما عندكم ثم قربوه) فقربنا ما كان عندنا من خبز وتمر، فجعلناه على حصير فدعا فيه بالبركة، فقال: (يدخل علي ثمانية)

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والبيهقي في السنن الكبرى والدارمي في سننه وأبو عوانة وابن أبي شيبة في المصنف والفريابي في دلائل النبوة والأصبهاني في دلائل النبوة وغيرهم.

(٢) رواه الطبراني في الاوسط ورجاله وثقوان انظر: المجمع: ٨ / ٣١٠.

(٣) رواه ابن سعد، وانظر: ابن كثير في البداية ٦ / ١٣٣.

فأدخلت عليه ثمانية، فجعل كفه فوق الطعام، فقال: (كلوا وسمو الله عز وجل) فأكلوا من بين أصابعه حتى شبعوا، ثم أمرني أن أدخل عليه ثمانية فما زال ذلك أمره حتى دخل عليه ثمانون رجلا كلهم يأكل حتى يشبع، ثم دعاني وأمي وأبا طلحة، فقال: (كلوا)، فأكلنا حتى شبعنا، ثم رفع يده، فقال: يا أم سليم، أين هذا من طعامك حين قدمتيه؟ فقالت: بأبي أنت وأمي، لولا أني رأيتهم يأكلون لقلت: ما نقص من طعامنا شيء<sup>١</sup>.

**ومن ذلك** ما حدث به علي والبراء — رضي الله عنهما — أن الله تعالى لما أنزل: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤) جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب، وهم يومئذ أربعون رجلا يأكلون المسنة، ويشربون العس، فأمر عليا أن يصنع لهم طعاما، وأن يجعل عليه رجل شاة، فصنعها، ثم قربها إلى رسول الله ﷺ، فأخذ منها بضعة، فأكل منها، ثم تتبع بها جوانب القصعة، ثم قال: (ادنوا باسم الله)، فدنا القوم فأكلوا عشرة عشرة، فأكلوا حتى صدروا ما نرى إلا أثر أصابعهم، والله إن كان الرجل ليأكل مثل ما قدم لجميعهم، ثم قال: (يا علي، اسق القوم) فجاءهم بذلك العس، فشرب منه ثم ناولهم، وقال: (اشربوا باسم الله) فشربوا حتى رروا عن آخرهم، وأتم الله، إن كان الرجل منهم ليشرب مثله فذكر الحديث<sup>٢</sup>.

**ومن ذلك** ما حدث به أبو أيوب الأنصاري ؓ قال: صنعت لرسول الله ﷺ وأبي بكر طعاما قدر ما يكفيهما، فأتيتهما به، فقال رسول الله ﷺ: (أذهب فادع ثلاثين من أشرف الانصار) قال: فشق ذلك علي، وقلت: ما عندي شيء أزيد، قال: فكأني تتأقلت، فقال: (أذهب فادع لي ثلاثين من أشرف الانصار)، فدعوتهم فجاءوا، فقال: اطعموا، فأكلوا حتى صدروا، ثم شهدوا أنه رسول الله ﷺ وبايعوه قبل أن يخرجوا. ثم قال: أذهب فادع لي ستين من أشرف الانصار، قال أبو أيوب: فوالله لأنا بالستين أجود مني بالثلاثين، قال: فدعوتهم فقال رسول الله ﷺ: (اطعموا فأكلوا حتى صدروا) ثم شهدوا أنه رسول الله ﷺ وبايعوه قبل أن يخرجوا.

ثم قال: (أذهب فادع لي تسعين من الانصار) فلأنا أجود بالتسعين مني بالثلاثين، قال: فدعوتهم فأكلوا حتى صدروا، ثم شهدوا أنه رسول الله ﷺ وبايعوه قبل أن يخرجوا فأكل من طعامي ذلك مائة وثمانون رجلا كلهم من الانصار<sup>٣</sup>.

**ومن ذلك** ما حدث به صهيب ؓ قال: صنعت لرسول الله ﷺ طعاما فأتيته وهو في نفر من أصحابه فقممت حياله، فلما نظر إلي أومأت إليه، فقال: (وهؤلاء) قلت لا مرتين يفعل ذلك أو ثلاثا فقلت: نعم، وهؤلاء وإنما كان شيئا يسيرا صنعته لك فأكلوا وفضل منهم<sup>٤</sup>.

**ومن ذلك** ما ما حدثت به أم عامر أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: رأيت رسول الله ﷺ صلى في

(١) رواه مسلم (١٤٣ / ٢٠٤٠) والبيهقي في الدلائل ١ / ٩٦٣ وأبو نعيم في الدلائل ١٤٨ وانظر المجمع ٨ / ٣٠٦.

(٢) رواه ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي وأبو نعيم انظر: السيوطي في الدر المنثور ٥ / ٩٧.

(٣) رواه الطبراني في الكبير: ٤ / ٢٢١، ٢٢٢ والبيهقي في الدلائل: ٦ / ٩٤ وابن عبد البر في التمهيد: ١ / ٢٩٤، ونظر: ابن البداية والنهاية: ٦ / ١٢٧.

(٤) رواه الطبراني في الكبير، قال الهيثمي (في المجمع ٤ / ٥٨): ورجاله رجال الصحيح إلا أن ضريب بن نضير لم يسمع من

صهيب.

مسجدنا المغرب، فحنت إلى مترلي فحنته بعرق وأرغفة فقلت: بأبي وأمي تعش، فقال لأصحابه: (كلوا بإسم الله)، فأكل هو وأصحابه الذين جاؤوا معه، ومن كان حاضرا من أهل الدار، فو الذي نفسي بيده لرأيت بعض العرق لم يتعرقه وعامة الخبز وإن القوم أربعون رجلا<sup>١</sup>.

**ومن ذلك** ما حصل في غزوة تبوك، حيث أطعم رسول الله ﷺ جيش المسلمين من طعام فئة قليلة من الناس:

فعن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال: لما نزل رسول الله ﷺ من الظهران في عمرته بلغ أصحابه أن قريشا تقول: ما يتباعثون من العجف، فقال أصحابه: لو انتحرننا من ظهورنا، فأكلنا من لحمه وحسونا من مرقة لأصبحنا غدا ندخل على القوم وبنا جمامة فقال: (لا تفعلوا، ولكن إجمعوا لي من أزوادكم)، فجمعوا له، وبسطوا الأنطاع، فأكلوا حتى تولوا، وحثا كل واحد منهم في جرابه<sup>٢</sup>.

وقد حدث جمع من الصحابة ﷺ، ومنهم أبو هريرة، وأبو سعيد الخدري.. قالوا: لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، فقالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرننا نواضحنا فأكلنا وادهنا، فقال رسول الله صلى ﷺ: (افعلوا)، فجاء عمر ﷺ، فقال: يا رسول الله إن فعلت قل الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله عز وجل أن يجعل في ذلك، فقال رسول الله ﷺ: (نعم)، فدعا بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يأتي بكف ذرة، ويحيء الآخر بكف تمر، ويحيء الآخر بكسرة، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير.

فدعا رسول الله ﷺ بالبركة، ثم قال لهم: (خذوا في أوعيتكم)، فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملئوه، فأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة، فقال رسول الله ﷺ: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فحجب عن الجنة)<sup>٣</sup>

هذا ما حدث من بركات الطعام في هذه الغزوة التي سميت غزوة العسرة لشدها على المسلمين، أما الشراب، فقد حدث عمر ﷺ عن البركات التي ارتبطت به، فقال: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فترلنا منزلا أصابنا فيه عطش، حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، حتى إن كان الرجل ليذهب يلتمس الرجل فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع، حتى إن كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصديق ﷺ: يا رسول الله، إن الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيرا، فادع الله لنا، قال: (أتحب ذلك؟)،

(١) رواه ابن سعد ١ / ٢ / ١١٠.

(٢) رواه أحمد: ١ / ٣٠٥ وانظر: المجمع ٣ / ٢٧٨ والبداية والنهاية: ٤ / ٢٣١.

(٣) الناضح: الحمل أو الثور أو الحمار الذي يستقى عليه الماء.

(٤) الظهر: الإبل تعد للركوب وحمل الأثقال.

(٥) الزاد: هو الطعام والشراب وما يتبلغ به، ويُطلق على كل ما يتوصل به إلى غاية بعينها.

(٦) النطع: بساط من جلد، والخوان والوعاء.

(٧) هذا الحديث رواه البخاري ومسلم عن سلمة بن الأكوع والامام أحمد ومسلم عن أبي هريرة وأحمد عن أبي الحسين

الغفاري وابن سعد والحاكم وصححه عن أبي عمرة الانصاري والبخاري والبيهقي عن أبي الحسين العبدى وإسحاق بن راهويه وأبو يعلى وأبو نعيم وغيرهم.

قال: نعم، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأظلت ثم سكبت فملئوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر<sup>(١)</sup>

قال أجيبر بولس: وما في هذا.. لقد مرت سحابة كما يمر السحاب، فأمطرتهم.

نظر إليه عبد القادر، وابتسم، وقال: أنت تذكرني بقولك هذا بأحد المنافقين الذين كانوا مع رسول الله ﷺ في هذه الغزوة، ورأى عطش الناس، ثم ما كان من دعاء رسول الله ﷺ حين دعا، فأرسل الله السحابة، فأمطرت حتى ارتوى الناس، فأقبل عليه بعض أصحابه من المؤمنين، فقالوا: ويحك، هل بعد هذا من شيء، فقال: سحابة مارة.

ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته، فخرج بعض أصحابه في طلبها، وعند رسول الله ﷺ عمارة بن حزم الأنصاري، وكان في رحله زيد، وكان منافقا، فقال زيد: أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم خبر السماء، وهو لا يدري أمر ناقته، فقال رسول الله ﷺ وعمارة بن حزم عنده: (إن رجلا قال: هذا محمد يخبركم أنه نبي ويخبركم بأمر السماء، وهو لا يدري أين ناقته، وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلي الله عليها، هي في الوادي قد حبستها الشجرة بزمامها، فانطلقوا فجاءوا بها، فرجع عمارة إلى رحله، فحدثهم عما جاء رسول الله ﷺ من خبر الرجل، فقال رجل ممن كان في رحل عمارة: إنما قال زيد والله هذه المقالة قبل أن تأتي، فأقبل عمارة على زيد يجأ في عنقه، ويقول: إن في رحلي لداهية وما أدري، اخرج عني يا عدو الله فلا تصحبنى.

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل.

(٢) الزمام: الخيط الذي يشد في الثرة أو في الخشاش ثم يشد إلى طرف المقود (١) البعير: ما صلح للركوب والحمل من الإبل، وذلك إذا استكمل أربع سنوات، ويقال للجمل والناقة.

## ٤ — الأطعمة المباركة

قال رجل من الجمع: إن ما ذكرته من بركات محمد لا يقل عما ذكر هذا القس عن بركات المسيح، فكيف لا تزعمون لنبيكم ما يزعمون للمسيح؟

قال عبد القادر: نحن نعلم أن هذه البركات فضل من فضل الله يهبه الله لمن يشاء من عباده، ولذلك نحن لا نحاور نبيينا قدره العظيم الذي أعطاه الله له، وهو قدر العبودية، فالعبودية أشرف مقام يصل إليه العبد. ولهذا، فنحن لا نرى فيما حصل لنبينا من بركات إلا فيضا من فيوضات تمام تحققه بذلك المقام العظيم مقام العبودية لله.

قال آخر: إن العجب يأخذ منا كل مأخذ عندما تذكر البركة، فهل أعيان الطعام تزداد، فيتحول القليل كثيرا، أم أن شهوات الناس تسد، فيشبعون من حيث هم جائعون؟! قال عبد القادر: لقد ورد في النصوص الكثير ما يؤكد إلى أن أعيان الطعام نفسها يحصل فيها من الزيادة ما يجعلها أضعاف ما كانت عليه.

وقد روي في ذلك بعض النصوص الدالة على هذا، فعن أنس عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: أهديت لنا شاة، فجعلتها في قدر، فدخل رسول الله ﷺ فقال: (ما هذا يا أبا رافع؟ فقلت: شاة أهديت لنا، فطبختها في القدر، فقال: (ناولني الذراع) فناولته ثم قال: (ناولني الذراع يا أبا رافع)، فناولته ثم قال: (ناولني الذراع الآخر) فقلت: يا رسول الله، إنما للشاة ذراعان، فقال رسول الله ﷺ: (أما إنك لو مسكت لناولتي ذراعا ما دعوت به)<sup>١</sup>

وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن شاة طبخت، فقال رسول الله ﷺ: (أعطني الذراع)، فناولته إياه، ثم قال: (الذراع) وفي رواية أخرى، قال رضي الله عنه: (أما إنك لو التمسيتها لوجدتها)<sup>٢</sup> وفي حديث آخر عن أسامة بن زيد — رضي الله عنه — أن امرأة جاءت بابت لها فذكر الحديث، وفيه: فأهدت للنبي ﷺ شاة مشوية، فقال: (خذ الشاة منها)، ثم قال: (ناولني ذراعها)، فناولته ثم قال: (ناولني ذراعها)، فقلت يا رسول الله إنما هما ذراعان، وقد ناولتك فقال: (والذي نفسي بيده، لو سكت ما زلت تناولني ذراعها، ما قلت لك ناولني ذراعها)<sup>٣</sup>

وفي حديث آخر عن أبي عبيد مولى رسول الله ﷺ أنه طبخ للنبي ﷺ قدرا فيه لحم، فقال: (ناولني ذراعها) فناوله ثم قال: (ناولني ذراعها) فناوله، ثم قال: (ناولني ذراعها)، فقلت: يا رسول الله، كم للشاة من ذراع، فقال: (والذي نفسي بيده، لو سكت لاعطتك ذراعها ما دعوت به)<sup>٤</sup>

وفي حديث آخر عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى بقصعة فيها ثريد، فأكل وأكل القوم، فلم

(١) رواه أحمد: ٦ / ٣٩٢، وأبو يعلى، وانظر المجمع: ٨ / ٣١١.

(٢) رواه أحمد: ٢ / ٥١٧، انظر: ابن كثير في البداية والنهاية: ٦ / ١٤٠.

(٣) رواه أبو يعلى وأبو نعيم بسند حسنه الحافظ ابن حجر.

(٤) رواه أحمد: ٣ / ٤٨٤، ٤٨٥ وانظر: المجمع ٨ / ٣١١ وابن كثير في البداية: ٥ / ٣٢٢.

يزالوا يتداولونها إلى قريب من الظهر، يأكل قوم ثم يقومون، ويحيى قوم فيتعاقبون. فقال له رجل: هل كانت تمد بطعام؟ قال: أما من الأرض فلا، إلا أن تكون كانت تمد من السماء<sup>١</sup>.

قال رجل من الجمع: كيف ذلك.. إن ذلك لعجيب؟

قال عبد القادر: إن الله الخالق لكل شيء لا يعجز عن مثل هذا.. وعدم إدراكنا للكيفية لا ينبغي أن يجرنا لإنكار الإمكانية.

قال رجل آخر: أفتريدنا أن نلغي عقولنا؟

قال عبد القادر: إنا في حياتنا نستعمل أشياء كثيرة، ومع ذلك لا نعرف كيفيتها.. إن أكثر الناس يتفرجون على التلفزيون، فيرون العالم جميعا بين أيديهم، ثم هم لا يعرفون عن الكيفية التي يشتغل بها، ولا يكادون يبحثون عنها، مع أنك لو ذكرت هذا لمن سبقنا بقرون قليلة لاعتبره خرافة ومستحيلا.

وانطلاقا من هذا.. سأحدثكم عن بعض الأطعمة التي ربت وزادت ببركة رسول الله ﷺ، فقد روي في ذلك نصوص كثيرة يفيد مجموعها التواتر:

### الشعير المبارك:

ومما روي في ذلك ما ورد من عن أنس رضي الله عنه أنه كان شاهد أبا طلحة قال لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا أعرف فيه الجوع، فهل عنك من شيء؟ فقالت: ما عندنا إلا نحو من مد شعير، قال: فأعجنه وأصلحيه، عسى أن ندعو رسول الله ﷺ فيأكل عندنا، قالت: فعجنته وخبزته، فجاء قرصا، فقال: ادع لي رسول الله ﷺ.

قال أنس: فذهبت فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس — قال مبارك بن فضالة، فأحسبه قال: بضعة وثمانون — فقامت عليهم، فقال رسول الله ﷺ: (أرسلك أبو طلحة؟)، فقلت: نعم، فقال رسول الله ﷺ لمن معه: (قوموا)، فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة، فأخبرته، فقال أبو طلحة: فضحنتنا، قلت: إني لم أستطيع أن أرد على رسول الله ﷺ أمرا.

فتلقاه أبو طلحة، فدهش لمن أقبل مع رسول الله ﷺ فمشى جنبه، فقال: يا رسول الله، إنما هو قرص، فقال: (إن الله عز وجل سبارك فيه)، فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى الباب قال لهم: (اقعدوا)، ودخل رسول الله ﷺ فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ والناس ليس عندنا ما نطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم.

فدعا رسول الله ﷺ بالقرص، ودعا بجفنة فوضعه فيها، وقال: (هل من سمن) قال أبو طلحة: قد كان في العكة شيء، قال: فجاء بها، فجعل هو ورسول الله ﷺ يعصرانها حتى خرج شيء مسح رسول الله ﷺ به سبائته، ثم مسح القرص، فانتفخ، وقال: (باسم الله)، فانتفخ فلم يزل يصنع كذلك، والقرص ينتفخ حتى رأيت القرص في الجفنة.

(١) رواه الدارمي ١ / ٣٠ و الترمذي ٥ / ٥٥٣ (٣٦٢٥) وقال حسن صحيح وابن حبان ذكره الهيثمي في الموارد (٢١٤٩) والحاكم ٢ / ٦١٨.



ثم قال: ( ادع عشرة من أصحابي )، فدعوت له عشرة، قال: فوضع رسول الله ﷺ يده وسط القرص، وقال: (كلوا باسم الله)، فأكلوا من حوالي القرص حتى شبعا، فلم يزل يدعو عشرة بعشرة يأكلون من ذلك القرص حتى أكل منه بضعة وثمانون من حوالي القرص حتى شبعا، وإن وسط القرص حيث وضع رسول الله ﷺ يده كما هو، وأكل رسول الله ﷺ وأبو طلحة وأم سليم وأنا حتى شبعا وفضلت فضلا أهديناها لجيران لنا<sup>١</sup>.

وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: ( ادع لي أصحابك، فجعلت أتبعهم رجلا رجلا )، فجتنا باب النبي ﷺ فاستأذنا فأذن لنا، قال أبو هريرة فوضعت بين أيدينا صحيفة صنع قدر مد من شعر، فوضع رسول الله ﷺ عليها يده وقال: (كلوا باسم الله) فأكلنا ما شئنا وكنا ما بين السبعين إلى الثمانين، ثم رفعنا أيدينا، فقال رسول الله ﷺ حين وضعت الصحيفة: (والذي نفسي بيده ما أمسى لآل محمد طعام )

قيل لأنس: كم كانت حين فرغتم منها؟ قال: مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع<sup>٢</sup>.

### اللبن المبارك:

ومن ذلك ما ورد من بركاته ﷺ على ابن قليل كفى جماعة كبيرة من الناس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لاعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإني كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد فعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون فيه، فمر بي أبو بكر، فسألته عن آية من كتاب الله عز وجل ما سألته إلا ليستتبعني، فمر، ولم يفعل، ثم مر عمر، فسألته عن آية من كتاب الله عز وجل ما سألته إلا ليستتبعني فمر ولم يفعل.

فمر أبو القاسم ﷺ فتبسّم حين رأي وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: ( يا أبا هر ) فقلت: لبيك يا رسول الله، فقال: (إلحق ) ومضى فتبعته، فدخل واستأذنت فأذن لي، فدخلت فوجدت لبنا في قرح، فقال: ( من أين هذا اللبن؟ ) فقالوا: أهدى ذلك فلان أو فلانة، فقال: ( يا أبا هر )، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: (إلحق بأهل الصفة فادعهم لي)

قال أبو هريرة: وأهل الصفة أضياف الاسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم، فأصاب منها وأشركهم فيها، فسألت ذلك، فقلت<sup>٣</sup>: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أرجو أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها بقية يومي وليلي، وإني لرسول، فإذا جاءوا أمرني أن أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد، فأتيهم، فدعوتهم، فأقبلوا وأخذوا مجالسهم من البيت، فقال: ( يا أبا هر )، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: (خذ فأعطهم

---

(١) رواه البخاري ١ / ١١٥، ٧ / ٨٩، ومسلم في كتاب الاشربة (١٤٢) والترمذي (٣٦٣٠) والبيهقي ٧ / ٢٧٣ وفي الدلائل ٦ / ٨٩ وأبو نعيم في الدلائل ١٤٧ ومالك في الموطن ٩٢٧.  
(٢) رواه ابن أبي شيبة ١١ / ٤٧٠ وابن سعد ١ / ٢ / ١٣.  
(٣) أي قال ذلك في نفسه من غير أن يسمع رسول الله ﷺ.

(، فأخذت القدح، فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح أعطيه الآخر، فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح حتى انتهت إلى رسول الله ﷺ وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح، فوضعه على يده فنظر إلي وتبسم، وقال: (يا أبا هر)، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: (بقيت أنا وأنت)، قلت: صدقت يا رسول الله، قال: (أعد فاشرب) فشربت فقال: (اشرب)، فشربت حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا، فأعطيته القدح، فحمد الله عز وجل وشرب الفضلة<sup>١</sup>.

### الحيس المبارك:

ومن ذلك ما ورد من بركاته ﷺ على حيس<sup>٢</sup> قليل كفى جماعة كبيرة من الناس، عن أنس ﷺ قال: لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت حجش قالت لي أُمي: يا أنس إن رسول الله ﷺ أصبح عروسا، ولا أدري أصح له (غذاء) فهل تلك العكة، فأتيها بالعكة ويتمر، فجعلت منه حيسا فقالت: يا أنس، اذهب بهذا إلى النبي ﷺ وامرأته، فلما أتيت رسول الله ﷺ بتور من حجارة فيه ذلك الحيس، قال: (دعه ناحية البيت وادع أبا بكر، وعمر وعليا وعثمان ونفرا من أصحابه ثم ادع لي أهل المسجد، ومن رأيت في الطريق) قال أنس: فجعلت أتعجب من قلة الطعام وكثرة ما يأمرني أن أدعو الناس، وكرهت أن أعصيه، حتى امتلأ البيت والحجرة، فقال: (هات ذلك التور<sup>٣</sup>)، فجئت به، فوضعه قدامه، فغمس ثلاث أصابع في التور، فجعل التمر يربو، فجعلوا يتغدون، ويخرجون حتى إذا فرغوا أجمعون، وبقي في التور نحو ما جئت به، فقال: (ضعه قدام زينب)

قال ثابت<sup>٤</sup>: يا حمزة، كم ترى كان الذين أكلوا من ذلك التور؟ قال: واحدا وسبعين أو اثنين وسبعين<sup>٥</sup>. وفي حديث آخر عن عبد الله بن مغيث أبي بردة الانصاري قال: أرسلت أم عامر الاشهلية بقصعة فيها حيس إلى رسول الله ﷺ وهو في قبته، وعنده أم سلمة، فأكلت أم سلمة حاجتها، ثم خرجت بالقعبة، فنادى منادي رسول الله ﷺ إلى عشائه، فأكل أهل الخندق وهي كما هي<sup>٦</sup>.

### التمر المبارك:

ومن ذلك ما ورد من بركاته ﷺ على التمر، فعن دلي بن سعيد الخنعمي، والنعمان بن مقرن قالا: أتينا رسول الله ﷺ ونحن أربعون وأربعمئة نسأله الطعام، فقال النبي ﷺ لعمر: (قم فأعطهم)، فقال: يا رسول الله، ما عندي إلا ما يقيظني والصبية، قال: (قم فأعطهم)، قال: يا رسول الله، سمعا وطاعة، فقام عمر وقمنا معه وصعد بنا إلى غرفة له فإذا فيها من التمر مثل الفصيل الرابض قال: شأنكم، فأخذ كل رجل منا حاجته ما شاء

(١) رواه البخاري ومسلم، ورواه البيهقي: ٧ / ٨٣، ٨٨، ٨ / ٥٥ والحاكم: ٣ / ١٥ والبيهقي في الدلائل: ٦ / ١٠١.

(٢) الحيس: سمن وأقط وربما جعل عوض الأقط دقيق.

(٣) التور: إناء من مدر أو حجارة.

(٤) أحد رواة الحديث.

(٥) رواه أبو يعلى وأبو نعيم وابن عساكر، انظر: البداية والنهاية: ٦ / ١٢٧.

(٦) رواه ابن عساكر.

قال: وإني لمن آخرهم فكأننا لم نرزأ منه ثمرة<sup>١</sup>.

وفي حديث آخر عن أبي رجاء قال: خرج رسول الله ﷺ حتى دخل حائطاً لبعض الأنصار، فإذا هو يسنو فيه، فقال: (ما تجعل لي إن أرويت حائطك هذا)، قال: إني أجهد أن أرويه، فلا أطيق ذلك فقال له رسول الله ﷺ: (تجعل لي مائة ثمرة أختارها من تمرك) قال: نعم، فأخذ رسول الله ﷺ التراب فما لبث أن أرواه حتى قال الرجل: غرقت على حائطي فاخترت رسول الله ﷺ من ثمرة مائة ثمرة، قال: فأكل رسول الله ﷺ وأصحابه حتى شبعوا، ثم رد عليه مائة ثمرة كما أخذها<sup>٢</sup>.

وفي حديث آخر عن رجل من بني سعد، قال: جئت مع رسول الله ﷺ وهو في نفر من أصحابه وهو سابعهم، فأسلمت، فقال: (يا بلال، أطعمنا)، فيسطن نطعنا ثم جعل يخرج شيئاً له، فأخرج شيئاً من تمر معجون بالسمن والأقط، فقال رسول الله ﷺ: (كلوا)، فأكلنا حتى شبعنا، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أكل هذا وحدي.

ثم جئته من الغد، فإذا عشرة نفر حوله، فقال: (أطعمنا يا بلال)، فجعل يخرج من جراب تمرًا بكفه قبضه قبضة، فقال: (أخرج، ولا تخف من ذي العرش إقلالا)، فجاء بالجراب، فنثره فحزرته مدين، فوضع النبي ﷺ يده على التمر، ثم قال: (كلوا باسم الله)، فأكل القوم، وأكلت معهم حتى ما أجد له مسلكا، وبقي على النطع مثل الذي جاء به كأننا لم نأكل منه ثمرة واحدة.

ثم غدونا من الغد، وعاد نفر عشرة يزيدون رجلاً أو رجلين، فقال: (يا بلال، أطعمنا)، فجاء بذلك الجراب بعينه، فنثره فوضع يده عليه، وقال: (كلوا باسم الله) فأكلنا، ثم رفع مثل الذي صب ففعل ذلك ثلاثة أيام<sup>٣</sup>.

وفي حديث آخر عن أبي هريرة ؓ قال: دعاني رسول الله ﷺ ليلة، فانطلق إلى المنزل فقال: (هلموا إلى الطعام الذي عندكم)، فأعطوني صحيفة فيها عصيدة بتمر، فأتيته بها، فقال: (ادع أهل المسجد) فقلت في نفسي: الويل لي مما أرى من قلة الطعام، والويل لي من المعصية، فدعوتهم، فاجتمعوا، فوضع النبي ﷺ أصابعه فيها وغمز نواحيها وقال: (كلوا باسم الله) فأكلوا حتى شبعوا، وأكلت حتى شبعت، ورفعتها، فإذا هي كهيتها حين وضعتها إلا أن فيها أثر الأصابع<sup>٤</sup>.

وفي حديث آخر عن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ بتبوك، فقال ليلة لبلال: (هل من عشاء؟) فقال: والذي بعثك بالحق لقد نفضنا جرابنا، قال: (انظر عسى تجد شيئاً)، فأخذ الجراب ينفضها جراباً جراباً، فتقع التمرة والتمرتان حتى رأيت في يده سبع تمرات ثم دعا بصحفة فوضع التمر فيها ثم وضع يده على التمرات وقال: (كلوا باسم الله) فأكلنا ثلاثة أنفس فأحصيته أربعاً وخمسين ثمرة أعدها

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن حبان.

(٢) رواه الطبراني وأبو نعيم وابن عساکر بسند لا بأس به.

(٣) رواه أبو نعيم معضلاً.

(٤) رواه الطبراني في الكبير بسند حسن: ١٨ / ١٣٨، وانظر المجمع: ٨ / ٣١١.

عدا ونواها في يدي الاخرى وصاحي يصنعان كذلك فشبعنا ورفعنا أيدينا فإذا التمرات السبع كما هن فقال: ( يا بلال ارفعهن، فإنه لا يأكل منها أحد إلا نهل منها شبعاً ) فلما كان من الغد دعا بلالاً بالتمر فوضع يده عليها ثم قال ( كلوا باسم الله )، فأكلنا حتى شبعنا وإنا لعشرة ثم رفعنا أيدينا، وإذا التمرات كما هي، فقال رسول الله ﷺ: ( لولا أني مستح من ربي لاكلنا من هذه التمرات حتى نرد إلى المدينة عن آخرنا ) فأعطاهن غلاماً فولى يلو كهن<sup>١</sup>.

### البيض المبارك:

ومن ذلك ما ورد من بركاته ﷺ على بيض قليل كفى جماعة كبيرة من الناس، فعن أنس عن جابر رضي الله عنه قال: لما أراد رسول الله ﷺ غزو ذات الرقاع جاء له حبه زيد بثلاث بيضات أداحي، فقال: يا رسول الله، وجدت هذه البيضات في مفحص نعام، فقال: ( دونك يا جابر، فاعمل هذه البيضات ) فعملتهن ثم جئت بهن في قصعة، فجعلت أطلب خبزاً، فلا أجده، فجعل رسول الله ﷺ وأصحابه، يأكلون من ذلك البيض بغير خبز حتى انتهى إلى حاجته، والبيض في القصعة كما هو ثم قام، فأكل منه عامة أصحابه، ثم رحلنا مبردين<sup>٢</sup>.  
قال ابن سعد: وكانوا أربعمائة ويقال: سبعمائة.

### الثريد المبارك:

ومن ذلك ما ورد من بركاته ﷺ على ثريد قليل كفى جماعة كبيرة من الناس، فعن أنس عن وائلة بن الاسقع، قال: بعثني أهل الصفة إلى رسول الله ﷺ يشكون الجوع فالتفت في بيته، فقال: ( هل من شيء؟ ) قالوا: نعم، كسرة أو كسرتين وشيء من لبن فأتي به، ففتوه فتاً دقيقاً، ثم صب عليه اللبن ثم حلبه بيده حتى جعله كالثريد ثم قال: ( يا وائلة، إدع عشرة من أصحابك ) ففعلت، فقال رسول الله ﷺ: ( كلوا باسم الله من حواليتها، وأبقوا رأسها فإن البركة تأتيها من فوقها وإها تمد ) فرأيتهم يأكلون ويتخللون أصابعه حتى تمتلوا شبعاً ثم ذهبوا، فقال: ( جئ بعشرة )، فقال لهم مثل ذلك، فأكلوا حتى شبعوا ثم قال: ( هل بقي أحد )، قلت: نعم، عشرة، قال: ( جئ بهم )، فقال لهم مثل ما قال لمن قبلهم فأكلوا حتى شبعوا، وحتى انتهوا وإن فيها فضلة، فقامت متعجبا مما رأيت<sup>٣</sup>.

### الطحين المبارك:

ومن ذلك ما ورد من بركاته ﷺ على طحين قليل كفى جماعة كبيرة من الناس، فعن أنس عن صفية أم المؤمنين — رضي الله عنها — قالت: جاءني رسول الله ﷺ يوماً، فقال: ( هل عندك شيء فإني جائع )، قلت: لا، إلا مدين من طحين قال: ( فاسخنيه ) فجعلته في القدر وأنضجته، فقلت: قد نضج، ثم دعا ينحني لس فيه إلا القليل، فعصر حافتيه في القدر موضع يده، فقال: ( بسم الله ادعي أخواتك، فإني أعلم أمهن يجدن مثل ما أجد )

(١) رواه أبو نعيم وابن عساکر، انظر: الجامع الكبير للسيوطي ٢ / ٥٦٦ والبداية والنهاية (٦ / ١٢٢ - ١٢٣).

(٢) رواه ابن سعد.

(٣) رواه الطبراني والحاكم وصححه وأبو نعيم وابن عساکر.

فدعوتهم فأكلنا حتى شبعنا، ثم جاء أبو بكر، فدخل، ثم عمر، ثم جاء رجل فأكلوا حتى شبعوا وفضل عنهم<sup>١</sup>.  
**الأحشاء المباركة:**

ومن ذلك ما ورد من بركاته ﷺ على أحشاء شاة أطعم بها جمعا كبيرا من الناس، فعن عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ ثلاثين ومائة فقال: (هل مع أحد منكم من طعام؟) فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه، فعمجن ثم جاء رجل مشرك مشعان طويل بغنم يسوقها، فاشترى منه رسول الله ﷺ شاة فصنعت، وأمر رسول الله ﷺ بسواد البطن<sup>٢</sup> أن يشوى، قال: وايم الله، ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حز له رسول الله ﷺ حزة حزة من سواد بطنها، إن كان شاهدا أعطاه، وإن كان غائبا حبا له، وجعل منها قصعتين فأكلنا منها أجمعون، وشبعنا وفضل في القصعتين، فحملته على البعير<sup>٣</sup>.

### طعام من السماء:

بالإضافة إلى هذا كله، فقد روي نزول الطعام من السماء، كما حدث عن ذلك أبو سلمة بن نفيل السكوني ﷺ قال: كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ إذ قال له قائل: يا رسول الله، هل أتيت بطعام من السماء، وفي لفظ: من الجنة<sup>٤</sup>؟ قال: (نعم)، قال: وماذا؟ قال: (بطعام مسخنة<sup>٥</sup>)، قالوا: فهل كان فيها فضل عنك؟ قال: (نعم)، قال: فما فعل به؟ قال: (رفع إلى السماء)<sup>٦</sup>.

وفي حديث آخر عن الحراث بن عجد حدثني يقال له أبو سعيد، قال: قدمت المدينة، فسمعت رجلا يقول لصاحبه: إن رسول الله ﷺ قرى الليلة، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله بلغني أنك قرئت الليلة، قال: (أجل)، قلت: وما ذاك؟ قال: (طعام فيه مسخنة)، قلت: فما جعل في فضله؟ قال: (رفع)<sup>٧</sup>.  
وبذلك حصل في هذه الأمة ما أخبر عنه القرآن الكريم من تنزل المائدة على الحواريين بعد أن طلبوا تزلها من المسيح كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾

(١) رواه الطبراني، انظر: مجمع الزوائد: ٨ / ٣٠٩.

(٢) سواد البطن: الكبد، وقيل حشوه كله.

(٣) رواه البخاري ٣ / ١٤، ٢١٣، ومسلم في الأشربة (١٧٥) وأحمد ١ / ١٩٧، ١٩٨، والبيهقي في الكبرى ٩ / ٢١٥ وفي الدلائل ٦ / ٩٥.

(٤) وقد روي في هذا بعض الأحاديث المنكرة والموضوعة منها:

ما وري عن ابن عباس ﷺ قال: أتى جبريل إلى النبي ﷺ فقال: إن ربك يقرئك السلام، وأرسلني إليك بهذا القطف لتأكله، فأخذ رسول الله ﷺ.

فقد رواه ابن عساكر من طريق حفص بن عمر الدمشقي عرف بصاحب القطف، قال البخاري: لا يتابع عليه، وقال الذهبي: خبر منكر.

ومنها خبر حوط بن مرة، قيل: يا رسول الله هل أتيت من طعام الجنة بشيء؟ قال: «نعم، أتاني جبريل بخبيصة من خبيص الجنة فأكلتها»

قال ابن حجر في الإصابة: هذا حديث موضوع.

(٥) مسخنة: وهي قدر كالتور يسخن فيها الطعام.

(٦) رواه أحمد والنسائي والدارمي والحاكم وصححه، وقال الذهبي في مختصر المستدرک: إنه من غرائب الصحاح.

(٧) رواه ابن عساكر، كما في التهذيب ٣ / ٤٦٤، ورواه البخاري في التاريخ ٩ / ٣٤.

السَّمَاءَ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا  
وَتَكُونَ عَلَيَّهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً  
لِأَوْلَانَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ  
فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ (المائدة)

## ٥ — المياه مباركة

قال رجل من الجمع: لم يبق إلا أن تحدثنا عن بركات محمد في المياه، فحدثنا عنها.  
قال عبد القادر: لقد وردت النصوص الكثيرة التي تدل على ما حصل من بركاته ﷺ على المياه سواء كانت آبارا جافة، فتتحول إلى آبار مملوءة ماء، أو مياه مالحة، فتتحول إلى مياه عذبة، أو يحتاجون إلى الماء، فيبارك الله ببركة نبيه ﷺ فيما عندهم من الماء، فيتحول القليل كثيرا.  
وسأذكر لكم من النصوص الدالة على ذلك ما تقر به أعينكم، وتعلمون أن من حصل منه كل هذا، وأمَام كل تلك الجموع، وبكل تلك الأسانيد، يستحيل أن يكون كاذبا:

### آبار وعيون:

فمن بركاته ﷺ على الآبار والعيون بركاته ﷺ على **بئر تبوك**، وذلك فيما حدث به معاذ بن جبل رضي الله عنه، حيث ذكر أن رسول الله ﷺ قال في غزوة تبوك: (إنكم ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي )  
قال معاذ: فجننا، وقد سبق إليها رجلان، والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء، فسألهما رسول الله ﷺ: (هل مسيتما من مائها شيئا؟) قالوا: نعم، فاشتد عليهما رسول الله ﷺ، وقال لهما ما شاء الله أن يقول.  
ثم غرفوا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع في شيء، ثم غسل رسول الله ﷺ وجهه ويديه، ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء كثير، فاستقى الناس، ثم قال رسول الله ﷺ: (يا معاذ، يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ماء ههنا قد ملئ جنانا)<sup>١</sup>

ومن ذلك ما ورد من بركاته ﷺ على **بئر بقاء**، فعن يحيى بن سعيد أن أنس بن مالك آتاهم بقاء، فسأله عن بئر هناك، قال: فدللته عليها فقال: لقد كانت هذه، وإن الرجل لينضح على حمارة فتترج، فجاء رسول الله ﷺ وأمر بذنوب، فسقى، فإما أن يكون توضأ منه، وإما أن يكون تفل فيه، ثم أمر به، فأعيد في البئر، فما نرحت بعد<sup>٢</sup>.

ومن ذلك ما ورد من بركاته ﷺ على **بئر باليمن**، فعن زياد بن الحارث الصدائي قال: قلت: يا رسول الله، إن بئرنا إذا كان الشتاء وسعنا ماؤها واجتمعنا عليها، وإذا كان في الصيف قل ماؤها وتفرقتنا عن مياه حولنا، وقد أسلمنا وكل من حولنا لنا عدو، فادع الله لنا في بئرنا، فيسقيننا ماؤها، فنجتمع عليها، ولا نتفرق.  
فدعا رسول الله ﷺ بسبع حصيات، فعركهن بيده، ودعا فيهن، ثم قال: (أذهبوا بهذه الحصيات، فإذا أتيتم البئر فألقوا واحدة واحدة، واذكروا اسم الله عز وجل)، قال: ففعلنا ما قال لنا، فما استطعنا أن ننظر إلى قعرها (يعني البئر)<sup>٣</sup>.

ومن ذلك ما ورد من بركاته ﷺ على **قطيعة برهاط**، فعن راشد بن عبد ربه السلمي قال: كان الصنم

(١) أحمد: (٢٣٧ / ٥، ٢٣٨).

(٢) رواه البيهقي.

(٣) البيهقي في الدلائل: ٤ / ١٢٧، ٥ / ٣٥٧ وابن كثير في البداية: ٥ / ٨٤.

الذي يقال له سواع بالمعلاة، قال: فأرسلتني بنو ظفر بهدية إليه، فألقيت مع الفجر إلى صنم قبل صنم سواع، وإذا صارخ يصرخ من جوفه: (العجب كل العجب من خروج نبي من بني عبد المطلب، يحرم الزنا والربا والذبح للأصنام، وحرست السماء ورمينا بالشهب)، ثم هتف هاتف من جوف صنم آخر: (ترك الضماد، وكان يعبد، خرج أحمد نبي يصلي الصلاة ويأمر بالزكاة والصيام والبر والصلة للارحام)، ثم هتف من جوف صنم آخر هاتف: (إن الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتدي نبي يخبر بما سبق، وما يكون في غد)

قال راشد: فألقيت سواعا مع الفجر، وثعلبان يلحسان ما حوله، ويأكلان ما يهدى له ثم يعرجان عليه بيوههما، فعند ذلك أقول في ذلك:

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من البت عليه الثعالب

وذلك عند مخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة، فخرج راشد حتى أتى إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، فأسلم وبايعه، ثم طلب منه قطعة برهاط، فأقطعه إياها، وأعطاه أداة مملوءة من ماء، وتفل فيها، وقال له: (أفرغها في أعلى القطيعة ولا تمنع الناس فضولها)، ففعل فجاء الماء عينا حمة إلى اليوم، فغرس عليها النخل.

وقد روي: إن رهاط كلها تشرب منه وسماه الناس: ماء الرسول، وأهل رهاط يغتسلون منه ويستقون به<sup>١</sup>. ومن ذلك ما ورد من بركاته ﷺ على **بئر أنس**، فعن أنس رضي الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ منزلنا، فسقيناه من بئر كانت لنا في دارنا، وكانت تسمى في الجاهلية (التزور) فتفل فيها فكانت لا تترح بعد.

ومن ذلك ما ورد من بركاته ﷺ على **بئر الحديبية**، فعن البراء وسلمة بن الأكوع — رضي الله عنهما — قالوا: قدمنا مع رسول الله ﷺ الحديبية، ونحن أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فترحناها، فلم نترك فيها قطرة، فقعد رسول الله ﷺ على شفيرها، قال البراء: وأتى بدلو فيه ماء فبصق ودعا، ثم قال: (دعوها ساعة) وقال سلمة: فجاشت، فأرووا أنفسهم وركابهم بالماء، فسقيننا واستقينا<sup>٢</sup>.

ومن ذلك ما ورد من بركاته ﷺ على **بئر غرس**<sup>٣</sup>، فعن أنس رضي الله عنه قال: جئنا مع رسول الله ﷺ إلى قباء، فانتهى إلى بئر غرس، وإنه ليستقى منه على حمار، ثم تقوم عامة النهار ما نجد فيها ماء، فمضمض في الدلو وورده، فجاشت بالرواء<sup>٤</sup>.

### تكثير الماء:

ومن بركاته ﷺ المرتبطة بالمياه تكثيره الماء القليل، فيكفي الجمع الكثير، وقد حصل ذلك مرات كثيرة: ومنها ما حدث به أنس رضي الله عنه فذكر أن رسول الله ﷺ كان في سفر، فقال لابي قتادة: (أمعكم ماء؟)، قلت: نعم، في مياضة فيها شئ من ماء، قال: (ائت بها)، قال: فأتيتها بها، فقال لأصحابه: (تعالوا مسوا منها فتوضؤوا

(١) رواه أبو نعيم في الدلائل.

(٢) رواه البخاري ومسلم، وفي غير روايتهما من طريق ابن شهاب فأخرج سهما من كنانته فوضعه في قلب بئر ليس فيه ماء فروى الناس حتى ضربوا بعطن خيامها.

(٣) بئر غرس: بئر بالمدينة.

(٤) رواه ابن سعد.



(، وجعل يصب عليهم، فتوضأ القوم، وبقيت جرعة، فقال: ( يا أبا قتادة، احفظها، فإنها ستكون لها نأ )  
 فذكر الحديث إلى أن قال: فقالوا: يا رسول الله، هلكننا عطشنا، انقطع الاعناق، فقال: ( لا هلك عليكم  
 )، ثم قال: ( يا أبا قتادة، ائت بالمياضة )، فأتيته بها، فقال: (أطلقوا لي غمري ) - يعني قدحي - فحللته فأتيته  
 به، فجعل يصب فيه ويسقي الناس، فزدهم الناس، فقال رسول الله ﷺ: (أيها الناس أحسنوا الملا، فكلكم  
 سيروى)

فشرب القوم، وسقوا دوابهم وركابهم وملئوا ما كان معهم من إداوة وقربة ومزادة حتى لم يبق غيري  
 وغيره، قال: ( اشرب يا أبا قتادة )، قلت: اشرب أنت يا رسول الله، قال: ( ساقى القوم آخرهم شربا )،  
 فشربت، وشرب بعدي، وبقي في المياضة نحو مما كان فيها وهم يومئذ ثلاثمائة<sup>١</sup>.  
 ومنها ما حصل في غزوة هوازن، وذلك فيما حدث به سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، فقال: غزونا مع رسول الله  
 ﷺ هوازن فأصابنا جهد شديد فأتى بشئ من ماء في إداوة، فأمر بما فصبت في قدح، فجعلنا نتطهر حتى تطهرنا  
 جميعا.

وفي لفظ: فأفرغها في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة<sup>٢</sup> وكنا أربع عشرة مائة<sup>٣</sup>.

ومنها ما حدث به عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فاشتكى إليه الناس  
 العطش، فترل ثم دعا عليا، ورجلا آخر<sup>٤</sup>، فقال: ( اذهبا فابغيا الماء فإنكما ستجدان امرأة بمكان كذا وكذا معها  
 بعير عليه مزادتان<sup>٥</sup> فأتيا بها )، فانطلقا فلقيتا امرأة بين مزادتين من ماء على بعير لها، فقالا لها: أين الماء؟ قالت:  
 عهدي بالماء أمس هذه الساعة، فقالا لها: انطلقي إذا، قالت: إلى أين؟ قالا: إلى رسول الله ﷺ قالت: الذي  
 يقال له الصابئ؟ قالا: هو الذي تعنين<sup>٦</sup>، فانطلقا فجاءا بها إلى النبي ﷺ وحدثاه بالحديث، قال: فاستترلوهما عن  
 بعيرها ودعا النبي ﷺ بإناء، فأفرغ فيه من أفواه المزادتين، فمضمض في الماء، وأعادته في أفواه المزادتين، وأوكأ  
 أفواههما، وأطلق الغرارتين، ونودي في الناس: ( اسقوا، واستقوا )، فسقى من شاء، واستقى من شاء، وملأنا  
 كل قربة معنا وإداوة، وهي قائمة تنظر ما يفعل بمائها وأم الله، لقد أفلح عنها، وإنما ليخيل إليها أنها أشد ملقة  
 منها حيث ابتدأ فيها فقال النبي ﷺ: ( اجمعوا لها طعاما )، فجمعوا لها ما بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها  
 طعاما، فجعلوه في ثوب، وحملوها على بعيرها، ووضعوا الثوب بين يديها، وقالوا لها: تعلمين ما رزأنا من مائك  
 شيئا، ولكن الله هو الذي أسقانا.

(١) مسلم: ١ / ٤٧٢ ( ٣١١ / ٦٨١ )، وأبو داود في الادب باب (١٣٠) والنسائي ١ / ٧٦ وأحمد ١ / ٣٩٨ والدارمي ١ / ٣٥٨.

(٢) دغفقة: يدفعه ويصبه صبا كثيرا.

(٣) الدلائل للبيهقي (٤ / ١١٩).

(٤) وفي رواية: وعمران بن حصين.

(٥) المزادتان: تنبية مزادة وهي قربة كبيرة يزداد فيه جلد من غيرها ويسمى أيضا السطيحة والمراد بها الراوية.

(٦) ذكر العلماء حسن الأدب الذي حوى عليه قول علي رضي الله عنه ورفيقه لها لما قالت: الصابئ: (هو الذي تعنين)، لأنه لو قالوا  
 لها: لا، لفات المقصود، أو نعم، لما حسن بهما، إذ فيه طلب تقرير ذلك، فنخلصنا أحسن تخلص.

فجاءت المرأة أهلها فأحبرتهم، فقالت: جئتكم من أسحر الناس، أو إنه لرسول الله حقا، قال: فجاء أهل ذلك الحواء<sup>١</sup> حتى أسلموا كلهم<sup>٢</sup>.

### نبع الماء:

ومن بركاته ﷺ المرتبطة بالمياه ما وردت به النصوص الكثيرة المتواترة من نبع الماء على يده الشريفة إما من الأرض، أو من بين أصابعه الشريفة:

أما من الأرض، فمما ورد في ذلك من الروايات ما حدث به خديج بن سدرة بن علي السلمي من أهل قباء عن أبيه عن جده قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا القاحة وهي التي تسمى اليوم السقيا، لم يكن بها ماء، فبعث رسول الله ﷺ إلى مياه بني غفار على ميل من القاحة، ونزل رسول الله ﷺ في صدر الوادي، واضطجع بعض أصحابه ببطن الوادي، فبحث بيده في البطحاء فندبت فجلس ففحص، فانبعث عليه الماء، فأخبر النبي ﷺ فسقى واستقى جميع من معه حتى اكتفوا فقال رسول الله ﷺ: (هذه سقيا سقاكموها الله عز وجل) فسميت السقيا<sup>٣</sup>.

وأما من بين أصابعه الشريفة، فقد بلغ من الكثرة ما وصل به حد التواتر<sup>٤</sup>، وسأذكر لكم منه ما تقر به أعينكم، وتعلمون أن من هذا يستحيل أن يكون مدعيا، فبركات الله لا تتزل إلا على الصادقين من عباد الله: فمما روي من ذلك ما حدث به أنس، قال: كان رسول الله ﷺ بالزوراء، وحانت صلاة العصر، والتمس الناس الوضوء فلم يجدوا ماء، فأتى رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع رسول الله ﷺ يده في ذلك الاناء، فحين بسط يده فيه فضم أصابعه فأمر الناس أن يتوضأوا منه، فرأيت الماء ينبع من بين أصابع النبي ﷺ فتوضأوا من عند آخرهم.

قال قتادة: قلت لانس: كم كنتم؟ قال: كنا زهاء ثلثمائة<sup>٥</sup>.

ومن ذلك ما حدث به عبد الله بن مسعود — رضي الله عنه — قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ليس معنا ماء، فقال: اطلبوا من معه فضل ماء، فأتى بماء فوضعه في إناء، فوضع يده فيه، فجعل الماء يجري — وفي لفظ يخرج من بين أصابعه — ثم قال: (حي على الطهور المبارك، البركة من الله) فتوضأوا وشربوا، قال عبد الله: كنا نسمع تسييح الطعام وهو يؤكل<sup>٦</sup>.

(١) الحواء: القرية المجتمعة على الماء.

(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٣) رواه أبو نعيم.

(٤) قال القرطبي: قصة نبع الماء من بين أصابعه ﷺ تكررت منه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة، ووردت عنه من طرق كثيرة يفيد عمومها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي، قال: ولم يسمع بمثل هذه المعجزة العظيمة من غير نبينا ﷺ حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه.

ونقل ابن عبد البر عن المزني أنه قال: نبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى ﷺ بالعصا فتفجرت منه المياه، لان خروج الماء من الحجاره معهود، بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

(٦) رواه النسائي والبيهقي وابن مردويه.

**ومن ذلك** ما رواه الحسن البصري، عن أنس — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم لبعض مخارجه، معه ناس من أصحابه، فانطلقوا يسرون، فحضرت الصلاة فلم يجد القوم ماء يتوضئون به، فقالوا: يا رسول الله، والله ما نجد ماء نتوضأ به، ورأى في وجوه أصحابه كراهية ذلك، فانطلق رجل من القوم، فجاء بقدر فيه ماء يسير، فأخذ رسول الله ﷺ فتوضأ منه، ثم مد أصابعه الأربع في القدر، ثم قال: (هلموا فتوضأوا) فتوضأ القوم حتى بلغوا ما يريدون، قال الحسن: سئل أنس كم بلغوا؟ قال: سبعين أو ثمانين<sup>١</sup>.

**ومن ذلك** ما حدث به زياد بن الحارث، فذكر أنه كان مع رسول الله ﷺ في سفر، فقال له: (هل معك من ماء؟)، فقلت: لا إلا شئ قليل لا يكفيك، فقال: (اجعله في إناء واتني به)، ففعلت فوضع كفه في الماء، فرأيت الماء بين أصبعين من أصابعه عينا تفور، فقال: (ناد في أصحابي من كان له حاجة في الماء)، فناديت فيهم فأخذ من أراد منهم<sup>٢</sup>.

**ومن ذلك** ما حدث به جابر بن عبد الله — رضي الله عنهما — قال: عطش الناس يوم الحديبية، وكان الذي بين يديه ركوة يتوضأ منها وجهش الناس نحوه، قال: (مالكم؟) قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ به، ولا ماء نشربه إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا، قال سالم: قلت لجابر: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة<sup>٣</sup>.

**ومن ذلك** ما حدث به أبو قتادة، قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ نسير في الجيش إذ لحقهم عطش كاد يقطع أعناق الرجال والخيل والركاب عطشنا، فدعا بركوة فيها ماء فوضع أصابعه عليها، فنبع الماء من بين أصابعه، فاستقى الناس، وفاض الماء حتى رووا خيلهم وركابهم، وكان من العسكر اثنا عشر ألف بعير، والناس ثلاثون ألفاً، والخيل اثنا عشر ألف فرس<sup>٤</sup>.

**ومن ذلك** ما حدث به ابن عباس — رضي الله عنه — قال: أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم، وليس في العسكر ماء، فقال رجل: يا رسول الله، ليس في العسكر ماء، قال: هل عندك شئ؟ قال: نعم فأتي بإناء فيه شئ من ماء فجعل رسول الله ﷺ أصابعه في الإناء وفتح أصابعه، قال: فرأيت العيون تنبع من بين أصابع النبي ﷺ

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه الحارث بن أبي أسامة والطبراني وأبو نعيم والبيهقي.

(٣) رواه البخاري ومسلم، وهذا الحديث لا يتعارض مع ما ورد في حديث البخاري عن البراء بن عازب قال: كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة، والحديبية بئر فتحناها فلم نترك فيها قطرة ماء فبلغ رسول الله ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء فمضمض وبخ في البئر، فمكث غير بعيد ثم استقينا حتى روينا وصررنا ركائبنا. لأن كل حديث له محل خاص، بالإضافة إلى أن بركته ﷺ المرتبطة بالبئر مستمرة باقية في البئر بخلاف نبع الماء بين أصابعه الذي غطي حاجة الصحابة للماء في ذلك المحل فقط.

وقد جمع ابن حجر بينهما، فقال: ويحتمل أن يكون الماء لما انفجر من بين أصابعه ويده في الركوة وتوضئوا كلهم وشربوا أمر حينئذ بصب الماء الذي بقي في الركوة في البئر، فتكاثر الماء فيها.

وفي هذا الجمع بعض التكلف، وأولى منه القول بتعدد الحوادث، وهو ما ذكره ابن حبان.

(٤) رواه رواه أبو نعيم.

فأمر بلالا ينادي في الناس بالوضوء المبارك<sup>١</sup>.

**ومن ذلك** ما حدث به ابن عباس — رضي الله عنه — أيضا، قال: دعا رسول الله ﷺ بلالا، فطلب الماء، فقال: لا والله ما وجدت، قال: (هل من شيء؟)، فأتاه بشيء فبسط كفه فيه، فأنبعثت تحت يده عين، فكان ابن مسعود يشرب وغيره يتوضأ<sup>٢</sup>.

**ومن ذلك** ما حدث به أبو ليلى الأنصاري، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فأصابنا عطش، فشكونا إليه، فأمره بحفرة فوضع عليها نطعا، ووضع يده عليها، وقال: (هل من ماء؟)، فأتي بماء، فقال لصاحب الإداوة: (صب الماء على كفي، واذكر اسم الله)، ففعل.

قال أبو ليلى: (فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع النبي ﷺ حتى روى القوم وسقى ركاهم)<sup>٣</sup>

**ومن ذلك** ما حدث به جابر — رضي الله عنه — أيضا قال: غزونا مع رسول الله ﷺ ونحن يومئذ بضع عشرة ماء، فحضرت الصلاة، فقال رسول الله ﷺ: (وهل في القوم من ماء؟)، فجاءه ماء وعبه رسول الله ﷺ في قرح، وتوضأ رسول الله ﷺ فأحسن الوضوء، ثم انصرف وترك القرح فركب الناس القرح وقالوا: تمسحوا تمسحوا، فقال رسول الله ﷺ: (على رسلكم) حين سمعهم يقولون ذلك، قال: فوضع رسول الله ﷺ كفه في الماء ثم قال: (سبحان الله)، ثم قال: (أسبغوا الوضوء)

قال جابر: والذي ابتلاني ببصري، فلقد رأيت العيون عيون الماء يومئذ تخرج من بين أصابع النبي ﷺ فما رفعهما حتى توضأوا أجمعون<sup>٤</sup>.

**ومن ذلك** ما حدث به جابر — رضي الله عنه — أيضا، قال: إن رسول الله ﷺ قال له في غزوة ذات الرقاع: (يا جابر، ناد بوضوء)، فقلت: ألا وضوء، ألا وضوء، قلت: يا رسول الله، ما وجدت في الركب من قطرة، وكان رجل من الانصار يريد لرسول الله ﷺ الماء، فقال لي: (انطلق إلى فلان الأنصاري، فانظر هل في أشجابه من شيء)، فانطلقت إليه، فنظرت فيها فلم أجد فيها إلا قطرة من عزلاء شجبت منها لو أني أفرغه لشربة يابسة، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: (إذهب فأتييني به، فذهبت فأتيته به فأخذته بيده فجعل يتكلم بشيء لا أدري ما هو، ويغمزه بيده، ثم أعطانيه، فقال: (يا جابر، ناد بجفنة الركب)، فقلت: يا جفنة الركب، فأتيته بها فوضعت بين يدي رسول الله، فقام رسول الله ﷺ بيده في الجفنة هكذا، فبسطها في الجفنة وفرق بين أصابعه ثم وضعها في قعر الجفنة وقال: (خذ يا جابر، فصب علي، وقل: (بسم الله)، فرأيت الماء يفرور من بين أصابعه، ففارت الجفنة، ودارت حتى امتلأت، فقال: (يا جابر، ناد من كانت له حاجة بماء)، فأتي الناس، فاستقوا حتى رووا ورفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة، وهي مملوءة.

**ومن ذلك** ما حدث به أبو رافع، حيث ذكر أنه خرج مع رسول الله ﷺ في سفر، فقال: (يا قوم كل

(١) رواه أحمد والبخاري.

(٢) رواه الدرامي وأبو نعيم.

(٣) رواه الطبراني وأبو نعيم.

(٤) رواه البخاري ومسلم، قال ابن كثير: وظهره أنها قصة أخرى غير ما تقدم.

(٥) رواه مسلم والبيهقي وأبو نعيم.

رجل يلتمس من إداوته)، فلم يجدوا غير واحد في إناء، ثم قال: (توضئوا)، فنظرت إلى الماء وهو يفرور من بين أصابع النبي ﷺ حتى توضع الركب أجمعون، ثم جمع كفيه فما خلتها إلا النطفة التي صب أول مرة<sup>١</sup>.  
**ومن ذلك** ما ما حدث به أبو عمرة الانصاري — رضي الله عنه — قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة غزاهما، وأصاب الناس مخمصة، ثم دعا بركوة، فوضعت بين يديه، ثم دعا بماء، وصبه فيها، ثم مسح فيها بما شاء الله أن يتكلم، ثم أدخل خنصره فيها، فأقسم بالله لقد رأيت أصابع النبي ﷺ تفجر ماء مع الماء، ثم أمر الناس فشربوا وملأوا قربهم وإداوتهم، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد عبده ورسوله لا يلقى الله بهما أحد يوم القيامة إلا دخل الجنة)<sup>٢</sup>

**ومن ذلك** ما حبان بن بوح الصدائي قال: كفر قومي، فأخبرت أن النبي ﷺ جهز جيشا لهم، فأتيته، فقلت: إن قومي على الإسلام، قال: كذلك، قلت: نعم، واتبعت ليلتي إلى الصباح، فأذنت بالصلاة لما أصبحت وأعطاني إناء فتوضأت منه، فجعل النبي ﷺ أصابعه في الإناء فنبع عيون، فقال: (من أراد منكم أن يتوضأ، فليتوضأ)، فتوضأت وصليت فأمرني عليهم وأعطاني صدقتهم، فقال رجل: يا رسول الله إن فلانا ظلمني فقال رسول الله ﷺ: (لا خير في الإمارة لرجل مسلم)، ثم جاء رجل يسأل الصدقة، فقال رسول الله ﷺ: (إن الصدقة صداع في الرأس وحرق في البطن أو داء)، فأعطيته صحيفتي أو صحيفة أمرتي وصدقني، فقال: (ما شأنك؟)، فقلت: كيف أقبلها وقد سمعت منك ما سمعت فقال: (هو ما سمعت)<sup>٣</sup>

#### عذوبة الماء:

ومما ورد في النصوص من عذوبة المياه المالحة ما حدث به همام بن نقيد السعدي قال: قدمت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله: حفرنا لنا بئرا، فخرجت مالحة، فدفعت إلي إداوة فيها ماء، فقال: (صبه)، فصبته فيها، فعذبت فهي أعذب ماء يثر باليمن<sup>٤</sup>.

\*\*\*

ما إن وصل عبد القادر من حديثه إلى هذا الموضوع حتى صاح الجمع المتلفين حوله بالتكبير، ثم تقدموا منه طالبين أن يبين لهم كيفية الاتصال بهذا النبي المبارك.  
 لم يجد بولس إلا أن يسير، وأسير خلفه، وقد حملت معي بصيصا جديدا من النور، اهتديت به بعد ذلك إلى شمس محمد.

(١) رواه أبو نعيم.

(٢) رواه أبو نعيم.

(٣) رواه أحمد والطبراني في الكبير والبيهقي في الدلائل.

(٤) رواه ابن السكن.

## ثالثا — دعوات

في اليوم الثالث..

طلب مني بولس أن نذهب إلى مستشفى موجود في حي قريب من ذلك الحي الذي نقيم به.  
قلت: كيف بدا لك أن تقطع تدريبي لتزور المرضى.. أم أن لك مريضا معيناً تريد أن تعود؟  
قال: لا.. لا أعرف أي مريض في ذلك المستشفى، اللهم إلا المتمارض الذي سيتولى إعانتي في الوظيفة التي سأزور ذلك المستشفى من أجلها.

قلت: متمارض.. ما الذي جعله يتمارض؟

قال: لم أجعله أنا.. هو الذي اقترح علي ذلك.. وهو على العموم لا يكذب في ادعائه، فمن الصحيح في هذه الأيام؟.. فكل الناس مرضى.. إن لم تمرض أجسادهم، فقلوبهم ونفوسهم مملوءة مرضاً.  
قلت: فأنت تريد أن تذهب لتبشير المرضى إذن؟

قال: إن تبشير المرضى أسلوب قديم من أساليب التبشير.. لقد مارسه المسيح.. ومارسه كل من بعده.  
بل إن المسيح أعطى لأتباعه هذه القدرة على الشفاء وإخراج الشياطين، وبذلك سار الرسل والقديسون بين الناس يشفونهم، ويخرجون منهم الشياطين، ويدعون لهم.  
وصلنا إلى المستشفى، وهناك وجدنا قاعة كبيرة تضم الكثير من المرضى، وكأهم حضروا لزيارتنا، وكان من بينهم ذلك الرجل المتمارض الذي كان يعمل معيناً لبولس، والذي ما إن رأنا حتى ارتمى ساقطاً مصروعاً يتخبط.

هرع إليه من حوله، محاولاً إفاقته، ولكنه لم يستفق.

جاء بعض المسلمين، وراح يقرأ القرآن، فلم يزد حاله إلا سوءاً.

أما المرضى البسطاء الذين كانوا في مستشفى يخلو من أكثر وسائل العلاج، فلم يجدوا ما يفعلوه، فتركوا للمحيطين به التصرف وفق ما تعودوا عليه.

وهنا، وفي ذلك الموقف الأليم الذي لم يجد الكل فيه أي حل، تدخل بولس المنقذ الذي جاء يمثل دور المسيح.

تقدم بولس من الرجل، وشهر أمامه وجهه صليبه الصغير، وقال: أيتها الشياطين، اخرجي باسم المسيح.  
تحرك الرجل حركة عنيفة مثلها أحسن تمثيل، فقال بولس: إني أمرك أيتها الشياطين أن تخرجي باسم الرب المسيح.

وهنا نطق الرجل بلسان غريب، وقال: سمعا وطاعة لربي المسيح.. فلا أخرج إلا باسمه.

ما إن قال ذلك حتى تحرك حركة عنيفة، ثم قام نشيطاً، وكأنه نشط من عقال.

لقد أدى دوره بإتقان عظيم، ولولا أي أعرفه، وأعرف الدور الذي كلف به، لانبهرت مثل الجميع بما حصل منه.

استغل بولس ذلك الانبهار، وتلك الوجوه التي تنظر إليها، وكأنه المنقذ الذي نزل عليها من السماء، فراح

يقول: لا تنظروا إلي — أيها الإخوان الفضلاء — فلست سوى عبد حقير لربه المسيح..  
 إن هذه السلطة سلطة ممنوحة لكل من أحب المسيح، وأخلص للمسيح.  
 أنتم مرضى، ولا شك أنكم تحتاجون إلى طبيب.. أتعلمون من هو الطبيب الأعظم.  
 سكتوا منتظرين جوابه، فقال: الطبيب الأعظم هو المسيح.. وليس هناك غير المسيح.  
 لأن كان بعض الأنبياء استطاعوا بقوة الله أن يُشفوا أحد المرضى أو بعض المرضى من أحد الأمراض أو  
 بعض الأمراض فقد كان المسيح يشفي كل المرضى من جميع الأمراض مهما كانت، فهو الطبيب الشافي الأعظم  
 الذي شفي جميع المرضى الذين قَدُموا إليه من جميع الأمراض.

لقد ذكر الكتاب المقدس أنه عندما أرسل يوحنا المعمدان اثنين من تلاميذه يسألان الرب يسوع المسيح إن  
 كان هو المسيح الآتي ( فَأَجَابَ يَسُوعُ: ) ( اذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوْحَنَّا بِمَا رَأَيْتُمَا وَسَمِعْتُمَا: إِنَّ الْعُمَى يُبْصِرُونَ وَالْعُرْجَ  
 يَمْشُونَ وَالْبُرْصَ يُطَهَّرُونَ وَالصَّمَّ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ وَالْمَسَاكِينَ يُبَشِّرُونَ ) ( لوقا: ٧/٢٢ )  
 لقد شفي المسيح جميع المرضى الذين قَدُموا إليه من جميع الأمراض مهما كانت أنواع أمراضهم ومهما  
 كان عددهم، ولأزيد من يقينكم بما ذكرت، سأذكر لكم نماذج لبعض المرضى الذين شفاهم المسيح، والأمراض  
 التي شفوا منها:

فمن الأمراض التي شفها المسيح، الحمى، فقد شفى ابن خادم الملك الذي كان مريضاً بالحمى، وطلب  
 من الرب يسوع المسيح أن يذهب إلى بيته ليُشفيه، فقال له: ( اذْهَبْ. إِنَّكَ حَيٌّ )، فشفي ابنه في تلك  
 اللحظة<sup>١</sup>.

كما شفي حماة سمعان أيضاً: ( وَكَانَتْ حَمَاةُ سَمْعَانَ قَدْ أَخَذَتْهَا حُمَى شَدِيدَةٌ. فَسَأَلُوهُ مِنْ أَجْلِهَا. فَوَقَفَ  
 فَوْقَهَا وَأَتَهَرَ الْحُمَى فَتَرَكَتَهَا! وَفِي الْحَالِ قَامَتْ وَصَارَتْ تَخْدِمُهُمْ ) ( لوقا: ٤/٣٨ - ٣٩ )

ومن الأمراض الخطيرة التي شفها داء الشلل، فقد شفى المسيح مقعدين ومفلوجين؛ فقد شفى مريض  
 بركة بيت حسدا الذي أقعده المرض في الفراش مدة ثمانٍ وثلاثين سنة عندما قال له: ( قُمْ. احْمِلْ سَرِيرَكَ  
 وَاَمْشِ ). فَحَالاً بَرِيَ الْإِنْسَانُ وَحَمَلَ سَرِيرَهُ وَمَشَى<sup>٢</sup>

وشفى مفلوج من مرض الفالج عندما أمره قائلاً: ( قُمْ احْمِلْ فِرَاشَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ! ) فَقَامَ وَمَضَى إِلَى  
 بَيْتِهِ ( متى: ٩/٦-٧ )

وشفى عبد قائد المئة من الفالج، وكان قائد المئة هذا يُؤمن أن المسيح يستطيع أن يُشفي عبده بكلمة دون  
 أن يذهب إليه: ( يَا سَيِّدُ لَسْتُ مُسْتَحِقًّا أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ سَقْفِي لَكِنْ قُلْ كَلِمَةً فَقَطْ فَيَبْرَأَ غُلَامِي )، فشفي  
 غلامه في تلك الساعة<sup>٣</sup>.

وشفى رجلاً يده يابسة فقال له: ( مَدِّ يَدَكَ )، فَمَدَّهَا. فَعَادَتْ صَحِيحَةً كَالْأُخْرَى ( متى: ١٢/١٣ )

(١) كما في ( يوحنا: ٤/٤٦-٥٤ )

(٢) كما في ( يوحنا: ٥/٩ )

(٣) انظر: ( متى: ٨/١٣ )

أما إخراج الشياطين والأرواح النجسة؛ فقد كان يُخرج الشياطين بكلمة الأمر منه، وكانت الشياطين عندما تراه تصرخ مرتاعة ومرتعة وتتوسل إليه أن لا يُرسلها إليّ الجحيم قبل الموعد، يقول الكتاب: (وَكَانَ فِي الْمَجْمَعِ رَجُلٌ بِهِ رُوحٌ شَيْطَانٍ نَجَسٍ فَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: (أَوْ مَا لَنَا وَلكَ يَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ! أَتَيْتَ لِتُهْلِكَنَا! أَنَا أَعْرِفُكَ مَنْ أَنتَ: قُدُوسُ اللَّهِ). فَانْتَهَرَهُ يَسُوعُ قَائِلًا: (أَخْرَسْ وَأَخْرَجْ مِنْهُ)، فَصَرَخَهُ الشَّيْطَانُ فِي الْوَسْطِ وَخَرَجَ مِنْهُ وَلَمْ يَضُرَّهُ شَيْئًا. فَوَفَعَتْ دَهْشَةً عَلَى الْجَمِيعِ وَكَانُوا يُخَاطَبُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَائِلِينَ: (مَا هَذِهِ الْكَلِمَةُ! لِأَنَّهُ بِسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ يَأْمُرُ الْأَرْوَاحَ النَّجَسَةَ فَتَخْرُجُ) (لوقا: ٣٣/٤-٣٦)

وأخرج الشيطان من أحرس مجنون: (وَفِيمَا هُمَا خَارِجَانِ إِذَا إِنْسَانٌ أَخْرَسٌ مَجْنُونٌ قَدَمُوهُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا أَخْرَجَ الشَّيْطَانُ تَكَلَّمَ الْأَخْرَسُ فَتَعَجَّبَ الْجُمُوعُ قَائِلِينَ: (لَمْ يَظْهَرْ قَطُّ مِثْلُ هَذَا فِي إِسْرَائِيلَ!) (متى: ٢٣/٩-٣٣)

وأخرج عددا كبيرا من الشياطين من مجنون كورة الجدرين: (وَلَمَّا خَرَجَ إِلَى الْأَرْضِ اسْتَقْبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمَدِينَةِ كَانَ فِيهِ شَيْطَانٌ مُنذُ زَمَانٍ طَوِيلٍ وَكَانَ لَا يَلْبَسُ ثَوْبًا وَلَا يُقِيمُ فِي بَيْتٍ بَلْ فِي الْقُبُورِ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعَ صَرَخَ وَخَرَّ لَهُ وَقَالَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: ( مَا لِي وَلكَ يَا يَسُوعُ ابْنُ اللَّهِ الْعَلِيِّ! أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ لَا تُعَذِّبَنِي ) لِأَنَّهُ أَمَرَ الرُّوحَ النَّجَسَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْإِنْسَانِ.. فَسَأَلَهُ يَسُوعُ: ( مَا اسْمُكَ؟) فَقَالَ: (لَجُنُونٌ). لِأَنَّ شَيْطَانِينَ كَثِيرَةً دَخَلَتْ فِيهِ. وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ لَا يَأْمُرَهُمْ بِالذَّهَابِ إِلَى الْهَابِوَةِ.. فَخَرَجَتِ الشَّيْطَانِينَ مِنَ الْإِنْسَانِ وَدَخَلَتْ فِي الْخَنَازِيرِ) (لوقا: ٢٧/٨-٣٢)

وشفى ابنة امرأة فينيقية سوريّة من الجنون كما في (مرقس: ٢٤/٧-٣٠)

وشفى امرأة بها روح ضعف: (وَإِذَا امْرَأَةٌ كَانَ بِهَا رُوحٌ ضَعْفٍ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً وَكَانَتْ مُنْحَنِيَّةً وَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تَنْتَصِبَ الْبَيْتَةَ. فَلَمَّا رَأَاهَا يَسُوعُ دَعَاهَا وَقَالَ لَهَا: ( يَا امْرَأَةُ إِنَّكَ مَحْلُولَةٌ مِنْ ضَعْفِكَ). وَوَضَعَ عَلَيْهَا يَدَيْهِ فَفِي الْحَالِ اسْتَقَامَتْ وَمَجَّدَتِ اللَّهَ) (لوقا: ١٣/١١-١٣)

وشفى غلاماً به روح شيطان كان الشيطان يصصره ويمزقه: (فَانْتَهَرَهُ يَسُوعُ فَخَرَجَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ) (متى: ١٧/١٧-١٨)

وفوق هذا كله، فقد شفى المسيح البرصى، وطهرهم من برصهم، وقد ذكر الكتاب المقدس حديث هذا الأبرص: (وَإِذَا أَبْرَصٌ قَدْ جَاءَ وَسَجَدَ لَهُ قَائِلًا: ( يَا سَيِّدُ إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي ). فَمَدَّ يَسُوعُ يَدَهُ وَامْسَهُ قَائِلًا: (أُرِيدُ فَاطْهَرُ). وَلِلْوَقْتِ طَهَّرَ بَرَصَهُ) (متى: ٢/٨-٣)

كما ذكر الكتاب المقدس شفاء عشرة برص آخرين: (وَفِيمَا هُوَ دَاخِلٌ إِلَى قَرْيَةٍ اسْتَقْبَلَهُ عَشْرَةُ رِجَالٍ بُرْصَ فَوَقَفُوا مِنْ بَعِيدٍ وَصَرَخُوا: ( يَا يَسُوعُ يَا مُعَلِّمُ ارْحَمْنَا ). فَنَظَرَ وَقَالَ لَهُمْ: ( اذْهَبُوا وَأَرُوا أَنْفُسَكُمْ لِلْكَهَنَةِ ). وَفِيمَا هُمْ مُنْطَلِقُونَ طَهَّرُوا) (لوقا: ١٧/١٢-١٤)

ويذكر الكتاب المقدس أن المسيح فتح أعين العميان بمجرّد لمس أعينهم، كما حدث مع أعميين: (حِينَئِذٍ لَمَسَ أَعْيُنَهُمَا قَائِلًا: (بِحَسَبِ إِيمَانِكُمْ لِيَكُنْ لَكُمْ) (متى: ٢٧/٩-٣١)، وشفى أعمى في بيت صيدا كما في (مرقس: ٢/٨-٢٦)



والأخطر من ذلك كله أنه شفي مولودا أعمى بعد أن خلق له عينين من طين: (ثقل على الأرض وصنع من الثقل طينا وطلّى بالطين عيني الأعمى. وقال له: اذهب اغتسل في بركة سلوام). الذي تفسيره مرسل. فمضى واغتسل وأتى بصيرا) (يوحنا: ٦/٩-٧)، فهذا يدل على أنه خلق له عينين من طين كما خلق آدم من تراب الأرض.

وشفي بارتيماس الأعمى، وأعمى آخر كان معه، وكانا يصرخان لكي يشفيهما بلمس أعينهما، يقول الكتاب: (فتحن يسوع ولمس أعينهما فللوقت أبصرت أعينهما فتبعاه) <sup>١</sup>

وشفى — إلى جانب هذا كله — أمراضا كثيرة أخرى مثل شفاء المرأة النازفة الدم: (وأمرأة بزف دم منذ اثنتي عشرة سنة وقد أنفقت كل معيشتها للأطباء ولم تقدر أن تشفى من أحد) لأنها قالت في نفسها: (إن مسست ثوبه فقط شفيت) (متى: ٢١/٩). ففي الحال وقف نزف دمها. فقال يسوع: (من الذي لمسني!)... (قد لمسني واحدا لأنني علمت أن قوة قد خرجت مني) (لوقا: ٤٣/٨-٤٨)

وشفى أصم أعقد بأن (وضع أصابعه في أذنيه وثقل ولمس لسانه ورفع نظره نحو السماء وأن وقال له: إنا). أي انفتح. وللوقت انفتحت أذناه وأنحل رباط لسانه وتكلم مستقيما) (مرقس: ٣٣/٧-٣٥)

وشفى مريضا بالاستسقاء (فأمسكه وأبرأه وأطلقه) (لوقا: ١٤/١-٤)

هذه نماذج قليلة لما صنعه الرب يسوع المسيح من كم كبير لا يمكن حصره لم يدون في الإنجيل تفصيلا، وإن كان يذكر بصورة إجمالية، يقول القديس يوحنا بالروح (وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب) (يوحنا: ٣٠/٢٠)، (وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة) (يوحنا: ٢١/٢٥)

فقد شفي جميع المرضى الذين قدموهم إليه من جميع أنواع الأمراض مهما كان عددهم ومهما كانت أنواع هذه الأمراض (فأرسلوا إلى جميع تلك الكورة المحيطة وأحضرُوا إليه جميع المرضى وطلبوا إليه أن يلمسوا هذب ثوبه فقط. فجميع الذين لمسوه نالوا الشفاء) (متى: ١٤/٣٥-٣٦)

وفي مرقس: (ولما صار المساء إذ غربت الشمس قدموا إليه جميع السقماء والمجانين. وكانت المدينة كلها مجتمع على الباب. فشفي كثيرين كانوا مرضى بأمراض مختلفة وأخرج شياطين كثيرة ولم يدع الشياطين يتكلمون لأنهم عرفوه) (مرقس: ٣٢/١-٣٤)

وفي متى: (فجاء إليه جموع كثيرة معهم عرج وعمي وخرس وشلل وآخرون كثيرون وطرحوهم عند قدمي يسوع. فشفاهم) (متى: ٣٠/١٥)، وفيه: (ولما صار المساء قدموا إليه مجانين كثيرين فأخرج الأرواح بكلمة وجميع المرضى وشفاهم) (متى: ١٦/٨)، وفيه: (فداع خبره في جميع سورية. فأحضرُوا إليه جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة والمجانين والمصروعين والمفلوجين فشفاهم) (متى: ٢٤/٤)، وفيه: (وتبعته جموع كثيرة فشفاهم جميعا) (متى: ١٥/١٢)، وفيه: (فجاء إليه جموع كثيرة معهم عرج وعمي وخرس وشلل وآخرون كثيرون وطرحوهم عند قدمي يسوع. فشفاهم) (متى: ٣٠/١٥)، وفيه:

(١) انظر: (متى: ٢٠/٣٤-٣٩؛ مرقس: ١٠/٤٦-٥٢؛ لوقا: ١٨/٣٥-٤٣)

وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ عُمِّي وَعَرَجُ فِي الْهَيْكَلِ فَشَفَاهُمْ) (متى: ١٤/٢١)، وفيه: (لَأَنَّهُ كَانَ قَدْ شَفَى كَثِيرِينَ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهِ لِيَلْمَسَهُ كُلُّ مَنْ فِيهِ دَاءٌ) (مرقس: ١٠/٣)، وفيه: (وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ شَفَى كَثِيرِينَ مِنْ أَمْرَاضٍ وَأَدْوَاءٍ وَأَرْوَاحٍ شَرِيرَةٍ وَوَهَبَ الْبَصَرَ لِعُمَيَّانِ كَثِيرِينَ) (لوقا: ٢١/٧)

ما إن وصل بولس بحديثه إلى هذا الموضوع حتى صاح أجيده المتمارض، وقال: شكرا لربي المسيح الذي شفاني.. لولا ربي المسيح لكنت الآن تحت رحمة الشياطين الذين استعمروني.. آمنوا يا جماعة بالرب المسيح، فإنه لن ينقذكم من عللكم إلا هو.

لقد رأيتم كيف أبت الشياطين أن تخرج لسماعها القرآن، ولكنها ما إن رأت الصليب، وسمعت اسم المسيح حتى راحت هاربة من جسدي.

لست أدري كيف ظهر من بين الجمع عبد الحكيم الذي راح يقول لأجير بولس: أقدر لك — يا أخي — إيمانك بالمسيح.. ولكني مع ذلك أريد أن أصحح لك خطأين أوقعك فيهما الوهم.

أما الأول، فهو تصورك أن من سكنك هم الشياطين، وهذا خطأ عظيم، فلم يجعل الله للشيطان على الإنسان إلا سلطانا واحدا هو سلطان الوسواس التي يبيته في النفس، فيملأها بالفتن والظلمة والحزن.

فالقرآن يقرر أن المس الذي يمس به الشيطان الإنسان لا يعدو الوسواس التي يلقبها، فتملأ القلوب هما وحزنا، وقد يمتد تأثيرها إلى الجوارح مرضا وأنيبا، وقد يكون محل الوسوسة مريضا مستعدا لحصول الصرع، فيصرع ويتخط، لتأثير تلك الوسواس على نفسه، بل هو يتخط لأي وسواس من الجن أو من الإنس.

وقد ذكر القرآن الكريم بعض هذه الوسواس التي يلقبها الشياطين، فذكر أن منها التخويف من الفقر، والأمر لذلك بالفحشاء، قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٨)

وبيين القرآن الكريم الغاية الكبرى من وسواس الشيطان، وهي الإضلال وتوابعه، فيقول: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: من الآية ٦٠)، ويقول: ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (الزخرف: ٦٢)

وهذا التأثير الذي يحدثه الشيطان في القلوب والنفس، وقد يمتد إلى الجوارح والأعضاء، لا يكون إلا لأوليائه المقترنين به، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٧٥)، وقالتعالى: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ (النساء: من الآية ٣٨)، وقالتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ (النساء: من الآية ١١٩)، وقالتعالى: ﴿وَائْتَلِ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٥)، وقالتعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَرَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النحل: ٦٣)

أما المؤمنون، فلا يضرهم الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠١)، وقالتعالى: ﴿إِنَّمَا التَّحْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ

شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المجادلة: ١٠)

وذلك لأن معهم أسلحة مقاومته، قال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (ص: ٨٣)، وقالتعالى: ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف: ٢٠٠)

والقرآن الكريم فوق ذلك كله بملأ النفوس بالطمأنينة والقوة حين يخبرها أن كيد الشيطان مهما اشتد ضعيف كضعف الشياطين، فلذلك لا ينبغي الخوف منه، قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء: من الآية ٧٦)، وقالتعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنُ لَهْمُ الشَّيْطَانِ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال: ٤٨)

قال أجيير بولس: كيف تزعم ذلك؟ وما أنت ترى بأن القرآن لم يفعل شيئاً أمام الشياطين التي حاولت أن تستولي علي حتى جاء هذا الرجل بصليبه، فخلصني منها.

ابتسم عبد الحكيم، وقال: إن هذا المرض الذي قد يكون أصابك مرض من الأمراض، له نوبة تعترني صاحبها بأسباب خاصة، ولها على كل حال مدة محدودة، سواء قرأت عليها القرآن، أو قرأت عليها الإنجيل، أو قرأت كتب الهنود والصينيين، فسوف ترتفع بعد ارتفاع سببها.

قال أجيير بولس: أراك تذهب مذاهب الملحدون لا مذاهب المؤمنين.

قال عبد الحكيم: بل أذهب المؤمنين، لقد أحرنا نبينا أن الله ما أنزل داء إلا أنزل له دواء .. فذلك بدل نتيه في البحث عما نقرؤه في هذه الأحوال، وتتنازع فيما بيننا هيا نبحث عن العلاج الذي أنزله الله. قال أجيير بولس: وهل هذا مرض حتى يكون له علاج .. إنها شياطين تستعمر الإنسان.

قال عبد الحكيم: لا يستعمر الإنسان غير نفسه، أما الشيطان، فهو أضعف من ذلك، لقد ذكر القرآن الكريم عنه ضعفه الشديد، فقال: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (ابراهيم: ٢٢)

فالشيطان يتحلى في هذه الآية بمظهره الحقيقي مظهر الضعيف العاجز الذي نفخ فيه البشر وألبسوه من ثياب العظمة والكبرياء ووهبوه من أسباب التسلط ما يراحم به الألوهية.

سكت قليلاً، ثم قال: أتدرون ما سبب هذه النظرة التي جعلت للشيطان كل تلك السلطات؟

سكتوا، فقال: التصور الوثني..

قالوا: التصور الوثني؟!

قال عبد الحكيم: أجل.. فهو الذي يجعل من الشيطان إلها قائما بذاته يتحدى الله سبحانه وتعالى.. ولهذا اعتبر القرآن الكريم من أعطوا الجن من السلطات ما ليس لهم أو وضعوهم كمدبرين ومؤثرين بذواتهم في الكون

مشركين بذلك التعظيم، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ (الأنعام: ١٠٠)

وقد أخرجت الملائكة — عليهم السلام — أن أكثر البشر كانوا يعبدون الجن ويشركونهم بالله، ومن أساليب العبودية التعظيم والخوف والذي لا يقتصر على المشركين من عرب الجاهلية فقط، قال تعالى: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾ (سبأ: ٤١)

وقد كان هذا التصور هو فهم السلف الصالح عليهم السلام من حقيقة العلاقة بين الجن والبشر، قال الحسن البصري عليه السلام عن الشيطان: (والله ما ضربهم بعضا ولا أكرههم على شيء وما كان إلا غرورا وأماي دعاهم إليها فأجابوه )

ولهذا ورد النهي عن تعظيم الشيطان والجن بنسبة المصائب والنكبات إليها، لأن ذلك مما يعظمها في نفس الإنسان، وكلما عظم الإنسان شيئا كلما أزال من نفسه من الشعور بعظمة الله بحسبه فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كل مظهر ينم عن هذا التعظيم ولو كان في صيغة سب، قال بعض الصحابة عليهم السلام: (كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فعثرت دابة فقلت: تعس الشيطان، فقال: لا تقل تعس الشيطان، فإنك إذا قلت ذلك تعظم حتى يكون مثل البيت ويقول: بقوتي ولكن، قل: بسم الله، فإنك إذا قلت ذلك تصغر حتى يكون مثل الذباب )

فالنبي صلى الله عليه وسلم فهاه أن يعظم الشيطان ولو بنسبة تعثر الدابة إليه، فكيف بمن يجعله متصرفا كلياً وحيداً في حياة الناس.

التفت عبد الحكيم إلى أجيير بولس، وقال: لا ينبغي — يا أخي — أن تنساق وراء الخرافات في علاج دائك..

إن هذا مرض من الأمراض التي يسير الطب الحديث نحو معرفة الكثير من أسرارها، ويوشك أن يجد لها العلاج الذي يجمع مادتها، فاتصل بالأطباء، فهذا اختصاصهم لا اختصاص رجال الدين.

قال أجيير بولس: أنت تقول هذا، لأن دينكم خال من هذا الجانب.

قال عبد الحكيم: لا.. نحن نرتبط بالله.. وإذا مرضنا علمنا نبينا أن نلجأ إلى الله، وندعوه، وفي نفس الوقت نمارس ما أمرنا الله به من أسباب الشفاء التي قدر لها في عالم الحكمة قوانينها.

وهنا لم يجد أجيير بولس إلا أن ينطق بما تعود أن ينطق به، وهو ما يفسد الغرض الذي جاء من أجله بولس، فقال: لكن المسيح حصلت منه معجزات الشفاء الكثيرة الدالة على ألوهيته، أما نبيكم فلم يحصل على يديه شيء، فكيف تقبلونه نبياً.

ابتسم عبد الحكيم، وقال: النبي يأتي ليشفي أرواحنا، ويعلمنا كيف نسير إلى ربنا.. أما الطب، فقد خلق الله له الأطباء، وخلق لهم من الأدوية في أرضه ما يمكنهم أن يعالجوا به جميع العلل التي تعترى البشر، فلذلك نحن نحتاج إلى الهداة لا إلى الأطباء.

قال أجيير بولس، بإلحاحه المعهود: أنت تتهرب من سؤالي.. فكل من لم يطبق شيئاً قال ما قلت.

هنا تدخل عبد القادر، وقال: ما دمت قد رغبت في أن نحدثك عن هذا.. فسنحدثك بما ورد في الأسانيد الكثيرة الدالة على أن نبينا كان مستجاب الدعوة، فكان لا يدعو لشيء أو على شيء إلا حصل ما دعا به. وذلك ليس خاصا بالأمراض فقط.. وإنما قد عم أشياء كثيرة، لو صيرتم علي، فسأعد لكم منها ما تقر به أعينكم، وتعلمون أن الله أقرب إليكم من أنفسكم، ويمكنكم إذا اعتمدتم عليه، وتوجهتم إليه أن يحقق كل رغباتكم بالشفاء، وبغير الشفاء.

## ١ — شفاء

قال رجل من الجمع: وكيف لا نصبر.. فحدثنا، وابدأ بحديثك عن الشفاء، فلا يجب المرضى حديثا كما يحبون من يشرهم بالشفاء.

قال عبد القادر: لقد وردت النصوص الكثيرة الدالة على ما حصل من نبينا محمد ﷺ من شفاء المرضى ببركات دعائه، بأسانيد كثيرة، تفيد في مجموعها حصول التواتر القطعي الذي لا يشكك فيه إلا جاحد. وسأذكر لكم منها ما تقر به أعينكم:

ومن ذلك ما روي في إبراء الأعمى والأرمد **ومن فقت عينه**، وقد رويت في ذلك الروايات الكثيرة: **فمن ذلك** ما روي أنه يوم خير، سأل النبي ﷺ، فقال: (أين علي؟)، فقيل: يا رسول الله، يشتكي عينيه، قال: (فأرسلوا إليه)، فأتى به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرئ، حتى كأنه لم يكن به وجع، فأعطاه الراية<sup>١</sup>.

**ومن ذلك** ما روي عن حبيب بن فديك أن أباه خرج به إلى رسول الله ﷺ وعيناه مبيضتان لا يبصر بهما شيئا، فسأله: (ما أصابك؟) فقال: وقعت رجلي على بيضة حية فأصيب بصري، فنفت رسول الله ﷺ في عينيه فأبصر، فرأيته وهو يدخل الخيط في الإبرة، وانه لابن الثمانين سنة، وإن عينيه لمبيضتان<sup>٢</sup>.

**ومن ذلك** ما روي أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحد، فسالت حدقته على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها، فقالوا: حتى تستأمر رسول الله ﷺ، فاستأمره، فقال: (لا)، فدعي به فرفع حدقته ثم غمزها براحتته، وقال: (اللهم اكسبه جمالا، وبزق فيها)، فكانت أصح عينيه وأحسنها<sup>٣</sup>.

وفي رواية: فكان لا يدري أي عينيه أصيبت، وقال السهيلي: وكانت لا ترمد إذا رمدت الاخرى. **ومن ذلك** ما روي عن رفاعة بن رافع بن مالك قال: رميت بسهم يوم بدر، ففقت عيني، فبصق فيها رسول الله ﷺ ودعا لي، فما آذاني منها شيء<sup>٤</sup>.

**ومن ذلك** ما روي أنه أصيبت عين أبي ذر يوم أحد، فبزق فيها رسول الله ﷺ فكانت أصح عينيه<sup>٥</sup>.  
ومن ذلك ما روي في إبراء **الأبكم والرتة**، وقد رويت في ذلك الروايات الكثيرة:

- 
- (١) رواه البخاري ومسلم.
  - (٢) رواه ابن أبي شيبة والبيهقي وابو نعيم.
  - (٣) رواه أبو يعلى والبيهقي وابن سعد وأبو نعيم، وقد روي أن رجلا من ولد قتادة وفد الى عمر بن عبد العزيز، فلما قدم عليه، قال: ممن الرجل؟ فقال:  
أنا ابن الذي سألت على الخد عينه فردت بكف المصطفى أحسن الرد  
فعادت كما كانت لأول أمرها فيا حسننا عينا ويا حسنه من خد  
فقال عمر بن عبد العزيز:  
تلك المكارم لا قعيان من لبن  
شيبا بماء فعادا بعد أبوالا  
ووصله وأحسن جائزته.
  - (٤) رواه الحاكم والبيهقي وابو نعيم بسند جيد.
  - (٥) رواه أبو نعيم.

ومنها ما روي عن شمر بن عطية عن بعض أشياخه أن النبي ﷺ جاءته امرأة بصبي قد شب، فقالت: يا رسول الله ان ابني هذا لم يتكلم منذ ولد، فقال: (من أنا؟) قال: أنت رسول الله<sup>١</sup>.

**ومن ذلك** ما روي عن معرض بن معيقب اليمامي قال: حججت حجة الوداع، فدخلت دارا بمكة، فرأيت فيها رسول الله ﷺ ورأيت منه عجبا جاءه رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد، فقال له رسول الله ﷺ: (من أنا؟) قال: أنت رسول الله، قال: (صدقت، بارك الله فيك)، ثم ان الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب، فكننا نسميه مبارك اليمامة<sup>٢</sup>.

**ومن ذلك** ما روي عن بشير بن عقربة الجهني قال: أتى عقربة رسول الله ﷺ فقال: (من هذا معك، يا عقربة؟) قال: ابني بجير قال: (ادن) فدنوت حتى قعدت عن يمينه، فمسح على رأسي بيده، فقال: (ما اسمك؟) قلت: بجير يا رسول الله، قال: (لا، ولكن اسمك بشير) وكانت في لساني عقدة، فنفت النبي ﷺ في في، فأنحلت من لساني وأبيض كل شيء من رأسي ما خلا ما وضع يده عليه فكان أسود<sup>٣</sup>.

**ومن ذلك** ما روي أن محوس بن معدي كرب، قال: يا رسول الله، ادع الله أن يذهب عني الرثة، فدعا له، فذهبت<sup>٤</sup>.

ومن ذلك ما روي في إبرائه ﷺ **للقرحة والسلعة والحرارة:**

ومما يروى في ذلك أن رسول الله ﷺ أتى برجل في رجله قرحة قد أعميت الاطباء، فوضع أصبعه على ريقه، ثم رفع طرف الخنصر، فوضعها على التراب، ثم رفعها، فوضعها على القرحة، ثم قال: (باسمك اللهم ريق بعضنا بترية أرضنا ليشفى سقيمنا باذن ربنا)<sup>٥</sup>

**ومن ذلك** ما روي عن شرحبيل الجحفي قال: أتيت رسول الله ﷺ وبكفي سلعة فقلت: يا رسول الله هذه السلعة قد آذنتني وتحول بيني وبين قائم السيف أن أقبض عليه، وعنان الدابة فنفت في كفي ووضع كفه على السلعة، فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها عنها، وما أرى أثرها<sup>٦</sup>.

**ومن ذلك** ما روي أن أبا سبرة قال: يا رسول الله، إن بظهر كفي سلعة، قد منعتني من خطام راحلتي، فدعا رسول الله ﷺ بقدح، فجعل يضرب به الى السلعة يمسحها فذهبت<sup>٧</sup>.

**ومن ذلك** ما روي عن أبيض بن حمال أنه كان بوجهه جدرة، وفي لفظ حذارة، وهي وقد التقت وجهه.

(١) رواه البيهقي.

(٢) رواه البيهقي، قال ابن كثير: وهذا الحديث مما تكلم به الناس في محمد بن يونس بسببه، وأنكروه عليه واستغربوا شيخه، وليس هذا مما ينكر عقلا بل شرعا، على أنه قد ورد هذا الحديث من غير طريق محمد بن يونس، فرواه البيهقي من طريق أبي الحسين محمد أحمد بن جميع.

(٣) رواه اسحاق بن ابراهيم الرملي في فوائده.

(٤) رواه ابن سعد عن عكرمة والزهري وعاصم بن عمرو بن قتادة مرسلا.

(٥) رواه البيهقي.

(٦) السلعة: الغدة تكون في العنق.

(٧) رواه البخاري في التاريخ والطبراني والبيهقي.

(٨) رواه البيهقي وابن سعد.

وفي لفظ: التقيمت أنفه، فدعاه رسول الله ﷺ فمسح وجهه، فلم يمس من ذلك اليوم منها أثر<sup>١</sup>.  
**ومن ذلك** ما روي عن عروة أن ملاعب الاسنة أرسل الى رسول الله ﷺ يستشفيه من وجع كان به  
الديبيلة، فتناول النبي ﷺ مدرة من الارض، فتفل فيها ثم ناولها لرسوله، فقال: (دفعها بماء ثم اسقها اياه)، ففعل  
فبرأ<sup>٢</sup>.

ومن ذلك ما روي في إبرائه ﷺ **للحرق**:

ومما يروى في ذلك عن محمد بن حاطب عن أمه أم جميل، قالت: أقبلت بك من أرض الحبشة حتى إذا  
كنت من المدينة بليلة طبخت طبيخا، ففني الحطب، فخرجت أطلب الحطب، فتناولت القدر، فانكفأت على  
ذراعك، فأتيت بك رسول الله ﷺ فجعل يتفل على يدك وهو يقول: (أذهب البأس رب الناس، اشف أنت  
الشافى، لا شفاء لا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما)، فما قمت بك من عنده حتى برأت يدك<sup>٣</sup>.

ومن ذلك ما روي في إبرائه ﷺ **وجع الضرس والرأس**:

ومما يروى في ذلك عن يزيد بن ذكوان أن عبد الله بن رواحة قال: يا رسول الله، أشتكي ضرسا آذاني،  
واشتد علي، فوضع رسول الله ﷺ يده على الخد الذي فيه الوجع فقال: (اللهم أذهب عنه سوء ما يجد وفحشه  
بدعوة نبيك المبارك المكين عندك) سبع مرات، فشفاه الله تعالى قبل أن يبرح<sup>٤</sup>.

**ومن ذلك** ما يروى عن اسماء بنت أبي بكر أنها أصابها ورم في رأسها ووجهها، فوضع رسول الله ﷺ يده  
على رأسها ووجهها من فوق الثياب، فقال: (يا سم الله، أذهب عنها سوءه وفحشه بدعوة نبيك الطيب المبارك  
المكين عندك)، ففعل ذلك ثلاث مرات، فذهب الورم<sup>٥</sup>.

**ومن ذلك** ما روي أن رجلا من ليث — يقال له فراس بن عمرو — أصابه صداع شديد، فذهب به أبوه  
الى النبي ﷺ فأخذ رسول الله ﷺ بجلدة ما بين عينيه فجذبها، فنبتت في موضع أصابع رسول الله ﷺ من جبينه  
شعرة فذهب عنه الصداع، فلم يصدع<sup>٦</sup>.

ومن ذلك ما روي في في ابرائه ﷺ **الجراحة والكسر**:

ومما يروى في ذلك ما روي عن عبد الله بن أنيس قال: ضرب المستنير بن رزام اليهودي وجهي فشجني  
منقلة أو مأمومة، فأتيت بها رسول الله ﷺ فكشف عنها ونفث فيها فما آذاني منها شيء<sup>٧</sup>.

**ومن ذلك** ما روي عن معاوية بن الحكم، قال: كنا مع رسول الله ﷺ فأنزى أخي علي بن الحكم فرسه  
خندقا فقصر الفرس فدق جدار الخندق ساقه، فأتيت النبي ﷺ على فرسه، فمسح ساقه فما نزل عنها حتى

- 
- (١) رواه الطبراني برجال ثقات وابو نعيم والبيهقي وابو داود والترمذي والنسائي في الكبرى وابن ماجه وابن حبان.
  - (٢) رواه أبو نعيم والواقدي.
  - (٣) رواه البخاري في التاريخ والنسائي والطبراني وابن أبي شيبه ومسدد وابو يعلى وابن حبان والحاكم والبيهقي.
  - (٤) رواه البيهقي.
  - (٥) رواه البيهقي.
  - (٦) رواه البيهقي.
  - (٧) رواه البغوي والطبراني.



برأت<sup>١</sup>.

وفي رواية: فأصاب رجل أخي علي بن الحكم جدار الخندق فدقتها فأتى النبي ﷺ فمسحها وقال: (باسم الله) فما آذاه منها شيء<sup>٢</sup>.

**ومن ذلك** ما روي عن البراء بن عبد الله بن عتيبة أنه لما قتل أبو رافع ونزل من درجة بيته سقط إلى الأرض فانكسرت ساقه، قال: فحدثت النبي ﷺ فقال: (ابسط رجلك)، فبسطتها فمسحها فكأنما لم أشكها قط<sup>٣</sup>.

**ومن ذلك** ما روي عن أبي أزهر أن خالد بن الوليد أثقل بالجراحة يوم حنين، فرأيت النبي ﷺ بعد أن هزم الله الكفار ورجع المسلمون إلى رحلهم يمشي، يقول: (من يدل علي رحل خالد بن الوليد)، قال: فمشيت أو قال سعت بين يديه، وأنا محتلم أقول: من يدل علي رحل خالد بن الوليد، حتى دللنا على رحله، فإذا بخالد بن الوليد مستند إلى مؤخرة رحله، فأتاه رسول الله ﷺ فنظر إلى جرحه فنفت فيه فبرأ<sup>٤</sup>.

**ومن ذلك** ما روي عن عبد الله بن الحارث بن أوس أن الحارث بن أوس أصابه في قتل كعب بن الأشرف بعض أسيافهم، فجرح في رأسه وفي رحله فاحتملوه فجاؤوا به النبي ﷺ فتفل على جرحه فلم يؤذه<sup>٥</sup>.

**ومن ذلك** ما روي أن أبا جهل قطع يوم بدر يد معوذ بن عفراء، فجاء النبي ﷺ بحمل يده، فبصق رسول الله ﷺ عليها، وألصقها فلصقت<sup>٦</sup>.

**ومن ذلك** ما روي عن يزيد بن أبي عبيد، قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة، ابن الأكوع، فقلت: يا أبا مسلم، ما هذه الضربة؟ قال: هذه ضربة أصابتها يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة، فأتيت النبي ﷺ، فنفت فيها ثلاث نفثات، فما اشتكتها حتى الساعة<sup>٧</sup>.

**ومن ذلك** ما روي عن حبيب بن يساف قال: شهدت مع رسول الله ﷺ مشهدا فأصابني ضربة على عاتقي، فتعلقت يدي فأتيت النبي ﷺ فتفل فيها وألزفها فالتأمت وبرأت وقتلت الذي ضربني<sup>٨</sup>.

**ومن ذلك** ما روي عن عروة وابن شهاب قالوا: بعث رسول الله ﷺ ثلاثين رجلا، فأقبل المستنير بن رزام اليهودي فضرب المستنير وجه عبد الله بن أنيس فشججه مأمومة، فقدم على رسول الله ﷺ فبصق في شجته، فلم يؤذه حتى مات<sup>٩</sup>.

**ومن ذلك** ما روي عن عائد بن عمرو — رضي الله عنه — قال: أصابتني رمية يوم حنين في وجهي

(١) رواه ابن أبي السكن وابو نعيم.

(٢) رواه البيهقي.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه أحمد وعبيد بن حميد.

(٥) رواه البيهقي.

(٦) رواه ابن وهب فيما ذكره السهلي.

(٧) رواه البخاري.

(٨) رواه البيهقي.

(٩) رواه أبو نعيم والبيهقي.

فسال الدم على وجهي وصدري فتناول النبي ﷺ الدم بيده عن وجهي وصدري الى ثديوتي، ثم دعا لي قال: جئت مع والد عبد الله فرأيت أثر يد رسول الله ﷺ إلى منتهى ما مسح صدره، فإذا غرة سائلة كغرة الفرس<sup>١</sup>. ومن ذلك ما روي من حصول القوة لمن دعا له رسول الله ﷺ:

**ومن ذلك** ما روي عن سفينة أنه قيل: له ما اسمك؟ قال: سمانى رسول الله ﷺ سفينة. قيل: ولم؟ قال: خرج رسول الله ﷺ ومعه أصحابه فتقل عليهم متاعهم فحملوه على ظهري، فقال رسول الله ﷺ: (احمل، فانما أنت سفينة)، فلو حملت يومئذ وقر بعير أو بعيرين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة ما ثقل علي<sup>٢</sup>.

**ومن ذلك** ما روي عن سلمة بن الاكوع أن رسول الله ﷺ مر على الناس ينتضلون فقال: (ما أحسن هذا اللهو! ارموا وأنا معكم جميعا)، فلقد رموا عامة يومهم ذلك، ثم تفرقوا على السواء ما نضل بعضهم بعضا<sup>٣</sup>. ومن ذلك ما روي في حصول شفاء أمراض شتى على يد النبي ﷺ:

ومما يروى من ذلك ما روي عن رفاع بن رافع قال: أخذت شحمة فازدردتها، فاشتكيت منها سنة ثم إنى ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فمسح بطني فألقيتها حضراء، فو الذي بعته بالحق، ما اشتكيت بطني حتى الساعة<sup>٤</sup>.

**ومن ذلك** ما روي عن جرهد بن خويلد انه أكل بيده الشمال، فقال له رسول الله ﷺ: (كل باليمين)، فقال: إنها مصابة، فنفت فيها رسول الله ﷺ فما اشتكى حتى مات<sup>٥</sup>.

**ومن ذلك** ما روي عن جابر قال: عادني رسول الله ﷺ وأبو بكر في بني سلمة فوجدني لا أعقل فدعا بماء فتوضأ فرش منه علي فأفقت<sup>٦</sup>.

**ومن ذلك** ما روي عن علي — رضي الله عنه — قال: مرضت فعادني رسول الله ﷺ وأنا أقول: اللهم ان كان أجلي قد حضر، فأرحني وان كان متأخرا فارفعني، وان كان بلاء فصبرني، فقال: (اللهم اشفه اللهم عافه) ثم قال: فقممت فما عاد ذلك الوجع بعد<sup>٧</sup>.

وفي حديث آخر عن علي — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ دعا له، فقال: (اللهم أذهب عنه الحر والبرد)، فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف، ويلبس في الصيف ثياب الشتاء، ولا يصيبه حر ولا برد<sup>٨</sup>.

وفي حديث آخر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى رضي الله عنه قال: كان علي رضي الله عنه يلبس في الحر الشديد العباء المحشو التخين وما يبالي بالحر، ويلبس في البرد الشديد الثوبين الخفيفين وما يبالي بالبرد، وسئل عن

(١) رواه الحاكم وابو نعيم وابن عساكر.

(٢) رواه احمد وابن سعد والبيهقي.

(٣) رواه البيهقي.

(٤) رواه أبو نعيم والبيهقي.

(٥) رواه الطبراني.

(٦) رواه البخاري ومسلم.

(٧) رواه البيهقي.

(٨) رواه ابن ماجة والبيهقي.

ذلك فقال: ان النبي ﷺ قال في خير: (لاعطين الراية رجلا يحبه الله ورسوله يفتح الله عليه غير فرار) فدعاني فأعطاني الراية ثم قال: (اللهم الكفه الحر والبرد) فما وجدت بعد ذلك حرا ولا برداً<sup>١</sup>.

وفي حديث آخر عن شبرمة بن الطفيل — رضي الله عنه — قال: رأيت عليا بذى قار عليه ازار ورداء في يوم شديد البرد وان جبهته لترشح عرقاً<sup>٢</sup>.

**ومن ذلك** ما ما روي عن بلال — رضي الله عنه — قال: أذنت في غداة باردة، فخرج رسول الله ﷺ فلم ير في المسجد أحداً، قال: (أين الناس يا بلال؟) قال: منعهم البرد، فقال: (اللهم أذهب عنهم البرد) قال بلال: فرأيتهم يتروحون<sup>٣</sup>.

**ومن ذلك** ما روي عن ابن عائد قال: قال ثابت بن يزيد يا رسول الله: إن رجلي عرجاء لا تمس الأرض، قال: فدع لي، فبرأت حتى استوت مثل الأخرى<sup>٤</sup>.

**ومن ذلك** ما ما ورد من إجابة دعائه ﷺ للوليد بن قيس — رضي الله عنه —، فعنه قال: كان بي برص فدعا لي رسول الله ﷺ فبرأت منه<sup>٥</sup>.

---

(١) رواه الطبراني والبيهقي.

(٢) رواه أبو نعيم.

(٣) رواه البيهقي وأبو نعيم والطبراني.

(٤) رواه الطبراني في (مسند الشاميين) وابن مندة والباوردي في (المعرفة).

(٥) رواه الطبراني.

## ٢- حاجات

قال رجل من الجمع: إن للإنسان حاجات كثيرة، غير حاجته إلى الشفاء، فهل روي عن نبيكم من استجابة ربه له منها شيء.

قال عبد القادر: بل رويت عنه الأحاديث الكثيرة الدالة على ذلك، فقد كان رسول الله ﷺ كما وصفه ربه تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: من الآية ١٢٨)  
فلذلك كان ينظر إلى أصحابه نظرة الرحمة والشفقة، فكلما ألم بأصحابه مكروه أو تفكير في أمر يشغل بالهم أسرع رسول الله ﷺ بالدعاء لهم للتخفيف عنهم، ولكي ينالوا بركة دعوته ﷺ.  
وسأذكر لكم منها ما يث اليقين في نفوسهم وتعلموا أن من أجيب له هذه الدعوات يستحيل أن يكون كاذبا أو مدعيا:

### استسقاء:

فمن الحاجات التي تلم بالإنسان حاجته إلى الماء، فالماء هو المادة الأساسية للحياة، ولذلك كان ﷺ كثيرا ما يستسقي لأصحابه، في حال حاجتهم إلى المياه:

**ومن ذلك** ما حدث به أنس بن مالك — رضي الله عنه —: أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً، ثم قال: يا رسول الله هلكت الأموال<sup>١</sup>، وانقطعت السبل<sup>٢</sup>، فادع الله يغثنا قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: (اللهم أغثنا اللهم أغثنا) قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قرعة<sup>٣</sup>، وما بيننا وبين سلع<sup>٤</sup> من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس<sup>٥</sup>، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، قال: فلا والله ما رأينا الشمس سبتاً.

قال: ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبله قائماً، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا.  
فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: (اللهم حولنا ولا علينا اللهم على الآكام<sup>٦</sup>، والظراب<sup>٧</sup> ومنابت الشجر، فانقلعت وخرجنا نمشي في الشمس<sup>٨</sup>).

- (١) المراد هنا المواشي خصوصاً الإبل وهلاكها من قلة الأقوات، بسبب عدم المطر والنبات.
- (٢) أي انقطعت الطرق فلم تسلكها الإبل إما لخوف الهلاك أو الضعف بسبب قلة الكأ<sup>١</sup> أو عدمه.
- (٣) القطعة من الغيم.
- (٤) جبل قرب المدينة.
- (٥) هو ما يتقي به السيف ووجه الشبه الاستدارة والكثافة، لا القدر.
- (٦) جمع أكمة وهي الرابية المرتفعة من الأرض.
- (٧) جمع ظرب وهي صغار الجبال والتلال.
- (٨) رواه البخاري ومسلم.

**ومن ذلك** ما ما وري من نزول مطر شديد يوم تبوك بدعاء النبي ﷺ، فعن عبد الله بن عباس — رضي الله عنهما — أنه قيل لعمر بن الخطاب، حدثنا عن شأن ساعة العسرة، فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فولنا متراً وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع، حتى إن كان أحدنا ليذهب، فيلتمس الرجل، فلا يجده حتى يظن أن رقبته ستقطع، حتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه، ثم يجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، إن الله قد عودك في الدعاء خيراً، فادع الله لنا، فقال ﷺ: ( أو تحب ذلك؟ )، قال: نعم، فرفع يديه نحو السماء، فلم يرجعهما، حتى قالت السماء فأطلت، ثم سكبت، فملاوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر، فلم نجد ما جاوزت العسكر<sup>٢</sup>.

**ومن ذلك** ما روي عن ابن عمر — رضي الله عنه — أنه قال: ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله ﷺ يستسقي فما يتزل حتى يجيش كل ميزاب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه      ثمال اليتامى عصمة للأرامل<sup>٣</sup>

**ومن ذلك** ما ما حدث به أنس — رضي الله عنه — قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، لقد أتيناك وما لنا بغير يبط، ولا صبي يصيح وأنشد:

أتيناك والعدراء يدمى لباها      وقد شغلت أم الصبي عن الطفل  
وألقى بكفيه الصبي استكانة      من الجوع ضعفا ما يمر وما يجلي  
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل القامي والعلهز الغسل  
وليس لنا إلا إليك فرارنا      وأين فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام رسول الله ﷺ حتى صعد المنبر، ثم رفع يديه فقال: ( اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريثا مريعا غدقا طبقا عاجلا غير راث نافعاً غير ضار تملأ به الضرع وتنبت به الزرع وتحيي به الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ) قال الراوي: فوالله ما رد يديه إلى نحره حتى ألقى السماء بأردافها، وجاء أهل الوطابة يضحون: ( يا رسول الله الغرق )، فرفع يديه إلى السماء وقال: ( اللهم حوالينا ولا علينا )، فانجاب السحاب من المدينة، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: لله در أبي طالب لو كان حيا قرت عيناه، فقال علي: كأنك أردت يا رسول الله قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه      ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وقام رجل من كنانة فقال:

لك الحمد والحمد لمن شكر سقينا بوجه النبي المطر  
دعا الله خالقه دعوة      إليه وأشخص منه البصر  
أغاث به الله عليا مضر      وهذا العيان لذاك الخبر

(١) أي روثه وفضلاته.

(٢) رواه البيهقي في الدلائل، ورواه البزار، والطبراني في الاوسط، ورجال البزار ثقات.

(٣) رواه البخاري وابن ماجه.

فلم تك إلا ككف الردا وأسرع حتى رأينا الدرر  
وكان كما قال عمه أبو طالب: أبيض ذو غرر  
به الله يستقي صوب الغمام ومن يكفر الله يلقى الغير

فقال النبي ﷺ: (إن يك شاعرا يحسن، فقد أحسنت) <sup>١</sup>

**ومن ذلك** ما حدث به أبو أمامة - رضي الله عنه - قال: قام رسول الله ﷺ ضحى في المسجد، فكبر ثلاث تكبيرات، ثم قال: (اللهم ارزقنا سمنا ولبنا وشحما ولحما)، وما نرى في السماء من سحاب، فثارت ريح وغبرة، ثم اجتمع السحاب، فصبت السماء فصاح أهل الاسواق ورسول الله ﷺ قائم، فسالت في الطرق، فما رأيت عاما كان أكثر لبنا وسمنا وشحما ولحما منه، إن هو إلا في الطرق ما يشتريه أحداً.

**ومن ذلك** ما حدثت به الربيع بنت معوذ بن عفراء، قالت: بينا نحن عند رسول الله ﷺ في بعض أسفاره إذا احتاج الناس إلى الماء، فالتمسوا في الركب ماء، فلم يجدوا، فدعا رسول الله ﷺ فأمطرت حتى استقى الناس وسقوا.

**ومن ذلك** ما حدثت به عائشة - رضي الله عنها - قالت: شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوظ المطر، فخرج إلى المصلى وقعد على المنبر ورفع يديه حتى رأى بياض إبطيه، فأنشأ الله سبحانه وتعالى سحابة فرعدت وبرقت ثم أمطرت، فلم يأت المسجد حتى سألت السيول فقال: (أشهد أن الله على كل شئ قدير وأني عبد الله ورسوله) <sup>٤</sup>

**ومن ذلك** ما حدث به كعب بن مرة البهزي، قال: دعا رسول الله ﷺ على مضر، فأثاه أبو سفيان، فقال: إن قومك قد هلكوا فادع الله لهم فقال: (اللهم اسقنا غيثا مغيثا غدقا طبقا مريعا نافعا غير ضار، عاجلا غير راث)، فما لبثنا إلا جمعة حتى مطرنا، فأثوه فشكوا إليه المطر، فقالوا: لقد تهدمت البيوت فقال: اللهم حولينا ولا علينا فجعل السحاب يتقطع يمينا وشمالا.

**ومن ذلك** ما حدث به ابن عباس - رضي الله عنه - قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله لقد جئتك من عند قوم ما يتزود لهم راع ولا يحصد لهم فحل، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا طبقا مريعا غدقا عاجلا غير راث)، ثم نزل فما يأتيه أحد من وجه من وجوه إلا قالوا أحينا.

**ومن ذلك** ما روي أن وفد سلامان قدموا في شوال سنة عشر فقال لهم رسول الله ﷺ: (كيف البلاد عندكم؟) قالوا: مجدبة، فادع الله أن يسقينا في أوطاننا، فقال ﷺ: (اللهم اسقهم الغيث في بلادهم) فقالوا: يا

(١) رواه البيهقي وابن عساكر.

(٢) رواه أبو نعيم والبيهقي.

(٣) رواه أبو نعيم.

(٤) رواه أبو نعيم.

(٥) رواه ابن ماجه والبيهقي.

(٦) رواه ابن ماجه.

رسول الله ارفع يديك، فإنه أكثر وأطيب.  
فتبسم، ورفع يديه حتى بدا بياض إبطيه، ثم رجعوا إلى بلادهم، فوجدوها قد مطرت في اليوم الذي دعا  
فيه رسول الله ﷺ في تلك الساعة<sup>١</sup>.

### رزق:

ومن الحاجات التي كانت تعرض أحيانا لأصحاب النبي ﷺ، وخصوصا الفقراء منهم، حاجتهم إلى  
المطعم، وقد توجه رسول الله ﷺ إلى الله طالبا رزقهم:

ومما يروى من ذلك، ما حدث به واثلة بن الأسقع — رضي الله عنه — قال: حضر رمضان ونحن في أهل  
الصفة فصمنا، فكننا إذا أفرطنا أتى كل رجل منا رجل من أهل البيعة فانطلق به فعضناه، فأنت علينا لم يأتنا  
أحد، وأصبحنا صياماً، وأنت علينا القابلة فلم يأتنا أحد، فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ، فأخبرناه بالذي كان من  
أمرنا، فأرسل إلى كل امرأة من نسائه يسألها هل عندها شيء، فما بقيت منهن امرأة إلا أرسلت تقسم: ما  
أمسى في بيتها ما يأكل ذو كبد، فقال لهم رسول الله ﷺ: (فاجتمعوا)، فدعا وقال: (اللهم إني أسألك من  
فضلك ورحمتك، فإنما بيدك لا يملكها أحد غيرك)

فلم يكن إلا ومستأذن يستأذن، فإذا بشاة مصلية ورغف، فأمر بها رسول الله ﷺ، فوضعت بين أيدينا،  
فأكلنا حتى شبعنا، فقال لنا رسول الله ﷺ: (إنا سألتنا الله من فضله ورحمته، فهذا فضله، وقد ادخر لنا عنده  
رحمته)<sup>٢</sup>

ولكن النبي ﷺ لزهده في الدنيا، كان يدعو، فيقول: (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا)<sup>٣</sup>  
وقد حصل ما دعا به النبي ﷺ، فقد كان رزقه ﷺ ورزق أهله القوت في أكثر الأحيان لا يجاوزونه، وقد  
وصفت عائشة — رضي الله عنها — حياتها معه ﷺ، وكيف كانوا يعيشون، فقالت: (توفي رسول الله ﷺ وما  
في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير<sup>٤</sup> في رف لي فأكلت منه حتى طال علي فكلته ففني<sup>٥</sup>)، وقالت: (ما  
شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض<sup>٦</sup>)، وفي رواية: (ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم  
المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعاً حتى قبض )

وكانت تقول لابن أختها عروة: (والله يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال: ثلاثة أهلة  
في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار)، قال: يا خالة فما كان يعيشكم؟ قالت: (الأسودان: التمر  
والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح وكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ

(١) رواه أبو نعيم.

(٢) رواه البيهقي في الدلائل، ورواه الطبراني وإسناده حسن.

(٣) رواه مسلم.

(٤) أي شيء من شعير. كذا فسره الترمذي.

(٥) البخاري ومسلم.

(٦) البخاري ومسلم.

من ألبانها فيسقيننا<sup>١</sup> وكان ﷺ يعلل ذلك بقوله: ( ما لي وللدنيا! ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها)<sup>٢</sup>  
**حفظ:**

ومن الحاجات التي عرضت لأصحاب النبي ﷺ فدعا النبي ﷺ لهم، وتحقق ما دعا به، تأمينهم من بعض المخاوف التي كانت تعتر بهم:

**ومن ذلك** ما ما حدث به خالد بن الوليد — رضي الله عنه — أنه شكى الى رسول الله ﷺ فقال: اني أحد فرعا بالليل، فقال: (ألا أعلمك كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام، وزعم أن عفريتاً من الليل يكيدني، أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يتزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الارض ومن شر ما يخرج فيها، ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل والنهار، الا طارقاً يطرق بخير يا رحمن)، قال خالد: ففعلت فأذهب الله عني<sup>٣</sup>.

وفي رواية أخرى، قالت عائشة — رضي الله عنها —: فلم ألبث الا ليلاي حتى جاء خالد بن الوليد فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، والذي بعثك بالحق ما أتممت الكلمات التي علمتني ثلاث مرات، حتى أذهب الله عني ما كنت أحد ما أبالي، لو دخلت على أسد في حبيسته بليل<sup>٤</sup>.

**ومن ذلك** ما حدث به عبد الله بن عمرو — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفرع: (عوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون) قال الراوي: فكان عبد الله بن عمرو — رضي الله عنه — يعلمها من بلغ من ولده ومن لم يبلغ منهم كتبها في صك ثم علقها في عنقه<sup>٥</sup>.

**ومن ذلك** ما روي عن البراء بن عازب — رضي الله عنه — قال: أتى رسول الله ﷺ رجل يشكو الوحشة، فقال: (أكثر من أن تقول: سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والارض بالعزة والجبروت)، فقالها الرجل، فذهبت عنه الوحشة<sup>٦</sup>.

### تأليف:

ومن الحاجات التي دعا ﷺ لأصحابها، أنه دعا لتأليف القلوب بين الأزواج وزوجاتهم: ومما يروى في ذلك ما حدث به ابن عمر — رضي الله عنهما — أن امرأة شكت زوجها الى النبي ﷺ

- 
- (١) البخاري ومسلم.
  - (٢) الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.
  - (٣) رواه عبد الرزاق والبيهقي في الشعب، والطبراني في الكبير، وابن سعد.
  - (٤) رواه الطبراني.
  - (٥) رواه أبو داود والنسائي، ورواه الترمذي وقال: حسن ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «إذا فزع أحدكم في النوم فليقل وذكره، وقال فيه: ومن لم يعقل كتبها في صك، ثم علقها في عنقه»، ورواه الحاكم وقال صحيح الاسناد.
  - (٦) رواه ابن السني.



فقال: (أتبغضينه؟) قالت: نعم، قال: (أدنيا رؤوسكما)، فوضع جبهتها على جبهة زوجها ثم قال: (اللهم ألف بينهما، وحبب أحدهما الى صاحبه)، ثم لقيته المرأة بعد فقيلت رجله فقال: (كيف أنت؟ وكيف زوجك؟) قالت: ما طارق ولا تالد ولا ولد أحب الي منه فقال: (أشهد أي رسول الله)، قال عمر: وأنا أشهد أنك رسول الله<sup>١</sup>.

**ومن ذلك** ما حدث به جابر — رضي الله عنه — أن امرأة كان بينها وبين زوجها خصومة، فأتيا رسول الله ﷺ فقالت المرأة: هذا زوجي، والذي بعثك بالحق، ما في الارض أبغض إلي منه، وقال الاخر: هذه امرأتي، والذي بعثك بالحق ما في الارض أبغض الي منها، فأمرهما رسول الله ﷺ أن يدنوا إليه، ثم دعا لهما، فلم يفترقا من عنده حتى قالت المرأة: والذي بعثك بالحق ما خلق الله شيئا أحب الي منه، وقال الرجل: والذي بعثك بالحق، ما خلق الله شيئا أحب الي منها<sup>٢</sup>.

### هداية:

ومن الحاجات المهمة التي دعا فيها النبي ﷺ دعوته بالهداية والإيمان، وهي أعظم الدعوات: ومما يروى من دعوته ﷺ **لأم أبي هريرة**، فعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام، وهي مشركة، فدعوتهما يوماً، فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي قلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام، فتأبى علي، فدعوتهما اليوم، فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول الله ﷺ: (اللهم اهد أم أبي هريرة) فخرجت مستبشرة بدعوة نبي الله ﷺ، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو محاف، فسمعت أمي نحشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء.

قال: فاغتسلت، ولبست درعها، وعجلت عن حمارها، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته، وأنا أبكي من الفرح، فقلت: يا رسول الله أبشر، قد استجاب الله دعوتك، وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه، وقال خيراً، فقلت: (يا رسول الله ادع الله أن يحبني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحبهم إلينا)، فقال رسول الله ﷺ: (اللهم حبب عبيدك هذا — يعني أبا هريرة — وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين)

قال أبو هريرة: (فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني)<sup>٣</sup>

**ومن ذلك** ما ورد من دعائه ﷺ لعمر بن الخطاب — رضي الله عنه —، فعن ابن عمر — رضي الله عنهما — أن رسول الله ﷺ ضرب صدر عمر بيده حين أسلم ثلاث مرات، وهو يقول: (اللهم أخرج ما في

(١) رواه البيهقي.

(٢) رواه الطبراني برجال الصحيح غير مقدار بن داود.

(٣) رواه مسلم.

صدر عمر من غل وأبدله إيماناً<sup>١</sup>

**ومن ذلك** ما ورد من دعائه ﷺ لشبية بن عثمان بالهداية، فعنه قال: خرجت مع النبي ﷺ يوم حنين، والله، ما خرجت إسلاماً، ولكني خرجت اتقاء أن تظهر هوازن على قريش، فوالله، إني لواقف مع رسول الله ﷺ إذ قلت: يا رسول الله، اني لأرى خيلاً بلقا قال: (يا شبية، إنه لا يراها إلا كافر)، قال: فضرب بيده في صدري، فقال: (اللهم اهد شبية)، ففعل ذلك ثلاثاً، فما رفع النبي ﷺ يده عن صدري الثالثة حتى ما أحد من خلق الله احب الي منه<sup>٢</sup>.

**ومن ذلك** ما ورد من إجابة دعائه ﷺ لأبي كعب — رضي الله عنه —، فعن سليمان بن صرد أن أبي بن كعب أتى النبي ﷺ برجلين قد اختلفا في القراءة كل واحد منهما يقول: أقرأني رسول الله ﷺ فاستقرأهما، فقال: (أحسنتما) قال أبي فدخل في قلبي من الشك أشد مما كنت عليه في الجاهلية، فضرب رسول الله ﷺ في صدري وقال: (اللهم أذهب عنه الشيطان) فارفضت عرقاً، وكأني أنظر الى الله فرقاً<sup>٣</sup>.

**ومن ذلك** ما ورد من دعائه ﷺ باقبال أهل اليمن وأهل الشام على الاسلام، فعن زيد بن ثابت — رضي الله عنه — قال: نظر رسول الله ﷺ قبل اليمن فقال: (اللهم أقبل بقلوبهم)، ثم نظر الى العراق فقال: (اللهم أقبل بقلوبهم)<sup>٤</sup>

#### أدعية مجربة:

والنبي ﷺ لم يكتف بهذه الدعوات الخاصة، بل علمنا من الأدعية ما يفني بحاجاتنا مختلفة:

**ومن ذلك** ما ما علمه ﷺ لرجل من أصحابه أدبرت عنه الدنيا، فعن ابن عمر — رضي الله عنهما — أن رجلاً قال: يا رسول الله، ان الدنيا أدبرت عني وتولت، قال له: (فأين أنت من صلاة الملائكة، وتسيح الخلائق، وبه يرزقون، قل عند طلوع الفجر: سبحان الله العظيم وبحمده، سبحان الله العظيم، استغفر الله، مائة مرة، تأتيك الدنيا صاغرة)

قال الراوي: فمكث الرجل ثم عاد، فقال: يا رسول الله، لقد أقبلت علي الدنيا، فما أدري أين أضعها<sup>٥</sup>.

**ومن ذلك** ما روي أنس بن مالك — رضي الله عنه — كلم الحجاج، فقال له الحجاج: لولا خدمتك لرسول الله ﷺ وكتاب أمير المؤمنين فيك، كان لي ولك شأن، فقال أنس: أيهات أيهات لما غلظت أرنبتي، وأنكر رسول الله ﷺ صوتي، علمني كلمات لم يضرن معهن عتو جبار، ولا عنوته مع تيسير الحوائج، ولقاء المؤمنين بالحببة فقال الحجاج: لو علمتنيهن، فقال: لست لذلك بأهل فدرس إليه الحجاج ابنه ومعهما مائتا ألف درهم، وقال لهما: الطفا بالشيخ عسى أن تظفرا بالكلمات، فلم يظفرا بها، فلما كان قبل أن يهلك بثلاث، قال لي: دونك هذه الكلمات، ولا تضعها الا في موضعها.

(١) رواه الطبراني في الاوسط والحاكم بسند حسن.

(٢) رواه البيهقي وابن عساكر.

(٣) رواه البيهقي.

(٤) رواه البيهقي.

(٥) رواه الخطيب في (رواة مالك).

فذكر أبا ن ما أعطاه الله تعالى مما أعطى أنسا من ذهاب ما أذهب الله عني مما كانت أحد - الله أكبر الله أكبر، بسم الله على نفسي وديني، بسم الله على أهلي ومالي، بسم الله على كل شيء أعطاني، بسم الله خير الاسماء، بسم الله رب الارض والسماء، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه داء، بسم الله افتتحت وعلى الله توكلت الله الله ربي، لا أشرك به أحدا، أسألك اللهم بخيرك من خيرك الذي لا يعطيه غيرك، عز جارك، جل ثناؤك، ولا اله الا أنت اجعلني في عيادك وجوارك من كل سوء، ومن الشيطان الرجيم، اللهم اني استجيرك من كل شيء خلقت، وأحترس بك منهن، وأقدم بين يدي، بسم الله الرحمن الرحيم، قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي ومن تحتي يقرأ في هذه الست قل هو الله أحد الى آخر السورة<sup>١</sup>.

**ومن ذلك** ما روي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاء أعرابي الى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، علمني كلاما أقوله، قال: (قل لا اله الا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله رب العالمين، لا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم)، قال: فهو لاء لربي، فما لي؟ قال: (قل: اللهم اغفر لي وارحمني، وارزقني، وعافني)<sup>٢</sup>

**ومن ذلك** ما روي عن عمران بن حصين - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ علم أبا حصين كلمتين يدعو بهما: اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي<sup>٣</sup>.

**ومن ذلك** ما روي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: علمني رسول الله ﷺ قال: (اللهم، اجعل سريري خيرا من علانيتي، واجعل علانيتيصالحة، اللهم، اني أسألك من صالح ما توتي الناس من المال والاهل والولد غير الضال ولا المضل)<sup>٤</sup>

**ومن ذلك** ما روي عن العباس - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله، علمني شيئا أسأل الله تعالى، قال: (سل الله العافية)، فمكثت أياما، ثم جئت فقلت: يا رسول الله علمني شيئا أسأل الله تعالى، قال: (يا عباس، يا عم رسول الله، سلوا الله العافية في الدنيا والاخرة)<sup>٥</sup>

**ومن ذلك** ما روي عن بريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أعلمك كلمات، من يرد الله به خيرا يعلمهن اياه)، ثم علمه إياهن (اللهم إني ضعيف فقو في رضاك ضعفي، وخذ الى الخير بناصيتي، واجعل الاسلام منتهى رضاي، اللهم إني ضعيف فقوني، واني ذليل فأعزني، واني فقير فارزقني)<sup>٦</sup>

**ومن ذلك** ما علمه ﷺ لفاطمة الزهراء - رضي الله عنها - فعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة - رضي الله عنها -: (ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا أمسيت: يا حي

(١) رواه ابن سعد.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه الترمذي وقال: غريب.

(٥) رواه الترمذي وقال: حديث صحيح.

(٦) رواه ابن أبي شيبة والحاكم، وصححه.

يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني الى نفسي طرفة عين) <sup>١</sup>  
**ومن ذلك** ما علمه ﷺ لابي بكر الصديق — رضي الله عنه —، فعن عبد الله بن عمرو — رضي الله عنه — أن أبا بكر الصديق — رضي الله عنه — قال: يا رسول الله، علمني كلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: (قل اللهم، فاطر السموات والارض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شئ ومليكه، أشهد أن لا اله الا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه، وأن أفترف على نفسي سوءا، أو اجره الى مسلم إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعتك) <sup>٢</sup>  
**ومن ذلك** ما روي عن أبي بكر — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (قل: اللهم، اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، وانه لا يغفر الذنوب الا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمي، انك أنت الغفور الرحيم) <sup>٣</sup>

**ومن ذلك** ما علمه ﷺ لبعض بناته — رضي الله عنهن — فقد روي عن بعض بنات النبي ﷺ — رضي الله عنهن — أن النبي ﷺ كان يعلمها فيقول: (قولي حين تصبحين وحين تمسين: سبحان الله وبحمده، لا قوة الا بالله، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، أعلم أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما، فانه من قالها حين يصبح حفظ حتى يمسي، ومن قالها حين يمسي حفظ حتى يصبح) <sup>٤</sup>

- 
- (١) رواه النسائي والطبراني برجال الصحيح.  
(٢) رواه أحمد والبخاري في الادب و ابو داود والترمذي والنسائي والحاكم وصححه.  
(٣) رواه البخاري ومسلم.  
(٤) رواه أبو داود والنسائي.

### ٣ — بركات

قال رجل من الجمع: إن كل ما ذكرته من حاجات له قيمته، ولكن أكثره مرتبط بأحوال معينة، فهل ورد عن محمد أدعية شاملة جامعة يمتد تأثيرها؟

قال عبد القادر: أنت تريد الأدعية المرتبطة بالبركة إذن؟

قال الرجل: وما هذه الأدعية؟

قال عبد القادر: هذه الأدعية تجعل كل ما دعي له بها مبارك ذو خير كثير.

قال الرجل: فهل روي عن محمد شيء منها؟

قال عبد القادر: أجل.. وقد أكدت الأيام استجابة الله تعالى لما دعا به نبيه، وسأذكر لكم منها ما تقر به

أعينكم، وتعلمون القيمة العظيمة التي تحملها دعوات النبي ﷺ:

فممن دعا لهم النبي ﷺ بالبركة **عبد الرحمن بن عوف** — رضي الله عنه —، فقد روي أن رسول الله ﷺ

قال له: (بارك الله لك) <sup>١</sup>

وقد ذكر عبد الرحمن إجابة دعوة رسول الله ﷺ، فقال: فلقد رأيتني، ولو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب

تحتة ذهباً أو فضة <sup>٢</sup>.

وقد فتح الله له أبواب الرزق، ومن عليه بركات من السماء والأرض، وكان حين قدم المدينة فقيراً لا

يملك شيئاً، فأخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري — رضي الله عنه —، فقال سعد لعبد

الرحمن: إن لي زوجتين فاختر أجملهما أطلقها، ثم تعنت ثم تتزوجها، وإن لي من المال كذا وكذا فخذ منه ما

شئت. فقال عبد الرحمن: لا حاجة لي في ذلك، بارك الله لك في زوجتيك ومالك، ثم قال: دلوني على

السوق <sup>٣</sup>.

فصار يتعاطى التجارة، وقد رزقه الله في زمن قريب مالا كثيراً، ببركة دعائه ﷺ، حتى أنه لما توفي بالمدينة

— سنة إحدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين — أخذت كل زوجة من زوجاته الأربع ربيع الثمن ثمانين ألفاً، وقيل:

إن نصيب كل واحدة كان مائة ألف، وقيل: بل صولحت لإحداهن على نيف وثمانين ألف دينار، وأوصى بألف

فرس وخمسين ألف دينار في سبيل الله، وأوصى بجديقة لأمهات المؤمنين — رضي الله عنهن — بيعت بأربعمائة

ألف، وأوصى لمن بقي من أهل بدر لكل رجل بأربعمائة دينار، وكانوا مائة، فأخذوها، وهذا كله غير صدقاته

الفاشية في حياته، وعطاءاته الكثيرة، وصلاته الوفيرة؛ فقد أعتق في يوم واحد ثلاثين عبداً، وتصدق مرة بغير

وكانت سبعمائة بغير، وردت عليه، وكان أرسلها للتجارة، فجاءت تحمل من كل شيء، فتصدق بها وبما عليها

من طعام وغيره بأحلاسها وأقتابها.

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه ابن سعد والبيهقي.

(٣) رواه البخاري.

(٤) وهي الجمال التي تحمل الميرة.

بل ورد أنه تصدق مرة بشطر ماله، وكان الشطر أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألفاً، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم تصدق بخمسائة فرس في سبيل الله، ثم بخمسائة راحلة.

ومن شملتهم دعوات النبي ﷺ بالبركة **أنس بن مالك** — رضي الله عنه —، فقد كان دعاؤه ﷺ لأنس بن مالك سببا في أن زاد أولاده عن المائة، وزاد عمره عن المائة، وزاد ماله عن المائة ألف.

وقد حدثنا أنس بن مالك — رضي الله عنه — عن قصة ذلك، فقال: جاءت أم سليم، وهي أم أنس، رضي الله عنهما، إلى رسول الله ﷺ وقد أزررتني بخمارها، وردّتني ببعضه، فقالت: يا رسول الله هذا أنيس أتيتك به يخدمك فادع الله له، قال: اللهم أكثر ماله وولده.. وفي لفظ: اللهم أكثر ماله وولده وأطّل عمره واغفر له<sup>١</sup>.

وقد ذكر أنس — رضي الله عنه — استحابة الله لدعاء نبيه ﷺ له، فقال: فو الله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي يتعادون على نحو المائة.. وحدثني ابنتي أمينة أنه قد دفن من صليبي إلى مقدم الحجاج البصرة تسعة وعشرين ومائة.

وفي رواية قال: دفنت من صليبي مائة واثنين، وإن ثمري لتحمل في السنة مرتين، ولقد بقيت حتى سئمت الحياة، وأرجو الرابعة.

وكان له بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين، وكان فيها ريحان يجيء منها ريح المسك<sup>٢</sup>.  
وقريب من هذا دعاؤه ﷺ **لهيبة بنت عبد الله البكرية** — رضي الله عنها — فعنها قالت: وفدت مع أبي النبي ﷺ فبايع الرجال وصافحهم، وبايع النساء ولم يصفحن، قالت: فنظر الي، فدعاني ومسح برأسي، ودعا لي ولولدي فولد لها ستون ولدا أربعون رجلا وعشرون امرأة<sup>٣</sup>.

ومنهم **السائب بن يزيد**، فقد روي أنه ﷺ دعا للسائب بن يزيد، ومسح بيده على رأسه، فطال عمره حتى بلغ أربعاً وتسعين سنة، وهو تام القامة معتدل، ولم يشب منه موضع أصابت يد رسول الله ﷺ، ومُتّع بحواسه قواه<sup>٤</sup>.

وقد ذكر الجعد بن عبد الرحمن بن عوف — رضي الله عنه — أثر هذه الدعوة، فقال: مات السائب ابن يزيد — رضي الله عنه — وهو ابن أربع وتسعين سنة، وكان جلدا معتدلا، وقال: لقد علمت ما تمتع بسمعي وبصري إلا بدعاء النبي ﷺ<sup>٥</sup>.

ومنهم **الناطقة الجعدي**، فعن عاصم الليثي — رضي الله عنه — قال: سمعت الناطقة — يعني عبد الله بن قيس الجعدي — يقول: أتيت رسول الله ﷺ فأنشدته حتى أتيت إلى قولي:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتابا واضح الحق نيرا  
بلغنا السماء مجدنا وثرأونا وانا لترجو فوق ذلك مظهرها

- 
- (١) رواه البخاري في الدعوات.
  - (٢) رواه الترمذي وغيره، وقال: حديث حسن.
  - (٣) رواه الباوردي.
  - (٤) رواه البخاري كتاب المناقب، ومسلم في الفضائل.
  - (٥) رواه البخاري.

فقال لي: (إلى أين المظهر يا أبا ليلى؟) قال: قلت: إلى الجنة قال: (كذلك ان شاء الله)، ثم قال:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادٍ تحمي صفوة أن يكدرها

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرها

فقال النبي ﷺ: (أجدت)، وفي لفظ: (صدقت لا يفضض<sup>١</sup> الله فاك)، قال: فبقي عمره أحسن الناس ثغراً، كلما سقطت سنة عادت أخرى مكانها، وكان معمرًا<sup>٢</sup>.

ومنهم **جعيل الأشجعي** — رضي الله عنه — فقد قال: غزوت مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته، وأنا على فرس لي عجفاء ضعيفة، قال: فكنت في أخريات الناس، فلحقني رسول الله ﷺ وقال: سر يا صاحب الفرس، فقلت: يا رسول الله، عجفاء ضعيفة، قال: فرفع رسول الله ﷺ مخفقة معه، فضر بها، وقال: (اللهم بارك له) وقد ذكر إجابة دعوة رسول الله ﷺ، فقال: فلقد رأيتني أمسك برأسها أن تقدم الناس، ولقد بعث من بطنها باثني عشر ألفًا<sup>٣</sup>.

ومنهم **عروة بن أبي الجعد المازني** — رضي الله عنه — فقد أعطاه رسول الله ﷺ دينارًا ليشتري له به شاة، فاشتري به شاتين، وباع إحدهما بدينار، وأتاه بشاة ودينار، فقال له: بارك الله لك في صفقة يمينك. وفي رواية: فدعا له بالبركة في البيع، فكان لو اشترى التراب لربح فيه<sup>٤</sup>.

ومنهم **عروة بن البارقي** — رضي الله عنه — فقد روي أن رسول الله ﷺ دعا له بالبركة في بيعه، فكان لو اشترى التراب لربح فيه<sup>٥</sup>.

وقد روي عنه قوله: قال لي رسول الله ﷺ: (بارك الله لك في صفقة يمينك)، فكنت أقوم بالكناسة<sup>٦</sup> فما أرجع إلى أهلي حتى أربح أربعين ألفًا<sup>٧</sup>.

ومنهم **المقداد بن الأسود** — رضي الله عنه —، فقد حدثت ضباعة بنت الزبير قالت: دعا رسول الله ﷺ للمقداد بن الأسود — رضي الله عنه — بالبركة، فكانت له غرائر من الورق في بيت المقداد<sup>٨</sup>.

ومنهم **عمرو بن الحمق**، فعنه أنه سقى رسول الله ﷺ لبنًا فقال: (اللهم أمتعته بشبابه)، فمرت به ثمانون سنة لم ير الشعرة البيضاء<sup>٩</sup>.

(١) يفضض: أي لا يسقط الله أسنانك وأصله الكسر أي لا يكسر أسنان فيك.

(٢) رواه الحافظ السلفي، روى البيهقي عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال للنابعة إذ أنشده قصيدته: (لا يفضض الله فاك)، فما سقطت سن.

وفي رواية فكان أحسن الناس ثغراً إذا سقطت له سنة نبتت له أخرى، وعاش عشرين ومائة سنة وما ذهب له سن.

(٣) رواه البخاري في التاريخ، والنسائي في السنن الكبرى، والبيهقي في الدلائل.

(٤) رواه البيهقي في الدلائل.

(٥) رواه البيهقي.

(٦) الكناسة: مكان بالكوفة.

(٧) رواه أبو نعيم.

(٨) رواه أبو نعيم في الدلائل.

(٩) رواه ابن أبي شيبة في (مسنده) وأبو نعيم وابن عساکر.

ومنهم **أولاد أبي سبرة** — رضي الله عنه — فعن سيرة أن أباه أتى النبي ﷺ فدعا لولده، فلم يزالوا في شرف الى اليوم<sup>١</sup>.

ومنهم **أم قيس** — رضي الله عنها —، فعنها أما قالت: توفي ابني فجزعت، فقلت للذي يغسله: لا تغسل ابني بالماء البارد فيقتله، فانطلق عكاشة بن محصن الى رسول الله ﷺ فأخبره بقولها ثم قال: ( طال عمرها، فلا تعلم امرأة عمرت ما عمرت )<sup>٢</sup>

ومنهم **أبو زيد عمرو بن أخطب الانصاري** — رضي الله عنه — فقد روي عنه أنه قال: استسقى رسول الله ﷺ فأنتيته بقدرح، فكانت فيه شعرة، فأخذتها، فقال ﷺ: ( اللهم جملة )

قال الراوي: فرأيتة وهو ابن أربع وتسعين سنة ليس في لحيته شعرة بيضاء<sup>٣</sup>.

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: ( ادن مني )، فدنوت، فمسح بيده على رأسي ولحيتي، وقال: ( اللهم جملة، وأدم جماله )، فبلغ بضعا ومائة سنة، وما في لحيته بياض الا نبذة يسيرة، ولقد كان منبسط الوجه حتى مات.

ومنهم **جمل أم سليم** — رضي الله عنها — فعن أنس — رضي الله عنه — قال: اشتكى ابن لابي طلحة، فمات، وأبو طلحة خارج، فلما رأته امرأته أنه قد مات هيأت شيئا، ونحته من جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة فقال: كيف الغلام قالت: هدأت نفسه، وأرجو أن قد استراح.

فظن أبو طلحة أنها صادقة، فلما أصبح اغتسل وكان قد أصابها، فلما أراد أن يخرج قالت: أرأيت أن رجلا أعارك عارية، ثم أخذها منك أجزعت؟ قال: لا، قالت: فان الله قد أعارك ابنك وقد أخذه منك، فصلى مع النبي ﷺ ثم أخبره لما كان منهما، فقال النبي ﷺ: ( بارك الله لكما في ليلتكما! )، قال: فولدت غلاما فجئت به الى النبي ﷺ فحنكه ثم مسح بناصيته، وسماه عبد الله، فكانت تلك المسحة غرة في وجهه، وما كان في الانصار ناشئ أفضل منه<sup>٤</sup>.

ومنهم **عبد الله بن هشام** — رضي الله عنه — فعن أبي عقيل أنه كان يخرج به جده عبد الله بن هشام إلى السوق ليشتري الطعام فيتلقاه ابن الزبير وابن عمر فيقولان له: أشركنا، فإن رسول الله ﷺ قد دعا لك بالبركة فيشركهم، فرمما أصاب الراحلة كما هي فبيعت بها الى المتزل<sup>٥</sup>.

ومنهم **حكيم بن حزام** — رضي الله عنه — فقد بعث رسول الله ﷺ حكيم بن حزام بدينار يبتاع له به أضحية فمر بها، فباعها بدينارين فابتاع له أضحية بدينار، وجاء له بدينار، فدعا له أن يبارك له في تجارته<sup>٦</sup>.

وروي عن حكيم أنه كان رجلا مجودا في التجارة ما باع شيئا قط الا ربح فيه.

ومنهم **حنظلة بن حذم** — رضي الله عنه —، فعنه قال: وفدت مع جدي حذم، فقال: يا رسول الله، إن لي

(١) رواه الطبراني.

(٢) رواه البخاري في (الادب) والنسائي.

(٣) رواه احمد وابو يعلى وابن حبان والطبراني بسند حسن.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) رواه البخاري.

(٦) رواه ابن سعد من طريق ابي حصين عن شيخ من أهل المدينة.



بنين ذوي لحى وهذا أصغرهم، فأدناي رسول الله ﷺ، ومسح على رأسي، وقال: (بارك الله فيك) قال الذيال: فلقد رأيت حنظلة يؤتى بالرجل الوارم وجهه أو الشاة الوارم ضرعها، فيقول: بسم الله على موضع كف رسول الله ﷺ فيمسحه فيذهب الورم<sup>١</sup>.

ومنهم **فاطمة بنت رسول الله ﷺ** ورضي الله عنها، فعن عمران بن حصين، قال: كنت مع رسول الله ﷺ إذ أقبلت فاطمة — رضي الله عنها — وقفت بين يديه، فنظر إليها، وقد ذهب الدم من وجهها، وغلبت الصفرة على وجهها من شدة الجوع، فنظر إليها رسول الله ﷺ، فقال: (ادني يا فاطمة، ثم ادني يا فاطمة)، فدنيت حتى قامت بين يديه، فرفع يده فوضعها على صدرها في موضع القلادة، وفرج بين أصابعه، ثم قال: (اللهم مشبع الجماعة، ورافع الوضيعة، ارفع فاطمة بنت محمد)

وقد ذكر عمران بعض ما حصل من إجابة، فقال: فنظرت إليها، وقد ذهب الصفرة من وجهها، وغلب الدم كما كانت الصفرة غلبت على الدم، فلقيتها بعد فسألتها، فقالت: ما جعت بعد ذلك يا عمران<sup>٢</sup>.  
أما رفعة قدرها، فيكفي ما ورد في فضلها من أئمة سيدة نساء العالمين، وما ورد في الأحاديث من الثناء عليها.

ومنهم **سعد بن أبي وقاص** — رضي الله عنه — فقد صار مُجاب الدعوة بسبب دعاء الرسول له، فعنه أن النبي ﷺ قال: اللهم استجب لسعد إذا دعاك، فكان لا يدعو إلا استجيب<sup>٣</sup>.

وقد روي في هذا عن جابر بن سمرة — رضي الله عنه — قال: شكا أهل الكوفة سعدًا بن أبي وقاص، إلى عمر بن الخطاب فعزله، واستعمل عليهم عمارًا، فشكوا سعدًا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي، فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي! فقال: أما والله، فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ لا أحرم عنها؛ أصلي صلاة العشاء، فأركد في الأوليين وأخف في الآخرين، قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، وأرسل معه رجلاً أو رجلاً إلى الكوفة يسأل عنه أهل الكوفة، فلم يدع مسجدًا إلا سأل عنه ويتنون معروفًا، حتى دخل مسجدًا لبني عبس، فقام رجل منهم يقال له: أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة، فقال: أما إذا نشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية. قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا، قام رياءً وسمعة، فأطل عمره وأطل فقره، وعرضه للفتن.

قال عبد الملك بن عمير الراوي عن جابر بن سمرة: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجوارح في الطرق فيغمزهن، وكان بعد ذلك إذا سُئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابني دعوة سعد<sup>٤</sup>.

ومنهم **عبد الله بن عباس** — رضي الله عنهما — الذي صار حبر الأمة بسبب دعاء النبي ﷺ، فعنه قال:

- 
- (١) رواه الطبراني وأحمد برجال ثقات.
  - (٢) رواه البيهقي في الدلائل.
  - (٣) الترمذي، والحاكم صححه.
  - (٤) رواه البخاري ومسلم.

أتى رسول الله ﷺ الخلاء، فوضع له وضوءاً، فلما خرج قال: من صنع هذا؟ قالوا: ابن عباس، قال: (اللهم فقهه في الدين)<sup>١</sup>

وعنه قال: إن رسول الله ﷺ وضع يده على كتفي، ثم قال: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)<sup>٢</sup> وقد استجاب الله لرسوله ﷺ هذه الدعوة؛ فكان ابن عباس إماماً يُهتدى بهداه، ويُقتدى به في الشريعة والتفسير؛ بل انتهت إليه علوم الصحابة قبله حتى قال عبد الله بن مسعود — رضي الله عنه —: (لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ما عاشره أحد منا)، وكان يقول: (نعم ترجمان القرآن ابن عباس)<sup>٣</sup> وقد قيل: خطب الناس ابن عباس في عشية عرفة، ففسر لهم سورة البقرة تفسيراً لو سمعه الروم والترك والديلم لأسلموا.

بالإضافة إلى ذلك كله فقد دعا ﷺ لمن فعل أشياء معينة، وقد جرب تأثير دعواته في ذلك، **ومن ذلك** ما ورد من إجابة دعائه ﷺ **لأمته في بكورها**، فقد حدث صخر الغامدي قال: قال رسول الله ﷺ: (اللهم بارك لأمتي في بكورها)

وقد حدث الرواة عن أثر هذه الدعوة فيه لما التزم ما فيها، فقالوا: كان صخر رجلاً تاجراً يبعث غلمانه أول النهار فأترى وكثر ماله، حتى لم يدر أين يضعه<sup>٤</sup>.

\*\*\*

ما وصل عبد القادر من حديثه إلى هذا الموضع حتى رأيت النشاط يدب في المرضى المحيطين حوله، وكلهم يطلب منه أن يدعو الله له، أو يدلّه كيف يدعو الله، ليخلصه من دائه. أما بولس، وأنا، فلم نجد إلا أن نخرج.. ومعني بصيص جديد من النور اهتديت به بعد ذلك إلى شمس محمد.

---

(١) رواه البخاري مسلم.  
(٢) رواه الحاكم، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح، ورواه البيهقي في الدلائل.  
(٣) رواه الحاكم في المستدرک.  
(٤) رواه البخاري ومسلم.

## رابعاً — نبوءات

في اليوم الرابع..

أصبح بولس نشيطاً غاية النشاط، فقد جاءني، وهو يحمل محفظته، وقبل أن يحييني تحية الصباح كعادته، قال لي: اليوم سترى العجب العجاب.. سنستدرك كل ما فاتنا في الأيام السابقة.

قلت: هل أعددت شيئاً جديداً لهؤلاء؟

قال: أجل.. أتيتهم بشيء يكاد يشبه القنبلة النووية.. ولن يقف في وجهه أحد.

قلت: أين سندهب اليوم؟

قال: إلى حي راق.. ليس كالأحياء التي ذهبنا إليها في الأيام السابقة.. في هذا الحي رجال مثقفون، وسنخاطبهم بالحقائق التاريخية والعلمية التي تجعلهم يسلمون لنا.

قلت: أنت تريد أن تلقي عليهم محاضرة إذن؟

قال: يمكنك أن تقول ذلك.. ولكنني سأسمع منهم أيضاً.. لقد شرطوا علينا هذا الشرط، ولا مناص لنا من قبوله.

قلت: ألا تخشى أن يظهر من بينهم مثل ذينك الرجلين؟

قال: عبد القادر وعبد الحكيم!؟

قلت: أجل.. أخاف أن يفعلوا بنا ما فعلاه في الأيام السابقة.

قال بكل ثقة: بل أتمنى أن يحضرا.. ولو كان لدي عنوانهما لدعوتهما للحضور.

قلت: فأنت واثق إذن مما ستقوله؟

قال: كل الثقة.. ولذلك سترى من العجائب اليوم ما فاتك أن تراه في الأيام السابقة.

نظر إلى عيني، فرأى فيهما بعض الشك، فقال: أنت مختار في هذه الثقة العجيبة التي أبدتها لك.

قلت: أجل.. أخاف أن تكون نوعاً من الغرور.

قال: لا تخف.. لقد جربت هذا النوع من الأسلحة سابقاً.. وقد كان له مفعوله السحري.

قلت: أنا لا أحب تعابيرك هذه.. فنحن مبشرون لا محاربون.

قال: أحياناً يختلط التبشير بالحرب.. عندما تجد من يقف في وجه تبشيرك تضطر إلى أن تستعمل معه أساليب المحاربين.

قلت: ولكن المسيح جاء بالسلام.

قال: السلام في عرفنا ليس كالسلام المتعارف عليه.. إنه سلام قد يستخدم الحرب، وقد يتسلح بالعداوة..

حتى لو كانت العداوة بين الولد ووالده، والأخ وأخيه.. لاشك أنك تحفظ ما قال المسيح في هذا.. لقد قال: (لَا تَطْطِنُوا أَنِّي جِئْتُ لِأَرْضِي سَلَامًا عَلَى الْأَرْضِ. مَا جِئْتُ لِأَرْضِي سَلَامًا، بَلْ سَيْفًا فَإِنِّي جِئْتُ لِأَجْعَلَ الْإِنْسَانَ عَلَى خِلَافٍ مَعَ أَبِيهِ، وَالْبِنْتَ مَعَ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ مَعَ حَمَاتِهَا، وَهَكَذَا يَصِيرُ أَعْدَاءُ الْإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ) (إنجيل متى: ١٠)

قال ذلك، ثم أخذ بيدي، وقال: هيا بنا.. فالحضور ينتظرون قدومنا على أحر من الجمر.

امتطينا سيارتنا الفخمة، وسرنا نحو ذلك الحي الراقي..

كان الجمع جالسا ينتظر القس بلهفة وشوق.. فما إن دخل، ودخلت معه حتى امتلأت القاعة بالتصفيق الحار.

جلسنا على المنصة، وراح صاحبي بولس يلقي قبيلته الموعودة، والتي بدأها بقوله: أنا لا أحب المحاضرة الجافة التي تلقن العقول دون أن تدع لها فرصة للحوار.. كما يفعله الأئمة في المساجد حين يستأثرون بالمنابر ليلقوا ما شاءت لهم عقولهم أو أهواؤهم أن يلقوه.

لذلك سيكون حديثي مفتوحا.. وإن شئتم فاعتبروا جلستنا هذه جلسة مذاكرة لا جلسة محاضرة.. سر الحضور لقوله هذا.. وسر أكثر لما رآه من سرورهم.

بدأ حديثه بقوله: لا شك أنكم تعلمون بأن الغيب لا يعلمه إلا الله.. القرآن يقول هذا.. فهو يصرح كل مرة بقوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام: من الآية ٥٩)، وبقوله: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (النمل: ٦٥)، وبقوله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ٢٦)

حتى محمد.. القرآن يأمره بأن يقول: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأنعام: ٥٠) بل إنه يأمره بأن يردد بكل تواضع قوله: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْنَفْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٨) ويأمره أن يرد على المخالفين المكذبين له بقوله: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَبِهُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ (يونس: ٢٠)

ثم أفاض يتحدث عن هذا بإطناب طويل، وقد تعجبت كثيرا من طرح بولس هذه الطروحات في هذا المقام.. إنها طروحات عقلانية صحيحة.. وقد سرت الجمع الحاضر، ولم أر من يرفع يده ليخالفها.

لكني لم أع ما يريد من خلالها إلا بعد أن قال: فالنبيُّ بالغيب إذن معجزة.. ومحمد — كما ينص القرآن — ينفیها عن نفسه، بل ينفیها عنه قرآنه.

هذا هو الشق الأول من المعادلة التي نريد طرحها عليكم.. احفظوها، فسنعود إليها.

## ١ — نبوءات من الكتاب المقدس

ألقى بولس نظرة إلى الحضور، ثم ابتسم ابتسامة عريضة، وقال: لاشك أنكم تتساءلون عن الشق الثاني.. الشق الثاني يعتمد على الكتاب المقدس.. نحن قوم نحب العدل.. لقد رجعنا إلى القرآن.. ولكننا لا ينبغي أن ننسى الكتاب المقدس، فهو أيضا كلمة الله.

لنسمع ما يقول الكتاب المقدس، وقبل ذلك نتساءل: كيف عرف أهل القرن المسيحي الأول في فلسطين المسيح؟.. وهل تحققت في المسيح نبوءات سابقة لمجيئه لعالمنا؟.. وهل تنبأ نبوءات تم تحقيقها؟ سأل هذه الأسئلة، ثم راح بمنهجه الذي تعودت عليه، والذي تقترن فيه لغة الكتاب المقدس بلغة العصر يقول: لاشك أنكم تعرفون الرياضيات.. بمبادئها البسيطة والعقلية.

قال بعض الحضور: أجل.. ونحب أن يقترن حديثك بما، فهي منطق عقلي لا شك في قبوله. قال بولس: سأستعمل الرياضيات إذن لأحلل بعض النبوءات التي وردت في الكتاب المقدس بخصوص المسيح بطريقة حسابية.

لنتأمل هذه النبوءات، ثم ندرس إمكانية تحقيق هذه النبوءات بالصدفة. توجه إلى الحضور بكل ثقة، وقال: سأضرب لكم مثالا لنرى فيه علاقة لغة الرياضيات بما نريد إثباته. فلنفترض أن أحدكم يملك عشرة قمصان من ألوان مختلفة، أعرفها أنا وأصدقائي، ولنفترض أي سأقول للأصحاب: إنك غداً سترتدي القميص الأحمر.. في اليوم التالي تجيء وقد لبست قميصاً أحمر، فأهتف بفرح: انظروا! إني نبي!)، لاشك أنكم ستقولون: (كان هذا صدفة، فلديك فرصة نجاح واحدة من عشرة، وقد أفلحت هذه المرة)

ولأفترض أن لديك خمس قبعات مختلفة، وأنت تمتلك ثلاثة أزواج من الأحذية من ألوان مختلفة. إن لغة الرياضيات تعطيني فرصة من عشر فرص، لأنبأ بصواب لون قميصك، وعندني فرصة من خمس لأنبأ بصواب لون قبعتك، وعندني فرصة من ثلاث لأنبأ بصواب لون حذائك، ولكن فرص صوابي في التنبؤ بهذه كلها معاً يكون واحداً من عشرة في واحد من خمسة في واحد من ثلاثة. بمعنى فرصة بين ١٥٠ فرصة. قال ذلك، ثم توجه إلى الحضور قائلاً: لاشك أنكم تستوعبون ما أقول.. فهذا ما تنص عليه الرياضيات. قال أحدهم: أجل.. فأنت بين جمهور مثقف يعي كل ما تذكره.. إنك تشير إلى فرع من الرياضيات يسمى (الاحتمالات)، وله قوانينه التي نصصت أنت هنا على بعضها.

قال بولس: سأنتقل من هذه المقدمة لأبرهن لكم عن مدى الصدق الذي تحمله النبوءات التي وردت في الكتاب المقدس.. وسأستبق الأحداث لأقول: إن فرصة انطباق تلك النبوءات كان فرصة واحدة في ٢٧٨ في ١٠ أس ٢٨.. أو بتعبير مبسط فرصة واحدة في ١٠ آلاف مليون مليون مليون فرصة.

ألا ترون هذا العدد كافياً لإثبات معجزة نبوءات الكتاب المقدس!؟

قال رجل من الحاضرين: لا شك في ذلك.. ولكن كيف ذلك؟

**نبوءات عن المسيح:**

قال بولس: سأبرهن لكم على ذلك.. نحن نؤمن بالعقل، ولا نستعمل غير العقل.  
أنتم تعلمون أن نسخ الكتاب المقدس وجدت قبل المسيح.  
قالوا: أجل..

قال بولس: وكلها تتحدث عن المسيح.. اصبروا.. وسأبرهن لكم على ذلك.  
أول نبوءة سأقرأها عليكم يعود تاريخها إلى عام ٧٥٠ ق م، تتحدث هذه النبوءة عن عذراء ستلد وليداً  
يكون عجيباً حتى أنه يُدعى (عمانويل) ومعناه (الله معنا).. اسمعوا ما تقول نبوءة إشعياء (٧:١٤)  
فتح الكتاب المقدس، وراح يقرأ: (وَلَكِنْ يُعْطِيكُمْ السَّيِّدُ نَفْسَهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو  
اسْمَهُ عِمَّاوَيْيلَ)

وتخبر نبوءة ثانية أن المسيح سيكون من نسل داود، تقول نبوءة إرميا (٥: ٢٣، ٦): (هَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُ  
الرَّبُّ وَأُقِيمُ لِدَاوُدَ غُضْنَ بَرٌّ، فَمِثْلُكَ مَلِكٌ وَيَنجَحُ، وَيُجْرِي حَقًّا وَعَدْلًا فِي الْأَرْضِ فِي أَيَّامِهِ يُخَلِّصُ يَهُودًا  
وَيَسْكُنُ إِسْرَائِيلَ آمِنًا، وَهَذَا هُوَ اسْمُهُ الَّذِي يَدْعُوهُ بِهِ: الرَّبُّ بَرُّنَا )  
أتدرون ما تاريخ هذه النبوءة؟

قال ذلك، ثم أجاب نفسه بنفسه: إن تاريخها يعود إلى عام ٦٠٠ ق م.

ثم توجه إلى الحضور قائلاً: لا شك أنكم تتساءلون عن مدى تحقق هذه النبوءة.. إنه مائة بالمائة.

اسمعوا لما ورد في تحقيق النبوتين من لوقا (٢٦: ١-٣٨): (وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلَكُ مِنَ  
اللَّهِ إِلَى مَدِينَةِ مِنَ الْجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةُ، إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ  
مَرِيَمُ فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: (لَا تَخَافِي يَا مَرِيَمُ، لِأَنَّكَ قَدْ وَجَدْتَ نِعْمَةً عِنْدَ اللَّهِ وَهَا أَنْتِ سَتَحْبِلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا  
وَتُسَمِّيَنَّهُ يَسُوعَ هَذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنُ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الْإِلَهَ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ  
يَعْقُوبَ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَا يَكُونُ لِمُلْكِهِ نَهَايَةٌ)

فَقَالَتْ مَرِيَمُ لِلْمَلَكِ: (كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلًا؟) فَأَجَابَ الْمَلَكُ: (الرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ  
عَلَيْكَ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكَ، فَلِذَلِكَ أَيْضًا الْقُدُوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنُ اللَّهِ) فَقَالَتْ مَرِيَمُ: (هُوَذَا أَنَا أَمَةٌ  
الرَّبِّ لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ) فَمَضَى مِنْ عِنْدِهَا الْمَلَكُ.

لندركوا قيمة هذه النبوءة يجب أن نعرف كم عدد اليهود الذين ينتمون لعائلة الملك داود وقتها..

والجواب بسيط: لقد كانت عائلة داود واحدة من مئات عائلات سبط يهوذا، ولكن لا بد أن العائلة.. و  
هي عائلة ملكية.. قد صاهرت بقية عائلات سائر الأسباط، واختلطت بها، وافتخر هؤلاء أنهم من نسل داود،  
لأسباب سياسية.

لا بأس نحن هنا سنقتصر على ٢٠٠.. سنفرض أن فرصة تحقيق هذه النبوءة هي واحد في ٢٠٠ فقط.. أي  
٢ في ١٠ أس ٢.

هذه نبوءة واحدة استنتجنا منها هذا العدد الضخم..

اصبروا.. فهناك نبوءات أخرى.. ولكن احفظوا هذا الرقم، أو سجلوه، سنحتاج إليه..

سكت قليلا، ثم قال: هناك نبوءة أخرى تخبر أنه يولد في بيت لحم حاكمٌ أبدي، لقد جاء هذا في نبوءة ميخا (٥:٢)

فتح الكتاب المقدس، وراح يقرأ: (أَمَا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ أَفْرَأْتَهُ، وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُودَا، فَمِنْكَ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَمَخَارِجُهُ مِنْذُ الْقَدِيمِ مِنْذُ أَيَّامِ الْأَزَلِ) ثم توجه إلى الحضور قائلًا: أتدرون ما تاريخ هذه النبوءة.. إن تاريخها يعود إلى عام ٧٥٠ ق م. لا شك أنكم تتساءلون عن نسبة تحققها..

لقد تحققت هذه النبوءة بالرغم من أن يوسف ومريم كانا يسكنان في الناصرة في شمال البلاد، لأن أغسطس قيصر أمر بإحصاء السكان، كل واحد في مدينته الأصلية، فكان لا بد أن يسافر يوسف ومريم خطيبته إلى بيت لحم في جنوب البلاد.

لقد جاء في (لوقا ١: ٢٠-٧): (وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ صَدَرَ أَمْرٌ مِنْ أَوْغُسْطُسَ قَيْصَرَ بِأَنْ يُكْتَسَبَ كُلُّ الْمَسْكُونَةِ فَذَهَبَ الْجَمِيعُ لِيُكْتَسَبُوا، كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَدِينَتِهِ فَصَعِدَ يُوسُفُ أَيْضًا مِنَ الْجَلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ الَّتِي تُدْعَى بَيْتَ لَحْمٍ، لِكُونِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتِلْدَ فَوَلَدَتْ ابْنَهَا الْبَكْرَ)

أغلق الكتاب المقدس، ثم قال: إن هذه النبوءة تذكر أن المسيح سيولد في بيت لحم، وهذا يجعلنا نتساءل: كم طفلًا، من بين كل أطفال العالم، وُلد في بيت لحم؟ في وقت إعلان النبي ميخا لهذه النبوءة. لقد كان عدد سكان العالم حينها بليونين، ومتوسط عدد سكان بيت لحم ٧ آلاف فتكون فرصة تحقيق النبوءة واحدًا من ٢٨٠ ألف فرصة.. أو بعبارة أخرى: واحد في ٢٨٠ في ١٠ أس ٥. هذا عدد ضخم.. ولكننا مع ذلك لا نكتفي به..

هناك نبوءة أخرى تخبر عن رسول يهيبى طريق المسيح.. فتح الكتاب المقدس وراح يقرأ من (ملاخي ١: ٣): (هَا أَنْذَا أُرْسِلُ مَلَائِكِي فِيهِئِي الطَّرِيقَ أَمَامِي وَيَأْتِي بَعْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدِ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ وَمَلَاكُ الْعَهْدِ الَّذِي تُسْرُونَ بِهِ هُوَذَا يَأْتِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ) ثم توجه إلى الحضور قائلًا: أتدرون ما تاريخ هذه النبوءة؟ ثم أحاب نفسه بنفسه: إن تاريخها يعود إلى عام ٤٠٠ ق م.

وفي نبوءة أخرى تؤكد هذه النبوءة يقول إشعياء (٤٠: ٣): (صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ قَوْمُوا فِي الْفَقْرِ سَبِيلًا لِلْإِهْنَاءِ) لقد تحققت هذه النبوءة مائة في المائة ..

اسمعوا ما ورد في (يوحنا ١: ١٩-٣٠): (وَهذِهِ هِيَ شَهَادَةُ يُوحَنَّا، حِينَ أُرْسِلَ الْيَهُودُ مِنْ أَوْرَشَلِيمَ كَهَنَةً وَكَاوَيْنَ لِيَسْأَلُوهُ: (مَنْ أَنْتَ؟) فَاعْتَرَفَ وَلَمْ يُنْكِرْ، وَأَقْرَأَ أَنِّي لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحُ فَقَالُوا لَهُ: (مَنْ أَنْتِ، لِنُعْطِي جَوَابًا لِلَّذِينَ أُرْسَلُونَا؟ مَاذَا تَقُولُ عَنْ نَفْسِكَ؟) قَالَ: (أَنَا صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: قَوْمُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، كَمَا قَالَ إِشْعِيَاءُ النَّبِيُّ) وَفِي الْعَدِّ نَظَرَ يُوحَنَّا يَسُوعَ مُقْبِلًا إِلَيْهِ، فَقَالَ: (هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ هَذَا هُوَ الَّذِي

قُلْتُ عَنْهُ يَأْتِي بَعْدِي، رَجُلٌ صَارَ قَدَامِي، لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي)

طبعاً.. أنتم تتساءلون عن مدى تحقق هذه النبوة.

يحق لكم ذلك.. فنحن لا نتعامل إلا بالمنطق الرياضي..

ولنعرف ذلك نسأل: بين المولودين في العالم، كم شخصاً كان مسبقاً بأخر يهيمى له الطريق؟.. يمكننا أن

نقترح — من باب التواضع — أن واحداً بين ألف كان قائداً مسبقاً بمن يهيمى له الطريق، فتكون فرصة تحقيق

هذه النبوة واحداً في ١٠ أس ٣.

ثم تسأل بينه وبين نفسه.. أليس هذا عجبياً؟

ثم يجيب نفسه بنفسه: بلى.. إنه عجيب غاية العجب.

ثم توجه إلى الحضور قائلاً: ولكن مع ذلك هناك نبوءات أخرى..

فتح الكتاب المقدس، وقال: هناك نبوءة أخرى تخبر أن المسيح سيجري معجزات كثيرة.. لقد جاء في نبوة

إشعياء (٤: ٣٥-٦) أن المسيح سيُجري معجزات كثيرة.. اسمعوا..

راح يقرأ: ( قُولُوا لِخِثَائِي الْقُلُوب: (تَشَدَّدُوا لَأ تَخَافُوا هُوَذَا إِلَهُكُمْ الْاِتِّقَامُ يَأْتِي جِزَاءَ اللَّهِ هُوَ يَأْتِي

وَيُخَلِّصُكُمْ) حِينَئِذٍ تَنْفُتِحُ عِيُونَ الْعُمَى، وَأَذَانُ الصُّمِّ تَنْفُتِحُ حِينَئِذٍ يَقْفِزُ الْأَعْرَجُ كَالْيَلِيلِ وَيَتَرْتَمُ لِسَانُ الْأَخْرَسِ )

أنتم تتساءلون عن مدى تحقق هذه النبوة.. يحق لكم ذلك.

طبعاً من الصعب معرفة الرقم بدقة.. ففي الكتاب المقدس الحديث عن أربعة أنبياء أجروا الكثير من

المعجزات، هم موسى وإيليا وأليشع والمسيح، ولو أن المسيح أجرى معجزات أكثر من الثلاثة الآخرين مجتمعين

معاً.. فمعجزات المسيح بأكثر من ألف معجزة..

ولكن مع ذلك سترجع إلى الإسلام لنعرف الرقم بدقة.. فالمسلمون يعتقدون بوجود ١٢٤ ألف نبي، ولهذا

سنستخدم هذا الرقم، ونقول: إن المسيح كان واحداً من ١٢٤ ألفاً.. إذا فرصة تحقيق هذه النبوة هي ١٢٤

في ١٠ أس ٥.

هذا عدد ضخم.. ولكن مع ذلك.. هناك نبوءات أخرى.

اسمعوا هذه النبوءة التي تتحدث عن وقوف إخوته ضده بالرغم من المعجزات الكثيرة التي جرت على يده.

فتح الكتاب المقدس، وراح يقرأ من (مزمو ٨: ٦٩): (صِرْتُ أَحَبَّيًّا عِنْدَ إِخْوَتِي وَغَرَبِيًّا عِنْدَ بَنِي أُمَّي )

إن تاريخ هذا المزمور يعود إلى عام ١٠٠٠ ق م.

توجه إلى الحضور قائلاً: لا شك أنكم تتساءلون عن صحة تحقق هذه النبوءة في المسيح..

ثم أحاب نفسه: بلى.. لقد تحققت.. اسمعوا ما جاء في (يوحنا ٣: ٧-٥): ( قَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: (انْتَقِلْ مِن هُنَا

وَأَذْهَبْ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ إِنْ كُنْتَ تَعْمَلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ فَأَظْهَرْ نَفْسَكَ لِلْعَالَمِ) لِأَنَّ إِخْوَتَهُ أَيْضاً لَمْ يَكُونُوا يُؤْمِنُونَ بِهِ )

ثم توجه إلى الحضور قائلاً: لا شك أنكم تتساءلون عن نسبة تحقق هذه النبوءة.

وذلك يجعلنا نتساءل: كم رئيس يجد عائلته تقف ضده؟ رؤساء كثيرون يضعون أعضاء عائلتهم في أماكن

القيادة، ورؤساء كثيرون قتلهم أفراد عائلاتهم، ولذلك سنكتفي بأن نقول إن فرصة تحقيق هذه النبوة هو ٢ في



١٠ أس ١.

فتح الكتاب المقدس، وقال: هناك نبوءة تخبر أن المسيح الملك يدخل عاصمته راكباً حماراً.. لقد جاء في نبوءة زكريا (٩:٩): (إِبْتَهَجِي جَدًّا يَا ابْنَةُ صِهْيُونِ، اهْتَفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ هُوَذَا مَلِكُكَ يَأْتِي إِلَيْكَ هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ، وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشِ ابْنِ أَثَانَ )

ثم توجه إلى الحضور قائلًا: أتدرّون ما تاريخ هذه النبوءة؟

ثم أجاب نفسه بنفسه: إن تاريخها يعود إلى عام ٥٢٠ ق م.

لا شك أنكم تتساءلون عن صحة تحقق هذه النبوءة في المسيح..

يحق لكم ذلك.. والجواب العلمي يحملنا إلى سفر يوحنا (١٢:١٢-١٤)

فتح الكتاب المقدس، وراح يقرأ: ( وَفِي الْعَدِ سَمِعَ الْجَمْعُ الْكَثِيرُ الَّذِي جَاءَ إِلَى الْعَبِيدِ أَنَّ يَسُوعَ آتٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ، فَأَخَذُوا سُعُوفَ النَّخْلِ وَخَرَجُوا لِلِقَائِهِ، وَكَانُوا يَصْرُخُونَ: (أَوْصِنَا! مَبَارَكُ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ، مَلِكُ إِسْرَائِيلِ!) وَوَجَدَ يَسُوعُ جَحْشًا فَجَلَسَ عَلَيْهِ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ )

انظروا مدى انطباق هذه النبوءة العظيمة على المسيح..

لقد اختار المسيح أن يركب حماراً، وتحققت الجموع من النبوءة بأن هتفوا له وعاملوه كملك يدخل عاصمته زمن السلام.

ولتعرفوا مدى عمق النبوءة وخطرها يجب أن تعلموا أن الملك داود كان يركب البغال كما في (١ ملوك

(١:٣٣

وهذا يجعلنا نتساءل: كم شخصاً دخل أورشليم كملكٍ راكباً جحشاً.

سنفترض بكل تواضع: أن نسبة تحقيق النبوءة واحد في ١٠ أس ٢.

ليس ذلك فقط.. هناك نبوءة أخرى تخبر أن الرؤساء والملوك سيدبّرون مكيدة للمسيح.. لقد جاء في

مزمور (٢:١ و ٢): (لِمَاذَا ارْتَجَّتِ الْأُمَمُ وَتَفَكَّرَ الشُّعُوبُ فِي الْبَاطِلِ؟ قَامَ مُلُوكُ الْأَرْضِ وَتَأَمَّرَ الرُّؤَسَاءُ مَعًا عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ )

لا شك أنكم تتساءلون عن مدى تحقق هذه النبوءة في المسيح.. يحق لكم ذلك.

والجواب بسيط: لقد تحققت هذه النبوءة مائة بالمائة.. لقد قام ملوك ضد المسيح، كما نقرأ في (لوقا ٢٣: ٧

و ١١): (وَحِينَ عِلِمَ (ببلاطس) أَنَّهُ (المسيح) مِنْ سُلْطَنَةِ هِيرُودُسَ (الملك)، أَرْسَلَهُ إِلَى هِيرُودُسَ فَاحْتَقَرَهُ هِيرُودُسُ مَعَ عَسَاكِرِهِ وَاسْتَهْزَأَ بِهِ، وَأَلْبَسَهُ لِبَاسًا لَامِعًا، وَرَدَّهُ إِلَى بَبِلَاطُسَ ) (والي القيصر))

وجاء في (يوحنا ٤٧: ١١ و ٥٣): (فَجَمَعَ رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ مَجْمَعًا وَقَالُوا: (مَاذَا نَصْنَعُ؟ فَإِنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ يَعْمَلُ آيَاتٍ كَثِيرَةً فَمِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ تَسْأَوْرُوا لِيَقْتُلُوهُ))

أغلق الكتاب المقدس، وتوجه للحضور قائلًا: لا شك أنكم تتساءلون عن مدى دقة هذه النبوءة وعمقها..

ولمعرفة ذلك نتساءل: كم شخصاً أقام موتى، ثم حُكم عليه بالموت؟

والجواب بسيط: ثلاثة فقط يذكرهم الكتاب المقدس هم من أقاموا موتى.

إن هذا يجعلنا نتساءل من جديد: كم شخصاً لم يعملوا إلا خيراً، ومع ذلك قام كل الحكام ضدهم؟ سنكتفي بكل تواضع بتقدير هذه النسبة البسيطة.. ٢ في ١٠ أس ١. ابتسمت لقوله هذا.. فقد كانت الأرقام تجري في فمه بسهولة ويسر.. وكان يلقيها كما يشاء.. يختار منها ما يشاء، ويدع ما يشاء.

نظرت إليه، فقال: طبعاً أنتم تتعجبون من هذه الدقة العجيبة.. ومع ذلك فهناك نبوءات أخرى.. اسمعوا هذه النبوءة التي تخبر أن المسيح سيُصلب.. لقد جاء في (مزمو ١٦: ٢٢): (جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَشْرَارِ اكْتَفَنَتْنِي ثَقُبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ)

أندرون ما تاريخ هذه النبوءة؟.. إن هذا المزمور كتبه داود نحو عام ١٠٠٠ ق.م. توجه إلى الحضور قائلاً: طبعاً.. أنتم تتساءلون عن مدى تحقق هذه النبوءة في المسيح.. والجواب العلمي بسيط.. اسمعوا ما جاء في (لوقا ٢٣: ٣٣): (وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى (جُمُحْمَةً) صَلَبُوهُ هُنَاكَ مَعَ الْمُنْدُوبِينَ، وَاحِداً عَنِ يَمِينِهِ وَالْآخَرَ عَنِ يَسَارِهِ)

هذه نبوءة خطيرة.. وهي تجعلنا نتساءل: كم شخصاً صُلب منذ أيام داود إلى يومنا هذا؟ طبعاً أنتم تتعجبون من استمرار العد إلى يومنا هذا.. والجواب ببساطة هو أن اليهود لا زالوا إلى اليوم يتطلعون إلى مجيء المسيح.

بالإضافة إلى هذا، فقد كان هناك وسائل إعدام كثيرة.. منها السيف والمقصلة والشنق والرحم، ولم يكن اليهود يستخدمون الصَّلب، بل الرحم، مما يجعل للنبوءة مغزاها الخاص. ولهذا يمكن أن نقول بكل تواضع كذلك: إن فرصة تحقيق هذه النبوءة هي واحد من ١٠ آلاف (أو ١ في ١٠ أس ٤)

طبعاً.. إن هذا عجيب.. ولكن مع ذلك، فإن العجب لا ينتهي.. لقد جاء في نبوءة أخرى أنهم يقتسمون ثيابه، ويلقون قرعة على قميصه، كما جاء في (مزمو ١٨: ٢٢): (يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ)

لقد تحققت هذه النبوءة مائة في المائة.. لقد جاء في (يوحنا ١٩: ٢٣ و ٢٤): (ثُمَّ إِنَّ الْعَسْكَرَ لَمَّا كَانُوا قَدْ صَلَبُوا يَسُوعَ، أَخَذُوا ثِيَابَهُ وَجَعَلُوهَا أَرْبَعَةَ أَقْسَامَ، لِكُلِّ عَسْكَرِيٍّ قِسْماً، وَأَخَذُوا الْقَمِيصَ أَيْضاً، وَكَانَ الْقَمِيصُ بغيرِ خِيَاطَةٍ، مَنْسُوجاً كُلُّهُ مِنْ فَوْقٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: (لَا نَشُقُّهُ، بَلْ نَقْتَرِعُ عَلَيْهِ لِمَنْ يَكُونُ))

توجه إلى الحضور قائلاً: لاشك أنكم تتساءلون عن مدى دقة هذه النبوءة. يحق لكم ذلك.. ولمعرفة ذلك يجب أن نقر بأن قسمة ثياب المصلوب كانت عادةً متبعة عند العسكرة، ولكن وجود قميص منسوج بغير خياطة ليلقوا عليه قرعة لم يكن أمراً معتاداً.. فلماذا نحسب فرصة تحقيق هذه النبوءة واحداً في مائة أو ١ في ١٠ أس ٢.

لا تتعجبوا.. فهناك نبوءة أخرى تذكر أن المسيح كان باراً إلا أنه حُسب مع الأشرار، وجُعل مع غني عند موته، كما جاء نبوءة إشعياء (٩: ٥٣ و ١٢): (وَجُعلَ مَعَ الْأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيِّ عِنْدَ مَوْتِهِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ

ظُلْمًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي فِعْهِ غِشٌّ وَأُحْصِيَ مَعَ أُنْمَةٍ )

لاشك أنكم تتساءلون عن مدى انطباق هذه النبوءة على المسيح.. يحق لكم ذلك.  
فتح الكتاب المقدس، وراح يقرأ من (مرقس ٢٧:١٥): ( وَصَلُّوا مَعَهُ لِصَيِّنٍ، وَاحِدًا عَنِ يَمِينِهِ وَآخَرَ عَنِ

يَسَارِهِ )

ثم ألقى نظرة على الحضور، ثم راح يقرأ من (متى ٢٧:٥٧-٦٠): ( فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ،  
وَأَسْلَمَ الرُّوحَ وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءَ، جَاءَ رَجُلٌ غَنِيٌّ مِنَ الرَّامَةِ اسْمُهُ يُوسُفُ - وَكَانَ هُوَ أَيْضًا تَلْمِيذًا لِيَسُوعَ فَهَذَا  
تَقَدَّمَ إِلَى بِيلاطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ فَأَمَرَ بِيلاطُسُ حَيِّثُ أَنْ يُعْطَى الْجَسَدُ فَأَخَذَ يُوسُفُ الْجَسَدَ وَلَفَّهُ بِكَتَّانٍ  
نَقِيٍّ، وَوَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ الْحَدِيدِ الَّذِي كَانَ قَدْ نَحْتَهُ فِي الصَّخْرَةِ )

ثم توجه إلى الحضور قائلاً: إن هذه النبوءة تجعلنا نتساءل: كم نسبة من يُصلبون وهم أبرياء؟.. أتمنى أن  
تكون نسبة قليلة، واحداً من كل ١٠.

والسؤال الثاني: كم نسبة من يُصلبون ويُدفنون مع الأغنياء؟

ثم أحاب نفسه: لا شك أن نسبة اللصوص الأغنياء الذين يصلبون قليلة، فلهم أصدقاء ومحامون يدافعون  
عنهم.. ولهذا سنفترض أن النسبة واحد من ألف (أو ١ في ١٠ أس ٣)

لا تتعجبوا.. فهناك نبوءة أخرى تخبر أن المسيح بعد موته يقوم.. لقد جاء في إشعياء (٨:٥٣-١٠): ( قُطِعَ  
مِنْ أَرْضِ الْأَحْيَاءِ أَمَّا الرَّبُّ فَسَرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحُزْنِ إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةً إِثْمٍ يَرَى نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ )

ثم توجه إلى الحضور قائلاً: طبعاً أنتم تتساءلون عن مدى تحقق هذه النبوءة في المسيح.. يحق لكم ذلك..  
اسمعوا.

فتح الكتاب المقدس وراح يقرأ من (لوقا ٣٦:٢٤-٤٣): ( وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِهِذَا وَقَفَ يَسُوعُ نَفْسُهُ فِي  
وَسَطِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: (سَلَامٌ لَكُمْ!) أَنْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ: إِنِّي أَنَا هُوَ جَسُونِي وَأَنْظُرُوا، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ  
وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي) فَتَنَاوَلُوهُ جُزْءًا مِنْ سَمَكٍ مَسْوِيٍّ، وَشَيْئًا مِنْ شَهْدِ عَسَلٍ فَأَخَذَ وَأَكَلَ قُدَّامَهُمْ )

نظر إلى الحضور.. والابتسامة تملأ فمه، وهو يقول: لنكتفي بهذه النبوءات.. ولنعد الآن إلى الحساب..  
لاشك أن الكثير منكم سجل حساب الاحتمالات..

نفض واحد من الجمع، وقال: لقد سجلت أنا جميع الاحتمالات، وهي: واحد من ٢ في ١٠ أس ٢ في  
٢٨٨ في ١٠ أس ٥ في ١٠ أس ٣ في ١٠ أس ٢٤ في ١٠ أس ٥ في ٢ في ١٠ أس ١ في ١٠ أس ٢ في ٢ في ١٠ أس  
١ في ١٠ أس ٤ في ١٠ أس ١ في ١٠ أس ٣.

نفض آخر، وقال إن مجموع هذا الرقم يعطينا فرصة واحدة في ٢٧٨ في ١٠ أس ٢٨.. أو بعبارة أخرى:  
لها فرصة واحدة في ١٠ آلاف مليون مليون مليون فرصة.

سكت قليلاً، ثم نظر إلى الحضور بحشوع، وقال: هل رأيتم؟.. هل يمكن أن تتحقق هذه النبوءات بالصدفة  
وحدها؟.. كيف يتفق لرجل، أي رجل، يكون قد عاش منذ كتبت هذه النبوات إلى عصرنا الحاضر أن يحقق  
هذه النبوءات العشر بالصدفة وحدها؟

سنحصل على الإجابة لو أننا قسمنا ١٠ أس ٢٨ على عدد البشر الذين عاشوا منذ كُتبت تلك النبوات والعدد الذي نعرفه هو ٨٨ بليون إنسان (أو ٨٨٨ في ١٠ أس ١٠ الذي سنبسّطه بقولنا ١ في ١٠ أس ١١) ويقسمة هذين العددين يتضح لنا أن الفرصة هي واحد في عشرة أس ١٧!

طبعاً.. هذه أرقام ضخمة قد يصعب على الخيال تصورها.. ولهذا سأقربها لكم.. لنفترض أننا نأخذ ١٠ أس ١٧ قطعة عملة من فئة العشرة قروش ونضعها متجاورة على مساحة ٧٠٠ ألف كيلومتر مربع (وهي مساحة الأردن وسوريا والعراق مجتمعة) إنها ستغطي كل هذه المساحة بعمق متر واحد.

ولندرك قيمة تلك النبوءات، ومدى الإعجاز الذي تحمله نضع علامة على إحدى هذه العملات، ثم نخلطها بالبقية، ثم نطلب من شخص أن يُخرج العملة ذات العلامة من أول مرة. تخيّلوا حجم المشكلة التي يعانيتها من يكلف بهذا..

إنه لاشك سيختار من أين يبدأ بالبحث؟.. وما هو احتمال استخراجه قطعة العملة المطلوبة؟ هذه بالضبط مشكلة من يريد تحقيق هذه النبوات العشر بضربة حظ واحدة! إذاً لا يمكن أن يكون هؤلاء الأنبياء قد تكلموا بحكمتهم الذاتية.

هدأ بولس قليلاً من انفعالاته، ثم جلس، وهو يقول بخشوع: لن أذكر لكم أي استنتاج.. ولكني أقول: إن تحقيق هذه النبوات دليل على أن الله ألهم هؤلاء الأنبياء في ما كتبوا، ففرصة الصدفة عندهم هي فرصة واحدة في ١٠ أس ١٧ فرصة.

هذا مع أننا لم نورد كل النبوات.. فنحن لم نذكر مثلاً النبوات عن ميلاد المسيح العذراوي وقد جاءت ١٦ نبوة عن صلب المسيح اخترنا منها أربعاً فقط.

لقد ألهم الله أنبياء التوراة في ما كتبوا، ثم حقق ما كتبه لتؤكد أن موت المسيح وقيامته ليفدينا من خطايانا أمرٌ صحيح.

بعد هذا كله نفهم قول المسيح: (صَدَّقُونِي أَنِّي فِي الْآبِ وَالْآبِ فِيَّ) (يوحنا ١٤: ١١) وقوله: (لِهَذَا يُحِبُّنِي الْآبُ، لِأَنِّي أَضَعُ نَفْسِي لِأَخْذِهَا أَيْضاً) (يوحنا ١٧: ١٠)

قال ذلك، ثم توجه إلى الحضور قائلاً: هذا ما لدي.. وسأترك لكم المجال للتعقيب والمناقشة.. فنحن هنا لسنا أئمة مساجد.. بل نحن نعتمد روح العلم.. ونعتمد المنطق الرياضي.. ونعتمد فوق ذلك كله الموضوعية العلمية التي تجعلنا نسلم للمحقق مهما كنا نخالفه.

هض الرجل المستأجر كعادته، وقال: حيوا أبانا القس.. لقد لبس اليوم لباس فيثاغورس والخوارزمي ليقربنا من المسيح.. ثم صفق ما شاءت له يده أن تصفقا، وشفق الحضور لتصفيقه.

وفجأة ارتفعت يد تريد التعقيب التفت إلى صاحبها، فإذا به عبد الحكيم.

رآه بولس، فكست وجهه حمرة لست أدري ما سرها، لكنه أذن له..

صعد عبد الحكيم إلى المنصة، وقال: بورك في أيينا القس.. ونحن نشكره على هذا الجهد الذي بذله في

هذه المحاضرة القيمة.. وبما أن صدره اتسع ليسمع أسئلتنا وتعقيباتنا، فيسرننا أن نطرح عليه بعض التساؤلات.. وقبل أن أقدم هذه التساؤلات أحب أن أذكر بأن القرآن نفسه يخبر بأن الأبناء تنبأوا بظهور المسيح عليه السلام، فالله تعالى يخبر عن يحيى عليه السلام أنه مصدق للمسيح، قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: ٣٩) انتفض بولس فرحا، وقال: انظروا.. حتى القرآن يسجل نبوءة أخرى، فيخبر أن يحيى (المعمدان) سيهيئ الطريق للمسيح.. أليس هذا عجيبا!؟

قال عبد الحكيم: نحن لا نختلف في إيماننا بالمسيح.. بل إن من كفر بالمسيح — عندنا — كفر بمحمد.. ولكن مع ذلك.. ووفقا للمنهج الذي ارتضيته.. المنهج العلمي الموضوعي.. بل المنطق الرياضي.. أريد أن أناقش بعض ما ذكرته لا لأنفي كون الأنبياء بشروا بالمسيح، ولكن لأنفي بعض التعسف في تحميل النصوص ما لا تحتتمل<sup>١</sup>.  
تغير وجه بولس، لكنه تمالك نفسه، وقال: اذكر ما بدا لك.. فلن تجد عندي غير الحق.. ولا شيء غير الحق.

### نبوءات ملفقة:

قال عبد الحكيم: أولا.. أرى أنك وقومك ترجعون كثيرا إلى متى في ذكر انطباق النبوءات على المسيح.. ويحق لك ذلك، لأنه دائما يقول: ( وهذا كله لكى يتم ما قيل.. ) ثم يذكر نص العهد القديم.  
التفت إلى بولس، وقال: ألا ترى أن هذه العبارة مقحمة في إنجيل متى؟  
لم يجد بولس إلا أن يقول: نعم.. ربما تكون هذه الصيغ إسهاما خاصا من كاتب انجيل متى<sup>٢</sup>.. ولكنها مع ذلك تعبر عن الحقيقة.  
قال عبد الحكيم: ولهذا، فأنتم تذكرون أن متى يكتب لليهود، ولوقا لليونانيين، ومرقص للرومان، ويوحنا للكليسة.

قال بولس: أجل.. نحن نقول ذلك.

قال عبد الحكيم: فهذا اعتراف ضمنى منكم بأن كل واحد يكتب على هوى الفئة التي يكتب لها لمحاولة إقناعها حسب معتقداتها.  
ولهذا، فإن متى أو من كتب إنجيل متى<sup>٣</sup> يحاول بأى طريقة أن يربط بين القصص التي يكتبها، وبين العهد القديم لإقناع اليهود.  
قال بولس: لا جناح عليه في أن يفعل ذلك ما دام يتحرى الحق.

---

(١) انظر تفاصيل أخرى مرتبطة بهذا في الرسالة الأولى (أنبياء يبشرون بمحمد).  
(٢) الكثير من المسيحيين يعترفون بأن عبارات متى محشورة بطريقة مصطنعة غير مقنعة، انظر على سبيل المثال: التفسير الحديث إنجيل متى صفحة ٣١ (طبع بموافقة الكنيسة المصرية)  
(٣) انظر حقيقة سفر متى في (الكلمات المقدسة) من هذه السلسلة.

قال عبد الحكيم: نعم.. لا حرج عليه في ذلك.. ولكن العجيب أن يكون متى هو الوحيد الذي اكتشف هذه النبوءات، مع أنكم تكادون تجمعون على أن إنجيل متى كتب بعد سنة ٨٠ ميلادية، وليس قبل ذلك. إن هذا يستدعي تساؤلات كثيرة، لعل أهمها يرجع إلى عدم ذكر المسيح لها، فما الفائدة أن يذكر كاتب إنجيل متى هذا التشابه بعد رفع المسيح.. أليس من الأفضل إذا كانت هذه نبوءة صحيحة أن تذكر في وقتها ويؤمن بها الجميع أو البعض بسهولة؟  
لا بأس.. فلندع هذا التساؤل..

ولنبحث في النبوءات نفسها، ومدى انطباقها على المسيح..  
لنبدأ بالنبوءة الأولى.. وهي نبوءة إشعيا المشهورة عن العذراء التي تحبل و تلد ابنا يدعى عمانويل.  
فهذه النبوءة لا تنطبق على المسيح من وجوه كثيرة، منها أن المسيح لم يدع بهذا الاسم طول حياته.. ومنها أن كلمة (عذراء) مترجمة بصورة خاطئة، وكاتب الإنجيل متى وجد كلمة عذراء المترجمة خطأ، فربطها بميلاد المسيح<sup>١</sup>.

ثم إن قصة بشارة الملاك في (لوقا: ١ / ٣١ : ٣١): (و ها أنت ستحبلين وتلدن ابنا وتسمينه يسوع ) تتعارض مع قصة متى، ولا ندرى هل نسميه يسوع أم عمانويل، وما أن يسوع هو الاسم المنتشر في الإنجيل عكس عمانويل الذي لم يذكر مطلقا، فهذا يرجح صيغة لوقا.

ثم إن قصة النبوءة — باختصار — هي أن أرام وفاقاح ملك إسرائيل جاءا إلى أورشليم لمحاربة آحاز بن يوثان ملك يهوذا ، فخاف خوفاً شديداً من إتفاقهما ، فأوحى الله إلى إشعيا أن تقول للتخفيف عن آحاز وتسليته: ( لا تخف فإنهما لا يقدران عليك وستزول مملكتهما)، ثم بين علامة خراب ملكهما، وهي أن امرأة شابة تحبل وتلد ابناً، وتصير أرض هذين الملكين خراباً قبل أن يعرف ويميز هذا الصبي المولود الخير من الشر.

وقد ثبت أن أرض فاقاح قد خربت في مدة إحدى وعشرين عاماً من هذه النبوءة ، فلا بد أن يولد ابن قبل هذه المدة، وتخرب الأرض قبل أن يميز، والمسيح عليه السلام ولد بعد هذه النبوءة بمدة ٧٢١ سنة من خرابها.  
احمر وجه بولس فقال عبد الحكيم: لا عليكم.. لا تتفوقوا في.. ها هو الكتاب المقدس أمامكم.. اقرأوه، فسترون مدى صدق ما ذكرته لكم.. وسأبادر، فأقرأ لكم بعض ما ورد فيه.

فتح كتابا مقدسا كان يحمله، وراح يقرأ من (إشعيا: ٨ / ٣-٤): (فاقتربت الى النبىة فحبلت وولدت ابنا.فقال لي الرب ادعو اسمه مهير شلال حاش بز لأنه قبل أن يعرف الصبي أن يدعو يا أبي ويا أمي تحمل ثروة دمشق وغنيمة السامرة قدام ملك أشور)

التفت إلى بولس، وقال: أجبني ما معنى (مهير شلال حاش بز) والتي سمي بها المولود الذي سيولد من المرأة

---

(١) فاللفظ في النسخة الأصلية، والتي ترجم منها إلى العربية لا يعني أبداً عذراء، وإنما اللفظ وارد بمعنى المرأة الصغيرة، وليس فيه أي إشارة لعذريتها.

وفي التراجم اليونانية الثلاث ترجمة أيكوثلا سنة ١٢٩م ، وترجمة تيمودشن سنة ١٧٥م ، وترجمة سميكس سنة ٢٠٠م ، جاءت ترجمتها بالإمرأة الشابة، ولا إشارة أبداً كونها عذراء أو غير عذراء..

الصغيرة؟

احمر وجه بولس، ولكنه تمالك نفسه، وقال: هي (أسرع إلى السلب.. أسرع إلى النهب) امتلأت القاعة بالضحك، فقال عبد الحكيم: لهذا هم لم يترجموا هذه العبارة في النسخة العربية.. إن هذه النبوءة لا يمكن أن تنطبق على المسيح.

هذا نموذج عن تحميل النصوص ما لا تحتمل..

هناك نموذج آخر لهذا التكلف.. إنه ما ذكره سعادة القس من قصة قتل هيرودس للأطفال، وهروب السيدة مريم بالمسيح إلى مصر.

إن هذه نبوءة مخترعة اخترعها كاتب الإنجيل.. ليقول في النهاية: (فقام وأخذ الصبي وأمه ليلا وانصرف إلى مصر وكان هناك الى وفاة هيرودس. لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل من مصر دعوت ابني) وسر ذلك أنه قرأ المكتوب في سفر (هوشع: ١١ / ١): (لَمَّا كَانَ إِسْرَائِيلُ غَلامًا أَحْبَبْتُهُ وَمِنْ مِصرَ دَعَوْتُ ابْنِي) مع أن النص في هوشع لا علاقة له بالمسيح على الإطلاق، بل هو ليس نبوءة أصلا حتى نبحت تحقيقها، بل هو يتحدث عن خروج بني اسرائيل من مصر وما فعلوه بعد ذلك.

هناك نموذج آخر يدل على ذلك التكلف.. منها — مثلا — قصة المحوس، فهي كلها ملفقة، فلا يوجد أى سند تاريخي لها باعترافهم هم، ولم تسجل في أى كتاب تاريخ..

وطبعا — حضرة القس — يعلم أن متى انفرد بها دون الإنجيليين جميعا ليربطها بعد ذلك بما في (أرميا: ٣١ / ١٥): (هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: (صَوْتُ سُمِعَ فِي الرَّامَةِ نَوْحٌ بُكَاءٌ مَرٌّ. رَاحِلٌ تَبْكِي عَلَى أَوْلَادِهَا وَتَأْتِي أَنْ تَتَعَرَّى عَنْ أَوْلَادِهَا لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ)

النص في أرميا، والذي انتزعه كاتب متى من سياقه، ليس نبوءة أصلا، بل هو وصف لما حدث في إحدى غارات نبوخذنصر، ولا علاقة لها بالمسيح، ولم تخطر على بال أحد حتى لفق الكاتب هذه القصص.

### نبوءات خاطئة:

قال عبد الحكيم: سأكتفي بهذه النماذج فقط.. لأطلب من حضرة القس أن يجيبني عن بعض التساؤلات. لم يجد بولس إلا أن يجيب بالإيجاب، فقد كان يجب أن يظهر بمظهر الودود واسع الصدر، فقال عبد الحكيم: لقد جاء في (مرقص: ١٦ / ١٧-١٨): (وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمي ويتكلمون بالسنة جديدة يحملون حيات وإن شربوا شيئا مميتا لا يضرهم ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون)

لقد ذكر المسيح هنا خمسة أمور تحصل للمؤمنين به.. ونحن واثقون من كونك تابعا مخلصا للمسيح، فهل تستطيع أن تجرب أحدها.. نريد واحدا فقط.. نريد أن تشرب شيئا مميتا، ثم تقوم بيننا صحيحا معافي لا يضرك شيء؟

احمر وجه بولس، وارتفعت ضحكات في القاعة.

قال عبد الحكيم: لا بأس.. هذا اختبار خطير.. لننتقل إلى نبوءة أخرى من نبوءات المسيح، ونرى مدى

انطباقها.. لقد جاء في (متى: ١٠ / ٢٣): (وَمَتَّى طَرَدُوكُمْ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ فَاهْرُبُوا إِلَى الْأُخْرَى، فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ لَا تُكْمَلُونَ مُدُنَ إِسْرَائِيلَ حَتَّى يَأْتِيَ ابْنُ الْإِنْسَانِ)

توجه إلى بولس، وقال: لقد حدد لهم المسيح أجلا.. فقال: (حتى يأتي ابن الإنسان).. فهل أتى؟

سكت بولس، فقال عبد الحكيم: لقد ورد في (متى ١٦ / ٢٨): (فَإِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ سَوْفَ يَعُودُ فِي مَجْدِ أَبِيهِ مَعَ مَلَائِكَتِهِ، فَيَجْازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ أَعْمَالِهِ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هَهُنَا قَوْمًا لَا يَذُقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا فِي مَلَكُوتِهِ)

التفت إلى بولس، وقال: لقد ذكر المسيح أنهم لا يذوقون الموت حتى يروا المسيح.. ولكنهم ماتوا وشبعوا موتا، ومع ذلك لم يأت.

سكت بولس، فقال عبد الحكيم: لقد ورد في (متى ١٩ / ٢٨): (فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: (الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ تَبْعَثُونِي فِي التَّجْدِيدِ مَتَّى جَلَسَ ابْنُ الْإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيًّا تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الْإِثْنَيْ عَشَرَ)

إن هذا النص يشرف اثني عشر من حواربي المسيح بالجلوس لدينونة بني إسرائيل، وذلك شرف عظيم.. وهي نبوءة عظيمة.. أجبني: ألم يكن يهوذا من هؤلاء؟

أجاب بولس بالإيجاب، فقال عبد الحكيم: فلم يكن المسيح يعلم إذن بأن يهوذا سيخونه.. وبذلك لا يمكن أن تكون هذه النبوءة صحيحة.. فالخائن لا يستحق هذا الشرف الرفيع.

سكت بولس، فقال عبد الحكيم: لقد ورد في (متى: ٢٤ / ٢٨-٣٣): (لأنه حيثما تكون الجثة فهناك تجتمع النسور، وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس، والقمر لا يعطي ضوءه، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السموات تتزعزع، وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء، وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويصبرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير، فيرسل ملائكته بيق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من اقضاء السموات إلى أقصائها، فمن شجرة التين تعلموا المثل متى صار غصنها رخصا وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف قريب، هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذا كله فاعلموا انه قريب على الأبواب)

لقد ذكر المسيح هذا كله، ثم قال لهم مبينا موعده: (الحق أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول) (متى: ٢٤ / ٣٤-٣٥)

التفت عبد الحكيم إلى بولس، وقال: كل هذه الأعداد نبوءات، فهل حدث كل ما تحدث عنه؟!.. هل أظلمت الشمس، وهل القمر لم يعط ضوءه، وهل تساقطت نجوم السماء على الأرض قبل أن يمضي هذا الجيل الذي يقصد به جيل تلاميذ المسيح!؟

سكت بولس، فقال عبد الحكيم: لقد وعد المسيح أتباعه بأنهم سيقومون بمعجزات كمعجزات المسيح، أو ما هو أعظم منها، فقال كما في (يوحنا: ١٤ / ١٢): (الحق الحق أقول لكم من يؤمن بي، فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضا، ويعمل أعظم منها لأني ماض إلى أبي)



هذا ما وعدكم به المسيح.. فليحيى أحدكم ميتا.. أو يعمل أى من أعمال المسيح التى ذكرت فى الأناجيل.

## ٢ - نبوءات من القرآن الكريم

لم يدر بولس بما يجيب به اعتراضات عبد الحكيم، ولكنه مع ذلك، لم يرد أن يظهر بمظهر الضعف، فقال: نعم.. ربما تكون بعض النبوءات لم تكتمل لها عوامل الصدق، ولعل ذلك يرجع لبعض ما مس النسخ على أيدي الكتبة من تغييرات..

أو لعل ذلك يرجع إلى أن المراد الظاهر من تلك النصوص غير مقصود؟  
أو لعل ذلك يرجع إلى أسباب أخرى نجهلها.

ولكن يكفيننا النصوص الأخرى التي ذكرنا قيمتها، والتي لا تنطبق إلا على المسيح.  
جلس عبد الحكيم، واستأذن عبد القادر للقيام، فتظاهر بولس بأنه لا يراه، ولكن الجمهور المحيط بعبد القادر أخذ يصيح لينبه بولس إلى عبد القادر الذي يرفع يده، مما اضطر بولس للإذن له.  
صعد عبد القادر إلى المنصة، وأخذ مكبر الصوت، وقال: أولاً.. نشكر حضرة القس المحترم الذي أتاح لنا هذه الفرصة، نحن نشكره من كل قلوبنا.. ونحن مثله نبحت عن الحق، ولا شيء غير الحق.  
وأول ما أبدأ به حديثي هو ما بدأ به حديثه.. وهو القرآن الكريم.

لست أدري هل يصح في العرف أن نتقي من الكلام ما نريده أم لا يصح؟  
فإذا صح، فإن هذا يعني أنه إذا قال لك أخوك مثلاً: لن أعطيك.. تعتبرها أنت وعداً بأن يعطيك.. ثم تلح عليه في أن ينفذ وعده.

تظاهر الجمهور بالاستغراب، فقال: لن تحتاج لتحقيق ذلك إلا للأسلوب الذي استعمله حضرة القس، ويستعمله الكثير من إخوانه، وهو أسلوب القص.. قص ما لا ترغب فيه.. ولن تحتاج في تلك الجملة إلا أن تقص كلمة (لن) لتصبح الجملة (أعطيك)

هذا ما فعله حضرة القس مع القرآن الكريم، ليبرهن أنه ليس في القرآن الكريم، ولا في السنة المطهرة أي نبوءات غيبية، بل فوق ذلك ليبرهن على موقف القرآن السليبي من هذا النوع من المعجزات.  
سأضرب لكم مثلاً على ما قرأه حضرة القس.

لقد قرأ قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ٢٦) وسكت، مع أن الآية التي بعدها تقول: ﴿إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ (الجن: ٢٧)  
فإن الله — حسب هاتين الآيتين — استأثر بعلم الغيب، ولكنه يعلم لمن شاء من خلقه.

أما سائر الآيات التي تتحدث عن استثثار الله بعلم الغيب، فهذا من مقررات التوحيد وأصوله، فنحن لا نقول في نبينا إلا أنه بشر شرف بوحى الله، وأنه لذلك لا يعلم إلا ما علمه الله سواء كان من علم الغيب أو من علم الشهادة.

هل ترون في ذلك — حضرة الجمهور — أي حرج؟

هل هذا هو المنطق العلمي.. أم أن المنطق العلمي هو أن يزعم محمد ﷺ أنه يعلم الغيب.. ليبرهن لهؤلاء أنه مرسل من الله؟

أو أن المنطق العلمي هو أن لا يذكر الله بأنه العالم الوحيد بالغيب ليدع الفرصة لكل الكهنة والمشعوذين والخرافيين ليمأوا الدنيا بتكهناتهم.

لقد قاوم الإسلام الدجل والخرافة.. ولذلك ابتداء تلك المقاومة ببيان استئثار الله بالضر والنفع والعلم بالغيب.. وهذه هي الأدوات التي يلعب بها المشعوذون.

قاطعته الرجل المستأجر، وقال: هذا كلام نظري بحت.. ونحن هنا نريد أفعالا لا أقوالا.. نريد ما يبين المعجزة.. نريد بيانا يكشف الغيب قبل حصوله.

ابتسم عبد القادر، وقال: ذلك يطول.. ولا أظن حضرة القس يسمح لي.. فإن وقته من العزة بحيث لا يمنحه لمثلي..

صاح رجل من الحاضرين، عرفت بعد ذلك أنه مكلف من طرف عبد الحكيم بأن يقول هذا القول —: أنت لا تعرف أبانا القس.. إنه رجل واسع الصدر.. يسمع لك، ولو ظللت تحدّثه ليل نهار.. إنه جم الأدب.. عظيم الخلق.. لا يبحث إلا عن الحق.

تسمر بولس في مكانه، ولم يدر ما يقول، وتسمرت مثله في مكاني، وقد سرني ما سمعت، لأن ذلك سيمنحني فرصة لأسمع ما ورد في النصوص المقدسة من أنباء الغيب المعجزة.

قال عبد القادر: ما دام حضرة القس قد أذن لي في الحديث، فسأذكر لكم بعض ما ورد في النصوص من أنباء الغيب.. ولا شك أن فيكم المؤرخين والعلماء الذين يعون ما أقول، ويصححون ما قد أخطئ فيه.

أخرج عبد القادر مصحفا من جيبه، وقال: فلنبداً بالقرآن الكريم.. وحتى يكون كلامنا علميا، فسنتقسم أنباء القرآن الكريم الغيبية إلى ثلاثة أقسام تحيط بالزمان من جميع جوانبه: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

## ١ — أنباء من الماضي:

ولنبداً بالحديث عن الماضي.. فلا شك أن الماضي غيب كالمستقبل تماما إلا لمن أوتي من الأدوات ما يعرف به ذلك الماضي..

وقد كان محمد ﷺ أميا.. ومع ذلك ورد في القرآن الكريم أنباء كثيرة عن الغيب الماضي..

ولذلك، فإن الله تعالى يقول لنبيه ﷺ بعد أن قص عليه قصة مريم — عليها السلام —: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَاهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (آل عمران: ٤٤)

ويقول له بعد أن قص عليه قصة يوسف الطيّب: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ (يوسف: ١٠٢)

ويقول له بعد أن قص عليه قصة موسى الطيّب: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٤٤) ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ نَازِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (٤٥) ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٤٦) ﴿(القصص)

## قوم لوط:

سأضرب لكم مثالا على ما ورد في القرآن الكريم من أخبار الماضي..

لقد ذكر الله تعالى هلاك كثير من القرى، ومن بينها قوم لوط عليه السلام.. لقد ذكر ذلك في مواضع من القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِينَ إِذَا أُرْسِلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ وَلَقَدْ أُنذِرْتَهُمْ بِطُغْيَانِهِمُ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (القمر: ٣٣-٣٦).

لقد عاش لوط عليه السلام في نفس زمن إبراهيم عليه السلام مرسلًا إلى بعض الأقوام المجاورة لإبراهيم، كان هؤلاء القوم كما يخرنا القرآن الكريم يمارسون نوعاً من الشذوذ لم تعرفه البشرية قبلهم، وهو اللواط، وعندما نصحبهم لوط بأن يقلعوا عن ممارسة هذا الشذوذ وأنذرهم بطش الله وعقابه، كذبوه وأنكروا نبوته ورسالته، وتمادوا في شذوذهم وغيبهم، وفي النهاية هلك القوم بما وقع عليهم من كارثة مريعة.

لقد أشار العهد القديم إلى هذا، وذكر أن المنطقة التي أقام فيها لوط هي منطقة سدوم، وحيث أن هذه المنطقة تقع إلى الشمال من البحر الأحمر، فقد كشفت الأبحاث أن الدمار قد لحق بها تماماً، وتدل الدراسات الأثرية تدل على أن تلك المدينة كانت في منطقة البحر الميت التي تمتد على طول الحدود الأردنية الفلسطينية.

لقد وصف القرآن الكريم العذاب الذي حاق بها، فقال: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰ لَيْلَيْهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٌ﴾ (هود: ٨٢-٨٣). وفي آية أخر قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الشعراء: ١٧٢-١٧٥).

إن هذه الآيات تشير إلى نوع العذاب الذي نزل بتلك القرية..

إن جملة ﴿جَعَلْنَا عَلَىٰ لَيْلَيْهَا سَافِلَهَا﴾ تشير إلى أن المنطقة قد أصابها هزة أرضية قوية، ولهذا نجد أن بحيرة لوط، المكان الذي وقع فيه العذاب، تحمل دلائل واضحة عن كارثة كهذه.

يقول عالم الآثار الألماني وورنر كيلر: (غاص وادي سدوم الذي يتضمن سدوم وغوموراه مع الشق العظيم، الذي يمر تماماً في هذه المنطقة، في يوم واحد إلى أعماق سحيقة، حدث هذا الدمار بفعل هزة أرضية عنيفة صاحبته عدة انفجارات، وأضواء نتج عنها غاز طبيعي وحريق شامل)<sup>٢</sup>

أما الجملة الأخيرة من الآية: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَىٰ لَيْلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ﴾ فرما تعني حدوث انفجار بركاني على ضفتي بحيرة لوط، وعن ذلك يقول وورنر كيلر: (تحررت القوى البركانية التي كانت هامة في الأعماق على طول الصدع من ذلك الغور، ولا تزال فوهات البراكين الخامدة تبدو ظاهرة في الوادي العلوي من الضفة الغربية، بينما ترسب هنا الحمم البركانية وتتوضع طبقات عميقة من البازلت على مساحة واسعة من السطح الكلسي)

وتدل هذه الحمم المتحجرة وطبقات البازلت على تعرض هذه المنطقة إلى هزة عنيفة وبركان نائر في زمن

(١) انظر: القرآن الكريم ودمار قوم لوط، الكاتب التركي هارون يحيى.

(٢) وورنر كيلر، الإنجيل كتاريخ، إثبات كتاب الكتب، نيويورك: ويليام مورو، ١٩٦٤، الصفحات ٥٧-٧٦..

من الأزمنة، وتبدو هذه الكارثة بالسباق القرآني ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ﴾ قال بولس: إن ما ذكرته صحيح.. ولكن الإعجاز في هذا يرجع للكتاب المقدس، لا للقرآن.. فالكتاب المقدس هو الذي نص على هلاك قوم لوط قبل أن ينص عليه القرآن.. ولا يستبعد أن يكون القرآن قد تأثر في هذا بما ورد في الكتاب المقدس.

### ملوك مصر:

قال عبد القادر: لا بأس.. لن أجادلك في هذا.. ولكن سأذكر لك شيئا بسيطا اختلف فيه القرآن الكريم مع الكتاب المقدس، ومع ذلك كان الحق مع القرآن الكريم، فلو كان القرآن يسير تبعا للكتاب المقدس لوقع في نفس الخطأ.

لقد لقب القرآن الكريم حكام مصر القدامى بلقب (فرعون) في حوالي ستين آية كريمة.. ولكنه في سورة واحدة ذكر حاكم مصر بلقب (ملك)، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنَّ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ (يوسف: ٤٣)، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ﴾ (يوسف: ٥٠)، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾ (يوسف: ٥٤)، وقال تعالى: ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ (يوسف: ٧٢)، وقال تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: ٧٦)

ففي هذه السورة كما سمعت لم يذكر لقب فرعون مع أن يوسف عليه السلام عاش في مصر.

وهذا بخلاف التوراة التي تسمي ملك مصر في وقت يوسف عليه السلام بفرعون<sup>١</sup>.

والتاريخ يدل على صحة ما ورد في القرآن الكريم، وهذا ما يدل على دقته العلمية<sup>٢</sup>. فمن خلال حجر رشيد وتعرفنا على الكتابة الهيروغليفية في أواخر القرن التاسع عشر، وتعرفنا على تاريخ مصر في مطلع القرن الحالي بشكل دقيق عرفنا أن حياة يوسف في مصر كانت أيام الملوك الرعاة (الهكسوس) الذين تغلبوا على جيوش الفراعنة، وظلوا في مصر من ١٧٣٠ ق.م إلى ١٥٨٠ ق.م حتى أخرجهم أحسن الأول، وشكل الدولة الحديثة (الإمبراطورية)

(١) ففي (تكوين: ٤١/١-١٠): «وحدث من بعد سنتين من الزمان ان فرعون رأى حلما. وإذا هو واقف عند النهر وهوذا سبع بقرات طالعة من النهر حسنة المنظر وسمينة اللحم. فارتعت في روضة. ثم هوذا سبع بقرات اخرى طالعة وراعاها من النهر قبيحة المنظر ورقيقة اللحم. فوقفت بجانب البقرات الاولى على شاطئ النهر. فاكلت البقرات القبيحة المنظر والرقيقة اللحم البقرات السبع الحسنة المنظر والسمينة. واستيقظ فرعون ثم نام فحللم ثانية. وهوذا سبع سنابل طالعة في ساق واحد سمينة وحسنة. ثم هوذا سبع سنابل رقيقة وملفوحة بالريح الشرقية نابثة وراعاها. فابتلعت السنابل الرقيقة السنابل السبع السمينة الممتلئة. واستيقظ فرعون وإذا هو حلم. وكان في الصباح ان نفسه انزعجت. فارسل ودعا جميع سحرة مصر وجميع حكمائها وقص عليهم فرعون حلمه. فلم يكن من يعبره لفرعون ثم كلم رئيس السقاة فرعون قائلا انا اذكرك اليوم خطاياي. فرعون سخط على عبديه فجعلني في حبس بيت رئيس الشرط انا ورئيس الخبازين»

(٢) انظر: الإنسان بين العلم والدين: د. شوقي أبو خليل، ص ١١٢.

لذلك كان القرآن دقيقاً جداً في اختيار كلماته، فلم يقع في الخطأ الذي وقعت فيه التوراة<sup>١</sup>.

### قوم سبأ:

قال عبد القادر: ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بالزمن الماضي، والتي وردت في القرآن الكريم، والتي دل التاريخ على صدقها ما نص عليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جُنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلِ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ (سبأ: ١٥-١٦) فالله تعالى يحكي في هذه الآيات خبراً من الزمن الماضي بدقة عالية<sup>٢</sup>:

فهو يذكر — من باب العبرة، لا من باب التأريخ — مجتمع سبأ الذي كان واحداً من أكبر أربع حضارات عاشت في جنوبي الجزيرة العربية، فقد أسس السبأيون مجتمعهم ما بين ١٠٠٠-٧٥٠ قبل الميلاد، وانهارت حضارتهم حوالي ٥٥٠ بعد الميلاد، بسبب الهجمات التي دامت قرنين والتي كانوا يتعرضون لها من جانب الفرس والعرب.

وقد عرف السبئيون خلال التاريخ كقوم متحضرين، ويعتبر سد مأرب الذي كان أحد أهم معالم هذه الحضارة، دليلاً واضحاً على المستوى الفني المتقدم الذي وصل إليه هؤلاء القوم.

وقد كان الجيش السبئي من أقوى جيوش ذلك الزمان، وقد ضمن لحكامه امتداداً توسعياً جيداً، فقد اجتاحت سبأ منطقة القتيبين، وتمكنت من السيطرة على عدة مناطق في القارة الإفريقية، وفي عام ٢٤ قبل الميلاد وأثناء إحدى الحملات على المغرب، هزم الجيش السبئي جيش ماركوس إيلبوس غالوس الروماني الذي كان يحكم مصر كجزء من الإمبراطورية الرومانية التي كانت أعظم قوة في ذلك الزمن دون منازع. وبذلك كانت سبأ يجيشها وحضارتها المتقدمة من القوى العظيمة في ذلك الزمان.

لقد أشار القرآن الكريم إلى القوة التي يتمتع بها جيش سبأ من خلال كلام قواد الجيش السبئي مع ملكتهم في قولهن تعالى: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (النمل: ٣٣) وقد كانت مأرب هي عاصمة سبأ، وكانت غنية جداً، والفضل يعود إلى موقعها الجغرافي، كانت العاصمة قريبة جداً من نهر الدهنا الذي كانت نقطة التقائه مع جبل بلق مناسبة جداً لبناء سد، واستغل السبئيون هذه الميزة وبنوا سداً في تلك المنطقة حيث نشأت حضارتهم، وبدأوا بمارسون الري والزراعة، وهكذا وصلوا إلى مستوى عال جداً من الازدهار.

وقد بلغ ارتفاع سد مأرب ١٦ متراً وعرضه ٦٠ متراً وطوله ٦٢٠ متراً، وهذا يعني حسابياً أنه يمكن أن يروي ٩٦٠٠ هكتاراً من الأراضي، منها ٥٣٠٠ في السهل الجنوبي، والباقي للسهل الشمالي، وقد كان يشار إلى هذين السهلين في النقوش السبئية (مأرب والسهلان)، وهذا ما يشير إليه التعبير القرآني بكل دقة ﴿جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾، فهي تشير إلى وجود حدائق وكروم في هذين الواديين أو السهلين.

(١) انظر تفاصيل أخرى ترتبط بهذا في الرسالتين السابقتين (الكلمات المقدسة) و(معجزات علمية)

(٢) انظر: قوم سبأ وسيل العرم: بقلم الكاتب التركي هارون يحيى، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

لقد تم إصلاح هذا السد خلال القرنين الخامس والسادس للميلاد، إلا أن هذه الإصلاحات لم تمنع السد من الانهيار عام ٥٤٢ للميلاد.. وقد انهيار السد بسبب سيل العرم الذي ذكره القرآن الكريم، والذي سبب أضراراً بالغة، فقد هلكت كل البساتين والكروم والحدائق — التي بقي السبتيون يرعونها لعدة قرون — على بكرّة أبيها، وبعد انهيار السد عانى السبتيون من فترة ركود طويلة لم تقم لهم قائمة بعدها.

وهذه كانت نهاية القوم التي بدأت مع انهيار السد. وقد ذكر القرآن الكريم أن العقاب الإلهي كان بإرسال (سَيْلٍ الْعَرَمِ). وهذا التعبير القرآني يخبرنا كيف وقعت الواقعة، فكلمة (عَرَمٍ) تعني الحاجز أو السد.

وقد أقر الكاتب وعالم الآثار المسيحي وورنر كيلر Werner Keller صاحب كتاب (الكتاب المقدس كان صحيحاً) أن سيل العرم قد حدث كما ورد وصفه في القرآن الكريم، وأنه وقع في تلك المنطقة، وأن هلاك المنطقة بكاملها بسبب انهيارها، إنما يبرهن على أن المثال الذي ورد في القرآن الكريم عن قوم الجنتين قد وقع فعلاً.

بعد وقوع كارثة السد، بدأت أراضي المنطقة بالتصحّر، وفقد قوم سبأ أهم مصادر الدخل لديهم مع اختفاء أراضيهم الزراعية، وبدأ السبتيون يهجرون أراضيهم مهاجرين إلى شمالي الجزيرة، مكة وسوريا. لقد ذكر القرآن الكريم كل هذه التفاصيل التاريخية بدقة معجزة..

التفت إلى بولس، وقال: أليس ذلك — حضرة القس — نبوءة غيبية؟

### قوم ثمود:

سكت بولس، فقال عبد القادر: ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بالزمن الماضي، والتي وردت في القرآن الكريم، ولم ترد في الكتاب المقدس، والتي دل التاريخ على صدقها ما نص عليه قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ أَأَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِّن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ سَيَعْلَمُونَ عَدَا مِّنَ الكَذَّابِ الأَشِرِّ ﴿٢٣-٢٦﴾ (القمر: ٢٣-٢٦)

ففي هذه الآيات القرآنية حديث عن قوم كذبوا واستهتروا بالذنر التي أرسلها الله إليهم، وقد سماهم (ثمود)<sup>١</sup>

وهم لم يذكروا في الكتاب المقدس، ولذلك جاء من يشكك في وجودهم، ويعتبر ذكر القرآن الكريم لهم ذكراً للأساطير.

ولكن الأبحاث والدراسات التاريخية والجيولوجية أظهرت أشياء كثيرة لم تكن معروفة قبل، مثل المنطقة التي أقام بها قوم ثمود، والبيوت التي بنوها، ونمط الحياة التي كانوا يعيشونها، بحيث أصبح التأريخ المرتبط بهم حقيقة تاريخية مؤيدة بالعديد من الكشوف الأثرية.

وقد كان أقدم المصادر القديمة التي تشير إلى ثمود هي سجلات النصر التاريخية للملك البابلي (سيرجيون الثاني) في القرن الثامن قبل الميلاد، والذي هزم هؤلاء القوم في إحدى حملاته على شمالي الجزيرة العربية.

(١) انظر: كذبت ثمود بالذنر، الكاتب التركي هارون يحيى، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

كما يشير الإغريق إليهم على أنهم (تامودي) أي ثمود في كتابات أرسطو وبتولي وبليني، وقد اختفى هؤلاء القوم قبل محمد ﷺ بشكل كامل حوالي ٤٠٠ - ٦٠٠ ميلادي.

وكثيرا ما يذكر القرآن الكريم عاداً وٴموداً مقترنين، بل إنه يُذكر ٴموداً بعداً ويأمرهم أن يتعظوا منهم، وهذا يعني أن ٴموداً كان لديها الكثير من المعلومات عن عاد، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ كُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَادْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: ٧٤)

وقد كشفت المصادر التاريخية أنه على الرغم من أن المسافة الجغرافية بين القومين مسافة هائلة إلا أن هناك اتصالاً وثيقاً بينهما.

وتحت عنوان (ٴمود) كتبت الموسوعة البريطانية المصغرة: (قبيلة أو قبائل في الجزيرة العربية القديمة يبدو أنها كانت من القبائل المشهورة، وبالرغم من أن منشأ ٴمود هو جنوب الجزيرة العربية، إلا أن مجموعة كبيرة منها انتقلت إلى الشمال في تاريخ مبكر واستقرت على منحدرات جبل أثلب أن قوم ٴمود الذين عاشوا بين الشام والحجاز يعرفون تحت اسم (أصحاب الحجر)، لقد كشفت الحفريات الأثرية عن كتابات حجرية وصور ٴمودية ضخمة ليس عند جبل أثلب فحسب، بل عبر وسط الجزيرة العربية أيضاً)

## ٢ - أنباء الحاضر:

قال عبد القادر: ومن النبوءات الغيبية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم نبوءات الحاضر.. استغربت كثيراً لبولس عندما ارتفع صوته بالضحك، وأراد أن يضحك الحضور، فقال، والقهقهة ملء فمه: غيب الحاضر!.. إن هذا لعجيب.. متى كان الحاضر غيباً، ونحن نراه ونلمسه ونعيشه.. وقد يكون رائحة طيبة، فنشمها!؟

أبدى الحضور استغراباً لضحكات بولس، ولم يبادلوه ما طلبه منهم غير مستأجره الذي راح يضحك في هستيرية متكلفة.

قال عبد القادر: ما دام الأمر كذلك، فأخبرني ما الذي أحبته في جبي هذا.

سكت بولس، ولم يجر جواباً، وامتألت أفواه الحاضرين بالضحك.

قال عبد القادر: لقد ذكر القرآن الكريم هذا النوع من الغيب عن المسيح ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ٤٩)، فقد أخبر المسيح ﷺ أن من دلائل نبوته إخبارهم بما يأكلون، وما يدخرون في بيوتهم.

وقبل ذلك ذكر الله تعالى هذا النوع من الإعجاز عن يوسف ﷺ، فقد ذكر على لسانه قوله: ﴿يَأْتِيَكُمْ طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ ذَلِكَ مَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ (يوسف: من الآية ٣٧)



وعلى مثال هذين النبيين الكريمين وردت نبوءات قرآنية عن الحاضر.. سأقتصر عن ذكر بعض النماذج عنها هنا:

منها أن النبي ﷺ أسر إلى بعض أزواجه أنه قد حرم على نفسه شرب العسل الذي عند بعض نسائه لما ظن أن فيه رائحة غير مستحسنة، وأمرها أن لا تخبر بذلك أحداً، فأخبرت بعض نسائه بذلك، فأطلعه الله على ذلك وأخبرها به، فسألته عن أمره بذلك الغيب فأخبرها أنه الله سبحانه. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (التحریم: ۳)

ومنها ما كان يخفيه المنافقون من بغضهم للإسلام وطعنهم فيه، فيطلع الله عليه نبيه، وكان المنافقون يعلمون ذلك، ويخشون أن يتزل القرآن ببيان ما أسروا في قلوبهم، كما قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ۶۴)

ومما حكاها الله تعالى عن كذب المنافقين في اعتذارهم في التخلف عن الجهاد: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ۹۴)

وقد روي أن أحدهم قال في النبي ﷺ كلمة كفر بها، حيث كان النبي يخطب، فقال المنافق: (إن كان هذا صادقاً لنحن شر من الحمير)، فقال زيد بن أرقم: هو والله صادق وأنت شر من الحمير، ولما نقلت كلمته إلى النبي ﷺ جحدتها، فتزل القرآن الكريم بإثبات تلك الكلمة عليه، قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ..﴾ (التوبة: ۷۴)

بل كان الوحي يكشف للرسول ﷺ ما يدور بعيداً عنه مما يحاك حوله وما يدور في خفايا النفوس.

### ٣ — أنباء المستقبل:

قال عبد القادر: نكتفي بهذه الأمثلة.. ولننتقل إلى غيب المستقبل، فهو المقصود عند الإطلاق، وسأذكر بعض الأمثلة عنه من باب الاختصار.

### انتصار الروم:

ولنبداً بالروم.. وقبل أن أقرأ عليكم الآيات الواردة في هذه النبوءة، أطلب من مؤرخ جالس معنا هنا أن يقوم إلى المنصة، ويحدثنا عن الفرس والرومان في عهد محمد ﷺ.. لاشك أنكم تعرفونه جميعاً، فلا ينبغي أن نتحدث عن التاريخ، والمؤرخ معنا.

قام رجل من القاعة، وقال: أنا لا علاقة لي بأي دين من الأديان.. ولكني سأجيبك على ضوء التاريخ.. والتاريخ وحده<sup>١</sup>.

كانت الامبراطورية الفارسية تقع شرقي الجزيرة العربية، علي الساحل الآخر للخليج العربي، علي حين كانت الامبراطورية الرومانية تمتد من غربي الجزيرة علي ساحل البحر الأحمر إلي ما فوق البحر الأسود.

(١) انظر هذه التفاصيل وغيرها في كتاب (الإسلام يتحدى) لوحي الدين خان.

وقد سميت الأولى — أيضا — بالإمبراطورية الساسانية، والأخرى بالبيزنطية، وكانت الإمبراطوريتان متصلان إلى الفرات ودجلة، في شمال الجزيرة العربية، وكانتا أقوى حكومتين شهدتهما ذلك العصر. ويبدأ تاريخ الامبراطورية الرومانية في القرن الثاني بعد الميلاد، وكانت تتمتع حينئذ بمكانتها كأرقى دولة حضارية في العالم.

وقد شغل المؤرخين تاريخ زوال الروم، كما لم يشغلهم زوال أية حضارة أخرى، وليس يغني كتاب من الكتب التي ألفت حول هذا الموضوع عن الكتب الأخرى، ولكن يمكن اعتبار كتاب المؤرخ (إدوارد جبن) (تاريخ سقوط وانحجار الامبراطورية الرومانية) أكثرها تفصيلا وثقة، وقد ذكر المؤرخ في الجزء الخامس من كتابه الوقائع المتعلقة بهذا الموضوع، فذكر أن الملك (قسطنطين) اعتنق الدين المسيحي عام ٣٢٥م، وجعله ديانة البلاد الرسمية، فأمنت بها أكثرية رعايا الروم، وعلي الجانب الآخر، رفض الفرس هذه الدعوة.

وكان الملك الذي تولى الامبراطورية الرومانية في أواخر القرن السادس الميلادي هو (موريس)، وكان ملكا غافلا عن شئون البلاد والسياسة، ولذلك قاد جيشه ثورة ضده، بقيادة (فوكاس Phocas) وأصبح فوكاس ملك الروم، بعد نجاح الثورة والقضاء علي العائلة الملكية بطريقة وحشية؛ وأرسل سفيرا له إلى إمبراطور إيران (كسري أبرويز الثاني)، وهو ابن (أنو شيروان) العادل.

وكان (كسري) هذا مخلصا للملك (موريس) إذ كان قد لجأ إليه عام ٥٩٠-٥٩١م، بسبب مؤامرة داخلية في الامبراطورية الفارسية، وقد عاونه (موريس) بجنوده لاستعادة العرش.

ومما يروي أيضا أن (كسري) تزوج بنت (موريس)، أثناء إقامته بلاد الروم، ولذلك كان يدعو (بالأب). ولما عرف بأخبار انقلاب الروم، غضب غضبا شديدا، وأمر بسجن السفير الرومي وأعلن عدم اعترافه بشرعية حكومة الروم الجديدة.

وأغار (كسري أبرويز) علي بلاد الروم وزحفت جحافلها عابرة نهر الفرات إلى الشام، ولم يتمكن (فوكاس) من مقاومة جيوش الفرس التي استولت علي مدينتي (أنطاكية والقدس) فأتسعت حدود الامبراطورية الفارسية فجأة إلى وادي النيل، وكانت بعض الفرق المسيحية كالنسطورية واليعقوبية حاقدة علي النظام الجديد في روما فناصرت الفاتحين الجدد وتبعها اليهود مما سهل غلبة الفرس.

وأرسل بعض أعيان الروم رسالة سرية إلي الحاكم الرومي في المستعمرات الإفريقية، يناشدونه إنقاذ الامبراطورية، فأرسل الحاكم جيشا كبيرا بقيادة ابنه الشاب (هرقل)، فسار بجيشه في الطريق البحرية، بسرية تامة حتي أن (فوكاس) لم يدر بمجيئهم إلا عندما شاهد الأساطيل، وهي تقترب من السواحل الرومانية، واستطاع هرقل — دون مقاومة تذكر — أن يستولي علي الامبراطورية، وقتل (فوكاس) الخائن.

بيد أن هرقل لم يتمكن — برغم استيلائه علي الامبراطورية وقتله (فوكاس) — من إيقاف طوفان الفرس، فضاع من الروم كل ما ملكوا من البلاد في شرقي العاصمة وجنوبيها، ولم يعد العلم الصليبي يرفرف علي العراق والشام وفلسطين ومصر وآسيا الصغرى، بل علتها راية الفرس.

وتقلصت الامبراطورية الرومانية في عاصمتها، وسدت جميع الطرق في حصار اقتصادي قاس ؛ وعم

القحط ؛ وفشت الأمراض الوبائية ؛ ولم يبق من الإمبراطورية غير جذور شجرها العملاق .  
وكان الشعب في العاصمة خائفاً يتربص ضرب الفرس للعاصمة، ودخولهم فيها؛ وترتب علي ذلك أن  
أغلقت جميع الأسواق، وكسدت التجارة، وتحولت معاهد العلم والثقافة إلي مقابر موحشة مهجورة.  
وبدأ الفرس يستبدون بالرعايا الروم للقضاء علي المسيحية، بل بدأوا يسخرون علانية من الشعائر الدينية  
المقدسة، ودمروا الكنائس، وأراقوا دماء ما يقرب من ١٠٠,٠٠٠ من المسيحين، وأقاموا بيوت عبادة النار في كل  
مكان، وأرغموا الناس علي عبادة الشمس والنار واغتصبوا الصليب، وأرسلوه إلي (المدائن)  
يتحدث المؤرخ (جبن) عن كل هذا، ثم يقول: (ولو كانت نوايا (كسري) طيبة في حقيقة الأمر لكان  
اصطالح مع الروم بعد قتلهم (فوكاس) ولاستقبل (هرقل) كخير صديق أخذ بثأر حليفه وصاحب نعمته  
(موريس)، بأحسن طريقة ؛ ولكنه أبان عن نواياه الحقيقية عندما قرر مواصلة الحرب )  
ويمكن قياس الهوة الكبرى التي حدثت بين الروم والفرس من خطاب وجهه (كسري) إلي (هرقل) من  
بيت المقدس قائلاً: ( من لدن الإله كسري الذي هو أكبر الآلهة وملك الأرض كلها، إلي عبده اللئيم الغافل:  
هرقل: إنك تقول: إنك تتق في إلهك! فلماذا لا ينقذ إلهك القدس من يدي؟! )

واستبد اليأس والقنوط بهرقل من هذه الأحوال السيئة وقرر العودة إلي قصره الواقع في (قرطاجنة) علي  
الساحل الإفريقي، فلم يعد يهيمه أن يدافع عن الامبراطورية، بل كان شغله الشاغل إنقاذ نفسه، وأرسلت  
السفن الملكية إلي البحر، وخرج (هرقل) في طريقه ليستقل إحدى هذه السفن إلي منفاه الاختياري.  
وفي هذه الساعة الحرجة تحايل كبير أساقفة الروم باسم الدين والمسيح، ونجح في إقناع (هرقل) بالبقاء  
وذهب (هرقل) مع الأسقف إلي قربان (سانت صوفيا) يعاهد الله تعالى علي أنه لن يعيش أو يموت إلا مع  
الشعب الذي اختاره الله له.

وبإشارة من الجنرال الإيراني سين(Sain) أرسل (هرقل) سفيرا إلي كسري) طالبا منه الصلح ؛ ولكن لم  
يكذ القاصد الرومي يصل إلي القصر، حتي صاح (كسري) في غضب شديد: ( لا أريد هذا القاصد.. وإنما أريد  
(هرقل) مكبلا بالأغلال تحت عرشي ؛ ولن أصالح (الرومي) حتي يهجر إله الصليبي ويعبد الشمس إلهتنا )  
وبعد مضي ستة أعوام علي الحرب، رضي الإمبراطور الإيراني أن يصالح (هرقل) علي شروط معينة هي أن  
يدفع ملك الروم ألف تالنت من الذهب، وألف تالنت من الفضة، وألف ثوب من الحرير، وألف جواد، وألف  
فتاة عذراء.

ويصف (جبن) هذه الشروط بأنها (مخزية) دون شك، وكان من الممكن أن يقبلها (هرقل)، لولا المدة  
القصيرة التي أتاحت له لدفعها من المملكة المنهوبة، والمحدودة الأجزاء، ولذلك أثار أن يستعمل هذه الثروة  
كمحاولة أخيرة ضد أعدائه.

قاطع عبد القادر المؤرخ قائلاً: اسمح لي بأن أقاطعك بكلمة موجزة، ثم أدعك تواصل حديثك..  
في ذلك الوقت الذي سيطرت فيه علي العاصمتين الفارسية والرومية هذه الأحداث سيطرت علي شعب  
العاصمة المركزية في شبه الجزيرة العربية، وهي مكة المكرمة مشكلة مماثلة، فقد كان الفرس محوسا من عباد

الشمس والنار، وكان الروم من المؤمنين بالمسيح، وبالوحي، وبالرسالة، وبالله تعالي.  
وكان المسلمون — نفسيا — مع الروم يرجون غلبتهم علي الكفار والمشركين كما كان كفار مكة مع  
الفرس، لكونهم من عباد المظاهر المادية، وأصبح الصراع بين الفرس والروم رمزا خارجيا للصراع الذي كان  
يدور بين أهل الإسلام وأهل الشرك في (مكة).

وبطريقة نفسية كانت كل من الجماعتين تشعر بأن نتيجة هذا الصراع الخارجي هي نفس مآل صراعهما  
الداخلي، فلما انتصر الفرس علي الروم عام ٦١٦م، واستولوا علي جميع المناطق الشرقية من دولة الروم انتهزها  
المشركون فرصة للسخرية من المسلمين، قائلين: لقد غلب إخواننا علي إخوانكم، وكذلك سوف نقضي  
عليكم، إذا لم تصطلحوا معنا تاركين دينكم الجديد، وكان المسلمون بمكة في أضعف وأسوأ أحوالهم المادية،  
وفي تلك الحالة البائسة نزل القرآن الكريم بتلك النبوءة العجيبة ليقول: ﴿الم (١) غَلَبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى  
الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤)  
بَنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥)﴾ (الروم)

التفت عبد القادر إلى المؤرخ، وقال: اسمح لي حضرة المؤرخ على هذه المقاطعة، واسمح لي — كذلك —  
أن أسألك هذا السؤال: لو كنت في عهد محمد، وفي ذلك الوقت.. هل كنت تستطيع أن تتنبأ كما تنبأ القرآن  
بهذه النبوءة، مع أنك لست مضطرا إليها.

قال المؤرخ: لا.. فلم تكن أية نبوءة أبعد منها وقوعا، لأن السنين الاثنتي عشرة الأولى من حكومة  
(هرقل) كانت تؤذن بانتهاء الإمبراطورية الرومانية.  
إن التنبأ بها كالتنبؤ بقيام الدولة الألمانية بعد الحرب العالمية الثانية في سنوات محدودة لتتغلب على جميع  
أعدائها.

قال عبد القادر: فكيف قامت الإمبراطورية الرومانية بعد ذلك السقوط؟

قال المؤرخ: لقد حدث (جبن) عن ذلك، فقال: (إنها من أبرز البطولات التاريخية، تلك التي نراها في  
(هرقل)، فقد ظهر هذا الإمبراطور غاية في الكسل والتمتع بالملذات وعبادة الأوهام في السنين الأولى والأخيرة  
من حكومته، كان يبدو كما لو كان متفرجا أبله، استسلم لمصائب شعبه، ولكن الضباب الذي يسود السماء  
ساعتي الصباح والمساء، يغيب حيناً من الوقت لشدة شمس الظهيرة، هذا هو ما حدث بالنسبة إلي هرقل، فقد  
تحول (أرقاديوس القصور) إلى (قيصر ميدان الحرب) فجأة، واستطاع أن يستعيد مجد الروم خلال ست حروب  
شجاعة شنّها ضد الفرس.

وكان من واجب المؤرخين الروم أن يزيحوا الستار عن الحقيقة، تبيانا لأسرار هذه اليقظة والنوم، وبعد  
هذه القرون التي مضت يمكننا الحكم بأنه لم تكن هناك دوافع سياسية وراء هذه البطولة، بل كانت نتيجة غريزة  
هرقل الذاتية، فقد انقطع عن كافة الملذات، حتى إنه هجر ابنة أخته (مارتينا) التي تزوجها لشدة هيامه بها، رغم  
أنها كانت محرمة عليه.

إن هرقل — ذلك الملك الغافل الفاقد العزيمة — وضع خطة عظيمة لقهروا الفرس، وبدأ في تجهيز العدة

والعتاد، ولكن رغم ذلك كله، عندما خرج هرقل مع جنوده بدأ لكثيرين من سكان (القسطنطينية) أنهم يرون آخر جيش في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية.

وكان هرقل يعرف أن قوة الفرس البحرية ضعيفة، ولذلك أعد بحريته للإغارة علي الفرس من الخلف، وسار بجيوشه عن طريق البحر الأسود إلي (أرمينيا)، وشن علي الفرس هجوما مفاجئا في نفس الميدان الذي هزم فيه الأسكندر جيوش الفرس، لما زحف علي أراضي مصر والشام. ولم يستطع الفرس مقاومة هذه الغارة المفاجئة فلاذوا بالفرار.

وكان الفرس يملكون جيشا كبيرا في (آسيا الصغرى)، ولكن (هرقل) فاجأهم بأساطيله مرة أخرى، وأنزل بهم هزيمة فادحة، وبعد إحراز هذا النصر الكبير عاد (هرقل) إلي عاصمته (القسطنطينية) عن طريق البحر، وعقد معاهدة مع الأفارين (Avars) واستطاع بنصرتهم أن يسد سبل الفرس عند عاصمتهم.

وبعد تينك الحرين قامت ثلاثة حروب أخرى ضد الفرس في سنوات ٦٢٤، ٦٢٣، ٦٢٥ م، واستطاع أن ينفذ إلي أراضي العراق القديم (ميسو بوتانيا) عن طريق البحر الأسود، واضطر الفرس إلي الانسحاب من جميع الأراضي الرومية، نتيجة هذه الحروب، وأصبح (هرقل) في مركز يسمح له بالتوغل في قلب الإمبراطورية الفارسية، وكانت آخر هذه الحروب المصرية، تلك الحرب التي خاضها الفريقان في (نينوى علي ضفاف دجلة) في ديسمبر عام ٦٢٧م.

ولما لم يستطع (كسري أبرويز) مقاومة سيل الروم، حاول الفرار من قصره الحبيب (دستكرد)، ولكن ثورة داخلية نشبت في الإمبراطورية، واعتقله ابنه (شبرويه)، وزج به في سجن داخل القصر الملكي حيث لقي حتفه لسوء الأحوال في اليوم الخامس من اعتقاله، وقد قتل ابنه (شبرويه) ثماني عشرة من أبناء أبيه (كسري) أمام عينيه.

ولكن (شبرويه) هو الآخر لم يستطع ان يجلس علي العرش أكثر من ثمانية أشهر، حيث قتله أحد أشقائه، وهكذا بدأ القتال داخل البيت الملكي، وتولى تسعة ملوك زمام الحكم في غضون أربعة أعوام.

ولم يكن من الممكن أو المعقول في هذه الأحوال السيئة، أن يواصل الفرس حربهم ضد الروم، فأرسل (قباد الثاني) ابن كسري أبرويز الثاني يرحو الصلح، وأعلن تنازله عن الأراضي الرومية، كما أعاد الصليب، ورجع (هرقل) إلي عاصمته (القسطنطينية) في مارس عام ٦٢٨م في احتفال رائع، حيث كان يجر مركبته أربعة أفيال، واستقبله آلاف مؤلفة من الجماهير خارج العاصمة وفي أيديهم المشاعل وأغصان الزيتون.

قال عبد القادر: وهكذا صدق القرآن الكريم عن غلبة الروم في مدته المقررة، أي في أقل من عشر سنين،

كما هو المراد في لغة العرب من كلمة: (بضع)

قال المؤرخ: لقد ذكر حين هذا، وقد أبدى حيرته وإعجابه بهذه النبوءة ولكنه كي يقلل من أهميتها ربطها برسالة النبي ﷺ إلى (كسري).. لقد قال: (وعندما أتم الإمبراطور الفارسي نصره علي الروم وصلته رسالة من مواطن حامل الذكر، من (مكة) دعاه إلي الإيمان بمحمد، رسول الله، ولكنه رفض هذه الدعوة ومزق الرسالة

وعندما بلغ هذا الخبر رسول العرب، قال: سوف يمزق الله دولته تمزيقا وسوف يقضي علي قوته<sup>(١)</sup> ويقول: (و محمد الذي جلس في الشرق علي حاشية الإمبراطوريتين العظيمتين طار فرحا مما سمع عن تصارع الإمبراطوريتين وقتالهما، وجرؤ في إبان الفتوحات الفارسية وبلوغها القمة أن يتنبأ بأن الغلبة تكون لراية الروم بعد بضع سنين، وفي ذلك الوقت، حين ساق الرجل هذه النبوءة، لم تكن أية نبوءة أبعد منها وقوعا لأن الأعوام الاثني عشر الأولى من حكومة هرقل كانت تشي بنهاية الإمبراطورية الرومانية )

لكن مع ذلك، فإن جميع مؤرخي الإسلام يعرفون معرفة تامة أن هذه النبوءة لا علاقة لها بالرسالة التي وجهها محمد إلى (كسرى أبرويز)، لأن تلك الرسالة إنما أرسلت في العام السابع من الهجرة، بعد صلح الحديبية، أي عام ٦٢٨م، في حين أن أية النبوءة المذكورة نزلت بمكة عام ٦١٦م، أي قبل الهجرة بوقت طويل، فبين الحدين فاصل يبلغ اثني عشر عاما.

قال عبد القادر: وفوق هذا، فقد ورد في الآيات التي تحدثت عن هذه النبوءة نبوءة علمية أخرى لا تقل شأنًا، وهي الإشارة إلى أن أدنى بقعة في الأرض هو تلك المنطقة التي حصلت فيها تلك الحرب.

فقد أكدت الدراسات الحديثة أن منطقة حوض البحر الميت، بالإضافة إلى كونها أقرب الأراضي التي كان الروم يحتلوها إلى الجزيرة العربية هي أيضا أكثر أجزاء اليابسة انخفاضاً، حيث يصل منسوب سطح الأرض فيها إلى حوالي أربعمئة متر تحت متوسط مستوى سطح البحر.

فقد ثبت علمياً بقياساتٍ عديدةٍ أن أكثر أجزاء اليابسة انخفاضاً هو غور البحر الميت، ويقع البحر الميت في أكثر أجزاء الغور انخفاضاً، حيث يصل مستوى منسوب سطحه إلى حوالي أربعمئة متر تحت مستوى سطح البحر، ويصل منسوب قاعه في أعمق أجزاء الشمامسة متر تحت مستوى سطح البحر.

### انتصار الإسلام:

قال عبد القادر: لو توقف الأمر عند هذه النبوءة لاعتبرنا الأمر مجرد صدفة.. ولكن النبوءات تتوالى لتحليل هذا الاحتمال..

وقد ذكر لكم حضرة القس الفاضل الحسابات المرتبطة بذلك.. ولن أعيدها هنا، فأنا مثله أقر بالمنطق الرياضي الذي يقر به.

سأذكر لكم الآن شيئا يعتبر في حد ذاته نوعا خطيرا من الإعجاز يتمثل في نبوءة خطيرة من النبوءات القرآنية.

أنتم تعلمون أن النبي ﷺ مكث عشر سنوات من عمر دعوته — هو وأصحابه الذين آمنوا معه — في اضطهاد وتعذيب، وتنفير للناس عنه، ومقاطعته هو وعشيرته، ثم محاصرتهم لعدة سنوات الحصار المعروف في السيرة بحصار الشعب، بل ومحاولة قتله..

لقد ذكر القرآن الكريم كل تلك المعاناة التي كان يعانيتها النبي ﷺ وأصحابه، فإله تعالى يقول: ﴿لَا كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ

(١) وهي نبوءة أخرى من النبوءات الواردة عن طريق السنة.

الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ (يونس: ٢)، ويقول: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ حَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ (هود: ١٢)، ويقول: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾ (الرعد: ٤٣)، ويقول: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ (الحجر: ٦)، ويقول: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ (القلم: ٥١)

في هذه الأوضاع، ومع كل التضييق والمعاناة التي كان يجدها النبي ﷺ وأصحابه، كانت تنزل الآيات الكريمة على النبي ﷺ بأن هذا الدين سيظهر على سائر الأديان وسيتمكن لأتباعه، وسيبقى هذا القرآن محفوظاً من العاديات أبد الدهر، فقد كتب الله لهذا الدين البقاء والخلود، ولهذا الكتاب الحفظ والصيانة رغم كيد الأعداء ومكرهم.

اسمعوا هذه النبوءات العظيمة التي لم تردها الأيام إلا تأكيداً:

يقول الله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ (الرعد: ١٧)، ويقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ (الحجر: ٩)

ويقول هذه الآية العظيمة التي تندك لها الجبال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ (التوبة: ٣٣)

بل إنه في ذلك الواقع الخطير يتنزل القرآن يعد تلك الطائفة المؤمنة بالتمكين في الأرض، فالله تعالى يقول: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا... ﴿٥٥﴾ (النور: ٥٥)

لتعرف قيمة هذه النبوءة، اقرأ كتب التاريخ لترى كيف كان محمد ﷺ، وكيف كانت الثقة المؤمنة التي معه، وما هي الظروف التي كانوا يعانونها، وهل يمكن لشخص في ظل تلك الظروف أن يجازف بمثل هذه الوعود، ثم يذكر لها آجالاً قريبة لا تتعدى الجيل الأول الذي تنزلت عليه تلك الآيات.

### عصمة الله لنبيه:

قال عبد القادر: ليس ذلك فقط.. بل إن الله تعالى يتحدى كل تلك الأساطيل المعدة لرسول الله ﷺ من اليهود والمشركين والمنافقين من أن تقوم بشيء يقضي على حياته، أو يسد أبواب دعوته.

لقد أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ يطمئنه في ذلك الوقت من أنه سيعصمه من الناس، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ (المائدة: ٦٧)

وقد أحرقت عائشة - رضي الله عنها - عن مدى التأثير الذي أحدثته هذه الآية، فقالت: كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، فقال: (يا أيها الناس

انصرفوا فقد عصمني الله )

وقد ذكرت كتب السيرة الشواهد الكثيرة على عصمة الله لنبيه ﷺ في مواطن كثيرة كان خطر الموت فيها أقرب إليه من شراك نعله، ولم يكن له فيها عاصم إلا الله وحده.  
ومن ذلك ما رواه جابر رضي الله عنه قال: كنا إذا أتينا في سفرنا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ، فلما كنا بذات الرقاع نزل نبي الله تحت شجرة وعلق سيفه فيها، فجاء رجل من المشركين، فأخذ السيف فاخترطه، وقال للنبي ﷺ: أتخافني؟ قال: لا، قال: فمن يمنعك مني؟ قال: الله يمنعني منك، ضع السيف، فوضعه.

### غزوة بدر:

قال عبد القادر: ليس ذلك فقط، بل إن القرآن الكريم، وفي ظل الظروف الشديدة التي كان يعيشها المسلمون في مكة المكرمة يتنزل على رسول الله ﷺ ليخبر بهزيمة المشركين المناوئين لرسول الله ﷺ، وأنهم سيولون الدبر، قال تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر: ٤٥)  
فهذه الآية من سورة القمر، وهي سورة مكية، وقد نزلت في وقت كان أذى المشركين يزداد يوماً بعد يوم على النبي ﷺ وأصحابه.

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كنت أقرأ قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (القمر: ٤٥)، فأقول: أي جمع هذا وأية هزيمة إلى أن كان يوم بدر، رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع وهو يقول ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾، فعرفت تأويلها يومئذ )

فقد تحققت تلك النبوءة القرآنية بعد سنوات من نزول الآية، يوم بدر أي في السنة الثانية من الهجرة.

### فتح مكة:

قال عبد القادر: ليس ذلك فقط.. بل إن القرآن الكريم يعد المسلمين بفتح مكة — وهي المدينة العاصمة التي أخرجت رسول الله ﷺ والثلة التي معه — على إثر صلح الحديبية، فقد كان ظاهر الصلح إجحافاً بحق المسلمين، حتى تساءل المسلمون: أليس رسول الله حقاً؟!.. علام نعطي الدنيا في ديننا إذن؟!)

وفي طريق رجوعهم من مكة نزلت عليه سورة الفتح تبشره بهذا الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (الفتح: ١)، وفيها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ٢٧)

### الفتوحات الإسلامية:

قال عبد القادر: ليس ذلك فقط.. بل إن القرآن الكريم يخبر المسلمين بما سيلاقونه من حروب، وبما سيتنزل عليهم من فتوحات، فقال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ أُولِي الْأَرْبَابِ بِأَسْوَءِ النَّفَاتِ لَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلِ يُعَذِّبَكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفتح: ١٦)

فهذه الآية الكريمة تخاطب الأعراب من حول المدينة الذين تخلف كثير منهم، ولما رجع رسول الله ﷺ

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٢٠٩) من طريق معمر عن أيوب به.



جاءوا يعتذرون إليه، فزلت الآية تخيرهم بما ينتظرهم من حروب تتطلب أن يفوا بما يعدون به من عدم الخلف. وقد حصل ذلك مباشرة بعد وفاة النبي ﷺ، حيث انطلقت جيوش الإسلام في عهد أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - ففتحت الشام ومصر والعراق، وغيرها من بلاد الإسلام.

### الثبات على الكفر:

قال عبد القادر: ليس ذلك فقط.. بل إن القرآن الكريم يقرر أن أشخاصاً معينين بأسمائهم لن يسلموا، وأنهم سيموتون على الكفر، وكان بإمكانهم أن يكذبوا القرآن، ولو تظاهروا بالإسلام تظاهراً، ولكنهم لم يخرجوا عما قرره القرآن في حقهم، بالرغم من إسلام الأعداد الكثيرة ممن كانوا أشد الناس عداوة له.

ومن ذلك ما ذكره القرآن الكريم عن أبي لهب من أنه من أهل النار، قال تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) ﴾ (المسد)

ومثل ذلك إخباره عن الوليد بن المغيرة أنه سيصلى النار، قال تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صُعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَفَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَاحِةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) ﴾ (المدثر)

فقد نزلت هذه الآيات في الوليد بن المغيرة، فقد روي أنه جاء إلى النبي ﷺ، فقرأ عليه القرآن، فكانه رقى له، فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام، فأتاه فقال: أي عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا. قال: لم؟ قال: يعطونك، فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قبله. قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالا. قال: فقل فيه قولا يعلم قومك أنك منكر لما قال، وأنت كاره له. قال: فماذا أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقوله شيئاً من ذلك. والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإنه ليعظم ما تحته، وإنه ليعلو وما يعلى. وقال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر فيه. فلما فكر قال: إن هذا سحر يآثره عن غيره. فزلت ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ حتى بلغ ﴿ تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾<sup>١</sup>

وغيرهم من رؤوس الكفر والنفاق، ولكن أحدا منهم لم يفتن لأن يخالف ما ورد في القرآن الكريم من الوعيد المرتبط به.

والقرآن الكريم يذكر سر ذلك، فيقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (أنفال: ٢٤)، ويقول: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (القصص: ٥٦)

### إذلال اليهود وإفسادهم:

(١) تفسير الطبري (٢٩/٩٨).

قال عبد القادر: ليس ذلك فقط.. بل إن القرآن الكريم يقرر سننا ترتبط بالتاريخ جميعا، كان يمكن لمن أراد أن يكذب القرآن الكريم أن يتحداها، ولكنه لا يملك إلا أن ينصاع لها، ومن ذلك ما ورد في شأن اليهود، فقد قال تعالى في تحد معجز: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (لأعراف: ١٦٧)

فقد تعرض اليهود — نتيجة لفسادهم وكفرهم وصددهم عن سبيل الله — إلى نكبات وقتل وتشريد في جميع الفترات التاريخية إلى عصرنا الحاضر.

فمن يطالع تاريخ اليهود يجد أنهم قد جرت عليهم أكثر من مقتلة في على يد الرومان، والإنجليز والألمان. هنا وجد بولس الفرصة، وقال: لقد كذب القرآن في هذه النبوءة، فأنتم ترون اليهود اليوم، وما يتمتعون به من سلطان وعزة في العالم أجمع.

ابتسم عبد القادر، وقال: لقد ذكر القرآن الكريم ذلك أيضا، وبين سره، فقال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (آل عمران: ١١٢)

فقد ذكر الله تعالى في هذه الآية أن اليهود لا يخرجون عن بعض الذلة التي طبعوا عليها بسبب ذنوبهم إلا بسند يحميهم.

قام رجل من الجمع، وقال: صدق القرآن في هذا.. وقد تتبعت تاريخ اليهود، فلم أر الذلة رفعت عنهم إلا بسند يستندون إليه.. فهم قوم انتهازيون ووصوليون، يتملقون الأقوياء ويتحالفون معهم من أجل خدمة أهدافهم.

وسأذكر لكم خلاصة ما ذكرته التواريخ<sup>١</sup>:

عندما ظهر قورش الفارسي في بلاد فارس، وأصبح قوة جبارة، ساعده اليهود واعتبروه مخلصاً ربانياً لهم، بل وصفوه بالمسيح المنتظر، كما جاء في سفر أشعيا: (هكذا يقول الرب لمسيحه، لقورش الذي أمسكت يمينه لأدوس أمامه أمماً، وأحل أحزمة ملوك، لافتح أمامه المصراعين، فلا تعلق الأبواب، إنني أمشي أمامك، وأهد الهضاب، وأحطم مصراعي النحاس، وأكسر مزاليح الحديد، وأعطيك مكنونات الكنوز وذخائر المخابئ، حتى تعرف أني أنا الرب الذي يدعوك باسمك، لقبتك وأنت لا تعرفني)

وقد قدم قورش هذا وعداً لليهود بالعودة إلى فلسطين، على نفس الطريقة التي صدر بها وعد بلفور. وعندما كانت العلاقات بين الكلدانيين والمصريين متوترة، ومرشحة للاصطدام، قدر اليهود أن النصر سيكون حليف المصريين، لذلك سارعوا للتحالف معهم، وحالفهم في ذلك النبي (أرميا)، فقد كان اعتقاده أن النصر سيكون من نصيب مختنصر وجيشه.

ولما انتصر جيش مختنصر، اقتحم مختنصر القدس وساق اليهود أسرى إلى بابل، وقدر للنبي (أرميا) موقفه فتترك له الحرية في البقاء أو الهجرة.

(١) انظر: اليهود والتحالف مع الأقوى تأليف نعمان عبد الرزاق السامرائي.

وحين برز المسلمون كقوة عالمية سارع اليهود للتحالف معهم وكسب ودهم، بل راحوا يتجسسون لهم على الروم وغيرهم.

وفي الأندلس استقبلوا المسلمين، فلما خرجوا منها كانوا معهم، واستقروا في أقطار المغرب وتركيا، فلما أفل نجم المسلمين، راحوا يتجسسون عليهم لمصلحة الاستعمار الغربي، بل راحوا يغرونه بالغزو. وحين سطع نجم هولاء في المشرق كاتبه يهود بغداد وحالفوه وقدموا له المال والمشورة، قبل أن يصل إلى بغداد، فلما دخلها وقتل الخليفة ومليوناً من المسلمين سلم اليهود، فلم يقتل منهم أحد، كما سلمت أموالهم من النهب والسلب.

وفي العصر الحديث ابتدأ رهاقم على فرنسا فحالفوها، وراحوا يتعلمون الفرنسية، ويعملون في خدمة النفوذ الفرنسي، فلما برزت إنكلترا قوة جديدة، تحولوا إليها وربطوا مصيرهم بها، وراحوا يغرون الإنكليز باستعمار فلسطين وغيرها، واتخذوا من لندن مقراً لحركتهم ونشاطهم، فلما توحدت ألمانيا وبرزت قوة سياسية، تركوا لندن، توجهوا إلى برلين، وقام بعضهم بترجمة التوراة للألمانية، كما راحوا يتعلمون الألمانية، ويعقدون المؤتمرات هناك، ويكتبون بالألمانية كافة القرارات، وبقي الحال هكذا حتى بعد ظهور هتلر، حيث ظلوا على صلة به، يحاولون استثمار كرهه للمساعدة في الهجرة إلى فلسطين.

وقد كشف مؤلف كتاب (الصهيونية في زمن الدكتاتورية) — وهو اليهودي لبني برينر — عن وثيقة باسم (أنقرة)، وفيها أدلة على اتصال الإرهابي (شتيرن) صاحب العصاة التي حملت اسمه، وقد قام بالاتصال أولاً بالفاشيين الإيطاليين ثم جانهم، بشرط المساعدة على قيام دولة إسرائيل، وكان هذا عام ١٩٤٠ حين كان نجم (المحور) في صعود وانتصارهم تدوي في العالم، وخسارهم للحرب تبدوا بعيدة جداً.

ويوم أن قام هتلر بإغلاق النوادي اليهودية، ومصادرة صحفها، استثنى الصحف الصهيونية، حيث استمرت على الكتابة والنشر، وهذه الصلة صار البحث فيها، من المحرمات، ومن يبحث فلن يجد داراً تنشر له، لأن سيف الإرهاب الصهيوني مسلط فوق الرؤوس في الغرب.

ثم تحولوا بعد ذلك إلى لندن وحالفوا الإنكليز. وبعد الحرب العالمية الثانية أدركوا أن مركز القوة قد تحول إلى أمريكا، فتوجهوا إلى هناك، رامين بثقلهم المالي والإعلامي والتنظيمي.

قال عبد القادر: وزيادة على ذلك، فقد ذكر القرآن الكريم هذا العلو الذي يتنعم اليهود به اليوم، وأخبر أنه علو مؤقت، فقال: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (الاسراء: ٤)

فهذه الآية ذات نبوءات عظيمة..

فكثير من الأقوام والحضارات والأديان اندثرت وذهب سلطانها، ولكن اليهود لا يزال هم هم.. بل صار لهم من السلطان ما يجركون به سياسة العالم أجمع.

بل إن القرآن الكريم فوق ذلك أخبر أن اليهود سيحتمعون بعد فرقة، قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي

إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْأَخْرَجَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ (الاسراء: ١٠٤)  
فهذه الآية تدل على اجتماع اليهود في مكان واحد، ولم يجتمع اليهود في التاريخ في مكان واحد عبر التاريخ إلا مؤخراً في فلسطين<sup>٢</sup>.

### العداوة بين المسيحيين:

قال عبد القادر: ومن ذلك ما أخبر به القرآن الكريم عن ألوان العداوة التي تقع كل حين بين الطوائف المسيحية<sup>٣</sup>، قال تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (مريم: ٣٧)، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة: ١٤)  
فالآية الأولى تبين أن المسيحيين انقسموا أحزاباً، بعض هذه الأحزاب أقرب إلى الحق من البعض الآخر. والآية الثانية تبين أن فريقاً من المسيحيين قد نسوا كثيراً من تعاليم دينهم مما كان سبباً في أن أصبح بعضهم لبعض عدواً.

وأن هذه العداوة لن تزول، ولكنها ستستمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها.  
ولكي نرى مدى صدق هذه النبوءة في مجال حقائق التاريخ يجب علينا أن نتتبع سيرة المسيحية من بدء ظهورها حتى الآن وسنجد حينئذ أن هذا التاريخ لم يجد يوماً عن منطوق هاتين الآيتين، بل سار على نهجهما وترسّم خطاهما.

فقد بدأت النصرانية في فلسطين واحتكت أول الأمر باليهودية التي اضطهدت دعائها، فرحل بعضهم إلى الإسكندرية ورحل آخرون إلى روما.

وقد أخذت المسيحية تنتشر في الإمبراطورية الرومانية انتشاراً سريعاً وأخذ الأباطرة في بادئ الأمر يضطهدون معتققيها، ولكن الاضطهاد لم يزد المسيحية إلا انتشاراً وقوة حتى أصبح عدد المسيحيين أكثر من الوثنيين فجعلها (قسطنطين) دين الدولة الرسمي، ولما تولى (ثيودوسيوس) أخذ يحارب الوثنية، فأغلق معابدها وجعل الناس يُعمّدون قسراً.

ومع ذلك، فلم يلبث المسيحيون أن انقسموا فرقاً اشتد الخلاف بينها اشتداداً صحبه اضطراب في الأمن مما اضطر الأباطرة إلى التدخل بينها ومناصرة بعضها على البعض الآخر، وانقسموا إلى ثلاثة فرق: الملكانية والنسطورية واليعاقبة.

والملكانيون هم اتباع أريوس الذي قال بأن المسيح مخلوق، وليس مولوداً من الأب، ولذا لا يساويه في الجوهر.

(١) فكلمة لفيف تعني الشيء المجتمع، والملتف من كل مكان واللفيف؛ والقوم يجتمعون من قبائل شتى ليس أصلهم واحداً، واللفيف ما اجتمع من الناس من قبائل شتى، واللفيف الجمع العظيم من أخلاط شتى فيهم الشريف والدنيء والمطيع والعاصي والقوي والضعيف.

(٢) انظر: كتاب نهاية إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، خالد عبد الواحد.

(٣) انظر: كتاب القرآن والعلم، تأليف أحمد محمد سليمان، دار العودة بيروت.

أما النسطوريون، وهم أتباع نسطور، فقد قالوا إن للمسيح طبيعتين إحداهما إلهية والثانية بشرية، فهو بالأولى ابن الله وبالثانية ابن مريم، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة: ٣٠)، ويعني القرآن الكريم بهذا أنهم قلدوا الديانات الوثنية القديمة في هذه العقيدة مثل (الزرذشتية والبراهمية والهندستانية والبوذية والرومانية والمصرية).

فقد كان المصريون يعتقدون أن (حوريس) ولد من الإله الأعظم (أوزوريس) والعدراء (إيزس).. كما أن الرومان كانوا يعتقدون أن الإله (جوبيتر) أنجب (بريسوس) من العدراء (داناي) وأنجب (ديونيسيوس) من العدراء (سيميل) وأنجب (هرقل) من العدراء (ألكمين).. أما في الهند فقد ولد كرشنا في كهف بينما كانت أمه العدراء وخطيبها هارين من غضب الملك<sup>١</sup>.

أما الحزب الثالث، وهو حزب البعاقبة فيعتقدون أن المسيح هو الله نزل إلى الأرض، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (المائدة: ٧٢).

ولم يكتفوا بهذا الانقسام الذي نص عليه القرآن الكريم، بل إن الخلاف بينهم أخذ يزداد اتساعاً وتعدداً كلما تقدمت الأيام، كما ذكر القرآن الكريم.

ففي القرن الحادي عشر انقسمت الكنيسة إلى فرعين: الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية، ثم أخذ الخلاف يتسع ويتشعب، وأخذت الفرق تتوالد فتنشأ منها فرق جديدة وأحزاب جديدة رغمًا من الجهود العديدة التي بذلت لتوحيد الكنيسة.

ولم يقتصر الخلاف بينها على خلاف في النظريات والعقائد والطقوس، بل تعداه إلى فتن دموية قامت بين تلك الطوائف، امتلأت بها كتب التاريخ.

ومن أمثلتها ما ارتكبه الرومان مع أقباط مصر، فقد كان الرومان على المذهب الملكاني، والمصريون معظمهم من البعاقبة.. وعقب استرداد هرقل لمصر حاول أن يوفق بين المذهبين، فأبى القبط ذلك، فلجأ الرومان إلى القوة، وكان جزاء من يرفض تغيير عقيدته أن يجلد أو يضرب أو يلقي في السجن حتى يلقي حتفه، وكان القساوسة من القبط يقتلون أو يشردون.

أما بطرقهم بنيامين، فقد احتفى وطلبه الرومان، فلم يعثرا له على أثر.. وقد استمر هذا الإرهاب عشر سنين فتن فيها الناس عن عقيدتهم، وأخذ الباقون يظهرن غير ما يظنون تقادياً للعقاب.

ونستطيع أن نتصور ما كان في قلوب الفريقيين من حقد إذا تأملنا قليلاً هذه الحادثة التي يرويها التاريخ، فقد ذكر المؤرخون أن الروم حينما اتفقوا مع المسلمين على تسليم حصن بابليون أعطاهم المسلمون مهلة ثلاثة أيام لإخلاء الحصن، وكان آخر أيامهم في ذلك اليوم هو يوم عيد الفصح، ولكن نكتبهم هذه وحرمة ذلك

(١) انظر رسالة (الله جل جلاله) من هذه السلسلة.

اليوم لم تمنعهم من إرواء غليلهم والتنكيل بأسرى الأقباط الذين سجنوهم من قبل في الحصن، فسحبوهم من سجونهم، وضربوهم بالسياط، وقطع الجند أيدهم.

ولم يقتصر الأمر على مصر، بل إن أباطرة الدولة الرومانية الشرقية اضطهدوا النسطوريين أيضاً في آسيا الصغرى والشام وفلسطين مما كان سبباً في التجاء علمائهم إلى العراق وفارس.

وتظهر البغضاء الكامنة في قلوب المسيحيين بعضهم لبعض بوضوح في أيام الحروب الصليبية، فعلى الرغم من وحدة غرضهم، وهو القضاء على المسلمين، وعلى الرغم من موجة الحماس الديني التي سادت أوروبا في ذلك الوقت، فإن سيرتها من أولها إلى آخرها تدل على انعدام الإخلاص.

وأول مظهر يدل على ذلك هو تغيير إمبراطور القسطنطينية بحملة بطرس الناسك، وعمله على التخلص منها لما كانت تتطلبه من تموينات، وما كان سيلازم بقاء ثلاثمائة ألف محارب من احتلال في الأمن في عاصمة ملكه، فسهل لهم العبور إلى الضفة الأخرى من البسفور، فكانوا لقمة سائغة ابتلعها السلجوقيون بدون مشقة، إذ أبادوا الحملة عن آخرها، فكيف تفسرون عمل الإمبراطور الذي أخذ يستغيث بمسيحيي أوروبا لإنقاذه من السلاجقة حتى إذا هبوا لنجدته عمل إلى التخلص منهم.

ومن أظهر الأمثلة على انعدام الإخلاص بين المسيحيين بعضهم مع بعض قصة الحروب الصليبية الثالثة، فقد أدى الخلاف بين ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا، وبين فيليب أغسطس ملك فرنسا إلى عودة ملك فرنسا إلى بلاده وترك ريتشارد وحيداً ليحارب صلاح الدين، وزاد الطين بلة أن فيليب أخذ يدس الدسائس لريتشارد بالاستعانة ببعض ملوك أوروبا، كما أخذ أخوار ريتشارد في إنجلترا يعمل على اغتصاب العرش منه، وكان من جراء ذلك أن حرم ريتشارد ثمن انتصاراته، واضطر إلى العودة وإلى عقد صلح مع صلاح الدين.

بالإضافة إلى هذا كله، فقد كانت حركة الإصلاح الديني فيما بين القرن الخامس عشر والسابع عشر أعنف حركة دينية شهدتها التاريخ، فقد أدت الخلافات الدينية إلى مشاحنات ومطاحنات واضطهادات كانت أشد ما عرف تاريخ الأديان.

فقد كان منها حرب الثلاثين عاماً، والتي استمرت من ١٦١٨ على ١٦٤٨، وكان تأثيرها على ألمانيا تأثيراً سيئاً، إذ ظلت ميداناً للحرب فريسة للنهب مدة ثلاثين سنة هلك فيها نصف سكانها تقريباً، واندثرت فيها معالم الصناعة والتجارة والفنون.

وكان منها ما حصل من اضطهادات لبروتستانت فرنسا، والذين يدعون (الهيجونوت)، وقد كانوا أقلية ضئيلة في وسط أغلبية كاثوليكية عظيمة، ولذلك كان تاريخهم فيها حافلاً بالاضطهادات والحروب والمذابح التي من أشهرها (سان برثلميوا) في ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢.

إذ بينما كان (كوليني) زعيم الهيجونوت وأحد وزراء الملك شارل التاسع في ذلك الوقت ماراً أطلق عليه رجل الرصاص، فأصابه إصابة غير قاتلة، فعزم الملك على الانتقام فخاف الكاثوليك عاقبة التحقيق وانفضاح أمرهم فبيتوا يوم (عيد القديس — تلميو) مذبحاً هائلة، ووضعوا علامات على بيوت الهيجونوت، وانتقل الخبر من باريس إلى الأقاليم، فقلدوها وكانت النتيجة أن قتل من الهيجونوت ألفاً نفس في باريس وثمانية آلاف في

الأقاليم، وحينما تولى رشيلىو مقاليد الأمور في فرنسا عمل على إخضاع الهيجونوت، وكانوا إذ ذاك يقيمون في مدن محصنة فاستلزم إخضاعهم حروباً طويلة الأمد.

والأخطر من ذلك كله محاكم التفتيش.. وهي محاكم لم ير التاريخ لها مثيلاً، فقد كان شعارها القسوة التي لا رحمة فيها، والاضطهاد الذي لا هوادة فيه لأعداء الكاثوليك، وكانت تستمد سلطتها من البابا مباشرة، ولا دخل للحكومات في تصرفاتها، اللهم إلا القيام بتنفيذ أحكامها.

وقد كانت تستعمل كل الطرق، وتقبض على من تشاء، وتعذب المقبوض عليهم بما تراه حتى تكرهم على الاعتراف بإلحاد وحينئذ توقع عليهم عقوبة الإحراق أو السجن المؤبد ومصادرة الأملاك حتى الثابتون منهم يسجنون طول حياتهم تطهيراً لهم من جريمة الإلحاد، وكانت هذه المحاكم تراقب المطبوعات وتحرق ما لا يتفق منها مع المذهب الكاثوليكي.

هذا قليل من كثير.. ولو أنك أردت أن تتخذ القرن التاسع مقياساً نقيس به مقدار ما يكنه المسيحيون بعضهم لبعض من عداوة، كما دل عليه القرآن الكريم لوجدت فيه من الحروب والثورات ما يصعب تتبعه وحصره.

فأبرز حروب هذا القرن الحروب البابلية التي شملت أوروبا كلها من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب.

### الكشوف العلمية:

قال عبد القادر: ليس ذلك فقط.. بل إن القرآن الكريم يخبر عن كشف الله لآياته في الآفاق، وفي الأنفس، وهو ما يشير إلى الكشوف العلمية الكثيرة، والتي لم تزد المؤمنين إلا إيماناً، قال تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: ٥٣) فقد أخبر القرآن الكريم أن الله تعالى سيري الناس جميعاً على اختلاف أجناسهم وألوانهم ومذاهبهم آياته في هذا الكون، وفي أنفسهم.

وقد استعمل القرآن الكريم حرف (السين) للدلالة على المستقبل، وعلى أن عطاء القرآن متجدد مستمر في كل زمن دون انقطاع ولا توقف عند حد، أو مع جيل بعينه.

### ٤ — نبوءات لم تحدث بعد:

قال عبد القادر: وفوق ذلك لا يزال القرآن الكريم مصدراً للنبوءات، فقد أخبر بأشياء كثيرة لا تزال في طي الغيب:

ومن ذلك ذكره لخروج دابة الأرض، فقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (النمل: ٨٢)

ومن ذلك حديثه عن يأجوج ومأجوج، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (٩٦) وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلَّ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٩٧) (الانباء)

ومن ذلك حديثه عن نزول المسيح عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ (٦٠) وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١)﴾ (الزخرف)، وقال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١٥٩)﴾ (النساء)

ومن ذلك حديثه عن الآيات التي تدل على قيام الساعة، واختلال النظام الكوني، وغيرها من الآيات التي لم يأذن الله في حدوثها بعد.



### ٣ — نبوءات من السنة المطهرة

بعد هذه النماذج التي ذكرها عبد القادر عن نبوءات القرآن الكريم هم بالجلوس، لكن ذلك المستأجر الناصح قام بأدب، وقال: لو أذنت — يا حضرة القس — لهذا الرجل أن يحدثنا عن النبوءات التي ذكرها محمد، فلا أراه ترك الحديث عنها إلا لحشيتته من أخطائها وتلفيقها وكذبها.

خشني بولس من أن يكون في كلام رسول الله ﷺ من النبوءات المعجزة ما كان للقرآن الكريم، فلذلك قال: لا بأس.. نكتفي بما سمعناه.. ولا يهمنا أخطأ محمد أم أصاب.. فلم نأت لدينونة أحد هنا.

قام مستأجر بولس بكل غباء، وقد تصور أن بولس يتظاهر بما يقول من غير أن يقصد، فقال: لا.. لا بد أن نسمع.. لا يجوز أن يسمع القاضي بعض الأدلة، ويتغافل عن غيرها.. إنه إن لم يسمعنا ما قال محمد، فإننا نعتبر ذلك هروبا.

تغير وجه بولس، لكنه لم يجد إلا أن يأذن له، فقام عبد القادر.. وقلبه يكاد يطير فرحا للفرصة العظيمة التي واتته، فراح يقول: ما دام — حضرة القس — قد أذن لي في الحديث، فسأحدثكم عن نبوءات محمد ﷺ.. وهي نبوءات لا تختلف في دقتها عن نبوءات القرآن الكريم، وإن شئتم الحقيقة، فهي تفصيلات لما ورد في القرآن الكريم من النبوءات.

وقبل أن أحدثكم عن ذلك أحب أن أنبهكم إلى أن محمدا ﷺ لم يكن ملزما بذكر تلك النبوءات، فلم يلزمه أحد بذلك، ولا الشريعة تستلزم ذلك.

ولكن النبي ﷺ قال هذه النبوءات بإلهام إلهي ليرتك لكل زمان آية تعرفهم بالمصدر الإلهي للإسلام.. بالإضافة إلى أن بعض هذه النبوءات تحتوي نصائح قيمة وجه بها النبي ﷺ أمته في تلك الأوقات التي ستمر بها. وقبل أن أبدأ في عرض بعض هذه النبوءات، أخبركم بأن عددا كبيرا من أذكاء الناس ومن العباقرة جروا في فترة من فترات حماستهم علي أن يتنبأوا عن أنفسهم أو عن غيرهم، لكن الزمن لم يصدق هذه النبوءات مطلقا، بل جاء يكذبها بكل قسوة.

لقد كان نابليون بونابرت من أعظم قواد الجيوش في عصره، وقد دلت فتوحاته الأولى علي أنه سوف يكون ندا لقيصر، والإسكندر المقدوني. وترتب علي ذلك أن وجد الغرور منفذه إلي رأس نابليون، فأصبح يتوهم أنه هو مالك القدر.. وازداد هذا الشعور لديه، حتي إنه ترك مستشاريه، وادعي أنه لم يكتب في قدره غير الغلبة الكاملة علي من في الأرض، ولكننا جميعا نعرف النهاية التي كتبت له في لوح القدر.

لقد سار نابليون من باريس يوم ١٢ من يونية سنة ١٨١٥، مع جحفله العظيم ليقتضي علي أعدائه وهم في الطريق، ولم تمض غير ستة أيام حتي ألحق (دوق ولنجتون) شر هزيمة بجيش نابليون الجبار، في (ووترلو) بأراضي بلجيكا. وكان (الدوق) يقود جنود إنجلترا وألمانيا وهولندا. ولما يئس نابليون وأيقن من مصيره المحتوم فر هاربا من القيادة الفرنسية متوجها إلي أمريكا، ولم يكد يصل إلي الشاطئ، حتي ألفت شرطة السواحل القبض عليه وأرغمته علي ركوب سفينة تابعة للبحرية البريطانية، وانتهى به القدر إلي أن أرسل إلي جزيرة غير معمورة بجنوب الأطلسي، هي جزيرة (سانت هيلينا)، ومات القائد العسكري في هذه الجزيرة بعد سنوات

طويلة من اليأس والشقاء والوحدة، في ٥ مايو سنة ١٨٢١.

والبيان الشيوعي المعروف الذي صدر سنة ١٨٤٨، تنبأ بأن أول البلاد التي ستقود الثورة الشيوعية هي (ألمانيا)، ولكن ألمانيا علي الرغم من مضي مائة وعشرين عاما من هذه النبوءة، لا تزال صفحات تاريخها خالية من مثل هذه الثورة..

وقد كتب كارل ماركس في مايو سنة ١٨٤٩ قائلا: (إن الجمهورية الحمراء تبرز في سماء باريس)، ورغم أنه قد مر علي هذه النبوءة أكثر من قرن، فإن شمس الجمهورية الحمراء البازغة لم تشرق علي أهالي باريس.

وقد قال أدولف هتلر في خطابه الشهير الذي ألقاه بميونخ في ١٤ مارس ١٩٣١: (إنني سائر في طريقي، واثقا تمام الثقة بأن الغلبة والنصر قد كتبا لي)، والعالم بأجمعه يعرف — اليوم — أن الذي كتب في قدر الجنرال الألماني العظيم كان هو الهزيمة والانتحار.

وقد شاهدنا وقائع عديدة من هذه النبوءات المضحكة في (الهند)، فقد أعلن زعيم الشيوعيين: س.ب. جوشي، في المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي الهندي، الذي انعقد في (مدوراي) بجنوب الهند، في يناير سنة ١٩٥٤، بأن الحزب الشيوعي سوف يحكم، مستقلا بنفسه، في الانتخابات العامة القادمة، في ولايات: تراونكو-كوتشين (كيرالا)، ومدارس، وآنديرا، والبنغال الغربية، وآسام.

وقد أحرقت ثلاثة انتخابات عامة، وانتخابات تكميلية أخرى، في هذه المدة الطويلة، ولم يستطع الحزب الشيوعي تأليف وزارة مستقلة في أية ولاية من ولايات الهند.

وهكذا..

هذه نبوءاتهم، وذلك موقف التاريخ منها، فتعالوا بنا نسمع نبوءات محمد ﷺ لنعرضها على الواقع.

## أحداث معاصرة

أصاخ الجمهور بأذانه ينتظر حديث عبد القادر عن نبوءات محمد ﷺ الغيبية، وكنت من أشد الحضور شوقاً لسماعها، ولو أني كنت أحاول إخفاء ذلك أمام بولس، وأمام الجمهور. بعد برهة وجيزة، قال عبد القادر: أول مظهر يتجلى فيه هذا النوع من الخوارق إخباره ﷺ بكثير من الأحداث المعاصرة له من خير وشر، بل إخباره ﷺ لمن حوله بما في نفوسهم مما يضمرونه من الخير والشر. وقد كثرت الروايات المخيرة بذلك حتى بلغت مبلغ التواتر، وسأنتقي لكم منها ما تقر به أعينكم، وتعلمون أن من يخبر بمثل هذا يستحيل أن يكون كاذباً أو مدعياً:

### الشر الخفي:

فمن ذلك إخباره ﷺ بما تستبطنه النفوس من نوازع الشر الآتية:

**وما روي في ذلك** إخباره ﷺ من حدث نفسه بالفتك به ﷺ، فعن سلمة بن الأكوع — رضي الله عنه — أنه كان مع رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل فقال: من أنت؟ قال: (أنا نبي)، قال: وما نبي؟ قال: (رسول الله)، قال: متى تقوم الساعة؟ قال: (غيب ولا يعلم الغيب الا الله)، قال: أرني سيفك، فأعطاه النبي ﷺ سيفه، فهزه الرجل، ثم رده عليه، فقال رسول الله ﷺ: (أما انك لم تكن تستطيع ذلك الذي أردت)، قال: وقد كان<sup>١</sup>. وفي رواية: ثم قال رسول الله ﷺ: (إن هذا أقبل، فقال: آتبه، فأسأله ثم أخذ السيف، فاقتله ثم أعمد السيف)<sup>٢</sup>

**ومن ذلك** إخباره ﷺ من حدث نفسه بأنه ليس في القوم أحد خير منه، فعن أنس — رضي الله عنه — قال: ذكروا رجلاً عند النبي ﷺ فذكروا قوته في الجهاد واجتهاده في العبادة، فإذا هم بالرجل مقبل، فقال له رسول الله ﷺ: (إني أرى على وجهه سفعة من الشيطان)، فلما دنا سلم فقال له رسول الله ﷺ: (هل حدثت نفسك بأنه ليس في القوم أحد خير منك؟) قال: نعم. ثم ذهب فاختم مسجداً، ووقف يصلي فقال رسول الله ﷺ: (من يقوم إليه فيقتله؟)، فقام أبو بكر، فانطلق فوجده يصلي، فرجع، فقال: وجدته يصلي فهبت أن أقتله، فقال رسول الله ﷺ: (أيكم يقوم إليه فيقتله؟)

فقام عمر، فصنع كما صنع أبو بكر، فقال رسول الله ﷺ: (أيكم يقوم إليه فيقتله؟) فقال علي: أنا، قال: (أنت إن أدركته)، فذهب فوجده قد انصرف، فرجع، فقال رسول الله ﷺ: (هذا أول قرن خرج من أمي لو قتلته ما اختلف اثنان بعده من أمي)<sup>٣</sup>

**ومن ذلك** إخباره ﷺ من قاتل الكفار قتالاً شديداً أنه من أهل النار، فقتل نفسه، فعن سهل بن سعد

(١) رواه الحاكم وصححه والطبراني.

(٢) رواه الطبراني.

(٣) رواه ابن أبي شيبة وأبو يعلى والبخاري والبيهقي.

الساعدي — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون، فاقتتلوا، فلما مال رسول الله ﷺ الى  
عسكره، ومال الآخرون الى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة الا تبعها  
يضرها بالسيف، فقالوا: ما أجزأنا اليوم أحد كما أجزأ فلان.

فقال رسول الله ﷺ: (أما انه من أهل النار)، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه، قال: فخرج معه فكلما  
وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجرح الرجل جرحا شديدا، فاستعجل الموت، فوضع نصل  
سيفه بالأرض وذبابه بين ثديه، ثم تحامل على سيفه، فقتل نفسه فخرج الرجل الى رسول الله ﷺ قال: أشهد  
أنك رسول الله، قال: (وما ذاك؟) قال: الرجل الذي ذكرت أنفا أنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك، فقلت:  
أنا لكم به، فخرجت في طلبه، ثم جرح جرحا شديدا، فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه في الارض وذبابه بين  
ثديه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: (إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو  
للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار، فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة)<sup>١</sup>  
وفي رواية أخرى عن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر، فقال لرجل  
من يدعي الاسلام: (هذا من أهل النار) فلما حضر القتال، قاتل الرجل قتالا شديدا فأصابته جراحة، فقيل: يا  
رسول الله، ان الذي قلت إنه من أهل النار، فانه قد قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات، فقال النبي ﷺ: (إلى  
النار)

وفي رواية أخرى: فكاد بعض الناس أن يرتاب، فبينما هو على ذلك إذ وجد الرجل ألم الجراح، فأهوى  
بيده الى كنانته، فانتزع منها سهما فانتحر بها، فاشتد رجال من المسلمين الى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول  
الله، صدق الله حديثك، قد انتحر فلان فقتل نفسه فقال رسول الله ﷺ: (يا بلال، قم فأذن: لا يدخل الجنة الا  
مؤمن، وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر)

**ومن ذلك إخباره ﷺ عيينة بن حصن** بما قاله لأهل الطائف، فعن عروة قال: استأذن عيينة بن حصين  
رسول الله ﷺ أن يأتي أهل الطائف يكلمهم، لعل الله تعالى أن يهديهم فأذن له، فأتاهم، فقال: تمسكوا  
بمكانكم، فوالله لنحن أذل من العبيد، وأقسم بالله لو حدث به حدث لتمسن العرب عز ومنعة، فتمسكوا  
بمصنكم، وإياكم أن تعطوا بأيديكم، ولا يتكاثرن عليكم هذا الشجر، ثم رجع فقال له رسول الله ﷺ: (ماذا  
قلت لهم؟) قال: قلت لهم، وأمرتهم بالاسلام ودعوهم إليه، وحذرهم من النار، ودللتهم الى الجنة،  
قال: (كذبت، بل قلت لهم: كذا وكذا)، فقال: صدقت، يا رسول الله، أتوب الى الله تعالى وإليك من ذلك)<sup>٢</sup>  
**ومن ذلك إخباره ﷺ بكتاب حاطب** إلى أهل مكة، فقد روي عن عروة — رضي الله عنه — قال: لما  
أجمع رسول الله ﷺ على المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع رسول الله ﷺ  
عليه من المسير إليهم، ثم أعطاه امرأة من مزينة، وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشا، فجعلته في رأسها، ثم  
فتلت عليه قرونها، وخرجت به، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث علي بن أبي

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البيهقي وأبو نعيم.

طالب والزبير بن العوام، فقال: (أدركا امرأة قد كتب معها حاطب كتابا الى قريش يحذرهم)<sup>١</sup>  
وعن علي — رضي الله عنه — قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد، فقال: (انطلقوا حتى تأتوا  
روضه خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها)، قال: فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا  
نحن بالظعينة، قلنا لها: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، قال:  
فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه (من حاطب بن أبي بلتعة الى أناس بمكة من المشركين  
يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ)، فقال رسول الله ﷺ: (يا حاطب، ما هذا!؟) قال: يا رسول الله، لا تجعل  
علي، إني كنت امرؤا ملصقا في قريش، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهلهم وأموالهم؟  
فأحببت أن تكون إذ فاتني ذاك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يدا يحمون قرايبي، ولم أفعل ارتدادا عن ديني،  
ولا رضى بالكفر بعد الاسلام، فقال رسول الله ﷺ: (أما انه قد صدقكم)، فقال عمر: يا رسول الله، دعني  
أضرب عنق هذا المنافق، فقال: (إنه شهد بدرا، وما يدريك، لعل الله اطلع على من شهد بدرا، فقال: اعملوا ما  
شئتم فقد غفرت لكم!) فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ  
تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ  
خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ  
مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (المتحنة: ١)

#### أحاديث خفية:

ومن النبوءات الغيبية التي وردت بها الأسانيد الكثيرة ما أخبر عنه ﷺ من الأحاديث الخفية التي تخترها  
النفس في نفسها، أو تسر بها لأقرب الناس إليها:

**وما روي في ذلك** إخباره ﷺ من قال في نفسه شعرا به، فعن جابر بن عبد الله — رضي الله عنه — قال:  
جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ان أبي يريد أن يأخذ مالي، فدعا أباه فهبط جبريل، فقال: إن  
الشيخ قد قال في نفسه شيئا لم تسمعه أذناه! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قلت في نفسك شيئا لم  
تسمعه أذناك؟) قال: لا يزال يزيدنا الله تعالى بك بصيرة و يقينا، نعم، قال: هات، فأنشأ يقول:

غدوتك مولودا ومنتك يافعا      تعل بما أجنبي عليك وتنهل  
إذا ليلة ضاقتك بالسقم لم أبت      لسقمك الا ساهرا أتململ  
تخاف الردى نفسي عليك وأما      لتعلم أن الموت حتم موكل  
كأني أنا المطروق دونك بالذي      طرقت به دوني فعيناي تمهل  
فلما بلغت السن والغاية التي      اليك مدى ما كنت فيك أو مل  
جعلت جزائي غلطة وفضاظة      كأنك أنت المنعم المتفضل  
فليتك إذ لم ترع حق مودتي      فعلت كما الجار الجاور يفعل

فبكى رسول الله ﷺ وأخذ بتأنيب ابنه وقال: (أنت ومالك لابيك)<sup>١</sup>

(١) رواه ابن اسحاق والبيهقي.

**ومن ذلك** إخباره ﷺ وابصة بن معبد بأنه جاء يسأل عن البر والاثم، فعن وابصة بن معبد — رضي الله عنه — قال: جئت رسول الله ﷺ وأنا لا أريد أن أدع من البر والاثم شيئا الا سألته عنه، فأتيته، وهو في عصابة من المسلمين حوله، فجعلت أخطاهم لأدنو منه، فانتهرني بعضهم، فقال: اليك يا وابصة عن رسول الله ﷺ؟ فقلت: إني أحب أن أدنو منه، فقال رسول الله ﷺ: (دعوا وابصة، ادن مني وابصة)، فأدناني حتى كنت بين يديه، فقال: (أتسألني أم أخبرك؟) فقلت: لا، بل تخبرني، قال: (جئت تسأل عن البر والاثم؟) قلت: نعم، فجمع أنامله فجعل ينكت بمن في صدري وقال: (البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والاثم ما حاك في نفسك، وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك)

**ومن ذلك** إخباره ﷺ الثقفى والأنصاري بما جاء يسألان عنه، فعن أنس — رضي الله عنه — قال: كنت جالسا مع رسول الله ﷺ في مسجد الخيف، فأتاه رجل من الأنصار، ورجل من ثقيف فلما سلما، قال: جئناك، يا رسول الله، لنسألك، قال: (إن شئتما أخبرتكما بما تسألاني عنه فعلت، وإن شئتما أن أسكت وتسالاني فعلت)، قال: لا، أخبرنا يا رسول الله، نردد إيمانا أو نردد يقينا، فقال الأنصاري للثقفى: سل رسول الله ﷺ قال: بل أنت فسله، فإني أعرف حقلك، فسأله، فقال: أخبرنا يا رسول الله، قال: (جئت تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام ومالك فيه، وعن طوافك بالبيت، ومالك فيه، وركعتيك بعد الطواف، ومالك فيهما، وعن طوافك بالصفاء والمروة، وعن وقوفك بعرفة، ومالك فيه، وعن رميك الجمار ومالك فيه، وعن نحرك ومالك فيه، وعن حلاقك رأسك، ومالك فيه، وعن طوافك، ومالك فيه) — يعني الإفاضة —

فقال الرجل: والذي بعثك بالحق عن هذا جئت أسألك! قال: (فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام، لم تضع ناقتك خفا ولن ترفعه الا كتب الله لك به حسنة ومحبا به عنك خطيئة، ويرفع لك بها درجة، وأما ركعتاك بعد الطواف فأنهما كعتق رقبة من ولد اسماعيل، وأما طوافك بالصفاء والمروة فكعتقك سبعين رقبة، وأما وقوفك عشية عرفة، فإن الله تعالى يهبط الى السماء الدنيا، فيباهي بكم الملائكة يقول: هؤلاء عبادي جاؤوني شعنا غبرا من كل فج عميق، يرجون رحمتي ومغفرتي، فلو كانت ذنوبكم عدد الرمل وكزبد البحر لغفرتها، أفيضوا مغفورا لكم، ولمن شفعتم له، وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الكبائر الموبقات الموجبات، وأما نحرك فمدحور لك عند ربك، واما حلاق رأسك فبكل شعرة حلقتها حسنة يمحى عنك بها خطيئة)

قال: يا رسول الله، فإن كانت الذنوب أقل من ذلك؟ قال: (يدخر لك في حسناتك، وأما طوافك بالبيت بعد ذلك، فإنك تطوف ولا ذنب لك، يأتي ملك حتى يده بين كتفيك، ثم يقول: اعمل لما تستقبل فقد غفر لك ما مضى)

قال الثقفى: أخبرني يا رسول الله، قال: (جئت تسألني عن الصلاة!) قال: (إذا غسلت وجهك انتشرت الذنوب من أشفار عينيك، وإذا غسلت يديك انتشرت الذنوب من أظفار يديك، وإذا مسحت برأسك انتشرت

الذنوب عن رأسك، وإذا غسلت رجلك انتشرت الذنوب من أظفار قدميك ) إلى آخر الحديث<sup>١</sup>.

**ومن ذلك أمره ﷺ** أبا سعيد الخدري — رضي الله عنه — بالاستعفاف لما أراد أن يسأله شيئاً من الدنيا، فعن أبي سعيد الخدري قال: أصابنا جوع ما أصابنا مثله قط فقالت لي أختي: اذهب إلى رسول الله ﷺ فاسأله فجئت، فإذا هو يخطب، فقال: (من يستعفف، يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله)، فقلت في نفسي: والله لكأنا أردت بهذا.. لا جرم لا أسأله شيئاً، فرجعت إلى أختي فأخبرتها، فقالت: أحسنت، فلما كان من الغد، فاني والله لأتعب نفسي تحت الأجم، إذ وجدت من دارهم يهود فابتعنا به، وأكلنا منه وجاءت الدنيا، فما من أهل بيت من الأنصار أكثر أموالاً منا<sup>٢</sup>.

**ومن ذلك إخباره ﷺ** الانصار بما قالوه في غزوة الفتح، فعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال: قالت الانصار يوم فتح مكة: أما الرجل فقد أدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته، وكان الوحي إذا جاء لم يخف علينا، فإذا جاء فليس أحد يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى ينقضي الوحي، فلما رفع الوحي قال: (يا معشر الانصار، قلتم: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته، ورأفة بعشيرته، كلا فما أسمى اذن كلا، اني عبد الله ورسوله اخيا محياكم، والمات مماتكم)، فأقبلوا يبكون، وقالوا والله، ما قلنا الا للضن بالله ورسوله، فقال: (إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم)<sup>٣</sup>

**ومن ذلك إخباره ﷺ** نوفل بن الحارث بماله الذي خبأه بجدة، فعن العباس بن عبد المطلب انه قال: يا رسول الله، اني قد كنت مسلماً فقال رسول الله ﷺ: (أعلم باسلامك فإن يكن كما تقول فالله يجزيك بذلك، فأما ظاهر منك فكان علينا، فاد نفسك وابني أخيك نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب وحليفك عتبة بن عمرو أخي بني الحارث بن فهر)، قال: ما أحال ذلك عندي يا رسول الله، فقال ﷺ: (فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل، فقلت لها: ان أصبت في سفري فهذا المال لبني الفضل بن العباس وعبد الله بن العباس وقثم بن العباس؟)، فقال لرسول الله ﷺ: والله يا رسول الله ما أصبتم مني عشرين أوقية من مال كان معي، فقال رسول الله ﷺ: (لا ذاك شيء أعطانا الله تعالى منك) ففدى نفسه وابني أخويه وحليفه، وأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنفال: ٧٠)<sup>٤</sup>

**ومن ذلك إخباره ﷺ** شيبه بن عثمان بما حدث به نفسه من قتله ﷺ، فعنه قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة عنوة، قلت: أسير مع قريش إلى هوازن، بخين فعسى أن اختلطوا أن أصيب غرة من محمد فأكون أنا الذي قمت بئار قريش كلها، وأقول: لو لم يبق من العرب والعجم أحد إلا أتبع محمدا ما أتبعه أبداً، فكنت مرصداً لما خرجت له لا يزداد الأمر في نفسي إلا قوة.

(١) رواه مسدد والبخاري والبيهقي.

(٢) رواه البيهقي، وأخرجه ابن سعد بلفظ: فكان أول ما واجهني به. وبلفظ: فقلت ما قال هذا القول الا من أجلي وبلفظ:

فأتاح الله لي رزقا ما كنت أحسبه»

(٣) رواه مسلم والطيالسي والبيهقي.

(٤) رواه البيهقي.

فلما اختلط الناس، اقتحم رسول الله ﷺ عن بغلته، فدنوت منه، ورفعت سيفي حتى كدت أسوره، فرفع لي شواط من نار كالبرق كاد يمحشي فوضعت يدي على بصري خوفا عليه فالتفت الي رسول الله ﷺ وقال: (ادن مني)، فدنوت فمسح صدري، وقال: (اللهم اعذه من الشيطان ) فوالله هو من حينئذ أحب الي من سمعي وبصري ونفسي، وأذهب الله ما كان بي، فقال: (يا شيبه، الذي أراد الله بك خيرا مما أردت بنفسك؟) ثم حدثني بما اضمرت في نفسي! فقلت: بأبي أشهد أن لا اله الا الله، وأنتك رسول الله، استغفر لي يا رسول الله، قال: (غفر الله لك)¹

### أحداث خفية:

ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا، إخباره ﷺ عن الكثيرة من الأحداث المعاصرة وقت حدوثها مع كونه كان غائبا عن محل الحدث:

**ومما يروى في ذلك** ما ورد من إخباره ﷺ من أرسله الى ابنته بما حسبه، فقد روي أن رسول الله ﷺ بعث الى عثمان بهدية، فاحتبس الرسول، ثم جاء، فقال له رسول الله ﷺ: (ما حبسك؟) ثم قال: ان شئت أخبرتك بما حبسك، كنت تنظر الى عثمان مرة، وإلى رقية مرة، أيهما أحسن؟ قال: أي والذي بعثك بالحق، انه الذي حبسني².

**ومن ذلك** إخباره ﷺ بالشاة التي أخذت بغير اذن أهلها، فعن جابر — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ مر وأصحابه بامرأة، فذبحت لهم شاة واتخذت لهم طعاما فلما رجع، قالت: يا رسول الله إنا ذبحنا لكم شاة، واتخذنا لكم طعاما، فادخلوا فكلوا.

فدخل رسول الله ﷺ وأصحابه، وكانوا لا يبدأون حتى يبدأ النبي ﷺ فأخذ النبي ﷺ لقمة، فلم يستطع أن يسيغها، فقال النبي ﷺ: (هذه ذبحت بغير اذن أهلها)، فقالت المرأة: يا رسول الله، إنا لا نحتشم من آل معاذ، نأخذ منهم، ويأخذون منا³.

**ومن ذلك** ما روي عن أبي موسى — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ زار قوما من الأنصار في دارهم فذبحوا له شاة، فأخذ رسول الله ﷺ من اللحم شيئا ليأكله، فمضغه ساعة لا يسيغه فقال: (ما شأن هذا اللحم؟) قالوا: شاة لفلان ذبحناها حتى يبيح نرضيه من ثمنها، فقال: (اعطوها الأسارى)⁴

**ومن ذلك** ما أخبر به ﷺ من نزول قوم بالجابية، وأخذ الطاعون إياهم، فعن معاذ — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (تترلون متزلا يقال له الجابية أو الجويبية فيصيبكم فيه داء مثل غدتي الجمل يستشهد الله تعالى به أنفسكم وزراريكم، ويزكي به أعمالكم)⁵

**ومن ذلك** إخباره ﷺ معاذاً بأن ناقته تبرك بالجند، فعن معاذ — رضي الله عنه — أن النبي ﷺ يوم بعثه

(١) رواه ابن سعد وابن عساكر.

(٢) رواه ابن عساكر.

(٣) رواه احمد برجال الصحيح.

(٤) رواه الطبراني.

(٥) رواه الطبراني.



الى اليمن، حمل على ناقته وقال: ( يا معاذ، انطلق، حتى تأتي الجند، فحينما بركت بك هذه الناقة، فأذن وصل وابتن مسجدا )، فانطلق معاذ — رضي الله عنه — حتى انتهى الى الجند، دارت به الناقة وأبت أن تترك، فقال: هل من جند غير هذا؟ قالوا: نعم، جند ركامة، فلما أتاه دارت، وبركت، فترل معاذ بها، فنادى بالصلاة، ثم قام يصلي الجند<sup>١</sup>.

**ومن ذلك إخباره ﷺ** بقتل مجذر بن زياد، فقد روي أن جبريل أتى النبي ﷺ فأخبره أن الحارث بن سويد قتل المجذر بن زياد غيلة وأمره أن يقتله به فقتل رسول الله ﷺ الحارث بن سويد بالمجذر بن زياد وكان الذي ضرب عنقه بأمر رسول الله ﷺ عويم بن ساعدة على باب مسجد قباء<sup>٢</sup>.

**ومن ذلك إخباره ﷺ** بسبب اللحم الذي صار حجرا، فعن أم سلمة — رضي الله عنها — قالت: أهدي الي بضعة من لحم، فقلت للخادم: ارفعها الى رسول الله ﷺ، وجاء سائل فقام على الباب، فقال: تصدقوا برك الله فيكم، وذهب السائل، وجاء النبي ﷺ فقلت للخادم: أقربي إليه اللحم، فجاءت بها فإذا هي قد صارت مروة حجر، فقال النبي ﷺ: (أتاكم اليوم سائل فرددموه؟) قلت: نعم، قال: (فإن ذاك لذاك)، فما زالت حجرا في ناحية بيتها تدق حتى ماتت<sup>٣</sup>.

**ومن ذلك إخباره ﷺ** بقتل كسرى يوم قتل، فعن عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال لرسول الله ﷺ صاحب صنعاء: (اذهبوا الى صاحبكم، فقولوا: إن ربي قد قتل ربكم الليلة)<sup>٤</sup>

وفي رواية: (انطلقا إلى باذان فأعلماه أن ربي قد قتل كسرى في هذه الليلة) وفي رواية: (أبلغا صاحبكما أن ربي قد قتل ربه كسرى في هذه الليلة، لسبع ساعات مضت منها وان الله سلط عليه ابنه شيرويه قتله)، فرجعا إلى باذان بذلك، فأسلم هو والأبناء الذين باليمن.

وفي رواية: فأخبرهما رسول الله ﷺ بأن الله قد قتل كسرى وسلط عليه ابنه شيرويه في ليلة كذا من شهر كذا بعد ما مضى من الليل، وقولا له: (إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى، وقولا له: ان أسلمت أعطيتك ما تحت يدك)، فقدموا على باذان فأخبراه، فقال دحية: ثم جاء الخبر بأن كسرى قد قتل تلك الليلة.

وفي رواية: فقال باذان: فوالله، ما هذا بكلام ملك، ولننظر ما قال، فلم يلبث أن قدم عليه كتاب شيرويه، أما بعد، فإني قتلت كسرى، فلا كسرى بعد اليوم، وقد قتل قيصر، فلا قيصر بعد اليوم، فكتب قوله في الساعة التي تحدث بها اليوم والشهر، فإذا كسرى قد قتل وإذا قيصر قد مات.

### تحديات غيبية:

ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا ما حصل منه ﷺ في بعض مواقف الشدة من تحدي المشركين. يمثل هذه النبوءات الغيبية، مع كونها في مواقف حرجة غاية الحرج، ولا يقدم على التحدي حينها إلا من يثق في صدقه:

(١) رواه ابن عبد الحكم في فتوح مصر.

(٢) رواه ابن سعد.

(٣) رواه البيهقي وابو نعيم.

(٤) رواه البزار والبيهقي وابو نعيم وأحمد والبزار والطبراني والديلمي.

**ومما يروى في ذلك إخباره ﷺ** بأن الأرضة أكلت الصحيفة الظالمة التي كتبها قريش، فقد روي أن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد، واشتد عليهم البلاء، حين هاجر المسلمون الى النجاشي وبلغهم كرمه اياهم، وأجمعت قريش أن يقتلوا رسول الله ﷺ علانية، فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب، وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ويمنعوه ممن أرادوا قتله، فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم، فلما عرفت قريش أن القوم منعوا رسول الله ﷺ فأجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم ولا يباعدوهم، ولا يدخلوا بيوتهم، حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل وكتبوا صحيفة وعهودا ومواثيق، لا يقبلوا من بني هاشم أبدا صلحا حتى يسلموه للقتل.

فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين، واشتد عليهم البلاء والجهد — وفي لفظ: فحصرها بني هاشم في شعب ابي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من نبوة رسول الله ﷺ —، فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبد مناف ومن بني قصي ورجال سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بني هاشم، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم، وأجمعوا أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه.

وبعث الله تعالى على صحيفهم الأرضة، فأكلت كل ما كان فيها من عهد وميثاق، وكانت معلقة في سقف البيت، فلحست كل ما كان فيها من عهد وميثاق، فلم تترك فيها اسما لله الا لحسته، وبقي ما كان فيها من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم.

ثم أطلع الله تعالى رسوله على أمر صحيفتهم، وأن الارضة قد أكلت ما فيها من جور وظلم وبغي، وبقي ما كان فيها من ذكر الله تعالى، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأبي طالب، فقال أبو طالب: لا والثواقب، ما كذبي، فانطلق يمشي بعصاة من بني عبد المطلب حتى أتى المسجد، وهو حافل من قريش، فلما رأوهم عامرين بجماعتهم انكروا ذلك، وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء، فأتوا ليعطوهم رسول الله ﷺ فتكلم أبو طالب، فقال: قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم، فأتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها، فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلح، وانما قال ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها، فأتوا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكون أن رسول الله ﷺ مدفوعا إليهم، فوضعوها بينهم قال أبو طالب: انما أتيتكم لأعطيكم أمرا لكم فيه نصف، أن ابن أخي قد أخبرني ان الله تعالى برئ من هذه الصحيفة التي في أيديكم، ومحا منها كل اسم هو له فيها وترك فيها غدركم، وقطيعتكم إيانا، وتظاهركم علينا بالظلم، فان كان ما قال ابن أخي كما قال فأفيقوا فوالله، لا يسلم ابدا حتى نموت من عند آخرنا، وإن كان باطلا رفعناه إليكم، فقتلتكم أو استحييتكم، قالوا: قد رضينا بالذي تقول، ففتحوها الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق ﷺ قد أخبر خبرها، فلما رأها قريش كالذي قال: قالوا: والله ان كان هذا قط الا سحر من صاحبكم! فقال: اولئك النفر: إن الأولى بالكذب والسحر غيرنا فإننا نعمم أن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب الى الجبت والسحر، ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم، وهي بأيديكم طمس الله تعالى ما كان فيها من اسم له وما كان من بغي تركه، أفنحن السحرة أم أنتم؟ فقال عند ذلك النفر من بني عبد مناف ومن قصي: نحن براء من هذه الصحيفة.

وخرج النبي ﷺ وأصحابه فعاشوا، وحالطوا الناس، وقال أبو طالب في الصحيفة:

ألم يأتكم أن الصحيفة مزقت وأن كل ما لم يرضه الله يفسد<sup>١</sup>

**ومن ذلك إخباره ﷺ** قريشا ليلة الاسراء بصفة بيت المقدس ولم يكن رآه قبل ليلة الاسراء، فقد روي أن النبي ﷺ بعد أن أسري به مر عليه أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء؟ قال: نعم، قال: ما هو؟ قال: أسري بي الليلة، قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس. قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم.

فلم ير أنه يكذبه مخافة أن يمجده الحديث إن دعا قومه إليه، قال: رأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني؟ قال: نعم، قال: يا معشر بني كعب بن لؤي.

فانفضت إليه المجالس، وجاءوا حتى جلسوا إليهما.

فقال: حدث قومك بما حدثتني فقال النبي ﷺ: (إني أسري الليلة بي)، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا، وضجوا وأعظموا ذلك.

فقال المطعم بن عدي: كل أمرك قبل اليوم كان أما غير قولك اليوم، أنا أشهد أنك كاذب، نحن نضرب أكباد الإبل إلى البيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا، أتدعي أنت أتيتته في ليلة؟ واللوات والعزى لا أصدقك.

فقال أبو بكر لمطعم: بئس ما قلت لابن أخيك، جبهته وكذبتة، أما أنا فأشهد أنه صديق صادق.

فقالوا: يا محمد صف لنا بيت المقدس، كيف بناؤه وكيف هيئته؟ وكيف قربه من الجبل؟ وفي القوم من سافر إليه.

فذهب ينعت لهم بناءه كذا وهيئته كذا، وقربه من الجبل كذا، فما زال ينعتهم حتى التبس عليه النعت، فكرب كربا ما كرب مثله، فجئى بالمسجد وهو ينظر إليه حتى وضع دون دار عقيل أو عقال، فقالوا: كم للمسجد من باب؟ ولم يكن عددا، فجعل ينظر إليه ويعدها بابا بابا، ويعلمهم، وأبو بكر يقول: صدقت، صدقت، أشهد أنك رسول الله.

فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب.

ثم قالوا لأبي بكر: أتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم إني لأصدقته فيما هو أبعد من ذلك، أصدقته بخبر السماء في غدوة أو روحة، فبذلك سمي أبو بكر الصديق.

ثم قالوا: يا محمد أخبرنا عن غيرنا.

فقال: (أتيت على غير بني فلان بالروحاء قد ضلوا ناقة لهم، فانطلقوا في طلبها، فانتهيت إلى رحالهم، فليس بها منهم أحد، وإذا قدح ماء فشربت منه، ثم انتهيت إلى غير بني فلان في التنعيم يقدمها جمل أورق عليه

---

(١) رواه البيهقي وأبو نعيم وابن سعد وابن عساكر، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة البغدادي، فشلت يده حتى يبست فما كان ينتفع بها، فكانت قريش تقول بينها: إن الذي صنعنا إلى بني هاشم لظلم، انظروا ما أصاب منصور بن عكرمة.

مسح أسود وغاراتان سوداوان وها هي ذه تطلع عليكم من الثنية )  
وقد حصل كل ما أخبر عنه ﷺ، لكن ذلك لم يزد لهم إلا جحودا وعتوا.

### شهداء وانتصارات:

ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا ما أخبر عنه ﷺ من قتل بعض أصحابه وموتمهم شهداء، أو من انتصاراتهم وفتح الله عليهم:

**وما يروى في ذلك إخباره ﷺ** بقتل أصحابه يوم الرجيع أن حبيبا لما قال: اللهم اني لا أحد من يبلغ رسولك عني السلام، فقال النبي ﷺ حينئذ: (وعليك السلام) قال أصحابه: يا رسول الله، من قال؟ قال: (حبيب يقتل)، وفي لفظ قال رسول الله ﷺ وهو جالس في ذلك اليوم الذي قتل فيه حبيب: (عليك السلام حبيب قتلته قريش).<sup>١</sup>

**ومن ذلك إخباره ﷺ** بقتل أصحابه يوم بئر معونة عن أنس — رضي الله عنه — أن أناسا جاؤوا الى النبي ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلا يعلمونا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلا من الانصار يقال لهم: القراء، فعرضوا لهم فقتلوه قبل أن يبلغوا المكان فقالوا: اللهم بلغ عنا نبينا انا قد لقيناك، فرضينا عنك ورضيت عنا، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: (ان اخوانكم قتلوا، فقالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أن قد لقيناك فرضينا عنك، ورضيت عنا)<sup>٢</sup>

**ومن ذلك ما رواه ابن مسعود** — رضي الله عنه — قال: بعث رسول الله ﷺ سرية، فلم نلبث الا قليلا، حتى قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (ان اخوانكم قد لقوا المشركين واقتطعوهم فلم يبق منهم أحد، وانهم قالوا: ربنا بلغ قومنا انا قد رضينا ورضي عنا ربنا، فأنا رسولهم اليكم، انهم قد رضوا ورضي عنهم)<sup>٣</sup>

**ومن ذلك إخباره ﷺ** بقتل من قتل في غزوة مؤتة يوم أصيبوا، فقد روي أن يعلى بن منية قدم على رسول الله ﷺ يخبر أهل مؤتة، فقال له رسول الله ﷺ: (إن شئت فأخبرني، وإن شئت فأخبرتك)، قال: أخبرني يا رسول الله به، فأخبره رسول الله ﷺ خبرهم كلهم ووصفه لهم، فقال: والذي بعثك بالحق، ما تركت من حديثه حرفا لم تذكره، وان أمرهم لكما ذكرت، فقال: (إن الله رفع لي الارض حتى رأيت معتركهم)<sup>٤</sup>

وعن أنس — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ بعث زيدا وجعفر بن عبد الله بن رواحة ودفع الراية الى زيد فأصيبوا جميعا، فنعاهم رسول الله ﷺ قبل أن يجيء الخبر، فقال: (أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب)، ثم أخذها خالد بن الوليد من غير أمره ففتح عليه<sup>٥</sup>.

**ومن ذلك إخباره ﷺ** بأن خيرير تفتح على يد علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — فعن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح خيبر: (لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه)، فلما أصبح قال: (أين

(١) رواه البخاري والبيهقي وأبو نعيم.

(٢) رواه مسلم والبيهقي.

(٣) رواه البيهقي.

(٤) رواه البيهقي وابو نعيم.

(٥) رواه البخاري.

علي بن أبي طالب؟) قالوا: يشتكي عينيه، قال: (فأرسلوا إليه)، فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع.<sup>١</sup>

وفي رواية أخرى عن سلمة بن الأكوع — رضي الله عنه — قال: كان علي — رضي الله عنه — تخلف عن النبي ﷺ في خيبر وكان رمداً، فقال: أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ، فخرج فلحق به، فلما كان مساء الليلة التي فتح الله في صباحها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لأعطين الراية غدا رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله عليه)، فإذا نحن بعلي وما نرجوه، فقالوا: هذا علي، فأعطاه الراية ففتح الله عليه.

**ومن ذلك** إخباره ﷺ شداد بن أوس — رضي الله عنه — بأنه يعافى من مرضه، وأنه يسكن الشام، فكان كذلك، فعنه أنه كان عند رسول الله ﷺ وهو يجود بنفسه، فقال: (مالك يا شداد؟) قال: ضاقت بي الدنيا، قال: (عليك، الشام تفتح ويفتح بيت المقدس، فتكون أنت وولدك أئمة فيهم)<sup>٢</sup>

**ومن ذلك** إخباره ﷺ عثمان بن طلحة بأنه سيصير إليه مفتاح البيت يضعه حيث شاء، فعنه قال: لقيني رسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة، فدعاني إلى الإسلام، فقلت: يا محمد، العجب لك حيث تطمع أن أتبعك، وقد خالفت دين قومك، وحنث بدين محمد.

وكنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الإثنين والخميس، فأقبل يوماً يريد الكعبة أن يدخلها مع الناس، فغلظت عليه، ونلت منه وحلم عني، ثم قال: (يا عثمان، لعلك ستري هذا المفتاح بيدي، أضعه حيث شئت)، فقلت: لقد هلكت قريش، وذلت، فقال: (بل عمرت يومئذ وعزت).

فدخل الكعبة، فوقعت كلمته مني موقعا، ظننت أن الامر سيصير إلى ما قال، فأردت الإسلام، فإذا قومي يزبروني زبرا شديداً، فلما كان يوم فتح مكة، قال لي: (يا عثمان، ائت بالمفتاح) فأتيته به فأخذه مني ثم دفعه إلي، وقال: (خذها خالدة تالدة لا يترعها منكم إلا ظالم)، فلما وليت ناداني، فرجعت إليه، فقال: (ألم تكن الذي قلت لك؟) فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة، لعلك ستري هذا المفتاح يوماً بيدي، أضعه حيث شئت، فقلت: بل أشهد أنك رسول الله حقاً.<sup>٣</sup>

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه الطبراني.

(٣) رواه ابن سعد.

## أخبار الصحابة

قام رجل من الجمع بأدب، وقال: قد يعتبر البعض كل ما ذكرته من نبوءات غيبية معاصرة لمحمد نوعاً من الفراسة الصادقة، فالتوسم الذكي قد يقرأ في عيون الناس، وفي وجوههم، وفي الأحداث المختلفة ما يجعله لا يصيب إلا الحق.

أنا لا أقول هذا.. ولكني أدعوك من خلال هذه الشبهة إلى أن تذكر لنا ما ذكر محمد من النبوءات الغيبية المرتبطة بغير زمانه.

نظر عبد القادر إلى الرجل، وقال: إن ذكر هذه النبوءات يستدعي بعض الصبر، فإن كتب الحديث تمتلئ بها.. وهي من الكثرة والشمول بحيث لا يملك العقل الناصح إلا التسليم لها.

وقد حدث الصحابة رضي الله عنهم عن اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر ما يحصل بعده إلى قيام الساعة، فعن أبي زيد الأنصاري قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، ثم نزل فصلي العصر، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غابت الشمس، فحدثنا بما كان وما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا<sup>١</sup> وفي حديث آخر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه<sup>٢</sup>.

وفي حديث آخر عن حذيفة قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً، فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء وإِنَّه ليكون الشيء فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه<sup>٣</sup>.

قام رجل من الجمع، وقال: ما سر حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك؟

قال عبد القادر: أسباب كثيرة.. لعل أهمها ما يرجع إلى نصحه لأمته، فرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول للبشر جميعاً، وفي جميع الأوقات إلى قيام الساعة.

لهذا، فإنه لم يترك شيئاً تحتاج إليه الأمة في الظروف المختلفة التي تمر بها إلا دل عليه.

وسأذكر لكم بعض ما يدل على هذا المقصد الشريف في كل مناسبة تستدعي ذلك.

قالوا: فاذكرنا لنا من هذه النبوءات ما نتيقن به صدق ما تقول.

قال عبد القادر: أول ذلك إخباره صلى الله عليه وسلم صحابته الذين كانوا معه، والذين تربوا على يديه بما يحصل لهم من

بعده.

### ١ — أعمار ووفيات:

ومن ذلك إخباره صلى الله عليه وسلم عن أعمار الجيل الذي عاصره صلى الله عليه وسلم، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة لم تزدها الأيام إلا

(١) رواه مسلم.

(٢) ذكره البخاري تعليقاً بصيغة التمريض.

(٣) رواه أبو داود.

تصديقاً:

**ومما يروى في ذلك قوله ﷺ:** ( لا تأتي مائة سنة وعلى وجه الارض نفس منفوسة اليوم )<sup>١</sup>  
وحدث ابن عمر — رضي الله عنهما — عن ذلك، فقال: صلى بنا رسول الله ﷺ العشاء ليلة في آخر حياته، فلما قام فقال: ( أرأيتمكم ليلتكم هذه؟ ) قال: ( فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى اليوم ممن هو على ظهر الارض أحد )، يريد بذلك انخرام القرن<sup>٢</sup>.

وحدث جابر بن عبد — الله رضي الله عنهما — عن ذلك، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بشهر: ( تسألون عن الساعة وإنما علمها عند الله، فأقسم بالله ما على ظهر الارض من نفس منفوسة اليوم يأتي عليها مائة سنة )<sup>٣</sup>

وحدث أبو الطفيل — رضي الله عنه — عن تصديق ذلك، فقال: ( لم يبق أحد ممن لقي رسول الله ﷺ غيري )<sup>٤</sup>، وقد مات أبو الطفيل على رأس المائة.

وفوق هذا، فقد أخرج ﷺ عن أعمار بعض الناس الذين عاصروه:

**ومن ذلك** ما حدث به عبد الله بن بسر — رضي الله عنه — حين ذكر أن النبي ﷺ وضع يده على رأسه وقال: ( يعيش هذا الغلام قرناً ) فعاش مائة سنة، وكان في وجهه ثؤلول، فقال: ( لا يموت حتى يذهب الثؤلول من وجهه )، فلم يمض حتى ذهب<sup>٥</sup>.

**ومن ذلك** ما حدث به حبيب بن مسلمة الفهري أنه أتى إلى النبي ﷺ وهو بالمدينة ليراه، فأدركه أبوه، فقال: يا رسول الله يدي ورجلي، فقال: ( ارجع معه، فإنه يوشك أن يهلك )، فهلك في تلك السنة<sup>٦</sup>.

وفي رواية أخرى أن حبيب بن مسلمة — رضي الله عنه — قدم على النبي ﷺ المدينة غازياً، وأن أباه أدركه بالمدينة، فقال مسلمة: يا رسول الله، إنه ليس لي ولد غيره، فيقوم في مالي، وضيعتي، وعلى أهل بيتي وأن النبي ﷺ رده معه، وقال: ( لعلك أن يخلو لك وجهك في عامك، فارجع يا حبيب مع أبيك )، فرجع فمات مسلمة في ذلك العام، وغزا حبيب فيه<sup>٧</sup>.

ومن ذلك إخباره ﷺ عن **موت الكثير من أتباعه على الإسلام**، والإخبار بأنهم من أهل الجنة، فماتوا كما ذكر رسول الله ﷺ لم يغيروا، ولم يبدلوا، مع أن الردة حصلت بعد وفاة رسول الله ﷺ، بل حصلت فتن كثيرة كان يمكنها أن تؤثر فيهم.

فقد شهد للعشرة بالجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه الحاكم والبيهقي وأبو نعيم.

(٦) رواه ابن سعد والبغوي وأبو نعيم في الصحابة، والبيهقي.

(٧) رواه أبو نعيم وابن عساکر.

وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص، فتحرّكت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: (اهدأ، فما عليك إلا نبي، أو صديق، أو شهيد)<sup>١</sup> وشهد ﷺ لجميع من شهد بيعة الرضوان عام الحديبية، وكانوا ألفا وأربعمائة<sup>٢</sup>، وكلهم استمر على السداد والاستقامة حتى مات.

وأخبر ﷺ عكاشة بأنه من أهل الجنة، فقتل شهيدا يوم اليمامة، ففي الحديث عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: يدخل الجنة من أمي سبعون ألفا بغير حساب، تضئ وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر، فقام عكاشة بن محسن الاسدي يجر نمره عليه، فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال النبي ﷺ: اللهم أجعله منهم، ثم قام رجل من الانصار فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عكاشة<sup>٣</sup> وقد حصل ما أخبر عنه النبي ﷺ حيث قتل طلحة الأسدي عكاشة بن محسن شهيدا.

ومنهم النعمان بن بشير — رضي الله عنه —، فقد حدث قتادة قال: جاءت عمرة بنت رواحة تحمل ولدها النعمان بن بشير في ليفة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يكثر ماله وولده، فقال: (أما ترضين أن يعيش كما عاش خاله، عاش حميدا، وقتل شهيدا، ودخل الجنة)<sup>٤</sup>

وفي حديث آخر أن بشير بن سعد جاء بالنعمان بن بشير — رضي الله عنه — إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ادع الله لابي هذا، قال: (أما ترضين أن يبلغ ما بلغت؟ ثم يأتي الشام، فيقتله منافق من أهل الشام)<sup>٥</sup> وقد حدث مسلمة بن محارب وغيره عن تحقيق هذه النبوءة، فقال: لما قتل الضحاك بن قيس بمرج راهط في خلافة مروان، أراد النعمان بن بشير — رضي الله عنه — أن يهرب من حمص، وكان عاملا عليها، فخالف، ودعا لابن الزبير فطلبه أمير حمص، فقتلوه، واحترقوا رأسه.

ومن ذلك إخباره ﷺ عن **زمن موت بعض أهله**:

وأولهم سيدة نساء العالمين **فاطمة الزهراء** بنت رسول الله ﷺ، فقد أخبر ﷺ بأنها أول أهل بيته لحوقا به، فعن عائشة — رضي الله عنها — في قصة مسارة النبي ﷺ ابنته فاطمة، وإخباره إياها بأن جبريل كان يعارضه بالقرآن في كل عام مرة، وأنه عارضني العام مرتين، وما أرى ذلك إلا لاقتراب أجلي، فبكت، ثم سارها فأخبرها بأنها سيدة نساء أهل الجنة، وأنها أول أهله لحوقا به<sup>٦</sup>.

وقد حصل ما أخبر عنه النبي ﷺ، فلم تمكث فاطمة بعد رسول الله ﷺ إلا فترة قصيرة، فعن عائشة قالت: مكثت فاطمة بعد وفاة رسول الله ﷺ ستة أشهر<sup>٧</sup>.

(١) رواه مسلم.

(٢) وقيل: وثلاثمائة، وقيل: وخمسمائة.

(٣) البخاري.

(٤) رواه ابن سعد.

(٥) رواه ابن سعد.

(٦) رواه البخاري ومسلم.

(٧) رواه البخاري ومسلم.



ومنهم **زينب بنت جحش** — رضي الله عنها —، فعن عائشة — رضي الله عنها — أن نساء النبي ﷺ اجتمعن عنده، فقلن يوماً: يا رسول الله أيتنا أسرع بك لحوقاً؟ فقال: أطولكن يداً، وكانت سودة أطولنا ذراعاً، فكانت أسرعنا به لحوقاً<sup>١</sup>.

وقد حصل ما أخبر عنه النبي ﷺ فعن عائشة — رضي الله عنها — أنها ذكرت الحديث وفيه: فكانت زينب أطولنا يداً، لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق.

**ومن ذلك إخباره ﷺ بموت أبي الدرداء قبل الفتنة**

ومنهم أبو الدرداء — رضي الله عنه — فقد أخبر ﷺ أنه يموت قبل الفتنة، فعن أبي الدرداء — رضي الله عنه — قال: قلت يا رسول الله بلغني أنك تقول: (ليرتدن أقوام بعد إيمانهم)، قال: (أجل ولست منهم)، فتوفي أبو الدرداء قبل أن يقتل عثمان — رضي الله عنه —<sup>٢</sup>.

**ومن ذلك إخباره ﷺ عن مكان موت بعض أصحابه:**

ومنهم **الأقرع بن شفي** — رضي الله عنه — فقد أخبر ﷺ بأنه يدفن بالربوة من أرض فلسطين، فعنه قال: دخل علي رسول الله ﷺ في مرضي، فقلت: يا رسول الله، لا أحب إلا أني ميت من مرضي، قال: (كلا لتبقين ولتهاجرن إلى أرض الشام وتموت، وتدفن بالربوة من أرض فلسطين)، فمات في خلافة عمر، ودفن بالرملة<sup>٣</sup>.

ومن ذلك إشارته ﷺ إلى **طاعون عمواس** من بلاد الشام، وقد عبر ﷺ عن ذلك بحصول الموت الكثير، فعن عوف بن مالك — رضي الله عنه — قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك، وهو في قبّة من آدم، فقال: (أعددت ستاً بين يدي الساعة، موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقُعاص الغنم) ويلاحظ قول النبي ﷺ (فيكم)، ففيه إشارة إلى أن هذا الموت سيكون في جيل الصحابة، وقد حصل ذلك فعلاً، وقد حصل ذلك في بلاد الشام، والذي عُرف بطاعون (عمواس)<sup>٤</sup> نسبة إلى البلد الذي بدأ فيه، ثم انتشر منه.

وقد كان الطاعون قد ابتدأ بها، في زمن عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — ثم فشا في بلاد الشام. وقد وقع هذا الطاعون في سنة (١٧)° في العام الذي ذهب عمر رضي الله عنه إلى الشام، وسمع به قد وقع، فلما أخبره عبد الرحمن بن عوف — رضي الله عنه — بالحديث رجع. وقد مات في هذا الطاعون خمسة وعشرون ألفاً من الصحابة وغيرهم.

(١) البخاري ومسلم.

(٢) رواه البيهقي وأبو نعيم.

(٣) رواه الطبراني وابن السكن وصححه وابن منده وأبو نعيم كلاهما في المعرفة، وابن عساكر.

(٤) عمواس: قرية من قرى الشام — في فلسطين — بين الرملة وبيت المقدس، على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس.

(٥) وهذا ما صححه ابن حجر، وقيل: (سنة ١٨) وهذا ما ذكره عامة المؤرخين، كخليفة والطبري وابن زبير وابن الأثير

وابن كثير..

ومن مات من كبار الصحابة فيه: أبو عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وشرحبيل ابن حسنة، والحارث بن هشام، والفضل بن العباس ابن عم النبي ﷺ وأبو مالك الأشعري، وسهيل بن عمرو، وابنه أبو جندل، وعتبة بن سهيل، وعامر بن غيلان الثقفي، وغيرهم.

## ٢ — بلايا ومحن:

بالإضافة إلى كل ذلك، فقد أخبر ﷺ الكثير من الصحابة عن البلاء الذين ينتظرهم: ومن ذلك إخباره عن **قتل عمر** — رضي الله عنه — وعن فتح أبواب الفتن بموته، فعن حذيفة ﷺ قال: كنا جلوساً عند عمر، فقال: أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قلت: أنا، قال: هات إنك لجرىء، فقلت: ذكر فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال: ليس هذا أعني، إنما أعني التي تموج موج البحر، فقلت: يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها باباً مغلقاً فقال: (وَيَحْكُ أَيْفَتَحُ الْبَابَ أَمْ يَكْسِرُ؟) قلت: بل يكسر، قال: إذا لا يغلُقُ أبداً، قلت: أجل، فقلنا لحذيفة: فكأنَّ عمرَ يعلم مِنَ الْبَابِ، قال: نعم إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط، فقال: فهبنا أن نسأل حذيفة من الباب، فقلنا المسروق، فسأله، فقال: عمر<sup>١</sup>.

وقد وقع ما أخبر به ﷺ، حيث أنه بعد مقتل عمر ﷺ في سنة ثلاث وعشرين وقعت الفتن بين الناس، وكان قتله سبب انتشارها بينهم.

ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا أن رسول الله ﷺ أخبر عن **عثمان بن عفان** ﷺ أنه من أهل الجنة على بلوى تصيبه، فعن أبي موسى قال: دخل رسول الله ﷺ حائطاً فدلى رجله في القف، فقلت: لأكونن اليوم بواب رسول الله ﷺ، فجلست خلف الباب فجاء رجل فقال: افتح، فقلت: من أنت؟ قال: أبو بكر، فأخبرت رسول الله ﷺ، فقال: افتح له وبشره بالجنة، ثم جاء عمر فقال كذلك، ثم جاء عثمان فقال: ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه، فدخل وهو يقول: الله المستعان<sup>٢</sup>

وعن حذيفة بن اليمان — رضي الله عنهما — قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم، وتجتلدوا بأسيا فكم، ويرث دنياكم شراركم)<sup>٣</sup> وقد بين رسول الله ﷺ أن عثمان رضي الله عنه يقتل — حين يقتل — وهو مظلوم، فعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، أي أن رسول الله ﷺ ذكر فتنة، فمر رجل، فقال: (يقتل فيها هذا المقنع يومئذٍ مظلوماً)، قال: فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان<sup>٤</sup>.

وقد كان النبي ﷺ قد عهد إلى عثمان رضي الله عنه، بأن الله تعالى سيقمّمه قميصاً — يعني: الخلافة — فلا يتزعّمه، ولا يتنازل عنه، إذا ما نوزع من قبل الظلمة، فعن عثمان — رضي الله عنه — قال: (إن رسول الله

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) البخاري في فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله باب (٥) ومسلم في فضائل الصحابة باب (٣).

(٣) رواه الطيالسي والترمذي — وحسنه — وابن ماجه والبيهقي.

(٤) رواه أحمد، والترمذي وحسنه.

ﷺ عهد إليّ عهداً، وأنا صابرٌ عليه<sup>١</sup>

وقد وقع كل ذلك كما ذكر رسول الله ﷺ، حيث حصر في داره، وقتل صابراً محتسباً شهيداً. ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا ما أخبر به ﷺ عن شهادة علي بن أبي طالب ﷺ، بعد توليه إمرة المؤمنين، وقد تحقق ذلك، فلم يقتل، ولم يمت حتى ولي إمرة المؤمنين، ثم قتل، على حسب الوصف الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ، وهو أن تخضب لحيته من جبهته — رضي الله عنه —

فعن أبي الأسود الدؤلي، عن علي ﷺ قال: قال لي عبد الله بن سلام — وقد وضعت رجلي في الغرز، وأنا أريد العراق —: أين تريد؟ قلت: العراق قال: لا تأت أهل العراق، فإنك إن أتيتهم، أصابك ذباب السيف، قال علي: وأيم الله، لقد قالها لي رسول الله ﷺ.

قال أبو الأسود: فقلت في نفسي: ما رأيت كاليوم، رجلاً محارباً يحدث الناس بمثل هذا<sup>٢</sup>.

ولما مرض ﷺ وهو في ينيع عاده بعض الصحابة والتابعين، وطلبوا منه أن ينتقل إلى المدينة، حتى إذا حضر أجله وليه الصحابة — رضي الله عنهم — وصلّوا عليه، أما إذا مات في مكانه فلا يحضره إلا أعراب جهينة، فأجأهم ﷺ بهذا الحديث.

فعن أبي سنان الدؤلي، أنه عاد علياً ﷺ في شكوى له شكاها، قال: فقلت له: لقد تخوّفنا عليك يا أمير المؤمنين في شكواك هذه، فقال: لكني — والله — ما تخوّفت على نفسي منه، لأني سمعت رسول الله ﷺ الصادق المصدوق يقول: (إنك ستضرب ضربة ههنا، ويكون صاحبها أشقاها، كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود)<sup>٣</sup>

وفي حديث آخر قال علي ﷺ: (إن رسول الله ﷺ عهد إليّ أي لا أموت حتى أؤمر، تخضب هذه — يعني: لحيته — من هذه — يعني: هامته)<sup>٤</sup>

وقد ورد هذا عن عدد من الصحابة، رضي الله عنهم، كأنس وصهيب وجابر بن سمرة وعمار، ففي رواية عمار ﷺ قال: كنت أنا وعليّ ريفيين في غزوة ذي العُشيرة، فلما نزلها رسول الله ﷺ، وأقام بها، رأينا ناساً من بني مدلج، يعملون في عين لهم في نخل، فقال لي عليّ: يا أبا اليقظان، هل لك أن تأتي هؤلاء، فننظر كيف يعملون؟ فجنناهم، فنظرنا إلى عملهم ساعة، ثم غشنا النوم، فانطلقت أنا وعليّ فاضطجعنا في صور من النخل، في دفعاء من التراب، فنمنا، فوالله ما أهبنا إلا رسول الله ﷺ يحرّكنا برجله، وقد تترّبنا من تلك الدفّعاء، فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعليّ: (يا أبا تراب) لما يرى عليه من التراب، قال: (ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟) قلنا: بلى يا رسول الله، قال: (أحيمرُ ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه — يعني: قرنه —

(١) رواه أحمد وإسحاق وابن أبي شيبه وابن سعد، والترمذي والحاكم وابن حبان وصححوه، وابن ماجه.

(٢) رواه الحميدي وأبو يعلى والبخاري وأبو نعيم وصححه ابن حبان والحاكم، وقال الهيثمي: رجال أبي يعلى رجال الصحيح، غير إسحاق بن أبي إسرائيل وهو ثقة مأمون.

(٣) رواه عبد بن حميد والبخاري في تاريخه وابن أبي عاصم والطبراني وأبو يعلى، والحاكم وصححه، وحسنه الهيثمي.

(٤) رواه أحمد والبخاري وابن أبي عاصم وأبو نعيم والحاكم وابن أبي شيبه والحرث، عن فضالة بن أبي فضالة، عن علي رضي الله عنه.

حتى تُبلَّ منه هذه — يعني: لحيته — (١)

ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا إخباره ﷺ **عائشة** — رضي الله عنها — بأنها ستقع في فتنة خروجها في معركة الجمل، فعن أبي رافع، أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب ﷺ: (إنه سيكون بينك وبين عائشة أمرٌ)، قال: أنا يا رسول الله؟ قال: نعم قال: أنا؟ قال نعم قال: فأنا أشقاهم يا رسول الله؟ قال: لا ولكن إذا كان ذلك، فارددها إلى مأمئها٢.

بل إنه ﷺ ذكر العلامة التي ستكون عند ظهور هذا الخلاف، كما أشار إلى الظرف الذي ستكون عليه الأحوال، فعن عائشة — رضي الله عنها — أنها لما أتت على الحوَّاب، وسمعت نباح الكلاب، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لنا: (أيتكن تبنح عليها كلاب الحوَّاب؟) (٣) وأخبر ﷺ عما يحصل في تلك المعركة، فعن ابن عباس ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال لنسائه: (ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدب، تخرج فينبحها كلاب الحوَّاب، يقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير، ثم تنجو بعدها كادت) (٤)

وقد حصل ما أخبر عنه رسول الله ﷺ، فعن قيس بن أبي حازم قال: لما أقبلت عائشة فتزلت بعض مياه بني عامر نبحت عليها الكلاب فقالت: أي ماء هذا؟ قالوا: الحوَّاب، قالت ما أظني إلا راجعة، فقال لها بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون، فيصلح الله ذات بينهم، فقالت: إن النبي ﷺ قال لنا ذات يوم: كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوَّاب؟ (٥)

وقد حدث حذيفة — رضي الله عنه — عن هذا مع أنه مات قبل مسير عائشة — رضي الله عنها — فقد روي أنه قيل له: حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ قال: (لو فعلت لرحمتوني)، قلنا: سبحان الله! قال: (لو حدثتكم أن بعض أمهاتكم تغزوكم في كتيبة تضربكم بالسيف ما صدقتموني)، قالوا: سبحان الله، ومن يصدقك بهذا قال: (أتكم الحمراء في كتيبة تسوق بها أعلاجها) (٦)، قال البيهقي، أخبر بهذا حذيفة ومات قبل مسير عائشة.

بل إنه ﷺ أخبر بعض من سار مع عائشة — رضي الله عنها — على أنه سيقاتل عليا — رضي الله عنه — ظلما له، فعن أبي الاسود قال: شهدت الزبير خرج يريد عليا، فقال له علي: أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تقاتله وأنت له ظالم)، فقال: لم أذكر، ثم مضى الزبير منصرفاً (٧).

(١) رواه أحمد والنسائي في فضائل علي والبخاري في تاريخه والبخاري والطحاوي وابن أبي عاصم وأبو نعيم والدولابي، وصححه الحاكم وأقره الذهبي، وقال الهيثمي: رجاله موثقون، فالحديث مجموع طرقه صحيح.

(٢) رواه أحمد والطحاوي والبخاري والطبراني، ورجاله ثقات، كما قال الحافظ الهيثمي، وحسنه الحافظ ابن حجر.

(٣) الحوَّاب: موضع في طريق البصرة.

(٤) رواه أحمد وابن شعبة وأبو يعلى والبخاري، وصححه ابن حبان والحاكم.

(٥) رواه البخاري والطحاوي، برجال ثقات، كما قال الحافظان الهيثمي وابن حجر.

(٦) رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري، وصححه ابن حبان والحاكم وسنده على شرط الصحيح.

(٧) رواه الحاكم وصححه البيهقي وأبو نعيم.

(٨) رواه الحاكم وصححه البيهقي.

وفي حديث آخر عن أبي جروة المازني قال: سمعت علياً يقول للزبير نشدتك بالله أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنك تقاتلني وأنت ظالم لي؟ قال: بلى، ولكن نسيت<sup>١</sup>.

وفي حديث آخر عن قيس قال: قال علي للزبير: أما تذكر يوم كنت أنا وأنت، فقال لك رسول الله ﷺ: (أنجبه)، فقلت: وما بمنعني، فقال: (أما إنك ستخرج عليه وتقاتله وأنت ظالم)، قال: فرجع الزبير<sup>٢</sup>.

وفي حديث آخر أن علياً قال للزبير يوم الجمل: أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لتقاتلته وأنت ظالم له ثم لينصرون عليك)، قال: قد سمعته لا جرم لا أقاتلك<sup>٣</sup>.

ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا إخباره ﷺ بمقتل عمار<sup>٤</sup> شهيداً تقتله الفئة الباغية، فعن ابن مسعود<sup>٥</sup> قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق<sup>٤</sup>.

وعن حنظلة بن خويلد العتري قال: بينا أنا عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار، يقول كل واحد منهما: أنا قتلتها، فقال عبد الله بن عمرو: ليطب به أحدكما لصاحبه نفساً، فإني سمعت النبي ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية، فقال معاوية: ألا نح عنا مجنونك يا عمرو، فما بالك معنا، قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: أطع أباك ما دام حياً ولا تعصه، فأنا معكم ولست أقاتل<sup>٥</sup>.

بل إن النبي ﷺ أخبر عماراً عن آخر طعام يتناوله، فعن أبي البخترى، أن عمار بن ياسر أتى بشربة لبن فضحك، وقال: إن رسول الله ﷺ قال لي: آخر شراب أشربه لبني حين أموت<sup>٦</sup>.

وقد حصل ما أخبر عنه النبي ﷺ فقد كان عماراً — رضي الله عنه — في جيش علي — رضي الله عنه — يوم صفين، وقتله معاوية وجيشه من أهل الشام الذين خرجوا بغاة على الخليفة الراشد.

ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا إخباره ﷺ **أبا ذر الغفاري** بالبلاء الذين ينتظره، فعن إبراهيم بن الأشتر، أن لما حضره الموت، وهو بالربذة فبكت امرأته، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: أبكي أنه لا يد لي بنفسك، وليس عندي ثوب يسع لك كفنًا، قال: لا تبكي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين)، قال: فكل من كان مع في ذلك المجلس مات في جماعة وقرية، ولم يبق منهم غيري، وقد أصبحت بالفلاة أموت، فراقبي الطريق فإنك سوف ترين ما أقول، فإني والله ما كذبت ولا كُذبت، قالت: وأنى ذلك وقد انقطع الحاج، قال: راقبي الطريق، قال: فبينما هي كذلك إذا هي بالقوم تحب بهم رواحلهم كأنهم الرحم، فأقبل القوم حتى وقفوا عليها فقالوا: ما لك؟ فقالت: امرؤ من المسلمين تكفونوه وتؤجرون فيه، قالوا: ومن هو؟ قالت: أبو ذر، ففدوه بأبائهم وأمهاتهم ووضعوا سياطهم في محورها يتدرونه، فقال: أبشروا، فأنتم نفر الذي قال رسول الله ﷺ فيكم ما قال، ثم أصبحت اليوم حيث ترون، ولو أن لي ثوباً

(١) رواه أبو يعلى والحاكم والبيهقي وأبو نعيم.

(٢) رواه الحاكم.

(٣) رواه أبو نعيم.

(٤) رواه البيهقي في الدلائل.

(٥) رواه أحمد.

(٦) رواه أحمد، والحاكم.

من أنوابي يسع لأكفن فيه، فأنشدكم بالله لا يكفني رجل منكم كان عريفاً أو أميراً أو بريدأ، فكل القوم قد نال من ذلك شيئاً إلا فتى من الأنصار كان مع القوم، قال: أنا صاحبك، ثوبان في عييتي من غزل أمي وأحد ثوبي هذين الذين علي، قال: أنت صاحبي، فكفنه الأنصاري في النفر الذين شهدوه منهم حجر بن الأديب ومالك الأشر في نفر كلهم بمنا ١.

فقد حصل ما أخبر عنه رسول الله ﷺ بدقة كما أخبر.

وفي حديث آخر عن أبي ذر — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال له: (يا أبا ذر، كيف تصنع، ان أخرجت من المدينة؟)، قال: للسعة والدعة إلى مكة فأكون حمامة من حمام مكة، قال: فكيف تصنع إذا أخرجت من مكة؟)، قال: للسعة والدعة، إلى الشام والأرض المقدسة، قال: فكيف تصنع إذا أخرجت من الشام؟)، قال: قلت: والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي، وأقاتل حتى أموت قال: (أو خير من ذلك؟ تسمع وتطيع وإن كان عبدا حبشياً) ٢

وعن القرظي، قال: خرج أبو ذر — رضي الله عنه — إلى الربذة فأصابه قدره، فأوصاهم أن غسلوني وكفوني، ثم ضعوني على قارعة الطريق، فأول ركب يمرون بكم فقولوا: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على غسله ودفنه ففعلوا.

فأقبل عبد الله بن مسعود — رضي الله عنه — في ركب من العراق، وقد وضعت الجنازة على قارعة الطريق، فقام عليه غلام، فقال: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ قال: فيكى عبد الله بن مسعود — رضي الله عنه — قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك) ٣

وفي حديث آخر عن أبي ذر — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (يا أبا ذر، أنبي أراك منفياً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم) ٤

ومن النبوءات الغيبية القريبة من هذا ما روي عن أنيسة بنت **زيد بن أرقم** عن أبيها، أن رسول الله ﷺ دخل على زيد يعود في مرض كان به، فقال: ليس عليك من مرضك بأس، ولكن كيف بك إذا عمرت بعدي فعميت؟ قال: إذا أحسب وأصبر، قال: إذا تدخل الجنة بغير حساب، قال: فعمي بعد ما مات رسول الله، ثم رد الله عليه بصره، ثم مات ١.

ومن النبوءات الغيبية القريبة من هذا ما أخبر به ﷺ عن حال **عبد الله بن عباس** من بعده، فقد روي أن العباس بن عبد المطلب بعث ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ في حاجة، فوجده عنده رجلاً فرجع ولم يكلمه من

---

(١) رواه أحمد من طريقتين أحدهما هذه، والأخرى مختصرة عن إبراهيم بن الأشتر عن أم ذر، ورجال الطريق الأولى رجال الصحيح ورواه البزار بنحوه باختصار.

(٢) رواه أحمد بن منيع وابن حبان، والنسائي في الكبرى وابن ماجه.

(٣) رواه احمد واسحاق.

(٤) رواه احمد وابو داود والنسائي وابن حبان والحاكم.

(١) رواه البزار.

أجل مكان الرجل، فلقي العباس رسول الله ﷺ، فأخبره بذلك، فقال: وراه؟ قال: نعم، قال: أتدري من ذلك الرجل؟ ذاك جبريل، ولن يموت حتى يذهب بصره ويؤتي علماً<sup>١</sup>.  
وقد حصل ما أخبر عنه النبي ﷺ، فقد مات ابن عباس سنة ثمان وستين بعد ما عمي.

### ٣ — عطايا وامتحانات:

بالإضافة إلى ذلك كله، فقد أخبر ﷺ عن الفتوح المادية الكثيرة التي ستفتح على الصحابة، وخطورتها على بعضهم، وحشيته ﷺ من ذلك، وقد حصل كل ما أخبر عنه ﷺ:

فعن أبي سعيد الخدري — رضي الله عنه — قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر ذات يوم، فقال: (إن مما أتخوف عليكم ما يفتح الله عليكم من زهرة الدنيا وزينتها)، فقال رجل: يا رسول الله، ويأتي الخير بالشر؟ فلم يرد عليه. قلنا: يافلان، ما شأنك سألت رسول الله ﷺ، فلم يرد عليك، فأريت أنه يتزل عليه الوحي، قال: فمسح الرخصاء<sup>٢</sup> عن ظهره، فقال: (أين السائل؟) كأنه حمده، وقال: (إنه لا يأتي الخير بالشر، وإنه مما ينبت الربيع ما يقتل أو يلم<sup>٣</sup> إلا آكلة الخضر، أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتها<sup>٤</sup> استقبلت مطلع الشمس، فنلظت<sup>٥</sup> وبالت ورتعت<sup>٦</sup>، وإن هذا المال حلو خضر، فمن أخذه بحقه بورك له فيه، ونعم صاحب المال من أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل — أو كما قال رسول الله ﷺ — والذي يأخذ بإشراف<sup>٧</sup> نفس كان كالذي يأكل ولا يشبع، فيكون عليه حسرة يوم القيامة، ورب متخوض في مال الله ومال رسوله له النار يوم القيامة<sup>٨</sup>).

ففي هذا الحديث نبوءتان، بعضهما يرتبط ببعض:

أما الأولى، فأخبره ﷺ عن الفتوح المادية التي سيفتح بها على هذه الأمة، وهو ما حصل طيلة تاريخها.  
وأما الثانية، فما تحدثه تلك الفتوح من آثار خطيرة على سلوك بعض المسلمين ودينهم، مما جعل رسول الله ﷺ يتخوف عليهم من ذلك، وقد حصل ما تخوف منه رسول الله ﷺ في كل فترات التاريخ.. ولا تزال تشهد آثار ذلك إلى اليوم.

ومما يروى في ذلك ما حدث به عقبة بن عامر — رضي الله عنه — قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ستفتح عليكم الأرضون، ويكفيكم الله، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه)<sup>١</sup>  
وفي حديث آخر عن أبي سعيد الخدري — رضي الله عنه — أن النبي ﷺ قال: (إن الدنيا خضرة حلوة،

(١) رواه البيهقي في الدلائل ٦ / ٤٧٨، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ٢٧٦ وعزاه للطبراني، وقال: فيه من لم أعرفه.

(٢) الرخصاء: العرق الكثير.

(٣) يلم: يدنو من الهلاك.

(٤) الخاضرة: ما بين رأس الورك وأسفل الأضلاع وهما خاضرتان.

(٥) النلظ: الرّجيع الرّقيق، وأكثر ما يُقال للإبل والبقر والفيلة.

(٦) رعت: رعت كيف شاءت.

(٧) الإشراف: اللهفة والطمع والحرص الشديد على تحصيل الشيء.

(٨) رواه البخاري ومسلم.

(١) رواه مسلم.

وإن الله متسخلفكم فيها، لينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء<sup>(١)</sup>

وفي حديث آخر عن عمرو بن عوف — رضي الله عنه — أن النبي ﷺ قال: (والله، ما أخشى عليكم الفقر، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوا كما تنافسوا وتلهيكم كما أهلكتهم)<sup>(٢)</sup>

وفي حديث آخر عن جابر — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (هل لكم من أئاماط؟<sup>(٣)</sup>) قلنا: يا رسول الله، وأن لنا أئاماط؟ قال: (إنها ستكون لكم أئاماط، فأنا أقول اليوم لامرأتي نحي عني أئاماطك، فتقول: ألم يقل رسول الله ﷺ إنها ستكون لكم أئاماط بعدي)<sup>(٤)</sup>

وفي حديث آخر عن طلحة النضري أن رسول الله ﷺ قال: (عسى أن تدركوا زمانا حتى يغدى على أحدكم بجفنة، ويراح عليه بأخرى، وتلبسون أمثال أستار الكعبة)، قالوا: يا رسول الله، أنحن اليوم خير أم ذاك اليوم؟ قال: (بل أنتم اليوم خير، أنتم اليوم متحابون، وأنتم يومئذ متباغضون، يضرب بعضكم رقاب بعض)<sup>(٥)</sup>

وفي حديث آخر أن رسول الله ﷺ قال: (ستفتح مشارق الارض ومغارها على أمتي، ألا وعمالها في النار، إلا من اتقى الله، وأدى الامانة)<sup>(٦)</sup>

وفي حديث آخر عن وحشي — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (لعلكم ستفتحون بعدي مدائن عظاما، وتتخذون في أسواقها مجالس، فإذا كان ذلك فردوا السلام، وغضوا من أبصاركم، وأهدوا الاعمى، وأعينوا المظلوم)<sup>(٧)</sup>

وفي حديث آخر عن طلحة بن عبد الله البصري، قال: قال رسول الله ﷺ: (إنكم ستدركون زمانا من أدركه منكم يلبسون فيه مثل أستار الكعبة، ويغدي ويراح عليه بالجفان)<sup>(٨)</sup>

وفي حديث آخر عن ابن عمر — رضي الله عنهما — قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا مشت أمي بالمطيطاء وخدمها ابناء فارس والروم، رد الله بأسهم بينهم، وسلط شرارهم على خيارهم)<sup>(٩)</sup>

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) الأئاماط: نوع من البسط له حمل رقيق يغشى به الفرش والموادج واحدها نط.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) رواه احمد، والحاكم وصححه، والبيهقي.

(٦) رواه أبو نعيم في الحلية.

(٧) رواه الطبراني في الكبير.

(٨) رواه البغوي.

(٩) رواه الترمذي.



## أخبار التابعين

قام رجل من الجمع، وقال: لقد ذكرت لنا النبوءات الكثيرة عن محمد، والتي شملت جمعا كثيرا من أصحابه.. فهل تحدث نبيكم عن تلامذة الصحابة من التابعين وغيرهم؟

قال عبد القادر: أجل، وقد وردت بذلك نصوص كثيرة، وهي — بكل المقاييس — معجزة لا يمكن لأي شخص أن يتنبأ بمثلها إلا إذا كان له من العلم الإلهي ما يدل على ذلك:

ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا ما ورد من ذكره ﷺ **لأويس القرني**، مع كونه لم يره، ولم يره أحد في ذلك الحين، فقد قال ﷺ: (إن خير التابعين رجل يقال له أويس القرني، وله والدة، وكان به بياض، فدعا ربه، فأذهب عنه إلا موضع الدرهم في سرتة) ١

وقد كان عمر ﷺ منذ سمع هذا من رسول الله ﷺ حريصا على أن يلقاه، فكان إذا أتت عليه أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس، فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم، قال: كان بك برص، فبرئت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم، قال: ألك والدة؟ قال: نعم، فقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل)، فاستغفر لي، فاستغفر له.

ثم قال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة، قال: ألا أكتب لك إلى عاملها، فيستوصوا بك خيرا؟ فقال: لأن أكون في غمار الناس أحب إلي.

فلما كان في العام المقبل حج رجل من أشرافهم فسأل عمر عن أويس، كيف تركته قال: تركته رث البيت قليل المتاع، فذكر له عمر الحديث الذي سمعه من رسول الله ﷺ، فلما قدم الرجل أتى أويسا فقال: استغفر لي، قال: أنت أحدث عهدا بسفر صالح، فاستغفر لي وقال: لقيت عمر بن الخطاب؟ فقال: نعم، قال: فاستغفر له، قال: ففطن له الناس فانطلق على وجهه ٢.

فقد حصل ما أخبر عنه النبي ﷺ، وكان سلوك أويس دليلا على ذلك الفضل الذي أخبر عنه ﷺ. ومن ذلك إخباره ﷺ عن **صلة بن أشيم** — رضي الله عنه — مع أنه لم يكن في عصره، فعن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال: بلغنا أن النبي ﷺ قال: (يكون في أمي رجل يقال له: صلة بن أشيم يدخل الجنة بشفاعته كذا وكذا) ٣.

ومن ذلك إشارته ﷺ إلى محمد بن كعب القرظي — رضي الله عنه — مع أنه لم يكن في عصره، فعن أبي بردة الظفري — رضي الله عنه —، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يخرج في أحد الكاهنين رجل يدرس

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه ابن سعد والبيهقي وأبو نعيم في الحلية.

القرآن دراسة لا يدرسها أحد يكون من بعده ) قال نافع بن يزيد: فكنا نقول هو محمد بن كعب القرظي والكاهنان قريظة والنضير<sup>١</sup>.

وقد قال عون بن عبد الله — رضي الله عنه — بين صدق هذه النبوة في محمد بن كعب: ( ما رأيت أحدا أعلم بتأويل القرآن من القرظي )<sup>٢</sup>

ومن ذلك إخباره ﷺ عن **زيد بن صوحان** — رضي الله عنه — مع أنه لم يكن في عصره، فعن علي — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: ( من سره أن ينظر الى رجل يسبقه بعض أعضائه الى الجنة فلينظر الى زيد بن صوحان )<sup>٣</sup>

وفي حديث آخر عن الحارث الاعور، قال: كان مما ذكره رسول الله ﷺ زيد الخير وهو زيد بن صوحان، قال: قال رسول الله ﷺ: ( سيكون بعدي رجل من التابعين وهو زيد الخير يسبقه بعض أعضائه الى الجنة بعشرين سنة )، فقطعت يده اليسرى بنهاوند وعاش بعد ذلك عشرين سنة، ثم قتل يوم الجمل بين يدي علي — رضي الله عنه — وقال قبل أن يقتل: إني رأيت يدي خرجت من السماء تشير الي أن تعال، وأنا لاحق بها<sup>٤</sup>.

ومن ذلك إخباره ﷺ عن **جندب بن كعب** — رضي الله عنه — مع أنه لم يكن في عصره، فعن بريدة قال: ساق رسول الله ﷺ بأصحابه، فجعل يقول: ( جندب وما جندب والاقطع الخير زيد )، فستل عن ذلك فقال: ( أما جندب فيضرب ضربة يكون فيها أمة وحده، وأما زيد فرجل من أممي تدخل الجنة يده قبل بدنه ببرهة ) فلما ولي الوليد بن عقبة الكوفة في زمن عثمان أحلس رجل يسحر، يريهم أنه يحيى ويميت، فأتى جندب بسيف فضرب به عنق الساحر، وقال: أحي نفسك الآن، وأما زيد بن صوحان، فقطعت يده يوم القادسية وقتل يوم الجمل<sup>٥</sup>.

ومن ذلك إخباره ﷺ **بكلام الميت بعده**، فعن حذيفة — رضي الله عنه — قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ( يكون في أممي رجل يتكلم بعد الموت )<sup>٦</sup>

وقد حدث ربعي بن حراش عن صدق نبوة النبي ﷺ، فقال: مات أخي الربيع، وكان أصومنا في اليوم الحار، وأقومنا في الليلة الباردة، فسجيت، فضحك، فقلت: يا أخي، أحياء بعد الموت؟ قال: لا، ولكني لقيت ربي، فلقيني بروح وريحان، ووجه غير غضبان، فقلت: كيف رأيت الأمر؟ قال: أيسر مما تظنون. فذكر لعائشة — رضي الله عنها — فقالت: صدق ربعي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ( يتكلم رجل من

---

(١) رواه ابن سعد والبيهقي، ورواه البيهقي مرسلًا بلفظ: يكون في أحد الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحد غيره قال: فكانوا يرون أنه محمد بن كعب القرظي، والكاهنان قريظة والنضير.

(٢) رواه البيهقي.

(٣) رواه أبو يعلى.

(٤) رواه ابن عساکر.

(٥) رواه ابن منده وابن عساکر، وأخرجه ابن عساکر من حديث علي ومن حديث ابن عباس وابن عمرو من طريق أبي مجلز مرسلًا.

(٦) رواه الطبراني في الاوسط بسند جيد.

أمّتي بعد الموت من خير التابعين) <sup>١</sup>

ومن ذلك إشارته ﷺ إلى العلماء والربانيين الكثيرين الذين ظهرُوا من بلاد فارس، مع أن أهل فارس في ذلك الحين كانوا مجوساً، فعن ابن مسعود — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال: (لو كان الإيمان عند الثريا — وفي لفظ: لو كان العلم معلقاً بالثريا — لنالهُ رجال من فارس) <sup>٢</sup>

ومن ذلك إخباره ﷺ **بعالم المدينة**، والذي تواطأ الكثيرون على أن المراد به الإمام مالك بن أنس — رضي الله عنه — فعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (يوشك الناس أن يضربوا أكباد الابل، فلا يجدوا عالماً أعلم من عالم المدينة)، قال سفيان بن عيينة — رضي الله عنه — نرى هذا العالم مالك بن أنس، ولم يعرف بهذا الاسم غيره، ولا ضربت أكباد الابل إلى أحد مثل ما ضربت إليه <sup>٣</sup>.

وقال أبو مصعب: كان الناس يزدحمون على باب مالك ويقتلون عليه من الزحام، يعني لطلب العلم.

ومن ذلك إخباره ﷺ **بعالم قريش**، والذي تواطأ الكثيرون على أن المراد به الإمام الشافعي، فعن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال: قال رسول الله ﷺ: (اللهم اهد قريشاً، فإن علم العالم يسع طباق الأرض) <sup>٤</sup> وفي رواية: (فإن عالمها يملأ طباق الأرض علماً) <sup>٥</sup>

وفوق ذلك كله، فقد أخبر ﷺ عن المحبين المخلصين الذين امتلأت قلوبهم أشواقاً لنبيهم ﷺ، فعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (إن أناساً من أمّتي يأتون بعدي يود أحدهم لو اشترى رؤيتي بأهله وماله) <sup>٦</sup>

ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا إخباره ﷺ عن **نار تخرج بالمدينة**، فعن أبي ذر، قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ فرأينا ذا الحليقة، فتعجل رجالاً إلى المدينة، وبات رسول الله ﷺ وبتنا معه، فلما أصبح سأل عنهم، فقالوا إلى المدينة، فقال: (تعجلوا إلى المدينة والنساء، أما إنهم سيدعوها أحسن ما كانت) <sup>٧</sup>

وفي حديث آخر قال ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تخرج نارٌ من رومان أو ركوبة (وهي ثنية بين مكة والمدينة) تضيء منها أعناق الإبل ببصرى) <sup>٨</sup>

وقد سماها ﷺ نار الحجاز، فقال: (لا تقوم الساعة حتى تظهر نار بالحجاز) <sup>٩</sup>، وفي رواية: (تخرج نار من

(١) رواه البيهقي وصححه وابو نعيم.

(٢) رواه البخاري ومسلم، وغيرهما.

(٣) رواه الحاكم وصححه.

(٤) رواه احمد والترمذي وقال: حسن.

(٥) رواه الخطيب وابن عساكر عن أبي هريرة والبيهقي في المدخل عن علي وابن عباس وابو داود الطيالسي في مسنده وفيه الجارود مجهول.

(٦) رواه الحاكم.

(٧) مسند أحمد ١٨٩/٥ برجال ثقات.

(٨) الطبراني.

(٩) البخاري ومسلم.

أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى<sup>١</sup>  
وقد حصل ما أخبر عنه رسول الله ﷺ، فظهور هذه النار بالمدينة المنورة اشتهر اشتهاراً بلغ حدَّ التواتر عند أهل الأخبار.

وكان ابتداء الزلزلة بالمدينة الشريفة مستهل جمادى الآخرة، أو آخر جمادى الآخرة، أو آخر جمادى الأولى سنة أربعة وخمسين وست مئة، لكنها كانت خفيفة لم يدركها بعضهم مع تكررها بعد ذلك، واشتدت في يوم الثلاثاء — على ما حكاه القطب القسطلاني — وظهرت ظهوراً عظيماً، اشترك في إدراكه العام والخاص، ثم لما كان ليلة الأربعاء ثالث الشهر أو رابعه، في الثلث الأخير من الليل حدث بالمدينة زلزلة عظيمة أشفق الناس منها، وانزعجت القلوب لهيبتها، واستمرت تزلزل بقية الليل، واستمرت إلى يوم الجمعة، ولها دوي أعظم من الرعد، فتموج الأرض وتحرك الجدران، حتى وقع في يوم واحد دون ليلة ثماني عشرة حركة، على ما حكاه القسطلاني.

وقال القرطبي: قد خرجت نار الحجاز بالمدينة، وكان بدؤها زلزلة عظيمة في ليلة الأربعاء بعد العتمة، الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وست مئة، واستمرت إلى ضحى النهار يوم الجمعة فسكنت، وظهرت بقريظة، بطرف الحرة ترى في صفة البلد العظيم.

وقال النووي: تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام.

ونقل أبو شامة عن مشاهدة كتاب الشريف سنان قاضي المدينة الشريفة وغيره أنه في ليلة الأربعاء الثالثة جمادى الآخرة حدث بالمدينة في الثلث الأخير من الليل زلزلة عظيمة أشفقنا منها، وباتت في تلك الليلة تزلزل، ثم استمرت تزلزل كل يوم وليلة مقدار عشر مرات.

قال: والله لقد زلزلت مرة ونحن حول الحجرة فاضطرب لها المنبر إلى أن سمعنا منه صوتاً للحديد الذي فيه واضطربت فناديل الحرم الشريف.

وقال القطب القسطلاني: فما كان يوم الجمعة نصف النهار ظهرت تلك النار، فتار من محل ظهورها في الجو دخان متراكم غشى الأفق سواده، فلما تراكمت الظلمات وأقبل الليل سطع شعاع النار، وظهرت مثل المدينة العظيمة في جهة الشرق.

قال القاضي سنان: وطلعت إلى الأمير — وكان عز الدين منيف بن شبيحة — وقلت له: قد أحاط بنا العذاب، ارجع إلى الله، فأعتق كل مماليكه، وردَّ على الناس مظالمهم، وأبطل المكس.

ثم هبط الأمير إلى مسجد النبي ﷺ وبات في المسجد ليلة الجمعة وليلة السبت، ومعه جميع أهل المدينة حتى النساء والصغار، ولم يبق أحد في النخل إلا جاء إلى الحرم الشريف وبات الناس يتضرعون ويكفون، وأحاطوا بالحجرة الشريفة كاشفين رؤوسهم مُقرين بذنوبهم مبتهلين مستحيرين بنبهم ﷺ.

وقال القطب: ولما عاين أمير المدينة ذلك أقلع عن المخالفة واعتبر، ورجع عما كان عليه من المظالم وانزجر، وأظهر التوبة والإنابة، وأعتق جميع مماليكه، وشرع في ردِّ المظالم وعزم أهل المدينة على الإقلاع عن

الإصرار وارتكاب الأوزار، وفزعوا إلى التضرع والاستغفار، وهبط أميرهم من القلعة مع قاضيهما الشريف سنان وأعيان البلد، والتجأوا إلى الحجرة الشريفة، وابتوا بالمسجد الشريف بأجمعهم حتى النساء والأطفال، فصرف الله تعالى تلك النار العظيمة ذات الشمال، ونجوا من الأهوال، فسارت تلك النار من مخرجها وسالت ببحر عظيم من النار، وأخذت في وادي أحييليين وأهل المدينة يشاهدونها من دورهم كأنها عندهم ومالت من مخرجها إلى جهة الشمال، واستمرت مدة ثلاثة أشهر على ما ذكره المؤرخون.

وقد ذكر القطب القسطلاني في كتاب أفردته لهذه النار، وهو ممن أدركها لكنه كان بمكة فلم يشاهدها: إن ابتداءها يوم الجمعة السادس من شهر جمادى الآخرة، وأما دامت إلى يوم الأحد السابع والعشرين من رجب، ثم خمدت — فجملة ما أقدمت اثنين وخمسين يوماً، لكنه ذكر بعد ذلك أنها أقامت منطفئة أياماً ثم ظهرت، قال: وهي كذلك تسكن مرة وتظهر أخرى، فهي لا يؤمن عودها وإن طفيء وقودها.

وقد ذكر ابن كثير أنه أضاءت من هذه النار أعناق الإبل ببصرى، فقال: أخبرني قاضي القضاة صدر الدين الحنفي قال: أخبرني والدي الشيخ صفى الدين مدرس مدرسة بصرى أنه أخبره غير واحد من الأعراب صبيحة الليلة التي ظهرت فيها هذه النار ممن كان بحاضرة بلد بصرى أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم في ضوء تلك النار، فقد تحقق بذلك أنها الموعودة بها، والحكمة في إنارتها بالأماكن البعيدة من هذا المظهر الشريف حصول الإنذار، ليتم به الإنذار.

## أخبار الفتن

قام بعض القوم، فقال: لقد حصلت فتن كثيرة بعد مدة وجيزة من وفاة محمد، كان لها تأثيرها الخطير في حركة أمتة وتوجهاتها، فهل أشار إليها، أو نبه عليها؟  
قال عبد القادر: أجل.. بل نبه إلى ما هو أبعد منها، وسأحدثكم من ذلك ما تعلمون به كيف بين ﷺ وجه الحق الذي اختلفت فيه الأمة.  
ولو أن الأمة راجعت ما نقل عنه من ذلك وحققت فيه، لاهتدت إلى الحق، ورفعت الخلاف بينها.  
قالوا: فاذا ذكر لنا من ذلك ما نعلم به صدق ما ادعيتَه.

قال عبد القادر: لقد ذكر رسول الله ﷺ المراحل التي تمر بها الأمة من خيرها وشرها، فحدث حذيفة بن اليمان — رضي الله عنه — عن ذلك، فقال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: فهل بعد الشر من خير؟ قال: نعم. وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله، فما تأمري إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت، وأنت كذلك. قلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: هم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا<sup>١</sup>  
فقد اختصر ﷺ في هذا الحديث كل الأطوار التي تمر بها أمتة، ثم بين نواحي الخلل فيها، وكيفية تداركه..  
إن هذا الحديث — أيها الجمع المبارك — يحمل في حد ذاته رسالة نصح للأمة لا ينتهي مددها.  
ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا ما أخبر به ﷺ عن أنواع الحكم التي ستمر بها الأمة، وكأنه ﷺ يضع منحى بيانها لاستقامته وانحرافه.

فقد جاء في الحديث قوله ﷺ: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضاً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة)<sup>٢</sup>

### ١ — الفتنة الأولى:

وكل ذلك قد تحقق كما أخبر رسول الله ﷺ.. بل إنه ﷺ حدد بدقة بعض تلك الفترات، فذكر أن مدة الخلافة التي على منهاج النبوة ثلاثون عاماً، فكانت كما أخبر ﷺ، فعن سفينة، قال: قال رسول الله ﷺ: (

(١) البخاري ومسلم.

(٢) رواه أحمد والطبراني والبيهقي وعزاه البوصيري لابن أبي شيبة وللطبراني في الأوسط مختصراً، وقال الحافظ الهيثمي: رجاله ثقات، وقد ورد بنحوه عن بعض الصحابة أيضاً.

خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الملك من يشاء)، قال سعيد: قال لي سفينة أمسك: أبو بكر سنتين، وعمر عشرًا، وعثمان اثنتي عشرة، وعلي ستا<sup>١</sup>.

وفوق ذلك، فقد أخبر ﷺ عن سنة من سنن الاجتماع، وهو ذلك الانحدار الذي تمر به الحضارات، فقال: (ما كان نبي إلا كان له حواريون يهدون بهديه، ويستنون بسنته، ثم يكون من بعده خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويعملون ما تنكرون)<sup>٢</sup>

وفي حديث آخر قال ﷺ: (يكون بعد الأنبياء خلفاء يعملون بكتاب الله، ويعدلون في عباد الله، ثم يكون بعد الخلفاء ملوك يأخذون بالثأر، ويقتلون الرجال، ويصطفون الأموال، فمغير بيده، ومغير بلسانه، ومغير بقلبه، ليس وراء ذلك من الإيمان شيء)

وقد أخبر ﷺ عن افتراق القرآن والسلطان، وفي ذلك إشارة إلى الحكم بغير ما أنزل الله، وإلى الاستبداد السياسي الذي حصل بعد الخلفاء الراشدين:

فعن معاذ — رضي الله عنه — عن رسول الله ﷺ قال: (خذوا العطاء ما دام عطاء، فإذا صار رشوة على الدين فلا تأخذوه ولستم بتاركه، يمنعكم من ذلك المخافة والفقير، ألا وان رحى الإيمان دائرة، وان رحى الا سلام دائرة، فدوروا مع الكتاب حيث يدور، ألا وان السلطان والكتاب سيفترقان ألا فلا تفارقوا الكتاب، ألا انه سيكون عليكم أمراء ان أطعتموهم أضلوكم، وان عصيتموهم قتلوكم)، قالوا: فكيف نصنع يا رسول الله؟ قال: (كما صنع أصحاب عيسى ابن مريم حملوا على الخشب ونشروا بالمناشير، موت في طاعة الله، خير من حياة في معصية الله)<sup>٣</sup>

وقد أخبر في حديث آخر ما يبين قرب ذلك، فعن أبي سعيد — رضي الله عنه — قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال في خطبته: (ألا ابني أوشك أن أدعى فأجيب، فيليكم عمال من بعدي يعملون بما تعملون ويعملون ما تعرفون، وطاعة أولئك طاعة، فتلبثون كذلك زمانا، ثم يليكم عمال من بعدهم يعملون بما لا تعملون، ويعملون بما لا تعرفون فمن قادهم، وناصرهم، فأولئك قد هلكوا، وأهلكوا خالطوهم بأجسادكم، وذابلوهم بأعمالكم، واشهدوا على المحسن أنه محسن وعلى المسيء أنه مسيء)<sup>٤</sup>

وفي حديث آخر قريب من هذا عن عبد الله بن بسر — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (كيف أنتم إذا جاءت عليكم الولاة؟)<sup>٥</sup>

وفي حديث آخر، عن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (ستكون بعدي أئمة يعطون الحكمة على منابرهم، فإذا نزلوا نزع منيهم، وأجسادهم شر من الجيف)<sup>٦</sup>

(١) رواه أحمد والطيبالسي وأبو داود والترمذي والنسائي والطحاوي وغيرهم، وصححه أحمد بن حنبل وابن حبان والحاكم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه احمد بن منيع برجال ثقات واسحاق.

(٤) رواه الطبراني.

(٥) رواه الطبراني.

(٦) رواه الطبراني.

وفي حديث آخر، عن معاذ بن جبل — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أنه سيكون عليكم أمراء يقضون لانفسهم ما لا يقضون لكم، فإذا عصيتموهم قتلوكم، وإن أطعتموهم أضلوكم)، قالوا: يا رسول الله، كيف نصنع؟ قال: (كما صنع أصحاب عيسى ابن مريم نشروا بالمناشير وحلوا على الخشب، موت في طاعة، خير من حياة في معصية الله)<sup>١</sup>

وفي حديث آخر، عن عبادة بن الصامت — رضي الله عنه — قال: ذكر رسول الله ﷺ الأمراء فقال: (يكون عليكم أمراء ان أطعتموهم أدخلوكم النار، وإن عصيتموهم قتلوكم)، فقال رجل منهم: يا رسول الله، سمهم لنا، لعلنا نخنثوا في وجوههم التراب، فقال رسول الله ﷺ: (لعلهم يخنثون في وجهك ويفتنون عينك)<sup>٢</sup>

وفي حديث آخر، عن كعب بن عجرة — رضي الله عنه — قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال: (إنها ستكون عليكم أمراء من بعدي يعظون بالحكمة على منابر، فإذا نزلوا اختلست منهم، وقلوبهم أنتن من الجليف)<sup>٣</sup>

وقد ذكر ﷺ خوفه على ما يحصل بعده من تسلط الأئمة الظلمة، ومن يعينهم من علماء السلاطين، فعن ثوبان — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (إنما أخاف على أمتي الائمة المضلون)<sup>٤</sup>

وقد نبه ﷺ الصحابة إلى كيفية التعامل مع هؤلاء الأمراء المستبدين، فقال: (اسمعوا، إنه سيكون عليكم أمراء، فلا تعينوهم على ظلمهم، ولا تصدقوهم بكذبهم، فإنه من أعانهم على ظلمهم وصدقهم بكذبهم، فلن يرد علي الحوض)<sup>٥</sup>

وفي حديث آخر، قال رسول الله ﷺ: (اسمعوا، هل سمعتم انه سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، وليس بوارد علي الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم، فهو مني وأنا منه، وهو وارد علي الحوض)<sup>٦</sup>

قال رجل من القوم: لكأن هذه الأحاديث تشير إلى بني أمية، وما حصل بسببهم من انحراف خطير لأمة محمد عن نهج نبينا.

قال عبد القادر: أجل، وليس ذلك فقط، بل هناك أحاديث تصرح بذلك، أو تكاد تصرح به، وهي نبوءات تحمل نصحا عظيما للأمة بأن لا يعتبروا هؤلاء الذين حرفوا منهج الحكم الإسلامي قدوة تتبع.

**ومن ذلك** إشارته ﷺ إلى ما سيكون من تولي بعض الصبية لأمر المسلمين، وما سيكون في ذلك من فساد وإفساد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (هلكة أمتي على يدي غلمة)، فقال مروان — وما معنا في الحلقة أحد، قبل أن يلي شيئاً —: فلعنة الله عليهم غلمة. قال: وأنا والله لو شئت أن أقول بني

(١) رواه الطبراني.

(٢) رواه الطبراني.

(٣) رواه الطبراني.

(٤) رواه احمد برجال ثقات.

(٥) رواه أحمد وابن حبان وأبو يعلى والطبراني في الكبير والضعفاء.

(٦) رواه الترمذي وقال: صحيح غريب وابن حبان والنسائي.



فلان وبني فلان لفعلت، قال: فكنت أخرج مع أبي إلى بني مروان بعد ما ملكوا، فإذا هم يبائعون الصبيان، ومنهم من يبيع له وهو في حزامه، فقلت: هل عسى أصحابكم هؤلاء أن يكونوا الذين سمعت أبا هريرة، قال لنا عنهم إن هذه الملوك يشبه بعضها بعضاً<sup>١</sup>.

فقد وقع في هذا الحديث ما أخبر عنه ﷺ، والذي لم يقتصر على تلك الفترة، بل تعداها إلى فترات كثيرة من التاريخ الإسلامي أصبح الأمر فيها يسند إلى صبية يكون على أيديهم فساد كبير.

بل إن رسول الله ﷺ لم يكتف بالإشارة إلى هؤلاء الحكام الظلمة، بل أشار إلى معينهم من الكذابين والهالكين:

فمن النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا ما روي عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت للحجاج بن يوسف: أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومبيراً، فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه<sup>٢</sup>.

ولما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير دخل الحجاج على أسماء بنت أبي بكر فقال: يا أمه، إن أمير المؤمنين أوصاني بك، فهل لك من حاجة؟ فقالت: لست لك بأم، ولكني أم المصلوب على رأس الثنية، وما لي من حاجة، ولكن انتظر حتى أحدثك ما سمعت من رسول الله ﷺ، يقول: يخرج من ثقيف كذاب ومبير، فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير فأنت<sup>٣</sup>.

وقد حصل ما أخبر عنه رسول الله ﷺ، فقد تواتر خبر المختار بن أبي عبيد الكذاب الذي كان نائباً على العراق، وكان يزعم أنه نبي، وأن جبريل كان يأتيه بالوحي، وقد قيل لابن عمر وكان زوج أخت المختار وصفه، إن المختار يزعم أن الوحي يأتيه.

قال: صدق، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام: من الآية ١٢١)

وقد روي عن رفاعة بن شداد، قال: كنت ألصق شئاً بالمختار الكذاب، قال: فدخلت عليه ذات يوم فقال: دخلت وقد قام جبريل قبل من هذا الكرسي، قال: فأهويت إلى قائم السيف لاضربه حتى ذكرت حديثاً حدثني عمرو بن الحمق الخزاعي، أن رسول الله ﷺ قال: إذا أمن الرجل الرجل على دمه ثم قتله رفع له لواء الغدر يوم القيامة، فكففت عنه<sup>٤</sup>.

ومما يؤكد هذه الإشارات أن الوليد بن عقبة، قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة جعل أهل مكة يأتون بصبيانهم، فيمسح على رؤوسهم ويدعو لهم، فخرجت بي أمي إليه وأنا مطيب بالخلوق، فلم يمسح على رأسي ولم يمسن<sup>١</sup>.

(١) رواه أحمد، ورواه البخاري بنحوه عن أبي هريرة، والأحاديث في هذا كثيرة جداً وهي موجودة في كتب دلائل النبوة.

(٢) رواه البيهقي في الدلائل ٦ / ٤٨١ ومسلم في فضائل الصحابة باب (٥٨) ح (٢٢٩).

(٣) البيهقي.

(٤) رواه البيهقي في الدلائل ٦ / ٤٨٢.

(١) رواه الحاكم والبيهقي.

قال البيهقي: هذا السابق علم الله تعالى في الوليد، فمنع بركة رسول الله ﷺ، وأخبار الوليد حين استعمله عثمان — رضي الله عنه — معروفة، من شربة الخمر وتأخير الصلاة، وهو من جملة الأسباب التي نقموا بها على عثمان حتى قتلوه.

بل إن رسول الله ﷺ فوق هذا كله جعل علامات كثيرة لأهل الحق في تلك الفتنة، وكأنه يحض الناس على موالاتهم ونصرهم، لأنه لا نصر للدين الخالص إلا بنصرهم.

ومما يروى من ذلك عن الحارث قال: كنت مع علي بصفين، فرأيت بعيرا من إبل الشام جاء عليه راكبه ونقله، فألقى ما عليه وجعل يتخلل الصفوف على علي، فجعل مشفرفه فيما بين رأس علي ومنكبه وجعل يحركها بجراحه، فقال علي: والله إنها للعلامة التي بيني وبين رسول الله ﷺ<sup>١</sup>.

وفي حديث آخر عن أبي سعيد قال: كنا مع رسول الله ﷺ فانقطعت نعله، فتخلف علي يخصفها، فمشى قليلا ثم قال: (إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تزييله)، فقال أبو بكر: أنا، قال: (لا)، قال عمر: أنا، قال: (لا ولكن خصاف النعل)<sup>٢</sup>

وفي حديث آخر عن أبي أيوب قال: (أمر رسول الله ﷺ عليا بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين)<sup>٣</sup> وفي حديث آخر عن علي — رضي الله عنه — قال: (إن مما عهد إلي النبي ﷺ أن الأمة ستغدر بي بعده)<sup>٤</sup> وفي حديث آخر عن ابن عباس — رضي الله عنه — أن النبي ﷺ قال لعلي: (أما إنك ستلقى بعدي جهدا) قال: (في سلامة من ديني؟ قال: (نعم))<sup>٥</sup>

ومن الإشارات الجلية التي تركها ﷺ لتبين أهل الحق إخباره ﷺ بقتل عمار بن ياسر — رضي الله عنهما — وأن الذي يتولى قتله الفئة الباغية، فعن مولاة لعمار بن ياسر — رضي الله عنهما — قالت: اشتكى عمار بن ياسر شكوى ثقل منها، فغشي عليه، فأفاق، ونحن نبكي حوله قال: ما يبكيكم؟ أحسبون أبي أموت على فراشي، أخبرني حبيبي رسول الله ﷺ أنه تقتلني الفئة الباغية، وأنا آخر زادي مذقة من لبن<sup>٦</sup>.

وفي حديث آخر، قال: (إن رسول الله ﷺ أخبرني أني أقتل يوم صفين)<sup>٧</sup> وفي حديث آخر أن رسول الله ﷺ قال، وهو بيني المسجد، لعمار بن ياسر — رضي الله عنه —: (تقتلك الفئة الباغية)، وقد روي هذا الحديث بروايات كثيرة تبلغ حد التواتر<sup>٨</sup>.

(١) رواه أبو نعيم.

(٢) رواه الحاكم وصححه والبيهقي.

(٣) رواه الحاكم.

(٤) رواه أبو يعلى والحاكم وصححه والبيهقي وأبو نعيم.

(٥) رواه أبو يعلى والحاكم وصححه.

(٦) وفي رواية: ضياح لبن، وفي لفظ: إن آخر زادك من الدنيا ضياح من لبن، رواه الطبراني والبراز بأسناد حسن.

(٧) رواه أبو يعلى والطبراني.

(٨) فقد رواه مسلم وابن عساكر وابن أبي شيبه عن أم سلمة، والامام أحمد وابن عساكر والطبراني في الكبير، وأبو يعلى، والخطيب عن عثمان، والامام أحمد وابن سعد وابن أبي شيبه وأبو يعلى والطبراني في الكبير والحاكم عن عمرو بن العاص، وابن عساكر وابن أبي شيبه وأبو يعلى وأبو عوانة والطبراني في الكبير عن أبي رافع، وأبو يعلى وابن سعد في كتاب الموالات والطبراني في

وفي حديث آخر عن أبي سعيد — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (ويح عمار، تقتله الفئة الباغية، ويدعوهم الى الله ويدعوناه الى النار)<sup>١</sup>  
 بل إن الرسول ﷺ بين عظم البشارة التي يحملها هذا النوع من القتل الذي أصاب عمارا، فقد قال ﷺ  
 لعمار: (أبشر عمار، تقتلك الفئة الباغية)<sup>٢</sup>  
 وفي ذلك تنبيه للقاعدين الذين قعدوا عن نصره علي — رضي الله عنه — ونصرة الخلافة الراشدة بحجة  
 الهرب من الفتنة، مع أن الفتنة في تحريف الدين، وتمكين المستبدين.

### ظلم آل البيت:

قام رجل من الجمع، فقال: فهل أشار محمد إلى مظاهر هذه الفتنة التي تولى كبرها بنو أمية، ومن شايعهم؟  
 قال عبد القادر: أجل، وأول ذلك ما أخبر عنه ﷺ من المظالم العظيمة التي قام بها أهل البيت الأموي تجاه  
 آل بيت رسول الله ﷺ بغيا وحسدا ورثوه من جاهليتهم، ومن آباءهم الذين كانوا أول من حارب الإسلام.  
 فعن أبي سعيد — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (إن أهل بيتي سيلقون من بعدي من أمي  
 قتلا وتشريدا، وإن أشد قومنا لنا بغضا بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم)<sup>٣</sup>  
 وعن ابن مسعود — رضي الله عنه — قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذا أقبل فئة من بني هاشم، فلما  
 رأهم رسول الله ﷺ اغرورقت عينه<sup>٤</sup>.  
 ومن ضمن ذلك إخباره ﷺ عن قتل الحسين بن علي — رضي الله عنهما —، فعن عائشة وأم سلمة —  
 رضي الله عنهما — أن رسول الله ﷺ قال: (إن جبريل أخبرني أن ابني الحسين يقتل، وهذه تربة تلك الارض)<sup>٥</sup>  
 وعن أم سلمة — رضي الله عنها — قالت: قال رسول الله ﷺ: (إن جبريل كان معنا في البيت، فقال:  
 اتجبه؟، فقلت: أما في الدنيا فنعم؟ قال: إن أمتك ستقتل هذا بأرض، يقال لها: كربلاء، فتناول جبريل من  
 تربتها، فأرانيه)<sup>٦</sup>  
 وعنهما — رضي الله عنها — قالت: قال رسول الله ﷺ: (إن جبريل أخبرني أن ابني هذا — يعني الحسين

---

الكبير والدار قطني في الافراد عن عمار بن ياسر وابن عساكر عن ابن عباس وعن حذيفة وعن أبي هريرة وعن جابر بن عبد الله  
 وعن جابر بن سمرة وعن أنس عن أبي أمامة وعن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه وعن عمرو بن العاص، وابن أبي شيبه،  
 والامام احمد وابن سعد والبغوي وابو نعيم والطبراني في الكبير، والحاكم عن عمرو بن حرام، والامام احمد وأبو يعلى والطبراني في  
 الكبير وابن عساكر عن ابن عمرو وابو يعلى والطبراني في الكبير عن معاوية بن عتبة، والطبراني عن أبي رافع والطبراني عن أبي  
 أيوب، والطبراني في الكبير، والباوردي وابن قانع، والدار قطني في الافراد عن أبي البشير بن عمرو عن زياد بن الجرد، والبخاري  
 برجال الصحيح عن أبي سعيد الخدري، وابو يعلى برجال الصحيح عن أبي هريرة والطبراني برجال ثقات عن عبد الله بن عمرو  
 وأبيه عمرو ومعاوية والبخاري وابن مسعود، وحذيفة والطبراني باسناد حسن.

- (١) رواه احمد والبخاري وابن حبان.
- (٢) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب عن أبي هريرة والباوردي عن اسماعيل بن عبد الرحمن الانصاري.
- (٣) رواه ابن عساكر ونعيم بن حماد في الفتن، والحاكم.
- (٤) رواه البيهقي.
- (٥) رواه الخليل في الارشاد.
- (٦) رواه الطبراني.

— يقتل، وأنه اشتد غضب الله على من يقتله (١)  
وعن عائشة — رضي الله عنها — قالت: قال رسول الله ﷺ: (إن جبريل أراي التربة التي يقتل عليها الحسين، فاشتد غضب الله على من يسفك دمه، فيا عائشة، والذي نفسي بيده، انه ليحزني فمن هذا من أمي يقتل حسيناً بعدي) (٢)  
وعن زينب بنت جحش — رضي الله عنها — قالت: قال رسول الله ﷺ: (إن جبريل أتاني فأخبرني أن ابني تقتله أمي قلت: فأرني تربته، فأتاني بتربة حمراء) (٣)  
وعن أم الفضل بنت الحارث — رضي الله عنها — أن رسول الله ﷺ قال: ((أتاني جبريل فأخبرني أن أمي ستقتل ابني هذا يعني الحسين، وأتاني بتراب من تربته حمراء) (٤)  
وعن أم سلمة — رضي الله عنها — أن رسول الله ﷺ قال: (أخبرني جبريل أن ابني الحسين يقتل بأرض العراق، فقلت لجبريل: أرني تربة الأرض التي يقتل بها، فجاء بها فهذه تربتها) (٥)  
وعن علي — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال: (أخبرني جبريل أن حسيناً يقتل بشاطئ الفرات) (٦)  
وعن أنس — رضي الله عنه — قال: استأذن ملك المطر ربه أن يزور النبي ﷺ فأذن له، وكان في يوم أم سلمة فقال النبي ﷺ: (يا أم سلمة، احفظي علينا الباب، لا يدخل علينا أحد)، فبينما هي على الباب إذ دخل الحسين، فاقتحم فوثب على رسول الله ﷺ فجعل يقع على منكب رسول الله ﷺ، فقال الملك: أتجبه؟ قال: (نعم)، قال: فإن أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل به، فأراه فجاءه بشهلة (٧) أو بتراب أحمر فأخذته أم سلمة، فجعلته في ثوبها، قال ثابت: كنا نقول: إنه كربلاء) (٨)  
وفي رواية: قالت: ثم ناولني كفا من تراب أحمر، وقال: إن هذه من تربة الأرض التي يقتل بها، فمتى صار دماً، فاعلمي انه قد قتل، قالت أم سلمة: فوضعتة في قارورة عندي، وكنت أقول إن يوماً يتحول فيه دماً ليوم عظيم.  
وقد أخبر ﷺ عن سبب هذه الفتن جميعاً، وهذه المظالم التي تعرضت لها الأمة، وأولهم آل بيته ﷺ الكرام، فعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (هالك أمي على يدي أغيلمة (١) من قريش) (٢)

- 
- (١) رواه ابن عساکر.
  - (٢) رواه ابن سعد.
  - (٣) رواه العقيلي والطبراني.
  - (٤) رواه الحاكم.
  - (٥) رواه ابن سعد.
  - (٦) رواه ابن سعد.
  - (٧) الشهلة: رمل خشن ليس بالذقاق الناعم.
  - (٨) رواه البغوي في معجمه والحاكم في صحيحه ورواه احمد بنحوه.

- (١) أغيلمة: تصغير أغلم: جمع غلام أي أحداث.
- (٢) رواه أحمد والبخاري.

وفي حديث آخر عنه — رضي الله عنه — قال: (يجري هلاك أمي على يدي أغيلمة سفهاء من فريش)، قال أبو هريرة — رضي الله عنه —: (لو شئت سميتهم بنو فلان وبنو فلان)<sup>١</sup>

قال رجل من القوم: فمن الذي منعه من تسميتهم؟  
قال عبد القادر: ذلك الحكم المتحجر الذي قاوم الخلافة الراشدة قمع الناس، ومنع أحاديث رسول الله ﷺ المرتبطة بهذا الباب من أن تنشر خشية على ملكهم.

ولكن مع ذلك وردت نصوص كثيرة تشير إلى ذلك، بل تكاد تصرح به، فعن حذيفة — رضي الله عنه — وغيره من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال: (إن هذا الحي من مضر لا يدع عبدا لله صالحا في الارض إلا فتنته وأهلكته حتى يدركها الله عز وجل بجنود من عنده أو من السماء، فيذلها حتى لا تمنع ذنب تلعة)<sup>٢</sup>

### قتل الصالحين:

ومن المظالم التي أخبر ﷺ عن ارتكاب أهل الملك العضوض لها قتلهم للكثير من الصالحين من الصحابة والتابعين وآل البيت الكرام.

**ومن ذلك** إخباره ﷺ عن المقتولين ظلما بعدراء من أرض دمشق، فعن أبي الاسود، قال: دخل معاوية على عائشة — رضي الله عنها — فقالت: ما حملك على قتل أهل عذراء حجر وأصحابه؟ فقال: يا أم المؤمنين، إني رأيت قتلهم صلاحا للأمة، وبقاءهم فسادا للأمة، فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (سيقتل بعدراء ناس يغضب الله لهم، وأهل السماء)<sup>٣</sup>

وعن سعيد بن أبي هلال أن معاوية حج فدخل على عائشة — رضي الله عنها — فقالت: يا معاوية قتلت حجر بن الادبر وأصحابه؟ أما والله، لقد بلغني أنه سيقتل بعدراء سبعة نفر يغضب الله لهم وأهل السماء.<sup>٤</sup>  
وقد أخبر الحسن البصري — رضي الله عنه — عن الظلم العظيم الذي ارتكبه معاوية بقتله حجرا وأصحابه، فقال: (أربع خصال كن في معاوية، لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة: إنتزاه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الامر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه بعده ابنه سكيما خميرا يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاه زيادا، وقد قال رسول الله ﷺ: (الولد للفراس وللعاهر الحجر)، وقتله حجرا وأصحاب حجر، فيا ويلا له من حجر! ويا ويلا له من حجر وأصحاب حجر!)

**ومن ذلك** إخباره ﷺ عن قتل عمرو بن الحمق — رضي الله عنه — على أيدي هؤلاء الطغاة، فعن رفاعة بن شداد البجلي أنه خرج مع عمرو بن الحمق حين طلبه معاوية قال: فقال لي يا فارعة أن القوم قاتلي، إن

(١) رواه الطيالسي برجال ثقات، وابن أبي شيبة، وأحمد.

(٢) التلعة: واحدة التلاع وهي مسابيل الماء من علو الى سفلى، وقيل: هو من الاضداد يقع على ما انحدر من الارض وأشرف منها.

(٣) رواه ابن أبي شيبة وأحمد عن أبي سعيد والطيالسي برجال ثقات وابن أبي شيبة وأحمد عن حذيفة، والطبراني والامام أحمد والحاكم والضياء.

(٤) رواه يعقوب بن سفيان وابن عساکر.

(٥) رواه ابن عساکر.

رسول الله ﷺ أخبرني أن الجن والانس تشترك في دمي، قال رفاة: فما تم حديثه حتى رأيت أئنة الخيل فودعته ووثبته حية، فلسعته وأدركوه فاحتزوا رأسه، وكان أول رأس أهدي في الاسلام.

وفي حديث آخر عنه — رضي الله عنه — قال: بعث رسول الله ﷺ سرية، فقالوا: يا رسول الله، إنك تبعثنا، ولا لنا زاد ولا طعام، ولا علم لنا بالطريق، فقال: (إنكم ستمرون برجل صبيح الوجه يطعمكم من الطعام ويسقيكم من الشراب، ويدلكم على الطريق، وهو من أهل الجنة )

فلم يزل القوم على جعل يشير بعضهم الى بعض، وينظرون الي فقلت: مالكم يشير بعضكم الى بعض وتنتظرون إلي، فقالوا: أبشر ببشرى الله ورسوله ﷺ فإننا نعرف فيك نعت رسول الله ﷺ، فأحبروني بما قال لهم، فأطعمتهم وسقيتهم وزودتهم وخرجت معهم حتى دلتهم على الطريق.

ثم رجعت الى أهلي وأوصيتهم بإبلي ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ فقلت: ما الذي تدعو إليه؟ قال: (أدعو الى شهادة أن لا اله الا الله، وأني رسول الله وأقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان )، فقلت: إذا أجبناك الى هذا فنحن آمنون على أهلنا ودمائنا وأموالنا؟ قال: ( نعم )

فأسلمت، ثم رجعت الى أهلي، فأعلمتهم باسلامي، فأسلم على يدي بشر كثير منهم، ثم هاجرت الى رسول الله ﷺ فبينما أنا عنده ذات يوم فقال: ( يا عمرو، هل لك أن أريك آية الجنة، تأكل الطعام، وتشرب الشراب وتمشي في الاسواق؟ )، قلت: بلى، بأبي أنت وأمي، قال: ( هذا وقومه )، وأشار الى علي بن أبي طالب — رضي الله عنه —

وقال لي: ( يا عمرو، هل لك أن أريك آية النار تأكل الطعام، وتشرب الشراب، وتمشي في الاسواق؟ )، قلت: بلى، بأبي أنت وأمي، قال: ( هذا ) وأشار الى رجل.

فلما وقعت الفتنة ذكرت قول رسول الله ﷺ ففررت من آية النار الى آية الجنة، ويرى بني أمية قاتلي بعد هذا، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: والله، لو كنت حجرا في جوف حجر لا ستخرجني بنو أمية حتى يقتلوني، حدثني به حبيبي رسول الله ﷺ أن رأسي أول رأس تجز، ويحترق في الاسلام، وينقل من بلد الى بلد.

**ومن ذلك** إخباره ﷺ عما يكون من أمر قيس بن حرسة — رضي الله عنه — ومحاوله هؤلاء المجرمين التعرض له، وحماية الله له منهم، فعن محمد بن يزيد بن أبي زياد الثقفي قال: إن قيس بن حرسة قدم على النبي ﷺ، قال: أبايعك على ما جاء من الله تعالى وعلى أن أقول بالحق، فقال النبي ﷺ: ( يا قيس، عسى أن يمدك الدهر، أن يلقاك بعدي من لا تستطيع أن تقول بالحق معهم )، قال قيس: والله لا أبايعك على شيء إلا وفيت لك به، فقال النبي ﷺ: ( إذا لا يضرك بشر )

وكان قيس يعيب زياد بن أبي سفيان، وابنه عبيد الله، فبلغ ذلك عبيد الله، فأرسل إليه فقال: أنت الذي تفتري على الله تعالى وعلى رسوله؟ قال: لا، ولكن إن شئت أخبرتك بمن يفتري على الله وعلى رسوله؟ قال: من ذاك؟ قال: أنت وأبوك الذي أمركما، قال قيس: وما الذي افتريت على الله ورسوله؟ فقال: ( ترعم انه لا يضرك بشرا! ) قال: نعم، قال: ( لتعلمن اليوم أنك قد كذبت، اتتوني بصاحب العذاب وبالعداب )، قال: فما

قيس عند ذلك، فمات<sup>١</sup>.

**ومن ذلك** إخباره ﷺ عن قتل هؤلاء الطواغيت لأهل الحرة، فعن أيوب بن بشير المعاوي أن رسول الله ﷺ خرج في سفر، فلما مر بحرة زهرة وقف، فاسترجع، فسألوه فقال: (يقتل بهذه الحرة خيار أمي بعد أصحابي<sup>٢</sup>)

وعن ابن عباس — رضي الله عنه — قال: جاء تأويل هذه الآية على رأس ستين سنة: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ (الأحزاب: ١٤) قال: لأعطاها، يعني ادخال بني حارثة أهل الشام على المدينة<sup>٣</sup>.

وعن الحسن — رضي الله عنه — قال: لما كان يوم الحرة قتل أهل المدينة حتى كاد لا ينفلت منهم أحد<sup>٤</sup>. وعن مالك بن أنس قال: قتل يوم الحرة سبعمائة رجل من حملة القرآن منهم ثلاثمائة من الصحابة، وذلك في ملك يزيد.

وقد أخبر ﷺ عن هذه الحادثة، وعن بعض الأحداث التي ستحدث في المدينة المنورة بعده، فعن أبي ذر الغفاري<sup>٥</sup> قال: ركب رسول الله ﷺ حمراء، وأردفني خلفه، وقال: (يا أبا ذر، أرأيت إن أصاب الناس جوعٌ شديد، لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك، كيف تصنع؟) قال: الله ورسوله أعلم، قال: (تعف؟) قال: (يا أبا ذر، أرأيت إن أصاب الناس موتٌ شديد، يكون البيت فيه بالعبد، (يعني: القبر) — كيف تصنع؟) قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (اصبر)، قال: (يا أبا ذر، أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضاً حتى تغرق حجارة الزيت من الدماء كيف تصنع؟)، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (اقعد في بيتك، وأغلق عليك بابك)، قال: فإن لم أترك؟ قال: (فأت من أنت منهم فكن فيهم)، قال: فأخذ سلاحي؟ قال: (إذا تشاركهم فيما هم فيه، ولكن إن خشيت أن يروعك شعاع السيف، فألق طرف رداك على وجهك حتى يوء بإثمه وإثمك)<sup>٦</sup> ففي هذا الحديث أخبر ﷺ عن أمور كثيرة حصلت في المدينة المنورة، وكلها حصل كما أخبر ﷺ بكل دقة<sup>١</sup>.

فأولها إخباره ﷺ عن الجوع الشديد في المدينة، وقد وقع ذلك في عام الرمادة، سنة ثمان عشرة من الهجرة، في زمن عمر — رضي الله عنه — واستمر تسعة أشهر، ومات فيه خلق كثير، حتى استسقى عمر — رضي الله عنه — بالناس.

وثانيها إخباره ﷺ عن الموت الشديد، وقد حصل هذا في طاعون عمواس.

(١) رواه الطبراني والبيهقي.

(٢) رواه البيهقي.

(٣) رواه البيهقي.

(٤) رواه البيهقي.

(٥) رواه أحمد والترمذي والحاكم وابن حبان.

(١) انظر: كتاب مختصر أشراط الساعة، بقلم الدكتور خليل إبراهيم ملّا خاطر العزّاوي أستاذ الحديث وعلومه بجامعة طيبة بالمدينة المنورة.

وقد أدرك أبو ذر — رضي الله عنه — هذين الأمرين، لأنه توفي سنة اثنتين وثلاثين، في خلافة عثمان. وثالثها إخباره ﷺ عن القتال الذي يقع في المدينة، حتى تغرق حجارة الزيت من الدماء التي ستراق فيها، وقد حصل هذا كما أخبر ﷺ في كلا الموضوعين اللذين بهما أحجار الزيت في المدينة.

فالموضع الأول الذي هو عند الزوراء<sup>١</sup>، وقد حصل فيه استشهاد محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي — رضي الله عنهم — المعروف بالنفس الزكية، وقد قال الإمام الذهبي عن ذلك: (كان مصرع محمد عند أحجار الزيت، في رابع عشر رمضان، سنة خمس. قلت: يعني وأربعين ومائة، زمن المنصور، وقد قتل خلق كثير

وأما الموضع الثاني، فهو في الحرة الشرقية من المدينة، عند منازل بني عبد الأشهل، وقد كان عندها معركة الحرة المشؤومة المشهورة، وكان ذلك لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين من الهجرة، في زمن يزيد بن معاوية، وبقيادة مسلم بن عقبة المري، وقد قتل فيها عدد كبير من الصحابة والتابعين — رضي الله عنهم — وقد كتب عنها الكثير.

### عزل الأنصار:

ومن المظالم التي أخبر ﷺ عن ارتكاب أهل الملك العضوض لها عزلهم للأنصار الذين نصرُوا الدين، واحتقارهم لهم، واستئثارهم بالسلطة دونهم.

**ومن ذلك** ما وري عن أسيد بن حضير وأنس — رضي الله عنهما — أن رسول الله ﷺ قال للأنصار حين أفاء الله عليه أموال هوازن: (إنكم ستلقون بعدي أثره فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)<sup>٣</sup> وحدث أنس — رضي الله عنه — عن ذلك، فذكر أن رسول الله ﷺ قال للأنصار: (ستلقون بعدي أثره في القسم، والامر، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)<sup>٤</sup>

وقد حدث مقسم يذكر وقوع ما أخبر عنه رسول الله ﷺ، فذكر أن أبا أيوب أتى معاوية فذكر حاجة له، فجفاه ولم يرفع به رأساً، فقال أبو أيوب: أما إن رسول الله ﷺ قد خبرنا أنه ستصيبنا بعده أثره قال: فبم أمركم؟ قال: أمرنا أن نصبر حتى نرد عليه الحوض، قال: فاصبروا إذا، فغضب أبو أيوب، وحلف أن لا يكلمه أبداً<sup>١</sup>.

بل إن هذا الأثره شملت سائر الصحابة الذين تربوا على يدي رسول الله ﷺ واستقوا من هديه، فعن ابن

---

(١) والذي يقع بجوار مشهد مالك بن سنان — رضي الله عنه — وهو موضع استسقاء النبي ﷺ كما ورد في حديث عُمر بن مولى أبي اللحم رضي الله تعالى عنهما، الذي رواه أحمد والثلاثة، وصححه ابن حبان والحاكم.. وقد دخل هذا الموضع في توسعة المسجد النبوي الشريف، من الجهة الغربية.

(٢) سير أعلام النبلاء (٦: ٢١٨).

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد والبيهقي والترمذي والنسائي.

(٤) رواه الحاكم وأبو نعيم.

(١) رواه الحاكم.



مسعود — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها)، قالوا: يا رسول الله، ما تأمرنا؟ قال: (تؤدون الحق الذي عليكم، وتسالون الله الذي لكم) <sup>١</sup>

### تفريق صف الأمة:

ومن أعظم المظالم التي ارتكبتها اهل الملك العضوض ما أخبر عنه ﷺ من تفريقهم شأن الأمة بما ينشرونه من مكاييد:

ففي الحديث عن عن أبي بصرة الغفاري — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (سألت ربي أربعاً، فأعطاني ثلاثاً، ومنعني واحدة، سألته ألا يجمع أمي على ضلالة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلكهم بالسنين كما أهلكت الامم قبلهم فأعطانيها، وسألته أن لا يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها) <sup>٢</sup>  
وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: (سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألته أن لا يهلك أمي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمي بالغرق فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها) <sup>٣</sup>  
وقد أشار ﷺ إلى مكيدة التحكيم التي حصلت في صفين، وهي تشير إلى غيرها من المكاييد التي يمارسها المستبدون ليفرقوا صفوف الأمة، فعن علي — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (إن بني اسرائيل اختلفوا فلم يزل اختلافهم بينهم حتى بعثوا حكيمين فضلاً وأضلاً، وإن هذه الأمة ستختلف، فلا يزال اختلافهم بينهم حتى يبعثوا حكيمين ضلاً وضل من اتبعهما) <sup>٤</sup>

وفي حديث آخر عن أبي موسى الأشعري — رضي الله عنه — وهو أحد الحكمين، قال: قال رسول الله ﷺ: (يكون في هذه الأمة حكمان ضالان، ضال من تبعهما)، قال سويد بن غفلة، فقلت: يا أبا موسى أنشدك الله أليس انما عناك رسول الله ﷺ، فقال: (إنما ستكون فتنة في أمي أنت فيها يا أبا موسى نائماً خير منك قاعدا وقاعدا خير منك قائماً وقائماً خير منك ماشياً)، فخصك رسول الله ﷺ ولم يعم الناس.

### ٢ — الفتنة الآخرة:

قام رجل من الجمع، وقال: لقد عرفنا الفتنة الأولى، وعلمنا صدق ما أخبر عنه محمد من جرائم أهل الملك العضوض، فحدثنا عن الفتنة الآخرة، فتنة الملك الجبري.

قال عبد القادر: تلك فتنة أخطر وأعظم، وهي ليست فتنة واحدة، بل فتن كثيرة جداً، وردت النصوص الكثيرة بتفاصيلها، وسأذكر لكم منها ما تعلمون به أن نبوة محمد ﷺ لم تقتصر على فترة رسالته، بل هي ممتدة لكل الأجيال، فكل جيل يجد من التوجيهات الخاصة ما يقيم عليه الحجة.

فقد أخبر ﷺ عن كثرة الفتن في زمن الفتنة الآخرة، فقال: (إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، فتن كقطع الدخان، يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يمسي الرجل مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع أقوام

(١) رواه الحاكم.

(٢) رواه أحمد والطبراني في الكبير.

(٣) رواه ابن أبي شيبة والامام أحمد ومسلم وابن خزيمة وابن حبان.

(٤) رواه البيهقي.

(٥) رواه الطبراني.

أحلاقهم ودينهم بعرض من الدنيا)<sup>١</sup>

وفي حديث آخر، قال ﷺ: (ستكون فتن يفارق الرجل فيها أخاه وأباه تطير الفتنة في قلوب الرجال منهم إلى يوم القيامة، حتى يعبر الرجل فيها بصلاته كما تعبر الزانية بزناها)<sup>٢</sup>

وفي حديث آخر قال ﷺ: (إن الناس دخلوا في دين الله أفواجاً، وسيخرجون منه أفواجاً)<sup>٣</sup>  
وفي حديث آخر قال ﷺ: (إنها ستكون فتنة المضطجع فيها خير من الجالس والجالس خير من القائم، والقائم خير من الماشي والماشي خير من الساعي. قال يا رسول الله ما تأمُرني؟ قال: من كانت له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغيره، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه. قال: فمن لم يكن له شيء من ذلك فليعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينح ما استطاع النجاء)<sup>٤</sup>

وقد ذكر ﷺ بعض هذه الفتن، ومنها فتنة الأكل، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا قعوداً عند رسول الله ﷺ، فذكر الفتن، فأكثر في ذكرها حتى ذكر فتنة الأكل. فقال قائل: يا رسول الله وما فتنة الأكل؟ قال: (هي حرب وهرب، ثم فتنة السراء دخلها أو دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه ابني وليس مني إنما أوليائي المتقون، ثم يصلح الناس على رجل كورك على ضلع، ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته حتى إذا قيل انقضت عادت يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً حتى يصير الناس إلى فسطاين فسطاين إيمان لا نفاق فيه وفسطاين نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده)<sup>٥</sup>

قال رجل من الحاضرين: لقد سمعنا من بعض الخطباء من يتحدث عن تحديد نزول الفتن بما بعد المائتين، فقد روي أن الآيات تبدأ بعد المائتين، وأن خير المسلمين بعد المائتين من لا أهل له ولا ولد.<sup>٦</sup>

قال عبد القادر: كل ذلك لا يصح.. والخير في الأمة إلى يوم القيامة.. والفتن لا تزيد الصالحين إلا صلاحاً، بل إنه لولا الفتن ما ظهر المفسد من المصلح، وقد قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمْ يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٢)، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمْ يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ١٦)

قال الرجل: فهل ذكر محمد مظاهر الفتنة الآخرة كما ذكر مظاهر الفتنة الأولى؟

(١) رواه الطبراني عن الضحاك بن قيس وعن النعمان بن بشير ونحوه عند الحاكم من حديث أنس.

(٢) رواه أبو نعم بن حماد في الفتن والطبراني في الكبير.

(٣) رواه أحمد.

(٤) رواه مسلم.

(٥) تفرد به أبو داود، وقد رواه أحمد في مسنده عن أبي المغيرة بمثله.

(٦) ومن ذلك ما روي عن أبي قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: «الآيات بعد المائتين»، قال ابن كثير: وقد أورده ابن ماجه من وجهين آخرين عن أنس عن النبي ﷺ بنحوه ولا يصح.. وروي رواد بن الجراح وهو منكر الرواية عن سفيان الثوري عن ربعي عن حذيفة مرفوعاً: «خيركم بعد المائتين خفيف الحاذ»، قالوا: وما خفيف الحاذ يا رسول الله؟ قال: «من لا أهل له ولا ولد» وهذا منكر.

قال عبد القادر: أجل.. وسأذكر لكم منها ما تقر به أعينكم، وتعلمون صدق نبوآته ﷺ.

### ظهور الدجالين:

أول مظهر من مظاهر هذه الفتنة ظهور الدجالين، لأن الفتنة لا ينفخ نارها إلا الدجالون، فقد أخبر ﷺ عن خروج الدجالين الكذابين، الذين يشيرون الفتنة بأباطيلهم، وقد أخبر النبي ﷺ أن عدد هؤلاء قريب من ثلاثين فقال ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله)<sup>١</sup> وقد ورد في حديث آخر بعض التفاصيل المرتبطة بهذا، فقال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمي بالمشركين، وحتى يعبدوا الأوثان، وإنه سيكون في أمي ثلاثون كذابون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا حاتم النبيين لا نبي بعدي)<sup>٢</sup>

وقد حصل ما أخبر عنه النبي ﷺ، فخرج كثير من أدعياء النبوة قديما وحديثا، ولا يستبعد أن يظهر دجالون آخرون إلى أن يظهر الدجال الأعور الكذاب، كما قال ﷺ: (إنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا آخرهم الأعور الكذاب)<sup>٣</sup>

وقد ابتدأ ذلك بأول مدع للنبوة في آخر حياة الرسول ﷺ، وهو الأسود العنسي، الذي تنبأ في اليمن، وقد كانت رده أول ردة في الإسلام، فقد تحرك بمن معه من المقاتلين، واستولى على جميع أجزاء اليمن، ودامت فترة ملك هذا الكذاب من حين ظهوره إلى أن قتل ثلاثة أشهر<sup>٤</sup>.

ومنهم مسيلمة الكذاب، الذي وفد على رسول الله ﷺ في العام التاسع الهجري مع جماعة من بني حنيفة، وبعد عودة الوفد إلى اليمامة، ارتد وتنبأ وقال: إني قد أشركت في الأمر معه - أي مع رسول الله ﷺ - وكان يزعم أن الوحي يأتيه في الظلام<sup>٥</sup>.

ومنهم سجاح بنت الحارث التغلبيية، وكانت من نصارى العرب، وقد ادعت النبوة بعد موت الرسول ﷺ فالتف حولها أناس كثير من قومها ومن غيرهم وغزت بهم القبائل المجاورة حتى وصلت إلى بني تميم، فاصطلحوا معها، وسارت حتى وصلت اليمامة والتقت بمسيلمة وصدقته وتزوجها، ولما قتل مسيلمة رجعت إلى بلادها وأقامت في قومها بني تغلب، ثم أسلمت وحسن إسلامها.

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أبو داود في سننه (١١ / ٣٢٤) والترمذي في سننه (٦ / ٤٦٦) وقال: هذا حديث صحيح.

(٣) رواه أحمد (١٦ / ٥) بسند صحيح.

(٤) وقيل أربعة أشهر انظر: تاريخ ابن جرير الطبري (٣ / ٢٣١)

(٥) من النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا أن رسول الله ﷺ قال: بينا أنا نائم رأيت كأنه وضع في يدي سوران فقطعتهما، فأوحي إلي في المنام: أن انفخهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين يخرجان، صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة.

بل إنه ﷺ قال لمسيلمة حين قدم مع قومه، وجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته، فوقف عليه رسول الله ﷺ وقال له: والله لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أريت فيه ما أريت.

وقد حصل ما أخبر عنه النبي ﷺ، فقد عقره الله وأهانته وكسره وغلبه يوم اليمامة، كما قتل الأسود العنسي بصنعاء.

وفي حديث آخر عن أنس، قال: لقي رسول الله ﷺ مسيلمة فقال له مسيلمة: أتشهد أني رسول الله؟ فقال النبي ﷺ: آمنت

بالله وبرسوله، ثم قال رسول الله ﷺ: «إن هذا رجل أخر لهلكة قومه»<sup>٥</sup>

وقد استمر سيل الدجالين في كل العصور.. ولا تزال الأيام تلدهم إلى أن يكتمل ما أخبر عنه ﷺ من الثلاثين دجالاً.

### الحكام المستبدون:

ومن مظاهر الفتنة الثانية ما عبر عنه ﷺ بالملك الجبري، وهم الحكام المستبدون الذين ظهروا في هذه الأمة في قرونها الأخيرة:

ومما روي في ذلك عن معاذ بن جبل — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: ( لا تقوم الساعة حتى يبعث الله أمراء كذبة، ووزراء فجرة، وأمناء خونة، وقراء فسقة، سمتهم سمت الرهبان وليس لهم رغبة — أو قال: رعية أو قال: رعة — فيلبسهم الله فتنة غبراء مظلمة يتهوكون فيها هموك اليهود في الظلم )<sup>١</sup> وفي حديث آخر عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال: قال رسول الله ﷺ: ( يكون عليكم أمراء هم شر من الجحوس )<sup>٢</sup>

وفي حديث آخر أن أبي أمامة — رضي الله عنه — ذكر أن رسول الله ﷺ قال: يخرج رجال من هذه الأمة في آخر الزمان معهم سياط كأذناب البقر، يعدون في سخط الله ويروحون في غضبه )<sup>٣</sup> وفي حديث آخر عن أبي سعيد وأبي هريرة — رضي الله عنهما — أن رسول الله ﷺ قال: ( ليأتين على الناس زمان يكون عليهم أمراء سفهاء، يقدمون شرار الناس، ويظهرون بخيارهم، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فمن أدرك ذلك منكم، فلا يكون عريفاً ولا شرطياً ولا جانياً ولا حازناً )<sup>٤</sup> وأخبر ﷺ عن الجو الذي يهيم لهؤلاء الحكام استبدادهم، فقال: ( يوشك أن يأتي زمان يغربل الناس فيه غربلة، وتبقى حثالة من الناس، قد مرحت عهدهم وأماناتهم واحتلّفوا هكذا وهكذا، وشبك بين أصابعه، قالوا: يا رسول الله، فكيف تأمرنا؟ قال: ( تأخذون ما تعرفون وتدعون ما تنكرون، وتقبلون على الأمر خاصتكم، وتدعون أمر عامتكم )<sup>٥</sup>

### القتال بين المسلمين:

ومن مظاهر الفتنة الآخرة القتال الشديد بين المسلمين، والذي يتسبب فيه الطغاة المستبدون بأمر المسلمين، ومن يعينهم من الدجالين الذين ينفخون نيران الفتنة.

ومما يروى في ذلك ما حدث به أبو موسى الأشعري — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال: ( بين يدي الساعة المهرج )، قالوا: يا رسول الله، وما المهرج؟ قال: ( القتال )، قالوا: أكثر مما نقتل، إنا لنقتل في العام الواحد أكثر من كذا ألفاً؟ قال: ( إنه ليس بقتلكم المشركين، ولكن قتل بعضكم بعضاً )، قالوا: ومعنا يومئذ

(١) رواه البزار برجال الصحيح الا حبيب بن عمران الكلاعي.

(٢) رواه الطبراني برجال الصحيح خلا مؤمل بن اهاب وهو ثقة.

(٣) رواه أحمد والطبراني.

(٤) رواه أبو يعلى وابن حبان.

(٥) رواه الحاكم واللفظ له والحارث وأحمد وابو داود وابن ماجه.

عقولنا؟ قال: ( إنه ينتزع عقول أكثر ذلك الزمان، ويخلف له هباء<sup>١</sup> من الناس، يحسب أكثرهم أنه على شيء، وليسوا على شيء)، قال أبو موسى: والذي نفسي بيده، لا أجد لي ولكم إن أدركناها - وقال يونس - إن أدركتنا إلا أن نخرج منها كما دخلناها، لم نصب فيها دما ولا مالا<sup>٢</sup>.

وحدث كرز بن علقمة الخزاعي قال: بينا أنا جالس عند رسول الله ﷺ جاءه رجل من أعراب نجد، فقال: يا رسول الله، هل للإسلام من منتهى؟ قال رسول الله ﷺ: ( نعم، أما أهل بيت من العرب أو العجم أراد الله بهم خيرا أدخل عليهم الإسلام)، قال الأعرابي: ثم ماذا يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: ( ثم تقع الفتن كأنها الظل<sup>٣</sup> ) قال الأعرابي: كلا يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: ( والذي نفس محمد بيده، تعودون فيها أسود<sup>٤</sup> صبا<sup>٥</sup>، يضرب بعضكم رقاب بعض )<sup>٦</sup>

وفي حديث آخر، قال ﷺ: ( لا تقوم الساعة حتى يكثر المهرج )، قالوا: وما المهرج يا رسول الله؟ قال: ( القتال القتل )<sup>٧</sup>

وفي حديث آخر، قال ﷺ: ( والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيم قتل ولا المقتول فيم قتل، فقيل: كيف يكون ذلك؟ فقال: ( المهرج القاتل والمقتول في النار )<sup>٨</sup> )  
وقد حصل ما أخبر عنه النبي ﷺ فلا نزال نرى القتال بين المسلمين كل حين، كل يدعي أنه على الحق.

#### فتن المتطرفين:

ومن مظاهر الفتنة الآخرة ظهور المتطرفين المتشددين، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة تصل إلى حد التواتر، تصفهم وتصف حالهم وعبادتهم وعلامتهم، ووقت ومكان خروجهم، والظرف التي يخرجون فيها، ومآلهم، فوقع ذلك كله طبق كما أخبر به ﷺ.

ومنها ما رواه أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ، وهو يقسم قسماً - أتاه ذو الحويصرة - وهو رجل من بني تميم - فقال: يا رسول الله اعدل، قال رسول الله ﷺ: ( ويلك، ومن يعدل إن لم أعدل؟ قد حبت وخسرت إن لم أعدل )

فقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: يا رسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: ( دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون<sup>٩</sup> من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية<sup>١٠</sup>، ينظر إلى نصله<sup>١١</sup> فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه، فلا

(١) الهباء في الأصل: ما ارتفع من تحت سنايك الخيل، والشئ المُنْبَثُ الذي تراه في ضوء الشمس.

(٢) رواه البيهقي في الدلائل.

(٣) الظل: جمع ظلة وهي كل ما أظل من الشمس، والمراد كأنها الجبال أو السحب.

(٤) الأسود: الحيات مأخوذة من الأسود وهو أخبث الحيات وقيل: الجماعات من الناس مأخوذة من سواد الناس.

(٥) صبا: من الصبّ وذلك أن الأسود أي الحية إذا أراد أن يتهش ارتفع ثم انصب على الملدوغ.

(٦) رواه البيهقي في الدلائل.

(٧) رواه البخاري ومسلم.

(٨) رواه أحمد.

(٩) مرق السهم من الرمية: اخترقها وخرج من الجانب الآخر في سرعة.

يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نصيبه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء سبق الفرث والدم<sup>٢</sup> آيتهم رجل أسود، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، تدردر، يخرجون على حين فرقة من الناس) قال أبو سعيد — رضي الله عنه —: فأشهد أبي سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ وأشهد أن علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس، فوجد، فأُتي به، حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت<sup>٣</sup>.

قام رجل من الجمع، وقال: هذا مرتبط بالفتنة الأولى، لا بالفتنة الآخرة. قال عبد القادر: لكل فتنة متطرفوها، ولا يثير الفتن إلا المتطرفون، وليس المراد بالحديث تلك الطائفة وحدها، وإنما المراد بها كل من أخبر عنه ﷺ من التطرف في الدين.

وقد ورد في حديث آخر قريب من هذا ما يدل على هذا، فقد أتى ذو الخويصرة التميمي رسول الله ﷺ وهو يقسم المقاسم بجنين فقال: يا محمد، قد رأيت ما صنعت، قال: (وكيف رأيت؟)، قال: لم أرك عدلت، فغضب رسول الله ﷺ وقال: (إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون) فقال عمر: يا رسول الله، ألا أقوم إليه فأضرب عنقه؟ فقال رسول الله ﷺ: (دعه عنك، فإنه سيكون لهذا شيعة يتعمقون في الدين، حتى يبرقوا كما يبرق السهم من الرمية تنظر في النصل فلا تجد شيئاً، وتنظر في القدح فلا تجد شيئاً، ثم تنظر في الفوق فلا تجد شيئاً سبق الفرث والدم)<sup>٤</sup>

وفي حديث آخر قال ﷺ: (إن بعدي من أمي — أو سيكون بعدي من أمي — قومٌ يقرؤون القرآن، لا يجاوز حلقيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شرُّ الخلق والخليقة)° وكان ابن عمر رضي الله عنهما يراهم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات الله نزلت في الكفار، فجعلوها على المؤمنين<sup>٦</sup>.

بل إنه ﷺ حدّد مكان خروجهم، وهو من المشرق، فكان كما قال ﷺ، فعن سهل بن حنيف — رضي الله عنه — لما سئل: هل سمع النبي ﷺ يذكر الخواج — قال: سمعته — وأشار بيده نحو المشرق — وقال: (قوم يقرؤون القرآن بألسنتهم، لا يعدو تراقيهم، يبرقون من الدين كما يبرق السهم من الرمية)، وفي رواية عنه — رضي الله عنه — عن النبي ﷺ قال: (يتيه قومٌ قبل المشرق محلقة رؤوسهم)<sup>١</sup> وقد حصل كل ما أخبر عنه ﷺ من ذلك في جميع التاريخ الإسلامي، وخاصة في عصرنا هذا.

(١) النصل: هو حديدة السهم والرمح.

(٢) وما ذكره من حالات السهم، من النصل والرصافة والنضي والقذذ فكلها كناية عن سرعة اختراق السهم للحسد، بحيث لا يعلق به دم ولا فرث، وكذلك حال هؤلاء يبرقون بسرعة من الإسلام، فلا يعلقون منه بشيء.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البيهقي في الدلائل.

(٥) رواه مسلم.

(٦) رواه البخاري.

(١) رواه مسلم.

## غربة الدين:

ومن مظاهر الفتنة الآخرة ما أخبر عنه ﷺ من عودة الإسلام غريباً كما بدأ، فقد قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ قِيلَ: وَمَنْ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: التَّرَائِحُ مِنَ الْقَبَائِلِ)<sup>١</sup> وقد أخبر ﷺ عن الفتن الكثيرة التي ستعرض لها الأمة، وعن غربة الإسلام بسببها، حتى أنها تبلغ درجة يصبح الحل فيها هو الفرار، فقد قال ﷺ: (يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يُتَّبَعُ بِهَا شَعْفُ الْجِبَالِ وَمَوَاضِعَ الْقَطْرِ نَاجِيًا بَدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ)<sup>٢</sup>

بل أخبر ﷺ بجواز سؤال الموت في ذلك الوقت، فقال في حديث المنام الطويل، وفيه: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَأَنْ تُعْفِرَ لِي وَتُرْحِمَنِي وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَتَوَفَّنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يَقْرُبُنِي إِلَى حُبِّكَ )  
فهذه الأحاديث وغيرها، تدل على أنه يأتي على الناس زمان شديد لا يكون للمسلمين جماعة قائمة بالحق إما في جميع الأرض وإما في بعضها.

ولكن البشرى تأتي بالإخبار ببقاء طائفة من الأمة على الحق حتى تقوم الساعة، قال ﷺ: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَدَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ)<sup>٣</sup>  
وزيادة على ذلك، فقد أخبر ﷺ على ما من الله به على هذه الأمة من ظهور المجددين في كل مائة سنة، فقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا أَمْرَ دِينِهَا)<sup>٤</sup>  
وقد حصل ما أخبر عنه ﷺ، فلم تزل الأمة تجدد من يقوم سبيلها، ويعيدها إلى نهج نبيها إلى اليوم.

## وهن الأمة:

ومن مظاهر الفتنة الآخرة كما أخبر رسول الله ﷺ وهن الأمة وضعفها وتكالب الأعداء عليها، وأسباب كل ذلك، وقد رويت في ذلك نصوص كثيرة لها دلالتها القطعية:  
ومن ذلك ما روي عن ثوبان — رضي الله عنه — قال، قال رسول الله ﷺ: (يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قِصْعَتِهَا قِيلَ: مِنْ قِلَّةٍ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ كَمِ غَنَاءِ كَغَنَاءِ السَّيْلِ، يَجْعَلُ الْوَهْنُ فِي قُلُوبِكُمْ، وَيَتَرَعُّ الرَّعْبُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ بِحُبِّكُمْ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَتِكُمُ الْمَوْتِ)<sup>١</sup>

ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا إخباره ﷺ عن الحصار الاقتصادي الذي يطبق على بعض بلاد الإسلام، وهو ما لم يحصل إلى في هذا الزمان<sup>٢</sup>، فعن أبي نضرة — رضي الله عنه — قال: كنا عند جابر بن عبد الله —

(١) الترمذي.

(٢) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه.

(٣) البخاري.

(٤) أبو داود.

(١) رواه الطيالسي.

(٢) انظر: كتاب زلزال الأرض العظيم، تأليف بشير محمد عبد الله.

رضي الله عنه — فقال: (يوشك أهل العراق ألا يجيئ إليهم قفيز ولا درهم)، قلنا: من أين ذلك؟ قال: العجم يمنعون ذلك، ثم قال: يوشك أهل الشام ألا يجيئ إليهم دينار ولا مدي، قلنا: من أين ذلك؟ قال: من قبل الروم؟ ثم سكت هنيئاً، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: (يكون في آخر أمي خليفة يجثي المال حثياً لا يعده عداً)، قلت لأبي نصر: أترى أنه عمر بن العزيز؟ قال: لا<sup>١</sup>.

قال رجل من الحاضرين: هذا حديث موقوف على الصحابي، فكيف تستدل به هنا. قال عبد القادر: لقد ذكر العلماء أن الصحابي إذا روى خبراً من أخبار الغيب موقوفاً، أي لم يرفعه أو ينسبه إلى النبي ﷺ، فإنه يكون في حكم المرفوع إليه، إذ لا يمتثل أن يحدث الصحابي بخبر من أخبار الغيب، إلا إذا كان قد سمعه من رسول الله ﷺ.

بعد هذا.. فإن هذا الحديث يتضمن ثلاثة أخبار من أنباء الغيب:

أما أولها، فينبئ عن حصار العراق.

وأما الثاني، فيتحدث عن حصار الشام.

وأما الثالث، فيتحدث عن خليفة في آخر الزمان يجثي المال حثياً، ولا يعده عداً.

وفي هذا الحديث — بهذا الترتيب — إشارة إلى أن هذا الخليفة الكريم سيسبق ظهوره وتأسيسه للخلافة الإسلامية حدثان هما: حصار العراق وحصار الشام.

ويؤكد هذا فهم التابعي أبي نصر الذي نفى أن يكون هذا الخليفة هو عمر بن عبد العزيز، بالرغم مما عرف عن عهده من كثرة المال، و لكن عهد عمر بن عبد العزيز لم يسبقه حصار العراق، ولا حصار للشام. بالإضافة إلى هذا، فإن حصار العراق الوارد في الحديث تضمن منع الطعام و المال عن العراق، وكنتي عن الطعام بالقفيز الذي هو مكيال أهل العراق للحبوب، وكذلك ذكر منع جباية المال إلى العراق مع الطعام. وهذا مما يؤكد هذه النبوءة، إذ البلد المحاصر قديماً كان يدفع المال في مقابل الطعام، ولم يكن يتصور منع المال عنه، لكن دلّ منع المال عن أهل العراق مع منع الطعام عنهم في نفس الوقت أن مصدر الأموال عندهم من التصدير، وأن الحصار يمنع عنهم الاستيراد كما يمنع عنهم التصدير.

وقد عبر جابر — رضي الله عنه — عن الحصار بعبارة أخرى، وهي قوله (يوشك أهل العراق ألا يجيئ إليهم)، وهو تعبير دقيق ينطبق على ما يسمى بالحصار العالمي للعراق الذي عاشه أهل العراق فترة طويلة من الزمن، وهو أدق وأصوب لغة ومعنى من تعبير الحصار، لأن الحصار يقتضي حصر البلد المحاصر داخل حدود لا يستطيعون الخروج منها كما يمنع غيرهم من دخولها، فهكذا كان حصار المدن قديماً، إذ كان يحيط جيش العدو بأسوارها وأبوابها، أو حتى بجودها، إذا لم يكن لها أسوار، و يمنعون دخول البضائع إليها بهذه الكيفية القديمة. أما الآن فالأمر مختلف تماماً، وإن استخدمنا لفظ الحصار القديم، إذ ليس للعراق الممتدة شرقاً وغرباً و شمالاً وجنوباً، أسوار وليس لها بوابات و ليس حول حدودها الشاسعة جيوش متراصة كما في القديم، ومع هذا فقد منع عنهم الكيل والدواء والسلاح والدرهم حيث توقف تصدير البترول، وجاء المنع بقرار من مجلس الأمن



الظالم بالمقاطعة الاقتصادية و التجارية و العسكرية، وبامتنال الدول الخاضعة لهذا المجلس لهذه القرارات. بالإضافة إلى هذا كله، فقد ورد في الحديث ذكر مصدر المنع وأصل الحصار، حيث قال جابر — رضي الله عنه —: (العجم بمنعون ذاك )، وهذا ما حصل بكل دقة في ذلك الحصار الجائر الذي أصاب العراق. فهو منع و ليس حصاراً من ناحية، ومصدره، وأساسه كل شعوب وأمم ودول الأرض ماعدا العرب، فهم إذن العجم.

و لم يحدث منذ بدء تاريخ الإسلام و منذ أن أسلم شعب العراق وأصبح جزءاً من الأمة الإسلامية أن حصل حصار عدا هذا الحصار.

هذا عن الجزء الأول من الخير.. أما الثاني.. فسيحدث كما ورد في الحديث: ( يوشك أهل الشام ألا يُجى إليهم دينار و لا مُدي )، وكل الدلائل تشير إلى ذلك.

وسيتلوه ما ورد في الحديث من الخلافة الصالحة، والخليفة الكريم. وقد ذكر في الحديث مصدر حصار الشام، فلما سألوا جابراً — رضي الله عنه — عن مصدر هذا المنع، قال: ( من قبل الروم )، والمراد بالروم في التراث الإسلامي هم أهل أوربا، ويدخل فيهم كل من هاجر منها كالأمركيين والاستراليين وغيرهم.

## فتوحات وبشائر

ما إن انتهى عبد القادر من حديثه عن أخبار الفتن حتى قام بعض القوم، وقال: لقد حصل في الأمة خير كثير من فتوحات للأرض، وتمكين في البلاد، ودخول للناس في الإسلام أفواجا، فهل أشار نبيكم إلى ذلك؟ قال عبد القادر: أنت تريد الحديث إذن عن نبوءاته ﷺ عما فتح الله لدينه من قلوب في جميع بلاد الدنيا. قال الرجل: أجل.. هذا ما أريده، ولا أرى الجمهور الحاضر إلا متشوقا لسماع مثل هذا. قال عبد القادر: سأذكر لكم بعض ما ورد في ذلك بعد استئذان حضرة القس المحترم. أشار بولس بالإيجاب.. ولست أدري لم.. هل كان ذلك غلبة وحياء من الجمهور الحاضر، أم كان هو نفسه، كالجمهور متشوقا لسماع ذلك.

قال عبد القادر: بناء على رغبتكم سأذكر لكم ما أخبر به ﷺ عما سيفتح الله به على أمته من بلاد، وقبل أن أخبركم بذلك أعلمكم أنه ﷺ قال تلك النبوءات في ظروف خطيرة جدا، كان لأعدائه من السلطان ما يقدرون به في أي لحظة على محو دينه من أساسه.

وسأذكر لكم ما يشير إلى هذا من زمنين مر بهما كلاهما عصيب:

أما الأول.. ففي مكة المكرمة، وفي ظل الاضطهاد الذي عاناه ﷺ مع أتباعه، فعن حباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو يومئذ متوسد بردة في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا الله تبارك وتعالى، أو ألا تستنصر لنا؟ فقال ﷺ: (قد كان الرجل فيمن كان قبلكم يؤخذ فيحفر له في الأرض، فيجاء بالمنشار على رأسه فيجعل بنصفين فما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب فما يصدده ذلك، والله ليتمن الله عز وجل هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله تعالى، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون)<sup>١</sup>

وأما الثاني.. ففي المدينة.. حين اتفقت الجزيرة العربية مع اليهود على حربه في غزوة الأحزاب التي بلغت فيها مخاوف المؤمنين غايتها حتى قال تعالى في وصفها: ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) ﴿﴾ (الأحزاب)

في ظل تلك الظروف العصبية بشر بهذه النبوءات الصادقة.. حدث سلمان الفارسي قال: ضربت في ناحية من الخندق، فعلمت عليّ صخرة، ورسول الله ﷺ قريب مني؛ فلما رأني أضرب ورأى شدة المكان علي، نزل فأخذ المعول من يدي، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة؛ قال: ثم ضرب به ضربة أخرى، فلمعت تحته برقة أخرى؛ قال: ثم ضرب به الثالث، فلمعت تحته برقة أخرى. قال: قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب؟ قال: أو قد رأيت ذلك يا سلمان؟ قال: قلت: نعم. قال: أما الأولى فإن الله فتح علي بها اليمن؛ وأما الثانية فإن الله فتح علي بها الشام والمغرب؛ وأما الثالثة فإن الله فتح علي

بها المشرق.

ولهذا كله كان أبو هريرة يقول، حين فتحت هذه الأمصار في زمان عمر و زمان عثمان وما بعده: ( افتتحوا ما بدا لكم، فو الذي نفس أبي هريرة بيده، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحوها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله سبحانه محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك)<sup>١</sup>

وقد أخبر ﷺ عما يفتح من بلاد على سبيل الإجمال مرتبا كل ذلك بحسب حصوله، فقال: ( تفتح اليمن، فيأتي قوم فييسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ثم يفتح الشام فيأتي قوم فييسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ثم تفتح العراق فيأتي قوم فييسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون)<sup>٢</sup>

وقد فصل ﷺ بعض ما يحصل من ذلك، ففي حديث عبد الله بن حوالة، قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فشكونا إليه العري والفقر وقلة الشيء، فقال: ( أبشروا، فوالله لأنا بكثرة الشيء أخوفني عليكم من قلته، والله لا يزال هذا الأمر فيكم حتى يفتح الله أرض فارس وأرض الروم وأرض حمير، وحتى تكونوا أجنادا ثلاثة: جندا بالشام، و جندا بالعراق، و جندا باليمن، وحتى يعطى الرجل المائة فيسخطها)، قال ابن حوالة: قلت: يا رسول الله، ومن يستطيع الشام وبه الروم ذوات القرون؟ قال: ( والله ليفتحها الله عليكم، وليستخلفنكم فيها حتى تظل العصاة البيض منكم قمصهم الملحمة أبقاؤهم قياما على الرويجل الأسود منكم المحلوق، ما أمرهم من شيء فعلوه ) وذكر الحديث.

وقد عبر عبد الرحمن بن جبير عن وقوع هذا الحديث كما أخبر ﷺ، فقال: نعرف أصحاب رسول الله ﷺ نعت هذا الحديث في جزء ابن سهيل السلمي، وكان على الأعاجم في ذلك الزمان، فكان إذا راحوا إلى مسجد نظروا إليه وإليه قياما حوله فعجبوا لنعت رسول الله ﷺ فيه وفيهم<sup>٣</sup>.

### فتح الجزيرة العربية:

قال رجل من الجمع: أخبرتنا بالجملة، فهات التفاصيل.

قال عبد القادر: أولها تبشيره ﷺ بفتح جزيرة العرب، وقد ذكرنا الحديث الدال على ذلك .. وقد وقع هذا الأمر في حياته ﷺ فدانت الجزيرة العربية كلها بالإسلام، وآمن الناس فيها من أقصاها إلى أقصاها.. وكان تصور هذا ضرب من الخيال، فقد كان القتل وقطع الطريق، والإغارة والنهب والسلب في كل ركن من أركانها إلا المسجد الحرام فقط.

وليس ذلك فقط، بل أخبر ﷺ بترتيب الفتوحات التي ستقع، فقد أخبر بفتح جزيرة العرب أولا، ثم فارس، ثم الروم، فعن نافع بن عتبة قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة قال: فأتى النبي ﷺ قوم من قبل المغرب عليهم ثياب الصوف، فوافقوه عند أكمة، فإنهم لقيام ورسول الله ﷺ قاعد قال: فقالت لي نفسي انتهم فقم

(١) رواه ابن إسحق.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البيهقي في الدلائل.

بينهم وبينه لا يغتالونه، قال: ثم قلت لعله نجى معهم، فأتيتهم، فقامت بينهم وبينه، فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي قال: (تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحها الله)

وفوق ذلك، فقد أخبر ﷺ بأن جزيرة العرب لا تعبد فيها الاصنام أبدا، فعن جابر بن عبد الله — رضي الله عنهما — قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم)<sup>١</sup>

وفي حديث آخر عن ابن عباس — رضي الله عنه —، قال: خرجت مع رسول الله ﷺ من المدينة فالتفت إليها وقال: (إن الله برأ هذه الجزيرة من الشرك)<sup>٢</sup>

### فتح مصر:

ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا، ما ورد في الحديث من التبشير بفتح مصر، بل والوصية بأهلها، فقد قال رسول الله ﷺ: (إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط<sup>٣</sup> فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة<sup>٤</sup> ورحما<sup>٥</sup>، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان على موضع لبنة<sup>٦</sup> فاخرج منها)<sup>٧</sup>

وقد وقع الأمر كما أخبر رسول الله ﷺ، فقد افتتحها عمرو بن العاص في سنة عشرين أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقد مر راوي الحديث بريعة وعبد الرحمن بن شريحيل بن حسنة يتنازعان في موضع لبنة فخرج منها.

وفي حديث آخر بيان لدور المصريين في نصره الدين، فعن أم سلمة — رضي الله عنها — أن رسول الله ﷺ أوصى عند وفاته فقال: (الله الله، في قبط مصر إنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدة، وأعداء في سبيل الله)<sup>٨</sup>

وفي حديث آخر عن أبي عبد الرحمن الحبلي وعمرو بن حريث وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال: (إنكم ستقدمون على قوم جعد رؤوسهم فاستوصوا بهم خيرا، فانهم قوة لكم وابلغ الى عدوكم، باذن الله) يعني قبط مصر<sup>٩</sup>.

وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: (إذا فتح الله عليكم مصر، فاتخذوا منها جندا كثيفا فذاك الجند خير

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبو يعلى والبخاري والطبراني.

(٣) القيراط: عشر الدينار ومقياس للأرض.

(٤) الذمة والذمام: العهد، والأمان، والضمان، والحُرمة، والحق.

(٥) وقد روى البغوي والطبراني والحاكم وابن عبد الحكم في فتوح مصر من طريق مالك عن ابن شهاب، ما يبين معنى

الرحم المرادة في الحديث: قال الليث: قلت لابن شهاب: ما رحمهم؟ قال: ان أم اسماعيل منهم.

(٦) اللبنة: واحدة اللبن وهي التي يُبنى بها الجدار.

(٧) رواه مسلم.

(٨) رواه الطبراني في الكبير، وابو نعيم في دلائل النبوة بسند صحيح.

(٩) رواه أبو يعلى في مسنده، وابن عبد الحكم بسند صحيح.

أجناد أهل الارض)، فقال أبو بكر — رضي الله عنه —: ولم يا رسول الله؟ قال: (لأنهم في رباط إلى يوم القيامة)<sup>١</sup>

### فتح العراق وفارس:

ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا إخبار النبي ﷺ — وهو في المدينة — أن أمته ستفتح كنوز كسرى، فعن عدي بن حاتم قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: يا عدي، هل رأيت الحيرة؟ قلت: لم أرها، وقد أنبت عنها، قال: ((إن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله))، قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار<sup>٢</sup> طيء الذين قد سعروا البلاد؟

قال ﷺ: (ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى)، قلت: كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه، فلا يجد أحداً يقبله منه، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، فيقولن ألم أبعث إليك رسولاً، فيبلغك فيقول: بلى، فيقول: ألم أعطك مالا وأفضل عليك؟ فيقول: بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم، قال عدي: سمعت النبي ﷺ يقول: (اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة)

وقد وقع كل ما أخبر عنه ﷺ، قال عدي يذكر ذلك: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ: يخرج ملء كفه<sup>٣</sup>.

وقد أخبر ﷺ بعد هذا بحسن إسلام الفرس بعد الفتح، فعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأُنزلت عليه سورة الجمعة: ﴿وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الجمعة: ٣)، قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعني حتى سألت ثلاثاً، وفيما سلمان الفارسي، فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان، ثم قال: لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء<sup>٤</sup>.

ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا، ما أخبر به ﷺ سراقه بن مالك من امتلاكه لسواري كسرى..

وقصة ذلك تشير إلى أن هذا لا يمكن أن يقوله إنسان بناء على استكناه بشري للمستقبل:

وقصة ذلك هي أنه لما هاجر النبي ﷺ هو وصاحبه أبو بكر — رضي الله عنه — في قصة الهجرة المشهورة،

(١) رواه ابن عبد الحكم وأبو يعلى في تاريخ مصر، ونخب أن نبيه هنا إلى أن ما رواه الطبراني عن رباح اللخمي أن رسول الله ﷺ قال: «ان مصر ستفتح عليكم فانتجعوا خيرها ولا تتخذوها داراً فإنه يساق إليها أقل الناس أعماراً»، موضوع مكذوب لا يصح روايته، ففي أسناده مطهر بن الهيثم قال فيه أبو سعيد بن يونس: انه متروك الحديث، قال: والحديث منكر جداً، قد أورده ابن الجوزي في الموضوعات.

(٢) الدعار هو الخبث الشديد.

(٣) البخاري.

(٤) البخاري ٦٤١/٨.

وتبعتهم قريش بفرسانها، أدرکہم سراقۃ بن مالک المدلجی، وکاد یمسک بهم، فلما رآه أبو بکر قال: أتینا یا رسول اللہ، فقال له النبی ﷺ: (لا تحزن إن اللہ معنا)، فدعا النبی ﷺ علی سراقۃ، فساخت یدا فرسه فی الرمل، فقال سراقۃ: إني أراکما قد دعوتما علی، فادعوا لی، فاللہ لکما أن أرد عنکما الطلب، فدعا له النبی ﷺ، وقال له: (کیف بک إذا لبست سواری کسری وتاجه )

فلما فتحت فارس و المدائن، وغنم المسلمون کنوز کسری أتى أصحاب رسول اللہ ﷺ بها بین یدی عمر بن الخطاب، فأمر عمر بأن یأتوا له بسراقۃ، وقد کان وقتها شیخاً كبيراً قد جاوز الثمانین من العمر، وكان قد مضى علی وعد رسول اللہ ﷺ له أكثر من خمس عشرة سنة، فألبسه سواری کسری وتاجه، وكان رجلاً کثیر شعر الساعدين، فقال له: ارفع یدیک، وقل الحمد لله الذي سلبهما کسری بن هرمز، وألبسهما سراقۃ الأعرابي<sup>١</sup>.

وقد مات سراقۃ فی خلافة عثمان سنة أربع وعشرين وقيل بعد عثمان.

فمن أخبر محمداً ﷺ وهو هارب بدينه بهذه الغنيمۃ العظیمۃ، والتي لن تحصل إلا بعد غلبة المسلمين علی الفرس، وقد كان ذلك أبعد محال یمكن أن يفکر فيه بشر.

**ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا ما أخبر عنه ﷺ من هلاك کسری وقیصر،** وزوال دولة الفرس والروم فی تلك المنطقۃ بعد هلاك قیصر وکسری، ففي الحديث قال ﷺ: (هلك کسری، ثم لا یكون کسری بعده، وقیصر لیهلکن ثم لا یكون قیصر بعده، ولتنتفن کنوزهما فی سبیل اللہ عز وجل) ٢ والمراد بهلاك قیصر فی هذا الحديث قیصر الذي كان ملك الشام، وتنحية ملك الأقاصرة عنها، وقد تحقق ذلك وزال عن الشام ملك الأقاصرة، ومثل ذلك زال ملك الأكاسرة.

ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا ما أخبر به ﷺ عن **غزو المسلمين فی البحر**، وذلك لم یکن من عادة العرب، بل أخبر عن قرب ذلك، واستشهاد أم حرام بنت ملحان فی ذلك الغزو.

فقد روي أن رسول اللہ ﷺ ذکر أن غزواته فی البحر تكون فرقتين، وتكون أم حرام مع الأولین، وقد كان ذلك فی سنة سبع وعشرين فی غزو قبرص، وتوفيت أم حرام فی هذه الغزوة فی البحر.

وأما الثانية فكانت فی سنة اثنتين وخمسين، وذلك فی جيش سار إلى غزو القسطنطينية، وكان فیها سادات الصحابة، منهم أبو أيوب الأنصاري، فمات هنالك وأوصى أن یدفن تحت سنابک الخیل وأن یوغل به إلى أقصى ما یمكن أن ینتهي به إلى جهة نهر العدو ففعل به ذلك<sup>٣</sup>.

فعن أم حرام أنها سمعت رسول اللہ ﷺ یقول: (أول جيش من أمتي یغزون البحر قد أوجبوا)، قالت أم حرام: یا رسول اللہ أنا فیهم؟ قال: إنک فیهم، ثم قال رسول اللہ ﷺ: (أول جيش من أمتي یغزون مدينة قیصر

(١) رواه البيهقي فی الدلائل.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

مغفور لهم ) قلت: أنا منهم يا رسول الله قال: ( لا )<sup>(١)</sup>  
ففي هذا الحديث ثلاث نبوءات غيبية:

أولها الاخبار عن الغزوة الأولى في البحر، وقد كانت في سنة سبع وعشرين، وكان معهم أم حرام بنت ملحان هذه صحبة زوجها عبادة بن الصامت، فتوفيت مرجعهم من الغزو قبل بالشام.  
والغزوة الثانية، غزوة قسطنطينية مع أول جيش غزاها، وذلك سنة ثنتين وخمسين، وكان معهم أبو أيوب، خالد بن زيد الانصاري، فمات هناك، ولم تكن هذه المرأة معهم، لانهما كانت قد توفيت قبل ذلك في الغزوة الأولى.

وأما الثالثة، فإخبار المرأة بأنها من الأولين، وليست من الآخرين.  
وكل ذلك وقع كما أخبر رسول الله ﷺ.

### فتح القسطنطينية:

قال عبد القادر: ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا ما أخبر عنه ﷺ من فتح القسطنطينية مع أنها كانت من أعنى مدن العالم، فقد قال ﷺ: ( لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش )<sup>(٢)</sup>  
وقد حصل ما أخبر عنه النبي ﷺ بكل دقة، أما أميرها الذي بشره رسول الله ﷺ بقوله: ( نعم الأمير أميرها )، فيدل عليها سيرة السلطان محمد الفاتح الذي شرفه الله بفتح القسطنطينية<sup>(٣)</sup>.  
فهو السلطان محمد الثاني (٤٣١هـ - ١٤٨١م)، وهو السابع في سلسلة آل عثمان، وقد حكم ما يقرب من ثلاثين عاماً كانت خيراً وعزة للمسلمين.

وقد امتاز بشخصية فذة جمعت بين القوة والعدل، كما أنه فاق أقرانه منذ حداثة في كثير من العلوم التي كان يتلقاها في مدرسة الأمراء، وخاصة معرفته لكثير من لغات عصره وميله الشديد لدراسة كتب التاريخ، مما ساعده فيما بعد على إبراز شخصيته في الإدارة وميادين القتال.

وقد برز بعد توليه السلطة في الدولة العثمانية بقيامه بإعادة تنظيم إدارات الدولة المختلفة، واهتم كثيراً بالأمور المالية فعمل على تحديد موارد الدولة وطرق الصرف منها بشكل يمنع الإسراف والبدخ أو الترف، وركز على تطوير كتائب الجيش وأعاد تنظيمها ووضع سجلات خاصة بالجند، وزاد من مرتباتهم وأمدهم بأحدث الأسلحة المتوفرة في ذلك العصر.

وعمل على تطوير إدارة الأقاليم وأقر بعض الولاة السابقين في أقاليمهم وعزل من ظهر منه تقصيراً أو إهمالاً وطور البلاط السلطاني وأمدهم بالخبرات الإدارية والعسكرية الجيدة مما ساهم في استقرار الدولة والتقدم.  
وقد تأثر محمد الفاتح بالعلماء الربانيين منذ طفولته ومن أخصهم العالم الرباني (أحمد بن إسماعيل الكوراني) الذي شهد له بالفضيلة التامة، وكان مدرسه.

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الإمام أحمد.

(٣) انظر: فتح القسطنطينية وسيرة السلطان محمد الفاتح، د. محمد مصطفى.

أما الجيش الذي أثنى عليه رسول الله ﷺ، فقد بذل السلطان محمد الفاتح جهوداً كبيرة في إمداده بالقوى البشرية حتى وصل تعداده إلى قرابة ربع مليون مجاهد.. وهذا عدد كبير مقارنة بجيوش الدول في تلك الفترة. كما عني عناية خاصة بتدريب تلك الجموع على فنون القتال المختلفة وبمختلف أنواع الأسلحة التي تؤهلهم للعملية الجهادية المنتظرة، كما أعتنى الفاتح بإعدادهم إعداداً معنوياً قوياً وغرس روح الجهاد فيهم، وتذكيرهم بثناء الرسول ﷺ على الجيش الذي يفتح القسطنطينية، مما أعطاهم قوة معنوية وشجاعة منقطعة النظير، كما كان لانتشار العلماء بين الجنود أثر كبير في تقوية عزائم الجنود وربطهم بالجهاد الحقيقي وفق أوامر الله.

وكان الفاتح كلما مر بجمع من جنده خطبهم وأثار فيهم الحمية والحماس، وأبان لهم أنهم بفتح القسطنطينية سينالون الشرف العظيم والمجد الخالد، والثواب الجزيل من الله تعالى وستسد دسائس هذه المدينة التي طالما مالأت عليهم الأعداء والمتآمرين.

وكان علماء المسلمين وشيوخهم يتحولون بين الجنود، ويقرأون على المجاهدين آيات الجهاد والقتال وسورة الأنفال، ويذكروهم بفضل الشهادة في سبيل الله وبالشهداء السابقين حول القسطنطينية، وعلى رأسهم أبو أيوب الأنصاري ويقولون للمجاهدين: لقد نزل سيدنا محمد ﷺ عند هجرته إلى المدينة في دار أبي أيوب الأنصاري، وقد قصد أبو أيوب إلى هذه البقعة ونزل هنا، وكان هذا القول يلهب الجند ويبعث في نفوسهم أشد الحماس والحمية.

وبعد أن عاد الفاتح إلى خيمته ودعا إليه كبار رجال جيشه أصدر إليهم التعليمات الأخيرة، ثم ألقى عليهم الخطبة التالية: (إذا تم لنا فتح القسطنطينية تحقق فينا حديث من أحاديث رسول الله ومعجزة من معجزاته وسيكون من حظنا ما أشاد به هذا الحديث من التمجيد والتقدير، فأبلغوا أبناءنا العساكر فرداً فرداً، أن الظفر العظيم الذي سنحرزه سيزيد الإسلام قدراً وشرفاً، ويجب على كل جندي أن يجعل تعاليم شريعتنا الغراء نصب عينيه فلا يصدر عن أحد منهم ما يجافي هذه التعاليم، وليتجنبوا الكنائس والمعابد ولا يمسوها بأذى، ويدعوا القسس والضعفاء والعجزة الذين لا يقاتلون..)

وقد عامل السلطان محمد الفاتح أهل القسطنطينية معاملة رحيمة وأمر جنوده بحسن معاملة الأسرى والرفق بهم، وافتدى عدداً كبيراً من الأسرى من ماله الخاص وخاصة أمراء اليونان، ورجال الدين، واجتمع مع الاساقفة وهدأ من روعهم، وطمأنهم الى المحافظة على عقائدهم وشرائعهم وبيوت عبادتهم، وأمرهم بتنصيب بطريرك جديد فانتخبوا أجناديوس برطيركا، وتوجه هذا بعد انتخابه في موكب حافل من الاساقفة الى مقر السلطان، فاستقبله السلطان محمد الفاتح بحفاوة بالغة وأكرمه أيما تكريم، وتناول معه الطعام، وخرج البطريرك من لقاء السلطان، وقد تغيرت فكرته تماماً على السلاطين العثمانيين وعن الأتراك، بل والمسلمين عامة، وشعر انه أمام سلطان مثقف صاحب رسالة وعقيدة دينية راسخة وانسانية رفيعة، ورجولة مكتملة، ولم يكن الروم أنفسهم أقل تأثراً ودهشة من بطريقتهم، فقد كانوا يتصورون أن القتل العام لا بد للاحقهم، فلم تمض أيام قليلة حتى كان الناس يستأنفون حياتهم المدنية العادية في اطمئنان وسلام.



لقد كان العثمانيون حريصين على الالتزام بقواعد الاسلام، ولذلك كان العدل بين الناس من أهم الأمور التي حرصوا عليها، وكانت معاملتهم للنصارى خالية من أي شكل من أشكال التعصب والظلم، ولم يخطر ببال العثمانيين أن يضطهدوا النصارى بسبب دينهم.

### بشائر مرتقبة:

ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا، ما أخبر عنه ﷺ من **قتال اليهود والانتصار عليهم**، فقد جاء في الحديث قوله ﷺ: (تقاتلكم اليهود، فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي، فاقتله)<sup>١</sup> وفي حديث آخر، قال ﷺ: (تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر، فيقول: يا عبدالله هذا يهودي ورائي فاقتله)<sup>٢</sup>

فهذه الأحاديث تشير إلى أنه سيكون لليهود دولة، وذلك ما كان يعتبر مستحيلاً إلى أوائل هذا القرن، فجاءت الأيام مصدقة لقول رسول الله ﷺ.

ولكن هذه الدولة ما وجدت لتبقى، بل جاءت البشارة في هذه الأحاديث بنصر المسلمين على اليهود نصراً يشارك فيه كل شيء حتى الحجارة.

ومن تلك البشائر ما أخبر عنه ﷺ من **ظهور المهدي** ﷺ وظهور الإسلام على الدين كله، وذلك في أحاديث كثيرة تبلغ مبلغ التواتر:

ومما روي في ذلك ما حدث به ثوبان — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال: (إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فأتوها، فإن فيها خليفة الله المهدي)<sup>٣</sup>

وفي حديث آخر عن أبي سعيد — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال: (إن في أمي المهدي يخرج يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا — شك زيد — فيجئ إليه الرجل، فيقول: يا مهدي أعطني أعطني، فيحني له في ثوبه ما استطاع أن يحملة)<sup>٤</sup>

وفي حديث آخر عن أبي سعيد — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال: (يخرج المهدي في أمي خمسا أو سبعا أو تسعا)، قال: قلت: أي شيء قال: سنين، ثم يرسل عليهم السماء مدرارا، ولا تدخر الأرض من نباتها شيئا، ويكون المال كدوسا، وقال: (يجئ الرجل إليه، فيقول: يا مهدي، أعطني أعطني، فيحني له في ثوبه ما استطاع أن يحمل)<sup>٥</sup>

وفي حديث آخر عنه أن رسول الله ﷺ قال: (يخرج في أمي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صحاحا، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعا أو ثمانيا) يعني حججا.

(١) رواه البيهقي في الدلائل.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أحمد والحاكم.

(٤) رواه الترمذي وقال: حسن.

(٥) رواه أحمد.

(٦) رواه الحاكم.

وفي حديث آخر عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أبشروا بالمهدي، رجل من قريش من عترتي يخرج في اختلاف من الناس، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ويقسم المال صحاحاً)، قالوا: وما صحاحاً يا رسول الله؟ قال: (بالسوية، وبملاّ قلوب أمة محمد غني، ويسعهم عدله، حتى انه يأمر منادياً فينادي فيقول، من كان له حاجة الي فلْيأتيني؟ فما يأتيه أحد الا رجل واحد يأتيه فيسأله، فيقول: ائت السدان حتى نعطيك، فيأتيه، فيقول: أنا رسول المهدي اليك أرسلني لتعطيني مالا، فيقول: احث، فيحثني ولا يستطيع أن يحمله، فيلقي حتى يكون قدر ما يستطيع أن يحمله، فيخرج فيندم، فيقول: انا لا تأخذ شيئاً أعطيتناه فلبث في ذلك ستاً أو سبعا أو ثمانياً أو تسع سنين والخير في الحياة بعده)¹

وفي حديث آخر عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال: (يخرج قوم من قبل المشرق فيوطئون للمهدي سلطانه)²

وفي حديث آخر عن أبي سعيد — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً، ثم يخرج رجل من أهل بيتي فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً)³

وفي حديث آخر عن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي يفتح القسطنطينية، وجبل الديلم، ولو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يفتتحها)⁴ وفي لفظ: (لطول الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتي جبل الديلم والقسطنطينية)

وفي حديث آخر عن أبي سعيد — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي أجلي أقى، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت قبله ظلماً، يكون سبع سنين)⁵

وفي حديث آخر عن ابن مسعود — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (لو لم يبق من الدنيا الا يوم لملك فيها رجل من أهل بيتي)⁶، وفي رواية: (لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل)

وفي حديث آخر عن ابن مسعود — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تذهب الدنيا ولا تنقضي حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي)⁷ وفي لفظ: (لا تقوم الساعة حتى يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي)

وفي حديث آخر عن علي بن الحسين عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: (ابشري يا فاطمة، المهدي منك)

(١) رواه أحمد والباوردي.

(٢) رواه ابن ماجة والطبراني في الكبير.

(٣) رواه أبو يعلى وابن خزيمة وابن حبان والحاكم.

(٤) رواه الرافعي - في تاريخ قزوين - وابن ماجة.

(٥) رواه أحمد وأبو يعلى وسمويه والضياء في المختارة بسند ضعيف.

(٦) رواه الطبراني في الكبير والدارقطني في الافراد والحاكم وأبو داود.

(٧) رواه أحمد وأبو داود والترمذي - وقال: حسن صحيح - والطبراني في الكبير.

(  
وفي حديث آخر عن علي — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال: (ألا أخبرك أن الله فتح هذا الامر  
بي ويختمه بولدك) <sup>٢</sup>

---

(١) رواه ابن عساکر.  
(٢) رواه الخطيب وابن عساکر.

## ظواهر وسنن

بعد أن ذكر عبد القادر جميع هذه النبوءات امتلأت القاعة بالعجب.. ولم يستطع بولس أن يخفي الكثير من تعجبه، ولكنه لم يقل شيئاً..  
قام رجل من القاعة، وقال: أرى أن محمداً قد ذكر الكثير من الأنباء المرتبطة بالتواريخ، والفن والفتوح.. فهل ذكر شيئاً يرتبط بواقعنا نحن.. بظواهره المختلفة؟  
قال عبد القادر: أجل.. فرسول الله ﷺ هو رسول كل الأزمان، ولذلك اقتضت رسالته أن يحدثنا بالظواهر المختلفة التي ستحدث في المجتمعات المختلفة، لئبينا بذلك، وعلمنا.  
وقد كان الصحابة رضوا يعلمون هذا الدور الرسالي المنوط به ﷺ، ولذلك كانوا يسألونه، ويدققون في السؤال حرصاً على أن لا يفوتهم تعليمه ونصحه.  
لقد أشار ﷺ في أحاديث كثيرة جداً إلى ظهور أنواع من الانحراف: الانحراف الديني والانحراف الخلفي والانحراف الاجتماعي والانحراف السياسي.. وغيرها كثير.  
وبما أني ذكرت لكم الانحراف السياسي عند حديثي عن الفن، فسأذكر لكم هنا الأنواع الثلاثة من الانحراف.

### ١ - الانحراف الديني:

وأولها، وأخطرها الانحراف الديني بمظاهره المختلفة:

#### التطرف والغرور:

وأول مظهر أشارت إليه النصوص، وشدت التنبيه إليه التطرف والغلو في الدين، وما ينتج عنه من غرور قاتل، وقد ورد ذلك في أحاديث كثيرة مستفيضة، وجدت للأسف من ينحرف بها عن فهمها الصحيح، فيحملها على طائفة من الأمة يقصرها عليها، وينفي اتصاف غيرها بها.  
ومما يروى في ذلك قوله ﷺ: (يأتي في آخر الزمان حدثاء الاسنان سفهاء الاحلام يقرأون القرآن لا يتجاوز تراقيهم، يقولون: من قول خير البرية لا يتجاوز حناجرهم يرقون من الدين كما يبرق السهم من الرمية، فإذا رأيتموهم، فاقتلوهم فان قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة)<sup>١</sup>  
وفي حديث آخر عن علي - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يخرج قوم من أمتي يقرءون القرآن ليست قراءتكم الى قراءتهم شيئاً، ولا صلاتكم الى صلاتهم شيئاً ولا صيامكم الى صيامهم شيئاً، يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا يتجاوز صلاتهم تراقيهم، يرقون من الاسلام كما يبرق السهم من الرمية)<sup>٢</sup>

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وابن جرير وابو داود الطيالسي وابن ماجه وابو عوانة وابو يعلى وابن حبان عن علي، وابن أبي شيبه والامام أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح وابن ماجه وابن جرير عن ابن مسعود رضي الله عنه.  
(٢) رواه مسلم وابو داود وابو عوانة.

وفي حديث آخر عن ابن مسعود — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (يرث هذا القرآن قوم يشربونه شرب اللبن، لا يجاوز تراقيهم)<sup>١</sup>

وفي حديث آخر عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: (يخرج في آخر الزمان قوم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم سيماهم التحليق إذا لقيتموهم فاقتلوهم)<sup>٢</sup>

وفي حديث آخر عن أبي بزة أن رسول الله ﷺ قال: (يخرج في آخر الزمان قوم كأن هذا منهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية سيماهم التحليق لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسيح الدجال فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، هم شر الخلق والخليفة)<sup>٣</sup>

وفي حديث آخر عن أبي بكره قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرج قوم أشداء أشداء ذليقة ألسنتهم بالقرآن يقرأونه ينثرونه نثر الدقل لا يجاوز تراقيهم فإذا رأيتوهم فائتوهم فاقتلوهم فالمأجور من قتل هؤلاء)<sup>٤</sup>

وفي حديث آخر أن رسول الله ﷺ قال: (يخرج ناس من المشرق، أقوام محلقة رؤوسهم، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم — يقرأون القرآن بألسنتهم لا يعدو تراقيهم، يرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية — وفي لفظ: ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه، سيماهم التحليق)<sup>٥</sup>

وفي حديث آخر عن أبي سعيد — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال: (يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعلمكم مع علمهم، ويقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يرقون من الدين كما يمرق السهم الذين يصونهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يرى شيئاً، وينظر في القدح فلا يرى شيئاً، وينظر في الريش فلا يرى شيئاً، ويتمارى في الفوق هل علق به من الدم شيء)<sup>٦</sup>

وفي حديث آخر عن ابن عباس — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال: (يأتي على الناس زمان يتعلمون القرآن فيجمعون حروفه، ويضعون حدوده، ويل لهم مما جمعوا وويل لهم مما صنعوا، ان أولى الناس بهذا القرآن من جمعة لم ير عليه أثره)<sup>٧</sup>

وفي حديث آخر أن رسول الله ﷺ قال: (سيكون بعدي من أمي قوم يقرأون القرآن، لا يجاوز حلقيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليفة سيماهم التحليق)<sup>٨</sup>

وفي حديث آخر عن أنس بن مالك — رضي الله عنه — فقال: بينا نحن نقرأ، فينا العربي والعجمي والأسود إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: (أنتم بخير تقرأون كتاب الله، وفيكم رسول الله ﷺ، وسيأتي قوم

(١) رواه أبو نصر السجزي في الابانة والديلمي.

(٢) رواه ابن ماجه.

(٣) رواه ابن أبي شيبة وأحمد والنسائي والطبراني في الكبير والحاكم.

(٤) رواه احمد والبخاري والطبراني في الكبير، والبيهقي.

(٥) رواه احمد والبخاري وأبو يعلى عن أبي سعيد، وابن ابي شيبة والامام أحمد والبخاري ومسلم عن سهل بن حنيف.

(٦) رواه البخاري ومسلم، والنسائي.

(٧) رواه أبو نعيم.

(٨) رواه أحمد ومسلم وابن ماجه والطبراني في الكبير.

يثقفونه كما يتقفون القدح يتعجلون أجورهم ولا يتأجلونها<sup>١</sup>

وفي حديث آخر أن رسول الله ﷺ قال: يظهر الدين حتى يجاوز التجار، وتخاص البحار بالخيل في سبيل الله، حتى يرد الكفر الى موطنه، وليأتين على الناس زمان يتعلمون فيه القرآن يتعلمونه ويقرأونه، ثم يقولون: قد قرأنا القرآن، فمن أقرأ منا؟ ومن أفقه منا، ومن أعلم منا؟، ثم التفت إلى أصحابه، فقال: (هل في أولئك من خير؟)، قالوا: لا، قال: (أولئك منكم من هذه الأمة، وأولئك هم وقود النار)<sup>٢</sup>  
وفي حديث آخر عن جابر — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ رأى قوما يقرأون القرآن، فقال: (اقرأوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه)<sup>٣</sup>

### الاهتمام بالمظاهر:

ومن مظاهر الانحراف الديني التي أشارت إليها النصوص، الاهتمام بالجانب الشكلي من الدين، أو ببعض مظاهر الدين وطقوسه مع الغفلة عن التحقق الكامل به:

ومن ذلك ما أخبر عنه ﷺ من المباهاة بالمساجد والتفاخر بها والانشغال عن حقيقة دورها، فعن أنس — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد)<sup>٤</sup>  
وفي حديث آخر عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال: قال رسول الله ﷺ: (ما أمرت بتشبيد المساجد) قال ابن عباس: لتزخرفها كما زخرفت اليهود والنصارى<sup>٥</sup>.

وفي حديث آخر عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال: قال رسول الله ﷺ: (أراكم ستشرفون مساجدكم بعدي كما شرفت اليهود كنائسها وكما شرفت النصارى بيعها)<sup>٦</sup>  
وفي حديث آخر عن ابن عباس — رضي الله عنهما — عن رسول الله ﷺ قال: (سيكون في آخر أمتي أقوام يزخرفون مساجدهم ويخربون قلوبهم، يتقي أحدهم على ثوبه ما لا يتقي على دينه، لا يبالي أحدهم إذا سلمت له ديناه ما كان من أمر دينه)<sup>٧</sup>

ومما يدخل في هذا الباب ما أخبر عنه ﷺ من الاهتمام بالقول دون العمل، فقال: (إنه يكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القول ويسئون العمل)<sup>٨</sup>  
وفي حديث آخر، قال ﷺ: (إذا ظهر القول وحزن العمل، واختلفت الألسن، وتباغضت القلوب وقطع

(١) رواه أحمد بسند جيد.

(٢) رواه أبو يعلى والبخاري والطبراني عن العباس بن عبد المطلب، والبخاري عن عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — والطبراني عن رجال ثقات عن أم الفضل بنت العباس رضي الله عنهم..

(٣) رواه أحمد بن منيع بأسناد حسن.

(٤) رواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي.

(٥) رواه أبو داود.

(٦) رواه ابن ماجه.

(٧) رواه الحاكم في تاريخه.

(٨) رواه أبو شعيب الحراني في فوائده، وأبو داود، والحاكم في المستدرک من حديث قتادة وأنس وأبي سعيد، ورواه أحمد

وأبو داود وابن ماجه والحاكم من حديث أنس وحده.

كل ذي رحم رحمه، فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم<sup>(١)</sup>

### التجارة بالدين:

ومن مظاهر الانحراف الديني التي أشارت إليها النصوص، التجارة بالدين، وخصوصا بالقرآن الكريم، وهو ما نراه اليوم من التجارة بالرقية وقراءة القرآن على الموتى وغير ذلك من أنواع التجارة بالقرآن الكريم:

ومما يروى في ذلك ما ذكر عن عمران بن حصين — رضي الله عنه — أنه مر على قارئ يقرأ القرآن يسأل الناس به، فاسترجع عمران وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من قرأ القرآن فليسأل به الله، فانه ستجئ أقوام يقرأون القرآن، ويسألون به الناس)<sup>(٢)</sup>

وفي حديث آخر عنه — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (اقرأوا القرآن، وسلوا الله به قبل أن يأتي قوم يقرأون القرآن فيسألون الناس به)<sup>(٣)</sup>

وفي حديث آخر عن جابر — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال: (اقرأوا القرآن، وابتغوا به الله من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه)<sup>(٤)</sup>

ومن هذا الباب إخباره ﷺ عن أقوام يأكلون بألستهم كما تأكل البقر، فعن عمر بن سعد قال: كانت لي حاجة الى أبي، فقدمت بين يدي حاجتي كلاما، مما يحدث الناس يتوصلون به لم يكن سعد يسمعه، فلما فرغت قال: يا بني فرغت من كلامك؟ قلت: نعم، قال: ما كنت من حاجتك أبعد ولا كنت فيك أزهدي مني منذ سمعت كلامك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (سيكون قوم — وفي لفظ: لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم — يأكلون بألستهم كما يأكل البقر بألستهم من الأرض)<sup>(٥)</sup>

### رفع العلم:

ومن المظاهر الكبرى التي هي أساس كل الانحرافات السابقة، ما أخبر عنه ﷺ من رفع العلم الشرعي، واتخاذ الناس بدلهم رؤساء جهالا يفتنون بأهوائهم:

ومما يروى في ذلك، وفي صفة رفعه قوله ﷺ: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما، اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)<sup>(٦)</sup>

وفي حديث آخر عن أبي أمامة — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (يا أيها الناس خذوا من العلم قبل أن يقبض العلم، وقبل أن يرفع العلم)، قيل: يا رسول الله، كيف يرفع العلم وهذا القرآن بين أظهرنا؟ فقال: (ثكلتك امك، وهذه اليهود والنصارى أو ليست بين أظهرهم المصاحف لم يصبحوا يتعلقوا

(١) رواه الطبراني في الأوسط عن سلمان.

(٢) رواه احمد وابن منده.

(٣) رواه احمد والطبراني في الكبير، والبيهقي في الشعب.

(٤) رواه احمد وابو داود وابن منيع والبيهقي في الشعب والضياء.

(٥) رواه مسدد وابن أبي شيبة وأحمد، والضياء في المختارة والنسائي وابن حبان والحرائطي في مكارم الاخلاق.

(٦) رواه البخاري ومسلم.

بالحرف مما جاءهم به أنبيأؤهم ألا وان ذهاب العلم أن تذهب حملته<sup>١</sup> والعلم الذي يقصده ﷺ في هذا الحديث هو العلم بالدين، أما العلم الآخر المرتبط بمراقف الحياة، فقد أشار ﷺ إلى انتشاره والاهتمام به، وهذا ما يشير إليه قوله ﷺ: (إن من أشراط الساعة أن يظهر القلم)<sup>٢</sup> ومما يؤكد الإشارة إلى أنه العلم الديني قوله ﷺ: (من اقترب الساعة كثرة القراء، وقلة الفقهاء وكثرة الأمراء وقلة الأمناء)<sup>٣</sup>، وقوله ﷺ: (سيأتي على أمي زمان يكثر فيه القراء ويقل فيه الفقهاء، ويقبض العلم ويكثر الهرج)<sup>٤</sup>

وأخبر ﷺ عن آثار قبض هذا النوع من العلم، فقال: (من أشراط الساعة أن يتدافع أهل المسجد لا يجدون إماماً يصلي بهم)<sup>٥</sup>

وقد ذكر ﷺ أن أول العلوم الشرعية ارتفاعاً علم الفرائض، فعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (تعلموا الفرائض وعلموها الناس، فإنه نصف العلم، وإنه ينسى، وهو أول شيء يترع من أمي)<sup>٦</sup> وفي حديث آخر عن ابن مسعود — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (تعلموا الفرائض، وعلموا الناس، فإني امرؤ مقبوض، وإن العلم سيقبض وتظهر الفتن حتى يختلف اثنان في الفريضة، فلا يجدان من يفصل بينهما)<sup>٧</sup>

ومن المظاهر الخطيرة لرفع العلم ما أخبر عنه ﷺ من ظهور من يرد سنته، ويدعو إلى عدم العمل بها، ومما يروى في ذلك ما حدث به المقدم بن معدي كرب، عن رسول الله ﷺ قال: (ألا ابني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته، يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه)<sup>٨</sup>

وفي حديث آخر عن أبي رافع — رضي الله عنه — عن النبي ﷺ قال: (لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري، فما أمرت به، أو نهيت عنه، فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله تعالى اتبعناه)<sup>٩</sup>

ومن المظاهر الخطيرة لرفع العلم ما أخبر عنه ﷺ من ظهور من الاهتمام بالمشاهجات، والغفلة عن المحكمات، فعن عائشة — رضي الله عنها — قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ

(١) رواه أحمد والدارمي والطبراني في الكبير وأبو الشيخ في تفسيره، وابن مردويه.

(٢) رواه أحمد، والبخاري، والطبراني، وغيرهم عن ابن مسعود.

(٣) رواه الطبراني عن عبدالرحمن الأنصاري.

(٤) رواه الحاكم والطبراني عن أبي هريرة.

(٥) رواه أحمد وأبو داود عن سلامة بنت الحران.

(٦) رواه ابن ماجه والدارقطني والحاكم والشيخزي في الالقباب والبيهقي.

(٧) رواه أحمد والترمذي والنسائي والبيهقي والحاكم، واللفظ له.

(٨) رواه البيهقي.

(٩) رواه أبو داود والبيهقي.



ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ (آل عمران: ٧)، فقال: (إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين رَمَى اللَّهُ فاحذروهم) <sup>١</sup>

وقد حصل ما أخبر عنه ﷺ فنحن نرى في عصرنا طوائف من هؤلاء لا هم لها إلا البحث في النصوص المتشابهة فيما يتعلق بالله وصفاته، فيغفلون عن أسماء الله الحسنى التي هي محل اتفاق الأمة جميعاً، فلا يكادون يعرجون عليها، بينما نراهم يتهاكفون على الساق واليد والهرولة والجري يصفون الله بها، ولا يكادون يصفون بغيرها.

## ٢ - الانحراف الاجتماعي:

ومن مظاهر الانحراف التي تحدثت عنها النصوص الانحراف الاجتماعي الذي يتجلى في مظاهر مختلفة.

### فشو التقليد:

منها ما أخبر به ﷺ من فشو التقليد في هذه الأمة، وأخذها بما أخذت سائر الأمم. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمي مأخذ القرون قبلها، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع)، فقيل له: يا رسول الله، كفارس والروم؟ قال: (ومن الناس إلا أولئك) <sup>٢</sup> وفي حديث آخر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضبٍ لاتبعتموهم)، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: (فمن) <sup>٣</sup>

ومن الاتباع والافتناء، أن يفعل أفراد من هذه الأمة ما حصل في الأمة السابقة، حتى لو كان غاية القبح والرذيلة، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لتركبن سنن من كان قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وبعاً بباع، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضبٍ لدخلتم، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلمتموه) <sup>٤</sup>

وأنتم تلاحظون دقة الرسول ﷺ في الإخبار عن الأمم التي سيقع المسلمون في تقليدها، وحصرهم في اليهود والنصارى، وهو ما نلاحظه في جميع فترات التاريخ الإسلامي، خاصة في عصرنا.

### تخلخل العلاقات:

ومنها ما أخبر عنه ﷺ من تخلخل العلاقات الاجتماعية، وهو ما عبر عنه ﷺ في حديث جبريل الطويل وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة، (قال له جبريل: فأخبرني عن الساعة؟ فقال رسول الله ﷺ): (المسؤول عنها بأعلم من السائل)، قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: (أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي، ورواه البزار برجال ثقات.

العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)<sup>١</sup>

فولادة الأمة لربتها يشير إلى انقلاب الموازين، وفساد العلاقات الاجتماعية، فيكثر العقوق في الأولاد، حتى يعامل الولد أمه معاملة السيد أمته من الإهانة بالسب والضرب والاستخدام<sup>٢</sup>.

قال عبد الحكيم: وربما يشير هذا إلى ما يسمى بالأرحام المستأجرة، والصورة العلمية لذلك<sup>٣</sup> هي شفت البويضة من مبيضها خلال منظار يخترق جدار البطن، وقد تمت هذه الخطوة، ثم تلقيح هذه البويضة بمني من الزوج يلتحم بها ليكونا بيضة تشرع في الانقسام إلى عديد من الخلايا، وقد تمت هذه الخطوة أيضا، ثم إيداع هذه الكتلة من الخلايا أي الجنين الباكر رحم امرأة أخرى بعد إعداده هرمونيا لاستقبال جنين.. فيكمل الجنين نماءه في رحم هذه السيدة المضيفة حتى تلده وتسلمه لوالديه اللذين منهما تكون.

وهذه الخطوة لم تتم بعد، ولكنها بلغت درجة الممكن، وقد تمت بنجاح في الحيوانات بل وعلى درجتين، إذ تم استخراج أجنة نعاج في بريطانيا وإيداعها رحم أرنية حملت بالطائرة لجنوب أفريقيا حيث استخرجت مرة أخرى وأودعت أرحام نعاج من فصيلة أخرى حضنتها حتى ولدتها على هيئة سلالتها الأصلية.

فهذا لو نجح في المستقبل، فسيجعل من النساء الرافيات يحنن عن مستأجرات يحملن أولادهن، وقد تكن خادمات عندهن، ويكون الولد بذلك سيذا على والدته، وهو ما عبر عنه ﷺ بالولادة.

ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا ما أخبر عنه ﷺ من قطيعة الرحم وسوء الجوار وظهور الفساد والفسح، فقد قال ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفاحش وقطيعة الرحم وسوء المجاورة)<sup>٤</sup> وقد حصل ما أخبر عنه النبي ﷺ فقد انحلت العلاقات الاجتماعية، فنحن نرى التقاطع وسوء الجوار حاصلًا بين الناس، حتى إن الجار لا يعرف جاره، والقريب لا يعرف عن بعض أرحامه، هل هم من الأموات أم من الأحياء.

### سلام الخاصة:

ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا أن يكون السلام على المعرفة، يعني ألا يسلم الإنسان إلا على من يعرف، فلو دخل داخل على مجلس فيه عدد من الناس يعرف بعضهم، ولا يعرف الآخرين، فإنه يتوجه إلى من يعرف، ويدع الآخرين.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن من أشرط الساعة أن يسلم الرجل على الرجل، لا يسلم عليه إلا للمعرفة)<sup>٥</sup>

وحدث طارق بن شهاب قال: كنا عند عبد الله بن مسعود جلوساً، فجاء آذنه فقال: قد قامت الصلاة،

(١) رواه مسلم.

(٢) فتح الباري (١ / ١٢٢).

(٣) كما ذكرها الدكتور حسان حتوت في مجلة العربي.

(٤) رواه أحمد (١٠ / ٢٦ - ٣١) وقال أحمد شاكراً: إسناده صحيح، وأخرجه الحاكم في المستدرک (١ / ٧٥) وقال:

هذا حديث صحيح.

(٥) رواه أحمد وابن خزيمة والطحاوي والبزار والطبراني.

فقام وقمنا معه، فدخلنا المسجد، فرأينا الناس ركوعاً في مقدم المسجد، فكبر ورُكع ومشى، وفعلنا مثل ما فعل، قال: فمر رجلٌ مسرع، فقال: السلام عليكم يا أبا عبد الرحمن، فقال: صدق الله وبلغ رسوله ﷺ، فلما صلبنا رجوع، فوَلج أهلُه، وجلسنا في مكانه ننتظره حتى يخرج، فقال بعضنا لبعض: أيكم يسأله؟ قال طارق: أنا أسأله. فسأله طارق فقال: سلم عليك الرجلُ فرددت عليه، صدق الله وبلغ رسوله ﷺ. فقال عبد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة، وفشو التجارة، حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وظهور شهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وحتى يخرج الرجل بماله إلى أطراف الأرض، فيرجع فيقول: لم أربح شيئاً، وحتى تغلو الخيل والنساء، ثم ترخص، فلا تغلو إلى يوم القيامة)<sup>١</sup>

وقد حصل ما أخبر عنه النبي ﷺ، فنحن نرى هذا في عصرنا ينتشر انتشاراً عظيماً، مع أن المطلوب إفشاء السلام، كما قال ﷺ: (لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم)<sup>٢</sup>

ومما يدخل في هذا الباب ما أخبر عنه ﷺ من وقوع التناكر بين الناس، فعن حذيفة — رضي الله عنه — قال: سئل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال: (علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو، ولكن أخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها — وذكر منها — ويلقى بين الناس التناكر، فلا يكاد أحد يعرف أحداً)<sup>٣</sup>

### ٣ — الانحراف الخلقي:

ومن مظاهر الانحراف التي أخبر عنها رسول الله ﷺ الانحراف الخلقي، وما يجره من ويلات وخراب للنفوس والمجتمعات:

#### رفع الأمانة:

ومنها ضياع الأمانة وارتفاعها، فعن حذيفة — رضي الله عنه — قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، قد رأينا أحدهما وأنا انتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة، قال: (ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت<sup>٤</sup>، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل كجمر، دحرجته على رجلك فنفض<sup>٥</sup> فتراه منتبراً، وليس فيه شيء فيصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة، حتى يقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، حتى يقال للرجل: ما أكرمه ما أظرفه ما أعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان)<sup>٦</sup>

(١) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد والطحاوي بإسناد صحيح، وصححه الحاكم وأقره الذهبي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

(٤) الوكت: الأثر اليسير، وقيل: سواد يسير، وقيل: لون يحدث يخالف اللون الذي كان قبله.

(٥) النفض: هو التنفض الذي يصير في اليد من العمل بفأس أو نحوها، ويصير كالكبة فيه ماء قليل، وذكره مع أن الرحلة مؤنة لارادة العضو.

(٦) منتبراً: مرتفعاً ومنه المنبر لارتفاعه، وارتفاع الخطيب عليه.

(١) رواه مسلم.

ومعنى هذا الحديث أن الامانة تزول عن القلوب شيئا فشيئا، فإذا زال أول جزء منها، زال نورها وخلفته ظلمة كالوكت وهو اعتراض لون مخالف للون الذي قبله، فإذا زال شيء آخر صار كالحل وهو أثر محكم لا يكاد يزول الا بعد مدة، وهذه الظلمة فوق التي قبلها.

ثم شبه زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلب وخروجه بعد استقراره فيه واعتقاب الظلمة اياه بجمر يدحرجه على رحله حتى يؤثر فيها، ثم يزول الجمر ويبقى التنقط وأخذ الحصة ودحرجته اياها أراد بها زيادة البيان وايضاح المذكور.

وفي حديث آخر عن شداد بن أوس — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (أول ما تفقدون من دينكم الامانة)<sup>١</sup>

وفي حديث آخر عن زيد بن ثابت — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة، ورب مصل لا خلاق له عند الله)<sup>٢</sup>

### رفع الحياء:

ومن مظاهر الانحراف الخلقي رفع الحياء الذي جمع بينه ﷺ وبين رفع الأمانة، فقال: (أول ما يرفع من هذه الامة الحياء والامانة)<sup>٣</sup>

### التبرج:

ومنها التبرج الذي وصفه ﷺ بقوله: (صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)<sup>٤</sup>

ففي هذا الحديث وصف للتبرج الذي نراه بأعيننا في عصرنا، فقد وصف النساء بكونهن كاسيات عاريات، وذلك لم يتحقق إلا في الألبسة المعاصرة الشفافة أو المجسمة.

بل إنه ﷺ وصف تصفيفات الشعر، والتي تشبه كثيرا التصفيفات المعاصرة. وقد ربط ﷺ هذا بالرجال الذين معهم كأذناب البقر يضربون الناس، وفي ذلك إشارة إلى الحكومات المستبدة، وقمعها لشعوبها.

### ٤ — التطور المادي:

قال عبد القادر: ومن النبوءات الغيبية التي أحبر عنها رسول الله ﷺ ما يرتبط بهذه الحياة المادية المترفة التي توفرت لأهل هذا الزمان، فقد أشار ﷺ إلى مجامع كل ذلك.

لقد أشار إلى الاهتمام العمراني، ووسائل الاتصال والنقل.. وغيرها بأحاديث صريحة لا مجال فيها

(١) رواه الطبراني في الكبير.

(٢) رواه الحكيم الترمذي.

(٣) رواه الطبراني.

(٤) رواه مسلم.

للتأويل.

قال بعض الجمهور: هل يمكن هذا؟!.. إن هذا لعجيب.

قال عبد القادر: من شك في هذا، فليذهب إلى مخطوطات كتب الحديث القديمة ليرى هذه النصوص المعجزة التي تنبأ بكل دقة عن كثير من المكتشفات والمخترعات الحديثة، وسيرى فيها الشروح المتكلفة لبعض الشراح الذين لم يدركوا المقاصد الحقيقية التي توحى بها ظواهر النصوص.  
قالوا: فحدثنا عن بعض ذلك.

### الاهتمام بالعمران:

قال عبد القادر: من النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا ما أخبر عنه ﷺ من اهتمام المتأخرين بالعمران، وبالتطاول به، فقال: (إذا رأيت الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان فانتظر الساعة)<sup>١</sup>  
وفي حديث آخر قال ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن وحتى يتطاول الناس في البنيان)<sup>٢</sup>  
وفي حديث آخر قال ﷺ: (ما أنتم إذا مرج الدين، وسفك الدماء، وظهرت الزينة وشرف البنيان)<sup>٣</sup>  
وفي حديث آخر قال ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يبني الناس بيوتاً يوشونها وشي المراجيل)<sup>٤</sup>، والمراجيل: هي الثياب المخططة.

وفي حديث آخر قال ﷺ: (من أعلام الساعة وأشراطها أن يعمر خراب الدنيا ويخرب عمرانها)<sup>٥</sup>  
وقد وقع كل ما أخبر به ﷺ، ولا شك أنكم ترون كل ذلك رأي العين.. حتى ما ذكره ﷺ من تخريب العمران، وعمران الخراب، والذي قد صعب على السابقين فهمه، فإننا نراه اليوم رأي العين، حيث نجد المدن الجديدة تنشأ في الأماكن الخربة غير المعمورة، والمدن المعمورة تهدم لإعادة تخطيطها.  
والنبي ﷺ بهذا الحديث يشير إلى تغلب الاهتمام بالعمران على حساب الاهتمام بالإنسان، وقد جاء في الحديث ما يؤكد هذا، فقد قال ﷺ: (إن من أعلام الساعة وأشراطها أن تزخرف المحاريب وتخرّب القلوب)<sup>٦</sup>

### تقارب العالم:

ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا ما قاله ﷺ في تقارب الزمان، وطى الأرض، فقد قال ﷺ لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان وتزوى الأرض زياً<sup>١</sup>، أي تطوى ويضم بعضها إلى بعض.  
ونحن نرى هذا في الواقع، بل صار الناس يسمون العالم نتيجة تقاربه الشديد بالقرية الصغيرة، حيث

(١) البخاري ومسلم.

(٢) البخاري.

(٣) رواه الطبراني في الكبير.

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة.

(٥) رواه الطبراني عن أبي مسعود وابن عساكر عن محمد بن عطية.

(٦) رواه الطبراني في الكبير.

(١) رواه الطبراني في الكبير.

يستطيع أي شخص في أي مكان من العالم أن يتكلم ويرى العالم أجمع، ويتحدث مع من يشاء ويراه.

### وسائل النقل:

ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا ما ورد من ذكر تطور وسائل النقل، وهو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٨) فقد ذكر الله تعالى في هذه الآية الوسائل التي كانت مستعملة في ذلك الزمان، ثم أخبر بأنه سيخلق ما لا يعلمه أهل ذلك العصر.

وقد أشار ﷺ إلى بعض ذلك، فقد ذكر بأن زمناً سيأتي لا تستخدم فيه الإبل للتنقل وحمل الأمتعة، ومعلوم أن عدم استخدام الجمال مع وجودها إنما يكون بسبب وجود وسيلة أحسن، وليس هناك من الحيوانات ما هو أقدر من الجمال على السفر في الصحراء.

ولم يحصل ما أخبر ﷺ به إلا في هذا الزمان الذي نرى فيه تعطل الجمال عن حمل الأمتعة، وهي ظاهرة في ازدياد كل يوم، قال ﷺ: (ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها)<sup>١</sup> وفي حديث آخر، قال ﷺ: (يكون في آخر الزمان رجال يركبون على الميائير حتى يأتون أبواب المساجد)<sup>٢</sup>، وقد فسر عمر بن الخطاب الميائير بالسروج العظام.

وهو ما أشار إليه الحديث الآخر الذي يقول فيه ﷺ: (سيكون في آخر أممي رجال يركبون على السروج كأشباه الرجال يتلون على أبواب المساجد)<sup>٣</sup> أتعلمون شيئاً يمكن أن ينطبق عليه هذا الوصف غير السيارات ذات المقاعد التي تشبه السروج العظيمة، والتي يركب الناس عليها إلى أبواب المساجد؟

فلم يعرف من المسلمين أنهم شدوا البغال والجمال أو الخيول ووضعوا عليها السروج العظيمة، ليذهبوا بها إلى المساجد، فلا شك أن هذه الوسيلة للمواصلات غير هذه، فالحديث يصف أن الركوب على السروج لا على الخيول أو الجمال أو غيرها من الحيوانات. ومما يؤكد هذه الإشارات أن النبي ﷺ سئل عن سرعة سير الدجال في الأرض، فقال: (كالغيث استديره الريح)، أي كسرعة سير السحب<sup>٤</sup>.

### المعادن الجديدة:

ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا إخباره ﷺ عن اكتشاف البشر لمعادن جديدة لم يكونوا يعرفونها من قبل.

وقد أخبر ﷺ أن هذه المعادن سيستغلها أراذل الناس، فقال: (ستكون معادن يحضرها شرار الناس)<sup>١</sup>، بل

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد والحاكم عن ابن عمر.

(٣) رواه أحمد والحاكم.

(٤) رواه مسلم.

(١) رواه أحمد.

أخبر أنها معادن كثيرة، فقال ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تظهر معادن كثيرة لا يسكنها إلا أرادل الناس)<sup>١</sup> فهذه نصوص صريحة تنطق بأهمية المعادن المكتشفة من البترول وغيره.

قالوا: فكيف ذكر محمد بأن الذي الذي يحضرها أرادل الناس؟

قال: لولا أن أرادل الناس هم الذي فتحت لهم لما رأيت العالم يتصارع من أجلها، ويقتل بعضهم بعضاً لأجل السيطرة عليها، ولا يكتفون بذلك بل يستخرجون من ها من السموم ما يهلكون به الحياة في البر والبحر.

قال مستأجر بولس: ولكن القرآن ذكر أن بركات الله يفتحها على القرى إذا آمنت، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (لأعراف: ٩٦)، فكيف تجمع هذا بهذا؟

قال عبد القادر: إن الذي قال هذا هو الذي قال: ﴿وَلَوْ لَا أَنَّ يَكُون النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (٣٣) وَزُخْرَفًا وَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٣٥) (الزخرف)

والجمع بينهما يسير، فالله تعالى ذكر في تلك الآية البركات، ولم يذكر المتاع والزخارف.

قالوا: فما الفرق بينهما؟

قال: كالفرق بين الطيب والخبيث.. فالبركات هي الفتوحات الطيبة، وغيرها من الفتوحات الخبيثة التي لا تزيد أهلها إلا ضلالاً وفساداً.

قالوا: فهذه النصوص تنهانا عن التمتع بهذه الفتوح.

قال: لا.. هذه النصوص تحبنا بالواقع.. وهي لا تأمر، ولا تنهى.. وإن شئنا أن نفهم منها أمراً.. فهو التحذير من أن نكون مثل هؤلاء الذين وردت عنهم هذه الأخبار.

### نطق الكائنات:

ومن النبوءات الغيبية المرتبطة بهذا ما ورد في الحديث من حديث السباع، ونطق الجماد، فقد قال ﷺ: (والذي نفسي بيده! لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس، وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله، ويخبره فخذة بما يحدث أهله بعده)<sup>٢</sup>

وقد بدأت أمارات هذا الحديث بالظهور، فأنتم ترون حيوانات السيرك تأتي بالغرائب، والكلاب (البوليسية) تدل الشرط على معلومات، فقد تكون هذه طرفاً من تفسير الحديث، والمستقبل متسع لما هو أكبر من هذا.

أما حديث السوط والنعلين عما أحدث الأهل في البيت، ففيه إنباء بنطق الجماد وقد نطق، وفيه إنباء بأجهزة الاستقبال التي تمكن صاحب البيت من الاطلاع على معلومات من داخل بيته بواسطة مراسلات معينة

(١) رواه الطراني في الأوسط.

(٢) رواه أحمد والترمذي والحاكم وابن حبان.

تستقبلها أجهزة استقبال توضع في النعلين، أو في سوط يحمل باليد، وقد نطق الجماد اليوم، والمستقبل يتسع لتفسير باقي الحديث.



## نهاية الدنيا

قام رجل من الجمع، وقال: إن كل ما ذكرته من هذا يدل على أن الله أتى محمدا من العلم ما استطاع أن يصور به صورة للعالم والمجتمعات من بعده..

قاطع عبد الحكيم، وقال: ولم يذكر محمد ﷺ ذلك إلا من باب الشفقة على أمته من بعده، فهو حريص عليها في حياته وبعد مماته.

قال عبد القادر: وهو كذلك برهان ودليل على نبوته، فلولا الاقتناع بنبوته ما يتم الاندراج ضمن أمته.

قال الرجل: لقد أيقنا ذلك.. وهذا ما دعاني لأن أسألك هذا السؤال الذي يحير البشر جميعا.

قال عبد القادر: تريد أن تسأل عن أخبار نهاية الدنيا، ونهاية البشر على الأرض.

قال الرجل: أجل.. ما عدوت ما أقصده.. فكما أن في البشر شوقا لمعرفة أصولهم، فإن لهم شوقا في

معرفة النهاية التي ينتهون إليها.

وقد ذكرت عن محمد ﷺ أنه أخبر الكثير من الصحابة ﷺ عن الحوادث المرتبطة بوفاتهم.. فهل اقتصر

حديثه على الأفراد، ولم يتعد إلى البشر؟

قال عبد القادر: كلا.. بل إن الله تعالى أوحى لمحمد ﷺ من علوم ذلك علوما كثيرة نافعة مفصلة تمتلي

نصحا ومودة.

### تاريخ الساعة:

قال الرجل: فأخبرنا عن ذلك.. وابدأ حديثك بالمدة التي بقيت للبشر على الأرض، فقد سمعنا بعض

الوعاظ يخبرنا من تفاصيل ذلك ما يكاد يحدد لها تاريخا معينا.

انتفض عبد الحكيم، وقال بغضب: كذب أولئك الدجالون، فقد انفرد الله بعلم الساعة، فلا يعلمه غيره،

وقد قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٧)

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيْمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا

(٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا (٤٥) كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦)﴾ (النازعات)

(١) هناك شبهات كثيرة ترتبط بهذا الباب يثيرها بعض الوعاظ الجهلة، وهي تحدد عمر الأمة بعمر معين، وذلك مما يستنتج

منه موعد الساعة بالضبط.

وكل ما ورد في ذلك من الحديث لا يصح، ومنها ما وري من قوله ﷺ: «إني لأرجو أن تنجو أمي عند ربها من أن يؤخرها

نصف يوم، قيل لسعد: وكم نصف يوم؟ قال: خمسمائة سنة»، وقد تفرد به أبو داود.

ولم يصح عن الرسول ﷺ أنه لا يمكث في الأرض قبل الساعة ألف سنة، ولم يجدد الرسول مدة معينة لقيام الساعة.

قال ابن كثير: فأما ما يورده كثير من العامة من أن النبي ﷺ لا يؤلف تحت الأرض فليس له أصل، ولا ذكر في كتب الحديث

المعتمدة ولا سمعناه في شيء من المبسوطات ولا شيء من المختصرات، ولا ثبت في حديث عن النبي ﷺ أنه حدد وقت الساعة

بمدة محصورة وإنما ذكر شيئا من أشراتها وأماراتها وعلاماتها.

ففي هذه الآيات وغيرها إخبار من الله تعالى بأنه لا يعلم أحد متى الساعة إلى الله، وأنها ستأتي بغتة من حيث لا يشعر الناس، وأنها في ذلك كالأجل الذي يتوفى عنده الإنسان، وقد قال ﷺ: (إن الساعة تهيج بالناس، والرجل يصلح حوضه، والرجل يسقي ماشيته، والرجل يقيم سلعته في السوق ويخفض ميزانه ويرفعه)<sup>١</sup> وقال ﷺ: (تقوم الساعة والرجل يجلب اللقحة، فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم الساعة. والرجلان يتبايعان الثوب فما يتبايعانه حتى تقوم. والرجل يلوط حوضه فما يصدر حتى تقوم)<sup>٢</sup>

وقال ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه. ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه. ولتقومن الساعة وهو يليب حوضه فلا يسقي فيه. ولتقومن الساعة والرجل قد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها)<sup>٣</sup>

ولهذا لما جاء جبريل عليه السلام في صورة أعرابي، يعلم الناس أمر دينهم، فجلس من رسول الله ﷺ مجلس السائل المسترشد، وسأله عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن الإحسان، ثم قال: فمتى الساعة؟ قال له رسول الله ﷺ: (ما المستول عنها بأعلم من السائل) ٤ أي: لست أعلم بما منك، ولا أحد أعلم بما من أحد، ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٣٤)

ولما سأله ذلك الأعرابي وناداه بصوت جهوري فقال: يا محمد، قال له رسول الله ﷺ: (هـاء — نحواً من صوته — قال: يا محمد، متى الساعة؟ قال له رسول الله ﷺ: (وبحك إن الساعة آتية، فما أعددت لها؟) قال: ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام، ولكني أحب الله ورسوله. فقال له رسول الله ﷺ: (المرء مع من أحب)، فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث<sup>٥</sup>.

فها أنت ترى النبي ﷺ يوجه السائل إلى ما ينبغي أن يفعله، وهو الإعداد للساعة، لا ما يبحث عنه الغافلون من البحث عن موافقتها، وقد حكاه الله تعالى عن الكفار، فقال: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (الشورى: ١٨)

قام رجل من الحاضرين، وقال: إن عقلي يكاد يستعصي على ما يذكره الناس من شأن الساعة، وأنا رجل لا يؤمن إلا بالعلم.. فهل في العلم ما يدل على إمكان وجود شيء اسمه الساعة.. فهو أهم عندي من زمان وجودها؟

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٩٧/١٣) والتعلي في تفسيره كما في تحريج أحاديث الكشاف للزبيعي (٤٧٥/١) وهو مرسل.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) رواه مسلم.

قال عبد الحكيم: العلم لا يدل إلا على ذلك.. أجبني: لقد كانت هناك حيوانات تعيش قبل (٦٥) مليون سنة على وجه الأرض تسمى الديناصورات، فهل تعرفها؟

قال الرجل: أجل.. لقد كانت المخلوقات في ذلك الحين تختلف عما نعرفه الآن عن الحيوانات الموجودة في زماننا هذا، لقد كانت أمة كاملة تعيش على وجه الأرض وكان لها حشراتا وطيورها وأسمائها الخاصة بها، وهو عالم يختلف تماما عن عالمنا.

قال عبد الحكيم: فأين ذلك العالم الآن؟

قال الرجل: هناك نظريات كثيرة في سر اختفائه.. لعل أهمها عندي أن جرما سماويا نزل إلى الأرض، فصعقت كل الأحياء الموجودة على وجه الأرض، ودمرت تدميراً وانتهت بذلك فئة الديناصورات عن وجه الأرض.

قال عبد الحكيم: فقد قامت ساعة الديناصورات إذن؟

سكت الرجل، فقال عبد الحكيم: أنت تعلم أن الكون بدأ بانفجار كبير (Big Bang) حصل منذ ملايين السنين، وما زال يتمدد حتى الآن.. فهل ذكر العلماء نهاية لهذا الامتداد؟  
قال الرجل: أجل.. هناك نظريتان علميتان: الأولى تقول بأن الكون سوف يكون له نهاية، إما أن يستمر الكون بالتتمدد حتى تنفقد الجاذبية بين الكواكب، ويصبح كل شيء عشوائياً، وعند ذلك تخرج الأرض من مدارها حول الشمس وتنتهي الحياة عليها.

والنظرية الثانية تقول بأن الكون سوف يرجع وينطبق على نفسه كما كان قبل أن يبدأ الانفجار، وبذلك سوف ينعدم الكون، وبانعدام الكون ستندم الأرض وما عليها.

قال عبد الحكيم: فهذا هو العلم إذن يثبت لزوم الساعة، بل إن النظرية الثانية تنطبق تماماً على ما ذكره القرآن الكريم من كيفية نهاية هذا العالم الذي نعيش فيه، فقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الانباء: ١٠٤)  
لست أدري كيف نطقت قائلاً: لقد ذكرت بأن محمداً لم يذكر موعداً للساعة.

قال عبد الحكيم: أجل.. وقد ذكرت لك من النصوص القطعية من القرآن الكريم والسنة المطهرة ما يدل على ذلك.

قلت: ولكنه قد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة قالت: كانت الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ، سألوه عن الساعة: متى الساعة؟ فنظر إلى أحدث إنسان منهم فقال قال: (إن يعيش هذا لم يدركه الهرم حتى قامت عليكم ساعتكم) ١

قال عبد الحكيم: صدق رسول الله ﷺ، والساعة المرادة هنا هي الموت، ولهذا قال النبي ﷺ (ساعتكم)، فمن مات فقد قامت قيامته.

ويشير إلى هذا ما ورد في الحديث عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بشهر،

قال: (تسألوني عن الساعة، وإنما علمها عند الله. وأقسم بالله ما على ظهر الأرض اليوم من نفس منفوسة، تأتي عليها مائة سنة)<sup>١</sup>

وقد فسر ابن عمر ذلك، فقال: وإنما أراد رسول الله ﷺ انخراط ذلك القرن<sup>٢</sup>.

### أشراط الساعة:

قال الرجل: ما دام موعد الساعة مجهولا، فما علاماتها؟.. لقد ذكرت أن للساعة علامات؟  
قال عبد القادر: أجل.. وقد وردت بتلك العلامات النصوص، وهي من النبوءات الغيبية التي لا شك في أنها ستحصل، فلم تعودنا النصوص المقدسة إلا على الصدق.

لقد أشار القرآن الكريم إلى أن علامات الساعة قد بدأت، فقال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ (محمد: ١٨)

وهذا المعنى ورد في آيات أخرى كثيرة، فقد قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (القمر: ١)، وقال تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النحل: ١)، وقال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ (الانبيا: ١)

بل إنه ورد في الأحاديث ما يدل على أن بعثة رسول الله ﷺ من أشراط الساعة؛ لأنه خاتم الرسل الذي أكمل الله به الدين، وأقام به الحجة على العالمين.

وقد ورد في الحديث عن سهل بن سعد قال: رأيت رسول الله ﷺ قال بأصبعيه هكذا، بالوسطى والتي

تليها: (بعثت أنا والساعة كهاتين)<sup>٣</sup>

هنا انتفض بولس، وكأنه وجد غنيمته، فقال: اسمعوا يا قوم لما يقول هذا الرجل.. أليست هذه نبوءة كاذبة؟!.. إن روائح الكذب المنتنة تفوح منها.. لقد مر على محمد أكثر من ألف وأربعمائة سنة، ومع ذلك لم تقم القيامة، فكيف بالملدة القصيرة التي ذكرها؟

نفض عبد الحكيم، وقال: أتعلم كم عمر الكون؟

قال رجل من الجمع: لقد علم ذلك، فقد توصلت وكالة الفضاء الأمريكية ناسا مؤخراً، وذلك باستخدام مكوك فضائي مزود بمحسبات متطورة جداً لدراسة الكون، حيث قدرت عمر الكون بـ ١٣،٧ مليار سنة<sup>٤</sup>.

قال عبد الحكيم: فهل يمكن اعتبار ١٤٠٠ سنة أمام هذه السنين الطوال؟

سكت الرجل، فقال عبد القادر: فهذا يدل على أن كل ما يحصل الآن من علامات الساعة، ولهذا رأينا رسول الله ﷺ يعبر في الكثير من النبوءات السابقة، والتي رأيناها بعيوننا، بأنها من علامات الساعة.  
قال الرجل: لم نرد هذا.. بل أردنا علامات الساعة القريبة.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري.

(٤) انظر: موقع قناة الجزيرة (ناسا تعلن تمكنها من كشف عمر الكون) الأربعاء ١١/١٢/١٤٢٣هـ الموافق

(٢٠٠٣/٢/١٢م)

قال عبد القادر: لقد ذكر القرآن الكريم بعض علامات الساعة الكبرى، كياجوج ومأجوج، والداية، وظهور المسيح ﷺ:

لقد قال الله تعالى يذكر ياجوج ومأجوج: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (٩٦) وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ (الأنبياء)

وقال تعالى يذكر الداية: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (النمل: ٨٢)

وقال تعالى عن المسيح ﷺ: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِسَاءَةَ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (الزحرف: ٦١)، وقال عنه: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (النساء: ١٥٩)، ومن المعلوم أن المسيح ﷺ لم يمت بل رفعه الله إليه حياً، وقد فسر المفسرون هاتين الآيتين بزول عيسى مرة ثانية كما تواترت بذلك الأحاديث ولم يشذ عن هذا التفسير إلا القليل.

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد ذكر بعض هذه العلامات قبل قيام الساعة فإن السنة النبوية تفيض بذكر العلامات المختلفة الصغرى والكبرى.

وبما أنه سبق وأن ذكرنا الكثير من العلامات الصغيرة، والتي رأينا انطباقها التام على واقعنا، فسأذكر لكم بعض الأحاديث التي تصور نهاية الدنيا، بناء على رغبتكم في ذلك.

فقد ذكر رسول الله ﷺ عشر آيات كبرى، فقال: (لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والداية، وخروج ياجوج ومأجوج، وخروج عيسى ابن مريم عليه السلام، والدجال، وثلاثة خسوف: خسف بالمغرب، وخسف بالشرق، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن<sup>١</sup> تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا)<sup>٢</sup>

وقد أخبر رسول الله ﷺ أن أخطر هذه العلامات هو ظهور الدجال، قال ﷺ: (بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر)<sup>٣</sup>

ولهذه الخطورة التي يمثلها الدجال على الإيمان ذكر النبي ﷺ الكثير من التفاصيل المرتبطة به، بل أعطى المؤمنين الطرق التي يتوقون بها من الدجال، فعن ابن عمر — رضي الله عنهما — قال: كنا نتحدث عن حجة الوداع، والنبي ﷺ بين أظهرنا، ولا ندري ما حجة الوداع، حتى حمد الله رسول الله ﷺ، وأثنى عليه، ثم ذكر المسيح الدجال فأطنب في ذكره، وقال: ما بعث الله من نبي إلا أنذرته أمته: أنذره نوح والنبيون من بعده، وإنه إن يخرج فيكم فما خفي عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم، إن ربكم ليس بأعور، وإنه أعور عين اليمين،

(١) ذكر الشيخ عبد المجيد الزنداني أن عدن تقع على فوهة بركان.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

كأن عينه عنبةٌ طافيةٌ. ألا إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد - ثلاثاً - ويلكم، أو: ويجكم، انظروا: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض<sup>١</sup>

ومن التفاصيل التي وردت في شأنه ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: (إن الدجال يخرج، وإن معه ماءً وناراً؛ فأما الذي يراه الناس ماءً، فنارٌ تحرق، وأما الذي يراه الناس ناراً، فماءٌ باردٌ عذبٌ، فمن أدركه منكم، فليقع في الذي يراه ناراً، فإنه ماءٌ عذبٌ طيبٌ)<sup>٢</sup>

بل إن النبي ﷺ ذكر مدة لبثه، وما يحصل بعدها، فقال: (يخرج الدجال في أمي فيمكث أربعين، لا أدري أربعين يوماً، أو أربعين شهراً، أو أربعين عاماً، فيبعث الله تعالى عيسى ابن مريم، صلى الله عليه وسلم، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله، عز وجل، ريحاً باردةً من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقال ذرةٍ من خيرٍ أو إيمانٍ إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل، لدخلته عليه حتى تقبضه، فيبقى شرار الناس في خفة الطير، وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان، فيقول: ألا تستحيون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دارٌ رزقهم، حسنٌ عيشهم، ثم ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحدٌ إلا أصغى ليتهاً ورفع ليتهاً، وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله - أو قال: يتزل الله - مطراً كأنه الطل أو الظل، فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هلم إلى ربكم، وفقوهم فمهم مسؤولون، ثم يقال: أخرجوا بعث النار فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين؛ فذلك يوم يجعل الولدان شيباً، وذلك يوم يكشف عن ساق)<sup>٣</sup>

وأخبر ﷺ عن المؤمنين الذين يقفون في وجه الدجال، مستنيرين في ذلك بوصية رسول الله ﷺ، فقال: (يخرج الدجال فيتوجه قبله رجلٌ من المؤمنين فيتلقاه المسالِحُ، مسالِح الدجال، فيقولون له: إلى أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج، فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاءً! فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه، فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس إن هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ، فيأمر الدجال به فيشبح؛ فيقول: خذوه وشجوه، فيوسع ظهره وبطنه ضرباً، فيقول: أو ما تؤمن بي؟ فيقول: أنت المسيح الكذاب! فيؤمر به، فيؤشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجله، ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول له: قم، فيستوي قائماً. ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرةً. ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحدٍ من الناس، فيأخذه الدجال ليذبحه، فيجعل الله ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً، فلا يستطيع إليه سبيلاً، فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) اللبت: صفحة العنق، ومعناه: يضع صفحة عنقه ويرفع صفحته الأخرى.

(٤) رواه مسلم.

(٥) المسالِح: هم الخفراء والطلائع.

به، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار، وإنما ألقى في الجنة فقال رسول الله ﷺ: (هذا أعظم الناس شهادةً عند رب العالمين) <sup>١</sup>

وقد ذكر ﷺ في حديث طويل سير الأحداث التي تبدأ من ظهور الدجال، وتنتهي بالقيامة، فقال — وقد رأى خوف الصحابة الشديد من فتنة الدجال —: (غير الدجال أخوفني عليكم؛ إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم؛ وإن يخرج ولست فيكم، فامرؤٌ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم. إنه شابٌ قططٌ عينه طافيةٌ، كأبي أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف؛ إنه خارجٌ حلةً بين الشام والعراق، فعات يميناً وعات شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً: يومٌ كسنة، ويومٌ كشهر، ويومٌ كجمعة، وسائر أيام كأيامكم قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنةً أتكفينا فيه صلاة يومٍ؟ قال: لا، أقدره له قدره قلنا: يا رسول الله وما إسرعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدرته الريح، فيأتي على القوم، فيدعوهم، فيؤمنون به، ويستجيبيون له فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى، وأسبعه ضروعاً، وأمدته خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم، فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيءٌ من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيغاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شاباً فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعو، فيقبل، ويتهلل وجهه ويضحك، وبينما هو كذلك إذ بعث الله تعالى المسيح ابن مريم، صلى الله عليه وسلم، فيترل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه، قطر وإذا رفعه تحدر منه جمانٌ كاللؤلؤ، فلا يحل لكافرٌ يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي إلى حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه ببابٍ لِدٍ فيقتله، ثم يأتي عيسى، صلى الله عليه وسلم قوماً قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله تعالى إلى عيسى صلى الله عليه وسلم إني قد أخرجت عبداً لي لا يدان لأحدٍ بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، رضي الله عنهم، إلى الله تعالى، فيرسل الله تعالى عليهم النغف في رقايمهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضي الله عنهم، إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبرٍ إلا ملأه زهمهم ونتاجهم، فيرغب نبي الله عيسى، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضي الله عنهم إلى الله تعالى، فيرسل الله تعالى طيراً كأعناق البخت، فتحملهم، فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله عز وجل مطراً لا يكن منه بيت مدرٍ ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة، ثم يقال للأرض: أنبئي ثمرتك، ووردي بركتك، فيومئذٍ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم

(١) رواه مسلم. وروى البخاري بعضه بمعناه.

كذلك إذ بعث الله تعالى ريحاً طيبةً، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمنٍ وكل مسلمٍ؛ ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة<sup>١</sup>

\*\*\*

ما إن وصل عبد القادر من حديثه إلى هذا الموضوع حتى صاح بعض الحاضرين: آمنت بالله ورسوله.. وصدق الله ورسوله.. فلا يقول كل ما ذكرت إلا نبي.

قال آخر: صدقت.. فمن له القدرة على ذكر كل هذه التفاصيل والعلوم؟

قال آخر: لو طبقنا المقاييس التي ذكرها القس على هذه النبوءات، فإن ذرات الأرض جميعاً لا تستطيع أن تتحمل دقة الصدق الذي تحمله.

وقال آخرون كلاماً كثيراً قريباً من هذا.

لم يملك بولس إلا أن يطأطئ رأسه، ثم يتسلل خارجاً دون أن يلتفت له أحد.

أما الجمهور، فقد سار نحو عبد القادر وعبد الحكيم يصفحهما بجملة.

وأما أنا.. فقد سرت خلف بولس مطأطئ الرأس.. ولكن بصيصاً جديداً من النور نزل علي، ملأت

أشعته جوانح قلبي، اهتديت به بعد ذلك إلى شمس محمد.



## خامسا — تحديات

في اليوم الخامس .. جاعني بولس — كعادته — ممتلئا نشاطا، وكأن ما حصل له أمس، وفي الأيام السابقة لم يزده إلا إصرارا على استكمال التدريبات الفاشلة التي راح يدريني عليها.

قلت: أراك عظيم النشاط هذا اليوم.. كعهدي بك.. ألم يؤثر فيك ما حصل أمس؟

قال: الرجل القوي لا يؤثر فيه شيء.. والنصر لمن صبر، وثبت، لا لمن استعجل وانتكس.

قلت: فأنت لا تزال تصمم على التحدي إذن؟

قال: ما دامت لي أسلحة فتاكة لا يمكنني أن أرفع الراية البيضاء.

قلت: فما بقي لديك من الأسلحة.

قال: لدي اليوم سلاح لا يغلب.. وصواريخ لا تصد.. وقنابل لا تقهر.

قلت: والدبابة.. هل لديك دبابة تتحصن فيها؟

قال: لا أحتاج إلى دبابة.. فليس عند خصمي أي سلاح يمكن أن يواجهني به.

قلت: لا ينبغي أن تغتر لهذه الدرجة، وتستهن بقدرات خصمك.. لقد ذهبنا أمس بسلاحنا النووي، فلم

يفعل شيئا..

قال: ذاك سلاح يعتمد الكلام.. أما هذا السلاح، فهو سلاح أفعال.

قلت: ما هذا السلاح الفعال؟

قال: التحدي.

قلت: تحدي عبد القادر وعبد الحكيم.

قال: لا.. هما أضعف شأنا.. بل هو سلاح التحدي الذي شهره المسيح في وجه من شكوا فيه، أو أنكروا

ألوهيته.

قلت: فعلمي كيف أشحن هذا السلاح؟

قال: أنسيت طريقي في التعليم.. أنا لا أعلم إلا في وسط الجماهير.. فذلك التعليم هو الأجدى والأعظم

أثرا.

قلت: فأين نذهب اليوم؟

قال: إلى مدرسة من مدراس الخوارق.. نحن في الهند.. وفي الهند يهتمون بالخوارق.. ولا ينبغي أن ندفن ما

لدينا من أسلحة الخوارق.

سرت معه إلى المدرسة التي حدثني عنها، وهناك رأينا جماهير من الناس تجتمع حول رجال يمارسون

أساليب مختلفة من العجائب.

## ١ - الخوارق والألوهية

كان مستأجر بولس معهم، وكان يحفظ بكل دقة ما كلف بأن يقوله ذلك اليوم.. وربما يكون قد كلف من رفاقه من يعينه على التمثيلية التي يريد إخراجها، لإقناع من يريد بولس إقناعهم. ولذلك ما إن رأى بولس حتى صاح في الجمع: من منكم أيها المتلاعبون بقوانين الأسباب يستطيع أن يجيي ميتاً؟

ضحك الجميع، وقال أحدهم: ما هذا الجنون الذي تتحدث عنه؟.. نحن نمارس ما يسمى في منطق الناس بالخوارق.. ولكن ليس من الخوارق إعادة الحياة للموتى.. إن هذا مستحيل. قال المستأجر: ألكونك عاجزاً عنه رميته بالاستحالة؟ قال الرجل: بل لكونه مستحيلاً رميته بالاستحالة. قال المستأجر: فإذا حصل، وأحيا شخص ميتاً؟ قال الرجل: سيكون بذلك إلهاً أو أقنوماً من إله.. الإله وحده هو الذي يستطيع أن يجيي الموتى. هنا انتهز بولس الفرصة، فاخترق الجمع، وقال: أنا أعرف من أحيا الموتى.. وما دمتم ترون أن من أحيا الموت إله أو أقنوم من إله، فإني أدعوكم لهذا الإله العظيم. قالوا: فمن هو؟

قال: إنه النور الذي نزل إلى الأرض ليحييها، ويكفر خطايا أهلها.

قالوا: ما اسمه؟

قال: المسيح.

قالوا: فهل حصل وأن أحيا الموتى؟

قال: أجل.. لقد روي ذلك في كتابنا المقدس.. وهو لم يجيي ميتاً واحداً، بل أحيا موتى كثيرين.. وهو لم يجيي الموتى فقط، بل أتى بعجائب كثيرة لا تملكون معها إلا الإقرار بطبيعته الإلهية. سأذكر لكم بعض ما نص عليه الكتاب المقدس من ذلك.

فتح الكتاب المقدس، وراح يقرأ من (لوقا ٧: ١٩-٢٣): (فَدَعَا يُوحَنَّا اثْنَيْنِ مِنَ تَلَامِيذِهِ، وَأَرْسَلَ إِلَى يَسُوعَ قَائِلًا: (أَنْتَ هُوَ الْآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟) فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهِ الرَّجُلَانِ قَالَا: (يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ قَدْ أَرْسَلَنَا إِلَيْكَ قَائِلًا: أَنْتَ هُوَ الْآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟) وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ شَفَى كَثِيرِينَ مِنْ أَمْرَاضٍ وَأَدْوَاءٍ وَأَرْوَاحٍ شَرِيرَةٍ، وَوَهَبَ الْبَصَرَ لِعُمَيَّانٍ كَثِيرِينَ. فَاجَابَ يَسُوعُ: (أَذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوحَنَّا بِمَا رَأَيْتُمَا وَسَمِعْتُمَا: إِنَّ الْعَمَى يُبْصِرُونَ، وَالْعُرْجَ يَمْشُونَ، وَالْبُرْصَ يُطَهَّرُونَ، وَالصَّمَّ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ، وَالْمَسَاكِينَ يُشْبِرُونَ. وَطُوبَى لِمَنْ لَا يَعْثُرُ فِيَّ) أَنْتُمْ تَرَوْنَ كَيْفَ فَضَّلَ الْمَسِيحُ أَنْ يَجِيبَ عَلَى سُؤَالِ الْمَعْمَدَانِ بِالْأَفْعَالِ قَبْلَ الْأَقْوَالِ (فَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ شَفَى

كثيرين من أمراض وأدواء وأرواح شريرة، ووهب البصر لعُمَيَّانٍ كثيرين )

وبعد هذا البرهان النظري الوافي بأنه المسيح، أفهم الرسولين أن يبلغا مرسلهما الكريم خبر ما رأيا وسمعا من معجزاته وتعاليمه، وخصَّ بالذكر علامة روحية، هي أن شخصاً قد أحرز شهرة وأظهر سلطاناً بهذا المقدار،

ثم يعتني بتبشير المساكين، لا يمكن إلا أن يكون المسيح.  
ليس ذلك فقط..

لقد أحيا المسيح ابنة يائرس، والتي وردت قصتها في (مرقس ٥ : ٢١-٤٣)، فقد ذهب المسيح إلى كفر ناحوم، بعد أن طرده أهل حدره التي شفى فيها المجنون، وأهلك خنازيرهم، وكان في كفر ناحوم رجل اسمه يائرس، وهو رئيس المجمع هناك، وكانت له ابنة توشك على الموت، لم تنجح معها معالجات الأطباء، ولا خدمة الأقرباء ولا تضرعات الأحباء، ولم يبق رجاء إلا في الالتجاء إلى الناصري الشهير.

لا بد أن يائرس قرر الذهاب إلى المسيح ليطلب مجيئه إلى بيته، لكنه استصعب مفارقة وحيدته في حالتها هذه. كما أنه لم يكن ينتظر أن يأتي المسيح إلى بيته لو أرسل له آخر، ولا يمكن أن يأخذ ابنته إلى المسيح وهي في هذه الدرجة من الخطر، فأسرع يائرس بنفسه إلى الشاطئ، ووقع عند قدمي المسيح وسجد له.

وكم كانت دهشة الحاضرين عند رؤيتهم رئيسهم متذلاً بهذا المقدار أمام النجار الناصري الفقير، الذي هو رفيق للعشارين والخطاة، غير أن ما عرفه يائرس وأهل كفر ناحوم عن فضائل المسيح وفضله، يفسر شيئاً من هذا الاحترام غير المنتظر. لقد ذلت المصيبة الشديدة يائرس، وساقته إلى المسيح، فانفتح له باب الفرج، وتحولت مصيبتة إلى بركة أعظم.

صبر المسيح على يائرس إلى أن (طلب إليه كثيراً) ووصف حالة ابنته، وأظهر كامل الإيمان بالمسيح، لأنه قال: (ابنتي الصغيرة على آخر نسمة. ليتك تأتي وتضع يدك عليها تُشفى. تعال وضع يدك عليها فتحي). يستحيل أن يتغاضى المسيح عن طلب كهذا مقرون بإيمان، لأن الإيمان هو الدلو الوحيد الذي يسحب به الإنسان ماء الحياة من آبار الخلاص. وهو العين الوحيدة التي بها يرى الإنسان طريق السماء ليسير فيه، وهو اليد الوحيدة التي بها يتناول الإنسان خبز الحياة ليحيا به.

ربما تتساءلون: لماذا لم يأمر المسيح بالشفاء عن بُعد كما فعل مرتين قبلاً؟ ألا يكون في ذلك معجزة أبهج، وموجباً أقوى لإيمان الجمهور وأهل المدينة به؟

ربما كان ذلك لأن المسيح علم ما لم يعرفه يائرس أو غيره من الحاضرين، وذلك أن الابنة قد ماتت فعلاً بعد خروج أبيها من البيت. وبما أن رئيس المجمع عدو للمسيح، ففي ذهاب المسيح معه يظهر له محبة تكون لنا مثلاً في محبة العدو. وبما أن يائرس أتم الشروط الأربعة اللازمة لنوال بركات المخلص، فقد نال طلبه، وذهب المسيح معه إلى بيته.

قال مستأجر بولس: ما هذه الشروط الأربعة التي ننال بها بركات المسيح؟

قال بولس: تبدأ بالإتيان إلى المسيح.. ثم الإتضاع أمامه.. ثم الحرارة في الطلب منه.. ثم الإيمان الحي به.

هذه هي الشروط.. يمكن لأي شخص أن يفعلها في أي لحظة لينال بركات المسيح.

قال المجمع: واصل حديثك.. ماذا فعل المسيح؟

قال بولس: فيما كان المسيح منطلقاً زحمته الجموع، وبما أنه لا يمكن للمُحاط بازدهام كهذا أن يسرع

في السير، فلا ريب أن يائرس استاء من هذا البطء، لأن الدقائق كانت عنده كالساعات، لا بل كالأيام.

وزاده استياءً ووقوف المسيح في الطريق، ووقوف الجمهور معه بسبب امرأة مسكينة، كانت مريضة بتزف دم، غير أن هذا التأخير عاد على يائرس بالبركة في تقوية إيمانه وإحياء رجائه.

فقد اقتربت من المسيح امرأة مريضة بتزف دم منذ اثني عشرة سنة، هُدِّ قواها، وضِعَّ مالها على الأدوية بغير فائدة، كما أنه كان يُعتبر نجاسة بحسب طقوس شريعة موسى، لم تكن نازفة الدم تقدر أن تلتقي بالمسيح منفردة لتحكي له عن مرضها، ولم تكن تقدر أن تحكي عن مرضها جهاراً، فماذا تعمل؟

اجتمعت قوة إيمانها بالمسيح، مع شدة حاجتها إليه، فقالت في نفسها: (يكفيني لمس ثيابه فقط، ولي ملء اليقين أن ذلك يُبلي الشفاء، دون إزعاج المعلم والتعرض لملاحظة الجمهور). ولأنها لم تتوقف كالكثيرين عند الفكر الحسن والقول الصائب، نالت أمنيته. ولم يكن الازدحام مانعاً لها، بل اقتربت إلى وراء هذا الشافي ولمست هذب ثوبه، وللحال علمت بشفاؤها الفجائي على صورة لم تكن تتوقعها.

جاءت هذه المرأة وراء المسيح، فلم يرها ولم تلمس جسمه. فتوهمت أنه لا يحس بما فعلته. لكن لأنه عالم الخفايا، أوقف السير وسأل: (من لمس ثيابي؟) فظن الجميع حتى رسله أنه سأل استعلاماً. وناب بطرس المتسرع في الكلام عن زملائه في تلويح المسيح، وقال إن الازدحام جعل الكثيرين يلمسون ثيابك. لكن المسيح لم يسأل عن اللمس البسيط، بل عن لمس الإيمان، إذ لا شيء كالإيمان، وإيمان هذه المريضة هو الذي ميّزها عن الكثيرين غيرها، الذين كانوا مثلها يطلبون الشفاء. ومجرد لمس هُدْب ثوب المسيح مقروناً بالإيمان، كان باب الخلاص لها، بينما معاشره المسيح ومساكنته ثلاث سنين دون إيمان لم تأت بهذه النتيجة الجوهرية للإسخریوطي، بل زادت دينونة.

قصد المسيح بهذه المعجزة شفاءً جسدياً وروحياً، كما قصد تقوية إيمان تلاميذه ويائرس.

نظر المسيح إلى الورا وتطلع في نازفة الدم مبيئاً أنه عرفها، فارتعبت لأنها لا تعرف لطفه وحبه للناس، وخافت من القصاص على عمل لا حق لها فيه، أو على الأقل من توبيخ صارم أمام الجمهور، وإذ لم يعد يمكنها إلا الاعتراف العلني، تقدمت وسجدت له واعترفت بعلتها المخجلة أولاً: ثم بما فعلته خفية، وبالشفاء العجيب الذي نالته.

فكلمها حالاً بكلام كله عطف ورحمة قائلاً: (ثقي يا ابنة، إيمانك قد شفاك. اذهبي بسلام وكوني صحيحة من دائك).

ثم تابع المسيح مسيرته نحو بيت يائرس، وإذا برسولٍ من بيت يائرس يقول له: (ابنتك ماتت. لماذا تتعب المعلم بعد؟).

تُرى هل أسف يائرس على تدللُّ للمسيح، أو هل ندم على خروجه من بيته وغيبابه ساعة احتضار وحيدته؟ أولاً يتوقع شماتة زملائه الفريسيين الذين يكرهون هذا الناصري الذي لا يخضع لهم؟ ولكن المسيح استدرك هذا التأثير السييء، وطيب خاطرهم بقوله: (لا تخف. آمن فقط، فهي تُشفي).

فلما وصل المسيح والأب والجمع إلى البيت، أمر أن يبقى تلاميذه مع الجمهور خارجاً، ما عدا بطرس ويعقوب ويوحنا، الذين ابتدأ يميّزهم فوق رفقاتهم، فأدخلهم معه ليكونوا شهوداً للمعجزة العظيمة، وترك

التسعة خارجاً إيناساً للجمع الذي لم يسمح له بالدخول، وعند دخوله الدار تكدر من الضحيج والبكاء والنوح، وويخ القائمين بها، وسعى ليزيل أوهامهم في أمر الموت الجسدي، بإرجاعه روحاً إلى جسدها بعد الموت. وشبه الموت بالنوم بالنظر إلى القيامة الآتية، فقال للمجتمعين: (لماذا تضحون وتبكون؟ تنحوا. لا تبكوا. فإن الصبية لم تمت لكنها نائمة). فاستهزأ الجميع به ولا سيما النائحون المأجورون، وضحكوا عليه لعدم معرفته الفرق بين النائم والمات.

فأخرجهم من الغرفة - ولم يشهد هذه المعركة التي فيها يقهر المسيح الموت - إلا الوالد والوالدة والرسول الثلاثة. قيل عنه في الأنبياء إنه (يَبْلَعُ الْمَوْتَ إِلَى الْأَبَدِ، وَيَمْسَحُ السَّيِّدُ الرَّبُّ الدُّمُوعَ عَنْ كُلِّ الْوُجُوهِ) (إشعيا: ٢٥: ٨). (مِنْ يَدِ الْهَآوِيَةِ أَفْدِيَهُمْ. مِنَ الْمَوْتِ أَخْلَصَهُمْ. أَيْنَ أَوْبَاؤُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ شَوْكُكَ يَا هَآوِيَةُ؟) (هوشع ١٣: ١٤) ووصف الرسول عمله أنه (أَبْطَلَ الْمَوْتَ وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ) (٢ تيموثاوس ١: ١٠).

نرى الذي قال عن حياته: (لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً) يدخل مع هؤلاء الخمسة غرفة الموت، وبهذا السلطان يمسك يد الجثة، ويكلم الروح التي فارقت الجسد، ويرجعها إليه بقوله: (يا صبية قومي). وللوقت قامت الصبية ومشت، ثم أمر أباؤها أن يقدموا لها طعاماً، فأحدثت هذه المعجزة دهشة عظيمة.

امتألاً للجميع بالدهشة، فقال بولس: هل يمكن لمن يفعل هذا أن يكون بشراً عادياً؟ فجاءت سمعنا صوت عبد القادر، وهو يقول: لا.. لا يمكن أن يكون هذا بشراً عادياً، بل هو بشر فوق العادة، وإن شئت قلت: هو بشر مؤيد بمجد رباني يثبت رسالته إلى البشر.

انتفض بولس، الذي دهش للمفاجأة، وقال: لا.. بل هذا إله، أو أقنوم من إله، فالإله وحده هو الذي يتصرف في الطبيعة كما يشاء.

الإله وحده هو الذي يحيي الموتى، ألم تقرأ ما ورد في قرآنكم عن هذا، لقد جاء فيه في محاجة إبراهيم للنمرود: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥٨)

قال عبد القادر: صدقت.. الإله هو الذي يحيي، ولكنه قد يهب لمن يشاء هذه القدرة، فيحيي بإذن الله. لقد نص القرآن الكريم على هذا عند ذكره لمعجزات المسيح، يقول الله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٤٨) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٤٩)﴾ (آل عمران)

وفي آية أخرى قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى الْوَالِدِ إِذْ أَبَدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾

(المائدة: ١١٠)

فأنت ترى القرآن الكريم يذكر كل المعجزات التي وردت عن المسيح مجتمعمة في محل واحد، بل يضيف إليها ما لم تذكره<sup>١</sup>، ولكنه في نفس الوقت ينسب كل ذلك لله، فالله هو المتصرف في ملكه كما يشاء، وهو يهب بعض ذلك التصرف من يشاء من خلقه كبرهان له على أنه مرسل من عنده.  
قال بولس: للقرآن أن يقول ما يشاء.. فنحن لا نفهم الحقائق من القرآن، بل نفهمها من كتابنا المقدس.. وكتابنا المقدس هو الذي علمنا أن ألوهية المسيح هي التي جعلته يأتي بالمعجزات..  
ثم التفت للجمع الملتف حوله، وقال — وكأنه يتجاهل ما قال له عبد القادر —: اسمعوا.. ليس ذلك فقط ما يدل على لاهوت المسيح.. إن معجزات السيد المسيح له المجد لا تعد من الكثرة، بل كانت حياته كلها معجزات.

فقد بدأ حياته بولادته من عذراء (أشعيا: ٧: ١٤)، وهو الأمر الفريد في تاريخ العالم كله، فلا هو حدث قبله ولا بعده، وكذلك بشر بميلاده نجم غير عادي (متى: ٢: ٢-١٠)، وسجد له الجوس وفي طفولته، وأذهل شيوخ اليهود (لوقا: ٢: ٤٧)، كذلك كان المسيح معجزة في عماده (متى: ٣) وفي التحلي على جبل طابور (مرقس: ٩: ١-٨)، وفي قيامته والقبر مغلق، دون أن يشعر به أحد (متى: ٢٨)، وفي ظهوره لكثيرين بعد القيامة (مرقس: ١٦) ودخوله على تلاميذه والأبواب مغلقة (يوحنا: ٢٠: ١٩)، وكان معجزة في صعوده إلى السماء وجلوسه عن يمين الآب (مرقس: ١٦: ١٩).

لقد كانت حياته كلها سلسلة من المعجزات تدل على لاهوته، الذي كان متحداً بناسوته، طوال الفترة التي ظهر فيها في الجسد، وإلى الأبد أيضاً.

ويكفي أن تسمعوا قول القديس يوحنا في خاتمة إنجيله: (وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب) (يوحنا: ٢٠: ٣٠)، وقوله: (أشياء أخر كثيرة صنعها يسوع، إن كتبت واحدة واحدة، فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة) (يوحنا: ٢١: ٢٥).

وكمثال على ذلك يقول القديس لوقا الإنجيلي: (وعند غروب الشمس، جميع الذين كان عندهم سقماء بأمراض مختلفة قدموهم إليه، فوضع يديه على كل واحد منهم وشفاهم) (لوقا: ٤: ٤٠)، فهنا ذكر معجزات بالجملة لا تحصى.

(١) ما لم يذكره من المعجزات الواردة في القرآن يوجد نظيرها في الأناجيل الأيوكريفية التي لا تعترف بها الكنيسة، فقد جاء في كتاب (شبيه متى: ف ٢٧): «أخذ يسوع طين صلصال من الأحواض التي صنعها ومنها صنع اثني عشر عصفورا. وكان السبت حينما فعل يسوع ذلك ٠٠٠ وعندما سمع يوسف ذلك أنهتيره قائلا: «لماذا تفعل أنت في السبت، تلك الأمور التي لا يحل لنا فعلها؟» وعندما سمع يسوع يوسف يديه سويا وقال لعصافيره: «طيري!»، وعلى صوت أمره بدأت في الطيران، وعلى مرأى ومسمع من جميع الواقفين جانبا، قال للطيور: «اذهي وطيري خلال الأرض وخلال كل العالم وعيشي» وجاء في كتاب (إنجيل الطفولة): «وصنع أشكالا من الطيور والعصافير، التي طارت حينما أخبرها أن تطير، ووقفت ساكنة عندما أمرها أن تقف وأكلت وشربت عندما أعطها طعاما وشرابا»  
نقول هذا ردا على ما قد يعترض به من يتصور أن سيرة المسيح هي — فقط — ما كتبه الأناجيل الأربعة التي أرخت بعض حياة المسيح.

وورد عن ذلك في إنجيل مرقس: ( ولما صار المساء إذ غربت الشمس، قدموا إليه جميع السقماء والمجانين، وكانت المدينة كلها مجتمعمة على الباب، فشفى كثيرين كانوا مرضى بأمراض مختلفة، وأخرج شياطين كثيرة ) (مرقس: ١: ٣٢-٣٤)

وقال القديس متى الإنجيلي: ( كان يسوع يطوف كل الجليل، يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت، ويشفى كل مرض وكل ضعف في الشعب ) (متى: ٤: ٢٣)، ويواصل بقوله: ( فأحضروا إليه جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة، والمجانين والمصروعين والمفلوجين، فشفاهم ) (متى: ٤: ٢٤).  
هل يستطيع أحد منكم — أيها الجمع المبارك — أن تحصوا ما تنطوى تحت هذه العبارات (كل مرض)، و(جميع السقماء) وغيرها..

انطلاقاً من هذا.. نحن هنا نقتصر على إثبات لاهوت المسيح من المعجزات القليلة التي دونت في الأناجيل.. أما الحقيقة، ففوق ذلك كله.. الحقيقة فوق كل تصور.

إضافة إلى هذا، فقد كانت معجزات المسيح تشمل أنواعاً عديدة، كلها مما لا يمكن لبشر أن يفعلها:  
فمنها معجزات الخلق، وإقامة الموتى، والمشي على الماء، وانتهاز الرياح والأمواج والبحر والصعود إلى السماء والتزول منها، والدخول من الأبواب المغلقة، والولادة من عذراء، وإخراج الشياطين، وتفتيح أعين العميان، وشفاء الأمراض المستعصية كاليرص والفلج (الشلل)، وشفاء العرج والصم والبكم والخرس، والأمراض التي مرت عليها ٣٨ سنة أو ١٨ سنة وفشل فيها الطب.. وباختصار كما قال متى الإنجيلي: ( كل مرض وكل ضعف، في جميع السقماء والمجانين )

أجيبوني أيها الجمع المبارك.. من ذا الذي يقدر أن يشفى كل مرض، ويكون له سلطان على الطبيعة والشياطين بهذا التنوع، وبهذا القدر إلا الإله الذى خلق هذه الطبيعة!؟

إن نصوص الأناجيل تدل على أن معجزات المسيح كانت تتم عن تصرفات إله، لقد كانت معجزات المسيح بمجرد الأمر، أو الانتهاز للمرض، ففي شفاء حماة بطرس من الحمى الشديدة نص لوقا على ذلك بقوله: ( انتهر الحمى فتركتها، وفي الحال قامت وصارت تخدمهم ) (لوقا: ٤: ٣٩)، فأنتم ترون هنا المرض ينتهي بمجرد أمره أو انتهازه.

وفي شفاء المفلوج، قال له: (قم احمل سريرك واذهب إلى بيتك ) (مرقس: ٢: ١١)، وبمجرد الأمر، عادت إلي الرجل صحته كاملة، حتى أنه قام، وحمل سريريه أيضاً.

وفي شفاء صاحب اليد اليابسة، قال للرجل: (مد يدك ففعل هكذا، فعادت يده صحيحة ) (لوقا: ٦: ١٠)، فبمجرد الأمر تمت معجزة يعجز الطب كله أمامها.

وفي إخراج الأرواح النجسة، كان يستخدم أيضاً الأمر والانتهاز فيخرجون، ولذلك قيل عنه انه: (بسلطان يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه ) (مرقس: ١: ٢٧)

وكذلك في إسكات الأمواج تهدئة البحر، استخدم الأمر أيضاً: ( انتهر الريح وقال للبحر: اسكت أبكم، فسكنت الريح وصار هدوء عظيم ) (مرقس: ٤: ٣٩)

والأمر بالنسبة إلى الطبيعة والأمراض والعاهات، لا يمكن أن يصدر من إنسان، فهذا سلطان إلهي، كثيراً ما كان يجعل المشاهدين يعترفون بلاهوته.

وأحياناً كانت المعجزة تتم بمجرد اللمس أو وضع يده، كما قيل: (فكان يضع يده على أحد فيشفيهم (لوقا: ٤: ٤٠)

وملخص عبد رئيس الكهنة لما قطعت أذنه (لمس أذنه وأبرأها) (لوقا: ٢٢: ٥١)

وفي شفاء الأعميين (لمس أعينهما، فللوقت أبصرت أعينها فتبعاه) (متى: ٢٠: ٣٤)

ولما وضع يديه على أعمى بيت صيدا أبصر (مرقس: ٨: ٢٥).

ونازفة الدم التي أنفقت كل أموالها على الأطباء بلا فائدة، مجرد أن لمست هذب ثوبه (جف ينبوع دمها

ويرث) (مرقس: ٥: ٢٩)

حتى في إقامة الموتى، نجد عنصر الأمر أيضاً.. ففي إقامة ابنة يائرس — كما سمعتم — قال لها: (طليثا قومي الذي تفسيره ياصبية قومي، وللوقت قامت الصبية ومشت) (مرقس: ٥: ٤٢، ٤١) فأبطل الموت بأمره، وأعاد الحياة بأمره.

وكذلك في إقامة ابن أرملة نايين، قال: (أيها الشاب لك أقول قم، فجلس الميت وابتدأ يتكلم) (لوقا: ٧:

١٤، ١٥)

وفي إقامة لعازر، قال له بصوت عظيم: (لعازر هلم خارجاً، فخرج الميت ويده ورجلاه مربوطات بأقمطة

(يوحنا: ١١: ٤٤، ٤٣)

التفت إلى عبد القادر، وقال: ملاحظة مهمة أوجهها لك، ولكل معترض على سلطان المسيح.

إن الملاحظة التي نستشفها من جميع معجزات المسيح أنها كانت تتم دون صلاة، فقد كان يعملها بقوته

الذاتية، بقوة لاهوته.

والمعجزة الوحيدة التي سبقتها مخاطبة الأب، كانت إقامة لعازر من الموت، ولعل السبب في ذلك، أنه أراد

إخفاء لاهوته عن الشيطان، وكان بينه وبين الصليب أيام قلائل، كما أنه إن وجدت في كل معجزاته العديد

جداً معجزة وحيدة فيها صلاة، فلعلها لتعليمنا أن نصلي، ولعل فيها رداً على أعدائه الذين كانوا يتهمونه

باستخدام قوة الشياطين في معجزاته. ومع ذلك فإنه في إقامة لعازر إستخدم الأمر أيضاً، فقال لعازر: (هلم

خارجاً) (يوحنا: ١١: ٤٣)

في معجزة إشباع الجموع قيل أنه نظر إلى فوق، وأنه شكر وبارك، كما في (مرقس: ٦: ٤١)، و(متى: ١٥:

٣٦)، ولم يذكر في إحدى هاتين المعجزتين أنه صلى، أما النظر إلى فوق ومباركة الطعام قبل الأكل منه، حتى

يعلمنا الصلاة.

ابتسم — وكأنه يريد أن يلقي بالقنبلة الأخيرة التي في جعبته — وقال: مما يؤكد لك — أيها المعترض —

على أن معجزات المسيح تدل على إله أن كل المعجزات التي كانت تحدث، ولا زالت تحدث لا تحدث إلا

باسمه في العهد الجديد، كما حدث في شفاء الأعرج الذي يستعطي على باب الجميل، إذ قال له القديس



بطرس: ( ليس لى فضة ولا ذهب، ولكن الذى لى فياه أعطيك، باسم يسوع المسيح الناصرى قم وامشى .. )  
(أعمال الرسل: ٣: ٦).

بل إن المسيح نفسه ذكر ذلك، فقد قال المسيح: ( وهذه الآيات تتبع المؤمنين: يخرجون الشياطين باسمي )  
(مرقس: ١٦: ١٧)

سكت قليلا، ثم قال، وقد أعجب بذلك الجو الهادئ الذي وفر له: نعم أيها الجمع المبارك.. هذا هو الفارق بين معجزات السيد المسيح ومعجزات رسله وقديسيه.. هو يجرى المعجزة بقوته الذاتية، أما التلاميذ فكانت معجزاتهم باسم المسيح، أو بالقوة التي أخذوها منه، بسلطانه هو، فالقوة ترجع إليه.

لقد قال بولس الرسول معبرا عن هذا: ( أستطيع كل شئ في المسيح الذى يقوين ) (فى ٤: ١٣ )  
وهذا السلطان — أيها الأحباب الطيبون — هو الذى منحه الرب لتلاميذه إذ ( أعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها، ويشفوا كل مرض وكل ضعف ) (متى: ١٠: ١)، وقال للإثني عشر: ( اشفوا مرضى، طهروا برصاً، أقيموا موتى، أخرجوا شياطين ) (متى: ١٠: ٨)، وقال للبعين أيضاً: ( ها أنا أعطيك سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ) (لوقا: ١٠: ١٩)

انتهاز عبد القادر فرصة استحمام بولس لأنفاسه، ليتدخل قائلاً: إن قولك هذا — حضرة القس الفاضل — يستدعي أن نؤمن بأهله كثيرة غير المسيح يمتلى بتمجيدها الكتاب المقدس.

قال بولس: ليس في الكتاب المقدس إله غير المسيح.. وغير الأب.. وغير روح القدس.

قال عبد القادر: بمنطقك — حضرة القس — هناك آلهة أخرى كثيرة يعج بها الكتاب المقدس.

هناك إله اسمه حزقيال..

ألم يحيى حزقيال جيشاً كاملاً، كما هو وراذ في سفر حزقيال (١٣٧-١٤): ( وَكَانَتْ يَدُ الرَّبِّ عَلَيَّ فَأَحْضَرَنِي بِالرُّوحِ إِلَى وَسْطِ وَاِدِّ مَلِيءِ بَعْضَامٍ، وَجَعَلَنِي أَجْتَازَ بَيْنَهَا وَحَوْلَهَا، وَإِذَا بِهَا كَثِيرَةٌ جَدًّا، تُعْطِي سَطْحَ أَرْضِ الْوَادِي، كَمَا كَانَتْ شَدِيدَةَ الْيُبُوسَةِ. فَقَالَ لِي ( يَا ابْنَ آدَمَ، أَيْمِئِنُ أَنْ تَحْيَا هَذِهِ الْعِظَامُ؟ ) فَأَجَبْتُ: ( يَا سَيِّدَ الرَّبِّ، أَنْتَ أَعْلَمُ. ) فَقَالَ لِي: ( تَنْبَأْ عَلَيَّ هَذِهِ الْعِظَامُ وَقُلْ لَهَا: اسْمَعِي أَيَّتَهَا الْعِظَامُ الْيَابِسَةُ كَلِمَةَ الرَّبِّ: هَا أَنَا أَجْعَلُ رُوحاً يَدْخُلُ فِيكَ فَتَحْيَيْنِ. وَأَكْسُوكِ بِالْعَصَبِ وَاللَّحْمِ، وَأَبْسُطُ عَلَيْكَ جِلْدًا وَأَجْعَلُ فِيكَ رُوحاً فَتَحْيَيْنِ وَتُدْرِكِينَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ. )

وَفِيمَا كُنْتُ أَنْبَأُ كَمَا أَمَرْتُ، حَدَثَ صَوْتُ جَلْبِيَّةٍ وَزَلْزَلَةٌ، فَتَفَارَبَتِ الْعِظَامُ كُلُّ عَظْمٍ إِلَى عَظْمِهِ، وَانْكَسَتِ بِالْعَصَبِ وَاللَّحْمِ وَبُسَطَ عَلَيْهَا الْجِلْدُ. إِنَّمَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا رُوحٌ فَقَالَ لِي: ( تَنْبَأْ لِلرُّوحِ يَا ابْنَ آدَمَ، وَقُلْ: هَذَا مَا يَأْمُرُ بِهِ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَيَّا يَا رُوحُ أَقْبِلْ مِنَ الرِّيَّاحِ الْأَرْبَعِ وَهَبْ عَلَيَّ هَؤُلَاءِ الْفَتْلَى لِيَحْيُوا. ) فَتَنْبَأْتُ كَمَا أَمَرَنِي الرَّبُّ، فَدَخَلَ فِيهِمُ الرُّوحُ فَدَبَّتْ فِيهِمُ الْحَيَاةُ، وَأَنْتَصَبُوا عَلَى أَقْدَامِهِمْ جَيْشًا عَظِيمًا جَدًّا.

ثُمَّ قَالَ لِي: ( يَا ابْنَ آدَمَ، هَذِهِ الْعِظَامُ هِيَ جُمْلَةُ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ. هَا هُمْ يَقُولُونَ قَدْ بَيَسَتْ عِظَامُنَا وَمَاتَ رَحَاؤُنَا وَانْقَطَعْنَا. لِذَلِكَ تَنْبَأْ وَقُلْ لَهُمْ هَذَا مَا يُعْلِنُهُ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَا أَنَا أَفْتَحُ قُبُورَكُمْ وَأُخْرِجُكُمْ مِنْهَا يَا شَعْبِي وَأُحْضِرُكُمْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، فَتُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ حِينَ أَفْتَحُ قُبُورَكُمْ وَأُخْرِجُكُمْ مِنْهَا يَا شَعْبِي. وَأَضَعُ

رُوحِي فِيكُمْ فَتَحْيَوْنَ، وَأَرُدُّكُمْ إِلَى أَرْضِكُمْ فَتُدْرِكُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ قَدْ تَكَلَّمْتُ وَأَنْحَزْتُ مَا وَعَدْتُ بِهِ، يَقُولُ  
الرَّبُّ (

قرأ هذا النص، ثم توجه للحاضرين قائلًا: ألا ترون — حضرة الفضلاء — أن حزقيال قد فعل في هذه المعجزة ما لم يفعل المسيح طيلة حياته.

إن كل من أحياهم المسيح حسب الكتاب المقدس هم ثلاثة، ولعل أعظم معجزة فعلها المسيح بينها وهي إحياء صديقه ليعاز من الموت بعد أربعة أيام.

سأنقل لكم القصة كما هي واردة في إنجيل يوحنا لتحكموا بأنفسكم.

أخذ يقرأ من (يوحنا: ٤١/١١-٤٣): (فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا ورفع يسوع عينيه الى فوق وقال ايها الأب اشكرك لانك سمعت لي. وانا علمت انك في كل حين تسمع لي. ولكن لاجل هذا الجمع الواقف قلت: ليؤمنوا انك ارسلتني. ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجا )

هل سمعتم — أيها الجمع المبارك — هذه الكلمات؟

هل ترون المسيح يدعي فيها الألوهية؟

إن المسيح رفع عينيه إلى السماء ودعا إلهه، تضرع لرب العالمين الذي بأمره كن فيكون، وتوسل إلى الله في أدب ومناجاة أن يستجيب إلى دعائه بإحياء هذا الميت، غير طالب المجد لنفسه ولا تخليص نفسه، ولكن فقط ليؤمن الناس أن الله قادر على كل شيء، وأن الله هو من أرسله إلى الناس، يقول يسوع (ليؤمنوا أنك أرسلتني)

فبالله عليكم — أيها الجمع المبارك — لو أن المسيح هو الله، هل سيقول (ليؤمنوا أنك أرسلتني)..؟ هل

هناك إله يرسل نفسه؟

سكت قليلا، ثم قال: ليس حزقيال فقط من أحيى الموتى في الكتاب المقدس.

هناك إيليا الذي أحيى طفلا بإذن الله كما في (الملوك الأول: ١٧/١٧-٢٤)، فقد جاء فيه: (وبعد هذه

الأمر مرض ابن المرأة صاحبة البيت واشتد مرضه جدا حتى لم تبقى فيه نسمة. فقالت لايليا ما لي ولك يا رجل الله. هل جئت الي لتذكير اثمي وامانة ابني. فقال لها اعطيني ابنك. واخذه من حضنها وصعد به الى العلية التي

كان مقيما بها واضجعه على سريريه وصرخ الى الرب وقال ايها الرب الهي أيضا الى الارملة التي انا نازل عندها قد اسأت بامانتك ابنها. فتمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ الى الرب وقال يا رب الهي لترجع نفس هذا

الولد الى جوفه. فسمع الرب لصوت ايليا فرجعت نفس الولد الى جوفه فعاش. فاخذ ايليا الولد ونزل به من العلية الى البيت ودفعه لأمه. وقال ايليا انظري. ابنك حي. فقالت المرأة لايليا هذا الوقت علمت انك رجل الله

وان كلام الرب في فمك حق )

(١) ومنهم فتاة التي اسمها ( طليثا ) ابنة الرئيس، اعتقد الناس أنها ميتة، ولكنها لم تكن ميتة، بل كانت نائمة أو فاقدة للوعي، كما قال لهم يسوع وكما هو وارد في ثلاثة مواضع من الأناجيل.. ففي (متى: ٢٤/٩): «قال لهم تنحوا. فان الصبية لم تمت لكنها نائمة. فضحكوا عليه»، وفي (مرقس: ٣٩/٥): «فدخل وقال لهم لماذا تضحون وتبكون. لم تمت الصبية لكنها نائمة»، وفي (لوقا: ٥٢/٨): «وكان الجميع يبكون عليها ويلطمون. فقال لا تبكوا. لم تمت لكنها نائمة»

وبذلك، فإن الذين أحياهم المسيح — حسب الأناجيل — لا يتجاوزون اثنين.

انظروا دقة فهم هذه المرأة.. إنها أذكى من كل الأحبار والرهبان الذين يستدلون بمعجزات المسيح على ألوهية المسيح.. إنها لم تفهم من إحياء إيليا لابنها أكثر من الحقيقة، لقد قالت: ( هذا الوقت علمت انك رجل الله وان كلام الرب في فمك حق )

سكت قليلا، ثم قال: إيليا لم يفعل ذلك فقط.. لقد ذكر الكتاب المقدس أنه شق البحر بردائه.. وهي معجزة عظيمة لم يفعلها المسيح نفسه، اسمعوا ما جاء في (الملوك الثاني: ٨/٢): (وأخذ إيليا رداءه ولفه وضرب الماء فانفلق إلى هنا وهناك فعبرا كلاهما في اليبس )

توجه إلى بولس قائلًا: هل في كل معجزات المسيح معجزة مثل هذه؟

ثم قال: ليس حزقيال وإيليا وحدهما ممن يمكن أن تعتبروهم آلهة..

يمكنكم أن تتخذوا يشع إلهاً هو الآخر، فقد ذكر الكتاب المقدس في سفر الملوك الثاني (٤: ٣٢) أن (

اليشع ) قد أحيأ طفلاً ميتاً.. بل قد جاء فيه ما هو أعظم من ذلك، فقد ورد عنه في سفر الملوك الثاني ( ١٣ : ٢٠ ) أنه أحيأ ميتاً بعد موته، فقد ورد فيه: ( وَمَاتَ الْيَشَعُ فَدَفِنُوهُ. وَحَدَّثَ أَنَّ غَزَاةَ الْمُؤَابِيِّينَ أَغَارُوا عَلَيَّ أَرْضَ إِسْرَائِيلَ عِنْدَ مَطْلَعِ السَّنَةِ الْجَدِيدَةِ، فِيمَا كَانَ قَوْمٌ يَقَوْمُونَ بِدَفْنِ رَجُلٍ مَيِّتٍ. فَمَا إِن رَأَوُا الْغَزَاةَ قَادِمِينَ حَتَّى طَرَحُوا الْجُثْمَانَ فِي قَبْرِ الْيَشَعِ، وَمَا كَادَ جُثْمَانُ الْمَيِّتِ يَمَسُّ عِظَامَ الْيَشَعِ حَتَّى ارْتَدَّتْ إِلَيْهِ الْحَيَاةُ، فَعَاشَ وَنَهَضَ عَلَيَّ رَجُلِيهِ )

هل سمعتم هذه المعجزة العجيبة بعد أن مات اليشع، ودفن في قبره، وتحللت جثته، وبقت العظام ألقى الناس ميتا في قبره، فعادت الحياة للميت الذي ألقوه في قبره. بمجرد أن مست جثة الميت عظام اليشع.

إن هذه المعجزة العجيبة انفرد بها اليشع دون غيره من البشر، فهل ترون أحدا من الناس يعبد من أجلها؟ أما خضوع عناصر الطبيعة.. فإن الطبيعة — حسب الكتاب المقدس — قد خضعت لكثيرين، وكان منهم اليشع وإيليا ويشوع، فالذي يقرأ ماجاء في سفر الملوك الثاني (١ : ٧، ١٤) سيجد أن إيليا أمر عنصر النار التي هي سيدة العناصر، فأخضعها وأطاعته. بمجرد أمره فتزلت من السماء، فلم يكن من إيليا إلا انه أمر فكان.

وجاء في سفر الملوك الثاني ( ٢ : ٧، ٨ ) عن إيليا واليشع: ( ووقف كلاهما بجانب الأردن، وأخذ إيليا رداءه ولفه وضرب الماء، فانفلق إلي هنا وهناك فعبير كلاهما في اليبس )

أليس انفلاق الماء الذي وقع معجزة لإيليا واليشع أعظم من هدوئه الذي وقع معجزة للمسيح.. ومع ذلك لم تقولوا أتمم.. ولم يقل أحد إن في إيليا طبيعة لاهوتية.

أما شفاء العمي والبرصى.. فقد نص الكتاب المقدس على أن هذه المعجزة قد حدثت على يد اليشع، كما في سفر الملوك الثاني ( ٦ : ١٤ — ٢٠ ): ( فأرسل إلى هناك خيلا ومركبات وجيشا ثقيلا وجاءوا ليلا واحاطوا بالمدينة. فبكر خادم رجل الله وقام وخرج واذا جيش محيط بالمدينة وخيل ومركبات. فقال غلامه له آه يا سيدي كيف نعمل. فقال لا تخف لان الذين معنا اكثر من الذين معهم. وصلى اليشع وقال يا رب افتح عيني فيبصر. ففتح الرب عيني الغلام فابصر واذا الجبل مملوء خيلا ومركبات نار حول اليشع. ولما نزلوا اليه صلى اليشع الى الرب وقال اضرب هؤلاء الامم بالعمى. فضرهم بالعمى كقول اليشع. فقال لهم اليشع ليست هذه

هي الطريق ولا هذه هي المدينة. اتبعوني فاسير بكم الى الرجل الذي تفتشون عليه. فسار بهم الى السامرة. فلما دخلوا السامرة قال اليسع يا رب افتح اعين هؤلاء فيبصروا. ففتح الرب اعينهم فابصروا واذا هم في وسط السامرة )

هل سمعتم.. إن ما فعله اليسع لم يكن بفرد واحد أو باثنين أو بثلاثة، بل كان بجيش كبير .. ومع ذلك لم تقولوا أنتم.. ولم يقل أحد إن في اليسع طبيعة لاهوتية.

أما التنبؤ بأحداث المستقبل.. فاليسع قد تم له ذلك.. وذلك عندما وعد المرأة الشوثمية التي لم يكن لها ابن ورجلها قد شاخ ( فَقَالَ لَهَا أَلَيْسَ: ( فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ مِنَ السَّنَةِ الْقَادِمَةِ سَتَحْضُنِينَ ابْنًا بَيْنَ ذِرَاعَيْكَ. فَقَالَتْ: ( لَا يَا سَيِّدِي رَجُلَ اللَّهِ. لَا تَخْدَعُ أُمَّتَكَ ) لَكِنَّهَا حَمَلَتْ وَأَنْجَبَتْ ابْنًا فِي الزَّمَنِ الَّذِي أُتْبِأَ بِهِ أَلَيْسَ ) (سفر الملوك الثاني: ٤: ١٦)

بالإضافة إلى هذا.. فإن الكثير من الأنبياء تنبؤوا بالغيب والأحداث المستقبلية ممن وردت أسماؤهم في الكتاب المقدس.. بل قاموا بصنع الآيات والمعجزات كالمسيح تماماً.. ومع هذا لم يقل أحد منكم ولا من غيركم أن فيهم طبيعة لاهوتية.

التفت إلى بولس، فرآه مستغرقاً مثل الجميع في السماع، فقال: أنتم أعلم بالمسيح من تلاميذ المسيح؟ قال بولس: لا.. هم أعلم بالمسيح منا.

قال عبد القادر: فقد حصلت كل هذه المعجزات أمام أعينهم، ومع ذلك كان أقصى ما قالوا: ( قد قام فينا نبي عظيم ) كما جاء في (لوقا: ٧: ١٦)، ولم يكن من المسيح إلا أن أفرهم ولم ينكر عليهم وصفهم له بالنبوة. بل إن المسيح نفسه لم يقصد من المعجزة إلا إقناعهم بنبوته كما جاء في إنجيل يوحنا (١١: ٤١): ( وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: ( أَيُّهَا الْآبُ، أَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ دَوْمًا تَسْمَعُ لِي. وَلَكِنِّي قُلْتُ هَذَا لِأَجْلِ الْجَمْعِ الْوَاقِفِ حَوْلِي لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي )

فهل يمكن لمخلص للمسيح بعد هذا أن يتخذ من قيام المسيح بإحياء الموتى دليلاً على ألوهيته؟

سكت قليلاً، ثم قال: ليس رجال الله وحدهم هم الذين حصلت على أيديهم الخوارق.. الشيطان أيضاً يصنع المعجزات.. ومنطقكم الذي تفكرون به، فإن الشيطان أيضاً يستحق أن يعبد.

لقد ورد في (تسالونيكي ٢: ٩/٢): (الذي مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وآيات وعجائب كاذبة )

ليس الشيطان وحده يستحق أن يعبد.. بل كل الناس.. فكل الناس يمكن أن يتنبأوا، وتحصل على أيديهم الخوارق، لقد قال بطرس في أعمال الرسل (١٣/٢-٢٤): ( وكان آخرون يستهزئون قائلين لهم قد امتلأوا سلافة فوقك بطرس مع الاحد عشر ورفع صوته وقال لهم ايها الرجال اليهود والساكنون في اورشليم اجمعون ليكن هذا معلوما عندكم واصغوا الى كلامي. لان هؤلاء ليسوا سكارى كما انتم تظنون. لانها الساعة الثالثة من النهار. بل هذا ما قيل بيوتيل النبي. يقول الله ويكون في الايام الاخيرة اني اسكب على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويرى شبابكم رؤى ويحلم شبوحكم احلاما. وعلى عبيدي ايضا واماءى اسكب من روحي في تلك الايام فيتنبأون. واعطى عجائب في السماء من فوق وآيات على الارض من اسفل دما ونارا

وبخار دخان. تتحول الشمس الى ظلمة والقمر الى دم قبل ان يجيء يوم الرب العظيم الشهير. ويكون كل من يدعو باسم الرب يخلص ايها الرجال الاسرائيليون اسمعوا هذه الاقوال. يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما انتم ايضا تعلمون. هذا اخذتموه مسلماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبايدي ائمة صليبتموه وقتلتموه. الذي اقامه الله ناقضا اوجاع الموت (

إن هذه الكلمات التي أطلقها بطرس تدل قطعاً على أن المعجزات ليست بشيء، وأنهم مهما حاولوا أن يثبتوا ألوهية يسوع عن طريق المعجزات، فهو طريق مسدود لا محالة، فذلك بطرس يعترف أن كل الناس سينتأون وسيفعلون المعجزات بل معجزات أعظم من التي فعلها المسيح.

سكت قليلاً، ثم قال: إن ما اعتقدتموه في المسيح بسبب معجزاته، هو نفس ما اعتقده الناس في بولس لما جرت منه من معجزات..

لقد حدث الكتاب المقدس عن بولس حينما كان يبشر هو وبرنابا، فشفى رجلاً مريضاً كان مقعداً، فاعتقد الناس فيه أنه إله، ليس هذا فقط، ولكن اعتقدوا فيه أنه إله تجسد، ونزل في جسد بشري.

اسمعوا ما جاء في (أعمال الرسل: ١٤/٨ - ١٢): (وكان يجلس في لستره رجل عاجز الرجلين مقعد من بطن امه ولم يمش قط. هذا كان يسمع بولس يتكلم. فشخص اليه واذا رأى ان له إيماناً ليشفى قال بصوت عظيم قم على رجلك منتصباً. فوثب وصار يمشي. فالجموع لما رأوا ما فعل بولس رفعوا صوتهم بلغة ليكأونية قائلين ان الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا الينا. فكانوا يدعون برنابا زفس وبولس هرمس اذ كان هو المتقدم في الكلام)

توجه لبولس قائلاً: هذا هو نفس ما حدث لكم عندما اعتقدتم في المسيح أنه إله، حينما رأيتم منه المعجزات.

قال بولس: ولكن هناك فرق عظيم بينهما، فبولس أنكر كونه إلهاً وأعلن أنه بشر، ولكن هل المسيح لم يفعل ذلك؟

قال عبد القادر: كلا.. لقد فعل ذلك.. لقد نطق بكل جوارحه على أنه بشر، وعلى أن الآيات التي حصلت منه آيات على نبوته، لا على ألوهيته.

لقد قال في إنجيل متى (١١: ٢٧): (كل شيء قد دفع إلي من أبي) فالرب هو الدافع والمسيح هو المدفوع له.. ولا شك أن هناك فرقاً عظيماً بين الدافع والمدفوع له.

ليس هذا فقط.. بل قد ورد التصريح بهذه الحقيقة العظيمة في مواضع كثيرة من الأناجيل:

فقد جاء في إنجيل يوحنا (٥: ١٩): (فأجاب يسوع، وقال لهم: الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل)

وفيه أيضاً، وفي نفس الإصحاح (٥: ٣٠): (أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً. كما أسمع أدين ودينوني عادلة لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني)

وفي نفس الإنجيل (٥: ٣٦): (وأما أنا فلي شهادة أعظم من يوحنا. لأن الأعمال التي أعطاني الآب

لأعمالها، هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الآب قد أرسلني )  
وفي نفس الإنجيل ( ٤ : ٣٥ ) : ( الآبُ يَحِبُّ الابنَ وقد دفع كل شيء في يده )  
وفي إنجيل متى ( ٢٨ : ١٨ ) : ( فتقدم يسوع وتمهل قائلاً: دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانِ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ )  
وفي إنجيل لوقا ( ١٠ : ٢١ - ٢٢ ) : ( والتفت (أي المسيح) إلى تلاميذه و قال: كل شيء قد دُفِعَ إِلَيَّ  
من أبي )

وفي نفس الإنجيل ( ١١ : ٢٠ ) يقول المسيح: ( ولكن إن كنت أنا بإصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل  
عليكم ملكوت الله )

وقد كان الحاضرون يعلمون ذلك.. يدل لذلك ما ورد في إنجيل يوحنا ( ١١ : ٢١ - ٢٢ ) : ( فَقَالَتْ مَرْتَا  
لِيسُوعَ: يَا سَيِّدُ لَوْ كُنْتَ هَهُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي. لَكِنِّي الْآنَ أَيْضًا أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا تَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ يُعْطِيكَ اللَّهُ إِيَّاهُ  
(

ولهذا كان المسيح قبل أن يقوم بالمعجزة يتوجه ببصره نحو السماء ويطلب الله ويشكره كما جاء في إنجيل  
يوحنا ( ١١ : ٤١ ) : ( وَرَفَعَ يَسُوعَ عَيْنَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: (أَيُّهَا الْآبُ، أَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، وَقَدْ عَلِمْتُ  
أَنَّكَ دَوْمًا تَسْمَعُ لِي. وَلَكِنِّي قُلْتُ هَذَا لِأَجْلِ الْجَمْعِ الْوَاقِفِ حَوْلِي لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي )  
وقد تكرر منه هذا الفعل كما في إنجيل متى ( ١٤ : ١٥ - ٢١ ) : ( وَأَمَرَ الْجُمُوعَ أَنْ يَجْلِسُوا عَلَى  
الْعُشْبِ. ثُمَّ أَحَدَ الْأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَيْنِ، وَرَفَعَ نَظْرَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَبَارَكَ وَكَسَّرَ الْأَرْغِفَةَ، وَأَعْطَاهَا  
لِلتَّلَامِيذِ، فَوَزَعُوهَا عَلَى الْجُمُوعِ. فَأَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا )

لقد قام المسيح برفع نظره نحو السماء قبل أن يقوم بالمعجزة وقبل أن يبارك، وكأنه يدعو خالق السموات  
والأرض ليمنحه ما يطلبه من معجزات.

## ٢ — الخوارق والنبوة

لم يجد بولس — بعد كل تلك الأدلة التي ساقها له عبد القادر — سبيلا للخروج من ذلك المأزق إلا أن يغير الموضوع، فقال: فلنقر بأن الخوارق لا تدل على الألوهية، بل تدل على النبوة. قال عبد القادر: وقد تدل على غيرها.

### دلالة الخوارق على النبوة:

قال بولس: لا بأس.. ولكنها مع ذلك لا بد أن تدل على شيء.. فيستحيل أن يكون هناك نبي غير مؤيد بأدلة تدل على نبوته. الكتاب المقدس ينص على هذا..

فابتداء من التوراة، جعل الله المعجزة دليل النبوة، ولما تجلّى الله لموسى فى سيناء ليرسله إلى بنى إسرائيل وإلى فرعون و ملئه، ثبت له و للناس رسالته بمعجزة العصا ومعجزة اليد البرصاء كما فى ( الخروج ٣ — ٤ : ٢ )، ثم أرسله و المعجزة بيده: ( خذ بيدك العصا تصنع بها المعجزات.. و صنع موسى المعجزات على عيون الشعب فأمن الشعب ) ( الخروج ٤ : ١٨ — ٣١ )

والقرآن نفسه يشهد بأن المعجزات كانت عند موسى دلائل النبوة، لقد جاء فى القرآن: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ (هود:٩٦)، وفيه: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاَسْأَلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا ﴾ (الاسراء:١٠١)

لقد ذكر القرآن كل هذه الآيات، وفصل فى ذكرها حتى عجز سحرة مصر عن المعارضة، وسلم فرعون وآمن عند غرفه، فالمعجزة بذلك هى السلطان المبين الذى به يشهد الله لنبيه أنه أرسله ليبلغ كلام الله، فلا نبوة بدون معجزة.

ليست التوراة وحدها هي من تقول هذا.. قرآنكم يقول هذا.. فالقرآن يرى ضرورة المعجزة لصحة النبوة.. فالمعجزة، على أنواعها، دليل النبوة الأوحد، فلا تصح النبوة بدون معجزة.

هذا مبدأ إلهي مقرر، متواتر بالاجماع عند الأنبياء و المرسلين، حتى سماه القرآن (سنة الأولين) لقد جاء فيه: ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (الحجر:١٣)، وفيه وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿ (الكهف:٥٥)

وسنة الله — كما يذكر القرآن — لا تبدل لها ولا تحوّل، لقد ورد فى القرآن: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (الأحزاب:٦٢)، وورد فيه: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (الفتح:٢٣)

وبدون معجزة لا يوجب الله على الناس الإيمان.. لقد جاء فى القرآن: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ (الكهف:٥٥)

ولهذا امتنع مشركو مكة عن الإيمان بالدعوة القرآنية التي استعملت أساليب الحكمة والموعظة الحسنة، كما جاء فى القرآن: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَادِلْهُمْ بَالِئِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ

أَعْلَمَ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿﴾ (النحل: ١٢٥)، لأنها لم تقترن بالمعجزة المطلوبة.. هذا كان في مكة.

أما في المدينة، فقد رضحوا لها بالجهاد، أو بالحديد، كما يذكر القرآن: ﴿﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿﴾ (الحديد: ٢٥)

فأنتم تلاحظون في فلسفة القرآن، وفي عرف الناس جميعا، أن المعجزة سنة النبوة: ﴿﴾ لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ﴿﴾ (الأنعام: من الآية ١٢٤)

لذلك، فإن من يقول من المسلمين بأن (حكمة الله اقتضت أن لا تكون الخوارق دعامة لنبوة محمد، و برهانا على صحة رسالته و صدق دعوته ) إنما يتفقدون حكمة القرآن في ضرورة المعجزة للنبوة، و سنة الله في أنبيائه.

قال عبد القادر: إن كل ما ذكرته صحيح.. ونحن نتفق فيه جميعا.

قال بولس: فأنت معي في أن المعجزة شرط للنبوة؟

قال عبد القادر: أجل.. لقد صرح القرآن بذلك، ولذلك أمد الله أنبياءه بالبراهين الدالة على نبوتهم.

بل اعتبر بعض المتكلمين أن المعجزة هي الدليل الأوحد على صدق النبوة، وقد عبر عن ذلك أحدهم، فقال: ( لا دليل على صدق النبي غير المعجزة، فإن قيل: هل في المقدور نصب دليل على صدق النبي غير المعجزة؟ قلنا: ذلك غير ممكن! فإن ما يقدر دليلا على الصدق لا يخلو إما أن يكون معتادا، و إما أن يكون خارقا للعادة: فإن كان معتادا يستوى فيه البر و الفاجر، فيستحيل كونه دليلا، و إن كان خارقا للعادة يجوز تقدير وجوده ابتداء من فعل الله تعالى، فإذا لم يكن بد من تعلقه بالدعوى، فهو المعجزة بعينها )<sup>١</sup>  
قال بولس: لقد اتفقنا إذن.. فأنا وأنت كلانا نتفق على أن المعجزة هي دليل النبوة.. وما دام الأمر كذلك، فمحمد ليس نبيا.

قال عبد القادر: لم؟

قال بولس: لهذا الدليل الذي نتفق نحن جميعا على القول به.

وهو بتعبير بسيط يتكون من مقدمتين:

الأولى: هي أن كل نبي لا بد له من معجزة تدل عليه، وقد اتفقنا جميعا على هذا.

وأما الثانية، فهي أن محمدا ليس له أي دليل حسي على نبوته.. وهذا ما ذكره القرآن والعلماء.. ولا يكابر في إنكاره أحد.

فهذا السيوطي يقسم المعجزة الى نوعين، فيقول: ( المعجزة إما حسية، وإما عقلية، وكثرة معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادهم وقلة بصيرتهم، وكثر معجزات هذه الأة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أهامهم، ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراهنا ذوو



والعلماء يجمعون من قديم على أن القرآن وحده معجزة محمد، لذلك، في باب معجزة النبي العربي اقتصرنا على كتب الاعجاز.. وهذا إقرار منهم بأنه ليس لمحمد معجزة حسية تشهد له، كما سنرى ذلك من القرآن نفسه.

قال عبد القادر: ولكن العلماء الذين ترجع لهم كلهم يثبت معجزات حسية لمحمد ﷺ ابتداء من السيوطي الذي خصص كتابا لذلك.

قال بولس: دعنا من ذلك.. إن شئت التحقيق في هذا، فقد افترق المسلمون ثلاث فرق في تقدير معجزة محمد: فئة التقليديين الذين لم يزالوا غائضين في روايب الماضي، و فئة العلماء الذين يجعلون القرآن وحده معجزة محمد، و فئة المتحررين الذين ينادون بأنه لا ضرورة للمعجزة لصحة النبوة.

أما فئة التقليديين البسطاء.. فلا ينبغي لعالم أن يلتفت لما يذكرون من خرافات. أما العلماء.. فهذا العالم العلامة الذي لم يوجد له نظير في التحقيق العلمي<sup>٢</sup> الدكتور محمد حسين هيكال ينص — بعد تحقيق طويل وجهد جهيد في كتابه العظيم (حياة محمد) — على هذا، فيقول: (لم يرد في كتاب الله ذكر لمعجزة أراد الله بها أن يؤمن الناس كافة على اختلاف عصورهم برسالة محمد إلا القرآن)

وقال بعد بحث طويل: (لقد كان ﷺ حريصا على أن يقدر المسلمون أنه بشر مثلهم يوحى إليه، حتى كان لا يرضى أن تنسب إليه معجزة غير القرآن، ويصارع أصحابه بذلك.. ولم يرد في كتاب الله ذكر لمعجزة أراد الله بها أن يؤمن الناس كافة، على اختلاف عصورهم، برسالة محمد، إلا القرآن.. هذا مع أنه ذكر المعجزات التي جرت بإذن الله على أيدي من سبق محمدا من الرسل)<sup>٣</sup>

ومثله الأستاذ عبد الله السمان الذي قال: (لقد أغرم كثير من المسلمين بأن يحوطوا شخصية الرسول بمهالة كبرى من الخوارق، منذ أن حملت به أمه الى أن لقي ربه، وبلغ الغلو بهم درجة لا تطاق، ومن المتأكد أنه ليس

(١) الاتقان ٢: ١١٦.

(٢) هذه هي عادة المبشرين والمستشرقين في الرفع من شأن من يريدون استغلال أقواله لموجهة الإسلام، وهم — في نفس الوقت — قد يحولونه قرما في موضع آخر إذا ما رأوا منه أي خطر عليهم.

وقد أنكر هيكال عددا من المعجزات الثابتة بصريح القرآن ومتواتر السنة، كتزول الملائكة في بدر، وطير الأبايل، وشق الصدر والإسراء وأن (اقرأ) كانت مناما.

وذلك كله إرضاء للمنهج العلمي الغربي الذي أعلنه وأعلن التزامه به فاعتبر الإسراء سباحة الروح في عالم الرؤى، ووصف الملائكة الذين أمد الله بهم المسلمين في غزوة بدر بالدعم المعنوي، ووصف طير الأبايل بداء الجدري، واعتبر شق الصدر شيئا معنويا، واعتبر لقاء جبريل بالنبي في حراء مناما، وبذلك عمد إلى تفرغ تاريخ النبي ﷺ من الحقائق الغيبية والمعجزات وقصر موقفه على أن للنبي معجزة واحدة هي القرآن الكريم.

وقد علل الدكتور هيكال إنكاره جميع المعجزات المحمدية (غير القرآن) بأنها مخالفة للسنة الإلهية، وزعم أن روايات معجزاته ﷺ موضوعة، قصد واضعها إما أن يجعل لنبينا مثل ما لموسى وعيسى عليهما السلام، وإما أن يشكك الناس في صحة آية ﴿وَلَنْ نُجَدِّ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: من الآية ٦٢)

(٣) حياة محمد، ص ٤٤ - ٥٥.

لهم سند من قرآن صريح أو حديث صحيح<sup>١</sup>) وقال: (إن الكثيرين — حين يحاولون دراسة شخصية الرسول — يعمدون الى كتب السيرة ليأخذوا جزافا بكل ما ورد فيها، وهذه الكتب على كثرتها لا يجوز أن تكون مرجعا أصيلا في هذا الصدد، لأنها كتبت في عصور لم يكن النقد مباحا تماما فيها، ومعظمها كان يدون لغاية تعبدية، والخلافات الكثيرة في رواياتها يحتم على الباحث أن يقف منها موقف الحذر والحيطه )

وقال: ( وقد استوعبت كتب السيرة سيلا من أبناء الخوارق و المعجزات، التي تزيد و تنقص تبعا لاختلاف الأزمان التي دزنت فيها، فبينما نجد سيرة ابن هشام لا تعنى كثيرا بأبناء الخوارق و المعجزات، نجد أن سيرة ابن أبي الفداء، و( الشفاء ) للقاضي عياض، وغيرهما، قد عنيت العناية الكبرى بها، وكتب السيرة مزدحمة بالرواة القصاصين الذين عرفوا بالصناعة القصصية في ما يروون، وهؤلاء لا يتحرون الدقة في سند الرواية أو منتهاها، لأنهم يعينهم — فحسب — صياغة الأسلوب و عنصر التشويق )

ثم قال: ( وإذا تركنا السيرة إلى كتب الحديث ألفينا أنفسنا إزاء مشكلة معقدة تجعل الباحث في حيرة لا تنتهى ولا تقف عند حد.. وظهر وضع آلاف الأحاديث ونسبتها إلى النبي لتكون مؤيدا لحزب سياسى، أو ناقضا لحزب آخر، وانتزه اليهود والزنادقة فرصة هذه الخلافات التي تذررت بالدماء في معظم الأحيان، وراحوا يخلطون الأحاديث ليهدموا بها الاسلام، ويشغلوا العامة عن أصوله لتنصرف إلى شكلياته، كما تطوع كثير من السذج والبسطاء فوضعوا أحاديث في الترغيب والترهيب، ظنا منهم أن في هذا خدمة للدين، و لو عقلوا لأدركوا أنهم إنما أساءوا إلى الدين أكبر إساءة )

ثم قال: ( وبعض تفاسير القرآن نفسها محشو بالآلاف الأحاديث المنسوبة الى الرسول، دون أن يكلف أصحاب التفاسير أنفسهم مشقة توضيح درجتها من الصحة والضعف.. والذين يتشددون بأحاديث دخيلة، ويصرون على نسبتها إلى رسول الله، ولو قبلناها، لكان معنى هذا أن محمدا نطق بما يفسد ذوق الحياة، ويتنكر لسنتها، ويهدم بمعمل هذه الشريعة التي قامت أصولها على المنطق القوى السليم )

وختتم بقوله: ( ولسائل أن يتساءل: ألم تحدث للرسول معجزات؟.. ونحن نقول له: إن كتب الأحاديث، وكتب السيرة، قد استوعبت آلاف المعجزات، ومنها ما بلغ الى درجة التطرف الذى يفرض علينا الضحك، وحسبك أن تقرأ (دلائل النبوة) للبيهقى، و أبى نعيم، و(الشفاء) للقاضي عياض، وشرح الزرقانى على (المواهب)، والأحاديث المعتمدة معدودة على الأصابع، وكلها أحادية لا تقطع بخير<sup>٢</sup> )

وهكذا، فالأستاذ السمان ينقض كل معجزات الحديث والسيرة والشمائل والمغازى وينقض معها كل ما يتوهمونه من معجزات في بعض آيات القرآن.

ومثلهما قال الأستاذ دروزة الذي كان أصرح منه في قوله: ( إن حكمة الله اقتضت أن لا تكون الخوارق

(١) محمد، الرسول البشر، ص ١٠ - ١٨.

(٢) عبد الله السمان: محمد، الرسول البشر، ص ٨٦ - ٨٨ و ١١٣.

دعامة لنبوة سيدنا محمد عليه السلام، و برهانا على صحة رسالته، و صدق دعوته (١)  
 فالواقع التاريخي والقرآن يدل على أن محمدا غير مؤيد بالخوارق في نبوته ورسالته.  
 قال عبد القادر: لقد ذكرت كلاما كثيرا، والمنهج العلمي الذي تعرضه علي يحتم أن نناقش كل ذلك  
 نقطة نقطة.. فإن أذنت لي، وكنت حريصا على معرفة الحق، ناقشتك، وإلا فأنت حر فيما اخترت.  
 هنا تدخل مستأجر عبد القادر بطريقته اللبقة، وقال: إن حضرة القس عالم حليل، وهو لا تمهه إلا  
 الحقيقة، وما عرض هنا ما عرضه إلا لتناقشه فيه.. فتحدث كما شاء، فلن تجد منه، ولن تجد منا إلا آذانا  
 صاغية.

### القرآن ومعجزات محمد:

كتم بولس بعض الضيق في نفسه، وأخرج ابتسامه مصطنعة دفعت عبد القادر ليقول: ما دام الأمر  
 كذلك، وما دام حضرة القس الفاضل قد أذن لي.. فسأبين لكم وجه الحق فيما استدل به واحدا واحدا.  
 أما الأول، وهو استدلاله بالقرآن، وأن القرآن نفى أن تكون لمحمد ﷺ أي خارقة للعادة.. فإن المنهج  
 العلمي يستدعي أن أطرح على حضرة القس هذا السؤال: اقرأ لي الآيات التي نفى القرآن فيها أي معجزة لمحمد  
 ﷺ.

قال بولس: لقد جاء في القرآن في سورة الأنعام: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا  
 تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَفْضُلُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ (الأنعام: ٥٧)، ومعنى ذلك أن محمدا لم تكن  
 عنده المعجزات التي طلبها منه الكفار.

وقال في نفس السورة: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ  
 وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٠٩)، ومعنى ذلك أنه لو أعطاهم آية واحدة لآمنوا، ولكن  
 يبدو أنه لم يحقق طلبهم ولو في آية واحدة.

وفي سورة الإسراء قال هكذا: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ  
 جَنَّةٌ مِّن تَنْحِيلٍ وَعَيْنَب فَتَفَجَّرَ الْأَنْهَارُ حِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾ (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي  
 بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةَ قِيَالًا﴾ (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُرْحٍ أَوْ تَرْفَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفْيِكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ  
 عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (٩٣)﴾ (الإسراء)

وفي نفس السورة وردت هذه الآية: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ وَآتَيْنَا ثُمُودَ  
 النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ (الإسراء: ٥٩)  
 وفي سورة الأنعام: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَآ  
 يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ٣٧)

قال عبد القادر: فلنبدأ بالآية الأولى.. والتي يأمر الله تعالى فيها نبيه ﷺ بأن يقول ﴿إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي  
 وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَفْضُلُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ (الأنعام: ٥٧)

إن فهم هذه الآية يستدعي معرفة المراد من جملة (مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ) ﴿﴾ فهي الجملة المحورية في الآية.  
إن حضرة القس الفاضل فهمها على أن المراد منها هو الآيات ودلائل النبوة، وهو ما لا يستقيم مع اللفظ،  
فلاستعجال هو طلب تقدم شيء وعدوا به أو هددوا.

وبالرجوع إلى القرآن الكريم الذي يرجع له حضرة القس ومن معه، فإننا نجد الكفار الذي قاموا بفعل  
الاستعجال، استعجلوا النبي ﷺ في أمرين:

أما الأول، فهو القيامة، فقد كانوا يكذبون بها أشد تكذيب، ولذلك كانوا يستعجلون حضورها، كما  
قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٧١) قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي  
تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ (النمل)، وقال تعالى: ﴿ قَتَلَ  
الْخُرَاصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١) يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ  
يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤) ﴾ (الذاريات)

وأما الثاني، فهو نزول العذاب بهم في الدنيا قبل القيامة، وهو ما تشير إليه هذه الآية بدليل قوله: ﴿ قُلْ لَوْ  
أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِّي الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ أي: لو كان مرجع ما تستعجلون به إلي، لأوقعت بكم  
ما تستحقونه من ذلك.

وقد أشار إلى هذا المعنى آيات كثيرة من القرآن الكريم، فقد كان المشركون لعنواهم يطلبون من محمد ﷺ  
أن يترل بهم العذاب الذي يتوعد الله به الكافرين:

فالله تعالى يقول: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَّاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٥٠) أَتَمَّ إِذَا مَا  
وَقَعَ أَمَّنْتُمْ بِهِ الْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا  
كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ (يونس)

ويحكي الله تعالى عنهم استعجالهم العذاب، فيقول: ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ  
فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣٢) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ  
مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ (الأنفال)

وهذا من كثرة جهلهم وعُتُوهم وعنادهم وشدة تكذيبهم، لقد كان الأولى لهم أن يقولوا: (اللهم، إن كان  
هذا هو الحق من عندك، فاهدنا له، ووفقنا لاتباعه)، ولكن الكبر الذي امتلأت به نفوسهم منعهم من ذلك.

وقال تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْ لَأَجَلَ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا  
يَشْعُرُونَ ﴾ (العنكبوت: ٥٣)

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا فِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ (ص: ١٦)

وقال تعالى: ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقَعِ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾ (المعارج: ١-٣)  
والله تعالى يحكي هذا عن الأمم السالفة، كما قال قوم شعيب له: ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ  
كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (الشعراء: ١٨٧)، وقال هؤلاء: ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا  
حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

هنا انتهز بولس الفرصة، وقال: ولكن قوم شعيب نزل بهم العذاب، وكان ذلك آية لشعيب، أما محمد، فلم يحصل له ذلك.. وبذلك لم تكن له آية.

قال عبد القادر: وما فائدة الآية بعد نزول العذاب بهم وهلاكهم.. لقد كان لمحمد من الرحمة ما منعه أن يسأل الله عذابهم.. بل كان حريصا عليهم حزينا على كفرهم، ولذلك لما عرض عليه تعذيبهم أبي ذلك. فعن عائشة — رضي الله عنها — أنها قالت لرسول الله ﷺ: (يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟)، فقال: (لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منه يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل ابن عبد كلال، فلم يجبي إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن النعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلّنتي، فنظرت فإذا فيها جبريل، عليه السلام، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال وسلم علي، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وقد بعثني ربك إليك، لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أطبقت عليهم الأحشيين<sup>١</sup>)، فقال رسول الله ﷺ: (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله، لا يشرك به شيئا)<sup>٢</sup>

فقد عرض عليه عذابهم واستصالحهم، فاستأنى بهم، وسأل لهم التأخير، لعل الله أن يخرج من أصلابهم من لا يشرك به شيئا<sup>٣</sup>.

أجيبوني — حضرة الجمع المبارك —: أيهما أكرم خلقا، وأقوم رأيا: أن يستجيب محمد ﷺ لطلبهم فيترل بهم العذاب.. أم يكمل ذلك لله، فالله هو الذي يعلم ما ستأول إليه قلوبهم من الهداية والضلال. ثم أجيبوني: لو أن مريضا طلب من طبيبه أن يقتله حتى يريجه من العذاب.. هل يستجيب طبيبه له.. أم أنه يستعمل كل الوسائل الطبية ليملاؤه بالصحة والعافية.

قالوا: بل الثاني هو الأقوم رأيا.

قال عبد القادر: وهذا الثاني هو محمد ﷺ..

التفت إلى بولس، وقال: فلننتقل لنفهم الآية الثانية، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن

(١) وهما جبلا مكة اللذان يكتنفهما جنوبا وشمالا.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) فإن قيل: ما الجمع بين هذا، وبين قوله تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿قُلْ لَوْ أَن عِندِي مَا تَسْتَعْتِلُونَ بِهِ لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾؟

فالجواب — كما ذكر ابن كثير — هو أن هذه الآية دلّت على أنه لو كان إليه وقوع العذاب الذي يطلبونه حال طلبهم له، لأوقعه بهم، وأما الحديث، فليس فيه أنهم سألوه وقوع العذاب بهم، بل عرض عليه ملك الجبال أنه إن شاء أطبق عليهم الأحشيين، فلهذا استأنى بهم وسأل الرفق لهم.

ومحمل الآية أن العذاب يترل عليكم في الوقت الذي يختاره الله وأن العذاب ليس بيد رسول الله، ولكنه بيد الله ﷻ ولا قدرة لأحد على تقديمه أو تأخيره حتى لو كان الرسول وهذا من أدب الرسول ﷺ مع ربه، وقد نزل عليهم يوم بدر وبعده، فهذه لا دلالة فيها على أن النبي محمد لم تصدر عنه المعجزات كما رأيت، بل هو طلبهم للعذاب وأمر العذاب مفوض لله سبحانه.

جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ (الأنعام: ١٠٩)  
فلا آية الكريمة تنص على أن الكفار ﴿١﴾ أفسموا بالله جهداً أيمانهم لئن جاءتهم آية ﴿٢﴾ من مقترحاتهم أو  
الآية التي يختارونها ﴿٣﴾ لِيُؤْمِنُوا بِهَا ﴿٤﴾

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يرد عليهم بقوله ﴿٥﴾ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ﴿٦﴾، فهو وحده القادر عليها،  
والذي يظهر منها ما يشاء.

ثم خاطبهم بقوله ﴿٧﴾ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨﴾ أي الآية المقترحة إذا جاءت لا يؤمنون بها.  
وهذا لا يعني عدم وجود الآيات، ولكنه يعني أن هؤلاء اقترحوا معجزات معينة من باب السخرية  
والاستهزاء لا من باب الاسترشاد والتحقق، والله تعالى لا يجيب المستهزئين أو المنكرين لما يطلبون، فإن أحابهم،  
ثم لم يؤمنوا أنزل بهم العذاب.

وقد روي في سبب نزول هذه الآية أن قريشا كلموا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد تخبرنا أن موسى كان  
معه عصا يضرب بها الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى، وتخبرنا أن ثمود  
كان لهم ناقة فاتنا من الآيات حتى نصدقك، فقال رسول الله ﷺ: (أي شيء تحبون أن أتاكم به)، قالوا: تجعل  
لنا الصفا ذهباً، فقال لهم: (فإن فعلت تصدقوني؟)، قالوا: نعم والله لئن فعلت لتبتعنك أجمعون، فقام رسول الله  
ﷺ يدعو، فجاءه جبريل ﷺ فقال له: (ما شئت إن شئت أصبح الصفا ذهباً، ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند  
ذلك ليعذبنهم وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم)، فقال رسول الله ﷺ: (بل أتركهم حتى يتوب تائبهم)  
فهذا النص يدل على أن رحمة الله ورحمة رسوله بقومه وبالناس كافة جعلته يمتنع من تلك الآية التي  
اقترحوها في ذلك الحبل، وهو لا يعني عدم الآيات، وإنما يعني ما اقترحوه، لأنهم لم يقترحوه بدوافع الصدق  
والاسترشاد والتحقق.

فلو نزلت تلك الآية ولم يؤمن هؤلاء وجب هلاكهم لأنها سنته تعالى فيما مضى من القرون والأمم  
السابقة، فالله تعالى يُنزل الآية، فإن لم يؤمنوا بها يهلكهم لكفرهم وعنادهم، كما حدث مع قوم ثمود لما جاءهم  
الناقة، كما قال تعالى في الآية التي هي من الأدلة التي استدلت بها ﴿٩﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ  
بِهَا الْأَوَّلُونَ وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿١٠﴾ (الإسراء: ٥٩)  
قال بولس: إن عدم إجابة محمد لمقترحاتهم دليل على أنه لم يكن له من السلطان ما يفعل به تلك  
المقترحات، وهو ما ينفي نبوته.

قال عبد القادر: بهذا المنطق الذي تطبقه على محمد، فإن المسيح نفسه لم يستجب لكل ما اقترح عليه من  
الآيات:

ففي إنجيل (مرقس: ١١/٨-١٢): (فخرج الفريسيون وابتدأوا يجاورونه طالبين منه آية من السماء لكي  
يجربوه. فتنهد بروحه وقال لماذا يطلب هذا الجيل آية. الحق اقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية)  
فقد طلب الفريسيون منه معجزة على سبيل الإمتحان، فما أعطاهم معجزة، وما أشار إلى معجزة سابقة،  
ولا قال: إنه سيعطيهم معجزة فيما بعد، بل إن قوله: (لن يعطى هذا الجيل آية) يدل على أنه لن يفعل أي

معجزة فيما بعد.

وفي إنجيل (لوقا: ٢٣/٨-١٢): (و اما هيرودس فلما رأى يسوع فرح جدا لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة وترجى أن يرى آية تصنع منه. وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشيء. ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد. فاحتقره هيرودس مع عسكره واستهزأ به وألبسه لباسا لامعا ورده الى بيلاطس)

وهذا النص يظهر هنا للعيان أن المسيح ما أظهر ولو معجزة واحدة مع أنه كان أنسب وقت لظهور معجزة، وقد كان هيرودس يترجى أن يرى منه معجزة واحدة، ولو رأى هيرودس معجزة واحدة لوبخ اليهود، وما احتقر المسيح حينذاك، فهل هذا ينفي ظهور المعجزات من المسيح؟

وقد ورد في نفس الإنجيل (لوقا: ٢٢/٦٣-٦٥): (والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزئون به وهم يجلدونه. وغطوه وكانوا يضربون وجهه ويسألونه قائلين: تنبأ من هو الذي ضربك. وأشياء أخر كثيرة كانوا يقولون عليه مجدفين )

ومثله في إنجيل (متى: ٢٦/٦٧-٦٨) وفي إنجيل (مرقس: ١٤/٦٥) لم يجبهم المسيح لأن سؤالهم كان مجرد استهزاء.

فهل هذا ينفي وقوع المعجزات منه؟

وفي إنجيل (متى: ٢٧/٣٩-٤٤): ( وكان المحتازون يمدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين: يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة ايام خلّص نفسك. إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب وكذلك رؤساء الكهنة أيضا وهم يستهزئون مع الكتبة والشيوخ قالوا: خلّص آخرين وأما نفسه فما يقدر ان يخلصها. ان كان هو ملك اسرائيل فليزل الآن عن الصليب فنؤمن به. قد اتكل على الله فلينقذه الآن ان اراده. لانه قال انا ابن الله. وبذلك ايضا كان اللصان اللذان صلبا معه يعيرانه )

فما خلص يسوع نفسه، وما نزل من على الصليب حتى بعد أن عبره اللصوص والجنود والكتبة كما رأيتم.

بل إن رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ كانوا يقولون: لو أنه نزل من على الصليب نؤمن به ، فكان عليه لدفع العار وإقامة الحجة عليهم أن يتزل ولو مرة واحدة من على الصليب، ثم يصعد مرة أخرى إن كان مُصْرّاً على أن ينتحر أو يقتل نفسه كما يدعون على الصليب ، فهل هذا ينفي وقوع المعجزات على يده؟

وفي إنجيل (متى: ١٢/٣٨-٤٠): (حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يا معلّم نريد ان نرى منك آية. فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية الا آية يونان النبي. لانه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة ايام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الانسان في قلب الارض ثلاثة ايام وثلاث ليال )

فها هم الكتبة والفريسيون قد طلبوا منه أن يعطيهم معجزة وما أظهر لهم معجزة، بل شتمهم وسبهم، وأخبر أنهم جيل شرير وفاسق، ولم يشير إلى معجزة سابقة، ولا وعد بلاهقة، فهل هذا ينفي وقوع أي معجزة أخرى على يده؟

وغير هذا كثير..

بل إن عدم تلبية المسيح لطلب المعجزات في الأوقات المطلوبةه تسبب في ارتداد الكثير من تلاميذه، بل تركوه، ولم يمشوا ورائه فيما بعد، كما جاء في إنجيل (يوحنا: ٦/٦٦): (هكذا: من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الورا ولم يعودوا يمشون معه)<sup>١</sup>

انتفت عبد القادر إلى بولس، فوجده لا ينسب بنت شفة، فقال: أكتفي بهذه الأمثلة من الإنجيل.. وهي تؤكد ما ورد في القرآن.. وهي تفسر كذلك الآيات التي أسأت فهمها، وحملتها ما لا تحتل.

أما الموضوع الثالث التي استدلت به، فهو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ (٩٠) «أَوْ تَكُونَ لَكَ حِجَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعَنْبٌ فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا» (٩١) «أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا مِثْلَ الْكَافِرِينَ» (٩٢) «أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا» (٩٣) (الإسراء)

فالمشركون — كما تدل هذه الآيات الكريمة — علقوا إيمانهم بالرسول ﷺ بأن يفجر لهم من الأرض ينبوعاً، أو بأن تكون له حنة من نخيل وعنب يفجر الأنهار خلالها تفجيراً، أو أن يأخذهم بعذاب من السماء، فيسقطها عليهم قطعاً كما أندرهم أن يكون ذلك يوم القيامة! أو أن يأتي بالله والملائكة قبيلاً يناصره ويدفع عنه كما يفعلون هم في قبائلهم! أو أن يكون له بيت من المعادن الثمينة، أو أن يرقى في السماء، ولا يكفي أن يعرج إليها وهم ينظرونه، بل لا بد أن يعود إليهم ومعه كتاب محبر يقرأونه.

إنك ترى طفولة الإدراك والتصور في هؤلاء، كما يبدو التعنت في هذه المقترحات الساذجة، وهم يسوون بين البيت المزخرف والعروج إلى السماء.. أو بين تفجير ينبوع من الأرض، ومجيء الله سبحانه والملائكة قبيلاً.

والذي يجمع في تصورهم بين هذه المقترحات كلها هو أنها حوارق، فإذا جاءهم بما نظروا في الإيمان له والتصديق به!

والقرآن ينبه إلى أن الخارقة ليست من صنع الرسول، ولا هي من شأنه، إنما هي من أمر الله سبحانه وفق تقديره وحكمته.

فليس من شأن الرسول أن يطلبها إذا لم يعطه الله إياها، فأدب الرسالة وإدراك حكمة الله في تدبيره يمنعان الرسول أن يقترح على ربه ما لم يصرح له به<sup>٢</sup>.

والقرآن ينص على أن مقصود الكفار بهذه الإقتراحات العناد والتعنت واللجاج، ولو جاءهم كل آية لقالوا هذا سحر، كما قال تعالى: ﴿لَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ

(١) هذا ما في طبعة سنة ١٨٦٠م، وفي طبعة سنة ١٨٢٥م هكذا: «ومن ثم ارتد كثير من تلاميذه على أعقابهم ولم يمشوه بعد ذلك أبداً»، وكذلك في طبعة سنة ١٨٢٦م، وإن كانت هذه الفقرة واردة في طبعة سنة ١٨٢٣م، سنة ١٨٤٤م، وفي طبعة سنة ١٨٨٢م، برقم (٦٧) وليس (٦٦)

(٢) انظر في تفسير هذه الآيات: في ظلال القرآن، سيد قطب.



هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ (الأنعام: ٧)

هذا هو معنى الآية الثالثة التي استدلت بها — حضرة القس —

أما الآية الرابعة، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَأَتَيْنَا تُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ (الإسراء: ٥٩)

فمعناها: (وما منعنا يا محمد أن نرسل بالآيات التي سألتها قومك، إلا أن كان من قبلهم من الأمم المكذبة، سألوها ذلك مثل سؤالهم فلما أتاهم ما سألوها منه كذبوا رسلهم، فلم يصدقوا مع مجيء الآيات، ففوجئوا فلم نرسل إلى قومك بالآيات، لأننا لو أرسلنا بها إليها، فكذبوا بها، سلكنا في تعجيل العذاب لهم مسلك الأمم قبلها )

فالحديث في هذا عن بعض مقترحات المشركين، كما ذكرنا سابقا، وقد ورد في سبب نزول الآية ما يوضح ذلك، فعن ابن عباس، قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي عنهم الجبال، فيزرعوا، ف قيل له: إن شئت أن نستأني بهم لعلنا نجتنى منهم، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوها، فإن كفروا أهلكتهم كما أهلكت من قبلهم، قال: (بل تستأني بهم)، فأنزل الله هذه الآية. هذا هو معنى الآية الرابعة، أما الآية الخامسة، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ٣٧)

فلها نفس معاني الآيات السابقة، فهي تخبر عن أولئك المستهزئين الساحرين، وهي لا تعني أبداً أن الله لم يجعل لنبيه من الآيات ما يدل على نبوته.

التفت إلى بولس، وقال: إن هذه الآيات جميعاً تشير إلى هذه الحقيقة العظيمة.. حقيقة أن الأنبياء كان لهم من العقل والحكمة بحيث لا يجعلون أنفسهم لعبة بيد الساحرين والمستهزئين يطلبون منهم كل ما تمليه أهواؤهم.. ثم إن الله أعظم وأجل من أن يكون تحت رغبة كل فاسق مستهزئ من الكافرين المنكرين لنبوة الأنبياء.

ومع ذلك.. فلنرجع للقرآن الذي تستدل به — حضرة القس — على عدم ورود المعجزات من محمد ﷺ .. لتقرأه بعمق، وترى إثباته لمعجزات محمد ﷺ كإثباته لمعجزات الأنبياء من قبله.

فإن الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ (١٤) وَقَالُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾

فهاتان الآيتان، تشيران إلى وقوع الآيات منه ﷺ، وأهم كانوا يقابلونها بدعوى أنها من السحر، كما حصل للأنبياء السابقين، كما قال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ (طه: من الآية ٧١)

والله تعالى يقول في سورة القمر بعد ذكره لمعجزة انشقاق القمر: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْتَبٌ﴾ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ (٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بِاللَّغَةِ فَمَا تُغْنِ التُّدْرُ (٥)﴾ (القمر)

والله تعالى يخبر أنهم رأوا الآيات الكثيرة الدالة على صدق رسول الله ﷺ، فهو يقول: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ

قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿آل عمران: ٨٦﴾

وهو يقول: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (الأنعام: ٢١) وهو يقول: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٤) التفت إلى القس، وقال: ألم يقرأ قومك هذه الآيات.. أم أنهم ينتقون من القرآن ما يشاءون.. ثم لا يفهمونه إلا كما تملي عليهم أهواؤهم.

إنهم يشبهون ذلك السكر الذي لم يقرأ من القرآن إلى آية واحدة، هي قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ (الماعون: ٤)، بترها عما قبلها، وعما بعدها، ثم راح يقول:

دَعِ الْمَسَاجِدَ لِلْعِبَادِ تَسْكُنْهَا      وَمِلْ بِنَا إِلَى خَمَّارٍ لِيَسْقِنَا  
مَاقَالَ رَبُّكَ وَيْلٌ لِلَّالِ سَكَرُوا      بَلْ قَالَ وَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ

### سند المعجزات:

التفت عبد القادر إلى بولس، وقال: أظن أن الشبهة الأولى التي أوردتها قد ردها القرآن نفسه، فلننتقل إلى الشبهة الثانية، لاشك أنكم تذكرونها.

قال مستأجر عبد القادر: أجل.. فقد شكك في الأسانيد التي رويت بها معجزات محمد، مستندا لذلك لأقوال هيكال وغيره.

ابتسم عبد القادر، وقال: إنك — يا حضرة القس — بهذا التشكيك، لا تشكك في معجزات محمد ﷺ فقط، بل تشكك في معجزات المسيح نفسه، بل في كل الكتاب المقدس.

أنت تعلم أن كل ما نقل من معجزات المسيح لم ينقله تلاميذ المسيح.. بل نقله ناس لا علاقة لهم بالمسيح من قريب أو من بعيد<sup>١</sup>.

لن أتحدث معك في هذا، فأنت تعلم منه أكثر مما أعلم.. ولو شئت لاكتفيت به.. ولكني سأذكر لك دقة التوثيق الذي اعتمده علماء المسلمين في نقل كل ما يتصل برسول الله ﷺ.

أولا.. لقد كان أصحاب محمد ﷺ هم الذين نقلوا لنا معجزات محمد ﷺ كما رأوها، كما أنهم هم الذين نقلوا كل ما يتصل بمحمد ﷺ من صغير وكبير<sup>٢</sup>.

لقد كانت أعين هؤلاء الصحب الكرام كعدسات الكاميرا، وأذاهم كأجهزة التسجيل الدقيقة التي تلتقط كل شيء، لأنهم يعلمون أن دخولهم الجنة متوقف على تأسيهم بأفعاله وأحواله، وطاعتهم لأقواله، فكانت أعينهم شديدة المراقبة لحركات الرسول ﷺ وسكناته، وكانت آذانهم مرهفة السمع لأقواله، وكانت قلوبهم متلهفة ومتعطشة لسماع الحق والنور والهدى ومعرفته وقبوله.

(١) انظر: تفاصيل ذلك في الرسالة الثانية من هذه السلسلة (الكلمات المقدسة)

(٢) انظر: بينات الرسول ﷺ ومعجزاته، للشيخ عبد المجيد الزنداني.

فلذلك نقلوا لنا فيما نقلوا بينات رسالته، وأحوال عبادته، وحديثه وهديه وسنته، ودقائق أحواله الشخصية وتصرفاته ﷺ، مع أصحابه وأهله وأعدائه، وتفصيل عاداته في يقظته ونومه وطعامه وشرابه وسائر شؤونه، وتصرفه في أخرج اللحظات التي مرت به وكذا في أوج انتصاراته، وحين المكار، وتفصيل محاولات الكفار والمنافقين لخداعه ومساوماتهم له، فكانت سيرته العطرة ﷺ نوراً مشاهداً لمن حوله.

ثم نقل لنا هؤلاء الأصحاب ما رأوه وشاهدوه وسموه من معجزات نبهم ﷺ وأقواله وأفعاله، يحدهم الشوق للأجر في تبليغ العلم والدين، كقوله ﷺ: (نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنْهُ شَيْئًا فَلَعَنَهُ كَمَا سَمِعَهُ)١، وتحتهم طاعتهم لرسولهم ﷺ إلى المسارعة في نشر العلم، فهو القائل: (بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)٢

وقد دفعهم — قبل ذلك كله — القرآن الكريم الذي حذر من كتمان العلم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَثُوبٌ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠)﴾ (البقرة: ١٥٩-١٦٠).

وحذرهم منه ﷺ، فقال: (من سئل عن علم فكتمه أجم يوم القيامة بلجام من نار)٣ وقد نقلوا ما نقلوه بدقة بالغة وأمانة عالية، لأهم يعلمون حرمة الكذب في الإسلام عامة، وحرمة بشكل أشد على الرسول ﷺ، وقد رواه عنه قوله ﷺ: (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)٤، حتى كان بعضهم يتحرج من الرواية عنه ﷺ خشية أن يخطئ فينقل ما لم يسمع، مما يدلنا على مدى التوثيق البالغ لسنة النبي ﷺ.

ولما ظهر بعد جيل الصحابة بعض من لا يوثق بروايته، قبض الله أئمة الحديث والجرح والتعديل الذين شيّدوا علم الرجال والتاريخ والجرح والتعديل، الذي ضم آلاف الرواة مبيناً حال كل راوٍ من حيث أنه معروف أو مجهول، ومن حيث مدى حفظه وضبطه وإتقانه وشيوخه وتلاميذه وسنة ولادته وسنة موته، وهل بقي حفظه كما هو أم تغير في آخر عمره لكبر سنّه، أو لحادثٍ أصابه، وما أشبه ذلك من مقاييس الجرح والتعديل، بل وصل الأمر إلى جمع روايات الثقات العدل ومقارنتها لمعرفة إن كان أحدهم قد وهم في لفظة أو جملة.

وقد استقر الأمر عند علماء الحديث والسنة فوضعوا شروطاً للحديث الصحيح المقبول عن رسول الله ﷺ، وهي شروط في منتهى الدقة والموضوعية.

فقد اشترطوا في الحديث أن يكون منقولاً بنقل العدل الضابطين.. متصل الإسناد بأن يكون كل راوٍ قد

(١) هذا الحديث من الأحاديث المتواترة، ذكر الحافظ أبو القاسم بن منده أنه رواه عن النبي ﷺ أربعة وعشرون صحابي. ثم سرد أسماءهم. وقد جمع طرقه الشيخ عبدالمحسن العباد في جزء مفرد مطبوع.

(٢) رواه البخاري والترمذي وأحمد.

(٣) رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي ورواه الحاكم بنحوه وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٤) رواه البخاري ومسلم وغيرهما، قال المنذري: — هذا الحديث قد روي عن غير واحد من الصحابة في الصحاح والسنن والمسائيد وغيرها حتى بلغ مبلغ التواتر..

سمع الحديث من شيخه، فلا يكون منقطعاً.. وأن يكون سالماً من الشذوذ ومن العلة القادحة.  
فاستبعد علماء الحديث في الحديث الصحيح من كان مجروحاً من الرواة بأي سبب من أسباب الجرح.  
ومما يبين صحة منهج المحدثين ومنهجيتهم العلمية الدقيقة: عدم قبولهم الخبر المكذوب الذي زعم واضعه أنه  
قصد بوضعه نصرة الدين الإسلامي أو الحث على بعض فضائل الأعمال، بل اعتبروا ذلك ضلالاً من فاعله  
وابتداعاً في الدين<sup>١</sup>.

وبهذا يظهر لنا تميز منهج النقد والتوثيق في الحديث النبوي، الذي يشترط الشروط الدقيقة في الرواية، حتى  
يطمئن المحدث بأن كل من في سند الرواية عدل أمين في روايته، ضابط دقيق في نقله، كأن عينه آلة تصوير،  
وأذنه آلة تسجيل، وذاكرته وكتابه شريط صافٍ سُجِلت عليه الكلمات.  
وبهذه الطريقة الأمانة الدقيقة نُقلت إلينا السنة النبوية، وأخبار المعجزات، ووجدنا المعجزة تُروى من عدة  
طرق لرواتها عن الذين حضروها وشاهدوها، فتتكامل تلك الروايات ويُصدّق بعضها بعضاً، وتلتقي مع ما  
ذكره القرآن أو أشار إليه.

وليس هناك شخص في التاريخ توفرت لأتمته تلك الدوافع والخوافز وقواعد الضبط والتحري لنقل أقواله  
وأفعاله غير محمد ﷺ؛ لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين الذي جعله الله حجة على العالمين وتكفل بحفظ بيناته  
ومعجزاته في سجلات صادقة موثوقة لتقوم بها الحجة على من يأتي بعده إلى قيام الساعة.

قال ذلك، ثم التفت للقس، وقال: إن كتب الحديث ومخطوطاتها لا تزال موجودة محسوسة، فإن شئت  
فلنذهب إليها، ولنذهب إلى كتبكم المقدسة لنرى مدى دقة أسانيدنا، ومدى دقة أسانيدكم.

ثم قال: أنتم أنفسكم تعترفون بدقة أسانيدنا؟

قال بولس: كيف ذلك؟

قال عبد القادر: أُلستم ترجعون إلى كتب الحديث لتتهموا محمدا ﷺ. بما شاء لكم أن تتهموه، فكيف

تقبلونها في التهمة، ثم لا تقبلونها في البراءة؟

---

(١) تدريب الراوي ٢٨٣/١ و نزهة النظر ص ١٢١-١٢٢.

### ٣ — المعجزة الخالدة

لما سمع الجمع هذا صاحوا في عبد القادر: لقد اقتنعنا بكل ما ذكرته من مقدمات، فحدثنا الآن عن معجزات محمد.

قال عبد القادر: إن ذلك يطول.. ولهذا سأقتصر لكم على بعض الخوارق التي وقعت من باب التحدي، وأولها القرآن الكريم.

هنا انتفض بولس فرحا، وقال: ها.. لقد قلت لكم: إنهم لا يملكون معجزة غير القرآن.. هذا ما كنت أناضل عنه منذ الصباح.. وهذا ما كان يرده علي، وهاهو يبدأ به.

ابتسم عبد القادر، وقال: نعم.. القرآن الكريم هو أول معجزة، وأكبر معجزة، وأخلد معجزة، وهو شاهد محمد ﷺ لكل الأجيال.. وهو أمامكم.. اجثوا فيه عن أسرار الإعجاز.

ثم نظر إلى بولس، وقال: نحن لدينا معجزة خالدة، يمكننا إشهارها في كل زمان، فأرني معجزتكم، ولا تذكر لي إحياء الموتى، ولا إبراء الأكمه والأبرص، ولا إخضاع الطبيعة، فإن كل ذلك أتلقاه منك أخبارا أحسن بما وبك الظن، فأقبلها، ولكنها قد تجد من يردها، وقد وجدت.

قال بولس: والقرآن ماذا فعل.. لقد تحدى مجموعة من البدو.. وطلب منهم أشعارا تضاهي بلاغته.. فلم يقدرُوا.

قال عبد القادر: لا.. إن هذا كلام من لا يعرف القرآن.. القرآن أعظم من ذلك، وتحدي القرآن أعظم من أن ينحصر في البلاغة والنظم.. إن كل ما فيه يشير إلى أنه كلام الله.

واسمح لي — قبل أن أذكر لك بعض أنواع التحدي التي في القرآن الكريم — أن أقص عليك قصة شاعر مسيحي معاصر قرأ القرآن، فأذهله، فأعلن إيمانه بالقرآن وبالرسول ﷺ، فقال: (قرأت القرآن فأذهلني، وتعمقتُ به ففتنتني، ثم أعدت القراءة فأمنت.. آمنت بالقرآن الإلهي العظيم، وبالرسول مَنْ حَمَلَهُ، النبي العربي الكريم)

وقال: (وكيف لا أومن ومعجزة القرآن بين يديّ انظرها وأحسها كل حين؟! هي معجزة لا كبقية المعجزات.. معجزة إلهية خالدة تدل بنفسها عن نفسها، وليست بحاجة لمن يحدث عنها أو يبشر بها)

وقال: (وكم احتاجت وتحتاج الأديان السابقة إلى علماء ومبشرين وشواهد وحجج وبراهين لحض الخلق على اعتناقها، إذ ليس لديها ما هو منظور محسوس يثبت أصولها في القلوب.. أما الإسلام فقد غني عن كل ذلك بالقرآن فهو أعلم مُعلِّم وأهدى مبشر، وهو أصدق شاهداً وأبلغ حجة وأدمغ برهاناً.. هو المعجزة الخالدة خلود الواحد الأزلي المنظورة المحسوسة في كل زمان)<sup>١</sup>

وقد نظم قصيدة يبين فيها إعجاز القرآن وعظمته، قال فيها:

يقولون: ما آياته؟ ضلَّ سعيهم  
وأياته — ليست تُعدُّ — عظامٌ  
كفى معجزُ الفرقان للناس آيةً  
علا وسما كالنجم ليس يُرام

(١) علوم القرآن الكريم د. نور الدين عتر ص ٢٠١-٢٠٢.

فَكُلُّ بَلِيغٍ عِنْدَهُ ظَلَّ صَامِتًا كَأَنَّ عَلَى الْأَفْوَاهِ صُرٌّ كِمَامٌ  
وَشَاءَ إِلَهُ الْعَرْشِ بِالنَّاسِ رَحْمَةً وَأَنْ يَتَلَاشَى حَقْدَهُمْ وَحَصَامٌ  
فَفَرَّقَ مَا بَيْنَ الضَّلَالَةِ وَالْهُدَى بِفَرَقَانِ نَوْرٍ لَمْ يَشْبَهْ قَتَامٌ

قال بولس: لقد طلب منك الجمع أن تحدثهم عن خوارق محمد الحسية، لا عن الخوارق التي تسمونها معنوية.. فحدثنا عن غير القرآن.

قال عبد القادر: ومن ذكر لك أن القرآن معجزة معنوية.. إنه معجزة حسية.. يمكنكم أن تسمعوها، وأن تقرؤوها كل حين لتروا ما فيها من العجائب التي لا تفنى مع الأيام.

لقد تنوعت البيئات والمعجزات بتنوع الأقوام والأمم، فجعل الله لكل قوم بيئة تناسب مستواهم الثقافي والفكري ليكون ذلك أبلغ في إقامة الحجج على الناس، ولما كان محمد ﷺ مرسلًا إلى الناس كافة، وإلى كل الأزمان فقد أيده الله سبحانه ببيئات متنوعة تناسب مع جميع من أرسل إليهم من الأقوام، ومع جميع الأجيال إلى قيام الساعة على اختلاف ثقافتهم ومداركهم:

فكانت الفصاحة والبلاغة من بيناته المناسبة للعرب الفصحاء البلغاء.

ومن بيناته ما يتناسب مع أهل الأديان كالبشارات به في الكتب السابقة.

ومن بيناته ما عجز أهل الأنظمة والقوانين عن المحييء. بمثله من تشريعات حكيمة تناسب جميع البيئات

والعصور.

ومن بيناته الخوارق المشاهدة كخارقة انشقاق القمر التي سجلت عند بعض الأمم ولا تزال آثارها ظاهرة

إلى اليوم.

ومنها معجزة الإخبار بالغيب الماضي والحاضر والمستقبل، والتي لا تزال تنكشف إلى يومنا هذا.

ومنها ما يتناسب مع أهل الكشوف العلمية في عصرنا.

ومنها نواح كثيرة ستظهر، ولا شك أنها ستظهر، في مستقبل الأيام<sup>١</sup>.

قال بولس: إن كل هذا تمجيد لكتابك، ويمكنني أن أقول أضعافه عن كتابي..

قال عبد القادر: لا يمكنك أن تقول مثل هذا عن كتابك.. إن هذا الكلام لا ينطبق إلا على كتاب واحد

في الدنيا هو القرآن الكريم.

فهو الكتاب الذي جاء يتحدى الكل عن الإتيان بمثله، بل الإتيان بجزء قليل من مثله.

لقد جعل الله سبحانه القرآن المتضمن لكثير من أنواع هذه المعجزات أكبر بينة لمحمد ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَكُمْ لَتَسْتَهْدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ آخَرَى قُلْ لَأَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام: ١٩).

وأخبر ﷺ عن هذه المعجزة الخالدة، فقال: (مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ

(١) انظر: بينات الرسول ﷺ ومعجزاته، للشيخ عبد المجيد الزنداني.

الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>١</sup>)

قال بولس: فهذا الحديث يشير إلى أن معجزة محمد الوحيدة هي القرآن.

قال عبد القادر: لا.. هذا الحديث يشير إلى المعجزة الخالدة.. لا إلى سائر المعجزات، وهو ما تميز به

الإسلام عن سائر الأديان، باعتباره الدين الخالد.

فالحديث يشير إلى طبيعة المعجزة في الوحي الذي أنزله الله على محمد ﷺ، حيث يبقى بعد موته، ويتجدد

إعجازه على مرّ العصور.

قال بولس: حدثنا عن شيء ملموس في هذه المعجزة، فإن كل ما ذكرته مجرد مديح تكييله لكتابه من غير

حساب.

قال عبد القادر: أجيبيوني قبل أن أسألكم: لو أن رجلا قبل أربعة عشر قرنا في صحراء قاحلة بعيدة عن

كل حضارة وعلم، أخبر عن عشرات النظريات العلمية التي لم يكتشفها العلماء إلا في عصرنا، وبأجهزة

متطورة، وبأبحاث مجهدة.. وكان كل ما ذكره موافقا لما ذكروه.. أليس ذلك معجزة؟

قالوا: بل هو قمة الإعجاز.. بل يكفي هذا أن لا يقع فيما وقع فيه أهل تلك القرون من خرافات

وأخطاء.

قال عبد القادر: وهكذا القرآن.. لقد جاء بآخر الحقائق، ووصفها وصفا دقيقا.. ولم يقتصر على مجال

واحد، بل تحدث عن المجالات المختلفة، المرتبطة بالحاجات المختلفة للبشرية.

قالوا: إن هذا لعجيب.. ولكن هل حدث هذا حقا؟

قال عبد القادر: أجل..

قال ذلك، ثم حدثهم عن بعض معجزات القرآن العلمية، والتي قد تعرفت على الكثير منها في رحلتي

السابقة<sup>٢</sup>.

سكت عبد القادر قليلا، ثم قال: ربما لم يفهم بعضكم ما ذكرنا من هذه النواحي المعجزة في القرآن

الكريم.. ولذلك سأذكر لكم دليلا آخر، نطبقه في حياتنا كثيرا، وقبل أن أوردته عليكم.. أجيبيوني: كيف

نعرف أن رجلا ما مصارع لا ينافس، ولا تناظر قوته؟

قالوا: عندما يتحدى المصارعين، فإذا برزوا إليه صرعهم.

قال عبد القادر: فهل ترون في الواقع مصارعا يصرع كل من يتحداه في كل حين، وفي كل مكان، بل

يتحدى جموع المصارعين.. فلا يستطيعون تحديه؟

قالوا: هذا مستحيل.. فكل مصارع من هذا القبيل يكون بطلا للمصارعين في زمان محدود، محدود جدا،

ثم لا يلبث أن يقهر هذا المصارع، لينال الغلبة غيره، وهكذا.

قال عبد القادر: ولكن القرآن الكريم تحدى الكل، وفي كل الأزمنة، ولكنه لم يجد من يقف في وجهه إلى

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) انظر الرسالة السابقة من هذه السلسلة (معجزات علمية)

الآن..

فالله تعالى يقول — مبيناً عجز الإنس والجن مجتمعين أن يأتوا بمثل القرآن الكريم —: ﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَأَيُّتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (الإسراء: ٨٨).  
بل إن القرآن الكريم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله، فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود: ١٣).

ثم تحداهم الله أن يأتوا بسورة من مثله، فلم يقدرُوا، وأخبرهم أنهم لن يفعلوا، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَاذْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة) (٢٤).  
ولو كان القرآن من كلام الرسول ﷺ لما جزم بعدم استطاعة أحد أن يأتي بمثله، وتحقق هذا الجرم بعد ذلك دليل على أن القرآن كلام الله المعجز.

لقد كان بإمكان الكفار أن يكذبوا القرآن لو استجابوا للتحدي، وأتوا بسورة مثل القرآن، ولما رأينا أنهم تركوا الاستجابة للتحدي مع أنه أمر لا يكلفهم كثيراً من التبعات، واختاروا الطريق الوعر لمواجهة الرسول وهو الحرب وإزهاق الأنفس وإهدار الأموال علمنا علماً يقينياً عجزهم عن الإتيان بمثله مع كونهم أساطين الفصاحة والبلاغة.

ولو قدرنا أن رجلاً ألف كتاباً، أو قال شعراً ثم تحدى الكتاب والشعراء، فقال: عارضوني، وإن لم تعارضوني، فأنتم كفار وأواكم النار، فمن المستحيل أن يحجم الجميع عن معارضته لدفع وعيده لهم بدخول النار، فإذا لم يعارضوه رغم توافر الدواعي لمعارضته كان ذلك من أبلغ العجائب الخارقة للعادة الدالة على صدقه في تحديه.

قالوا: فكيف نعرف حصول العجز لمن حاول تحدي القرآن؟

قال عبد القادر: لقد ذكرت لكم أن القرآن الكريم لا يزال يتحدى، فهو معجزة حسية لا تزال قائمة، وتحديه لا زال قائماً، ومع أن هناك منظمات كثيرة تحارب القرآن وتحارب المسلمين، ولديهم من القدرات المادية ما يمكنهم من أن يغروا من شاءوا من الأدباء والعلماء على أن يأتوا بمثل القرآن... ولكنهم لم يفعلوا، ولن يستطيعوا أن يفعلوا<sup>١</sup>.

(١) أما ما ينشر في المواقع التبشيرية من كتابات تحاول أن تضاهي القرآن الكريم، فلاشك في كونها أضحوكة يراد بها السخرية لا حقيقة التحدي، وقد ذكرنا بعض النماذج عنها في رسالة (الكلمات المقدسة) من هذه السلسلة.  
ومن ذلك سورة حملت اسم (سورة الضالين)، وهي: «وَأَلْبَسَ الشَّيْطَانُ الْبَاطِلَ ثَوْبَ الْحَقِّ وَأَضْفَىٰ عَلَى الظلم جلاب العذل، وقال لأولياته أنا ربكم الأحد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي منكم كفواً أحد فأنا الملك الجبار المتكبر القهار القابض المذل المميت المنتقم الضار المغي فيأبي تعبدون وإياي تستعينون (٢) مهيمن يحطم سيف الظلم بكف العدل ويهدي الظالمين (٣) ويهدم صرح الكفر بيد الإيمان ويشيد موثلاً للثائبن (٤) ويتزع غل الصدر شذى المحبة ويشفي نفوس الحاقدين (٥) ويطهر نجس الزنى بماء العفة ويرى المسافحين (٦) ويفضح قول الإفك بصوت الحق ويكشف مكر المفترين (٧) فيأبها الذين ضلوا من عبادنا توبوا وآمنوا فأبواب الجنة مفتوحة للثائبن»



هذا في الحاضر المشاهد ... أما في الماضي، فقد اعترف العرب الذين بدأ بهم التحدي بعظيم نظم القرآن وبلاغته وأسلوبه من خلال تأثرهم به، حتى كانوا يجذرون من قدم إلى مكة من سماع القرآن خشية أن يتأثر به فيسلم، بل تواصلوا فيما بينهم باللغو عند سماع القرآن حتى لا يتأثر به السامع. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ (فصلت: ٢٦).

ولما جاء الطفيل بن عمرو إلى مكة لم يزل به الكفار يجذرونه من سماع القرآن حتى وضع في أذنيه قطناً خشية أن يسمع شيئاً من القرآن، وأبى الله سبحانه إلا أن يسمعه شيئاً منه مع وجود ذلك القطن، فهدى الله قلبه لسماع القرآن ومن ثم شرح الله صدره للإسلام<sup>١</sup>.

ولما سمع الوليد بن المغيرة القرآن فكأته رقة له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوه لك، فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أبي من أكثرها مالا! قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له، قال: وماذا أقول؟! فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطاوة، وإنه لمنشأ أعلاه مُعَدِّق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته.

قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر، يؤثره عن غيره، فترلت الآيات في الوليد قال تعالى: ﴿ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَفَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأَصْلِيهِ سَفَرًا (٢٦)﴾ (المدثر)<sup>٢</sup> (١٣)

فقول الوليد: إن القرآن سحر، يبين عميق التأثير الذي أحدثه القرآن في نفسه.

وقال الزهري: حدثت أن أبا جهل وأبا سفيان والأحنس بن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله ﷺ، وهو يصلي بالليل في بيته، وأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فلما طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا.

حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا

فهذه الآيات السبعة التي تتفق مع سورة الفاتحة في عددها تنتهي هذه السورة العجيبة التي تصور صاحبها أنه يعارض بما القرآن.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢٢٦/٢-٢٢٧.

(٢) أخرج هذه الحادثة الحاكم في المستدرک ٥٥٠/٢ وقال صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي،

وعن الحاكم أخرجها البيهقي في شعب الإيمان ١٥٦/١-١٥٧.

نبرح حتى نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا. فلما أصبح الأحنس بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد، فقال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها، ولا ما يراد بها، قال الأحنس: وأنا والذي حلفت به كذلك.

قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال ماذا سمعت! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاذبنا<sup>١</sup> على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه! والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدق. قال: فقام عنه الأحنس وتركه<sup>٢</sup>.  
فحرصهم على الحضور ليلاً لسماعه مما يدلُّ على تأثرهم به وتعجبهم منه لكونه ليس ككلام البشر، ولكن العناد والمكابرة حملهم على تركه.

ومما يدل على تميز القرآن الذاتي عن كلام العرب ما شهد به أنيس بن جنادة الغفاري قبل إسلامه، حيث سأله أخوه أبو ذرٍّ عما يقول الناس في النبي ﷺ، فقال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر — وكان أنيس أحد الشعراء — قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقرأء الشعر<sup>٣</sup> فما يلتئم على لسان أحدٍ أنه شعر، والله إنه لصادق وإهم لكاذبون<sup>٤</sup>.  
وقدم جبير بن مطعم إلى المدينة قبل إسلامه في فداء أسارى بدر فسمع النبي ﷺ يقرأ في صلاة المغرب بسورة الطور، قال: (فكأنما صدع قلبي حين سمعت القرآن)°، وفي رواية: (وذلك أول ما قرأ الإيمان في قلبي) فهو لاء من قريش أفصح العرب يشهدون ببلاغة القرآن وفصاحته من خلال تأثرهم به.  
ولم يقتصر الأمر على قريش أو غيرهم من العرب، بل إن كل من تعرف على العربية، أو تذوق أدبها يحكم للقرآن الكريم بالإعجاز في هذا الجانب، ولهذا لم يؤلف في إعجاز القرآني النظمي أو البلاغي إلا الأدباء الفحول.

بالإضافة إلى هذا، فهناك آلاف من الشهادات لهذا القرآن من ناس لم يعرفوا العربية، ولم يدخلوا الإسلام، لكنهم يشعرون أن القرآن أعظم من أن يكون كلام بشر:

يقول المستشرق آرثر أدبيري: (عندما أستمع إلى القرآن يتلى بالعربية، فكأنما أستمع إلى نبضات قلبي)<sup>٥</sup> ويقول غوته: (إن أسلوب القرآن محكم سام مثير للدهشة... فالقرآن كتاب الكتب، وإني أعتقد هذا

(١) تجاذبنا: مأخوذ من قولهم: جذا الرجل إذا جلس على ركبتيه.

(٢) سيرة ابن هشام ١/٣٣٧-٣٣٨.

(٣) أقرأء الشعر: طرائقه وأنواعه.

(٤) رواه مسلم.

(٥) أحمد، والبيهقي في السنن الكبرى: ٤٤٤/٢، والطحاوي في شرح معاني الآثار ١/٢١١-٢١٢، والطبراني في المعجم

الكبير: ١١٦/٢ والصغير ٢/٢٦٥ وغيرهم.

(٦) نقلاً عن (حتى الملائكة تسأل) د. جيفري لانغ (٢٠٦).

كما يعتقد كل مسلم ... وأنا كلما قرأت القرآن شعرت أن روحي تهتز داخل جسمي ( ولما بلغ غوته السبعين من عمره أعلن على الملأ أنه يعتزم أن يحتفل في خشوع بلبلة القدر التي أنزل فيها القرآن على النبي محمد، ولما أبصر غوته ريشة طاووس بين صفحات القرآن هتف: (مرحباً بك في هذا المكان المقدس، أغلى كثر في الأرض)<sup>١</sup>

وفي كتابه (الديوان الشرقي للشاعر الغربي) يقول غوته: (هاجر إلى الشرق في طهره وصفائه، حيث الطهر والصدق والنقاء، ولتلقى كلمة الحق منزلة من الله بلسان أهل الأرض)، ويقول: (القرآن ليس كلام البشر، فإذا أنكروا كونه من الله، فمعناه أننا اعتبرنا محمداً هو الإله)<sup>٢</sup>

وتقول المستشرقة الألمانية أنا ماريا شميل، في مقدمتها لكتاب (الإسلام كبديل) لمراد هوفمان: (القرآن هو كلمة الله، موحاة بلسان عربي مبين، وترجمته لن تتجاوز المستوى السطحي، فمن ذا الذي يستطيع تصوير جمال كلمة الله بأي لغة)

ويقول الباحث الأمريكي مايكل هارت في كتابه المعروف (المائة الأوائل): (لا يوجد في تاريخ الرسالات كتاب بقي بحروفه كاملاً دون تحوير سوى القرآن)

ويقول المستشرق بودلي: (بين أيدينا كتاب فريد في أصلته وفي سلامته، لم يُشكَّ في صحته كما أنزل، وهذا الكتاب هو القرآن)<sup>٣</sup>

ويقول بارتلمي هيلر: (لما وعد الله رسوله بالحفظ بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: من الآية ٦٧)، صرف النبي حراسه، والمرء لا يكذب على نفسه، فلو كان لهذا القرآن مصدر غير السماء لأبقى محمد على حراسته)

ويقول المستشرق (فون هامر) في مقدمة ترجمته للقرآن: (القرآن ليس دستور الإسلام فحسب، وإنما هو ذروة البيان العربي، وأسلوب القرآن المدهش يشهد على أن القرآن هو وحي من الله، وأن محمداً قد نشر سلطانه بإعجاز الخطاب، فالكلمة لم يكن من الممكن أن تكون ثمرة قريحة بشرية)

ويقول د. بول شفارتسنا في كتابه (القرآن دليل المسيحيين): (القرآن وحي من الله، لا يجده زمان، ومتضمن للحقيقة المركزة)<sup>٤</sup>

ويقول البروفسور يوشيو دي كوزان مدير مرصد طوكيو: (إن هذا القرآن يصف الكون من أعلى نقطة في الوجود ... إن الذي قال هذا القرآن يرى كل شيء في هذا الكون، وكل شيء مكشوف أمامه) وغير ذلك كثير..

(١) نقلاً عن (حوته والعالم العربي) كاتارينا مومزن (١٧٧-١٨٨-٢٦١).

(٢) البروفسورة نيبا أيوب، نقلاً عن (كيف نتعامل مع القرآن العظيم) د. يوسف القرضاوي (٢٥).

(٣) نقلاً عن (البحث عن الحقيقة) ص (٥٢٢)

(٤) نقلاً عن (يوميات مسلم ألماني) لمراد هوفمان (١٢٢).



## ٤ — المعجزة الكونية

قال رجل من الجمع: لقد سمعنا هذا، وأيقنا بما في القرآن من نواحي الإعجاز الحسي.. فهل هناك غيره؟  
قال عبد القادر: لقد كانت حياة رسول الله ﷺ مملوءة بالمعجزات والخوارق التي ترهن على صدق نبوته.  
ولكن هناك معجزة خاصة، ربما تقابل ما أتى به الأنبياء — عليهم السلام — من معجزات، باعتبارها  
جاءت لمقصد إثبات النبوة، فهي تقابل ناقة صالح ﷺ، وعصا موسى ﷺ، وغيرها من الآيات التي قصد بها  
إثبات النبوات.

قال رجل من الجمع: وغيرها من الخوارق؟

هنا نطق مستأجر بولس بحماقته المعهودة، وقال: إن صح أن هناك خوارق.  
لم يعره عبد القادر أي اهتمام، بل التفت إلى السائل، وقال: أما غيرها من الخوارق، والتي كانت تجري  
على يد النبي ﷺ كما تجري العادات، فهي من إكرامات الله لنبيه ﷺ، أو من بركاته التي جعلها الله له، أو من  
الطاقات التي وهبها الله إياها لأجل الوظيفة التي كلف بها.

قال الرجل: فما هذه الآية العظيمة التي هي آية التحدي العظمى؟

قال عبد القادر: انشقاق القمر..

قاطعته بولس، وهو يضحك بقوة: ألا تعجبون — أيها الأفاضل — من قوله بأن من معجزات محمد  
انشقاق القمر؟ فكيف يحصل هذا، والقمر في السماء، لا في الأرض؟  
قال عبد القادر: والله رب السماء والأرض، فكما يقيم الخوارق لأنبيائه في الأرض، يقيمها لمن شاء منهم  
في السماء.

قال بولس: فهل تراك تأتينا بالأسانيد الضعاف لإثباتها؟

قال عبد القادر: إن هذه المعجزة ثابتة بأدلة لا تكاد تحصى، فقد تواترت الأخبار بأن كفار مكة سألوا  
النبي ﷺ أن يريهم علامة تدل على صدق نبوته، فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ شَقَّتَيْنِ، حَتَّى رَأَوْا غَارَ جِرَاءَ بَيْنَهُمَا، وكان ذلك  
قبل الهجرة بخمس سنوات، فلما رأى الكفار ذلك قالوا: سحرنا محمد، ثم قالوا انظروا ما يأتيكم به السفار،  
فجاء السفار من كل وجه فأخبروهم بذلك..

ففي الحديث عن ابن عباس — رضي الله عنهما — وغيره: اجتمع المشركون على عهد رسول الله ﷺ  
منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل هشام والعاصي بن وائل والاسود بن حبر يغوث والاسود بن عبد المطلب  
والنضر بن الحرث ونظروا لهم فسألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، وقالوا: إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين  
نصفا على أبي قبيس ونصفا على قعيقعان — وفي لفظ: حتى راوحوا من بينهما قدر ما بين العصر إلى الليل —  
فقال رسول الله ﷺ: (اشهدوا)، فنظر الكفار ثم مالوا بأبصارهم فمحوها، ثم أعادوا النظر، فنظروا، ثم مسحوا  
أعينهم، ثم نظروا فقالوا: سحر محمد أعيننا، فقال بعضهم لبعض: لئن كان سحرنا، فإنه لا يستطيع أن يسحر  
الناس كلهم، فانظروا إلى السفار، فإن أخبروكم أنهم رأوا مثل ما رأيتم، فقد صدق، فكانوا يلتقون الركب،

فيخبروهم، أهم رأوا مثل ما رأوا، فيكذبوهم<sup>١</sup>.

بل إن القرآن الكريم ذكر هذه الحادثة العظيمة، فقال: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّرٍ مُّسْتَقَرٌّ (٣) ﴿(القمر)

قال ابن عبد البر: قد روى هذا الحديث جماعة كبيرة من الصحابة<sup>٢</sup>، وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين، ثم نقله عنهم الجُمُ الغفير إلى أن انتهى إلينا، ويؤيد ذلك بالآية الكريمة، فلم يبق لاستبعاد من استبعد وقوعه عذر.

ثم إن ذلك لو لم يحصل لتشكك المسلمون في دينهم وخرجوا منه، ولقال الكفار: إن محمداً يكذب علينا، فما انشق القمر، ولا رأينا شيئاً من ذلك، ولكن الذي حدث زاد المؤمنين إيماناً، وتحير الكافرون أمام هذه المعجزة التي لم يملكوا سوى أن يفسروها بأنها سحر مستمر.

بل إن التاريخ سجل هذه الحادثة، ففي الهند، وفي عهد ملك من ملوكهم، وهو (جاكرواني فرماس) ورد أنه شاهد حادثة انشقاق القمر، فسجلت إحدى المخطوطات التاريخية الهندية ما يلي: (شاهد ملك ما جبار (مالابار) بالهند (جاكرواني فرماس) انشقاق القمر؛ الذي وقع لمحمد، وعلم عند استفساره عن انشقاق القمر بان هناك نبوة عن مجيء رسول من جزيرة العرب، وحينها عين ابنه خليفة له، وانطلق لملاقاته. وقد أعتنق الإسلام على يد النبي، وعندما عاد إلى وطنه - بناءً على توجيهات النبي - وتوفي في ميناء ظفار) وهذه المعلومات في مخطوطة هندية محفوظة في مكتبة دائرة الهند تحتوي على عدة تفصيلات أخرى عن (جاكرواني فرماس)<sup>٣</sup>.

وقد جاء في كتب الحديث ذكر الملك الهندي الذي وصل إلى النبي ﷺ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ثم أهدى ملك الهند إلى رسول الله ﷺ جرة فيها زنجبيل، فأطعم أصحابه قطعة قطعة، وأطعمني منها قطعة، قال الحاكم: ولم أحفظ في أكل رسول الله ﷺ الزنجبيل سواه<sup>٤</sup>.

وقد ذكرت الجرائد الأجنبية مقالة عربتها جريدة الإنسان العربية التي كانت تطبع بالأستانة حاصلها أنه

(١) رواه أحمد والشيخان والبيهقي وأبو نعيم من طرق عن ابن عمر، ورواه الشيخان والبيهقي عن جبير بن مطعم ورواه أحمد والترمذي وابن جرير والحاكم والبيهقي عن حذيفة بن اليمان ورواه ابن أبي شيبه وعبد بن حميد وابن جرير وأبو نعيم ببعض هذه القصة عن ابن عباس ورواه أحمد والشيخان وابن جرير وأبو نعيم من طرق وأنس بن مالك ورواه أحمد والشيخان وأبو نعيم من طرق متقاربة المعنى.

(٢) راجع هذه الأحاديث (فتح الباري ٦/٦٣١ باب ٢٧ من كتاب المناقب حديث ٣٦٣٦، ٣٦٣٧، ٣٦٣٨، و ١٨٢/٧ باب ٣٦ من كتاب مناقب الأنصار حديث ٣٨٦٨، ٣٨٦٩، ٣٨٧٠، و ٣٨٧١ و ٦١٧/٨ باب ١ من كتاب التفسير حديث رقم ٤٨٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، وصحيح مسلم ١٧/١٤٣-١٤٥ في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، وسنن الترمذي ٩/٣٠ في أبواب الفتن، ودلائل النبوة للأصبهاني ١/٣٦٧ حديث ٢٠٧-٢١٢، ودلائل النبوة للبيهقي ٢/٢٦٢ و وحدائق الأنوار للشيباني والسيرة النبوية للذهبي والبداية والنهاية والشفا، والوفا. وغيره الكثير.

(٣) المخطوطة الهندية موجودة في مكتبة مكتب دائرة الهند بلندن التي تحمل رقم المرجع: عربي ٢٨٠٧، ١٥٢ إلى ١٧٣ وقد اقتبسها حميد الله في كتابه محمد رسول الله.

(٤) مستدرک الحاكم، كتاب الأطعمة: ج ٤ ص ١٥٠.

في ممالك الصين على بناء قدم مكتوب عليه: إنه بني عام كذا الذي وقع فيه حادث سماوي عظيم، وهو انشقاق القمر نصفين، فحرر الحساب، فوافق سنة انشقاقه لرسول الله ﷺ.

ابتسم بولس ابتسامة سخرية، وقال: هل سمعتم — أيها الجمع المبارك — بهذه الأعجوبة.. إن هذا لو حصل لأطبق أهل الأرض جميعاً على ذكره، أم أن أعين أهل الأرض كانت مسدودة ذلك الحين؟ قال عبد القادر: سأرد عليك هذه الشبهة بوجوه من النقل والعقل<sup>١</sup>.. من النقل الذي تأخذ به، ومن العقل الذي تنفق جميعاً في العمل بمقتضاه.

### إجابات نقلية:

ولنبداً بالنقل.. وأنا لن أنقل إلا من كتابك المقدس الذي تؤمن به، وتسلم له، بل تعتبر مرتداً إن كفرت بشيء ورد فيه.

فأول ما يستوقفك في هذا حادثة طوفان نوح ﷺ، فقد امتد — بحسب الكتاب المقدس — إلى سنة<sup>٢</sup>، وفتى فيه كل ذي حياة من الطيور والبهائم والحشرات والإنسان غير أهل السفينة، وما نجا من الإنسان غير ثمانية أشخاص على ما هو مصرح به في الإصحاح السابع والثامن من سفر التكوين. وقد ذكر بطرس في رسالته الأولى (٢٠/٣) الطوفان فقال: (في أيام نوح إذ كان الفلك يبني الذي فيه خلص قليلون أي ثمانية أنفس بالماء)

وفي (الرسالة الثانية: ٥/٢): (ولم يشفق على العالم القديم بل إنما حفظ نوحاً ثامناً كارزاً للبر إذ جلب طوفاناً على عالم الفجار)

وما مضت على هذه الحادثة مدة إلى هذا اليوم — على زعمكم<sup>٣</sup> — إلا أربعة آلاف وبعض مئات من السنين، ولا يوجد هذا الحال في تواريخ الهند وكتبهم، وهم ينكرون هذا الأمر إنكاراً بليغاً، ويستهنئ به

(١) انظر هذه الردود في كتاب (إظهار الحق) لرحمة الله الهندي.

(٢) وردت هذه القصة في الإصحاحات من السادس إلى التاسع من سفر التكوين، وظاهرة التحريف تبدو فيها ظاهرة للعيان، فقد جاء في (تكوين ٦: ١ — ٢٢): «رأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، فحزن أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه، وعزم على أن يمحو الإنسان والبهائم والدواب والطيور عن وجه الأرض، وأن يستنني من ذلك نوحاً لأنه كان رجلاً باراً كاملاً في أجياله، وسار نوح مع الله»

وتزداد شرور الناس، وتمتليء الأرض ظلماً، ويقرر الرب نهاية البشرية، ويحيط نوحاً علماً بما نواه، أمراً إياه بأن يصنع فلكاً ضخماً، وأن يكون طلاؤها بالقار والقطران من داخل ومن خارج، حتى لا يتسرب إليها الماء، وأن يدخل فيها اثنين من كل ذي جسد حي، ذكراً وأنثى، فضلاً عن امرأته وبنهيه ونساء بيته، هذا إلى جانب طعام يكفي من في الفلك وما فيه..

ويكرر الرب أوامره في الإصحاح التالي فيأمره أن يدخل الفلك ومن معه ذلك لأن الرب قرر أن يغرق الأرض ومن عليها بعد سبعة أيام ذلك عن طريق مطر يسقط على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة، ويصدع نوح بأمر ربه فيأوي إلى السفينة ومن معه وأهله، ثم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء، واستمر الطوفان أربعين يوماً على الأرض.

وتكاثرت المياه ورفعت الفلك عن الأرض وتغطت المياه، ومات كل جد كان يدب على الأرض، من الناس، والطيور والبهائم والوحوش وبقي نوح والذين معه في الفلك حتى استقرت الفلك على جبل أراوات.

(٣) وعلى زعم المفسرين والكاتبين في قصص الأنبياء الناقلين عن اليهود والنصارى، مع ان النصوص القرآنية لم تحدد تاريخاً لذلك، ومع أن النبي ﷺ أخبر عن الكذب الواقع في هذا الباب، عندما ذكر كذب النساين.

علمائهم كافة، ويقولون: لو قطع النظر عن الزمان السالف، ونظر إلى زمان كرشن الأوتار، الذي كان قبل هذا اليوم بمقدار أربعة آلاف وتسعمائة وستين سنة على شهادة كتبهم، لا مجال لصحة هذه الحادثة العامة لأن الأمصار العظيمة الكثيرة من ذلك العهد إلى هذا الحين مغمورة، وثبت بشهادة تواريخهم أنه يوجد من ذلك العهد إلى هذا الحين في إقليم الهند ملايين كثيرة في كل زمان من الأزمنة، ويدعون أن حال زمان كرشن لوجود كثرة التواريخ كحال أمس.

وقد ذكر ابن خلدون ذلك، فقال: (واعلم أن الفرس والهند لا يعرفون الطوفان وبعض الفرس يقولون كان يبابل فقط )

وقال القرظي في كتابه (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار): (الفرس وسائر الجوس والكلدانيون أهل بابل والهند وأهل الصين وأصناف الأمم الشرقية ينكرون الطوفان، وأقر به بعض الفرس لكنهم قالوا لم يكن الطوفان بسوى الشام والمغرب، ولم يعم العمران كله ولا غرق إلا بعض الناس، ولم يجاوز عقبة حلوان، ولا بلغ إلى ممالك المشرق )

هذا حادث من الحوادث الكبرى التي وردت في الكتاب المقدس، ولكن التاريخ يكذبها، والواقع يكذبها. هناك حادث آخر، عظيم الأهمية، ومع ذلك لم يذكر في التاريخ..

إنه ما ورد في (يوشع: ١٠/١٢-١٣): (حينئذ كلم يشوع الرب يوم أسلم الرب الامورين أمام بني إسرائيل وقال أمام عيون إسرائيل: يا شمس دومي على جبعون، ويا قمر على وادي ايلون فدامت الشمس، ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه. أليس هذا مكتوبا في سفر ياشر. فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل )

وهذه الحادثة عظيمة، وقد كانت — على زعمكم — قبل ميلاد المسيح بألف وأربعمائة وخمسين سنة.. فلو وقعت لظهرت على الكل، ولا يمنع السحاب علمه أيضاً، وهو ظاهر، ولا اختلاف في الآفاق، لأننا لو فرضنا أن بعض الأمكنة كان فيها الليل في هذا الوقت لأجل الاختلاف، فلا بد أن تظهر لامتداد ليلهم بقدر أربع وعشرين ساعة.

وهذه الحادثة العظيمة ليست مكتوبة في كتب تواريخ أهل الهند ولا أهل الصين ولا الفرس، بل إن علماء الهند يجمعون على تكذيبها، وهم يجزمون بأنها غلط يقيناً. بالإضافة إلى هذا، فإن هناك اعتراضات كثيرة عليها:

أما الاعتراض الأول، فقول يوشع: أيتها الشمس لا تتحركي، وقوله: فوقفت الشمس، يدلان على أن الشمس متحركة والأرض ساكنة، وإلا كان عليه أن يقول أيتها الأرض لا تتحركي، فوقفت الأرض، وهذا الأمر باطل بحكم علم الفلك<sup>١</sup>.

(١) وقد ورد في هذا حديث يذكر أن الشمس ردت للنبي ﷺ بعد غيابها، ولا نرى صحة كل ما ورد في هذا الباب من الأحاديث، لأن هذا من الآيات العظام التي تستدعي النقل عن طريق التواتر، ولا تكفي فيها أسانيد الآحاد.



أما الاعتراض الثاني، فإن قوله (فوقفت الشمس في كبد السماء) يدل على أن هذا الوقت كان نصف النهار، وهو غير صحيح لوجهه:

أولها أن بني إسرائيل — على حسب الكتاب المقدس — كانوا قد قتلوا من المخالفين ألوفاً وهزموهم، ولما هربوا أمطر الرب عليهم حجارة كباراً من السماء، وكان الذين ماتوا بالحجارة أكثر من الذين قتلهم بنو إسرائيل، وهذه الأمور حصلت قبل نصف النهار على ما هو مصرح به في الباب، فلا وجه لاضطراب يوشع في هذا الوقت، لأن المظفرين من بني إسرائيل كانوا كثيرين جداً، والباقون من المخالفين قليلين جداً، وكان الباقي من النهار مقدار النصف، فقتلهم قبل الغروب كان في غاية السهولة.

وثانيها أن الوقت لما كان نصف النهار، فكيف رأوا القمر في هذا الوقت بالإضافة إلى أن توقيفه لا معنى له.

---

قال القاضي عياض: خرج الطحاوي في مشكل الحديث، عن أسماء بنت عميس من طريقين أن النبي ﷺ كان يوحى إليه، ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس، فقال النبي ﷺ: أصليت يا علي؟ قال: لا. فقال: اللهم إنه كأن في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس.

قالت أسماء: فرأيتها غربت، ثم طلعت بعد ما غربت، ووقفت على الجبال والأرض، وذلك بالصهباء في خيبر.

قال: وهذا الحديثان ثابتان ورواهما ثقات.

وحكى الطحاوي أن أحمد بن صالح كان يقول: لا ينبغي لمن يكون سبيله العلم المتخلف عن حفظ حديث أسماء، لأنه من علامات النبوة.

وفي حديث آخر عن يونس بن بكير في زيادة المغازي في روايته عن ابن إسحاق: لما أسري برسول الله ﷺ، وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا: متى تجيء؟ قال: يوم الأربعاء، فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجيء؟ فدعا رسول الله ﷺ، فزيد له في النهار ساعة، وحجست عليه الشمس.

وهذا الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال: إنه موضوع بلا شك، وفي سننه أحمد بن داود وهو متروك الحديث كذاب.. كما قال الدارقطني، وقال ابن حبان: كان يضع الحديث.

قال ابن الجوزي: وقد روى هذا الحديث ابن شاهين فذكره ثم قال: حديث باطل، قال: ومن تغفل واضعه أنه نظر إلى صورة فضيلة، ولم يلمح عدم الفائدة فيها، فإن صلاة العصر بغيوبة الشمس تصير قضاء، ورجوع الشمس لا يعيدها أداء.

وقد أفرد ابن تيمية تصنيفاً في ذكر فيه الحديث بطرقه ورجاله وأنه موضوع، وقال أحمد: لا أصل له. وتبعه ابن الجوزي فأورد في الموضوعات.. ولكن قد صححه الطحاوي والقاضي عياض، وأخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس، وابن مردويه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومثل هذه الأحاديث ما ورد في حديث أبي هريرة: «غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها ولم يبن بها، ولا أحد بن يبوئاً ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنماً أو خلفات، وهو ينتظر ولادها، فغزا، فدنا من القرية صلاة العصر، أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحجست حتى فتح الله عليه، فجمع الغنائم فجاءت - يعني النار - لتأكلها فلم تطعمها، فقال: أن فيكم غلواً، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس مثل رأس بقره من الذهب، فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها، ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضعفنا وعجزنا، فأحلها لنا»

فهذا الحديث مع كونه في الصحيح إلا أنه — على الصحيح — من روايات أبي هريرة عن كعب الأحمار وغيره من بني إسرائيل.

ومع ذلك، فلا ينبغي التشدد بالنكير على من رواها أو رأى صحتها، لأنه قد ذهب من علماء الحديث إلى قبول هذه الروايات.

ثالثها أن الوقت لما كان نصف النهار، وكان بنو إسرائيل مشتغلين بالحاربة والاضطراب، وما كان لهم شك في المقدار الباقي من النهار، وما كانت الساعات عندهم في ذلك الزمان، فكيف علموا أن الشمس قامت على دائرة نصف النهار بمقدار اثنتي عشرة ساعة، وما مالت إلى هذه المدة إلى جانب المغرب؟! سكت قليلاً، ثم قال: هناك حادث آخر لا يقل عن هذين أهمية، ومع ذلك لم يذكره أهل التاريخ. لقد جاء في سفر أشعيا ذكر لرجوع الشمس بمعجزة أشعيا، فقد جاء في (أشعيا: ٣٨/٨): (فرجعت الشمس عشر درجات في المراقبي التي كانت قد انحدرت )

وهذه الحادثة عظيمة، ولما كانت في النهار فلا بد أن تظهر لأكثر أهل العالم، وكانت قبل ميلاد المسيح بسبعمائة وثلاث عشرة سنة شمسية، ومع ذلك، فلا نراها مكتوبة في تواريخ أهل الهند والصين والفرس. بالإضافة إلى أنه يفهم منها حركة الشمس وسكون الأرض، وهو باطل بحسب الحقائق الفلكية. ومع ذلك، فلو قطعنا النظر عن هذا، فإن ههنا ثلاثة احتمالات: إما أن النهار رجع فقط بمقدار عشر درجات، أو الشمس رجعت في السماء بهذا المقدار كما هو الظاهر، أو رجعت حركة الأرض من المشرق إلى المغرب بهذا المقدار، وهذه الاحتمالات الثلاثة باطلة بحسب علم الفلك.

سكت قليلاً، ثم قال: لقد كتب متى ومرقس ولوقا في بيان صلب المسيح، أن الظلمة كانت على الأرض كلها من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة، وهذه الحادثة لما كانت في النهار على الأرض كلها وممتدة إلى أربع ساعات، فلا بد أن لا تخفى على أكثر أهل العالم، ولكن مع ذلك لا يوجد ذكرها في تواريخ أهل الهند والصين والفرس.

بالإضافة إلى هذا، فإن متى كتب في الإصحاح الثاني قصة قتل الأطفال، ولم يكتبها غيره من الإنجيليين والمؤرخين.

بالإضافة إلى هذا كله، فقد ذكر متى ولوقا ومرقس انشقاق السموات، ففي مرقس: (فساعة طلعت من الماء رأى السموات قد انشقت والروح مثل حمامة نازلاً عليه، وكان صوت من السموات (أنت ابني الحبيب الذي به سررت) )

وهذه الحادثة العظيمة لما كانت في النهار، فلا بد أن لا تخفى على أكثر أهل العالم، ومثلها رؤية الحمامة وسماع الصوت لا يختص بواحد دون واحد من الحاضرين، ولم يكتب أحد هذه الأمور غير الإنجيليين. وقد قال (جان كلارك) مستهزئاً بهذه الحادثة: (إن متى أبقانا محرومين من الاطلاع العظيم، وهو أنه لم يصرح أن السموات لما انفتحت هل انفتحت أبوابها الكبيرة؟ أم المتوسطة؟ أم الصغيرة؟ وهل كانت هذه الأبواب في هذا الجانب من الشمس أو في ذلك الجانب؟ ولأجل هذا السهو الذي صدر عن متى قسوسنا يضربون الرؤوس متحيرين في تعيين الجانب )

ثم قال: (وما أخطرنا أيضاً أن هذه الحمامة هل أخذها أحد وحبسها في القفص، أم رأوها راجعة إلى جانب السماء. ولو رأوها راجعة ففي هذه الصورة لا بد أن تبقى أبواب السموات مفتوحة إلى هذه المدة، فلا بد أنهم رأوا باطن السماء بوجه حسن لأنه لا يعلم أن بواباً كان عليها قبل وصول بطرس هناك، لعل هذه الحمامة

كانت جنية )

التفت إلى بولس، وقال: لا ينبغي لمن كان كتابه المقدس يحمل كل هذه النصوص أن يعترض على شيء، أم أنك تحمل عقلاً إسرائيلياً متعصباً يرى أن الله يغير قوانين الفلك جميعاً لأجل أنبياء بني إسرائيل، ولا يفعل شيئاً كهذا لنبي المسلمين!؟

### إجابات عقلية:

ثم التفت إلى الجمع، وقال: ذلك ما ذكرته نصوصهم، أما العقل السليم، فلا يعترض على هذه الحادثة بعدم تسجيلها لوجوه:

**أولها** أن انشقاق القمر كان في الليل، وهو وقت الغفلة والنوم والسكون عن المشي والتردد في الطرق سيما في موسم البرد، فإن الناس يكونون مستريحين في داخل البيوت وزواياها مغلقين أبوابها، فلا يكادون يعرفون من أمور السماء شيئاً إلا من انتظره واعتنى به، ألا ترون إلى خسوف القمر فإنه يكون كثيراً، وأكثر الناس لا يحصل لهم العلم به حتى يخبرهم أحد به.

**وثانيها** أن هذه الحادثة ما كانت ممتدة إلى زمان كثير، فما كان للناس أن يذهب إلى الغير الذي هو بعيد عنه وينبهه، أو يوقظ النائم ويريه.

**وثالثها** أنها لم تكن متوقع الحصول لأهل العلم لينظروها في وقتها ويروها كما أنهم يرون هلال رمضان والعديد والكسوف والخسوف في أوقاتها غالباً لأجل كونها متوقعة الحصول، ولا يكون نظر كل واحد إلى السماء في كل جزء من أجزاء النهار أيضاً فضلاً عن الليل. فلذلك رأى الذين كانوا طالبين لهذه المعجزة، وكذلك من وقع نظره في هذا الوقت إلى السماء، كما جاء في الأحاديث الصحيحة أن الكفار لما رأوها قالوا: سحر كم ابن أبي كبشة فقال أبو جهل: هذا سحر فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى تنظروا رأوا ذلك أم لا؟ فأخبر أهل آفاق مكة أنهم رأوه منشقاً، وذلك لأن العرب يسافرون في الليل غالباً، ويقيمون بالنهار فقالوا: هذا سحر مستمر.

**ورابعها** أنه قد يحول في بعض الأمكنة وفي بعض الأوقات بين الرائي والقمر، سحب غليظ أو جبل، حتى أن أهل البلاد الشمالية في موسم نزول الثلج والمطر لا يرون الشمس إلى أيام، فضلاً عن القمر.

**وخامسها** أن القمر لاختلاف مطالعه ليس في حد واحد لجميع أهل الأرض، فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين، فيظهر في بعض الآفاق وبعض المنازل على أهل بعض البلاد دون بعض، ولذلك نجد الخسوف في بعض البلاد دون بعض، ونجده في بعض البلاد باعتبار بعض أجزاء القمر، وفي بعضها مستوفياً أطرافه كلها، وفي بعضها لا يعرفها إلا الحادقون في علم الفلك، وكثيراً ما يحدث الثقات من العلماء بعجائب يشاهدونها من أنوار ظاهرة ونجوم طالعة عظام تظهر في بعض الأوقات أو الساعات من الليل، ولا علم لأحد بما من غيرهم.

**وسادسها** أنه كلما يقع أن يبلغ عدد ناظري أمثال هذه الحوادث النادرة الوقوع إلى حد يفيد اليقين، وأخبار بعض العوام لا يكون معتبراً عند المؤرخين في الوقائع العظيمة، نعم يعتبر أخبارهم في الحوادث التي يبقى

أثرها بعد وقوعها، كالرياح الشديد، ونزول الثلج الكثير، والبرد، فيجوز أن مؤرخي بعض الديار لم يعتبروا أخبار بعض العوام في هذه الحادثة، وحملوه على تخطئة أبصار المخبرين العوام، وظنوا أنها تكون نحواً من الخسوف.

**وسابعها** أن المؤرخين كثيراً ما يكتبون الحوادث الأرضية ولا يتعرضون للحوادث السماوية إلا قليلاً سيما المؤرخين الأوائل، بالإضافة إلى انتشار الجهل في زمن النبي ﷺ في أكثر مناطق العالم، وخاصة أوروبا. **وثامنها** أن المنكر إذا علم أن الأمر الفلاني معجزة أو كرامة للشخص الذي ينكره تصدى لإخفائها، ولا يرضى بذكرها وكتابتها غالباً.

\*\*\*

ما وصل بعبد القادر الحديث إلى هذا الموضوع حتى قام رجل من الجمع، وقال — مشيراً إلى عبد القادر—: لقد تتبعته حديث هذا الرجل من بدايته، وقد سرتي المنطق العلمي الذي يتحدث به، وأريد أن أضيف إلى ما قال شيئاً لست متأكداً تمام التأكد منه، ولكنني أحسبه بداية لحقيقة سوف تبرزها الأيام وتؤكدها.. أقول ذلك جازماً، بل متحدياً، مع أبي لم أكن في يوم من الأيام من أهل هذا الدين، بل لم يكن لي اعتناء بالدين أصلاً.. بل كنت من المناهضين للدين.. ولكنني مع ذلك أشعر أبي خائن إن لم أقل هذا. نظر إلى بولس، وقال: لا تتسرع بالرد علي، ولا على هذا الرجل.. أنا من المهتمين بعلم الفلك، وبأخبار الفضاء، وقد كان لي شغف بتتبع صعود الإنسان إلى القمر. وقد سمعت — فيما سمعت — من أن رواد الفضاء رأوا بأعينهم شقا عظيماً في القمر، لا يزال العلم عاجزاً عن تفسيره، بل قد حصلت على صورة من ذلك الشق، لو شئتمكم لأريتها لكم!.

(١) ذكر الدكتور زغلول النجار في مقال له عن انشقاق القمر أنه كان يتحدث عن هذه المعجزة في محاضرة بكلية الطب جامعة كارديف ببريطانيا، وبعد انتهاء حديثه وقف رجل بريطاني من الحضور، واستأذن في أن يضيف شيئاً إلى إجابتي فأذنت له، ثم بدأ بتعريف نفسه على أن اسمه داود موسى بيدكوك، وأنه مسلم، ويرأس الحزب الإسلامي البريطاني. ثم حكى (بيدكوك) قصته مع انشقاق القمر فقال: إن هذه الآيات في مطلع سورة القمر كانت هي السبب في إسلامه في أواخر السبعينيات من القرن العشرين؛ لأنه يبحث مستفيض في الأديان أهداه أحد المسلمين ترجمة لمعاني القرآن الكريم، وأنه عند فتح هذه الترجمة لأول مرة فوجئ بسورة القمر، فقرأ الآيات في مطلعها، ولم يكذب أن القمر قد انشق ثم التحم فأغلق الترجمة وانصرف عنها، ثم شاء الله تعالى أن يشاهد على شاشة التلفاز البريطاني (B.B.C) برنامجاً عن رحلات الفضاء استضاف فيه المذيع البريطاني المعروف جيمس بيرك (James Burke) ثلاثة من علماء الفضاء الأمريكيين وذلك في سنة ١٩٧٨ م، وفي أثناء الحوار كان المذيع ينتقد الإسراف على رحلات الفضاء بإنفاق ملايين الدولارات والأرض يتضور فيها ملايين البشر من الجوع، والمرض، والجهل، والتخلف، وكان جواب العلماء أنه بفضل هذه الرحلات تم تطوير عدد من التقنيات المهمة التي تطبق في مجالات التشخيص والعلاج الطبي والصناعة، والزراعة، وغيرها، وفي أثناء هذا الحوار جاء ذكر أول رحلة إنزال رجل على سطح القمر، وقد تكلفت أكثر من مائة مليار دولار، وجلس المذيع يتابع عتابه على هذا الإسراف، قرر العلماء بأن هذه الرحلة قد أثبتت لهم حقيقة لو أنفقوا أضعاف هذا المبلغ لإقناع الناس بما ما صدقهم أحد، فسأل المذيع: ما هي هذه الحقيقة؟ فأجابوا: أن هذا القمر قد سبق له أن انشق ثم التحم، وأن آثار محسوسة تؤيد ذلك الحدث قد وجدت على سطح القمر وامتمدت إلى داخله. ويضيف بيدكوك: حينما سمعت ذلك ففرت من الكرسي الذي كنت أجلس عليه أمام التلفاز، وقلت: معجزة تحدث لمحمد قبل ألف وأربعمائة سنة، ويرويهها القرآن بهذا التفصيل العجيب يسخر الله من يشبهها للمسلمين في عصر العلوم والتقنية الذي نعيشه،

قال الجمع — بصوت واحد —: وكيف لا نشاء؟  
فأخرج من محفظته صورة كبيرة تمثل شقا عظيما في القمر..  
رآها الجمع، وعلى أعينهم الدهشة، فقال: هذه البداية.. ولو أن البشر صدقوا في البحث عن الحقيقة،  
فسيجدونها أقرب إليهم من أنفسهم.. ولكنني لا أحسبهم إلا سيكتمون الحقائق، بل سيحاولون السخرية منها،  
كما ذكر هذا الرجل الفاضل.

---

وينفق هذا المبلغ الكبير، لا بد وأن يكون هذا الدين حقاً، وعدتُ إلى ترجمة معاني القرآن الكريم أفرؤها بشغف شديد، وكانت  
آيات افتتاح سورة القمر هي السبب المباشر لقبولي الإسلام ديناً.

## ٥ — معجزات أرضية

في ذلك الموقف الحرج الذي وقع فيه بولس، والذي جعله يصمت صمتا مطبقا، بل يكاد يهيم بالانصراف تدخل أجيده الأحمق كعادته، وقال: ما لنا وللقمر.. نحن على الأرض.. ونريد معجزات أرضية، وأنت إلى الآن تخلق بنا إما فيما لا نفهمه من معجزات القرآن، أو فيما لا نستطيع الوصول إليه من الفضاء.

### إحياء الموتى:

قال عبد القادر: فعم تريد أن أحدثك؟

قال الأجير: لقد أحيا المسيح موتى، ولكن محمدا لم يحيي ميتا واحدا.

قال عبد القادر: ألا يكفي إحيائه لأجيال من الناس كانوا غارقين في الجاهلية والجهل.

قال الأجير: نحن نريد الخوارق.. ولا نريد غير الخوارق.. فهذه مدرسة الخوارق.

قال عبد القادر: أما إن صممت على ذلك، فسأذكر لك ما روي عن نبينا في هذا، وهو إن لم يرق في قوة

ثبوته إلى ما رقى إليه انشقاق القمر، فهو لا يقل عما ورد عن المسيح ﷺ من معجزات.

فمما يروى في ذلك عن أنس — رضي الله عنه — قال: كنا في الصفة عند رسول الله ﷺ فأتته عجوز

عمياء مهاجرة ومعها ابن لها قد بلغ، فلم يلبث أن أصابه وباء المدينة، فمرض أياما، ثم قبض فغمضه النبي ﷺ

وأمر بجهازه، فلما أردنا أن نغسله، قال: (يا أنس، اتت أمه فأعلمها)، قال: فأعلمتها فجاءت حتى جلست

عند قدميه، فأخذت بهما، ثم قالت: (اللهم اني أسلمت لك طوعا، وخلعت الاوثان زهدا، وهاجرت اليك

رغبة، اللهم لا تشمت بي عبدة الاوثان، ولا تحملي من هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحملها، قال: فوالله، ما

انقضى كلامها حتى حرك قدميه، وألقى الثوب عن وجهه، وطعم وطعمنا معه، وعاش حتى قبض النبي ﷺ

وحتى هلكت أمه<sup>١</sup>.

وفي رواية قال: عدنا شابا من الانصار وعنده أم له عجوز، فما برحنا أن فاض يعني مات ومددنا على

وجهه الثوب، وقلنا لأمه: يا هذه، احتسبي مصابك عند الله، قالت: أمات ابني؟ قلنا: نعم، قالت: اللهم ان

كنت تعلم أي هاجرت اليك، والى نبيك رجاء أن تعينني عند كل شدة، فلا تحمل علي هذه المصيبة اليوم، قال

أنس: فوالله، ما برحت حتى كشف الثوب عن وجهه وطعم وطعمنا معه<sup>٢</sup>.

وفي حديث آخر عن كعب بن مالك قال: أتى جابر بن عبد الله رسول الله ﷺ فرأى وجهه متغيرا فرجع

إلى امرأته، فقال: قد رأيت وجه رسول الله ﷺ متغيرا، وما أحسبه الا متغيرا من الجوع..

فذكر حديثا طويلا في تكثيره ﷺ الأطعمة، ثم زاد فقال: فكان رسول الله ﷺ يقول: (كلوا ولا تكسروا

عظما)، ثم جمع العظام في وسط الجفنة، فوضع يده عليها، ثم تكلم بكلام لم أسمعه، فإذا الشاة قد قامت تنفض

أذنيها، فقال: (خذ شاتك يا جابر بارك الله لك)، قال: فأخذتها ومضيت، وانما لتنازعني أذنها حتى أتيت

المتزل، فقالت المرأة: ما هذا يا جابر، فقلت: والله، هذه شاتنا التي ذبحناها لرسول الله ﷺ دعا الله تعالى فأحيها

(١) رواه ابن أبي الدنيا وابو نعيم والبيهقي.

(٢) رواه البيهقي.

لنا، فقالت: أشهد انه رسول الله ﷺ<sup>١</sup>.

وفي حديث آخر عن ضمرة قال: كان لرجل غنم، وكان له ابن يأتي النبي ﷺ بقدرح من لبن إذا حلب، ثم إن النبي ﷺ افتقده فجاء أبوه، فأخبره أن ابنه هلك، فقال النبي ﷺ: (أتريد أن أدعوا الله تعالى أن ينشره لك أو تصبر، فيؤخره لك الى يوم القيامة، فيأتيك فيأخذ بيدك فينطلق بك الى الجنة، فتدخل من أي أبواب الجنة شئت؟)، فقال الرجل: من لي بذلك يا رسول الله؟ قال: (هو لك ولكل مؤمن)<sup>٢</sup>

وفي حديث آخر عن أبي سيرة النخعي قال: أقبل رجل من اليمن، فلما كان ببعض الطريق نفق حماره فقام وتوضأ وصلى ركعتين، ثم قال: اللهم ابي جئت مجاهدا في سبيلك، وابتغاء مرضاتك، وأنا أشهد أنك تحيي الموتى، وتبعث من في القبور لا تجعل لأحد علي اليوم منة، أطلب اليك أن تبعث حماري، فقام الحمار ينفض أذنيه<sup>٣</sup>.

زاد الشعبي: أنا رأيت الحمار يباع في الكناسة، فقال رجل من رهطه أبياتا منها:  
ومنا الذي أحيا الاله حماره وقد مات منه كل عضو ومفصل

قال الأجير: فأين ذكر محمد هنا؟

التفت عبد القادر إلى بولس، وقال: أستم تعتبرون كل ما حصل بأيدي تلاميذ المسيح من خوارق تبعاً للمسيح؟

قال بولس: بلى.

قال عبد القادر: فكذلك نحن، نعتبر كل كرامة لولي إثبات جديد لمعجزات محمد ﷺ.

ثم التفت إلى أجير بولس، وقال: ومع ذلك، فسأذكر لك ما هو أعظم من إحياء الميت، وبأسانيد لا شك في صحتها.

فقد روي عن جمع من الصحابة — رضي الله عنهم — أن خبير لما فتحت أهدت يهودية للنبي ﷺ شاة مصلية، فأخذ النبي ﷺ الذراع، فلما بسط القوم أيديهم، قال: (كفوا أيديكم، فإن عضوها يجربني أنها مسمومة

( ودعا اليهودية، فقال: (أسمت هذه الشاة؟)، قالت: من أحرك؟ قال: (هذا العظم لساقها وهو في يده)، قالت: نعم، قال: (فما حملك على هذا؟) قالت: قلت: إن كان نبيا، فلا يضره، وأن الله سيطعه عليه، وإن لم يكن نبيا استرحنا منه، فقال رسول الله ﷺ: (ما كان الله ليسلطك علي)، فعفا عنها، ولم يعاقبها<sup>٤</sup>.

وفي حديث آخر عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال: أقبلت يوم بدر من قتال المشركين وأنا جائع،

(١) رواه أبو نعيم، ورواه الامام الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر في كتاب العجائب والغرائب.

(٢) رواه أبو نعيم.

(٣) رواه البيهقي وصححه.

(٤) رواه البخاري ومسلم والبيهقي وأبو نعيم عن ابي هريرة، والشيخان عن أنس، والامام أحمد وابن سعد وابو نعيم عن ابن عباس، والدارمي والبيهقي عن جابر بن عبد الله، والبيهقي بسند صحيح عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، والطيبراني عن كعب بن مالك، وابن سعد عن ابي سلمة، البزار وابو نعيم والحاكم عن أبي سعيد الخدري.

ثم استقبلتني امرأة يهودية على رأسها جفنة فيها جدي مشوي، فقالت: الحمد لله يا محمد، الذي سلمك، كنت نذرت لله إن سلمك الله وقدمت المدينة سالما لأذبحن هذا الجدي فلاشوينه ولأحملنه اليك لتأكل منه، فاستنطق الله تعالى الجدي، فقال: يا محمد لا تأكلني فاني مسموم<sup>١</sup>.

ففي هذه النصوص معجزات أعظم من معجزة إحياء الموتى من وجوه:  
أولها: أنه إحياء جزء من الحيوان دون بقية، وهذا معجز لو كان متصلا بالبدن.  
وثانيها: أنه إحياء وحدة منفصلة عن بقية أجزاء ذلك الحيوان مع موت البقية.  
وثالثها: أنه أعاد عليه الحياة مع الإدراك والعقل، ولم يكن هذا الحيوان يعقل في حياته فصار جزؤه حيا يعقل.

ورابعها: أنه أقدره الله تعالى على النطق والكلام، ولم يكن الحيوان الذي هو جزؤه مما يتكلم.  
وقد قال العلماء: وفي حلول الحياة والإدراك والعقل في الحجر الذي كان يخاطب النبي ﷺ بالسلام ما هو أبلغ من حياة الحيوان في الجملة، لانه كان محلا للحياة في وقت بخلاف هذا حيث لا حياة له بالكلية قبل ذلك، وكذلك تسليم الاحجار والمدر والشجر، وحنين الخدع.

بالإضافة إلى هذا، فقد وردت نصوص كثيرة في سماع رسول الله ﷺ للموتى، ففي حديث من مرسل عبيد بن مرزوق قال: كانت امرأة بالمدينة تقم المسجد، فماتت، فلم يعلم بها النبي ﷺ فمر على قبرها فقال: (ما هذا القبر؟)، قالوا له: أم محجن قال النبي ﷺ: (كانت تقم المسجد؟)، قالوا: نعم، فصف الناس، فصلى عليها، ثم قال: (أي العمل وجدت أفضل؟) قالوا: يا رسول الله، أتسمع ما تقول؟ قال: (ما أنتم بأسمع منها)، فذكر لها أجابته: قم<sup>٢</sup> المسجد<sup>٣</sup>.

وفي غزوة بدر خاطب النبي ﷺ جثث المشركين أهل القليب، وأخبر عن سماعهم، ففي الحديث عن أبي طلحة وغيره من الصحابة: فلما كان بيدر اليوم الثالث أمر رسول الله ﷺ بإحليله فشد عليها رحلها، ثم مشى وتبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفا البئر، وكان ذلك ليلا، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، وفي رواية: (يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شبية بن ربيعة، أيسركم أنكم أطعمتم الله ورسوله؟ هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقا، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا، بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرتي الناس، فجزاكم الله عني من عصابة شرا، خونتموني أمينا، وكذبتموني صادقا)

فقال عمر: يا رسول الله، أتناديهم بعد ثلاث، كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها؟ — وفي لفظ: كيف يسمعون أو أنى يجيبون وقد جيفوا؟ — فقال ﷺ: (ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، إنهم الآن يسمعون ما أقول لهم،

(١) رواه أبو نعيم.

(٢) قم المسجد: تنظيفه.

(٣) رواه أبو الشيخ وابن حبان.



غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا علينا شيئاً<sup>١</sup>

قال قتادة: أحياهم الله تعالى حتى أسمعهم قوله، وتصغيرا ونقمة وحسرة وندامة.

وفي حديث آخر عن أبي حميد الساعدي — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ قال يوم تبوك: ( لا يخرج أحد منكم الا ومعه صاحب له )، ففعل الناس ما أمرهم رسول الله ﷺ به إلا رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بعير له، فأما الذي خرج لحاجته فانه خنق على مذهبه — أي موضعه — ثم دعا له ﷺ فشفى<sup>٢</sup>.

### شهادة الرضيع:

قال مستأجر بولس: فالمسيح تكلم في المهدي، ومحمد لم يتكلم حتى كبر.

ابتسم عبد القادر، وقال: إن المسيح ﷺ لم يتكلم في المهدي إلا ليبرئ أمه من اتهام اليهود، ويبرئ نفسه من عبوديتكم له، لقد ذكر القرآن الكريم قول المسيح في مهده، والذي لخص حياته ووظيفته، فقال تعالى على لسانه: ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَوَرَّأً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبْرًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (مریم: ٣٠-٣٣)

ومع ذلك، فقد وردت الأسانيد المخبرة بنطق صبي في المهدي يشهد لمحمد ﷺ بالرسالة، فعن معرض بن عبد الله بن معيقيب اليمامي، عن أبيه عن جده — رضي الله عنه — قال: حججت حجة الوداع، فدخلت دارا بمكة فرأيت فيها رسول الله ﷺ ووجهه مثل دائرة القمر، ورأيت منه عجبا، جاءه رجل بغلام يوم ولد فقال له رسول الله ﷺ: يا غلام من أنا؟ فقال: أنت رسول الله قال: صدقت بارك الله فيك.

قال: ثم إن الغلام لم يتكلم بعد حتى شب فكنا نسميه (مبارك اليمامة)<sup>٣</sup>

بل إنه ﷺ أنطق لها البكم ليشهد له بالرسالة، فعن ثمر بن عطية عن بعض أشياخه قال: جاءت امرأة بابن لها قد شب إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابني هذا لم يتكلم منذ ولد، فقال لها رسول الله ﷺ: (أدنيه مني)، فأدنته منه، فقال: (من أنا؟)، فقال: أنت رسول الله.

### انقلاب الأعيان:

قال مستأجر بولس: لقد روي عن المسيح شيء عظيم لم يفعله نبيكم.

قال عبد القادر: نحن لا نقيم هنا مسابقة بينهما، فكلاهما نبي لله.

قال مستأجر بولس: أنت تتهرّب.

قال عبد القادر: فما الذي فعله المسيح، ولم يفعله نبينا؟

قال مستأجر بولس: لقد كان أول معجزة للمسيح تحويله الماء إلى خمر.. ألا تسمعون — يا جماعة — الماء

يتحول بيد المسيح إلى خمر، بل خمر عتيقة.

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه البيهقي.

ابتسم عبد القادر، ثم التفت إلى بولس، وقال: هل ما يقوله هذا الرجل صحيح؟

قال بولس: أجل.. فقد ورد في (يوحنا: ١/٢-١٠): (وَفِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ كَانَ عَرْسٌ فِي قَانَا بِمِنْطَقَةِ الْجَلِيلِ، وَكَانَتْ هُنَاكَ أُمُّ يَسُوعَ. وَدُعِيَ إِلَى الْعَرْسِ أَيْضًا يَسُوعُ وَتَلَامِيذُهُ. فَلَمَّا نَفَدَتِ الْخَمْرُ، قَالَتْ أُمُّ يَسُوعَ لَهُ: (لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ خَمْرٌ!) فَأَجَابَهَا: (مَا شَأْنُكَ بِي يَا امْرَأَةٌ؟ سَاعَتِي لَمْ تَأْتِ بَعْدُ!) فَقَالَتْ أُمُّهُ لِلْخَدَمِ: (افْعَلُوا كُلَّ مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ) وَكَانَتْ هُنَاكَ سِتَّةَ أَجْرَانِ حَجْرِيَّةٍ، يَسْتَعْمِلُ الْيَهُودُ مَاءَهَا لِلتَّلَطُّهِ، يَسَعُ الْوَاحِدُ مِنْهَا مَا بَيْنَ مِكْيَالَيْنِ أَوْ ثَلَاثِيَّةٍ (أَيُّ مَا بَيْنَ ثَمَانِينَ إِلَى مِئَةِ وَعِشْرِينَ لِيْتْرًا). فَقَالَ يَسُوعُ لِلْخَدَمِ: (امْلَأُوا الْأَجْرَانَ مَاءً). فَمَلَأُواهَا حَتَّى كَادَتْ تَفِيضُ. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: (وَالآنَ اغْرَفُوا مِنْهَا وَقَدِّمُوا إِلَيَّ رِئِيسَ الْوَلِيمَةِ!) فَفَعَلُوا. وَلَمَّا ذَاقَ رِئِيسُ الْوَلِيمَةِ الْمَاءَ الَّذِي كَانَ قَدْ تَحَوَّلَ إِلَى خَمْرٍ، وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَصْدَرَهُ، أَمَّا الْخَدَمُ الَّذِينَ قَدَّمُوهُ فَكَانُوا يَعْرِفُونَ، اسْتَدْعَى الْعَرِيسَ، وَقَالَ لَهُ: (الْتَّاسُ جَمِيعًا يُقَدِّمُونَ الْخَمْرَ الْجَيِّدَةَ أَوَّلًا، وَبَعْدَ أَنْ يَسْكُرَ الضُّيُوفُ يُقَدِّمُونَ لَهُمْ مَا كَانَ دُونَهَا جُودَةً. أَمَا أَنْتَ فَقَدْ أَتَيْتَ الْخَمْرَ الْجَيِّدَةَ حَتَّى الْآنَ!)

هذه هي المعجزة الأولى التي أجراها المسيح، وقد عقب عليها يوحنا بقوله: (هَذِهِ الْمُعْجِزَةُ هِيَ الْآيَةُ الْأُولَى الَّتِي أَجْرَاهَا يَسُوعُ فِي قَانَا بِالْجَلِيلِ، وَأَظْهَرَ مَجْدَهُ، فَآمَنَ بِهِ تَلَامِيذُهُ) (يوحنا: ١١/٢)

ابتسم عبد القادر، وقال لبولس: هل كان المسيح يقرأ الكتاب المقدس؟

قال بولس: أجل.. وهل في ذلك الشك؟

قال عبد القادر: ألم يقرأ هذا النص من الكتاب المقدس: (وَقَالَ الرَّبُّ لِبَهَارُونَ: (خَمْرًا وَمُسْكِرًا لَا تَشْرَبْ أَنْتَ وَبَنُوكَ مَعَكَ عِنْدَ دُخُولِكُمْ إِلَى خِيَمَةِ الْاجْتِمَاعِ لِكَيْ لَا تَمُوتُوا. فَضًا ذَهْرِيًّا فِي أَجْيَالِكُمْ وَلِتَلْتَمِيزَ بَيْنَ الْمُقَدَّسِ وَالْمُحَلَّلِ وَبَيْنَ التَّجْسِ وَالطَّاهِرِ وَتَلْعَلِمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَمِيعَ الْفَرَائِضِ الَّتِي كَلَّمَهُمُ الرَّبُّ بِهَا بِيَدِ مُوسَى) (لاويين ١٠: ٨-١١)

سكت بولس، فقال عبد القادر: ألم يقرأ المسيح هذا النص: (مِنْ كُلِّ مَا يَخْرُجُ مِنْ جَفَنَةِ الْخَمْرِ لَا تَأْكُلْ، وَخَمْرًا وَمُسْكِرًا لَا تَشْرَبْ، وَكُلَّ نَجَسٍ لَا تَأْكُلْ. لِتَحْذَرَ مِنْ كُلِّ مَا أُوصِيَتْهَا) (قضاة ١٣: ١٤)

وهذا النص: (لَيْسَ لِلْمُلُوكِ يَا كَمُوتَيْلُ لَيْسَ لِلْمُلُوكِ أَنْ يَشْرَبُوا خَمْرًا وَلَا لِلْعُظَمَاءِ الْمُسْكِرُ. لِئَلَّا يَشْرَبُوا وَيَنْسُوا الْمَقْرُوضَ وَيُعَيِّرُوا حُجَّةَ كُلِّ بَنِي الْمَدَلَّةِ. أُعْطُوا مُسْكِرًا لِهَالِكٍ وَخَمْرًا لِمُرِّي النَّفْسِ. يَشْرَبُ وَيَنْسَى فَقْرَهُ وَلَا يَذْكُرُ تَعَبَهُ بَعْدُ) (الأمثال ٣١: ٤-٧)

سكت بولس، فقال عبد القادر: نحن نرى المسيح من هذه المعجزة.. لأن المعجزات لا تقدم المحرمات، وإنما تقدم الآيات البينات.

قال مستأجر بولس بحمقه المعهود: أنت تقول هذا لتفتر من ذكر معجزات نبيك.

قال عبد القادر: لا بأس.. ما دمت تطلب هذا، فقد روي عن نبينا — بأسانيد لا تقبل وثوقا من أسانيدكم — تحويل الماء إلى لبن وزبد لا إلى خمر، فعن سالم بن أبي الجعد، قال: بعث رسول الله ﷺ رجلين في بعض أمره، فقالا: يا رسول الله، ما معنا ما نتزوده، فقال: (ابتغيا لي سقاء)، فجاءاه بسقاء، قالا: فأمرنا فمأناه ماء، ثم أوكأه وقال: (اذهبا حتى تبلغا مكان كذا وكذا فان الله عز وجل سيرزقكما)، فانطلقا حتى أتيا ذلك المكان

الذي أمرهما به رسول الله ﷺ فأنخل سقاؤهما فإذا لبن وزبد فأكلا حتى شبعاً<sup>١</sup>.  
ومن هذا الباب ما وري من انقلاب العصا سيفاً ببركته ﷺ، فعن عكاشة بن محصن أنه انقطع سيفه يوم بدر، فأعطاه رسول الله ﷺ جذلاً من شجرة، فصار في يده سيفاً صارماً صافي الحديد شديد المتز، فقاتل بها حتى فتح الله عز وجل على رسول الله ﷺ، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتل في الردة، وهو عنده وكان ذلك يسمى القوي<sup>٢</sup>.

ومن هذا الباب ما وري من انقلاب العرجون سيفاً ببركته ﷺ، فعن معمر عن عبد الرحمن الجرشي قال: أخبرنا أشياءنا أن عبد الله بن جحش جاء الى النبي ﷺ وقد ذهب سيفه، فأعطاه النبي ﷺ عسيباً من نخل فرجع في يد عبد الله سيفاً<sup>٣</sup>.

وفي حديث آخر عن عبد الله بن جحش أن سيفه انقطع، فأعطاه رسول الله ﷺ عرجوناً، فصار في يده سيفاً فكان يسمى العرجون، ولم يزل بعد يتوارث حتى بيع من التركي بمائتي دينار<sup>٤</sup>.  
وفي حديث آخر عن داود بن الحصين عن رجال من بني عبد الأشهل عدة، قالوا: انكسر سيف سلمة بن حريش يوم بدر، فبقي أعزل لا سلاح معه فأعطاه رسول الله ﷺ قضيباً كان في يده من عراجين ابن طاب فقال: (اضرب به )، فإذا هو سيف جيد، فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيد<sup>٥</sup>.

#### أضواء معجزة:

وبمناسبة ذكر العرجون، فقد ورد فيه معجزة أخرى، حدثنا عنها قتادة بن النعمان — رضي الله عنه — فقال: خرجت ليلة من الليالي مظلمة، فقلت: لو أتيت رسول الله ﷺ وشهدت معه الصلاة، وأنسته بنفسي — وفي لفظ: فقلت: لو أني اغتنمت شهود العتمة مع رسول الله ﷺ ففعلت — فلما دخلت المسجد برقت السماء، فرآني رسول الله ﷺ فقال: (يا قتادة، ما هاج عليك؟)، قلت: يا رسول الله، أردت بأبي أنت وأمي أن أؤنسك، فلما انصرف رسول الله ﷺ ومعه عرجون، قال: (خذ هذا العرجون فتحصن به، فإنك إذا خرجت أضواء لك عشراً أمامك، وعشراً خلفك )، ثم قال لي: (إذا دخلت بيتك مثل الحجر الاخشن في أستار بيتك، فان ذلك الشيطان )، قال: فخرجت فأضواء لي العرجون مثل الشمعة فاستضأت به، فأتيت البيت فوجدتهم قد رقدوا، فنظرت في الزاوية، فإذا فيها قنفذ فلم أزل أضربه بالعرجون حتى خرج.

وفي لفظ: ثم ضربت مثل الحجر الاخشن حتى خرج من بيتي<sup>٦</sup>.  
وفي حديث آخر عن أبي عبيس بن جبر — رضي الله عنه — أنه كان يصلي مع رسول الله ﷺ الصلوات

(١) رواه ابن سعد مرسلًا.

(٢) رواه ابن سعد عن زيد بن أسلم ويزيد بن رومان وغيرهما والبيهقي عن ابن اسحاق.

(٣) رواه عبد الرزاق.

(٤) رواه الزبير بن بكار في الموافقيات.

(٥) رواه البيهقي.

(٦) رواه الطبراني وأحمد في حديث طويل، والبخاري، ورجال احمد رجال الصحيح، وابو نعيم بسند صحيح.

ثم يرجع الى بني حارثة، فخرج في ليلة مظلمة، فنور له في عصاه حتى دخل على بني حارثة<sup>١</sup>.  
وفي حديث آخر عن أنس — رضي الله عنه — قال: كان عباد بن بشر وأسيد بن حضير عند رسول الله ﷺ في حاجة حتى ذهب من الليل ساعة، وهي ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا، ويبد كل واحد منهما عصا، فأضاءت لهما عصا أحدهما، فمشيا في ضوئها، حتى إذا افترت بهم الطريق، أضاءت للاخر عصاه حتى بلغ أهله<sup>٢</sup>.

وفي حديث آخر عن أنس — رضي الله عنه — أن النبي ﷺ وعمر سمرا عند أبي بكر يتحدثان عنده حتى ذهب الليل، ثم خرجا، وخرج أبو بكر معهما جميعا في ليلة مظلمة مع أحدهما عصا، فجعلت تضئ لهما، وعليهما نور حتى بلغوا المنزل<sup>٣</sup>.

وفي حديث آخر ما هو أعجب من ذلك كله، فعن حمزة بن عمرو الاسلمي قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فتفرقنا في ليلة مظلمة، فأضاءت أصابعي حتى جمعوا عليها ظهريهم، وما هلك منهم وان أصابعي لتتير<sup>٤</sup>.

وفي حديث آخر عن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال: كنا نصلي مع رسول الله ﷺ العشاء، فكان يصلي، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا رفع رأسه أحدهما فوضعهما وضعا رقيقا، فإذا عاد عادا، فلما صلى جعل واحدا هاهنا وواحدا هاهنا فجئت فقلت: يا رسول الله، ألا أذهب بهما الى أمهما؟ قال: (لا)، فبرقت برقة، فقال: (الحقا بأكما)، فما زالوا يمشيان في ضوئها حتى دخلا<sup>٥</sup>.

\*\*\*

لم يجد بولس ما يقول، فانصرف، وانصرفت خلفه، ومعى بصيص جديد من أنوار شمس محمد.  
أما أولئك الجمع، فقد التفوا حول عبد القادر وعبد الحكيم يسألونهم عن محمد، وعن دين محمد.

(١) رواه الحاكم وابو نعيم والبيهقي.

(٢) رواه ابن سعد والبيهقي والحاكم وصححه.

(٣) رواه أبو نعيم.

(٤) رواه البخاري في التاريخ والبيهقي وابو نعيم والطبراني بسند جيد.

(٥) رواه الحاكم وصححه والبيهقي وابو نعيم.

## سادسا — ثبات

في اليوم السادس..

جاءني بولس بهيئة لم أره عليها من قبل.. وكأني به تغمص صورة قديس من القرون الغابرة بصليبه وهيبته وسمته.. وفوق ذلك بفقره وزهده وسمالة ثيابه.

قلت، لما رأيته بتلك الصورة: ما هذا — يا حضرة القس الفاضل — أترأك تريد الذهاب إلى دير لتعيش مع الرهبان، أم تراك تريد الانعزال في جبل من الجبال كما فعل القديسون؟

قال بجد صارم: لا هذا، ولا ذلك.. أنا لا أزال أحتهد في أن أكون رسولا مخلصا للمسيح.. أنا لا أريد أن أكون مسيحيا وحدي.. أريد لهذه الأرض جميعا، ولهؤلاء البشر جميعا أن يثبتوا في المسيح، وأن ينموا في المسيح.

قلت: ألم يززع همتك هذه ما حصل في الأيام السابقة؟

قال: بل لم تزدني تلك المواقف التي وقفناها في الأيام السابقة إلا همة وعزيمة وثباتا.

لقد كان أهم ما تعلمت من المسيح الثبات في المسيح..

ثم التفت إلي بجد غير معهود، وقال: إن الثبات في المسيح هو من الأساسيات التي ركز عليها رب المجد

يسوع المسيح في علاقته بتلاميذه القديسين.. إلى درجة أنه تكلم إحدى عشر مرة عن الثبات في ثماني آيات.

لقد قال في (يوحنا ١٥ : ١ — ١١): (أَنَا الْكَرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ، وَأَبِي هُوَ الْكَرْمُ. كُلُّ غُصْنٍ فِيَّ لَا يُنْتِجُ ثَمْرًا يَقْطَعُهُ؛ وَكُلُّ غُصْنٍ يُنْتِجُ ثَمْرًا يُنْقِيهِ لِيُنْتِجَ مَزِيدًا مِنَ الثَّمَرِ. أَنْتُمْ الْآنَ أَنْقِيَاءُ بِسَبَبِ الْكَلِمَةِ الَّتِي خَاطَبْتِكُمْ بِهَا. فَأَثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ. كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُنْتِجَ ثَمْرًا إِلَّا إِذَا ثَبَتَ فِي الْكَرْمَةِ؛ فَكَذَلِكَ أَنْتُمْ، إِلَّا إِذَا ثَبْتُمْ فِيَّ. أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمْ الْأَغْصَانُ. مَنْ يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ، فَذَلِكَ يُنْتِجُ ثَمْرًا كَثِيرًا. فَإِنَّكُمْ بِمَعَزَلٍ عَنِّي لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا. إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَثْبُتُ فِيَّ يَطْرَحُ حَارِجًا كَالْغُصْنِ فِيَجْفُ؛ ثُمَّ تُجْمَعُ الْأَغْصَانُ الْجَافَةُ، وَتُطْرَحُ فِي النَّارِ فَتَحْتَرِقُ. وَلَكِنْ، إِنْ ثَبْتُمْ فِيَّ، وَتَبَتَ كَلَامِي فِيكُمْ، فَاطْلُبُوا مَا تُرِيدُونَ يَكُنْ لَكُمْ. بِهِذَا يَتَمَجَّدُ أَبِي: أَنْ تُنْتِجُوا ثَمْرًا كَثِيرًا فَتَكُونُونَ حَقًّا تَلَامِيذِي. مِثْلَمَا أَحْبَبَنِي الْآبُ، أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا، فَأَثْبُتُوا فِيَّ مَحَبَّتِي. إِنْ عَمِلْتُمْ بَوْصَايَايَ، تَثْبُتُونَ فِي مَحَبَّتِي، كَمَا عَمِلْتُ أَنَا بَوْصَايَا أَبِي وَأَثْبِتُ فِي مَحَبَّتِهِ! قُلْتُ لَكُمْ هَذَا لِيَكُونَ فِيكُمْ فَرَحِي، وَيَكُونَ فَرَحَكُمْ كَامِلًا)

قرأ ذلك بخشوع عظيم، ثم قال: مثلما أوصانا رب المجد يسوع المسيح أوصانا معلمنا بولس الرسول قائلا: (إذًا يا اخوتي الأحباء والمشتاق إليهم يا سروري وإكليلي اثبتوا هكذا في الرب أيها الأحباء) (فيليبس:

(١ : ٤)

ثم التفت إلي، وقال: لقد اعتبر المسيح الثبات علامة التلمذة الحقيقية، لقد قال له المجد: (قال يسوع

لليهود الذين آمنوا به إنكم إن ثبتتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي) (يوحنا: ٨ : ٣١)

إن الثبات هو موضوع اهتمام الكنيسة منذ عهد الرسل، لقد قال سفر أعمال الرسل عن القديس برنابا:

الذي لما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب (أعمال: ١١ : ٢٣)

لذا فإن كان المَعَد يقبل المسيح في سر المعمودية، فإنه يثبت في سر الميرون بالمسحة المقدسة، أى في سر التثبيت، ثم يأتي سر الإفخارستيا أى سر تناول، فيثبت أيضاً في الرب كما قال: (من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه) (يوحنا: ٦ : ٥٦)

لقد علمنا تاريخ الكنيسة عن القديس مقاريوس — أب رهبان برية شيهيت — أنه كان يقود المبتدئين في الحياة الروحية بلطف حتى يثبتوا في الرب، ويمسكوا بجبل التلمذة الروحية للمسيح..  
فالكنيسة كأم تهتم كل الإهتمام بتثبيت أولادها المؤمنين في بنوتهم لأبيهم السماوى الرب يسوع..  
ولهذا، فإن الثبات في الرب ضرورة حتمية..

قلت: أنا لا أجادلك في هذا.. فالثبات ضرورة حتمية في كل دين، لا في المسيحية وحدها، ولكني أتعجب من هذا المظهر الذي ظهرت به اليوم.. هل تراك تريد أن تخرج به؟

قال: أجل.. هذا المظهر وحده أعظم دعوة للمسيح.. إنه يمثل المسيح وثبات المسيح.. ولا يثبت الناس في المسيح غير ثبات المسيح.

أتعلم.. لقد كانت أعظم رسالة نشرت المسيحية في العالم بين نفوس المستضعفين هي هذه الرسالة التي أحملها بشيابي وصلبي.. وكأنني أقول لمبغضي المسيح: افعلوا بي ما تشاءون.. اشنقوني أو اصلبوني كما صلبتم المسيح.. فلن أترحزح عن طريقي.

لقد توجه المسيح لتلاميذه في آخر صحبته لهم، وقال: (إِنْ أَبْعَضَكُمْ الْعَالَمُ، فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ أَبْعَضَنِي مِنْ قَبْلِكُمْ. لَوْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِ، لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُّ أَهْلَهُ، وَلَكِنْ لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِ، بَلْ إِنِّي اخْتَرْتُكُمْ مِنْ وَسْطِ الْعَالَمِ، لِذَلِكَ يُبْعَضُكُمْ الْعَالَمُ. اذْكُرُوا الْكَلِمَةَ الَّتِي قُلْتُمْ لَكُمْ: لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ. فَإِنْ كَانَ أَهْلُ الْعَالَمِ قَدْ اضْطَهَدُونِي، فَسَوْفَ يَضْطَهَدُونَكُمْ؛ وَإِنْ كَانُوا قَدْ عَمِلُوا بِكَلِمَتِي، فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ بِكَلِمَتِكُمْ. وَلَكِنَّهُمْ سَيَفْعَلُونَ هَذَا كُلَّهُ بِكُمْ مِنْ أَجْلِ اسْمِي، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ الَّذِي أَرْسَلَنِي. لَوْ لَمْ آتِ وَأَكَلَمَهُمْ، لَمَا كَانَتْ لَهُمْ خَطِيئَةٌ؛ وَلَكِنْ لَا عَذْرَ لَهُمْ الْآنَ فِي خَطِيئَتِهِمْ. الَّذِي يُبْعَضُنِي، يُبْعَضُ أَبِي أَيْضًا. وَلَوْ لَمْ أَعْمَلْ بَيْنَهُمْ أَعْمَالًا لَمْ يَعْمَلْهَا أَحَدٌ غَيْرِي، لَمَا كَانَتْ لَهُمْ خَطِيئَةٌ. وَلَكِنَّهُمْ أَبْعَضُونِي وَأَبْعَضُوا أَبِي، مَعَ أَنَّهُمْ رَأَوْا تِلْكَ الْأَعْمَالَ. وَقَدْ صَارَ ذَلِكَ لِتَبَيُّنِ الْكَلِمَةِ الْمَكْتُوبَةِ فِي شَرِيحَتِهِمْ: أَبْعَضُونِي بِلَا سَبَبٍ! وَعِنْدَمَا يَأْتِي الْمُعِينُ، الَّذِي سَأَرْسِلُهُ لَكُمْ مِنْ عِنْدِ الْآبِ، رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي يَنْبْتُقُ مِنَ الْآبِ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي، وَتَشْهَدُونَ لِي أَنْتُمْ أَيْضًا، لِأَنَّكُمْ مَعِي مِنَ الْبِدَايَةِ) (يوحنا: ١٥/١٨ - ٢٧)

قلت: لكنني لم أفهم سر هذا المظهر بعد.. لقد كنت تحمل صليباً مذهباً على صدرك، وأراك تحمل اليوم صليباً يكاد يكون حقيقياً، وكأنك احتشنته من الشجرة التي اجثت منها صليب المسيح.

نظر إلي بأسف، وقال: للأسف.. لقد انحصرت نظرتنا إلى الصليب في أنه سر الفداء فحسب، فكانت نظرة قاصرة خلقت جيلاً من المؤمنين المترفين المرفهين، جيلاً تعود الأخذ لا البذل، جيلاً يبحث عن الراحة ويهرب من العناء، جيلاً يحمل الصليب زينة على صدره، ولا يحمل الصليب مقصلة فوق ظهره، فضاعت من جيلنا التلمذة الحقيقية التي قصدتها السيد المسيح ورسم طريقها بقوله: (من لا يحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر

أن يكون لي تلميذاً) (لوقا: ١٤: ٢٧).

لقد حكى لنا التاريخ كيف أن بطرس الرسول هرب من روما خشية الموت، وفوجئ في الطريق بشخص السيد المسيح، فارتقى عند أقدامه متسائلاً: (إلى أين يارب أنت ذاهب؟)، فجاءته الإجابة التي أدهشته: (أنا ذاهب إلى روما لأصلب ثانية عوضاً عنك)، فرجع الرسول في الحال إلى روما، وعانق الصليب رافضاً أن يُصلب كسيده، بل أن يُصلب منكساً، رأسه إلى أسفل ورجلاه إلى أعلى، وأثبت أنه تلميذ حقيقي لمعلمه المصلوب.

وهكذا كل قديس في الرب قد عرف الطريق إلى صليب الإمامة وتمر مشيئته هناك ودفن آماله في قبر راحيل وقام في جدة الحياة ليعيش لمشيئة الرب بالكامل ويكمل قول بولس الرسول: (وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام) (٢ كو ٥: ١٥).

قلت: كل ما تذكره نؤمن به، ونحاول أن نعيشه، لكنني لست أفهم سر ما تريد أن نفعله اليوم.. هل سنذهب للتبشير كما ذهبنا في الأيام السابقة؟

قال: أجل.. وهذا هو علامة الثبات في المسيح.. فالمعركة لا ينتصر فيها إلا الثابتون.

قلت: أراك تريد أن تحارب اليوم أيضاً؟

قال: إن اضطررت إلى الحرب فعلت.. فما أحلى الحرب لأجل المسيح.

قلت: بأي سلاح تريد أن تحارب اليوم؟

أشار إلى الصليب، وقال: بهذا..

قلت: أتريد أن تشن حرباً صليبية جديدة؟

قال: حرب الصليب لا تخاض بالسيوف، بل تخاض بالصليب نفسه.

قلت: الصليب هو أداة إعدام بشعة استخدمها الرومان واليونانيون والفرس منذ أقدم العصور في إعدام المجرمين.. وهو أشد آلة تعذيب لأن المعلق كان يموت موتاً بطيئاً، كما أنه يكون معرضاً لشمس النهار المحرقة وبرودة الليل، كما أن أجساد المصلوبين عرضة لطيور السماء الجارحة.. لقد كان المصلوب يثبت على خشبه الصليب وهو شبه عار لكي يكون محط سخرية واستهزاء الناس.

ولهذا، فإن اليهود كانوا ينظرون للصليب بأنه موت اللعنة حسب الشريعة (تثنية ٢١: ٢٢، ٢٣)

قال: ولكن كل رموز العار التي كانت تلتصق بالصليب تحولت في صليب المسيح إلى افتخار.. لقد أصبح

الصليب شعار المسيحية في كل مكان وزمان، فوق كل بناية كنيسة يرفع الصليب عالياً.

أتدري لم؟

قلت: لم؟

قال: لأن صليب المسيح أعلن محبة الله للبشرية.. كما جاء في رسالة (يوحنا ١ / ٤: ٩، ١٠): (بهذا أظهرت

محبة الله فينا أن الله أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به. في هذا هي المحبة ليس أننا أحببنا الله بل أنه هو

أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا)

وكما جاء في الإنجيل: (لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية) (يوحنا ٣: ١٦)

قلت: أنا موقن بكل ما تقول.. ولكني أسألك عن كيفية التبشير بالصليب؟

قال: بالصليب نخاطب المشاعر لا العقول.. والمشاعر هي التي تسيطر على حياة الناس لا عقولهم.. وبذلك، فإن إظهار صورة المسيح المصلوب الثابت مع صلبه أعظم معجزة. لقد كان المسيح قادرا على التخلص من صليبه، ولكنه كان يعلم أن ثباته في صليبه أعظم من كل المعجزات التي جرت علي يديه.

ولهذا، فإن الثبات معجزة بحد ذاتها.. معجزة تفوق كل المعجزات.

أردت أن أتحدث، فقاطعتي، وقال: هيا.. لقد أعددت مجلسا للتبشير بين المستضعفين المضطهدين.. وقد وكلت من تعرفه بأن يهيئ لنا الجو الخاص بهذا اليوم.. ولعله قد نضج.

قلت: ألا تخاف أن يظهر ذاك الرجلان؟

ابتسم، وقال: حتى لو ظهرا.. فليس لديهما مثل هذا الصليب، وليس لنبيهم مثل هذا الصليب.

سرنا إلى محل هو أشبه بمحل اعتقال، كانت أرواح الاستضعاف فيه تفوح من بعيد، ولكنه مع ذلك كان يخفي ههما للنهوض، تبرز في الكلمات المنبثقة، وفي الصيحات المرتفعة.

ما إن وصلنا، حتى سمعنا بعضهم يصيح: يا قوم.. قد تسجنون إذا ذكرتم هذا، وقد يسلط عليكم المستكبرون في السجون من ألوان العذاب ما لا تطيقون.

قال آخر: فليكن ذلك.. فالآمال لا تنتبها إلا الآلام..

قال آخر: إن الثبات على تلك الآلام يستدعي أن نلبس نفوسا خاصة لا نجدها في ذواتنا.. لقد هدونا المستكبرون بألوان من العذاب لا تطيقها أجسادنا الضعيفة.

هنا نطق مستأجر بولس، وقال: فلنضع المسيح، وصليب المسيح بين أعيننا.. وحينذاك سنقاوم العالم أجمع.

التفت إليه الجمع، وقالوا: من المسيح.. وما صليبه؟

هنا تدخل بولس بتلك الهيئة العجيبة، وقال: هذا هو صليب المسيح.. وإن شئتم أن تروا صورته، فقد

لبست من اللباس ما يشير إلى صورته.

نظر الجمع إلى بولس بألم، وقالوا: لقد تألم هذا الرجل كثيرا إذن؟

قال بولس: وقد كان في إمكانه أن لا يتألم<sup>١</sup>.. لقد كان يحمل طاقات كثيرة، ومع ذلك تخلى عنها جميعا

ليصلب من أجلنا.

قالوا: نرى أن حديثه عظيم.. ولعله يبث فينا من القوة ما لا نجد في نفوسنا، فحدثنا عنه.

قال بولس: لقد قضى يسوع المسيح ست ساعات على الصليب، وقد تألم فيها بأنواع عديدة من الآلام

لم تزعزعه، ولم تهد كيانه المقدس:

(١) هناك رد مفصل على ما يزعمه المسيحيون من صلب المسيح، وما يفهمونه منه في رسالة (الإنسان) من هذه السلسلة.



لقد تألم آلاما كثيرة.. آلاما في جسده.. وآلاما في نفسه.  
أما في جسده، فهي التي تلقاها من البشر.. من الجنود الرومان.. ومن خدام رؤساء الكهنة.  
لقد ثقل عليه، وضرب بالسياط، ليتم قول الكتاب: (على ظهري حرث الحراث) (مزمور ١٢٩: ٣)، ويتم  
ما جاء في إشعياء: (بذلت ظهري للضارين، وخدي للناطفين وجهي لم أستر عن العار والبصق) (إشعياء  
٦: ٥٠)

ووضعوا إكليل شوك فوق رأسه القدوس، وهو الملك صاحب التيجان الكثيرة.  
وطعنوه بحربة في جنبه، وسالت منه ينايب الغفران من خلال ذلك الدم الذي يطهر من كل خطية، والذي  
لا يزال يتكلم ويطلب الغفران لأجلنا.

ثقبوا يديه ورجليه بمسامير حديدية غليظة بواسطة أيدي الجنود الرومانيين الذين كانت قلوبهم غليظة.  
ليست المسامير الحديدية هي التي ثبتته هناك، بل ثبتته محبته الشديدة، والتي تفوق إدراك العقول.. لقد ثبتته  
فوق الصليب لأجل غفران معاصينا.. لقد سالت الدماء من يديه المثقوبة، وهو لا يزال يفتح ذراعيه لكي  
يستقبل بفرح كل من يقبل إليه.

قال ذلك بمخشوع، ثم راح يترنم بصوت شجي:

يده المثقوبة تنطق بالحب	تمسح أحمال الآثم عن القلب
يده المثقوبة تحكي عن نعمة	تتراف تبدي للخاطي رحمة
يده المثقوبة تترف تدعوك	وبقلب الرحمة تصرخ ترجوك
أسرع أبواب الرحمة مفتوحة	أدخل من كف الابن المجروحة
فاختبئ الآن بكف المصلوب	سلم واحظ بعفو مطلوب

سالت دموع كثيرة من الجمع الحاضر، بثت في بولس نشاطا عظيما للحديث، فراح يقول: وفوق ذلك..  
لقد قاسى الرب يسوع آلاماً نفسية ومعنوية تفوق آلامه الجسدية:

لقد كان متروكا من الجميع ( فتركه الجميع وهربوا ) ( مرقس ١٤: ٥٠ ) ليتم ما جاء في الكتاب: )  
أحبائي وأصحابي يقفون تجاه ضربتي وأقاربي وقفوا بعيداً ) ( مزمور ٣٨: ١٠ )  
لقد خانته تلميذه يهوذا الاسخريوطي.

لقد أنكره بطرس، ليس أمام قائد في الجيش، أو حتى جندي، بل أنكر يسوع أمام جارية.. لقد أنكره  
ثلاث مرات، ولعن، وحلف أنه لا يعرف يسوع.. ربما نحن نلوم بطرس، ولكننا بتصرفاتنا وأقوالنا ننكر الرب  
يسوع كل يوم.

لقد هرب التلاميذ، فمزقته آلام الوحدة، فهو متروك من قبل الجميع.

لقد استهزأوا به، سواء الشعب، أم رجال الدين اليهود أو الجنود.

لقد جدفوا عليه، وعيروه، حتى اللسان أيضاً عيره.

لقد صُلب يسوع على صليب العار، فالصليب كان رمز عار ولعنة، وتم ما هو مكتوب عنه: (العار قد

كسر قلبي فمرضت، انتظرت رقة فلم تكن، ومعزين فلم أجد، ويجعلون في طعامي علقماً، وفي عطشي يسقونني خلاً (مزمو ٦٩: ٢٠-٢١)

لقد تحمل المسيح لعنة الخطية لكي يكون لنا لا اللعنات بل البركات، وتم قول الكتاب (ملعون كل من علق على خشبة) (رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٣: ١٣) فكم كان قاسياً على القدوس البار الذي لم يعرف خطية، لذلك قال للآب في البستان: إن شئت أن تجيز عني هذه الكأس، لقد تجرع كأس غضب الله ولعنة الخطية.

التفت إلى الجمع، وقال: أتدرون سر هذه الآلام التي تحملها المسيح؟ صمتوا، فقال: لقد تحمل المسيح هذه الآلام نيابية عني وعنك، لقد تلقاها من يد العدالة الإلهية. لقد قضى الرب يسوع ستة ساعات على الصليب، والثلاث الساعات الأخيرة من الساعة (١٢-٣) ظهراً صارت ظلمة على كل الأرض، وهذه هي الساعات التي تمت فيها الكفارة، حيث حجب الله وجهه عن يسوع، وأنزل عليه الدينونة التي كان علينا أن ندفعها لكنه تحملها، وتم ما هو مكتوب في إشعياء النبي (أما الرب فسّر أن يسحقه بالحزن) (إشعياء ٥٣: ١٠)

والكفارة هي الآلام التي بها المسيح كَفَّرَ خطايانا وذنوبنا ولا يستطيع أحد أن يصف تلك الآلام لأنها أسمى من إدراك البشر ولا أحد يعرفها إلا يسوع وحده فقد نزلت الدينونة عليه وهو الذي قال عن تلك الساعة (الآن دينونة هذا العالم) (يوحنا ١٢: ٣١)

وما هو مكتوب عن هذه الآلام يجعلنا نركع سجوداً وتعبداً وخاصة عندما نعرف كم اجتاز ربنا المعبود من دينونة في الصليب جعلته يصرخ: (إلهي إلهي لماذا تركتني).. (صار قلبي كالشمع قد ذاب في وسط أمعائي) (مزمو ٢٢)

لما رأى السيف التهاب قد صاح من هول الغضب  
إيلي لما تركتني ووجهك عني احتجب

إنك قد ضربتني بسيف عدلك الرهيب قد ذاب قلبي داخلي كالشمع أمام اللهيب  
لقد صرخ يسوع بصوت عظيم في نهاية آلامه الكفارية وقال: (قد أكمل) وأصبح الذبيح العظيم الذي يستطيع فيه كل إنسان أن ينال غفران الخطايا، أتم المسيح عمل الفداء فوق الصليب وسفك دمه الطاهر الذي يظهر من كل خطية ودفع الدين وأوفى مطالب العدالة الإلهية وتم المكتوب (الرحمة والحق التقيا) (مزمو ٨٥: ١٠)

لقد دفع فينا ثمناً غالياً ليس بفضة أو ذهب ولكن (بدم كريم كما من حمل بلا عيب وبلا دنس دم يسوع المسيح المعروف سابقاً قبل تأسيس العالم) (بطرس ١: ١٩-٢٠)

ما إن انتهى بولس من موعظته المؤثر المؤلمة التي استجمع فيها كل طاقاته الوجدانية حتى فوجئنا بصوت عبد القادر، وهو يقول للجمع: لاشك أنكم تناضلون لأجل قضية تريدون الثبات عليها.  
قالوا: أجل..

قال عبد القادر: وتريدون أن تجدوا نموذجاً تحقق فيه الثبات في أعلى درجاته، بحيث صار معجزة في ثباته؟ قالوا: أجل.. نريد أن نجد المثال الذي نملأ به قلوبنا وعقولنا.  
هنا تدخل مستأجر بولس، وقال: لقد أعطانا هذا الراهب الفاضل أعظم مثال.. ونحن نكتفي به..  
فمعجزة الثبات لم تتحقق إلا في المسيح.

قال عبد القادر: إن معجزة الثبات تحققت في جميع رسل الله.. تحققت في إبراهيم وإسماعيل وموسى والمسيح ومحمد.

قال مستأجر بولس: ولكن.. ليس هناك من قدم للصلب كما قدم للمسيح.

قال عبد القادر: إن الثبات لا يبرزه الصلب وحده..

لقد ذكر الله تعالى ثبات إسماعيل عليه السلام عندما أوحى لأبيه إبراهيم عليه السلام بأن يذبحه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَشَرَّاهُ بِعُلْمِ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَتَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠)﴾ (الصفوات)

وذكر الله تعالى ثبات إبراهيم عليه السلام أمام تهديد أبيه عندما هدده بقوله: ﴿أَرَأَيْتَ أَتَىٰ عَن إِلَهِتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَه لَأَرْحُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (مريم: من الآية ٤٦)

وهكذا كل الأنبياء — عليهم السلام — لم يستسلموا لكل ما دبره أقوامهم لهم من مكاييد.. لقد ذكر الله تعالى ذلك، فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ (إبراهيم: ١٣)

ففي هذه الآية الكريمة يخبر الله تعالى عما توعدت به الأمم الكافرة رسلها، من الإخراج من أرضهم، والنفي من بين أظهرهم، كما قال قوم شعيب له ولمن آمن به: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِّنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ (الأعراف: ٨٨)، وقال قوم لوط عليه السلام لنيبهم: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ (النمل: ٥٦)، وقال مخاطباً محمداً صلى الله عليه وسلم وما هم قومه به: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٦)، وقال يذكر مكايدهم: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يَخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠)

قال مستأجر بولس: نعم.. ربما يكون محمد قد أخرج من بلده، ولكنه لم يصلب..

قال عبد القادر: أيهما أعظم ثباتاً: أن يصلب الشخص ساعة، أو ست ساعات يموت بعدها، ويستريح..

أو يظل طول عمره هدفاً للمؤامرات والمكاييد؟

قال الجميع: بل الصلب أرحم، وقد مر بعضنا بآلام ود لو صب عليه فيها الموت صباحاً.

قال عبد القادر: فمثال الثبات إذن لا يتحقق بكماله إلا في محمد صلى الله عليه وسلم.

قالوا: كيف ذلك.. وما أنواع البلاء التي تعرض لها؟  
قال عبد القادر: لقد تعرض محمد ﷺ لكل أنواع البلاء.. وابتلي بكل أنواع الفتن: فتن الضراء، وفتن  
السراء.  
قالوا: فحدثنا عنهما.

## ١ — فتنة الضراء

ألقى عبد القادر نظرة على جموع المستضعفين الملتفين حوله، وقال: أنتم الآن جموع كثيرة، ولكن محمدا ﷺ عندما بدأ بدأ وحده، ثم انضمت إليه فئة قليلة من المستضعفين واجه بهم العالم أجمع. لقد دبرت له كل المؤامرات لتستأصله، وتجوعه، وتخرجه من أرضه، وفوق ذلك تملأ نفسه آلاما وحسرات، ولكنه لم يرضخ، ولم يتزعزع، ولم يجد عن منهجه الذي رسمه الله له. وبما أنكم طلبتم مني أن أحدثكم عن أنواع البلاء التي تعرض لها محمد ﷺ، وثباته في وجهها، فسأذكر لكم ما قال المؤرخون بتوثيقاتهم الدقيقة، لتروا معجزة الثبات بتجليها الكامل في شخص محمد ﷺ.

### تأليب أهله عليه:

أول أنواع المضرات التي صبت على محمد ﷺ تأليب أهله عليه، فأخطر ما يقف في وجه الثابتين تأليب أهلهم عليهم، كما أن أقوى ما يثبت قلوبهم وقوف أهلهم بجانبهم. وقد وقف أهل محمد ﷺ منه موقفين متناقضين: أما أحدهما، فكان الحرب الشديدة له ﷺ، ويمتلهم عمه أبو لهب، الذي نزلت في حقه سورة كاملة تبين الموقف الشديد الذي وقفه من رسول الله ﷺ.

فقد روي بأسانيد مختلفة عن جمع من الصحابة — رضي الله عنهم —<sup>١</sup> أن رسول الله ﷺ لما أنزل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤) قام على الصفا، فعلا أعلاها حجرا، ثم نادى: يا صباحاه، فقالوا: من هذا؟

وجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج يرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فاجتمعوا إليه، فقال رسول الله ﷺ: (إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا.

فقال: يا معشر قريش، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس عم رسول الله ﷺ أنقذ نفسك من النار، فإني لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة محمد، ويا فاطمة بنت محمد أنقذوا أنفسكما من النار، فإني لا أملك لكما من الله شيئا، غير أن لكما رحما سأبلها ببلالها، إني لكم نذير بين يدي عذاب شديد )

في هذا الموقف، وبعد هذه الكلمات المؤثرة الناصحة واجهه عمه أبو لهب بكل قسوة قائلا: تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟

تصورا ذلك الموقف، وشدته على رسول الله ﷺ.

(١) رواه الشيخان والبلاذري عن ابن عباس، والشيخان عن أبي هريرة، ومسلم عن قبيصة ابن المخارق رضي الله عنهم.

لم يقف أبو هب ذلك الموقف فقط.. بل ظل حلف محمد ﷺ يتعقبه لينفر الناس عنه: فعن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه قال: أخبرني رجل -يقال له: ربيعة بن عباد، من بني الدليل، وكان جاهلياً فأسلم، قال: رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز، وهو يقول: (يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)، والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين، يقول: إنه صابئ كاذب. يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أبو هب<sup>١</sup>.

وفي حديث آخر عن ربيعة بن عباد الديلي قال: إني لمع أبي رجل شاب، أنظر إلى رسول الله ﷺ يتبع القبائل -وراءه رجل أحول وضيء، ذو جُمَّة يَقِفُ رسول الله ﷺ على القبيلة فيقول: (يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، أمركم أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئاً، وأن تصدقوني وتمنعوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به) وإذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه: يا بني فلان، هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تسمعوا له ولا تتبعوه. فقلت لأبي: من هذا؟ قال: عمه أبو هب<sup>٢</sup>.

وقد ذكر ابن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ لما دعا قومه إلى الإيمان، قال أبو هب: إذا كان ما يقول ابن أخي حقاً، فإني أفتدي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي، فأنزل الله تعالى: ﴿ مَا أَعْتَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۖ ﴾ (المسد: ٢)

ومثل أبي هب زوجته<sup>٣</sup> التي سماها الله ﴿ حَمَالَةَ الْحَطَبِ ﴾، فقد كانت عورتاً لزوجها على كفره وجحوده وعناده، فقد كانت تضع الشوك في طريق رسول الله ﷺ. قال سعيد بن المسيب: كانت لها قلادة فاخرة، فقالت: لأنفقنها في عداوة محمد، فأعقبها الله بها حبلاً في جيدها من مسد النار.

وقالت أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها -: لما نزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ (المسد: ١)، أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب، ولها ولولة، وفي يدها فهر، وهي تقول:

مُذَمَّمًا أَبِينَا وَدِينَهُ قَلِينَا وَأَمْرَهُ عَصِينَا

ورسول الله ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله، قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك. فقال رسول الله ﷺ: (إنها لن تراني)، وقرأ قرآناً اعتصم به، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ (الإسراء: ٤٥)، فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ، فقالت: يا أبا بكر، إني أخبرت أن صاحبك هجاني؟ قال: لا ورب هذا البيت ما هجأك. فولت وهي تقول: قد علمت قريش أني ابنة سيدها.

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه أحمد والطبراني.

(٣) وهي من سادات نساء قريش، وهي: أم جميل، واسمها أروى بنت حرب بن أمية، وهي أخت أبي سفيان.

(٤) رواه العوفي عن ابن عباس، وعطية الجدي، والضحاك، وابن زيد، واختاره ابن جرير.

هذا هو الموقف الأول، وهو الموقف الذي أظهر العداوة، وسار فيها إلى أقصى غاياتها، أما الموقف الثاني، فهو موقف عمه أبي طالب، وهو موقف مناقض تماما لموقف أبي لهب.

ولكن أعداء محمد ﷺ لم يرضهم ذلك الموقف، فراحو بمكائدهم المختلفة يؤلبون عمه عليه. قال ابن إسحاق: فلما بادى رسول الله ﷺ قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه، حتى ذكر آهنتهم وعابها.

فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا لخلافه وعداوته إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام وهم قليل مستخفون.

وحذب على رسول الله ﷺ أبو طالب، ومنعه وقام دونه، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهرا لأمره لا يردده عنه شيء.

فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آهنتهم، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حذب عليه وقام دونه ولم يسلمه لهم، مشى رجال من أشرفهم إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آهنتنا وعاب ديننا وسفه أعلامنا وضلل آباءنا، فإما أن تكفه وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيك.

فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا وردهم ردا جميلا، فانصرفوا عنه.

ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه، ثم شري الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا وأكثرت قريش من ذكر رسول الله ﷺ بينها فتدامروا فيه وحض بعضهم بعضا عليه.

ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له: يا أبا طالب إن لك سنا وإن لك شرفا ومترلة فينا، وإننا قد استهينناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإننا والله لا نصبر على هذا من شتم آباءنا وتسفيه أعلامنا وعيب آهنتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين، أو كما قالوا له، ثم انصرفوا عنه.

فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا بإسلام رسول الله ﷺ ولا خذلانه، فأرسل خلفه فقال: يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له، فأبق على نفسك وعلي ولا تحملي من الأمر ما لا أطيق.

فظن أن رسول الله ﷺ قد بدا لعمه فيه بداء وأنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، فقال له رسول الله ﷺ: (يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته)، ثم استعبر رسول الله ﷺ.

فلما ولى ناداه أبو طالب، فقال: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدا، ثم قال أبو طالب:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم  
فامضي لأمرك ما عليك غضاضة  
وإبشر وقر بذاك منك عيوننا  
ودعوتي وزعمت أنك ناصحي  
حتى أوسد في التراب دفيننا  
فلقد صدقت وكنت ثم أمينا

تصوروا شدة هذا الموقف على رسول الله ﷺ مع أن أبا طالب كان بمثابة أبيه، فقد تربى في بيته، وكفله في صغره بعد موت جده.. لو أن محمدا ﷺ لم يكن له من الثبات والصدق ما له، هل سبترك عمه يعاني كل ذلك العناء؟

ليس ذلك فقط.. فلم تياس قريش من تأليب أهله عليه.

قال ابن إسحاق: ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبي خذلان رسول الله ﷺ وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له: يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أهد فتى في قريش وأجمله، فخذنه فلك عقله ونصره واتخذته ولدا فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف ديننا ودين آباءك وفرق جماعة من قومك وسفه أحلامهم فنقتله، فإنما هو رجل برجل.

قال: والله لبئس ما تسوموني! أعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه! هذا والله ما لا يكون أبدا، أرايتم ناقة تحن إلى غير فصيلها؟ فقال المطعم بن عدي بن نوفل: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا.

فقال أبو طالب للمطعم: والله ما أنصفوني ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم علي، فاصنع ما بدا لك — أو كما قال — فحقب الأمر وحميت الحرب وتناذب القوم وبادى بعضهم بعضا.

### إيذاء أصحابه:

لم يكتف أعداء محمد ﷺ بتأليب أهله عليه، بل راحوا يمارسون كل أساليب الضغط على أصحابه، فيعذبونهم ويؤذونهم بكل ما سولت لهم شياطينهم من أنواع الأذى ليحطوا من عزيمته، ويدكوا جبل ثباته.

عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ ما يعذرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم، والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويبيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر يستوي جالسا من شدة الضر الذي نزل به حتى يقولوا له: اللات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم حتى إن الجعل ليمر بهم، فيقولون له: هذا الجعل إلهك من دون الله فيقول: نعم افتداء مما يبلغون من جهدهم.

وكان أبو جهل الحبيث هو الذي يغري بهم رجال قريش، إذا سمع بالرجل أسلم له شرف ومنعة أنهه وأحزاه، فقال: تركت دين أبيك وهو خير منك، لنفسهن حلمك ولنفيين رأيك ولنضعن شرفك.

وإن كان تاجرا قال: والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك.

وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به<sup>١</sup>.

وقد حفظ لنا التاريخ الكثير من الأسماء التي تعتبر أمثلة سامية للثبات:

فمن المستضعفين **بلال** — رضي الله عنه — الذي كان صادق الإسلام طاهر القلب، فقد كان سيده أمية بن خلف يخرج به إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة، فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد، أنا كافر باللات والعزى.

(١) رواه ابن إسحاق.



وقد وصف عمرو بن العاص مشهدا من مشاهد تعذيبه، فقال: مررت ببلال وهو يعذب في الرمضاء، ولو أن بضعة لحم وضعت عليه لنضجت، وهو يقول: أنا كافر باللات والعزى.

وأمية مغتاط عليه، فيزيده عذابا، فيقبل عليه فيدغت في حلقه فيغشى عليه ثم يفيق<sup>١</sup>.

ويذكر حسان بن ثابت مشهدا آخر من مشاهد العذاب، فيقول: حججت فرأيت بلالا في حبل طويل يمدّه الصبيان، وهو يقول: أحد أحد، أنا أكفر باللات والعزى وهبل ونائلة وبوانة، فأضجعه أمية في الرمضاء<sup>٢</sup>.

وعن مجاهد قال: جعلوا في عنق بلال حبلا، وأمروا صبيانهم أن يشتدوا به بين أحشبي مكة — يعني جبليها — ففعلوا ذلك وهو يقول: أحد أحد<sup>٣</sup>.

وعن عمير بن إسحاق قال: كان بلال إذا اشتد عليه العذاب قال: أحد أحد، فيقولون له: قل كما نقول فيقول: إن لساني لا ينطق به ولا يحسنه<sup>٤</sup>.

وقد ذكر بلال بعض العذاب الذي صب عليه، فقال: أعطشوني يوما وليلة، ثم أخرجوني فعذبوني في الرمضاء في يوم حار<sup>٥</sup>.

وكان ورقة بن نوفل — رضي الله عنه — يمر ببلال وهو يعذب، وهو يقول: أحد أحد، فيقول ورقة: أحد أحد، والله يا بلال.

ثم يقبل على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بني جمح، فيقول: أحلف بالله لئن قتلتموه لأتخذنه حنانا.

حتى مر أبو بكر الصديق — رضي الله عنه — وهم يصنعون به ذلك، وكانت دار أبي بكر في بني جمح فقال أبو بكر لأمية: ألا تتقي الله في هذا المسكين حتى متى تعذبه؟ قال: أنت أفسدته فأنقذه مما ترى. قال أبو بكر: أفعل عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكة به، قال: قبلت، قال: هو لك، فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك وأخذ بلالا فأعتقه.

ومنهم **خباب بن الأرت**، وكان من الثابتين في البلاء، فعن الشعبي قال: أعطوهم ما أرادوا حين عذبوا إلا خباب بن الأرت، فجعلوا يلصقون ظهره بالأرض على الرضف حتى ذهب ماء متنته<sup>٦</sup>.

وقد روي أنه جاء إلى عمر — رضي الله عنه — فقال له عمر: ادنه ادنه، فأجلسه على متكته وقال: ما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا رجل واحد، قال: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: بلال — وفي رواية عمار بن ياسر — قال: ما هو بأحق مني إن بلالا كان له في المشركين من يمنعه الله به، ولم يكن لي أحد، لقد رأيتني يوما وقد أوقدوا لي نارا، ثم سلقوني فيها، ثم وضع رجل رجله على صدري، فما اتقيت الأرض إلا بظهري

(١) رواه البلاذري.

(٢) رواه ابن سعد.

(٣) رواه البلاذري.

(٤) رواه البلاذري.

(٥) رواه البلاذري.

(٦) رواه البلاذري.

ثم كشف حجاب عن ظهره، فإذا هو قد برص<sup>١</sup>.  
وعن أبي صالح قال: كان حجاب قينا وكان قد أسلم، فكان رسول الله ﷺ يألفه ويأتبه، فأخبرت بذلك مولاته، فكانت تأخذ الحديدية، وقد أحمتها فتضعها على رأسه، فشكى ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال: اللهم انصر حبابا، فاشتكت مولاته رأسها، وهي أم أئمار، فكانت تعوي مع الكلاب، فقبل لها اكنوي، فكان حجاب يأخذ الحديدية قد أحماها فيكوي بها رأسها<sup>٢</sup>.

ومنهم **صهيب بن سنان الرومي**، فقد كان من المستضعفين من المؤمنين الذين كانوا يعذبون في الله. ومنهم **عامر بن فهيرة**، فقد كان عامر من المستضعفين، فكان يعذب بمكة ليرجع عن دينه حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه<sup>٣</sup>.

وقد قال محمد بن كعب القرظي: كان عامر بن فهيرة يعذب حتى لا يدري ما يقول<sup>٤</sup>.  
ومنهم **أبو فكيهة**، وكان عبدا لصفوان بن أمية، فأسلم حين أسلم بلال، فمر به أبو بكر، وقد أخذه أمية بن خلف، فربط في رجله حبلا وأمر به فجر، ثم ألقاه في الرمضاء فمر بن جعل فقال: أليس هذا ربك فقال: الله ربي خلقتني وخلقك هذا الجعل، فغلط عليك وجعل يخنقه، ومعه أخوه أبي بن خلف يقول: زده عذابا حتى يأتي محمد فيخلصه بسحره.

فأخرجه نصف النهار في شدة الحر مقيدا إلى الرمضاء ووضع على بطنه صخرة فدلع لسانه، فلم يزل على تلك الحال حتى ظنوا أنه قد مات، ثم أفاق فمر به أبو بكر، فاشتراه وأعتقه.

ومنهم **عمار بن ياسر وأبوه وأمه سمية وأخوه عبد الله** — رضي الله عنهم — فعن مجاهد قال: أول من أظهر الإسلام أبو بكر وبلال وحباب وصهيب وعمار، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه الله بعمه، وأما أبو بكر فمنعه قوما، وأما الآخرون فألبسوا دروع الحديد، وصهروا في الشمس حتى بلغ الجهد منهم، وجاء أبو جهل إلى سمية فطعنها في قلبها فهي أول شهيدة في الإسلام<sup>٥</sup>.

وقد ذكره محمد بن كعب القرظي، فقال: أخبرني من رأى عمار بن ياسر متجردا في سراويل.  
قال: ونظرت إلى ظهره، فإذا فيه حيط فقلت: ما هذا؟ قال: هذا ما كانت قريش تعذبني في رمضاء مكة<sup>٦</sup>.

وعن أم هانئ — رضي الله عنها — أن عمار بن ياسر وأباه ياسرا وأخاه عبد الله ابن ياسر وسمية بن عمار كانوا يعذبون في الله فمر بهم رسول الله ﷺ، فقال: صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة.

(١) رواه البلاذري.

(٢) رواه البلاذري.

(٣) رواه البلاذري.

(٤) رواه ابن سعد.

(٥) رواه البلاذري والبيهقي.

(٦) رواه ابن سعد.

فمات ياسر في العذاب وأغلظت سمية لأبي جهل، فطعنها في قلبها فماتت، ورمي عبد الله فسقط<sup>١</sup>.  
ومنهم **جارية بني المؤمل بن حبيب**، وكان يقال لها لبيبة، أسلمت قبل إسلام عمر بن الخطاب، فكان  
عمر يعذبها حتى يفتر، فيدعها، ثم يقول: أما إني أعتذر إليك بأني لم أدعك إلا سامة، فتقول: كذلك يعذبك  
ربك إن لم تسلم<sup>٢</sup>.

وعن حسان قال: قدمت مكة معتمرا والنبي ﷺ وأصحابه يؤذون ويعذبون، فوقفت على عمر، وهو متوزر  
يخنق جارية بني عمرو بن المؤمل حتى تسترخي في يديه، فأقول قد ماتت، فاشتراها أبو بكر فأعتقها<sup>٣</sup>.  
ومنهم **زنيرة الرومية**، كان عمر بن الخطاب وأبو جهل يعذبانها، وكان أبو جهل يقول: ألا تعجبون  
لهؤلاء واتباعهم محمدا؟ فلو كان ما أتى به محمد خيرا وحقا ما سبقونا إليه، أفسبقتنا زنيرة إلى رشد وهي من  
تروان.

وكانت زنيرة قد عذبت حتى عميت، فقال لها أبو جهل: إن اللات والعزى فعلتا بك ما ترين، فقالت،  
وهي لا تبصر: وما تدري اللات والعزى من يعدهما، ولكن هذا أمر من السماء، وربى قادر على أن يرد  
بصري.

فأصبحت تلك الليلة وقد رد الله بصرها، فقالت قريش: هذا من سحر محمد فاشتراها أبو بكر — رضي  
الله عنه — فأعتقها<sup>٤</sup>.

ومنهم **أم عنيس** هي أمة لبني زهرة، وكان الأسود بن عبد يغوث يعذبها فابتاعها أبو بكر.  
ومنهم **النهدية** وابتنتها، وكنت مولدة لبني نهد بن زيد، فصارت لامرأة من بني عبد الدار، فكانت تعذبها  
وتقول: والله لا أقلعت عنكما أو يعتقكما بعض من صبا بكما.

فمر بهما أبو بكر — رضي الله عنه — وقد بعثتهما في طحين لها، وهي تقول: والله لا أعتقكما أبدا،  
فقال: حل يا أم فلان، فقالت: حل أنت والله أفسدتهما، فأعتقتهما، قال: فبكم هما؟ قالت: بكذا وكذا، قال:  
قد أخذتهما به وهما حرتان، أرجعا إليها طحيننا قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر، ثم نرده إليها قال: أو ذاكمان إن  
شئتما<sup>٥</sup>.

ومنهم **أم بلال حمامة**، فقد كانت يمن كان يعذب في الله، فاشتراها أبو بكر وأعتقها<sup>٦</sup>.

وغيرها كثير..

هل يمكن لمذع كاذب أن يرى كل ذلك، وهو في رحمة محمد ورقته وحسن خلقه، يترك أصحابه لذلك  
الحال، ثم لا يتراجع قيد أمثلة عن مبادئه.

(١) رواه البلاذري والحاكم.

(٢) رواه البلاذري.

(٣) رواه ابن سعد.

(٤) رواه البلاذري.

(٥) رواه البلاذري.

(٦) ذكرها أبو عمر في الدرر، وأهملها أبو عمر في الاستيعاب واستدركوها على الاستيعاب.

لقد ذكر خباب كيف شكّا لرسول الله ﷺ ما يصيبهم من أنواع البلاء، وإحابة رسول الله ﷺ له، وهي تدل بجد ذاتها على الصدق العظيم الذي كان يحمله قلب محمد ﷺ.

قال خباب: أتيت رسول الله ﷺ، وهو متوسد برده في ظل الكعبة، ولقد لقينا من المشركين شدة شديدة، فقلت: يا رسول الله ألا تدعو الله لنا؟ فقعد محمرا وجهه فقال: إن كان من كان قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأس أحدهم، فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه<sup>١</sup>.

بهذا أحاب رسول الله ﷺ المستضعفين الذين علمهم القرآن الكريم أن يضحوا بكل شيء في سبيل الله، لقد ذكر الله تعالى لهم قصة أصحاب لأخدود، فقال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قَتِيلِ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) ﴾ (البروج)

ولم يكن للمستضعفين في ذلك الوقت من أنيس غير القرآن الكريم، وحقائق القرآن الكريم التي كانت أعظم مثبت لهم، وقد ذكر الله تعالى غاية نزول القرآن منجما، فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ (الفرقان: ٣٢)

ولما اشتد الأذى بأصحاب محمد ﷺ أمرهم بالهجرة إلى الحبشة، ولم تدعهم قريش يهاجرون بدينهم، بل تعقبتهم تحاول استئصالهم، فاختاروا رجلين جلدتين لبيبين، وهما: عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة — قبل أن يسلموا — وأرسلوا معهما الهدايا المستطرفة للنجاشي ولبطارقته، وبعد أن ساق الرجلان تلك الهدايا إلى البطارقة، وزوداهم بالحجج التي يطرد بها أولئك المسلمون، وبعد أن اتفقت البطارقة أن يشيروا على النجاشي بإقضاءهم، حضرا إلى النجاشي، وقدا له الهدايا ثم كلماه فقالا له: أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشرف قومهم من آباءهم وأعمامهم وعشائهم؛ لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم، وعاتبوهم فيه.

وقالت البطارقة: صدقا أيها الملك، فأسلمهم إليهما، فليرداهم إلى قومهم وبلادهم. ولكن رأي النجاشي أنه لا بد من تمحيص القضية، وسماع أطرافها جميعا. فأرسل إلى المسلمين، ودعاهم، فحضروا، وكانوا قد أجمعوا على الصدق كائنا ما كان. فقال لهم النجاشي: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني ولا دين أحد من هذه الملل؟

قال جعفر بن أبي طالب — وكان هو المتكلم عن المسلمين — : أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية؛ نعبد

(١) رواه البخاري ومحمد بن عمر الأسلمي والبيهقي.

الأصنام ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسىء الجوار، ويأكل منا القوى الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، وهأنا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام — فعدد عليه أمور الإسلام — فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاءنا به من دين الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورجعنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك.

فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم. فقال له النجاشي: فأقرأه علي، فقرأ عليه صدرًا من سورة مريم، وهي تذكر قصة ميلاد المسيح، فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخذوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون — يخاطب عمرو بن العاص وصاحبه — فخرجا.

فلما خرجا قال عمرو بن العاص لعبد الله بن أبي ربيعة: والله لآتينه غداً عنهم بما أستأصل به حضراءهم. فقال له عبد الله بن أبي ربيعة: لا تفعل، فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا، ولكن أصر عمرو على رأيه.

فلما كان الغد قال للنجاشي: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم النجاشي يسألهم عن قولهم في المسيح ففزعوا، ولكن أجمعوا على الصدق، كائنًا ما كان، فلما دخلوا عليه وسألهم، قال له جعفر: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

فأخذ النجاشي عودًا من الأرض ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، فتناحرت بطارقتة، فقال: وإن نَحَرْتُمُ وَاللَّهِ.

ثم قال للمسلمين: اذهبوا فأنتم شُيُومٌ بأرضي — والشيوم: الآمنون بلسان الحبشة — من سَبَّكُمْ غَرَمٌ، من سبكم غرم، من سبكم غرم، ما أحب أن لي دَبْرًا من ذهب وإني آذيت رجلاً منكم — والدبر: الجبل بلسان الحبشة.

ثم قال لحاشيته: ردّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بهما، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فأخذ الرشوة فيهِ، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه.

قالت أم سلمة التي تروى هذه القصة: فخرجا من عنده مقبوحين مردودًا عليهما ما جاء به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار.

ولما أخفق المشركون في مكيدتهم، وفشلوا في استرداد المهاجرين استشاطوا غضبًا، وكادوا يميزون غيظًا،

فاشتدت ضراوتهم وانقضوا على بقية المسلمين، ومدوا أيديهم إلى رسول الله ﷺ بالسوء، وظهرت منهم تصرفات تدل على أنهم أرادوا القضاء على رسول الله ﷺ ؛ ليستأصلوا جذور الفتنة التي أقضت مضاجعهم، حسب زعمهم.

أما بالنسبة للمسلمين فإن الباقين منهم في مكة كانوا قليلين جداً، وكانوا إما ذوى شرف ومنعة، أو محتمين بجوار أحد، ومع ذلك كانوا يخفون إسلامهم ويتعدون عن أعين الطغاة بقدر الإمكان، ولكنهم مع هذه الحيلة والحذر لم يسلموا كل السلامة من الأذى والخسف والجور<sup>١</sup>.

\*\*\*

ما إن وصل عبد القادر من حديثه إلى هذا الموضوع حتى سمع أذان العصر، فقال للمجتمعين حوله المعجبين بحديثه: ائذنوا لي، فقد جعل الله لنا مواقيت معينة نصلي فيها، ولا يجوز لنا أن نتأخر عن المواقيت التي حددها لنا ربنا.

فالصلاة هي ركن أصيل من أركان الثبات، ولهذا أمرنا الله تعالى بالاستعانة بها، فقال: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٥) وقد كان رسول الله ﷺ يلجأ إلى الصلاة ليمسح تلك الآلام التي تحدثها أنواع الأذى التي يصيبها عليه أعداؤه.

قال رجل من الجمع: أنا متعجب كل العجب.. كيف استطاع محمد، وهو فرد في عالم يناوئه، ويبدل له كل صنوف العداوة.. كيف استطاع أن يقيم دينا ودنيا.. وكيف يخرج من كل تلك النيران الموقدة، وليس بجسمه أثر لحريق واحد.

ابتدره عبد القادر مجيباً: إنها الحماية.. إنها حماية الله.. وهي معجزة أخرى من المعجزات لا تقل عن معجزة الثبات.

قالوا: فحدثنا عنها.

قال عبد القادر: إن شئتم أن تسمعوا حديثها، أو لمن شاء منكم أن يسمع حديثها، فليأت هنا غدا صباحاً، فسأروي لكم من أخبارها ما تعلمون به أن محمداً رسول من عند الله، فالله يحمي رسله حتى يكملوا ما هيئ لهم من وظائف.

قال ذلك، ثم انصرف، وانصرف الجمع غير مباليين بي ولا بصاحبي حامل ثياب المسيح، وصليب المسيح. نزلت علي في ذلك الحين أنوار جديدة من شمس محمد، وأحسب أن مثلها، أو بعض مثلها قد نزل على صاحبي بولس.

شعرت بذلك من خلال سنحة وجهه التي بدا عليها سرور عظيم حاول جهده أن يخفيه بسمت الجذ الذي تكلف في رسمه على وجهه.

(١) انظر: الرحيق المختوم.

في الطريق قال لي: أنت حر غدا.. اذهب حيث شئت.

قلت: أليس لدينا تدريب؟

قال: لدي بعض الوظائف يجب أن أؤديها، فلذلك أدعك ترتاح قليلا، وإن شئت أن تخرج خارج هذه المدينة، فسأكلف السائق بأن يسير بك حيث تشاء.

لقد شعرت — من خلال حديثه هذا — أنه يهيم بشيء، ويخشى أن أراه، لذلك قلت: لا داعي لذلك.. سأبقى في هذه المدينة، فأنا أحتاج إلى مزيد معرفة بها.

### الحصار الاقتصادي:

عندما رأى أعداء محمد ﷺ أن البلاء الذي يعرضونه له لم يزد إلا ثباتا اختاروا أسلوبا جديدا من الأساليب التي لا يزال الطغاة يمارسونها.

إنه أسلوب التجويع الذي تعرفونه، والذي — ربما — يكون قد مورس عليكم.

قال رجل منهم: أجل.. بل نحن لا نقاد أفرادا أو شعوبا إلا منه.. بل إن كرامتنا تهدر فنقف صامتين بسببه.

قال عبد القادر: ولكن محمدا ﷺ لم يلق، ولم يضعف، ولم يتزلزل أمام ذلك الحصار الذي مورس عليه، وعلى المقرين إليه، وسأحدثكم بقصة ذلك.

لقد ورد بأسانيد مختلفة عن موسى بن عقبة، وعن ابن اسحاق، وعن غيرهما أن كفار قريش أجمعوا أمرهم على قتل رسول الله ﷺ، وكلموا في ذلك بني هاشم وبني المطلب، ولكنهم أبوا تسليمه ﷺ.

فلما عجزت قريش عن قتله أجمعوا على منابذته ومنابذة من معه من المسلمين ومن يحميه من بني هاشم وبني المطلب، فكتبوا بذلك كتاباً تعاقدوا فيه على ألا يناكحوهم ولا يبايعوهم، ولا يدعوا سبباً من أسباب الرزق يصل إليهم، ولا يقبلوا منهم صلحاً، ولا تأخذهم بهم رافة، حتى يسلم بنو عبد المطلب رسول الله ﷺ للقتل، وعلقوا الكتاب في جوف الكعبة.

والتزم كفار قريش بهذا الكتاب ثلاث سنوات، بدءاً من محرم سنة سبع من البعثة إلى السنة العاشرة منها<sup>١</sup>.

في هذه المدة حوصر بنو هاشم وبنو المطلب ومن معهم من المسلمين، ومعهم رسول الله ﷺ في شعب بني المطلب، وقد كانت شعاب مكة متفرقة.

وفي تلك الشعاب اجتمع بنو هاشم وبنو المطلب المسلمون منهم وغير المسلمين<sup>٢</sup>، وذلك ما زاد البلاء شدة، فلو كان المسلمون وحدهم لكان لهم من دينهم ما يدعوهم إلى الثبات، ويدعو محمدا ﷺ إلى الطمأنينة، ولكن اشتراك غيرهم معهم فيه مشقة نفسية كبيرة لقلب محمد ﷺ.

(١) وقيل استمر ذلك سنتين فقط، ورواية موسى بن عقبة تدل على أن ذلك كان قبل أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، وإنما أمرهم بها أثناء هذا الحصار، أما رواية ابن اسحاق فتدل على أن كتابة الصحيفة كانت بعد هجرة أصحابه ﷺ إلى الحبشة وبعد إسلام عمر.

(٢) إلا ما كان من أبي لب، عبد العزى ابن عبد المطلب، فإنه خرج إلى قريش فظاهر النبي ﷺ وأصحابه.

في تلك السنوات جهد النبي ﷺ والمسلمون جهداً شديداً، واشتد عليهم البلاء، حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر.

وكانوا إذا قدمت العير مكة، يأتي أحد أصحاب رسول الله ﷺ إلى السوق ليشتري شيئاً من الطعام يقتاته لأهله، فيقوم أبو لهب فيقول: يا معشر التجار غالبوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئاً معكم، فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافاً حتى يرجع إلى أطفاله، وهم يتضاغون من الجوع، وليس في يده شيء يعلمهم به.

ولكن الله قدر لهذا الحصار الظالم أن ينقضي.. ولذلك الانقضاء قصة لها علاقة بآية من آيات النبوة. بعد ثلاث سنوات من بدء هذا الحصار، تلاوم قوم من بني قصي، فأجمعوا أمرهم على نقض ما تعاهدوا عليه، وأرسل الله على صحيفتهم التي كتب فيها نص المعاهدة الأرضة فأتت على معظم ما فيها من ميثاق وعهد، ولم يسلم من ذلك إلا الكلمات التي فيها ذكر الله عز وجل.

وقد أخبر الرسول ﷺ عمه أبا طالب بذلك، فقال له أبو طالب: أربك أخبرك بذلك؟ قال: نعم، فمضى في عصابة من قومه إلى قريش، فطلب منهم أن يأتوه بالصحيفة موهماً إياهم أنه نازل عند شروطهم، فجاءوا بها وهي مطوية، فقال أبو طالب: إن ابن أخي قد أخبرني ولم يكذبني قط، أن الله تعالى قد سلط على صحيفتكم التي كتبت الأرضة، فأتت على كل ما كان فيها من جور وقطيعة رحم، فإن كان الحديث كما يقول، فأفيقوا وارجعوا عن سوء رأيكم، فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا، وإن كان الذي يقول باطلاً دفعنا إليكم صاحبنا، ففعلتم به ما تشاءون، فقالوا: قد رضينا بالذي تقول.

فتفحوا الصحيفة، فوجدوا الأمر كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ فقالوا: هذا سحر ابن أخيك، وزادهم ذلك بغياً وعدواناً.

ثم إن خمسة من رؤساء المشركين من قريش، مشوا في نقض الصحيفة، وإنهاء هذا الحصار، وهم: هشام ابن عمر ابن الحارث، وزهير ابن أمية، والمطعم ابن عدى، وأبو البختری ابن هشام، وزمعة ابن الأسود. وكان أول من سعى إلى نقضها بصريح الدعوة زهير بن أمية، الذي أقبل على الناس عند الكعبة فقال: يا أهل مكة، أناكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكتي لا يباعون ولا يبتاع منهم؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة، ثم قال بقية الخمسة نحواً من هذا الكلام، ثم قام المطعم ابن عدى إلى الصحيفة فمزقها، ثم انطلق هؤلاء الخمسة ومعهم جماعة، إلى بني هاشم وبني المطلب ومن معهم من المسلمين فأمرهم بالخروج إلى مساكنهم.

### الإذية النفسية:

لم يكتف أعداء محمد ﷺ بكل ذلك، بل كانوا منذ بدء الدعوة يستعملون كل ما تملئ عليهم شياطينهم من أساليب الإذية النفسية، حيث وصفوه بالجنون والسحر، وإنشاء الشعر مع إيمانهم وتيقنهم بأنه ﷺ بريء من كل ذلك.

وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم بعض أقوالهم:



ومنها رميهم له بالجنون، كما قال تعالى حاكياً عنهم: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ (الحجر: ٦)، وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ (القلم: ٥١)

وهو نفس ما رمي به غير رسول الله ﷺ من الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ (الشعراء: ٢٧)، وقال تعالى: ﴿ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ (الذريات: ٣٩)، وقال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ (الذريات: ٥٢)، وقال تعالى: ﴿ كَذَبْتَ قَبْلَهُمْ قَوْمَ نُوحٍ فكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ﴾ (القمر: ٩)

ومنها رميهم له بالسحر، كما قال تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ ﴾ (يونس: ٢)، وقال تعالى: ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ (ص: ٤)

وهو نفس ما رمي به غير رسول الله ﷺ من الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف: ١٠٩)، وقال تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴾ (يونس: ٧٧)، وقال تعالى: ﴿ قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ﴾ (طه: ٦٣)

ومنها رميهم له بالشعر، مع علمهم بأن القرآن الكريم ليس له أوزان الشعر ولا طريقتة قال تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْاُولُونَ ﴾ (الانبياء: ٥)، وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴾ (الصافات: ٣٦)، وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴾ (الطور: ٣٠)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ ﴾ (الحاقة: ٤١)

ومنها رميهم له بالكهانة، كما قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ (الطور: ٢٩)، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَقُولِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الحاقة: ٤٢)

ومنها احتقاره ورؤية قصوره عن هذه المرتبة الرفيعة، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (الزحرف: ٣١)

وغيرها من أصناف الافتراءات التي ووجه بها سائر الأنبياء — عليهم السلام —

وقد حدث ابن عباس — رضي الله عنه — عن بعض تلك الافتراءات التي قوبل بها رسول الله ﷺ في مكة المكرمة، فذكر أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا، فقال: لم؟ قال: ليعطوكه، وإنك آتيت محمداً لتعرض لما قبله قال: قد علمت قريش أنني من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك إنك منكر له أو إنك كاره له. قال: وماذا أقول؟، فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا والله إن قوله الذي يقول لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلوا وما يعلو وإنه ليحطم ما تحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر،

ففكر، فلمّا فكر قال: هذا سحر يؤثره عن غيره، فزت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ حَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ (المدر: ١١)<sup>١</sup>  
ومن ذلك ما قوبل به رسول الله ﷺ من معاملة سيئة في الطائف عندما ذهب إلى أهلها يعرض عليهم الإسلام، وقد حدث علماء السيرة بأسانيدهم عن ذلك، فذكروا أنه لما مات أبو طالب ونالت قريش من رسول الله ﷺ ما لم تكن تنال منه في حياته خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف ماشيا، وكان زيد بن حارثة معه، في ليال من شوال سنة عشر، يلتمس النصر من ثقيف والمنعة بهم من قومه، ورجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى.

فلما انتهى إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم وهم إخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير بن عوف، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح، وهي صفية بنت معمر بن حبيب بن قدامة بن جمح، وهي أم صفوان بن أمية.

فجلس إليهم رسول الله ﷺ وكلمهم بما جاء به من نصرته على الإسلام والقيام على من خالفه من قومه.

فقال له أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك.

وقال الآخر: أما وجد الله أحدا يرسله غيرك.

وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدا، لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك.

فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم: إذ فعلتم فاكتموا علي، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه.

فأقام بالطائف عشرة أيام وقيل شهرا لا يدع أحدا من أشرفهم إلا جاء إليه وكلمه، فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم منه فقالوا: يا محمد اخرج من بلدنا.

ولم يكتفوا بكل ذلك.. بل ضموا إلى هذه الإذية النفسية الشديدة الإذية الجسدية، فقد أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونهم ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس.

قال ابن عقبة: وقفوا له صفين على طريقه، فلما مر رسول الله ﷺ بين الصفين جعل لا يرفع رجله ولا يضعهما إلا رضحوهما بالحجارة حتى آدموا رجله.

وكان ﷺ إذا أذلقته الحجارة يقعد إلى الأرض، فيأخذون بعضديه ويقيمونه فإذا مشى رجوه بالحجارة وهم يضحكون.

قال ابن سعد: وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه شجاجا.

قال ابن عقبة: فخلص منهم ورجلاه تسيلان دما فعمد إلى حائط من حوائطهم، فاستظل في ظل حبله منه وهو مكروب موجه وإذا في الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة، فلما رآهما كره مكاتهما لما يعلم من عداوتهما لله ورسوله ﷺ.

فما أتى ظل شجرة صلى ركعتين ثم قال: (اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على

الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلمي إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري إن لم يكن بك علي غضب فلا أبال ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو تحل علي سخطك لك العتي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك )

فلما رآه ابنا ربيعة وما لقي تحركت له رحمهما، فدعوا غلاما لهما يقال له عداس فقالا له: خذ له هذا القطف من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه.

ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ثم قال له: كل، فلما وضع رسول الله ﷺ يده قال بسم الله، ثم أكل فنظر عداس في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد.

فقال له رسول الله ﷺ: (ومن أي البلاد أنت يا عداس وما دينك؟)، قال: نصراني وأنا من أهل نينوى.

فقال رسول الله ﷺ من قرية الرجل الصالح يونس بن متى.

قال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ والله لقد خرجت منها — يعني من أهل نينوى — وما فيها عشرة يعرفون ما يونس بن متى، فمن أين عرفت أنت يونس بن متى، وأنت أمي وفي أمة أمية، فقال رسول الله ﷺ: (ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي)

فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه، فقال ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك.

فلما جاءهما عداس قالوا له: وبيك ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض خير من هذا الرجل، لقد أعلمني بأمر لا يعلمه إلا نبي.

قال: ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.

فانصرف رسول الله ﷺ عنهم، وهو محزون لم يستجب له رجل واحد ولا امرأة<sup>١</sup>.

وذكر خالد العدواني أنه أبصر رسول الله ﷺ في سوق ثقيف وهو قائم على قوس أو عصا حين أتاهم يبتغي عندهم النصر فسمعته يقرأ: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ (الطارق: ١) حتى ختمها، قال فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك، ثم قرأتها في الإسلام.

قال فدعتني ثقيف فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل فقرأتها عليهم، فقال من معهم من قريش: نحن أعلم بصاحبنا ولو كنا نعلم ما يقوله حقا لاتبعناه<sup>٢</sup>.

وفي ذلك الموقف الشديد عرضت على رسول الله ﷺ نصرة الله بهلاك الذين يؤذونه، ولكنه أبي رحمة بهم. وقد حدثت عن ذلك عائشة — رضي الله عنه — حين قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ فقال: لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال لم يجيني إلى ما أردت أحد، فانطلقت على وجهي وأنا مهموم فلم أستفق إلا وأنا

(١) رواه الطبراني برجال ثقات.

(٢) رواه أحمد والبخاري في تاريخه.

بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني وقال: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال فتأمره بما شئت فيهم.

فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال قد بعثني الله عز وجل لتأمرني بما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين.

فقال النبي ﷺ: (بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلاهم من يعبد الله عز وجل ولا يشرك به شيئاً) <sup>١</sup> وقال عكرمة: قال رسول الله ﷺ: جاءني جبريل فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام، وهذا ملك الجبال قد أرسله وأمره ألا يفعل شيئاً إلا بأمرك.

فقال له ملك الجبال: إن شئت رمهت عليهم الجبال، وإن شئت خسفت بهم الأرض فقال: يا ملك الجبال: فإني أتى بهم لعلمهم أن يخرج منهم ذرية يقولون لا إله إلا الله، فقال ملك الجبال: أنت كما سماك ربك رؤوف رحيم) <sup>٢</sup>

ولم يقتصر الإيذاء على الفترة المكية التي كان المسلمون فيها مستضعفين، بل تعداه إلى الفترة المدنية بعد هجرة النبي ﷺ، بل امتد إلى آخر حياة النبي ﷺ، ففي غزوة تبوك التي حل بالمسلمين فيها من النصب والتعب والجوع والعطش الشئ الكثير، استهزأ برسول الله ﷺ من استهزأ، فترزل الوحي يعلن كفر هؤلاء المستهزئين، قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (التوبة: ٦٥)

وقد ورد في سبب نزولها عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا: قال رجل من المنافقين: ما أرى قرأنا هؤلاء إلا أرغبنا بطوناً، وأكذبنا ألسنة، وأجبننا عن اللقاء، فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ، وقد ارتحل وركب ناقته فقال: يارسول الله ؛ إنما كنا نخوض ونلعب فقال: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَأُتَعَذِّرُنَّكُمْ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (التوبة: ٦٥-٦٦)

وقال قتادة: بينما رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين إذ قالوا: أيرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها؟ هيهات هيهات له ذلك، فأطلع الله نبيه على ذلك، فقال نبي الله ﷺ: (احبسوا على الركب)، فأتاهم فقال: (قلتم كذا وكذا)، فقالوا: يارسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال ابن إسحاق: وقد كان جماعة من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو بني أمية بن زيد بن عمرو بن عوف ورجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له مخش بن حمير يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك، فقال بعضهم لبعض: أتحسبون أن جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً؟ والله لكأنا بكم غداً مقرنين في الجبال، إرجافاً وترهيباً للمؤمنين، فقال مخش بن حمير: والله لو ددت أي أفاضى علي أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة، وإنا ننفلت أن يتزل فينا قرآن لمقاتلكم هذه، وقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر: (أدرك

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه ابن أبي حاتم مرسلًا.

القوم فيأهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا، فإن أنكروا فقل: بلى، قلتهم كذا وكذا، فانطلق إليهم عمّار، فقال ذلك لهم، فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه، فقال ودعية بن ثابت، ورسول الله ﷺ واقف على راحلته، فجعل يقول — وهو أخذ بحقيها —: يارسول الله؛ إنما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (التوبة: ٦٥)

فقال مخشن بن حمير: يارسول الله؛ قعد بي اسمي واسم أبي فكان الذي عفى عنه في هذه الآية مخشن بن حمير فتمسى عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتل شهيداً لا يعلم بمكانه، فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر. ومن صور الاستهزاء ما حدث في الطريق إلى تبوك حيث ضلت ناقة الرسول ﷺ، فقال زيد بن اللصيت — وكان منافقاً —: أليس يزعم أنه نبي، ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ: إن رجلاً يقول وذكر مقالته، وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها، هي في الوادي في شِعْب كذا وكذا، وقد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتوني بما فذهبوا فأتوها بها.

وقد ذكر القرآن الكريم بعض ما تعرض له ﷺ من أنواع الأذى النفسي في تلك الفترة، فقال: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة: ٦١)

ومع أن الغلبة كانت للمسلمين إلا أن الله تعالى أمر المؤمنين بأن يقابلوا تلك الأنواع من الأذى بالتحمل والصبر والعفو، قال تعالى: ﴿لَتَلْبُؤُنَ فِي أُمُورِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ آوَوْا إِلَى الْكِتَابِ مِنْ قِبَلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٦)

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسِداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٩)

وقد حدث كعب بن مالك — رضي الله عنه — عن بعض ذلك، فقال: كان المشركون واليهود من أهل المدينة حين قدم رسول الله ﷺ يؤذون رسول الله ﷺ وأصحابه أشد الأذى، فأمرهم الله تعالى بالصبر على ذلك والعفو عنهم.

### الإذية الجسدية:

ولم يكتف أعداء محمد ﷺ بذلك أيضاً، بل راحوا يؤذون جسده الشريف، ويحاولون قتله. **فمن ذلك** محاولة قتله، إما بخنقه ﷺ كما فعل عقبة بن أبي معيط، فعن عمرو بن العاص لما سأله عروة بن الزبير عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ، فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفع عن النبي ﷺ، وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ (غافر: ٢٨)

أو بإلقاء حجر عليه، كما حاول أبو جهل، فقد روي أنه قال لقريش: يا معشر قريش، إن محمداً قد أبيع

(١) رواه أبو داود وابن المنذر والبيهقي.

(٢) رواه البخاري.

إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أعلامنا، وشتم آلهتنا، وأني أعاهد الله لأجلسن له بحجر ما أطيق حملة، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم، قالوا: والله لا نسلمك لشيء أبداً، فامض لما تريد.

فلما أصبح أبو جهل، أخذ حجراً كما وصف، ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو، فقام يصلي، وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله ﷺ احتلم أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع منهزماً ممتعاً لونه، مرعوباً قد يبست يداه على حجره، حتى قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجال قريش فقالوا له: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحلّ من الإبل، لا والله ما رأيت مثل هامته، ولا مثل قصرته ولا أنيابه لفحل قط، فهم بي أن يأكلني.

قال ابن إسحاق: فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال: (ذلك جبريل عليه السلام لو دنا لأخذه)

**ومن الإيذاء الجسدي** إلقاء القاذورات عليه ﷺ كما فعل عقبة بن معيط، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص — رضي الله عنه — قال: بينا النبي ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش جاء عقبة ابن أبي معيط بسلا جزور فقفذه على ظهر النبي ﷺ، فلم يرفع رأسه فجاءت فاطمة عليها السلام فأخذته من ظهره ودعت على من صنع فقال النبي ﷺ: (اللهم عليك بالمأ من قريش أبا جهل بن هشام بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأميرة بن خلف أو أبي بن خلف)، فرأيتهم قتلوا يوم بدر فألقوا في بئر إلا أميرة أو أبي، تقطعت أوصاله فلم يلق في البئر.

**ومن ذلك** التآمر على قتله ﷺ، فعن ابن عباس — رضي الله عنه — أن المأ من قريش اجتمعوا في الحجر، فتعاقدوا باللات والعزى ومائة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف لو قد رأينا محمداً لقمنا إليه قيام رجل واحد، فلم نفارقه حتى نقتله، فأقبلت ابنته فاطمة تبكي حتى دخلت على النبي ﷺ، فقالت: هؤلاء المأ من قومك قد تعاقدوا عليك لو قد رأوك لقموا إليك فقتلوك فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك.

وقد أشار القرآن إلى تلك الحادثة بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠) وغير ذلك كثير..

## ٢ — فتنة السراء

نظر عبد القادر إلى الجموع المحدقة إليه، وقال: لم يكتف أعداء محمد ﷺ بما واجهوه به من فتنة الضراء، بل راحوا يواجهونه بفتنة أخطر وأعظم.. فتنة السراء.

ضحك مستأجر بولس ضحكا هستيريا، وقال: فتنة السراء.. وهل للسراء فتنة؟  
قال عبد القادر: فتنة السراء أخطر من فتنة الضراء، ولهذا كان الثبات في السراء على المبادئ أصعب منه في الضراء، ولهذا قال من قال من الصحابة — رضي الله عنهم — (بلينا بفتنة الضراء فصيرنا، وبلينا بفتنة السراء فلم نصير)

بل ورد في الحديث الشريف قوله ﷺ: (لأننا في فتنة السراء لأخوف عليكم مني في فتنة الضراء، إنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصيرتم، وإن الدنيا حلوة خضرة)<sup>(١)</sup>  
وقد تعرض رسول الله ﷺ لفتن كثيرة من فتن السراء:

### مساومات:

منها ما تعرض له من أنواع المساومات..

فقد لجأت قريش لما فشلت مفاوضاتهم المبنية على الإغراء والترغيب، والتهديد والترهيب، وخابوا فيما أبدوه من الرعونة وقصد الفتك، تيقظت فيهم رغبة الوصول إلى حل حصيف ينقدهم عما هم فيه، ولم يكونوا يجزمون أن النبي ﷺ على باطل، بل كانوا، كما قال الله تعالى: ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٌ﴾ (الشورى: ١٤). فأرأوا أن يساوموه ﷺ في أمور الدين، وابتغوا به في منتصف الطريق، فتركوا بعض ما هم عليه، ويطالبوا النبي ﷺ بترك بعض ما هو عليه، وظنوا أنهم بهذا الطريق سيصيبيون الحق، إن كان ما يدعو إليه النبي ﷺ حقاً.

**ومن ذلك مساومته في أن يعبد إلههم سنة،** ويعبدون إله سنة، وأن يسكت عن عيب آلهتهم وعبادتهم.

لقد تصور المشركون أن المسافة بينهم وبين محمد ﷺ قريبة، يمكن التفاهم عليها، بقسمة البلد بلدين، والالتقاء في منتصف الطريق، مع بعض الترضيات الشخصية.

ولحسم هذه الشبهة، وقطع الطريق على المحاولة، والمفاصلة الحاسمة بين عبادة وعبادة، ومنهج ومنهج، وتصور وتصور، وطريق وطريق<sup>(٢)</sup>، نزلت سورة الكافرون، التي تنص على المفاصلة التامة بين الإيمان والكفر، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾ (الكافرون)

في هذا الجزم، وبهذا التوكيد، وبهذا التكرار تأتي السورة لتنتهي كل قول، وتقطع كل مساومة، وتفرق نهائياً بين التوحيد والشرك، وتقيم المعالم واضحة، لا تقبل المساومة والجدل في قليل ولا كثير:  
ففيها نفي بعد نفي، وجزم بعد جزم، وتوكيد بعد توكيد، بكل أساليب النفي والجزم والتوكيد.

(١) رواه أبو نعيم في الحلية.

(٢) في ظلال القرآن.

روى ابن إسحاق بسنده، قال: اعترض رسول الله ﷺ — وهو يطوف بالكعبة — الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى والوليد بن المغيرة وأميرة بن خلف والعاص بن وائل السهمي — وكانوا ذوى أسنان في قومهم — فقالوا: يا محمد، هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه، فأنزل الله تعالى فيهم ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ السورة كلها.

وعن ابن عباس أن قريشاً قالت: لو استلمت آلهتنا لعبدنا إلهك. فأنزل الله ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ السورة كلها.

وعنه أن قريشاً قالوا لرسول الله ﷺ: تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة، فأنزل الله: ﴿قُلْ أَفَعَبَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُوْنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ (الزمر: ٦٤)<sup>٢</sup>

ولما حسم الله تعالى هذه المفاوضة المضحكة بهذه المفاصلة الحازمة لم تأس قريش كل اليأس، بل أبدوا مزيداً من التنازل بشرط أن يجرى النبي ﷺ بعض التعديل فيما جاء به من التعليمات، فقالوا: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّا بُرْءَانِ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلْهُ﴾ (يونس: من الآية ١٥)

فقطع الله هذا السبيل أيضاً بإنزال ما يرد به النبي ﷺ عليهم فقال: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ (يونس: من الآية ١٥)

ونبه إلى عظم خطورة هذا العمل بقوله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِىَ إِلَيْكَ لِيَتَفَتَّرِيَٰ عَلَيْنَا غَيْرُهُ وَإِذَا لَأَتَّخِذُوكَ خَلِيلاً وَلَوْ لَا أَنْ تَشْتَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾ (الإسراء: ٧٣-٧٥)

**ومن ذلك مساومته على أن يطرد المستضعفين،** فعن عبد الله بن مسعود — رضي الله عنه — قال (مر الملاً من قريش على النبي ﷺ وعنده صهيب، وعمار، وبلال، وخباب، ونحوهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد أراضيت هؤلاء من قومك من الله عليهم من بيننا، أو نحن نكون تبعاً هؤلاء؟ اطردهم عنك، فلعلك إن طردتهم أن نتبعك، فأنزل فيهم القرآن: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٥١) وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢)﴾ (الأنعام)<sup>٣</sup>

وعن عكرمة قال: مشى عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وقرظة بن عبد، وغيرهم في أشرف الكفار من عبد مناف إلى أبي طالب فقالوا: لو أن ابن أخيك طرد عنا هؤلاء الأعبد، فإنهم عبيدنا وعسفاؤنا كان أعظم له في صدورنا، وأطوع له عندنا، وأدنى لاتباعنا إياه وتصديقه، فذكر ذلك أبو طالب للنبي ﷺ، فقال عمر بن الخطاب: لو فلعت يا رسول الله حتى تنظر ما يريدون بقولهم، وما يصيرون إليه من أمرهم، فأنزل الله: ﴿وَأَنْذِرْ

(١) رواه عبد بن حميد وغيره.

(٢) رواه ابن جرير وغيره.

(٣) رواه أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية.



بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٥١) وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ (الأنعام) ١

وقد استمر هذا النوع من المساومة حتى بعد هجرة النبي ﷺ، فعن عمر بن عبد الله بن المهاجر مولى غفرة، أنه قال في أسطوان التوبة: كان أكثر نافلة النبي ﷺ إليها، وكان إذا صلى الصبح انصرف إليها وقد سبق إليها الضعفاء، والمساكين، وأهل الضر، وضيغان النبي ﷺ والمؤلفة قلوبهم، ومن لا مبيت له إلا المسجد، قال: وقد تخلقوا حولها حلقاً بعضها دون بعض فينصرف إليهم من مصلاه من الصبح، فيتلو عليهم ما أنزل الله عليه من ليلته، ويحدثهم ويحدثونه حتى إذا طلعت الشمس جاء أهل الطول والشرف والغني فلم يجدوا إليه مخلصاً، فتاقت أنفسهم إليه وتاقت نفسه إليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف: ٢٨) إلى منتهى الآيتين، فلما نزل ذلك فيهم قالوا: يا رسول الله لو طردتهم عنا ونكون نحن جلساءك وإخوانك لا نفارقك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: ٥٢) إلى منتهى الآيتين ٢.

بل إن الله عاتب نبيه ﷺ لما عرض إعراضاً بسيطاً على أحد المستضعفين في موقف من المواقف، حيث نزل قوله تعالى: ﴿عَسَى وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يَزَكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى أَمَا مَنِ اسْتَعْتَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّى وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ (عبس: ١ - ١٠) فهذه الآيات الكريمة تتحدث عن قصة رسول الله ﷺ مع ابن أم مكتوم، وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله ﷺ كان يوماً يخاطب بعض عظماء قريش، وقد طمع في إسلامه، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم، وكان ممن أسلم قديماً، فجعل يسأل رسول الله ﷺ عن شيء ويلح عليه، وود النبي ﷺ أن لو كف ساعته تلك، ليتمكن من ذلك الرجل طمعاً ورجبة في هدايته، وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه، وأقبل على الآخر، فأنزل الله تعالى هذه الآيات تعاتب رسول الله ﷺ. وقد كان رسول الله ﷺ لهذا يكرم عبد الله بن أم مكتوم، ويقول إذا رآه: (مرحبا بمن عاتبني فيه ربي)، ويقول: هل لك من حاجة، واستخلفه على المدينة مرتين، وكان مؤذنا له.

### إغراء:

ومن أنواع فتنه السراء التي تعرض لها رسول الله ﷺ في تلك المواقف الشديدة التي مر بها في مكة المكرمة ما أغرته به قريش من أنواع المكاسب الدنيوية التي يسيل لها لعاب كثير من الناس. فقد وردت الأسانيد الكثيرة بما اقترحت قريش من ذلك على رسول الله ﷺ، فقد اجتمع نفر من قريش

(١) رواه ابن جرير وابن المنذر.

(٢) رواه الزبير بن بكار في أخبار المدينة.

يوما فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا شتت أمرنا وعاب ديننا، فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه.

فقالوا: ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة.

فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من البسطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم وسفهت أحلامهم وعبت آهتهم ودينهم وكفرت من مضي من آبائهم، يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ، فقال: أنت خير أم عبد المطلب، فسكت رسول الله ﷺ، قال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك، فقد عبدوا الآلهة، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم نسمع قولك، إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك، فرقت جماعتنا وأشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب، حتى طار فيهم أن في قريش ساحرا، وإن في قريش كاهنا، والله ما نتظر إلا مثل صيحة الجبلي أن يقوم بعضنا بعضا إليك بالسيوف حتى نتفاني، أيها الرجل فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنتظر فيها لعلك تقبل منا بعضها.

فقال له رسول الله ﷺ: قل أبا الوليد أسمع.

قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعناه لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به الشرف سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثيا لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطلب وبدلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه.

حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يسمعه منه قال له: أقد فرغت أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع مني قال: أفعل.

فقرأ عليه رسول الله ﷺ من أول سورة فصلت إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ (فصلت: ١٣)، فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم قال: قد سمعت أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك، فقال: ما عندك غير هذا؟ فقال: ما عندي غير هذا.

فقام عتبة، ولم يعد إلى أصحابه واحتبس عنهم فقال أبو جهل: والله يا معشر قريش ما نرى عتبة إلا قد صبا إلى محمد وأعجبه طعامه، وما ذاك إلا من حاجة أصابته، فانطلقوا بنا إليه، فأتوه.

فقال أبو جهل: والله يا عتبة ما جئناك إلا أنك قد صبوت إلى محمد وأعجبتك أمره فإن كان لك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد.

فغضب، وأقسم لا يكلم محمدا أبدا وقال: لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا ولكني أتيت، فقص عليهم القصة.

قالوا: فما أجابك؟ قال: والله الذي نصبها بنية ما فهمت شيئا مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، فأمسكت فيه وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب، فخفت أن

يترل عليكم العذاب.

قالوا: ويك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال؟ قال: والله ما سمعت مثله، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي وخلوا بين الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به، يا قوم أطيعوني في هذا الأمر واعصوني بعده، فو الله لقد سمعت من هذا الرجل كلاما ما سمعت أذناي كلاما مثله وما دريت ما أرد عليه.

قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد.

قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم<sup>١</sup>.

وفي حديث آخر عن ابن عباس — رضي الله عنه — أن أشراف قريش من كل قبيلة اجتمعوا عند غروب الشمس عند ظهر الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعدوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه.

فبعثوا إليه فجاءهم رسول الله ﷺ سريعا، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما يكلمهم فيه بداء، وكان حريصا عليهم يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم فقالوا: يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء وعبت الدين وشتمت الآلهة وسفهت الأحلام، وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا قد جنته فيما بيننا وبينك، فإن كنا إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت إنما تريد به الشرف فينا فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك ربيا تراه قد غلب عليك ربيا، فربما كان ذلك بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك.

فقال لهم رسول الله ﷺ: (ما بي ما تقولون، ما جئت به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم، ولكن الله تعالى بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم)

قالوا: يا محمد إن كنت غير قابل منا شيئا مما عرضنا لك، فإنك قد علمت أنه ليس أحد أضيح بلدا ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا، فاسأل لنا ربك أهارا كأهارة العراق والشام، وليبعث لنا من مضي من آبائنا، وليكن ممن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب، فإنه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول: أحق هو أم باطل، فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا منزلتك من الله وأنه بعثك إلينا رسولا كما تقول.

فقال لهم رسول الله ﷺ: (ما بهذا بعثت لكم، إنما جئتكم من الله بما بعثني به وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم)

قالوا: فإذا لم تفعل فخذ لنفسك، سل ربك يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك، وسله

(١) رواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو يعلى والحاكم وصححه عن جابر بن عبد الله والبيهقي وابن عساکر عن ابن عمر.

فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبغي، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس الرزق وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرف فضلك ومثلتك إنا كنت رسولا.  
فقال لهم رسول الله ﷺ: (ما أنا بفاعل، ما أنا بالذي سأل ربه هذا وما بعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا، فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم )

قالوا: فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإننا لا نؤمن لك إلا أن تفعل.

فقال رسول الله ﷺ: ( ذلك إلى الله عزوجل، إن شاء أن يفعله بكم فعله )

قالوا: يا محمد فما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألتك عنه ونطلب إليك ما نطلب فيتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به ويحرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به؟ إنه قد بلغنا أنك إنما تعلمك هذا رجل بالمامة يقال له: الرحمن، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا فقد أعدرنا إليك يا محمد، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى تهلكك أو تهلكنا.

وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله.

وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا.

فلما قالوا ذلك لرسول الله ﷺ قام عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أميمة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، وهو ابن عمته وهو لعاتكة بنت عبد المطلب، وأسلم بعد ذلك رضي الله عنه، فقال: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بما مثلتك من الله تعالى كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومثلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل، فو الله لا أو من بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ثم تأتي بصك معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول وأيم الله إن لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك، ثم انصرف عن رسول الله ﷺ.  
وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينا أسفا لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه، لما رأى من مباعدهم إياه<sup>١</sup>.

### دنيا:

ومن أعظم ثبات السراء الثبات الذي أبداه ﷺ بعد أن فتحت له الدنيا، ولكنه لم يلتفت إليها، بل عاش حياة بسيطة لا تختلف عن حياة أفقر أصحابه.

فلم يتخذ رسول الله ﷺ قصرا كعادة الملوك والأمراء، بل كان يسكن منزلا بلا أثاث أو رياش، ولما دخل عليه عدي بن حاتم الطائي وهو ملك طيء وسيدهم وحبرهم، وقد علق صليبا من الذهب في صدره، واستضافه النبي ﷺ إلى منزله لم يجد النبي ﷺ ما يقدم لضيفه ليجلس عليه إلا وسادة واحدة من ليف وضعها النبي ﷺ ليجلس عليها، وجلس رسول الله ﷺ على الأرض.

(١) رواه ابن إسحاق وابن جرير والبيهقي.

لقد كان في عهده ﷺ من أنواع الترف ما كان، ولكنه ﷺ آثر الحياة التي عاشها على كل ذلك الترف، مؤثراً حياة العبودية.

لقد ذكر عمر — رضي الله عنه — بعض حياة رسول الله ﷺ في حديث طويل قال فيه: (فجلست فرفعت رأسي في البيت — أي بيته ﷺ — فوالله ما رأيت في البيت شيئاً يرد البصر إلا أهبة ثلاثة، فقلت: ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك، فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله)، فاستوى جالسا، ثم قال: أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا<sup>١</sup> وقد كان ﷺ ينهى عن الأكل متكئاً، ويقول: (إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد، وأشرب كما يشرب العبد)<sup>٢</sup>

وكان ينهى عن إطرائه والمبالغة في مدحه، ويقول: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا: عبد الله ورسوله)<sup>٣</sup>

وعندما قال له رجل: يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، قال له النبي ﷺ: (قولوا ما أقول لكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنزلوني حيث أنزلني الله، أنا عبد الله ورسوله)<sup>٤</sup> أما طعامه ﷺ — بعد أن فتحت له الدنيا — فقد ذكرته عائشة — رضي الله عنها — فقالت: (ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض)<sup>٥</sup>

وكانت وهي زوج رسول الله ﷺ تقول لابن اختها - عروة، وهي تذكر له طريقة عيشها مع رسول الله ﷺ: (والله يا ابن أخي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال: ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار، قلت: يا خالة فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح وكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينها)<sup>٦</sup>

وتصف فراش رسول الله ﷺ فتقول: (كان فراش رسول الله ﷺ من آدم حشوه ليف)<sup>٧</sup> وأخرجت — رضي الله عنها — كساء وإزاراً غليظاً، فأرته الصحابة ﷺ، ثم قالت: قبض رسول الله ﷺ في هذين<sup>٨</sup>.

وأخبرت — رضي الله عنها — فقالت: توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير<sup>٩</sup>.

(١) البخاري ومسلم.

(٢) ابن عدي عن أنس.

(٣) البخاري.

(٤) ابن النجار.

(٥) البخاري ومسلم.

(٦) البخاري ومسلم.

(٧) البخاري.

(٨) البخاري ومسلم.

(٩) البخاري ومسلم.

ولم يكن نقل هذه المعيشة خاصا بعائشة — رضي الله عنها — حتى لا تتهم بتزوير النقل، بل روي ذلك عن كثير من الصحابة الأجلاء رضي الله عنهم:

فهذا أنس رضي الله عنه يقول: (لم يأكل النبي صلى الله عليه وسلم على خوان حتى مات، وما أكل خبزاً مرققاً حتى مات) <sup>١</sup>، وفي رواية له: ولا رأى شاة سميطاً بعينه قط.

وقال رضي الله عنه: رهن النبي صلى الله عليه وسلم درعه بشعير، ومشيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم بخبز شعير وإهالة <sup>٢</sup> نسخة <sup>٣</sup>. ولقد سمعته يقول: (ما أصبح لآل محمد صاع ولا أمسى)، وإهم لتسعة أبيات <sup>٤</sup>.

وهذا النعمان بن بشير رضي الله عنه يقول: (لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدقل<sup>٥</sup> ما يملأ به بطنه) <sup>٦</sup> وهذا سهل بن سعد رضي الله عنه يقول: (ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقي <sup>٧</sup> من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه الله. فقيل له: هل كان لكم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مناخل؟ قال: ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منخلاً من حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه الله تعالى. فقيل له: كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قال: كنا نطحنه ونفخه فيطير ما طار وما بقي تريناه <sup>٨</sup>) <sup>٩</sup>

وهذه أسماء بنت يزيد — رضي الله عنها — قالت: كان كم قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرضع <sup>١٠</sup> <sup>١١</sup>. ويجبر ابن عباس رضي الله عنه عن معيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طويلاً، وأهله لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير <sup>١٢</sup>.

ويجبر عمرو بن الحارث رضي الله عنه قال: ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته ديناراً، ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً، إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها، وسلاحه، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة <sup>١٣</sup> ويجكي أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضاه عن هذه المعيشة، بل دعاؤه الله باستمرارها، حيث كان صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً) <sup>١٤</sup> <sup>١٥</sup>

- 
- (١) البخاري.
  - (٢) الشحم الذائب.
  - (٣) المتغيرة.
  - (٤) البخاري.
  - (٥) تمر رديء.
  - (٦) مسلم.
  - (٧) هو الخبز الحواري، وهو الدرملك.
  - (٨) بللناه وعجنناه.
  - (٩) البخاري.
  - (١٠) هو: الفصل بين الكف والساعد.
  - (١١) أبو داود والترمذي وقال حديث حسن.
  - (١٢) الترمذي وقال حديث حسن صحيح.
  - (١٣) البخاري.
  - (١٤) أي ما يسد الرمق.
  - (١٥) البخاري ومسلم.

\*\*\*

ما وصل عبد القادر من حديثه إلى هذا الموضوع حتى قام رجل من الجمع، وقال: إن لحديثك هذا حلاوة، وهو يبعث فينا همة عجيبة، فهلا عقدت لنا مجلسا آخر تبين لنا فيه كيف حمى الله نبيكم من كل تلك المكاييد التي أعدت له.

قال عبد القادر: يسرني ذلك.. وليس لي من وظيفة في حياتي غير التبشير بأنوار تلك الشمس التي أشرقت، ولا تزال تشرق على البشر، لينهلوا من أنوارها ما يطفئ ظلمة قلوبهم.

قال ذلك، ثم سار، وسرنا نحن، أنا وبولس، ومعني بصيص جديد من النور اهتديت به بعد ذلك إلى شمس محمد.

## سابعاً — حماية

في اليوم السابع..

لم أنتظر بولس، فقد أخبرني بعدم تمكنه من زيارتي اليوم، فلذلك بقيت أفكر أين أذهب، وبمن أتصل، وفجأة خطر على بالي الموعد الذي عقده عبد القادر مع أولئك المستضعفين المنبوذين ليحدثهم عن حماية الله لنبيه ﷺ، فسررت كثيرا لهذه الفرصة العظيمة.

سرت إلى ذلك المحل، وكلتي همة ونشاط، وكلتي — في نفس الوقت — أسف على صاحبي بولس الذي ستفوته فرصة التعرض لهذه الأنوار الجديدة من شمس محمد ﷺ.

لكني ما وصلت إلى ذلك المحل حتى رأيت من بعيد صاحبي بولس في نفس ذلك المحل متخفيا عن الجمع، بحيث يسمع من غير أن يراه أحد، فلذلك تخفيت أنا الآخر حتى أرى بولس من غير أن يراني، وأسمع عبد القادر من غير أن يلحظ الجمع ذلك مني.

جاء عبد القادر بأنوار الإيمان التي تسري في كل كيانه، وقال للجمع المحيطين به، والذين ازدادوا كثرة على كثرتهم: لقد طلبتم مني الحديث عن حماية الله لنبيه محمد ﷺ.

قال أحدهم: أجل، فنحن نتعجب كيف استطاع محمد في تلك البيئة الموبوءة بالعداء له أن يحمي نفسه، ويحمي رسالته.

قال آخر: إن نجاته من كل تلك الأهوال برسالته كنجاة رجل غرق في عرض المحيط، وغرقت معه كنوز كثيرة يحملها، لكنه فجأة قطع عشرات الآلاف من الأميال ليخرج لا وحده فقط، بل تخرج معه كل كنوزه، لا يضيع منها كتر واحد.

قال عبد القادر: إنما حماية الله.. لقد حمى الله رسوله ليؤدي الرسالة التي كلف بها، كما حمى جميع أنبيائه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ١٠٣)، وقال تعالى ذاكرا نبيه يونس ﷺ: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الانبياء: ٨٨)

أنتم تلاحظون أن القرآن الكريم يربط في هذا بين المؤمنين والأنبياء، فالله تعالى يحمي المؤمنين المستضعفين الذي تكون لهم همة الخروج من استضعافهم من كل ما يكيد أعداؤهم لهم، لقد قال تعالى في ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (الحج: ٣٨)

قال رجل من الجمع: لقد عرفنا أمس مواطن البلاء الكثيرة التي تعرض لها محمد ﷺ، فحدثنا اليوم عن جنود الحماية التي وفرها الله له.

قال عبد القادر: هي جنود كثيرة.. فلا يمكن إحصاء جنود الله، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (المدثر: من الآية ٣١)

وقد حمى الله بعض هذه الجنود الظاهرة والخفية رسول الله كما حمى الفئة المؤمنة الصامدة في كل مكان وكل زمان، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا



وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ (الأحزاب: ٩)، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (الفتح: ٤)، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (الفتح: ٧)

ولكن مع ذلك.. فسأذكر لكم بعض الأمثلة عن الجنود التي حمى الله بها نبيه ﷺ، والتي تحققت بها وعده له بأن يعصمه من الناس، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٧)

## ١ — جند الرعب

فمن هؤلاء الجنود الذين حموا رسول الله ﷺ من مؤامرات أعدائه جند الرعب الذي يملأ قلوب من يقترب من جنابه الشريف، وقد أشار ﷺ إلى هذا النوع من الجند، فقال: (نصرت بالرعب) ١ وأشار إليه القرآن في مواقف من مواقف نصره الدين، فقال تعالى: ﴿سَلِّقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ١٥١)، وقال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (الأنفال: ١٢)، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَنَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ (الأحزاب: ٢٦)، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ (الحشر: ٢)

وقد ذكر المؤرخون وعلماء السيرة الكثير من الأمثلة على هذا النوع من الجند:

فممن دكهم هذا الرعب الذي أيد الله به نبيه ﷺ أبو جهل، فقد رويت عنه الروايات الكثيرة المنبئة عما تعرض له من تخويف رباني نتيجة همه بإيذاء محمد ﷺ:

ومما يروى من ذلك ما حدث به أبو هريرة — رضي الله عنه — فقال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: قيل: نعم فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب.

فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليظاً على رقبته، فما فجنهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه<sup>٢</sup>، ويتقي يديه، فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندي من نار، وهولاً وأجنحة.

وقد قال رسول الله ﷺ يبين كيف حماه الله تعالى: (لو دنا مني لاخطفتة الملائكة عضواً عضواً) ٤ وفي حديث آخر عن العباس — رضي الله عنه — قال: كنت يوماً جالساً في المسجد، فأقبل أبو جهل، فقال: ان لله علي ان رأيت محمداً ساجداً ان أطأ على رقبته، فخرجت على رسول الله ﷺ حتى دخلت عليه، فأخبرته بقول أبي جهل، فخرج غضباناً حتى أتى المسجد ففعل قبل أن يدخل من الباب، فاقتحم الحائط فقلت: هذا يوم شر فاترت واتبعت<sup>٥</sup>.

وفي حديث آخر عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال: قال أبو جهل: يا معشر قريش، ان محمداً قد

- (١) رواه البخاري ومسلم.
- (٢) أي يسجد ويلصق وجهه بالعفر وهو التراب.
- (٣) أي رجع بمشي إلى ورائه.
- (٤) رواه البخاري ومسلم.
- (٥) رواه البزار والطبراني والحاكم وصححه.

أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أعلامنا، وسب آلهتنا، وإني لأعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر فإذا سجد في صلاته فضحت به رأسه، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم، فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرا وقام رسول الله ﷺ يصلي، وقد غدت قريش، فجلسوا في أنديةهم ينظرون، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه ثم رجع، منتقعا لونه، قد بيست يدها على حجره، حتى قذف الحجر من يده، فأتى قريشا، فقالوا له: مالك؟ قال: لما قمت إليه عرض لي فحل من الابل، فوالله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته، ولا أنيابه لفحل قط، فهم أن يأكلني، فقال رسول الله ﷺ: (ذاك جبريل، لو دنا مني لآخذه) <sup>١</sup>

وفي حديث آخر عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال: مر أبو جهل بالنبي ﷺ وهو يصلي، فقال: ألم أهك أن تصلي يا محمد، لقد علمت ما بها أحد أكثر ناديا مني فانتهره النبي ﷺ فقال جبريل: فليدع ناديه سندع الزبانية، فوالله لو دعا ناديه لآخذته زبانية العذاب <sup>٢</sup>.

ومنهم **النضر بن الحارث**، فقد روي عن عروة — رضي الله عنه — أن النضر بن الحارث كان يؤذي رسول الله ﷺ ويتعرض له، فخرج رسول الله ﷺ يوما يريد حاجته في نصف النهار في حر شديد، فبلغ أسفل من ثنية الحجون، فراه النضر بن الحارث، فقال: لا أجده أبدا أحلى منه الساعة، فأغتاله، فدنا الى رسول الله ﷺ ثم انصرف راجعا مرعوبا إلى منزله، فلقي أبا جهل، فقال: من أين؟ قال النضر: اتبعت محمدا رجاء أن أغتاله وهو وحده، فإذا أسود تضرب بأنياها على رأسي فاتحة أفواهها فدعرت منها ووليت راجعا، فقال أبو جهل — الذي أصابه من قبل ما أصابه —: هذا بعض سحره <sup>٣</sup>.

ومنهم **دعثور بن الحارث الغطفاني**، فقد روي عن عبد الله بن أبي بكر — رضي الله عنه — وغيره، أنهم قالوا: كنا مع رسول الله ﷺ فبلغ رسول الله ﷺ أن جمعا من غطفان من بني ثعلبة بن محارب بذي أمر، قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله ﷺ، معهم رجل يقال له: دعثور بن الحارث، فخرج رسول الله ﷺ في أربعمائة وخمسين رجلا، ومعهم أفراس، فهزمت منه الاعراب فوق ذروة من الجبال، ونزل رسول الله ﷺ ذا أمر فعسكر به، وأصابهم مطر كثير، فذهب رسول الله ﷺ لحاجته، فأصابه ذلك المطر قبل ثوبه، وقد جعل وادي ذي أمر بينه وبين أصحابه، ثم نزع ثيابه فنشرها لتجف، وألقاها على شجرة، ثم اضطجع تحتها والأعراب ينظرون، فقالت لدعثور وكان سيدها وأشجعها: قد أمكنك محمد، وقد انفرد من أصحابه، حيث أن غوث بأصحابه لم يغث حتى تقتله، فاختر سيفا من سيوفهم صارما، ثم أقبل حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف مشهورا فقال: يا محمد، من يمنعك مني اليوم؟ فقال ﷺ: (الله عز وجل)، ودفع جبريل في صدره فوق السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ وقام على رأسه، فقال: (من يمنعك مني؟) قال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا اله الا الله، وأن محمدا رسول الله، لا أكثر عليك جمعا أبدا، فأعطاه سيفه ثم أدبر، ثم أقبل بوجهه فقال: والله،

(١) رواه ابن اسحاق وأبو نعيم والبيهقي.

(٢) رواه أحمد والترمذي.

(٣) رواه أبو نعيم.

لأنت خير مني، فقال رسول الله ﷺ: (أنا أحق بذلك منك )

فأتى قومه فقالوا: أين ما كنت تقول، والسيف في يدك، قال: قد كان والله ذلك، ولكن نظرت إلى رجل أبيض طويل، فدفع في صدري، فوقعت لظهري، وعرفت أنه ملك، وشهدت أن محمدا رسول الله. وجعل الرجل يدعو قومه إلى الاسلام، ونزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أُنِيسُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المائدة: ١١)

ومنهم **غورث بن الحارث**، فعن جابر بن عبد الله — رضي الله عنهما — قال: كنا مع رسول الله ﷺ بذات الرقاع، فإذا أتينا على شجرة ظليلة، تركناها لرسول الله ﷺ وان رجلا من بني محارب يقال له غورث قال لقومه من غطفان: لأقتلن لكم محمدا، فترل رسول الله ﷺ تحت ظل شجرة، فعلق سيفه، فنمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعوننا، فحجثنا، فإذا عنده أعرابي جالس فقال: (إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتا، فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت: الله، فسقط السيف من يده، وأخذ رسول الله ﷺ السيف وقال: من يمنعك مني؟) قال: كن خيرا آخذ، فحلى سبيله فأتى أصحابه، فقال: جئتمكم من عند خير الناس<sup>٢</sup>.

ومنهم **شيبه بن عثمان**، فعن عكرمة قال: قال عثمان بن شيبه لما غزا رسول الله ﷺ حيننا فذكرت أبي وعمي، وقتل علي وحزرة اياهما، فقلت: اليوم أدرك ثأري من محمد، فحجثته من خلفه فدنوت منه حتى لم يبق الا أن أسوره بالسيف إذ دفع لي شواظ من نار بيني وبينه كأنه البرق، فنكصت القهقري، فالتفت إلى النبي ﷺ فقال: (يا شيبه، ادن مني)، فوضع يده على صدري، واستخرج الله الشيطان من قلبي، فرفعت إليه بصري، وهو أحب إلي من سمعي وبصري<sup>٣</sup>.

ومنهم **نفر من المنافقين** أرادوا الفتك به ﷺ، فعن حذيفة في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ أُولُو بَأْسٍ كَافِرُونَ﴾ (التوبة: من الآية ٧٤)) أن رسول الله ﷺ رجع قافلا من تبوك إلى المدينة، حتى إذا كان ببعض الطريق مكر برسول الله ﷺ ناس من أصحابه، فتأمروا عليه أن يطرحوه في عقبة في الطريق، فلما هموا وبلغوا العقبة أرادوا أن يسلكوها معه، فلما غشيهم رسول الله ﷺ أخبر خبرهم، قال: (من شاء منكم أن يأخذ ببطن الوادي فإنه أوسع لكم)، وأخذ رسول الله ﷺ العقبة، وأخذ الناس ببطن الوادي إلا نفر الذين مكروا برسول الله ﷺ لما سمعوا ذلك استعدوا وتلثموا وقد هموا بأمر عظيم.

وأمر رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان، وعمار بن ياسر، فمشيا معه مشيا، وأمر عمارا أن يأخذ بزمام الناقة، وأمر حذيفة أن يسوقها، فبينما هم يسيرون إذ سمعوا بالقوم من ورائهم، قد غشوهم، فغضب رسول الله ﷺ وأمر حذيفة أن يردهم، وأبصر حذيفة غضب رسول الله ﷺ فرجع ومعه محجن، فاستقبل وجوه رواحلهم،

(١) رواه البيهقي، وقال: روي في غزوة ذات الرقاع قصة أخرى، مثل هذه، فان كان الواقدي قد حفظ ما ذكر في هذه الغزوة فكانت قصتان.

(٢) رواه البخاري ومسلم وابن اسحاق وابو نعيم والحاكم والبيهقي.

(٣) رواه البيهقي وأبو نعيم.

فضربها بالجن وأبصر القوم وهم متلثمون لا يشعر أنما ذلك فعل المسافر، فرعبهم الله حين أبصروا حذيفة، وظنوا أن مكرهم قد ظهر عليه، فأسرعوا حتى خالطوا الناس.

وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله ﷺ، فلما أدركه قال: (اضرب الراحلة يا حذيفة، وامش أنت يا عمار)، فأسرعوا حتى استوى بأعلاها فخرجوا من العقبة ينتظرون الناس، فقال رسول الله ﷺ: (يا حذيفة، هل عرفت من هؤلاء الرهط، أو الركب أو أحدا منهم؟)، قال: عرفت راحلة فلان وفلان، وقال: كانت ظلمة الليل وغشيتهم وهم متلثمون، فقال رسول الله ﷺ: (هل علمتم شأنهم وما أرادوا؟) قالوا: لا، والله يا رسول الله، قال: (فإنهم مكرروا ليسيروا معي حتى إذا أظلمت في العقبة طرحوني منها، وإن الله تعالى قد أخبرني بأسمائهم، وأسماء آبائهم، وهم عبد الله بن سعد بن أبي السرح، وأبو حاضر الاعرابي، وأبو عامر، والجلال بن سويد بن الصامت، ومجمع بن جارية وفليح التيمي، وحصين بن نمير، وطعمة بن أبيرق وعبد الله بن عيينة، ومرة بن الربيع)، قيل: يا رسول الله، أفلا تأمر بهم فتضرب أعناقهم، قال: (أكره أن يتحدث الناس، ويقولوا: إن محمدا وضع يده في أصحابه)

فلما أصبح أرسل إليهم كلهم، فقال: (أردتم كذا وكذا)، فحلفوا بالله ما قالوا، ولا أرادوا الذي سألهم عنه فذلك قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا يَنَالُوا إِلَىٰ أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَلِكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (التوبة: ٧٤)، فهم اثنا عشر رجلا، حاربوا الله ورسوله، وكان أبو عامر رأسهم، وله بنوا مسجد الضرار.

## ٢ — جند الإخفاء

ومن الجنود الذين حموا رسول الله ﷺ من مؤامرات أعدائه جند الإخفاء.

تعجب الجمع من قوله هذا، فقال: الله قادر على كل شيء، فلذلك قد يلقي الله تعالى سراييل ستره على من يشاء من بعده لحمايته، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يس: ٩)

ومن هؤلاء محمد ﷺ.. فقد ألقى الله عليه في بعض مواضع الحاجة هذه السراييل حتى يحميه ويحفظه من أعدائه.

ومن المواقف التي حمى الله بنها نبيه بهذا النوع من الجند، **موقفه مع العوراء بنت حرب بن أمية، امرأة أبي لهب**، فعن أسماء بنت أبي بكر، وغيرها من الصحابة قالوا: لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسد: ١) أقبلت العوراء أم جميل، ولها ولولة، وفي يديها فهر، وهي تقول: مذمما أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا

والنبي ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر — رضي الله عنه — الى جنبه فقال أبو بكر: لقد أقبلت هذه، وأنا أخاف أن تراك، فقال: (إنها لن تراني)، وقرأ قرآنا فاعتصم به، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ (الاسراء: ٤٥)

فجاءت حتى أقامت على أبي بكر فلم تر النبي ﷺ فقالت: أبن الذي هجاني وهجا زوجي، فقال: لا ورب هذا البيت ما هجاك، فولت، وهي تقول: قد علمت قريش أني بنت سيدها وفي لفظ: يا أبا بكر، ما شأن صاحبك ينشد في الشعر، بلغني أن صاحبك هجاني.

فقال أبو بكر: والله ما صاحبي بشاعر ولا هجاك، فقالت: أليس قد قال: (في جيدها جبل من مسد)، فما يدريه ما في جيدي، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (قل لها: هل ترين عندي أحدا، فأنما لن تراني، جعل الله بيني وبينها حجابا)، فسألها أبو بكر، فقالت: أتمزأ بي والله، ما أرى عندك أحد، فانصرفت وهي تقول: قد علمت قريش أني بنت سيدها، فقال أبو بكر الصديق — رضي الله عنه —: يا رسول الله، إنها لم ترك، فقال: (حال بيني وبينها جبريل، يسترني بجناحيه حتى ذهب)

ومنها ما وري في عصمته ﷺ **من المخزوميين**، فعن ابن عباس — رضي الله عنهما — أن ناسا من بني مخزوم تواصلوا بالنبي ﷺ ليقتلوه، منهم أبو جهل والوليد بن المغيرة ونفر من بني مخزوم، فبينما النبي ﷺ قائما يصلي فلما سمعوا قراءته فأرسلوا إليه الوليد ليقتله، فانطلق حتى انتهى الى المكان الذي يصلي فيه، فجعل يسمع قراءته ولا يراه، فرجع إليهم فأعلمهم بذلك، فأتاه من بعده أبو جهل والوليد ونفر منهم، فلما انتهوا الى الصوت، فإذا الصوت من خلفهم، فينتهون إليه فيسمعونه أيضا من خلفهم، ثم انصرفوا ولم يجدوا إليه سبيلا.

(١) رواه أبو يعلى وابن حبان والحاكم، وصححه ابن مردويه، والبيهقي، وابن أبي شيبة والدارقطني وأبو نعيم.

(١) رواه البيهقي، وروى ابن جرير نحوه عن عكرمة ما يؤكد هذا.

ومنها موقفه ﷺ مع **زيد بن قيس وعامر بن الطفيل**، كما ورد في الحديث أن عامر بن الطفيل قدم على رسول الله ﷺ وهو يريد أن يغدر به، فقال لاريد: انا قدمنا على الرجل، فاني شاغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك، فاعله بالسيف، قال: أفعل.

فلما قدما على رسول الله ﷺ قال: أريدك يا محمد قم معي أكلمك، فقام معه فخليا الي جدارا ووقف عامر يكلمه، فقال: يا محمد خالني قال: (لا، حتى تؤمن بالله وحده)، فلما أتى على رسول الله ﷺ فقال: أما والله، لأملأهما عليك خيلا حمرا ورجالا.

فلما ولى قال رسول الله ﷺ: (اللهم اكفني عامر بن الطفيل)

فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ قال عامر لاريد: ويحك يا اريد، أين ما كنت أمرتك به؟ قال: ما كان على ظهر الارض رجل أحوف عندي على نفسي منك، وأيم الله، لا أخاف بعد اليوم أبدا، قال: لا أباك لك، لا تعجل علي، فوالله، ما هممت بالذي أمرتني به مرة الا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك، أفأضربك بالسيف؟<sup>١</sup>

ومنها موقفه الشديد **عند الهجرة**.. وسأقصه عليكم بطوله، فقد كان إخفاؤه ﷺ في ذلك المحل آية بينة لا شك فيها.

فعن أبي مصعب المكي قال: أدركت أنس بن مالك، وزيد بن أرقم، والمغيرة بن شعبة يتحدثون أن النبي ﷺ ليلة الغار أمر شجرة، فنبئت في وجه رسول الله ﷺ، فسترته، وبعث الله العنكبوت، فنسجت ما بينهما، فسترته وجه رسول الله ﷺ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقتا في فم الغار.

وأقبل فتیان قريش من كل بطن بعصيههم وهراويههم وسيوفهم، حتى إذا كانوا من النبي ﷺ على أربعين ذراعا، جعل بعضهم ينظر في الغار— فلم ير إلا حمامتين وحشيتين بفم الغار، فرجع إلى أصحابه، فقالوا له: ما لك؟ قال: رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد، فسمع النبي ﷺ ما قال، فعرف أن الله قد درأ عنه بهما، فبارك عليهما النبي ﷺ وفرض جزاءهن وانحدرتا في الحرم فأفرخ ذلك الزوج كل شئ في الحرم.<sup>٢</sup>

وفي حديث آخر عن ابن عباس — رضي الله عنهما — أن المشركين قصوا أثر رسول الله ﷺ، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم، فصعدوا الجبل فمروا بالغار فأروا على بابه نسيج العنكبوت، فمكث فيه ثلاثة أيام.<sup>٣</sup>

وعن الحسن البصري — رضي الله عنه — قال: جاءت قريش يطلبون النبي ﷺ، وكانوا إذا رأوا على باب الغار نسج العنكبوت قالوا: لم يدخله أحد، وكان النبي ﷺ قائما يصلي وأبو بكر يرتقب، فقال أبو بكر: يا رسول الله، هؤلاء قومك يطلبونك، أما والله ما على نفسي أبكي، ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره. فقال له النبي ﷺ: (لا تخف إن الله معنا)<sup>٤</sup>

(١) رواه الطبراني وابن المنذر وأبو نعيم عن ابن عباس وابن جرير وأبو الشيخ عن ابن زيد والبيهقي عن ابن اسحاق.

(٢) وفي رواية عند قاسم بن ثابت: أنبت الله شجرة الرأفة.

(٣) رواه ابن سعد وأبو نعيم والبيهقي وابن عساکر.

(٤) رواه أحمد بسند حسن.

(١) رواه أبو بكر أحمد بن سعيد القاضي شيخ النسائي في مسند الصديق.

لقد ذكر القرآن الكريم هذا الموقف الشديد الذي وقفه رسول الله ﷺ في الغار، فقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٤٠)

لقد كان الموقف شديداً، فلم يكن يحول بين النبي ﷺ وذلك الكيد العظيم المدبر له إلا تلك الخيوط الواهية من نسيج العنكبوت..

وفي حديث آخر عن أبي بكر الصديق — رضي الله عنه — قال: قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدمه لا بصرنا تحت قدميه، فقال: (ما ظنك باثنين الله ثالثهما)<sup>١</sup> وعن عطاء بن ميسرة قال: (نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود حين كان طالوت يطلبه ومرة على النبي ﷺ في الغار)<sup>٢</sup>

وفي حديث آخر أن المشركين استأجروا رجلاً يقال له علقمة بن كرز بن هلال الخزاعي، فقفا لهم الاثر حتى انتهى إلى غار ثور وهو بأسفل مكة فقال: ههنا انقطع أثره ولا أدري أخذ يمينا أم شمالاً أم صعده الجبل. فلما انتهوا إلى فم الغار قال أمية بن خلف: ما أربكم في الغار، إن عليه لعنكبوتا كان قبل ميلاد محمد، ثم جاء فبال<sup>٣</sup>.

وفي حديث آخر عن عروة أن المشركين لما فقدوا رسول الله ﷺ ركبوا في كل وجه يطلبونه، وبعثوا إلى أهل المياه يأمرهم به ويجعلون لهم الجعل العظيم وأتوا على ثور الجبل الذي فيه الغار الذي فيه النبي ﷺ حتى طلعا فوقه، وسمع رسول الله ﷺ وأبو بكر أصواتهم، فأشفق أبو بكر وبكى وأقبل عليه الهم والحزن والخوف، فعند ذلك يقول رسول الله ﷺ ( لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ) (التوبة: من الآية ٤٠)، ودعا رسول الله ﷺ فتزلت السكينة من الله تعالى.

وقد ذكر من ستر الله غير نسيج العنكبوت ما حدثت به أسماء بنت أبي بكر — رضي الله عنهما — أن أبا بكر رأى رجلاً مواجهها الغار فقال: (يا رسول الله إنه يرانا) قال: (كلا إن الملائكة تستره الآن بأجنحتها)<sup>٤</sup> وقد أرخ البوصيري الشاعر الحب لهذه الحادثة، فقال:

ويح قوم جفوا نبيا بأرض	ألفته ضباها والظباء
وسلوه وحن جذع إليه	وقلوه وردة الغرباء
أخرجوه منها وآواه غار	وحمته حمامه ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت	ما كفته الحمامة الحصداء

- 
- (١) رواه البخاري ومسلم.  
(٢) رواه أبو نعيم في الحلية.  
(٣) رواه البلاذري في تاريخه وأبو سعيد في الشرف.  
(٤) رواه أبو نعيم.



وفي قصيدة أخرى قال:

أقسمت بالقمر المنشق أن له  
وما حوى الغار من خير ومن كرم  
فالصدق في الغار والصديق لم ير  
وظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على  
وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع  
وعن عال من الاطم  
من قلبه نسبة مبرورة القسم  
وكل طرف من الكفار عنه عم  
وهم يقولون ما بالغار من أرم  
خير البرية لم تنسج ولم تحم

وقبل هذا الموقف **عندما وقف المشركون يتربصون برسول الله ﷺ** ليقتلوه، أخفاه الله أعينهم لم يروه، فقد حدث محمد بن كعب عن ذلك، فقال: قال أبو جهل وهم جلوس: إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوكاً، فإذا تمم بعثتم بعد موتكم، وكانت لكم جناتٌ خير من جنات الأردن وأنكم إن خالفتموه كان لكم منه ذبح، ثم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم نارٌ تُعذبون بها.

وخرج عليهم رسول الله ﷺ عند ذلك، وفي يده حفنة من تراب، وقد أخذ الله على أعينهم دونه، فجعل يذرّها على رؤوسهم، ويقرأ أول سورة يس حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يس: ٩)، وانطلق رسول الله ﷺ لحاجته، وباتوا رُصداء على بابه، حتى خرج عليهم بعد ذلك خارج من الدار، فقال: ما لكم؟ قالوا: ننتظر محمداً. قال: قد خرج عليكم، فما بقي منكم من رجل إلا قد وضع على رأسه تراباً، ثم ذهب لحاجته. فجعل كل رجل منهم ينفض ما على رأسه من التراب<sup>١</sup>.

وفي حديث آخر أن النبي ﷺ أمر علياً — رضي الله عنه — يوم الهجرة أن يبني في مضجعه تلك الليلة، واجتمع أولئك النفر من قريش يتطلعون من صير الباب ويرصدونه، ويريدون بيّاته ويأتمرون أيهم يكون أشقاه، فخرج رسول الله ﷺ عليهم، فأخذ حفنة من البطحاء، فجعل يذره على رؤوسهم، وهم لا يرونه وهو يتلو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يس: ٩) ومضى رسول الله ﷺ إلى بيت أبي بكر، فخرجوا من خوخة في دار أبي بكر ليلاً، وجاء رجل ورأى القوم يبابه، فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: محمداً قال: حبتهم وحسرتهم، والله مر بكم وذّرّ على رؤوسكم التراب، قالوا: والله ما أبصرناه.

وقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم، وهم: أبو جهل والحكم بن العاص وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وأمّية بن خلف وزمعة بن الأسود وطعيمة بن عدي وأبو لهب وأبي بن خلف ونيبه ومنبه ابنا الحجاج<sup>٢</sup>.

(١) رواه ابن إسحاق.

(٢) رواه ابن سعد وابن هشام وأحمد، وقد حسنه ابن كثير وابن حجر في الفتح.

### ٣ — جند الدعاء

ومن الجنود التي أيد الله بها نبيه ﷺ وحماه بها من مؤامرات أعدائه الكثيرة جند الدعاء، وهو جند لا يكون إلا مع الصادقين المخلصين.

فالصادقون المخلصون يثبتون في مواطن الشدة لعلمهم أن الله لن يضيعهم.

وقد ذكر الله تعالى موقف موسى ﷺ المخلص الصادق، مقارنا له بموقف قومه من الشاكين من بني إسرائيل، فقال تعالى: ﴿ فَأَتَّبِعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴾ (٦٠) فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ (٦٤) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ (٦٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ (الشعراء)

فموسى ﷺ في هذا الموقف الشديد ذكر الله، وتوجه إليه، فاتاه الله من خوارق الآيات ما نجاه به، ونجى قومه معه.

ومثل ذلك حصل لإبراهيم ﷺ عندما أراد قومه أن يحرقوه بالنيران التي أعدوها لهم، فلم يكن له من سلاح يواجه به تلك النيران إلا سلاح التوجه إلى الله.

وقد ذكر ابن عباس ما قاله إبراهيم ﷺ في ذلك الموقف الشديد، فقال: (حسي الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم حين ألقى في النار، وقالها أصحاب محمد حين قالوا: ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (آل عمران: ١٧٣)

ومما قاله إبراهيم ﷺ في ذلك الموقف الشديد ما نص عليه قوله ﷺ: (ما ألقى إبراهيم، عليه السلام، في النار قال: اللهم، إنك في السماء واحد، وأنا في الأرض واحد أعبدك) <sup>١</sup>

ويروى أنه لما جعلوا يوثقونه قال: لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد، ولك الملك، لا شريك لك.

ويروى أنه عرض له جبريل وهو في الهواء، فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا وأما من الله فيلي.

ويروى عن ابن عباس أنه قال: لما ألقى إبراهيم جعل خازن المطر يقول: متى أومر بالمطر فأرسله؟ قال: فكان أمر الله أسرع من أمره، قال الله تعالى: ﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (الانباء: من الآية ٦٩) وعلى خطى هذا النبي الكريم وغيره من الأنبياء — عليهم السلام — كان رسول الله ﷺ يفرع إلى الله في كل مواقف الشدة، فكانت حماية الله أسرع إليه من كل جند.

ومن الأمثلة على ذلك عصمته ﷺ من **سراقة بن مالك في الهجرة** ففي الحديث عن أبي بكر — رضي الله عنه — قال: طلبنا القوم فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك على فرس له، فقلت: يا رسول الله هذا

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (١٧٣) فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿ (آل عمران)

(٢) رواه أبو يعلى.

الطلب قد لحقنا، قال: ( لا تحزن، ان الله معنا )، فلما كان بيننا وبينه قيد رمح أو ثلاثة دعا عليه رسول الله ﷺ فقال: ( اللهم، اكفناه بما شئت )، فساخت قوائم فرسه في الأرض إلى بطنها، قال: يا محمد، قد علمت أن هذا عمك فادع الله أن ينجيي مما أنا فيه، فوالله لأعطين كل من ورائي من الطلب، فدعا له فانطلق راجعا<sup>١</sup> وفي حديث آخر مفصل عن هذه الحادثة حدث به سراقه بن مالك — رضي الله عنه — نفسه، قال: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما مائة ناقة من الإبل لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا — ونحن جلوس — فقال: يا سراقه إني قد رأيت أنفا أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه.

قال سراقه: فعرفت أنهم هم، فأومأت إليه بعيني أن أسكت، فسكت، ثم قلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا يتبعون ضالة لهم.

ثم لبثت في المجلس، ثم قمت، فدخلت بيتي فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت، فحططت بزجه الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها، فرفعتها تقرب بي حتى رأيت أسودتهما.

فلما دنوت منهم عثرت بي فرسي، فخررت عنها، فقامت فأهويت بيدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها أضرهم، أم لا أضرهم، فخرج الذي أكره: أي لا أضرهم، وكنت أرجو أن أردّه فأخذ المائة ناقة، فركبت فرسي وعصيت الازلام فرفعتها تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات ساحت يدا فرسي في الأرض حتى بلغت الركبتين فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذ الاثر يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام، فخرج الذي أكره — ألا أضرهم — فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع مني وأنه ظاهر، فناديتهم بالامان وقلت: أنظروني فوالله لا أذيتكم ولا يأتيكم مني شيء تكروهونه.

فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: قل له وما تبتغي منا؟ فقلت: إن قومك قد جعلوا فيكما الدية وأخبرتهما أخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني شيئا ولم يسألاني إلا أن قال: ( أخف عنا )، فسألته أن يكتب لي كتاب موادة آمن به، قال: ( اكتب له يا أبا بكر )<sup>٢</sup>

ثم رجعت، فسكت فلم أذكر شيئا مما كان حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله ﷺ وفرغ من حنين والطائف خرجت لألقاه ومعى الكتاب الذي كتب لي لقيته بالجعرانة، فبينما أنا عامد له دخلت بين ظهري كتيبة من كتائب الانصار، فطفقوا يقرعونني بالرماح ويقولون: إليك إليك حتى إذا دنوت من رسول الله ﷺ وهو على ناقته، والله لكأنني أنظر إلى ساقه في غرزه كأنها جمارة، فرفعت يدي بالكتاب، ثم قلت: يا رسول الله هذا كتابك لي وأنا سراقه بن مالك، فقال رسول الله ﷺ: ( يوم وفاء وبر أدنه )، فدنوت منه فأسلمت.

ثم تذكرت شيئا أسأل رسول الله ﷺ عنه فما أذكره، إلا أني قلت: يا رسول الله الضالة من الإبل تغشى

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) وفي رواية: فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم، ثم مضى رسول الله ﷺ.

حياضي، وقد ملأها لإبلي: هل لي من أجر في أن أسقيها؟ قال: (نعم في كل ذات كبد حرى أجر)، ثم رجعت إلى قومي فسقت إلى رسول الله ﷺ صدقتي<sup>١</sup>.

ومن هذا الباب إجابة الله دعاءه على أقوام تكبروا عليه، أو على ما طلبه منهم: فمنهم **من رآه يأكل بشماله**، فعن سلمة بن الأكوع — رضي الله عنه — أن رجلا أكل عند النبي ﷺ بشماله، فقال: (كل يمينك)، فقال: لا أستطيع، قال: (لا استطعت)، ما منعه إلا الكبر. قال الراوي: فما رفعها إلى فيه بعد<sup>٢</sup>.

ومنهم **سبيعة الاسلمية**، فعن عقبة بن عامر — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ رأى سبيعة الاسلمية تأكل بشمالها، فقال: (أخذها داء غزة)، فلما مرت بغزة أصابها الطاعون فقتلها<sup>٣</sup>.  
ومنهم رجل يقال له **قيس**، فعن بريدة — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ سأل عن رجل يقال له قيس فقال: (لا أقرته الأرض)، فكان لا يدخل أرضا يستقر بها حتى يخرج منها<sup>٤</sup>.  
ومنهم **معاوية**، فعن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال رسول الله ﷺ: (ادع لي معاوية)، فقلت: إنه يأكل، فقال في الثالثة: (لا أشبع الله بطنه)، فما شبع بطنه أبد<sup>٥</sup>.

ومنهم **من كف شعره عن التراب في الصلاة**، فعن أنس — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ رأى رجلا ساجدا وهو يقول: بشعره هكذا يكفه عن التراب، فقال ﷺ: (اللهم قبح شعره) قال: فسقط<sup>٦</sup>.  
ومنهم **من احتكر طعاما**، فعن أبي يحيى عن فروخ مولى عثمان أن عمر، قيل له: ان مولاك فلانا قد احتكر طعاما، فقال: قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام أو بالافلاس)، فقال مولاة: نشترى بأموالنا ونبيع، فذكر أبو يحيى أنه رأى مولى عمر بعد حين مجذوما<sup>٧</sup>.  
ومنهم **قريش**، التي دعا رسول الله ﷺ عليها أن يصيبها الله بالسنين، فعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال: كان رسول الله ﷺ يدعو في القنوت: (اللهم انج سلمة بن هشام، اللهم انج الوليد بن الوليد، اللهم انج عياش بن أبي ربيعة، اللهم انج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف)<sup>٨</sup>.

ومنهم **بنو حارثة بن عمرو**، فقد روي أن رسول الله ﷺ كتب الى بني حارثة بن عمرو بن قرط يدعوهم الى الاسلام، فأخذوا صحيفته فغسلوها، ورقعوا بها دلوهم، فقال رسول الله ﷺ: (ما لهم ذهب الله بعقولهم)،

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد ويعقوب بن سفيان.

(٢) رواه مسلم والدارمي وعبد بن حميد وابن حبان وزادوا أن اسمه بسر بن راعي.

(٣) رواه البيهقي.

(٤) رواه البيهقي.

(٥) رواه مسلم والبيهقي.

(٦) رواه أبو نعيم.

(٧) رواه البيهقي.

(٨) رواه البخاري.

قال: فهم أهل رعدة وعجلة، وكلام مختلط، وأهل سفه.

قال الواقدي: قد رأيت بعضهم عيا لا يحسن تبيين الكلام<sup>١</sup>.

ومنهم **سراقة بن مالك**، فقد روي أنه دعا إليه قبل إسلامه حين اتبع النبي ﷺ وأبا بكر، فعن البراء بن عازب — رضي الله عنه — في حديث هجرة النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ دعا عليه قال: (اللهم اكفناه بما شئت)، فساخت به فرسه في الأرض إلى بطنها<sup>٢</sup>.

ومنهم **أبو القين**، فعن سعيد بن جهمان عن أبي القين — رضي الله عنه — أنه مر برسول الله ﷺ ومعه شيء من تمر، فأهوى رسول الله ﷺ ليأخذ منه قبضة لينثرها بين يدي أصحابه فضم طرف رداءه إلى بطنه وإلى صدره، فقال رسول الله ﷺ: (زادك الله شحا)

زاد أبو عبد الله بن مندة: فكان من أشح الناس<sup>٣</sup>.

ومنهم **الحكم بن أبي العاص والد مروان**، فقد كان الحكم بن أبي العاص يجلس عند رسول الله ﷺ فإذا تكلم النبي ﷺ اختلج فيصر به النبي ﷺ فقال: (أنت كذلك)، فما زال يختلج حتى مات، وفي لفظ: مر النبي ﷺ بأبي الحكم، فجعل يغمز بالنبي ﷺ فقال: فراه، فقال: (اللهم اجعل به وزعا)، فرجف مكانه<sup>٤</sup>.

ومنهم **كسرى** حين مزق كتابه، فعن ابن عباس — رضي الله عنهما — أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى، فلما قرأه كسرى مزقه، فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق<sup>٥</sup>.

وفي حديث آخر عن عن عمير بن اسحاق، قال: كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر، فأما قيصر فوضعه وأما كسرى فمزقه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: (أما هؤلاء فيمزقون، وأما هؤلاء فستكون لهم بقية

٦)

(١) رواه أبو نعيم من طريق الواقدي عن شيوخه.

(٢) رواه أبو نعيم في المستخرج عن مسلم.

(٣) رواه الطبراني برجال الصحيح.

(٤) رواه الطبراني والبيهقي عن عبد الرحمن بن أبي بكر، والبيهقي عن مالك بن دينار عن هند بن حديجة.

(٥) رواه البخاري.

(٦) رواه البيهقي.

## ٤ — جند الإعلام

ومن الجنود الذين حمى الله بهم نبيه ﷺ جند الإعلام.. وهم جند ليس لهم من دور غير إخبار رسول الله ﷺ بالمؤامرات التي يدبرها أعداؤه له.

لاشك أنكم تعرفون أهمية المعلومة في المعارك، حتى أن الرؤساء والملوك، بل من هم دونهم يضعون ميزانيات ضخمة للعيون والجواسيس ليترصدها لهم كل تحرك توجه ضدهم. أما محمد ﷺ فلم يكن له من العيون إلا ما يطعمه الله عليه سواء من عالم الحكمة أو من عالم القدرة. وسأذكر لكم بعض الأمثلة عن ذلك:

لعل أولهم هو الوحي الرباني، فالقرآن الكريم كان يتنزل ليفضح المؤامرات المختلفة، كما قال تعالى: ﴿يَحْدَرُ الْمُنافِقُونَ أَنْ تُنزلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنبئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهزُّوا إِنَّا اللَّهُ مُخْرِجُ مَا تَحْدَرُونَ﴾ (التوبة: ٦٤)

فالنفاق ذلك الخطر الخفي لا يعلمه إلا من يعلم السر وأخفى، ولذلك أخبر القرآن الكريم عن كثير من مؤامرات المنافقين وعلاماتهم ليشتمروا عن المخلصين الصادقين.

**فمن الآيات** التي بينت لرسول الله ﷺ بعض مواقف هؤلاء المعادية للإسلام، ولرسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتِ الْمُنافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (٦٣)﴾ (النساء)

فقد نزلت هذه الآيات رجل من المنافقين اختصم مع رجل من اليهود، فجعل اليهودي يقول: بيني وبينك محمد، وذاك يقول: بيني وبينك كعب بن الأشرف<sup>١</sup>.

فعن الشعبي قال: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فدعا اليهودي المنافق إلى النبي ﷺ لأنه علم أنه لا يقبل الرشوة، ودعا المنافق اليهودي إلى حاكمهم لأنه علم أنهم يأخذون الرشوة في أحكامهم.

فلما اختلفا اجتماعا على أن يحكما كاهنا في جهينة، فأنزل الله تعالى الآيات السابقة.

وفي حديث آخر عن ابن عباس — رضي الله عنه — أنها نزلت في رجل من المنافقين كان بينه وبينه وبين يهودي خصومة، فقال اليهودي: انطلق بنا إلى محمد، وقال المنافق: بل تأتي كعب بن الأشرف، وهو الذي سماه الله تعالى الطاغوت، فأبى اليهودي إلا أن يخاصمه إلى رسول الله ﷺ، فلما رأى المنافق ذلك أتى معه إلى رسول الله ﷺ، فاختصما إليه، ففضى رسول الله ﷺ لليهودي، فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال: ننطلق إلى عمر

(١) هذا على قول من الأقوال، والآية عامة كما هو معلوم.

بن الخطاب، فأقبلا إلى عمر، فقال اليهودي: احتصمنا أنا وهذا إلى محمد ففضى لي عليه فلم يرض بقضائه، وزعم أنه مخاصم إليك وتعلق بي فجئت إليك معه، فقال عمر للمنافق، أكذلك؟ قال: نعم، فقال لهما: رويدا حتى أخرج إليكما، فدخل عمر وأخذ السيف فاشتغل عليه، ثم خرج إليهما وضرب به المنافق حتى برد، وقال: هكذا أفضى لمن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله، وهرب اليهودي، ونزلت هذه الآية.

وقال السدي: كان ناس من اليهود أسلموا ونافق بعضهم، وكانت قريظة والنضير في الجاهلية إذا قتل رجل من بني قريظة رجلا من بني النضير قتل به وأخذ ديتة مائة وسق من تمر، وإذا قتل رجل من بني النضير رجلا من قريظة لم يقتل به وأعطى ديتة ستين وسقا من تمر، وكانت النضير حلفاء الاوس وكانوا أكبر وأشرف من قريظة وهم حلفاء الخزرج، فقتل رجل من النضير رجلا من قريظة واحتصموا في ذلك، فقالت بنو النضير: إنا وأنتم اصطلحنا في الجاهلية على أن يقتل منكم ولا تقتلوا منا، وعلى أن ديتكم ستون وسقا والوسق ستون صاعا وديتنا مائة وسق، فنحن نعطيكم ذلك، فقالت الخزرج: هذا شيء كنتم فعلتموه في الجاهلية لانكم كنتم تقاتلوننا، ونحن وأنتم اليوم إخوة وديننا ودينكم واحد، وليس لكم علينا فضل، فقال المنافقون: انطلقوا إلى أبي بردة الكاهن الاسلمي، وقال المسلمون: لا بل إلى النبي ﷺ، فأبى المنافقون وانطلقوا إلى أبي بردة ليحكم بينهم، فقال: أعظموا اللقمة: يعني الرشوة، فقالوا: لك عشرة أوسق، قال: لا، بل مائة وسق ديتي، فإني أخاف إن نفرت النضيرى قتلتنى قريظة، وإن نفرت القريظى قتلتنى النضير، فأبوا أن يعطوه فوق عشرة أوسق وأبى أن يحكم بينهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فدعا النبي ﷺ كاهن أسلم إلى الاسلام، فأبى فانصرف، فقال النبي ﷺ لابنيه: أدركا أباكما، فإنه إن جاوز عقبة كذا لم يسلم أبدا، فأدركاه فلم يزالا به حتى انصرف وأسلم، وأمر النبي ﷺ مناديا فنادى: ألا إن كاهن أسلم قد أسلم.

**ومنها** قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾

(الأحزاب: ١٢)

فقد نزلت هذه الآية تخبر عن استهزاء المنافقين ومثلهم اليهود بما وعد به رسول الله ﷺ أصحابه من النصر والتمكين.

فقد قال ابن عباس وأنس بن مالك — رضي الله عنهما: — لما افتتح رسول الله ﷺ مكة ووعد أمته ملك فارس والروم، قالت المنافقون واليهود: هيهات هيهات، من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك، ألم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وفي حديث آخر عن عمرو بن عوف قال: خطب رسول الله ﷺ على الخندق يوم الاحزاب، ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعا، فكنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الانصار في أربعين ذراعا، فحفرنا حتى إذا كنا تحت ذي ناب، أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت علينا، فقلنا: يا سلمان ارق إلى رسول الله ﷺ فأخبر خبر هذه الصخرة، فإما أن نعدل عنها، وإما أن يأمرنا فيها بأمره، فإننا لا نحب أن نجاوز خطه.

فرقا سلمان إلى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة تركية، فقال: يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء

مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحيك فيها قليل ولا كثير فمرنا فيها بأمر، إنا لا نحب أن نحاوز خطك، قال: فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان الخندق والتسعة على شفة الخندق، فأخذ رسول الله ﷺ المعول من سلمان، فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيتها، يعني المدينة حتى كأن مصباحا في جوفه بيت مظلم، وكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح، فكبر المسلمون، ثم ضربها رسول الله ﷺ فكسرها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيتها حتى كأن مصباحا في جوف بيت مظلم، وكبر رسول الله ﷺ فكسرها، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيتها، حتى كأن مصباحا في جوف بيت مظلم، وكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون.

وأخذ يد سلمان ورقى، فقال سلمان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت مثله قط، فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم فقال: رأيتم ما يقول سلمان، قالوا: نعم يا رسول الله، قال: ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل عليه السلام أن أمي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل عليه السلام أن أمي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل عليه السلام أن أمي ظاهرة عليها، فأبشروا.

فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحفر، فقال المنافقون: ألا تعجبون بمنيكم ويعدكم الباطل، ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم، وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق، ولا تستطيعون أن تبرزوا؟

فتزل القرآن يفضحهم، وينبئ عن مقولتهم هذه، ونزل كذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: ٢٦)

**ومنها** قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٨٨)

فقد نزلت هذه الآية تفضح ما تخنه نفوس المنافقين من غرور، فعن أبي سعيد الخدري — رضي الله عنه — أن رجلا من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه، فإذا قدم اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدا بما لم يفعلوا، فتزلت هذه الآية ٢.

وفي حديث آخر عن عن ابن عباس: دعا النبي ﷺ يهود فسألهم عن شيء فكنموه إياه وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أوتوا من كتبهم إياه، ثم قرأ ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا

(١) هذا معنى من معانيها، بالإضافة إلى معناها العام، فخصوص السبب لا ينفي عموم اللفظ.

(٢) رواه مسلم.



فَيْتَسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١﴾ (آل عمران: ١٨٧))<sup>١</sup>

وفي حديث آخر عن الضحاك، قال: كتب يهود المدينة إلى يهود العراق واليمن ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الارض كلها إن محمدا ليس نبي الله، فاثبتوا على دينكم وأجمعوا كلمتكم على ذلك، فأجمعت كلمتهم على الكفر بمحمد ﷺ والقرآن، ففرحوا بذلك وقالوا: الحمد لله الذي جمع كلمتنا ولم نتفرق ولم نترك ديننا، وقالوا: نحن أهل الصوم والصلاة ونحن أولياء الله، فلذلك قول الله تعالى: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أْتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ (آل عمران: من الآية ١٨٨)، يعني بما ذكروا من الصوم والصلاة والعبادة.

**ومنها** قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (آل عمران: ١٩٩) فقد نزلت هذه الآية في الرد على شبهات بعض المنافقين، فعن جابر بن عبد الله وأنس وابن عباس وقاتدة — رضي الله عنهم —: نزلت في النجاشي، وذلك لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم، فقالوا: ومن هو؟ فقال: النجاشي، فخرج رسول الله ﷺ إلى البقيع وكشف له من المدينة إلى أرض الحبشة، فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له وقال لأصحابه: استغفروا له، فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على علع حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه، فأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>٢</sup>.

**ومنها** قوله تعالى: ﴿أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (النساء: ٧٨)

فقد نزلت هذه الآية — في قول ابن عباس — لما استشهد الله من المسلمين من استشهد يوم أحد قال المنافقون الذين تخلفوا عن الجهاد: لو كان إخواننا الذين قتلوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

**ومنها** قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا﴾ (النساء: ٨٨)

ففي هذه الآية يخبر الله تعالى المؤمنين المتحيرين عن حقيقة بعض المنافقين، فعن عبد الله بن يزيد بن ثابت، أن قوما خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى أحد فرجعوا، فاختلف فيهم المسلمون، فقالت فرقة نقتلهم، وقالت فرقة لا نقتلهم، فترلت هذه الآية<sup>٣</sup>.

وفي حديث آخر عن سلمة بن عبد الرحمن، أن قوما من العرب أتوا رسول الله ﷺ فأسلموا وأصابوا وباء المدينة، وحماتها فأركسوها، فخرجوا من المدينة فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: مالكم

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه الواحدي في أسباب النزول.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

رجعتم؟ فقالوا: أصابنا وباء المدينة فاحتوينها، فقالوا: ما لكم في رسول الله أسوة؟ فقال بعضهم: نافقوا، وقال بعضهم: لم ينافقوا هم مسلمون، فأُنزل الله تعالى الآية<sup>١</sup>.

**ومنها** قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: ٥٧)

فقد ذكر ابن عباس أن هذه الآية نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اللذان أظهرتا الإسلام، ثم نافقا، وكان رجال من المسلمين يوادونها، فأُنزل الله تعالى هذه الآية.

**ومنها** قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المائدة: ٥٨) فقد ذكر الكلبي في سبب نزولها أن منادى رسول الله ﷺ كان إذا نادى إلى الصلاة، فقام المسلمون إليها، قالت اليهود: قوموا صلوا اركعوا، على طريق الاستهزاء والضحك فأُنزل الله تعالى هذه الآية.

وذكر السدي أنها نزلت في رجل من نصارى المدينة كان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمدا رسول الله قال: حرق الكاذب، فدخل خادمه بنار ذات ليلة، وهو نائم وأهله نيام، فطارت منها شرارة في البيت فاحترق هو وأهله.

وذكر آخرون أن الكفار لما سمعوا الاذان حضروا رسول الله ﷺ والمسلمون على ذلك، وقالوا: يا محمد لقد أبدعت شيئا لم نسمع به فيما مضى من الامم، فإن كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما أحدثت من هذا الاذان الأنبياء من قبله، ولو كان في هذا خير كان أولى الناس به الانبياء والرسل من قبلك، فمن أين لك صباح كصباح البعير، فما أقبح من صوت ولا أسمع من كفر، فأُنزل الله تعالى هذه الآية وأنزل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: ٣٣)

**ومنها** قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنُ قُلٍّ أَدْنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يَوْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة: ٦١)

فقد نزلت هذه الآية في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون الرسول ﷺ ويقولون ما لا ينبغي، قال بعضهم: لا تفعلوا، فإننا نخاف أن يبلغه ما تقولون، فيقع بنا، فقال الجلاس بن سويد: نقول ما شئنا، ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول، فإنما محمد أذن سامعة، فأُنزل الله تعالى هذه الآية.

وذكر محمد ابن إسحاق وغيره أن الآية نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحارث، وكان رجلا أذم أحمر العينين أسفع الخدين مشوه الخلقة، وهو الذي قال النبي ﷺ: من أراد أن ينظر الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث، وكان ينم حديث النبي ﷺ إلى المنافقين، فقيل له: لا تفعل، فقال: إنما محمد أذن من حدثه شيئا صدقه نقول ما شئنا، ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا، فأُنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال السدي: اجتمع ناس من المنافقين فيهم جلاس بن سويد بن الصامت ووديعة ابن ثابت فأرادوا أن يقعوا في النبي ﷺ وعندهم غلام من الانصار يدعى عامر بن قيس فحقوقه، فتكلموا وقالوا: لئن كان ما يقوله محمد حقا لنحن أشر من الحمير، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره، فدعاهم فسأهم، فحلفوا أن عامرا كاذب وحلف

عامر أنهم كذبة، وقال: اللهم لا تفرق بيننا حتى تبين صدق الصادق من كذب الكاذب، فترلت فيهم هذه الآية، ونزل قوله: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: ٦٢) **ومنها** قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (التوبة: ٦٥)

فقد نزلت هذه الآية في أقوام من المنافقين:

فعن قتادة، قال: بينما رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين إذ قالوا: يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات له ذلك، فأطلع الله نبيه على ذلك، فقال نبي الله: اجلسوا على الركب فأتاهم فقال: قلتهم كذا وكذا؟ فقالوا: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وعن زيد بن أسلم ومحمد بن وهب قالوا: قال رجل من المنافقين في غزوة تبوك: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء، يعني رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال عوف بن مالك: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ فذهب عوف ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب وتحدث بحديث الركب نقطع به عنا الطريق.

وعن ابن عمر قال: رأيت عبد الله ابن أبي يسر قدام النبي ﷺ والحجارة تنكته وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، والنبي ﷺ يقول: أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون.

**ومنها** قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ مِمَّا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (التوبة: ٧٤)

فقد نزلت هذه الآية في أقوام من المنافقين:

فعن الضحاك، قال: خرج المنافقون مع رسول الله ﷺ إلى تبوك، وكانوا إذا خلا بعضهم ببعض سبوا رسول الله ﷺ وأصحابه وطعنوا في الدين، فنقل ما قالوا حذيفة إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: يا أهل النفاق ما هذا الذي بلغني عنكم، فحلّفوا ما قالوا شيئا من ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية إكذابا لهم. وقال قتادة: ذكر لنا أن رجلين اقتتلا، رجلا من جهينة ورجلا من غفار، فظهر الغفاري على الجهيني، فنادى عبد الله بن أبي: يا بني الاوس انصروا أحاكم، فوالله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: سمن كليك يأكلك، فوالله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الأذل، فسمع بها رجل من المسلمين، فجاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فأرسل إليه، فجعل يحلف بالله ما قال، وأنزل الله تعالى هذه الآية.

أما قوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِمَّا لَمْ يَنَالُوا﴾، فقد قال الضحاك: هموا أن يدفَعوا ليلة العقبة، وكانوا قوما قد أجمعوا على أن يقتلوا رسول الله ﷺ وهم معه يلتمسون غرته حتى أخذ في عقبة، فتقدم بعضهم وتأخر بعضهم وذلك كان ليلا قالوا: إذا أخذ في العقبة دفعناه عن راحلته في الوادي، وكان قائده في تلك الليلة عمار بن ياسر وسائقه حذيفة فسمع حذيفة وقع أخفاف الابل، فالتفت فإذا هو بقوم مثلثين، فقال: إليكم يا أعداء الله

فأمسكوا، ومضى النبي ﷺ حتى نزل منزله الذي أراد، فأُنزل الله تعالى قوله: ﴿وَهُمْوَا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾  
**ومنها** قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوَا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ  
نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (التوبة: ١٠١)

فقد ذكر الكلبي أنها نزلت في جهينة ومزينة وأشجع وأسلم وغفار من أهل المدينة، يعني عبد الله بن أبي  
وجد ابن قيس ومعتب بن بشير والجلال بن سويد وأبي عامر الراهب.

**ومنها** قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَكَيْلُفْنًا إِن آرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (التوبة: ١٠٧)  
فقد نزلت هذه الآية في بعض المنافقين الذين أسسوا مسجدا ليضاروا به المسلمين.

فقد ذكر المفسر أن بني عمرو بن عوف اتخذوا مسجدا قباء وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أن يأتيهم، فأتاهم  
فصلى فيه، فحسداهم إخوتهم بنو عمرو، وقالوا: نبئ مسجدا ونرسل إلى رسول الله ﷺ ليصلى فيه كما يصلى  
في مسجد إخواننا، وليصل فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام، وكان أبو عامر قد ترهب في الجاهلية  
وتنصر ولبس المسوح، وأنكر دين الحنيفية لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعاداه وسماه النبي ﷺ أبا عامر الفاسق  
وخرج إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح، وانبوا لي مسجدا فإني ذاهب إلى  
قيصر فآتي بجند الروم، فأخرج محمدا وأصحابه فبنوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء، وكان الذي بناه اثنا عشر  
رجلا حزام بن خالد، ومن داره أخرج إلى المسجد وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وأبو حبيبة بن الارعد  
وعباد بن حنيف وحرثة وجارية وابناه مجمع وزيد ونبتل ابن حارث ولحاد بن عثمان ووديعة بن ثابت.

فلما فرغوا منه أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنا بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليله المطيرة والليله  
الشتائية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه، فدعا بقميصه ليلبسه فيأتيهم، فترل عليه القرآن وأخبر الله عز وجل  
خبر مسجد الضرار وما هموا به، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن يشكر  
والوحشي قاتل حمزة، وقال لهم: انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه، فخرجوا وانطلق مالك  
وأخذ سعفا من النخل فأشعل فيه نارا، ثم دخلوا المسجد وفيه أهله فحرقوه وهدموا وتفرق عنه أهله، وأمر النبي  
ﷺ أن يتخذ ذلك كناسة تلقى فيها الجيف والتن والقمامة، ومات أبو عامر بالشام وحيدا غريبا.

**ومنها** قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ (الأحزاب: من الآية ٤)

فقد نزلت هذه الآية في زيد بن حارثة الذي كان عند الرسول ﷺ فأعتقه وتبناه قبل الوحي، فلما تزوج  
النبي ﷺ زينب بنت جحش، وكانت تحت زيد بن حارثة، قالت اليهود والمنافقون: تزوج محمد ﷺ امرأة ابنه  
وهو ينهى الناس عنها، فأُنزل الله تعالى هذه الآية.

**ومنها** قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يُعْوَدُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِاللَّاتِ وَالْعَدْوَانِ  
وَمَعْصَبَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَكَ حَيْوَتُكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ  
حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنسُ الْمَصِيرُ﴾ (المجادلة: ٨)

فقد قال ابن عباس ومجاهد: نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين

وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما نراهم إلا وقد بلغهم عن أقرائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو مصيبة أو هزيمة، فيقع ذلك في قلوبهم ويجزئهم، فلا يزالون كذلك حتى يقدم أصحابهم وأقرباؤهم، فلما طال ذلك وكثر، شكوا إلى رسول الله ﷺ، فأمرهم أن يتناحوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم، فأُنزل الله تعالى هذه الآية.

**أما** قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾، فقد ذكرت عائشة — رضي الله عنها — أن ناسا من اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقلت: السام عليكم وفعل الله بكم، فقال رسول الله ﷺ: مه يا عائشة فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش، فقلت: يا رسول الله أأنت أدرى ما يقولون؟ قال: أأنت ترين أرد عليهم ما يقولون؟ أقول: وعليكم، ونزلت هذه الآية في ذلك.

وعن أنس أن يهوديا أتى النبي ﷺ فقال: السام عليك، فرد القوم، فقال نبي الله ﷺ: هل تدرون ما قال؟ قالوا الله ورسوله أعلم يا نبي الله، قال: لا، ولكن قال كذا وكذا رده علي، فردوه عليه، فقال: قلت السام عليكم، قال: نعم، فقال نبي الله ﷺ عند ذلك: إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا: أي عليك ما قلت، ونزل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾

ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة: ١١)

فقد ذكر مقاتل سبب نزولها، فقال: كان النبي ﷺ في الصفة وفي المكان ضيق وذلك يوم الجمعة، وكان رسول الله ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار، فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجلس، فقاموا حيال النبي ﷺ على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم، وشق ذلك على رسول الله ﷺ فقال لمن حوله من غير أهل بدر، قم يا فلان وأنت يا فلان، فأقام من المجلس بقدر النفر الذي قاموا بين يديه من أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي ﷺ الكراهية في وجوههم، فقال المنافقون للمسلمين: أأنتم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس؟ فوالله ما عدل على هؤلاء قوم أخذوا مجالسهم وأحبهم القرب من نبيهم أقامهم وأجلس من أبطأ عنهم مقامهم، فأُنزل الله تعالى هذه الآية.

**ومنها** قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (المجادلة: ١٤) إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (المجادلة: ١٨)

فقد ذكر السدي ومقاتل أنها نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق كان يجالس النبي ﷺ ثم يرفع حديثه إلى اليهود، فبينما رسول الله ﷺ في حجرة من حجره، إذ قال: يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان، فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق، فقال له رسول الله ﷺ: علام تشمتني أنت وأصحابك؟ فحلف بالله ما فعل ذلك، فقال له النبي ﷺ: فعلت، فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبه، فأُنزل الله تعالى هذه الآية.

وفي حديث آخر عن ابن عباس — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ كان في ظل حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين قد كان الظل يقلص عنهم، فقال لهم: إنه سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعين شيطان، وإذا أتاكم فلا تكلموه، فجاء رجل أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ وكلمه، فقال: علام تشمتني أنت وفلان وفلان؟ نفر دعا بأسمائهم، فانطلق الرجل فدعاهم، فحلفوا بالله واعتذروا إليه، فأنزل الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمُ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (المجادلة: ١٨) بإضافة إلى هذا كله، فقد أنطق الله لحمد ﷺ الأشياء لتخبره بما تختزنه من مكاييد، ومن ذلك قصة الشاة المسمومة.

والحديث — كما روي بأسانيد كثيرة مختلفة — هي أن رسول الله ﷺ لما افتتح خيبر، واطمأن الناس، أهدت زينب ابنة الحارث امرأة سلام بن مشكم، وهي ابنة أخي مرحب لصفية امرأته شاة مصلية، وقد سألت: أي عضو الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها الذراع، فأكثر فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة، فدخل رسول الله ﷺ على صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور، فقدمت إليه الشاة المصلية، فتناول رسول الله ﷺ الكتف، وانتهس منها فلاكها رسول الله ﷺ وتناول بشر بن البراء عظاما، فانتهس منه. قال ابن إسحاق: فأما بشر فاساغها، وأما رسول الله ﷺ فلفظها، فلما استرط رسول الله ﷺ لقمته استرط بشر بن البراء ما في فيه، فقال رسول الله ﷺ: ارفعوا ما في أيديكم، فإن كتف هذه الشاة تخبرني أبي نعيم فيها. وقد روي أن رسول الله ﷺ أرسل إلى اليهودية، فقال: (أسممت هذه الشاة؟)، فقالت: من أحررك؟ قال: (أخبرني هذه التي في يدي، وهي الذراع)، قالت: نعم، قال: (ما حملك على ما صنعت؟)، قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكا استرحنا منه، وإن كان نبيا فسيخبر، فعفا عنها رسول الله ﷺ ومات بشر من أكلته التي أكل ولم يعاقبها.

(١) رواه الحاكم.

(٢) رواه البخاري ومسلم عن أنس، وأحمد، وابن سعد، وأبو نعيم عن ابن عباس، والدارمي، والبيهقي عن جابر، والبيهقي بسند صحيح — عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك، والطبراني عنه عن أبيه، والبخاري والحاكم، وأبو نعيم عن أبي سعيد، والبيهقي عن أبي هريرة والبيهقي عن ابن شهاب.

## ٥ — جند الكفاية

ومن الجند الذي حمى الله به نبيه ﷺ كما حمى به سائر الأنبياء جند الكفاية، وهي التي يشير إليها قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة: ١٣٧)

وقد تحقق هذا الوعد الإلهي، وأشار القرآن الكريم إلى هذا التحقق، فقال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (الحجر: ٩٥)

وقد أخبر القرآن الكريم أن الله تعالى يمد عباده الصالحين من أنبيائه وغيرهم بهذا النوع من الجند، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الأنعام: ١٠)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الأنبياء: ٤١)

وقد أخبر رسول الله ﷺ عن إمداد الله بعض عباده الصالحين بهذا النوع من الجند، فقال — فيما رواه أحد المضطهدين صهيب — رضي الله عنه —: كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال للملك: إني قد كبرت سنِّي وحضر أجلي، فادفع إلي غلاما لأعلمه السحر. فادفع إليه غلاما فكان يعلمه السحر، وكان بين الساحر وبين الملك راهب، فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه، فأعجبه نحوه وكلامه، وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال: ما حبسك؟ وإذا أتى أهله ضربه

وقالوا: ما حبسك؟ فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا أراد الساحر أن يضربك فقل: حبسني أهلي. وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل: حبسني الساحر.

قال: فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة، قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا، فقال: اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر. قال: فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس. ورمأها فقتلها، ومضى الناس. فأخبر الراهب بذلك فقال: أي بُني، أنت أفضل مني، وإنك ستبتلي، فإن ابتليت فلا تدل علي.

فكان الغلام يُبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم، وكان جليس للملك فعمي، فسمع به، فأتاه بمدايا كثيرة فقال: اشفي ولك ما هاهنا أجمع. فقال: ما أنا أشفي أحداً، إنما يشفي الله، عز وجل، فإن آمنت به دعوت الله فشفاك. فآمن فدعا الله فشفاه. ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس، فقال له الملك: يا فلان، من ردّ عليك بصرك؟ فقال: ربي؟ فقال: أنا؟ قال: لا ربي وربك الله. قال: ولك رب غيري؟ قال: نعم، ربي وربك الله. فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فبعث إليه فقال: أي بُني، بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء؟ قال: ما أشفي أنا أحداً، إنما يشفي الله، عز وجل. قال: أنا؟ قال: لا. قال: أولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله.

فأخذه أيضا بالعذاب، فلم يزل به حتى دل على الراهب، فأتى بالراهب فقال: ارجع عن دينك، فأبي، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه، وقال للأعمى: ارجع عن دينك، فأبي، فوضع المنشار في مفرق

رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض. وقال للغلام: ارجع عن دينك، فأبى، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا، وقال: إذا بلغت ذروته، فإن رجع عن دينه وإلا فدهدهوه من فوقه فذهبوا به، فلما علوا به الجبل قال: اللهم، اكفنيهم بما شئت. فرجف بهم الجبل فدهدهوا أجمعون. وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله.

فبعث به مع نفر في قرقور فقال: إذا لجحتم به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فغرقوه في البحر. فلججوا به البحر فقال الغلام: اللهم، اكفنيهم بما شئت. فغرقوا أجمعون، وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله.

ثم قال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، فإن أنت فعلت ما أمرك به قتلتي، وإلا فإنك لا تستطيع قتلي. قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصليني على جذع، وتأخذ سهمًا من كنانتي ثم قل: بسم الله رب الغلام، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتي. ففعل، ووضع السهم في كبد قوسه ثم رماه، وقال: باسم الله رب الغلام. فوقع السهم في صدغه، فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات، فقال الناس: آمنة برب الغلام. فقيل للملك: أرايت ما كنت تحذر؟ فقد والله نزل بك، قد آمن الناس كلهم.

فأمر بأفواه السكك فخذت فيها الأحاديد، وأضرمت فيها النيران، وقال: من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأقحموه فيها. قال: فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون، فجاءت امرأة بابتها ترضعه، فكأها تقاعست أن تقع في النار، فقال الصبي: اصبري يا أمه، فإنك على الحق<sup>١</sup>.

وسأذكر لكم بعض الأمثلة على من كفى الله نبيه ﷺ شرهم، وهي مصدقا قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (الحجر: ٩٥)

فمنهم **الأسود بن عبد يغوث**، وهو ابن خال رسول الله ﷺ، وقد كان يسخر من رسول الله ﷺ، فيقول له إذا لقيه: أما كلمت اليوم من السماء يا محمد.

وكان إذا رأى أصحابه قال: قد جاءكم ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسرى وقيصر، وما أشبه هذا القول<sup>٢</sup>.

فخرج من عند أهله، فأصابته السموم، فأسود وجهه حتى صار حبشيا، فأنى أهله فلم يعرفوه، وأغلقوا دونه الباب، فرجع متلدا حتى مات عطشا<sup>٣</sup>.

بالإضافة إلى هذا، فقد روي أن جبريل عليه السلام أوما إلى رأسه، فضربته الأكلة، فامتخض رأسه قيحا<sup>٤</sup>.  
بالإضافة إلى هذا، فقد روي أن جبريل عليه السلام حتى ظهره حتى احقوقف صدره، فقال رسول الله ﷺ خالي خالي، فقال: دعه عنك يا محمد فقد كفيته<sup>٥</sup>.

(١) رواه مسلم وأحمد وغيرهما.

(٢) رواه البلاذري.

(٣) رواه أبو نعيم بسند ضعيف عن ابن عباس، ورواه أيضا عن الربيع بن أنس.

(٤) ويقال أوما إلى بطنه فسقى بطنه ومات حبنا، رواه الطبراني والبيهقي والضياء بسند صحيح.

(٥) رواه ابن أبي حاتم والبلاذري بسند صحيح.



ومنهم **الحارث بن قيس السهمي**، وكان يأخذ حجرا يعبده، فإذا رأى أحسن منه تركه وأخذ الأحسن، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا﴾ (الفرقان: ٤٣) وكان يقول مستهزئا: لقد غر محمد نفسه وأصحابه أن وعدهم أن يحيوا بعد الموت، والله ما يهلكنا إلا الدهر ومرور الأيام والأحداث.

وكانت عقوبة الله له أن أكل حوتا مملوحا، فلم يزل يشرب عليه الماء حتى انقذ بطنه<sup>١</sup>، ويقال إنه أصابته الذبحة، وقال بعضهم: امتخض رأسه قيحا.

ومنهم **الأسود بن المطلب** بن أسد بن عبد العزى، وكان هو وأصحابه يتغامزون بالنبي ﷺ وأصحابه ويقولون: قد جاءكم ملوك الأرض، ومن يغلب على كنوز كسرى وقيصر، ثم يمشون ويصفرون. وكلم رسول الله ﷺ بكلام شق عليه فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يعمي الله بصره ويثكله ولده، فخرج يستقبل ابنه، وقد قدم من الشام، فلما كان ببعض الطريق جلس في ظل شجرة فجعل جبريل ﷺ يضرب وجهه وعينه بورقة من ورقها خضراء وبشوك من شوكة حتى عمي، فجعل يستغيث بغلامه، فقال له غلامه: ما أرى أحدا يصنع بك شيئا غير نفسك.

بالإضافة إلى هذا، فقد روي أن جبريل ﷺ أوما إلى عينيه فعمي فشغل عن رسول الله ﷺ.

ولما كان يوم بدر قتل ابنه زمعة بن الأسود، فتحقق بذلك ما دعا به رسول الله ﷺ عليه<sup>٢</sup>.

ومنهم **مالك بن الطلالة** بن عمرو بن غبشان، وكان سفيها فدعا عليه رسول الله ﷺ واستعاذ بالله من شره، فعصر جبريل بطنه حتى خرج ما في بطنه فمات<sup>٣</sup>.

ومنهم **العاصي بن وائل السهمي**، وقد كان من المستهزئين برسول الله ﷺ، فركب حمارا له — ويقال بغلة بيضاء — فلما نزل شعبا من تلك الشعاب، وهو يريد الطائف رضى به الحمار — أو البغلة — على شريقة فأصابت رجله شوكة منها، فانتفخت حتى صارت كعنق البعير ومات<sup>٤</sup>.

وقد ذكر خباب بن الأرت بعض سخريته بالمسلمين، فقال: كنت قينا — أي حدادا — في الجاهلية فعملت للعاصي بن وائل سيوفا، فجننته أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ، فقلت: لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث.

قال: وإني لميت ثم مبعوث؟! قلت: بلى.

قال: دعني أموت وأبعث، فنوتى مالا وولدا فأعطيتك هنالك حقا، والله لا تكون أنت وصاحبك يا خباب أترى عند الله مني ولا أعظم حظا.

فأنزل الله تعالى فيه: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (مریم: ٧٧)

(١) رواه عبد الرازق وابن جرير وغيرهما عن قتادة ومقسم مولى ابن عباس..

(٢) رواه البلاذري.

(٣) رواه ابن الكلبي والبلاذري.

(٤) رواه البلاذري، وذكر أبو نعیم بسند ضعيف عن ابن عباس أنه لما رضى به حماره أو البغلة لدغ، فمات مكانه

(٥) رواه البخاري ومسلم.

ومنهم **الحكم بن أبي العاصي بن أمية**، وكان ممن يؤدي رسول الله ﷺ يشتمه ويسمعه ما يكره. وكان رسول الله ﷺ يمشي ذات يوم وهو خلفه يلجج بأنفه وفمه فبقي على ذلك، وأظهر الإسلام يوم الفتح، وكان مغموصاً عليه في دينه، فاطلع يوماً على رسول الله ﷺ وهو في بعض حجر نسائه، فخرج إليه بعزّة، وقال: من عذيري من هذا الوزغة؟ لو أدركته لفقت عينه أو كما قال ﷺ، ولعنه وغربه من المدينة فلم يزل خارجاً منها إلى أن مات عمر بن الخطاب — رضي الله عنه —<sup>١</sup>.

وقد ذكره ابن عمر — رضي الله عنهما — فقال: كان رجل خلف النبي ﷺ يحاكيه ويلمض فرآه النبي ﷺ فقال: كذلك كن، فرجع إلى أهله، فلبط به مغشياً عليه شهراً، ثم أفاق حين أفاق، وهو كما يحاكي رسول الله ﷺ<sup>٢</sup>.

ومنهم **الوليد بن المغيرة**، فقد ذكر أنه مر برجل يقال له حراث بن عامر بن خزاعة، وهو يريش نبلاً له، ويصلحها فوطئ على سهم منها فخدشته خدشا يسيراً، ويقال علق بإزاره فخدش ساقه خدشا خفيفاً فأهوى إليه جبريل فانتفض الخدش وضربته الأكلة في رجله أو ساقه فمات<sup>٣</sup>.

وقد كان من كبار الساحرين من رسول الله ﷺ المستهزين به مع كونه حكيم قومهم ومرجعهم، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ذُرِّي وَمَنْ خَلَقَتْ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهْدَتْ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَفَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوْ آحَ لَلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠)﴾ (المدثر)

فقد ذكر ابن عباس سبب نزولها، فقال: دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن، فلما أخبره خرج على قريش فقال: يا عجبا لما يقول ابن أبي كبشة. فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذي من الجنون، وإن قوله لمن كلام الله.

فلما سمع بذلك النفراً من قريش ائتمروا، فقالوا: والله لئن صبا الوليد لتصبون قريش، فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال: أنا والله أكفيكم شأنه.

فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال للوليد: ألم تر قومك قد جمعوا لك الصدقة؟ فقال: أليست أكثرهم مالا وولدا. فقال له أبو جهل: يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه، فقال الوليد: أقد تحدث به عشيرتي؟! فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة، ولا عمر، ولا ابن أبي كبشة، وما قوله إلا سحر يؤثر. فأنزل الله على رسوله ﷺ هذه الآيات.

وقال قتادة: زعموا أنه قال: والله لقد نظرت فيما قال الرجل فإذا هو ليس بشعر، وإن له حللوة، وإن

(١) رواه البلاذري.

(٢) رواه أبو الشيخ وابن مردويه، وهذا المبهم الظاهر أنه الحكم.

(٣) رواه البلاذري.

عليه لطلاوة، وإنه ليعلو وما يعلى، وما أشك أنه سحر، فأنزل الله: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ الآية. وقد روي أنه جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام، فأتاه فقال: أي عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا. قال: لم؟ قال: يعطونك، فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قبله. قال: قد علمت قريش أبي أكثرها مالا. قال: فقل فيه قولا يعلم قومك أنك منكر لما قال، وأنت كاره له. قال: فماذا أقول فيه؟ فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقوله شيئاً من ذلك. والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو وما يعلى. فقال له أبو جهل: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر فيه. فلما فكر قال: إن هذا سحر يآثره عن غيره. فترلت الآيات.

ومن كبار المستهزئين **أبو هلب**، وكان من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ، وكان يطرح القدر والنتن على باب رسول الله ﷺ، فرآه حمزة بن عبد المطلب وقد طرح من ذلك شيئاً، فأخذه وطرحه على رأسه، فجعل أبو هلب ينفذ رأسه ويقول: صابئ أحقق، فأقصر عما كان يفعل، لكنه كان يدس من يفعله<sup>١</sup>. وعن عائشة — رضي الله عنها — قالت: قال رسول الله ﷺ كنت بين شر جارين، بين أبي هلب وعقبة بن أبي معيط، إن كانا ليأتيان بالفروث فيطر حائفاً على أبي.

قالت: وكان رسول الله ﷺ يقول: يا بني عبد مناف أي حوار هذا؟ ثم يعيطه عن يابه<sup>٢</sup>. وقد تحدث ابن عباس — رضي الله عنهما — عن مشهد من مشاهد حربه لرسول الله ﷺ فذكر أن رسول الله ﷺ لما نزلت: ﴿وَإِنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤) صعد رسول الله ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي لبطون من قريش، حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً ينظر ما هو، فجاء أبو هلب وقريش فقال رسول الله ﷺ: (أرأيتم لو أخبرتمكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟) قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال: فأنا لكم نذير بين يدي عذاب شديد. فقال أبو هلب: تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا، فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسد: ١)<sup>٣</sup> ولما خوفه النبي ﷺ بالعذاب قال: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فإني أفندي منه بمالي وولدي فأنزل: ﴿مَا آغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ (المسد: ٢)

وقد عاقبه الله تعالى بأن مات بداء يعرف بالعداسة، كانت العرب تتشاءم به، وتفر من ظهره به، فلما أصاب أبا هلب تركه أهله حتى مات، ومكث مدة لا يدفن حتى خافوا العار، فحفروا له حفرة، فرموه فيها. ومن كبار المستهزئين **عتبة بن أبي هلب**، فقد روي أنه قال: يا محمد هو يكفر بالذي دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فقال رسول الله ﷺ: (سلط عليه كلبا من كلابك) وكان أبو هلب يحتمل البز إلى الشام، ويبعث بولده مع غلمانة ووكلائه، ويقول: إنكم قد عرفتم سني

(١) رواه البلاذري.

(٢) رواه البلاذري.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

وحقني، وإن محمدا قد دعا على ابني دعوة، والله ما أمنها عليه، فتعاهدوه، فكانوا إذا نزلوا المتزل أرفوه الى الحائط وغطوا عليه الثياب والمتاع حتى نزلوا في مكان من الشام يقال له الزرقاء ليلا، فطاف بهم الأسد، فجعل عتبة يقول: يا ويل أُمي هو والله آكلي كما دعا محمد علي، قتلني محمد وهو بمكة وأنا بالشام، لا والله ما أظلت السماء على ذي لهجة أصدق من محمد، ثم وضعوا العشاء، فلم يدخل يده فيه، ثم جاء النوم، فحاطوا أنفسهم بمتاعهم ووسطوه بينهم، وناموا فجاء الاسد يهمس يستششق رؤوسهم رجلا رجلا، حتى انتهى إليه.

وقال هبار: فجاء الاسد فشم وجوهنا فلما لم يجد ما يريد تقابض ثم وثب، فإذا هو فوق المتاع، فشم وجهه ثم هزمه هزمة، ففضخ رأسه فقال وهو بأخر رمق: ألم أقل لكم إن محمدا أصدق الناس؟ ومات، فبلغ ذلك أبا لهب، فقال: ألم أقل لكم اني أخاف عليه دعوة محمد؟ قد والله عرفت ما كان لينفعلت من دعوة محمد<sup>١</sup>. ومن كبار المستهزئين **أم جميل زوجة أبي لهب**، وأخت أبي سفيان، وقد كانت تؤذي رسول الله ﷺ كثيرا، وهي حمالة الحطب، وإنما سماها الله تعالى بذلك لأنها كانت تحمل الشوك فتطرحة بالليل على طريق رسول الله ﷺ حيث يمر هو وأصحابه لتعقرهم بذلك.

فبينا هي ذات يوم تحمل حزمة أعيت فقعدت على حجر تستريح أتاها ملك فجذبها من خلفها بالحبل الذي في عنقها فخنقها به.

ومنهم **رجل كان يخنج بوجهه** إذا تكلم النبي ﷺ، فعن عبد الرحمن بن أبي بكر قال: كان رجل يجلس إلى النبي ﷺ فإذا تكلم النبي ﷺ بشئ اختلج بوجهه، فقال له النبي ﷺ: (كن كذلك)، فلم يزل يخنج حتى مات<sup>٢</sup>.

ومنهم **ناس كانوا يغمزون في قفاه** ﷺ فعن ابن عباس — رضي الله عنه — قال: مر النبي ﷺ على ناس بمكة، فجعلوا يغمزون في قفاه، ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي، ومعه جبريل، فغمز جبريل، فوقع مثل الظفر في أحسادهم، فصارت قروحا حتى نتنوا، فلم يستطع أحد أن يدنو منهم فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (الحجر: ٩٥)<sup>٣</sup>

ومنهم **نفر من اليهود أرادوا الفتك به** ﷺ فقد روي أن رسول الله ﷺ خرج الى بني النضير يستعينهم في عقل الكلابيين، فقالوا: اجلس يا أبا القاسم، حتى تطعم وترجع بجاحتك، فجلس ومن معه في ظل جدار ينتظرون أن يصلحوا أمرهم فلما خلوا والشيطان معهم ائتمروا بقتل رسول الله ﷺ فقالوا: لن تجدوه من الآن، فقال رجل منهم: إن شئتم ظهرت فوق البيت الذي هو تحته فذليت عليه حجرا فقتلته، فجاءوا إلى رحي عظيمة ليطرحوها عليه، فأمسك الله عنها أيديهم، وأخبره بما ائتمروا به من شأنه، فقام ورجع أصحابه، ونزل القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ

---

(١) رواه البيهقي وابو نعيم عن أبي نوفل بن أبي عقرب عن أبيه، والبيهقي عن قتادة وأبو نعيم وابن عساكر عن عروة عن هبار بن الاسود، وابو نعيم عن طائوس، وابن اسحاق وابو نعيم عن محمد بن كعب القرظي، يزيد بعضهم على بعض.

(٢) رواه أبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي.

(٣) رواه البزار والطبراني.

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿المائدة: ١١﴾<sup>١</sup>.

ومنهم **نفر أرادوا قتله** ﷺ، فعن محمد بن كعب القرظي — رضي الله عنه — قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة ظليلة فيقبل تحتها، فأتاه أعرابي فاخترط سيفه، ثم قال: من يمنحك مني؟ قال: الله، فرعدت يد الاعرابي، وسقط السيف منه، وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿المائدة: ٦٧﴾<sup>٢</sup>

ومن كبار المستهزين **أبو الأصداء**، وقد كان ممن يؤذي رسول الله ﷺ، وكان يقول له: إنما يعلمك أهل الكتاب أساطيرهم، ويقول للناس: هو معلم مجنون، فدعا عليه رسول الله ﷺ، فإنه لعلى جبل إذا اجتمعت عليه الأروى، فنطحته حتى قتلتها<sup>٣</sup>.

ومنهم **أمية بن خلف الجمحي**، وقد كان إذا رأى رسول الله ﷺ همزه ولززه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَلِّ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لَمْزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْفَائِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ (٨) فِي عَمْدٍ مُّمدَّدَةٍ (٩)﴾ ﴿الهمزة﴾<sup>٤</sup>

ومنهم **النضر بن الحارث**، وقد كان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلسا فدعا فيه إلى الله، وتلا عليهم القرآن، وحذر قريشا ما أصاب الأمم الماضية خلفه في مجلسه إذا قام فحدثهم عن ملوك الفرس، ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثا مني، وما أحاديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿الفرقان: ٥﴾

قال ابن إسحاق: وجلس رسول الله ﷺ يوما مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله ﷺ فعرض له النضر، فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هُوَ لِآلِهَةٍ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠)﴾ ﴿الأنبياء﴾  
ثم قام رسول الله ﷺ وأقبل عبد الله بن الزبيرى — وأسلم بعد ذلك — حتى جلس إليهم، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبيرى: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب أنفا وما قعد، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حسب جهنم.

فقال عبد الله: أما والله ولو وجدته لخصمته، فسلوا محمدا أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد عيسى ابن مريم.

---

(١) رواه ابن جرير عن عكرمة وبرير بن أبي زياد وعبد الحميد عن مجاهد وابن إسحاق عن عاصم بن عمر، وابن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، وابو نعيم والبيهقي عن الزهري وعروة بن الزبير.  
(٢) رواه ابن جرير.  
(٣) رواه البلاذري.  
(٤) رواه ابن إسحاق.

فَعَجِبَ الْوَلِيدُ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فِي الْمَجْلِسِ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ، وَرَأَوْا أَنَّهُ قَدْ احْتَجَّ وَخَاصَمَ.  
فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْبُدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَهُوَ  
مَعَ مَنْ عِبَدَهُ، إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ وَمَنْ أَمَرْتُمْ بِعِبَادَتِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا  
الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠١)

وَمِنْهُمْ **الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيْقِ النَّفْقِيِّ**، وَكَانَ مِنْ أَشْرَافِ الْقَوْمِ، وَمَنْ يَسْتَمِعُ مِنْهُ، وَكَانَ يَصِيبُ مِنْ رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ وَيُرِدُ عَلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٌ مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ  
مُعْتَدٍ أَتِيمٍ (١٢) عُنْتُ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ  
(١٥)﴾ (القلم)

وَمِنْهُمْ **أَبِي بِنِ خَلْفٍ وَعَقْبَةُ بْنُ أَبِي مَعِيْطٍ**، وَكَانَا مُتَصَافِيَيْنِ حَسَنًا مَا بَيْنَهُمَا.  
وَقَدْ رَوَى أَنَّ عَقْبَةَ بْنَ أَبِي مَعِيْطٍ كَانَ يَجْلِسُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ وَلَا يُؤْذِيهِ وَكَانَ رَجُلًا حَلِيمًا، وَكَانَ  
بِقِيَّةِ قَرِيْشٍ إِذَا جَلَسُوا مَعَهُ آذَوْهُ، وَكَانَ لِأَبِي مَعِيْطٍ خَلِيلٌ غَائِبٌ عَنْهُ بِالشَّامِ — فِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ أُمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ —  
فَقَالَتْ قَرِيْشٌ: صَبَأٌ أَبُو مَعِيْطٍ.

وَقَدِمَ خَلِيلُهُ مِنَ الشَّامِ لَيْلًا، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: مَا فَعَلَ مُحَمَّدٌ مَّا كَانَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَتْ: أَشَدُّ مَا كَانَ أَمْرًا، فَقَالَ: مَا  
فَعَلَ خَلِيلِي أَبُو مَعِيْطٍ؟ فَقَالَتْ: صَبَأٌ.

فَبَاتَ بَلِيْلَةً سَوْءًا، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَنَّهُ أَبُو مَعِيْطٍ، فَحِيَاهُ فَلَمْ يَرِدْ عَلَيْهِ التَّحِيَّةُ فَقَالَ: مَا لَكَ لَا تَرُدُّ عَلَيَّ تَحِيَّةً،  
فَقَالَ: كَيْفَ أَرُدُّ عَلَيْكَ تَحِيَّتَكَ وَقَدْ صَبَأَتْ؟

قَالَ: أَوْفَدَ فَعَلَتْهَا قَرِيْشٌ؟

ثُمَّ قَالَ: مَا يَبْرَأُ صَدُورُهُمْ إِنْ أَنَا فَعَلْتُ؟ قَالَ: تَأْتِيهِ فِي مَجْلِسِهِ، فَتَبْرِقُ فِي وَجْهِهِ وَتَشْتَمُهُ بِأَخْبَثِ مَا تَعْلَمُ  
مِنَ الشَّتْمِ، فَفَعَلَ، فَلَمْ يَزِدْ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ مَسَحَ وَجْهَهُ مِنَ الْبِرَاقِ<sup>١</sup>.

وَقَدْ رَوَى أَنَّ عَقْبَةَ لَمَّا تَغَلَّ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ رَجَعَ مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَى وَجْهِهِ، فَصَارَ بَرَصًا.

وَقَالَ أَبُو بِنِ خَلْفٍ: وَاللَّهِ لِأَقْتُلَنَّ مُحَمَّدًا، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: بَلْ أَنَا أَقْتُلُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَلَمَّا بَلَغَ أَبِيَا ذَلِكَ أَفْرَعَهُ لَهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَوْلًا إِلَّا كَانَ حَقًّا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَخَرَجَ  
أَصْحَابُ عَقْبَةَ، أَبِي أَنْ يَخْرُجَ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: أَخْرَجَ مَعَنَا، فَقَالَ: قَدْ وَعَدَنِي هَذَا الرَّجُلُ إِنْ وَجَدَنِي خَارِجًا مِنْ  
جِبَالِ مَكَّةَ أَنْ يَضْرِبَ عُنُقِي صَبْرًا، فَقَالُوا: لَكَ جَمَلٌ أَحْمَرٌ لَا يَدْرِكُ فُلُوكَ كَانَتْ الْهَزِيمَةُ طَرَتْ عَلَيْهِ.

فَخَرَجَ مَعَهُمْ، فَلَمَّا هَزَمَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ، وَحَلَّ بِهِ جَمَلُهُ فِي أَحْدُودٍ مِنَ الْأَرْضِ فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَسِيرًا فِي  
سَبْعِينَ مِنْ قَرِيْشٍ وَقَدِمَ إِلَيْهِ أَبُو مَعِيْطٍ فَقَالَ: أَتَقْتُلَنِي بَيْنَ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَمَقَامٌ إِلَيْهِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَضْرَبَ  
عُنُقَهُ، وَلَمْ يَقْتُلْ مِنَ الْأَسَارَى يَوْمَئِذٍ غَيْرَهُ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أَحَدٍ خَرَجَ أَبُو مَعِيْطٍ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فَجَعَلَ يَلْتَمِسُ غَفْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَحْمِلَ عَلَيْهِ، فَيَحْوِلُ رَجُلًا  
بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَبَيْنَهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: خَلَوْا عَنْهُ.

(١) رواه ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل بسند صحيح.

فأخذ الحربة ورماه بها، فوقعت في ترقوته، فلم يخرج منه دم كثير واحتقن الدم في جوفه، فجعل يخور كما يخور الثور فاحتمله أصحابه وهو يخور فقالوا: ما هذا الذي بك! فوالله ما بك إلا خدش، فقال: والله لو لم يصيبني إلا بريقه لقتلني! أليس قد قال: أنا أقتله، والله لو كان الذي بي بأهل ذي الجواز لقتلهم، فما لبث إلا يوماً حتى مات.

وأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي أَبِي مَعِيْطٍ: ﴿ وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾ (الفرقان: ٢٧)<sup>١</sup>

ومنهم **أبو جهل** عمرو بن هشام، وقد كناه رسول الله ﷺ بذلك وكان يكنى قبل ذلك أبا الحكم<sup>٢</sup>. قال ابن إسحاق: ولقي أبو جهل بن هشام رسول الله ﷺ، فقال له: والله يا محمد لتتركن سب آلهتنا أو لنسين إلهك الذي تعبد، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (الأنعام: من الآية ١٠٨)

وقد روي أن رسول الله ﷺ لقي أبا جهل، فقال: (إن الله تعالى أمرني أن أقول لك: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ (القيامة: ٣٤ - ٣٥)، فترع ثوبه من يده وقال: ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء، ولقد علمت أني أمتع أهل البطحاء، وأنا العزيز الكريم، فقتله الله تعالى يوم بدر وأذله وعيره بكلمته، وَأَنْزَلَ: ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ (٤٣) طَعَامٌ لِلْإِيمَانِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ (٤٦) خُدُّهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْحَمِيمِ (٤٧) ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) ﴾ (الدخان)<sup>٣</sup>

هذا في حياته..

أما بعد وفاته، فقد روي من ذلك الكثير، حتى أن المسلمين صاروا يتفعلون بتصدي الأعداء لمقام رسول الله ﷺ لأنهم يعلمون أن الله سينصره لا محالة، وقد ذكر ابن تيمية هذا، فقال: (إن الله منتقم لرسوله ممن طعن عليه وسبه، ومُظْهِرٌ لِدِينِهِ وَلِكَذِبِ الكاذبِ إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد، ونظير هذا ما حَدَّثَنَا أَعْدَادُ من المسلمين العُدُول، أهل الفقه والخبرة، عمَّا جربوه مراتٍ متعددةٍ في حَصْرِ الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا، قالوا: كنا نحن نَحْصِرُ الحِصْنَ أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نبأس منه، حتى إذا تعرض أهلُه لسَبِّ رسول الله ﷺ والوقية في عرضه تَعَجَّلْنَا فتحه وتيسر، ولم يكد يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عنوة، ويكون فيهم ملحمة عظيمة، قالوا: حتى إن كنا لَنَتَبَاشَرُ بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه، مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوا فيه ) وقد اشتهر هذا الأمر حتى صار من الجربات التي لا تملك العقول إلا التسليم لها، قال ابن تيمية: (وهكذا حدثني بعض أصحابنا الثقات أن المسلمين من أهل الغرب — يعني المغرب — حالهم مع النصارى كذلك، ومن

(١) رواه ابن أبي حاتم.

(٢) رواه البلاذري وغيره.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤١٨/٧) وهو مرسل..

سنة الله أن يعذب أعداءه تارة بعذاب من عنده وتارة بأيدي عباده المؤمنين<sup>١</sup>

---

(١) الصارم المسلول ص ١١٦-١١٧.



## ٦ — جند الهداية

ومن الجنود التي أيد الله بها نبيه ﷺ وحماه بها من مؤامرات أعدائه الكثيرة جند الهداية، وذلك بأن ييث الله في قلوب من يبغضون رسول الله ﷺ، أو من يريدون به شرا الإيمان ومحبة رسول الله ﷺ، فيتحولون من سبه إلى حبه، ومن من حربه إلى الحرب عنه.

ولعل من أشهر الأمثلة على ذلك **عمر بن الخطاب** — رضي الله عنه —، فقد كان في جاهليته شديد العداوة للإسلام ولمحمد ﷺ.

وقد ذكرت إحدى السابقات للإسلام، وهي أم عبد الله بنت أبي حثمة، وكانت زوج عامر بن ربيعة، كيف كان المسلمون الأوائل يستعدون إسلامه قبل أن يسلم، فقالت: إنا نرحل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر لبعض حاجته، إذ أقبل عمر وهو على شركه حتى وقف علي.

وكنا نلقي منه البلاء أذى، وشدة فقال: أنتطلقون يا ام عبد الله؟ قالت: قلت: نعم والله، لنخرجن في أرض الله فقد آذيتونا، وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا فرجا.

قالت: فقال سبحانه الله، قالت: فلما عاد عامر أخبرته، وقلت له: لو رأيت عمر، ورقته، وحزنه علينا! قال: أطمعت في إسلامه؟ قلت: نعم، فقال: لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب لما كان يرى من غلظته، وشدته على المسلمين.

ولكن الله هداه فأسلم في موقف عدائي شديد لرسول الله ﷺ:

وقصة ذلك كما يرويها المؤرخون، وكما يحكيها هو نفسه، هي أن أخته فاطمة بنت الخطاب كانت تحت سعيد بن يزيد بن عمرو العدوي، وكانا مسلمين يخفيان إسلامهما من عمر، وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة يقرأها القرآن فخرج عمر يوما ومعه سيفه يريد النبي ﷺ، والمسلمين وهم مجتمعون في دار الأرقم عند الصفا، وعنده من لم يهاجر من المسلمين في نحو أربعين رجلا، فلقيه نعيم بن عبد الله فقال: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمدا الذي فرق أمر قريش، وعاب دينها، فأقتله.

فقال نعيم: والله لقد غرتك نفسك، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض، وقد قتلت محمدا!؟ أفلا ترجع إلى أهلِكَ فتقيم أمرهم؟

فقال عمر: وأي أهلي!؟ قال: ختنك، وابن عمك سعيد بن زيد، واختك فاطمة، فقد أسلما.

فرجع عمر إليهما، وعندهما خباب بن الأرت يقرئهما القرآن.

فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب، وأخذت فاطمة الصحيفة، وألقته تحت فخذيها، وقد سمع عمر قراءة خباب.

فلما دخل قال: ما هذه الهيمنة!؟ قالوا: سمعت شيئا؟ قال: بلى، قد أخبرت أنكما تابعتما محمدا.

وبطش بختنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته لتكفه، فضرها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته: قد

أسلمنا، وآمنا بالله، ورسوله، فاصنع ما شئت.

ولما رأى عمر ما باخته من الدم ندم، وقال لها: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتم تقرأون فيها الآن حتى أنظر إلى ما جاء به محمد، قالت: إنا نخشاك عليها، فحلف أنه يعيدها.

ثم قالت له — وقد طمعت في إسلامه —: إنك نجس على شركك، ولا يمسه إلا المطهرون، فقام، واغتسل، فأعطته الصحيفة وقرأ فيها: طه، وكان كاتباً فلما قرأ بعضها قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه.

فلما سمع خباب ذلك خرج إليه وقال: أبشر يا عمر، فإنني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب، أو بعمر بن هشام.

فقال عمر عند ذلك: فدلي يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم.

فدله خباب فأخذ سيفه، وجاء إلى النبي ﷺ، وأصحابه فضرب عليهم الباب فقام رجل منهم فنظر من خلل الباب فرآه متوشحاً سيفه، فأخبر النبي ﷺ بذلك.

فقال حمزة: إذن له، فإن كان يريد خيراً بذلناه له، وإن أراد شراً قتلناه بسيفه.

فأذن له فنهض إليه النبي ﷺ حتى لقيه، فأخذ بمجامع رداءه، ثم جذبه جذبة شديدة، وقال: ما جاء بك؟ ما أراك تنتهي حتى يتزل الله عليك قارعة.

فقال عمر: يارسول الله جئت لأؤمن بالله، وبرسوله، فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف من في البيت أن عمراً أسلم.

قال عمر: لما أسلمت أتيت باب أبي جهل بن هشام، فضربت عليه بابه، فخرج إلي وقال: مرحبا يا بن أخي! ما جاء بك؟ قلت: جئت لآخبرك أي قد أسلمت، وآمنت بمحمد ﷺ، وصدقت ما جاء به.

قال: فضرب الباب في وجهي، وقال: قبحك الله، وقبح ما جئت به<sup>١</sup>.

وقد حدث عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — نفسه عن سبب إسلامه، فقد خاطب مرة بعض الصحابة، فقال: أتحبون أن أعلمكم كيف كان بدو إسلامي؟ قلنا: نعم، قال: كنت من أشد الناس على رسول الله ﷺ، فبينما أنا يوماً في يوم شديد الحر بالهجرة، في بعض طرق مكة، إذ لقيني رجل من قريش فقال: أين تذهب يا بن الخطاب؟ أنت تزعم أنك هكذا، وقد دخل عليك هذا الامر في بيتك قال: قلت: وما ذاك؟ قال: احتك قد صبأت قال: فرجعت مغضباً.

وقد كان رسول الله ﷺ يجمع الرجل، والرجلين إذا أسلما عند الرجل به قوة فيكونان معه، ويصبيان من طعامه، وقد كان ضم إلى زوج أختي رجلين.

قال: فجئت حتى قرعت الباب فقبل من هذا؟ قلت: ابن الخطاب.

قال: وكان القوم جلوساً يقرؤون القرآن في صحيفة معهم، فلما سمعوا صوتي تبادروا، واختفوا، وتركوا، أو نسوا الصحيفة من أيديهم، فقامت المرأة ففتحت لي.

فقلت: يا عدوة نفسها، قد بلغني أنك صبوت، قال: فأرفع شيئاً في يدي فأضربها به قال: فسال الدم:

(١) انظر: الكامل في التاريخ: ٢ / ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧، نور الابصار: ص ٥٤، الرياض النضرة: ١ / ٢٢٢ - ٢٢٦

ترجمة عمر.

قال: فلما رأته المرأة الدم بكت، ثم قالت: يابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد أسلمت.  
قال: فدخلت، وأنا مغضب، فجلست على السرير، فنظرت فإذا بكتاب في ناحية البيت، فقلت: ما هذا الكتاب؟ أعطينيهِ.

فقلت: لا اعطيك لست من أهله، أنت لا تغتسل من الجنابة، ولا تطهر، وهذا ﴿ لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ (الواقعة: ٧٩)

قال: فلم أزل بها حتى أعطتنيهِ فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، فلما مررت بالرحمن الرحيم، ذعرت، ورميت بالصحيفة من يدي.

قال: ثم رجعت إلي نفسي، فإذا فيها: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الحديد: ١)

قال: فكلما مررت باسم من أسماء الله عزوجل ذعرت، ثم ترجع إلي نفسي حتى بلغت: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (الحديد: ٨)، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمد رسول الله.

ولما أسلم عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — قال: أي أهل مكة أنقل للحديث فقالوا: جميل بن معمر، فخرج عمر، حتى أتاه فقال: يا جميل هل علمت أني أسلمت؟ فو الله ما راجعه الكلام حتى قام يجر رداءه، وخرج عمر يتبعه، حتى إذا قام على باب مسجد الكعبة صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش إن عمر قد صبا. ومنهم **أبو سفيان بن الحارث** أخو النبي ﷺ من الرضاع، فقد كان يألف النبي ﷺ أيام الصبا وكان له ترباً، فلما بعث النبي ﷺ عاداه أبو سفيان عداوة لم يعاها أحدًا قط، وهجا رسول الله ﷺ وهجا أصحابه، ثم شاء الله أن يكفي رسوله ﷺ لسان أبي سفيان وهجاءه، لا بإهلاكه، وإنما بمدايته.

وحدث أبو سفيان عن نفسه، فقال: ثم إن الله ألقى في قلبي الإسلام، فسرت وزوجي وولدي حتى نزلنا بالأبواء، فتنكرت وخرجت حتى صرت لتلقاء وجه النبي ﷺ، فلما ملأ عينيه مني أعرض عني بوجهه إلى الناحية الأخرى، فتنحلت إلى ناحية وجهه الأخرى.

قالوا: فما زال أبو سفيان يتبعه، لا يتزل متزلاً إلا وهو على بابه ومع ابني جعفر وهو لا يكلمه، حتى قال أبو سفيان: والله ليأذن لي رسول الله ﷺ أو لآخذن بيد ابني هذا حتى نموت عطشاً أو جوعاً، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما فدخلا عليه.

ومنهم **شيبه بن عثمان**، فقد خرج من بيته يريد قتل رسول الله ﷺ، فلم يرجع إلا بحبه والإيمان به. وقد حدث عن قصة ذلك، فقال: لما كان عام الفتح دخل رسول الله ﷺ مكة، وغزا حنيناً، قلت أسير مع قريش إلى هوازن، فعمسى إن اختلطوا أن أصيب من محمد غرة، وتذكرت أبي وقتله حمزة، وعمي وقتله علي بن أبي طالب، فقلت: اليوم أدرك ثاري من محمد، وأكون أنا الذي قمت بثار قريش كلها، وأقول: لو لم يبق من العرب والعجم أحد إلا اتبع محمدا ما تبعته أبداً، فكنت مرصداً لما خرجت له، لا يزداد الأمر في نفسي إلا قوة.

فلما اختلط الناس، اقتحم رسول الله ﷺ عن بغلته، وأصلت السيف، ودنوت منه، أريد ما أريد، فجتته من عن يمينه، فإذا العباس قائم عليه درع بيضاء، قلت: عمه لن يخذله، فجتته من عن يساره، فإذا بابي سفيان بن الحارث فقلت: ابن عمه لن يخذله، فجتته من خلفه، فلم يبق إلا أن أسورة سورة بالسيف إذ رفع إلي فيما بيني وبينه شواظ من نار كانه برق، فخفت أن يتمحشني، فوضعت يدي على بصري، خوفا عليه، ومشيت القهقري، وعملت أنه ممنوع.

فالتفت إلي، وقال: (يا شيب أدن مني)، فدنوت منه، فوضع يده على صدري وقال: (اللهم أذهب عنه الشيطان)، فرفعت إليه رأسي وهو أحب إلي من سمعي وبصري وقلبي، ثم قال: (يا شيبه قاتل الكفار) فتقدمت بين يديه أحب — والله — أن أقيه بنفسي كل شيء، فلما انهزمت هوازن رجع إلى منزله ودخلت عليه فقال: (الحمد لله الذي أراد بك خيرا مما أردت)، ثم حدثني بما هممت به ﷺ<sup>١</sup>.

ومنهم **النضير بن الحارث**<sup>٢</sup> الذي حدث عن نفسه، فقال: الحمد لله الذي أكرمنا بالاسلام ومن علينا بمحمد ﷺ، ولم نمت على ما مات عليه الآباء، فذكر حديثنا طويلا، ثم قال: خرجت مع قوم من قريش، هم على دينهم بعد أبو سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، ونحن نريد إن كانت دبرة على محمد أن نغير عليه فيمن يغير، فلما تراءت الفتتان ونحن في حيز المشركين حملت هوازن حملة واحدة، ظننا أن المسلمين لا يجيرونها أبدا، ونحن معهم وأنا أريد بمحمد ما أريد.

وعمدت له فإذا هو في وجوه المشركين واقف على بغلة شهباء حولها رجال بيض الوجوه، فأقبلت عامدا إليه، فصاحوا بي: إليك، فأرعب فوادي وأرعدت جوارحي، فقلت: هذا مثل يوم بدر، إن الرجل لعلي حق، وإنه لمصوم، وأدخل الله تعالى في قلبي الاسلام وغيره عما كنت أهم به.

فما كان حلب ناقه حتى كر أصحاب رسول الله ﷺ كرة صادقة، وتنادت الانصار بينها: الكرة بعد الفرة: يا للخزرج، يا للخزرج، فحظمونا حطاما، فرقوا شملنا، وتشتت أمرنا، وهمة كل رجل نفسه.

فتنحيت في غبرات الناس حتى هبطت بعض أودية أوطاس فكمنت في خمر شجرة لا يهتدي إلي أحد إلا أن يدلّه الله تعالى علي، فمكنت فيه أياما وما يفارقني الرعب مما رأيت، ومضى رسول الله ﷺ إلى الطائف، فاقام ما أقام، ثم رجع إلى الجعرانة، فقلت: لو صرت إلى الجعرانة، فقاربت رسول الله ﷺ ودخلت فيه المسلمون، فما بقي فقد رأيت عبرا، وقد ضرب الاسلام بجرانه، ولم يبق أحد، ودانت العرب والعجم لمحمد ﷺ فغز محمد لنا عز، وشرفه لنا شرف.

فو الله إني لعلي ما أنا عليه إن شعرت إلا برسول الله ﷺ يلقياني بالجعرانة كنة لكنة فقال: (النضير؟) قلت: لبيك، فقال: (هذا خير لك مما أردت يوم حنين مما حال الله بينك وبينه)

فأقبلت إليه سريعا، فقال: (قد آن لك أن تبصر ما أنت فيه توضع)، قلت: قد أرى أن لو كان مع الله

(١) رواه ابن سعد وابن عساكر عن عبد الملك بن عبيد، وأبو القاسم البغوي، والطبراني، والبيهقي، وأبو نعيم، وابن عساكر عن عكرمة.

(٢) وهو غير النضير بن الحارث الذي مات على كفره.

تعالى لها غيره لقد أعنى شيئا، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنت رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: (اللهم زده ثباتا)، قال النضير: فوالله الذي بعثه بالحق لكأن قلبي حجر ثباتا في الدين وبصيرة في الحق، وذكر الحديث<sup>١</sup>.

ومنهم **صفوان بن أمية الجمحي**، الذي حدث عن نفسه، فقال: ما زال رسول الله ﷺ يعطيني من غنائم حنين، وهو أبغض الخلق إلي حتى ما خلق الله تعالى شيئا هو أحب إلي منه<sup>٢</sup>.

وقال محمد بن عمر: يقال إن صفوان طاف مع رسول الله ﷺ يتصفح الغنائم إذ مر بشعب مملوء إبلا مما أفاء الله به على رسوله ﷺ فيه غنم وإبل ورعاؤها مملوء، فاعجب صفوان وجعل ينظر إليه، فقال رسول الله ﷺ: (أعجبك هذا الشعب يا أبا وهب؟) قال: نعم، قال: (هو لك بما فيه)، فقال صفوان: أشهد أنك رسول الله ﷺ ما طابت بهذا نفس أحد قط إلا نبي.

وقد كان سلوك رسول الله ﷺ مع هؤلاء هو السر في كل ذلك التحول الذي انتقلوا به من حربه وسبه إلى الإيمان به ومحبته.

وسأضرب لكم مثلا على هذا بصفوان بن أمية — الذي حدثتكم حديثه — فقد خرج بعد فتح مكة يريد جدة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير بن وهب: يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومي، وقد خرج هاربا منك، ليقذف نفسه في البحر، فأمنه ﷺ قال: (هو آمن)

فخرج عمير حتى أدركه، وهو يريد أن يركب البحر، وقال صفوان لغلامه يسار — وليس معه غيره —: ويح! أنظر من ترى؟ قال: هذا عمير بن وهب، قال صفوان: ما أصنع بعمير بن وهب، والله ما جاء إلا يريد قتلي، قد ظاهر علي محمدا، فلحقه فقال: يا أبا وهب جعلت فداك، جئت من عند أبر الناس، وأوصل الناس، فداك أبي وأمي الله الله في نفسك أن تهلكها، هذا أمان من رسول الله ﷺ قد جئتك به.

فقال: ويحك، أغرب عني فلا تكلمني، فقال عمير: أي صفوان فداك أبي وأمي.. أفضل الناس وأبر الناس وخير الناس ابن عمك، عزه عرك، وشرفه شرفك وملكه ملكك.

فقال صفوان: إني أخافه على نفسي، فقال عمير: هو أحلم من ذلك وأكرم، قال: ولا أرجع معك حتى تأتي بي علامة أعرفها، فقال: امكث مكانك حتى آتيك بها.

فرجع عمير إلى رسول الله ﷺ فقال: إن صفوان أبي أن يأنس لي حتى يرى منك أمانة يعرفها، فترع رسول الله ﷺ عمامته فأعطاه إياها، وهي البرد الذي دخل فيه رسول الله ﷺ معتجرا به برد حيرة.

فرجع معه صفوان حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ وهو يصلي بالمسلمين العصر في المسجد، فلما سلم رسول الله ﷺ صاح صفوان: يا محمد، إن عمير بن وهب جاءني ببردك، وزعم أنك دعوتني إلى القدوم عليك، فان رضيت أمرا وإلا سيرتني شهرين، فقال ﷺ: (انزل أبا وهب)، قال: لا والله حتى تبين لي قال: (بل لك تسيير أربعة أشهر)

(١) رواه الواقدي في المغازي.

(٢) رواه البخاري.

فتزل صفوان، ولما خرج رسول الله ﷺ إلى هوازن وفرق غنائمها فرأى رسول الله ﷺ صفوان ينظر إلى  
شعب مألآن نعمًا وشاء ورعاء، فأدام النظر إليه، ورسول الله ﷺ يرمقه فقال: (يا أبا وهب يعجبك هذا  
الشعب؟) قال: نعم قال: (هو لك وما فيه )  
فقبض صفوان ما في الشعب، وقال عند ذلك: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي، أشهد أن لا إله  
إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأسلم مكانه<sup>١</sup>.

---

(١) رواه ابن إسحاق عن عروة بن الزبير، والبيهقي عن الزهري.

## ٧ — جند العقوبة

ومن الجند الذي حمى الله به نبيه ﷺ كما حمى به سائر الأنبياء ما رتب على الاستهزاء بالنبي أو السخرية منه أو استنقاصه من ألوان العقوبة.

وليس ذلك خاصا بالنبي ﷺ، بل يعم سائر الأنبياء ...  
والعقوبا نوعان: عقوبات دنيوية، وعقوبات أخروية.

### العقوبات الدنيوية:

أما العقوبات الدنيوية، فهي ما رتبت الشريعة على السخرية من رسول الله ﷺ من ألوان العقوبات، فقد وقف الفقهاء ومثلهم القضاة جنودا يحمون عرض محمد ﷺ وعرض الأنبياء جميعا من أن ينتهك أو ينتقص. فقد نص الفقهاء على أن جميع من سب النبي ﷺ، أو عابه، أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه، أو خصلة من خصاله، أو عرض به، أو شبهه بشئ على طريق السب له، أو الازراء عليه، أو التصغير لشأنه، أو الغض منه، والعيب له، فهو ساب له.

ومثله من لعنه أو دعا عليه، أو تمنى مضرة له، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم، أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر، ومنكر من القول وزور، أو غيره بشئ مما جرى من البلاء والمحنة عليه، أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه.

فهؤلاء جميعا نص الفقهاء على خطورة هذه المواقف منهم، وأنهم يستتابون، فإن تابوا، فيها، وإلا قتلوا لخطرهم الشديد على المجتمع بما يثبونه من عدم احترام لمنصب النبوة الرفيع.

قال بعض القوم: أليس في ذلك تشددا وقمعا؟

قال عبد القادر: لا ... هذا نوع من الردع للنفوس الظالمة التي تريد تخريب المجتمع.

قال الرجل: كيف ذلك؟

قال عبد القادر: لأن النبي — أي نبي — هو رمز المعاني السامية التي جاء من أجلها، وأهمها معرفة الله

وعبادته، فاستهزأونا به استهزاء بمن أرسله.

ثم ألا ترون في الواقع أنا نحكم بمثل هذا أو قريب منه في سب ناس لا ذمة لهم ولا خلق .. بل في سب

أشياء ورموز نعتقد أنها تمثل أمة أو وطننا أو تاريخا؟

قالوا: ذلك صحيح.

قال عبد القادر: فمنصب النبوة الرفيع يتطلب شدة وحزما ... لأن المعاني التي جاء بها الأنبياء أعظم من

كل المعاني التي صاغها البشر لأنفسهم.

### العقوبات الأخروية:

هذا عن عقوبات الدنيا، أما عقوبات الآخرة، فقد نصت عليها آيات من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿

وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا

مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ (التوبة: ٦١)  
وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾  
(الأحزاب: ٥٧)

فقد رتب الله على إذية رسول الله ﷺ — حسب هاتين الآيتين — نوعين من العذاب ينسجمان تماما مع النفس التي سولت هذه الإذية:

أما أولهما، فهو العذاب الأليم الشديد، وهو يتناسب مع عظم الجرم.  
وأما الثاني، فهو العذاب المهين، وهو يتناسب مع مصدر الجرم، فليس لهذه الإذية إلى مصدر واحد هو كبر صاحبها وتعاليه وتعاضمه، فلذلك يكون جزاؤه العذاب الذي يرده إلى حقيقته الخسيسة.

\*\*\*

ما إن وصل عبد القادر من حديثه إلى هذا الموضوع حتى ابتدره أحد الحاضرين قائلا: لقد عرفنا كيف حمى الله نبيه ﷺ بصنوف الجنود الذين صدوا عنه كل من تعرض له، أو كل من أراد أن يتعرض له، ومع تسليمنا لكل ما ذكرته، واعتقادنا بأن اجتماع كل ذلك من الأمور التي تدل على قصد الحماية.  
ولكننا — مع ذلك — لا نرى كل ما ذكرته كافيا لنشر الدين وحمايته، فالدين لم يكن محمد وحده، بل كان أمة من الناس.. فكيف امتدت الحماية إليهم جميعا؟

قال عبد القادر: أنت تسأل عن انتصارات محمد ﷺ بالثلة القليلة التي معه.

قال الرجل: يمكنك أن تقول ذلك.

قال عبد القادر: لذلك حديث آخر.. فتلك معجزة أخرى، وسأحدثكم عنها غدا — إن شاء الله — لمن

شاء منكم أن يحضر.

قال الرجل: وكيف لا نشاء.. إن حديثك عن محمد ينفخ فينا من روح الثبات والعزيمة ما كنا نفتقده.

قال عبد القادر: فموعدنا غدا إن شاء الله في هذا المحل.

قال ذلك، ثم انصرف، فلاحظت بولس ينصرف متخفيا متغير الوجه، وكأنه يهيم بشيء، أو يخطط لشيء.

أما أنا، فانصرفت، ومعني بصيص جديد من النور اهتديت به بعد ذلك إلى شمس محمد ﷺ.



## ثامنا — انتصارات

في اليوم الثامن..

بقيت أنتظر بولس كعادتي، لنذهب للتدريبات التي بدأها معه، وقد كنت أتصور مجيئه بنشاطه المعتاد، وبهمته العالية التي لا يؤثر فيها شيء، ولكنه لم يأت.

بعد مدة جاءني السائق، وقال لي: إن حضرة القس يعتذر إليك عن مجيئه اليوم، فلديه بعض الشؤون الخاصة، ولذا، فقد طلب مني أن أصطحبك حيث تشاء.

لم أشأ أن أرهق السائق معي، فلذلك أذنت له في الانصراف، وأخبرته بأني سأكتفي بالسير في شوارع المدينة.

لم يصعب علي حينها معرفة المحل الذي سأجد فيه بولس، إنه نفس المحل الذي تخفى فيه اليوم السابق..

ولكنني لم أكن أعلم أن بولس يحمل هو الآخر أنوارا من أشعة محمد توشك أن تضمه إلى دين محمد..

لقد كنت أتصوره يتسلل إلى القوم ليتجسس عليهم، ولعله يقتنص منهم ما يستخدمه سلاحا ضدهم، وهذا ما أكده لي صحبتي له لليومين التاليين لذلك اليوم.. ولكنني عرفت بعد ذلك أن الرجل كان يلقي ما بقي لديه من قتابل، ليرفع بعدها الراية البيضاء.

في محل المستضعفين اخترت مجلسا أتمكن فيه من سماع عبد القادر، ورؤية بولس، في نفس الوقت، من غير أن يلتفت أحد لذلك.

كان الجمع في ذلك اليوم قد تضاعف مقارنة بالأيام السابقة، وكانت تكسو وجوههم همة لم تكن تكسوها من قبل.

بدأ عبد القادر حديثه، فقال: لقد طلبتم مني الحديثة عن معجزة انتصار الإسلام في تلك البيئة وذلك الزمان.. إنها معجزة بكل المقاييس، وفي فترة قياسية نادرة، بل لم يحصل في التاريخ مثلها.

وهي درس بليغ لكل من يريد أن يخرج من كهوف الاستضعاف والذلة والمهانة.

لقد تحقق لرسول الله ﷺ ما وعده الله به من نصره كما قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٤٠)

وهذه سنة الله مع عباده الذين ينصرونه من المرسلين وغيرهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾

(الأنعام: ٣٤)، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (يوسف: ١١٠)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ

فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: ٤٧)، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: ٥١)

وسأذكر لكم نوعين من الجنود نصر الله بهما نبيه ﷺ على أعدائه الذين تترسوا بكل أنواع الأسلحة.

## ١ — جنود من السماء

أما النوع الأول.. فهم جنود السماء.

وجنود السماء هم الملائكة الذين أمد الله بهم رسوله عندما احتاج إلى مدد يمد به جنوده من الصحابة — رضي الله عنهم —

فعن عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — قال: لما كان في يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف، بربه يقول: (اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لاتعد في الارض)، فما زال يهتف بربه مادا يديه مستقبلا القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه وألقاه على منكبيه، ثم التزمه من رداءه، فقال: يا نبي الله كفاك تناشد ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذِ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (أنفال: ٩)، فأمده الله تعالى بالملائكة<sup>١</sup>.

وفي حديث آخر عن ابن عباس — رضي الله عنه —: أن رسول الله ﷺ قال وهو في قبة يوم بدر: (اللهم أني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم)، فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك يا رسول الله، لقد ألححت على ربك، فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلُّونَ الدُّبْرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ﴾ (القمر)

وأُنزل الله تعالى: ﴿إِذِ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (أنفال: ٩)، أي متتابعين يتبع بعضهم بعضا، وأنزل الله تعالى: ﴿

يَكْفِيكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ﴾ (آل عمران: من الآية ١٢٤)<sup>٢</sup>

وقد ذكر الكثير ممن حضر غزوة بدر مشاهدتهم للملائكة — عليهم السلام — التي نزلت لتنصرهم، ومجموع هذه الروايات يفيد القطع بتروهم كما وعد الله تعالى:

فعن علي — رضي الله عنه — قال: بينما أنا أمتح من قليب بدر جاءت ريح شديدة ما رأيت مثلها قط، ثم ذهب، ثم جاءت ريح شديدة لم أر مثلها قط إلا التي كانت قبلها، ثم جاءت ريح شديدة، قال: فكانت الريح الأولى جبريل ﷺ، نزل في ألف من الملائكة، وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل في ألف من الملائكة عن يمين رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر عن يمينه، وكانت الثالثة إسرافيل نزل في ألف من الملائكة عن ميسرة رسول الله ﷺ، وأنا في الميسرة، فلما هزم الله تعالى أعداءه حملني رسول الله ﷺ على فرسه، فجمزت بي، فلما جمزت حررت على عنقها فدعوت ربي فأمسكني، فلما استويت عليها طعنت بيدي هذه في القوم حتى خضبت هذا،

(١) رواه ابن أبي شيبة والامام أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم.

(٢) رواه البخاري والنسائي وابن المنذر.

وأشار إلى إبطه<sup>١</sup>.

وعن ابن عباس عن رجل من بني غفار قال: حضرت أنا وابن عم لي بدرا، ونحن على شركنا، فإنا لفي جبل ننظر الواقعة على من تكون الدبرة فننتهب، فأقبلت سحابة، فلما دنت من الجبل سمعنا فيها حمحمة وسمعنا فيها فارسا يقول: أقدم حيزوم، فأما صاحبي فانكشف قناع عليه، فمات، وأما أنا فكدت أهلك، ثم انتعشت بعد ذلك<sup>٢</sup>.

عن أبي رهم الغفاري عن ابن عم له قال: بينا أنا وابن عم علي ماء بيدر فلما رأينا قلة من مع محمد وكثرة قريش قلنا: إذا التقت الفتتان عمدنا إلى عسكر محمد وأصحابه فانطلقنا نحو الجنبية اليسرى من أصحابه، ونحن نقول: هؤلاء ربع قريش، فبينما نحن نمشي في الميسرة إذ جاءت سحابة فغشيتنا فرفعنا أبصارنا إليها، فسمعنا أصوات الرجال والسلاح، وسمعنا رجلا يقول لفرسه: أقدم حيزوم، وسمعناهم يقولون: رويدا تمام أمراكم. فترلوا على ميمنة رسول الله ﷺ، ثم جاءت أخرى مثل ذلك، فكانت مع النبي ﷺ وأصحابه، فإذا هم على الضعف من قريش، فمات ابن عمي، وأما أنا فتماسكت، وأخبرت النبي ﷺ، وأسلمت.

وعن ابن عباس — رضي الله عنه — قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، إذ نظر إلى المشرك أمامه مستلقيا فنظر إليه فإذا هو قد حطم أنفه، وشق وجهه، كضربة السوط، فاحضر ذلك الموضع أجمع، فجاء الانصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: (صدقت، ذلك مدد من السماء الثالثة)<sup>٣</sup>

وعن ابن أسيد الساعدي أنه قال بعد ما عمي: لو كنت معكم بيد الان ومعي بصري لأخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك فيه ولا أتمارى<sup>٤</sup>.

وعن علي — رضي الله عنه — قال: قيل لي ولاي بكر يوم بدر، قيل لاحدنا: معك جبريل، وقيل للاخر: معك ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل يكون في الصف<sup>٥</sup>.

وعن أبي سفيان بن الحارث قال: لقينا يوم بدر رجلا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض<sup>٦</sup>.  
وعن سهيل بن حنيف قال: لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى رأس المشرك، فيقع رأسه قبل أن يصل إليه<sup>٧</sup>.

وعن الربيع بن أنس قال: كان الناس يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوه بضرب فوق الاعناق وعلى البنان

(١) رواه أبو يعلى والحاكم والبيهقي.

(٢) رواه إسحاق وابن جرير.

(٣) رواه مسلم وابن مردويه.

(٤) رواه ابن إسحاق وإسحاق بن راهويه.

(٥) رواه أحمد والبخاري والحاكم برجال الصحيح.

(٦) رواه إبراهيم الحربي.

(٧) رواه الحاكم وصححه البيهقي وأبو نعيم.

مثل سمة النار قد احترق<sup>١</sup>.

عن سهيل بن عمرو قال: لقد رأيت يوم بدر رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض، معلمين، يقتلون ويأسرون<sup>٢</sup>.

وعن خارجة بن إبراهيم عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: من القائل يوم بدر من الملائكة: أقدم حيزوم؟ فقال جبريل: ما كل أهل السماء أعرف<sup>٣</sup>.

وعن حكيم بن حزام قال: لقد رأيتنا يوم بدر، وقد وقع بوادي خلص بجاد من السماء قد سد الافق، فإذا الوادي يسيل نملا فوق في نفسي أن هذا شيء أيد به محمد ﷺ، فما كانت إلا الهزيمة، وهي الملائكة<sup>٤</sup>.

وعن عبد الرحمن بن عوف قال: رأيت يوم بدر رجلين: عن يمين النبي ﷺ أحدهما، وعن يساره أحدهما، يقاتلان أشد القتال، ثم ثلثهما ثالث من خلفه، ثم رابعهما رابع أمامه<sup>٥</sup>.

وعن حويطب بن عبد العزى، قال: لقد شهدت بدرًا مع المشركين فرأيت عبرًا، رأيت الملائكة تقتتل وتأسر بين السماء والأرض<sup>٦</sup>.

وعن السائب بن أبي حبيش — رضي الله عنه — أنه كان يقول: والله ما أسرني أحد من الناس، فيقال: فمن؟ فيقول: لما انهزمت قريش انهزمت معها، فيدركني رجل أبيض طويل على فرس أبلق بين السماء والارض، فأوثقني رباطا، وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مربوطا، فنادى في العسكر: من أسر هذا؟ فليس أحد يزعم أنه أسرني، حتى انتهى بي إلى رسول الله ﷺ فقال: (يا بن أبي حبيش من أسرك؟)، فقلت: لا أعرفه، وكرهت أن أخبره بالذي رأيت، فقال: (أسرك ملك من الملائكة)<sup>٧</sup>.

وعن أبي بردة بن نيار — رضي الله عنه — قال: جئت رسول الله ﷺ يوم بدر بثلاثة رؤوس، فقلت له: يا رسول الله، أما رأسان فقتلتهما، وأما الثالث فإني رأيت رجلا أبيض طويلا ضربه، فأخذت رأسه، فقال رسول الله ﷺ: (ذاك فلان من الملائكة)<sup>٨</sup>.

وعن ابن عباس — رضي الله عنه — قال: كان الملك يتصور في صورة من يعرفون من الناس يثبوتهم، فيقول: إني قد دنوت منهم وسمعتهم يقولون: لو حملوا علينا ما ثبتنا، ليسوا بشيء، إلى غير ذلك من القول<sup>٩</sup>.

وعن ابن جبير بن مطعم قال: رأيت قبل هزيمة القوم، والناس يقتتلون، مثل الجاد الاسود مبعوث، حتى

(١) رواه البيهقي.

(٢) رواه البيهقي وابن عساكر.

(٣) رواه البيهقي.

(٤) رواه البيهقي.

(٥) رواه محمد بن عمر الاسلامي وابن عساكر.

(٦) رواه ابن سعد.

(٧) رواه البيهقي.

(٨) رواه محمد بن عمر الاسلامي والبيهقي.

(٩) رواه البيهقي.

امتلا الوادي، فلم أشك أنها الملائكة، فلم يكن إلا هزيمة القوم<sup>١</sup>.

وعن ابن عباس، وعلي — رضي الله عنهما — قال: كان الذي أسر العباس أبو اليسر، وكان رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما، فقال رسول الله ﷺ: (يا أبا اليسر كيف أسرت العباس؟)، قال: يا رسول الله لقد أعاني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده، هيئته كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: (لقد أعانك عليه ملك كريم)<sup>٢</sup>

وعن أبي واقد الليثي قال: إني لاتبع يوم بدر رجلا من المشركين لاضربه فوقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أن غيري قتله<sup>٣</sup>.

وعن صهيب قال: ما أدري كم يد مقطوعة أو ضربة جائفة لم يدم كلمها يوم بدر، وقد رأيته<sup>٤</sup>.  
وعن أبي دارة قال: حدثني رجل من قومي من بني سعد بن بكر قال: إني لمنهزم يوم بدر إذ أبصرت رجلا بين يدي منهزما، فقلت: ألحقه، فأستأنس به، فتدلى من جرف ولحقته، فإذا رأسه قد زايله ساقطا، وما رأيته قربه أحدا<sup>٥</sup>.

وقد كان هذا الترتل مبعث لرسول الله ﷺ، فعن عطية بن قيس قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من قتال بدر جاء جبريل على فرس أنثى أحمر، عليه درعه، ومعه رمحه، فقال: يا محمد، إن الله بعثني إليك وأمري ألا أفارقك حتى ترضى، هل رضيت؟ قال: (نعم، رضيت، فانصرف)<sup>٦</sup>

وعن جابر قال: كنا نصلي مع رسول الله ﷺ في غزوة بدر إذ تبسم في صلاته، فلما قضى صلاته قلنا: يا رسول الله رأيناك تبسمت، قال: (مر بي ميكائيل وعلى جناحه أثر الغبار، وهو راجع من طلب القوم، فضحك إلي فتبسمت إليه)<sup>٧</sup>

وكما وعد المؤمنون بأن يمدوا بالملائكة، وحصل ما وعدوا به، فقد وعد الشيطان أوليائه من المشركين بأن يمدهم بقوته، ولكنه نكل وخالف.

فعن ابن عباس — رضي الله عنه — قال: أمد الله تعالى نبيه ﷺ والمؤمنين بألف، فكان جبريل في خمسمائة مجنبة، وميكائيل في خمسمائة مجنبة، وجاء إبليس في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجال من بني مدلج، والشيطان في صورة سراقه بن مالك بن جعشم، فقال الشيطان للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس، وإني جار لكم.

(١) رواه ابن راهويه وأبو نعيم والبيهقي بسند حسن.

(٢) رواه أحمد وابن سعد وابن جرير والبيهقي.

(٣) رواه ابن إسحاق والبيهقي.

(٤) رواه البيهقي.

(٥) رواه أبو نعيم.

(٦) رواه ابن سعد وأبو الشيخ.

(٧) رواه أبو يعلى.

وأقبل جبريل إلى إبليس فلما رآه — وكانت يده في يد رجل من المشركين — انتزع إبليس يده، ثم ولى مدبرا وشيعته، فقال الرجل: يا سراقا، ألسنت تزعم أنك جار لنا، فقال: إني أرى ما لا ترون، إني أخاف الله، والله شديد العقاب.

فذلك حين رأى الملائكة، فتشيث به الحارث بن هشام، وأسلم بعد ذلك، وهو يرى أنه سراقا لما سمع كلامه، فضرب الشيطان في صدر الحارث فسقط الحارث، وانطلق إبليس لا يلوي، حتى سقط في البحر، ورفع يديه وقال: يا رب، موعدك الذي وعدتني، اللهم إني أسألك نظرتك إياي.

وخاف أن يخلص إليه القتل، فقال أبو جهل: يا معشر الناس لا يهمنكم خذلان سراقا، فإنه كان على ميعاد من محمد، ولا يهمنكم قتل عتبة وشيبة، فإنهم قد عجلوا، فواللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمدا وأصحابه بالحبال، ولا ألفين رجلا منكم قتل رجلا منهم، ولكن خذوهم أخذا حتى نعرفهم سوء صنعيتهم<sup>١</sup>.  
ويروى أنهم رأوا سراقا بمكة بعد ذلك فقالوا له: يا سراقا أحرمت الصف، وأوقعت فينا الهزيمة، فقال: والله ما علمت بشيء من أمركم حتى كانت هزيمتكم، وما شهدت وما علمت، فما صدقوه حتى أسلموا، وسمعوا ما أنزل الله تعالى فيه، فعلموا أنه كان إبليس تمثّل لهم.

---

(١) رواه الطبراني عن رفاع بن رافع، وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه، عن ابن عباس.

## ٢ — جنود من الأرض

أما النوع الثاني، فهو جنود الأرض..

وهم جنود كثيرون جدا.. فكل ما خلق الله من أشياء جند من جند الله ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ (المدثر: من الآية ٣١)

### الريح:

ومن هذه الجنود الريح.. وهي التي نصر الله بها هودا عليه السلام على قومه، حين أرسل عليهم ريحا باردة كبرودة قلوبهم، في أيام مشؤومات كشؤم نفوسهم مقابلة لهم على تشاؤمهم من نبيهم عليه السلام، وتحقيا لطلبهم، قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْحَزَنِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ (فصلت: ١٦)

وكانت الريح قد جاءهم بصورة يجوؤها فانتفضوا مستبشرين يصيحون هذا عارضٌ مُمطرٌنا، فأجابهم هود عليه السلام بلسان العارف بربه: ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الأحقاف: ٢٤)

قال ابن عباس — رضي الله عنه — يصف ذلك المشهد: (أول ما رأوا العارض قاموا فمدوا أيديهم، فأول ما عرفوا أنه عذاب رأوا ما كان خارجاً من ديارهم من الرجال والمواشي تطير بهم الريح ما بين السماء والأرض مثل الريش، فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم، وأمر الله الريح فأملت عليهم الرمال، فكانوا تحت الرمال سبع ليال وثمانية أيام حسوما، ولهم أنين، ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمال واحتملتهم فرمتهم في البحر)<sup>١</sup>

وهو تصوير دقيق لما نراه كثيرا على شاشات التلفزيون من أنواع الأعاصير، والتي لا نسمع لها سببا إلا حركات الرياح وتحولات الضغط، والتفسيرات المادية الكثيرة، والتي لا ينكرها القرآن، وإنما ينكر الاكتفاء بها وتصور أنها فاعلة بذاتها.

وقد أمد الله نبيه محمدا عليه السلام بجند الريح يوم تحزبت الأحزاب تبغي استئصال شأفة المسلمين، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٩)، فالريح من الجنود المرئية، وغيرها من الجنود غير المرئية.

وقد ذكر رسول الله عليه السلام هذا النوع من الجند، فقال: (نصرت بالصبا، وأهلك عاد بالبور)<sup>٢</sup> وقد روي بأسانيد كثيرة كيفية ذلك:

فعن سعيد بن جبير قال: لما كان يوم الخندق أتى جبريل ومعه الريح، فقال رسول الله عليه السلام حين رأى جبريل: (ألا أبشروا) ثلاثا، فأرسل الله تعالى عليهم الريح، فهتكت القباب، وكفأت القدور، ودفنت الرجال، وقطعت الاوتاد، فانطلقوا لا يلوي أحد على أحد، وأنزل الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ

(١) القرطبي: ١٦/١٧٥.

(٢) رواه البخاري ومسلم.



عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ (الأحزاب: ٩)<sup>١</sup>  
 وعن قتادة قال: بعث الله تعالى عليهم الريح والريح كلما بنوا قطع الله أطنايه، وكلما ربطوا دابة قطع الله رباطها، وكلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، حتى لقد ذكر لنا: أن سيد كل حي يقول: يا بني فلان، هلم إلي حتى إذا اجتمعوا عنده قال: (النجاة النجاة، أتيتم) لما بعث الله تعالى عليهم من الرعب<sup>٢</sup>.

قال البلاذري: ثم إن الله تعالى نصر المسلمين عليهم بالريح، وكانت ريحا صفراء فملأت عيونهم، فداخلهم الفشل والوهن وانهمز المشركون، وانصرفوا إلى معسكرهم، ودامت عليهم الريح، وغشيتهم الملائكة تطمس أبصارهم، فانصرفوا ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ (الأحزاب: ٢٥)

وقد ذكر شاهد عيان ما رآه من فعل الريح بهم، فعن حذيفة بن اليمان — رضي الله عنه — وقد قال له بعض جلسائه من التابعين: أما والله لو شهدنا ذلك لكننا فعلنا وفعلنا، فقال حذيفة: لا تتمنوا ذلك، لقد رأيتنا ليلة الاحزاب ونحن صافون قعود، وأبو سفيان ومن معه من الاحزاب فوقنا، وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا، وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة، ولا أشد ريحا منها، وفي أصوات ريحها أمثال الصواعق، وهي ظلمة ما يرى أحدنا إصبغه، فجعل المنافقون يستأذنون رسول الله ﷺ ويقولون: ﴿ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ﴾ (الأحزاب: من الآية ١٣)، فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له، فيتسللون، ونحن ثلاثمائة أو نحو ذلك.

فاستقبلنا رسول الله ﷺ رجلا رجلا، يقول: ألا رجل يأتيني بخير القوم يكون معي يوم القيامة — وفي لفظ: جعله الله رفيق إبراهيم يوم القيامة — فلم يجبه منا أحد، ثم الثانية، ثم الثالثة مثله.

فقال أبو بكر: يا رسول الله ابعث حذيفة، فقلت: دونك والله، فمر علي رسول الله ﷺ وما علي جنة من العدو ولا من البرد إلا مرطا لامرأتي ما يجاوز ركبتي، قال: فأتاني وأنا جاث على ركبتي فقال: (من هذا؟)، فقلت: حذيفة، قال رسول الله ﷺ: (حذيفة)، قال حذيفة: فتقاصرت للأرض، فقلت: بلى يا رسول الله، كراهية أن أقوم، قال: (قم)، فقلت: فقال: (إنه كائن في القوم خير، فأتني بخير القوم)

فقلت: والذي بعثك بالحق، ما قمت إلا حياء منك من البرد، قال: (لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع إلي)

قال: وأنا من أشد الناس فرعا وأشدهم قرا، فقلت: والله ما بي أن أقتل، ولكن أحشى أن أوسر، فقال: (إنك لن تؤسر)، قال: فخرجت، فقال: اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته)

قال: فوالله ما خلق الله تعالى في حوفي فرعا ولا قرا إلا خرج، فما أحد فيه شيئا، فمضيت كأنما أمشي في

(١) رواه ابن سعد.

(٢) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) وفي رواية: فقال رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ لقاتلت معه وأبليت.

حمام، فلما وليت، دعاني فقال: (يا حذيفة، لا تحدثن في القوم شيئا حتى تأتيني)<sup>١</sup>

فقال حذيفة: فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم توقد، وإذا رجل أدهم ضخم يقول بيده على النار ويمسح خاصرته، وحوله عصابة، قد تفرق عنه الاحزاب، وهو يقول: الرحيل الرحيل.

ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك، فانتزعت سهما من كنانتي أبيض الريش، فوضعت في كبد القوس لأرميه في ضوء النار، فذكرت قول رسول الله ﷺ: (لا تحدثن في القوم شيئا، حتى تأتيني)، فأمسكت ورددت سهمي.

فلما جلست فيهم أحس أبو سفيان أن قد دخل فيهم غيرهم، فقال: يأخذ كل رجل منكم بيد جليسه، فضربت بيدي على يد الذي عن يميني، فأخذت بيده، فقلت: من أنت؟ قال: معاوية بن أبي سفيان، ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي، فقلت: من أنت؟ قال: عمرو بن العاص، فعلت ذلك خشية أن يفطن بي، فبدرتهم بالمسألة، ثم تلبثت فيهم هنيهة.

وأتيت بني كنانة وقيسا، وقلت ما أمرني به رسول الله ﷺ، ثم دخلت في العسكر، فإذا أدنى الناس مني بنو عامر، ونادى عامر بن علقمة بن علاثة: يا بني عامر، إن الريح قاتلتي وأنا على ظهر، وأخذتهم ريح شديدة، وصاح بأصحابه.

فلما رأى ذلك أصحابه جعلوا يقولون: يا بني عامر، الرحيل الرحيل، لا مقام لكم.

وإذا الريح في عسكر المشركين ما تجاوز عسكرهم شبرا، فوالله إني لاسمع صوت الحجارة في رحاهم، وفرشهم والريح تضرب بها، فلما دنا الصبح نادوا: أين قريش؟ أين رؤوس الناس؟ فقالوا: أيها، هذا الذي أتينا به البارحة، أين كنانة؟ فقالوا: أيها، هذا الذي أتينا به البارحة، أين قيس؟ أين أحلاس الخيل؟ فقالوا: أيها، هذا الذي أتينا به البارحة.

فلما رأى ذلك أبو سفيان أمرهم بأن يحملوا فتحملوا، وإن الريح لتغلبهم على بعض أمتعتهم حتى رأيت أبا سفيان وثب على حمل له معقول، فجعل يستحثه ولا يستطيع أن يقوم، حتى حل بعد.

ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ فلما انتصف بي الطريق، أو نحو ذلك إذا أنا بعشرين فارسا أو نحو ذلك معتمين، قالوا: أخبر صاحبك أن الله تعالى كفاه القوم بالجنود والريح.

فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو مشتمل في شملة يصلي، فوالله ما عدا أن رجعت راجعي القر، وجعلت

---

(١) وقد ورد في رواية أخرى ذكر سبب هذا الإرسال، وهو التفريق بين الأحزاب، فقد ورد فيها: فقلت: يا رسول الله مرني بما شئت، فقال ﷺ: «أذهب حتى تدخل بين ظهري القوم، فأت قريشا، فقل: يا معشر قريش، إنما يريد الناس إذا كان غدا أن يقولوا: أين قريش؟ أين قادة الناس؟ أين رؤوس الناس؟ فيقدموكم، فتصلوا القتال فيكون القتل فيكم، ثم أتت بني كنانة، إنما يريد الناس إذا كان غدا أن يقولوا: أين بني كنانة؟ أين رماة الحدق فيقدموكم، فتصلوا القتال، فيكون القتل فيكم، ثم أتت قيسا فقل: يا معشر قيس، إنما يريد الناس إذا كان غدا أن يقولوا: أين قيس؟ أين أحلاس الخيل؟ أين الفرسان؟ فيقدموكم، فتصلوا القتال، فيكون القتل فيكم»

أقرقف، فأوماً إلي رسول الله ﷺ بيده، وهو يصلي، فدنوت منه، فسدل علي من فضل شملته — وكان رسول الله ﷺ إذا حربه أمر صلى — فأخبرته خبر القوم، وأني تركتهم يرحلون، فلم أزل نائماً حتى جاء الصبح فلما أن أصبحت قال رسول الله ﷺ: (قم يا نومان) ١

### المطر:

ومن هؤلاء الجنود المطر..

فالمطر هو الذي نصر الله به عبده نوحا عليه السلام حين صاح: ﴿أَنِّي مَعْلُوبٌ فَاَنْتَصِرْ﴾ (القمر: من الآية ١٠)، فأجابه ربه، فقال: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ﴾ (القمر: ١١)

وقد أنزل الله هذا الجند من المطر على المؤمنين في أول غزوة كانت فرقانا بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ (الأنفال: ١١)

فقد ذكر تعالى أنه أنزل المطر على المؤمنين لأربعة أسباب: للتطهير من الحدث، ولإذهاب وسوسة الشيطان، ولتثبيت القلوب، ولتليد الأرض الرملية في بدر لتثبت عليها أقدام المؤمنين في سيرهم. قال مجاهد: أنزل الله المطر فأطفاً الغبار وتلبدت الأرض وطابت نفوسهم وثبتت أقدامهم. وقال عروة بن الزبير: بعث الله السماء وكان الوادي دهساً، فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه ما لبث لهم الأرض ولم يمنعهم من المسير، وأصاب قريشاً ما لم يقدرُوا أن يرحلوا معه. وكان نزول المطر سبباً في إذهاب وسوسة الشيطان الذي أراد به تثبيط المؤمنين عن القتال بعد احتلامهم بالليل حيث كانوا يصلون مجنبيين، فحين نزول المطر وجد الماء الذي اغتسلوا به من الجنابة، وأذهب الله بذلك رجس الشيطان.

قال ابن سعد: وكانت بنو عدي بن كعب مع النفيير، فلما بلغوا ثنية لفت عدلوا في السحر إلى الساحل منصرفين إلى مكة، فصادفهم أبو سفيان بن حرب فقال: يا بني عدي، كيف رجعتم، لافي العير ولا في النفيير؟ قالوا: أنت أرسلت إلى قريش أن ترجع ويقال: بل لقيهم. عمر الظهران، ومضت قريش حتى نزلت بالعدوة القصوى من الوادي خلف العقنقل ووطن الوادي، ونزل رسول الله ﷺ والمسلمون بينهم وبين الماء رحلة. وغلب المشركون المسلمين في أول أمرهم على الماء، فظمئ المسلمون، وأصاهم ضيق شديد، وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ، فوسوس إليهم: تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسول الله وقد غلبكم المشركون

---

(١) رواه الحاكم وصححه ابن مردويه، وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل من طرق عن حذيفة ومسلم، وابن عساكر عن إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه، وابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي، وأبو نعيم مختصراً عن ابن عمر. (٢) أثبت العلم الحديث أن عضلات القلب عبارة عن ألياف عضلية في شكل خيوط طويلة وعرضية تلف القلب، فإذا أفرزت مادة (الأدرينالين) عملت على ارتخاء عضلات القلب، وبالتالي ترخي تلك الألياف والحيال العضلية، كما تعمل على ارتعاش الأطراف، وقد وجد أن من أسرع الوسائل لتخفيض مادة (الأدرينالين) هو أن يرش الجسم بالماء، فيربط على القلب بتلك الحبال العضلية بانقباض العضلات، ويوزل الارتخاء، كما تثبت الأقدام من ارتعاشها، كما قال تعالى: ﴿.. وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ (الأنفال: ١١) انظر: بينات الرسول، عبد المجيد الزنداني.

على الماء، وأنتم تصلون محبتين، فأنزل الله تعالى تلك الليلة مطرا كثيرا فكان على المشركين وابلا شديدا منعهم من التقدم، وكان على المسلمين طلا طهرهم الله به، وأذهب عنهم رجز الشيطان، ووطأ به الارض، وصلب الرمل، وثبت الاقدام، ومهد به المتزل، وربط به على قلوبهم، ولم يمنعهم من السير، وسال الوادي فشرب المؤمنون، وملاوا الاسقية، وسقوا الركاب، واغتسلوا من الجنابة.

### النعاس:

وهو من جنود الله التي تثبت القلوب، وتعيد إلى النفس هدوءها، وإلى الجسد قوته، قال تعالى في ذكر نعمته على المؤمنين يوم بدر: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمْ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ (الأنفال: من الآية ١١) فقد أصاب المسلمين تلك الليلة نعاس ألقى عليهم فناموا، حتى أن أحدهم ذقنه بين يديه، وما يشعر حتى يقع على جنبه.

فعلن علي - رضي الله عنه - قال: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم، إلا رسول الله ﷺ يصلي تحت شجرة حتى أصبح<sup>١</sup>. وعن قتادة قال: كان النعاس أمانة من الله، وكان النعاس نعاسين: نعاس يوم بدر، ونعاس يوم أحد، وكانت ليلة الجمعة، وبين الفريقين فوز من الرمل<sup>٢</sup>.

يقول سيد قطب مبينا سر هذا الجندي المؤثر من جنود الله: (ما قصة النعاس الذي غشي المسلمين قبل المعركة فهي قصة حالة نفسية عجيبة، لا تكون إلا بأمر الله وقدره وتديره. لقد فرغ المسلمون وهم يرون أنفسهم قلة في مواجهة خطر لم يحسوا حسابه ولم يتخذوا له عدته، فإذا النعاس يغشاهم، ثم يصحون منه والسكينة تغمر نفوسهم؛ والطمأنينة تفيض على قلوبهم، وهكذا كان يوم أحد، تكرر الفزع، وتكرر النعاس، وتكررت الطمأنينة )

ثم حدث عن نفسه، فقال: (وقد كنت أمر على هذه الآيات، وأقرأ أخبار هذا النعاس، فأدركه كحدث وقع، يعلم الله سره، ويحكى لنا خبره، ثم إذا بي أقع في شدة، وتمر علي لحظات من الضيق المكتوم، والتوجس القلق، في ساعة غروب، ثم تدركني سنة من النوم لا تتعدى بضع دقائق، وأصحو إنساناً جديداً غير الذي كان، ساكن النفس، مطمئن القلب، مستغرقاً في الطمأنينة الواثقة العميقة.. كيف تم هذا؟ كيف وقع هذا التحول المفاجئ؟ لست أدري! ولكني بعدها أدرك قصة بدر وأحد.. أدركها في هذه المرة بكيان كله لا بعقلي، وأستشعرها حية في حسي لا مجرد تصور، وأرى فيها يد الله وهي تعمل عملها الخفي المباشر، ويطمئن قلبي.

لقد كانت هذه الغشبية، وهذه الطمأنينة، مدداً من أمداد الله للعصبة المسلمة يوم بدر)<sup>٣</sup>

### الرعب:

وهو جند من جند الله، وقد أنزله الله تعالى على من يتجرأ على حرب المؤمنين، قال تعالى: ﴿سُنِّلِي فِي

(١) رواه أبو يعلى والبيهقي في الدلائل.

(٢) رواه عبد بن حميد.

(٣) في ظلال القرآن.

قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ بِمَا أَسْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ (آل عمران: ١٥١)

وقال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (الأنفال: ١٢)

وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِبِهِمْ وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ (الأحزاب: ٢٦)

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (الحشر: ٢)

وقد أشار ﷺ إلى هذا النوع من الجند، فقال: (نصرت بالرعب مسيرة شهر) <sup>١</sup>، وهذا يعني أنه ﷺ كان إذا قصد قتال قوم من الكفار ألقى الله الرعب في قلوبهم قبل وصوله إليهم بشهر، ولو كانت مسيرة شهر.

وقد ورد في السيرة الكثير من الأحداث التي أمد الله فيها المؤمنين بهذا النوع من الجند ليقضوا به على عدوهم:

**فمن ذلك** ما ذكره محمد بن عمر عن شيوخه، قال: لما تفرق المشركون عن الخندق خافت بنو قريظة خوفا شديدا، وقالوا: محمد يزحف إلينا، وكان رسول الله ﷺ لم يأمر بقتالهم حتى جاءه جبرئيل بأمره به.

وكان ذلك الخوف هو سبب هزيمتهم من غير قتال.

**ومن ذلك** ما روي عن قتادة قال: بعث الله تعالى عليهم الريح والربح وكلما بنوا قطع الله أطنابه، وكلما ربطوا دابة قطع الله رباطها، وكلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، حتى لقد ذكر لنا: أن سيد كل حي يقول: يا بني فلان، هلم إلي حتى إذا اجتمعوا عنده قال: (النجاة النجاة، أتيتم) لما بعث الله تعالى عليهم من الرعب <sup>٢</sup>.

**ومن ذلك** ما روي عن عائشة — رضي الله عنها — أن رسول الله ﷺ مر بنفر من بني النجار بالصوريين فيهم حارثة بن النعمان قد صفوا عليهم السلاح فقال: (هل مر بكم أحدا؟) قالوا: نعم، دحية الكلبي مر على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من استبرق وامرنا بحمل السلاح سلاحنا فأخذنا وصففنا، وقال لنا: هذا رسول الله ﷺ يطلع عليكم الآن، قال حارثة بن النعمان: وكنا صفيين، فقال رسول الله ﷺ: (ذاك جبريل بعث إلى بني قريظة ليزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم) <sup>٣</sup>

**ومن ذلك** الرعب الذي قذفه الله تعالى في قلوب حواسيس المشركين في غزوة حنين، فعن أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أنه حدث أن رسول الله ﷺ قد انتهى إلى حنين مساء ليلة الثلاثاء لعشر خلون من شوال، وبعث مالك بن عوف ثلاثة نفر من هوازن ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، وأمرهم أن يتفرقوا في

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) رواه الحاكم، والبيهقي وأبو نعيم.

العسكر فرجعوا إليه وقد تفرقت أوصالهم، فقال: ويلكم ما شأنكم، فقالوا: رأينا رجالا بيضا على خيل بلق، فو الله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى، والله ما نقاتل أهل الارض، إن نقاتل إلا أهل السماوات وإن اطعنا رجعت بقومك، فان الناس إن رأوا مثل الذي رأينا أصابهم مثل ما أصابنا.

فقال: أف لكم، أنتم أجبين أهل العسكر، فحبسهم عنده فرقا أن يشيع ذلك الرعب في العسكر، وقال: دلوني على رجل شجاع، فاجمعوا له على رجل، فخرج ثم رجع إليه قد أصابه كنجو ما أصاب من قبله منهم، فقال: ما رأيت؟ قال: رأيت رجالا بيضا على خيل بلق، ما يطاق النظر إليهم، فو الله ما تماسكت أن أصابني ما ترى، فلم يش ذلك مالكا عن وجهه<sup>١</sup>.

**ومن ذلك** ما روي من الرعب الذي أنزل يوم حنين:

فعن يزيد بن عامر السوائي وكان حضر يوم غزوة حنين، فسئل عن الرعب فكان يأخذ الحصاة فيرمي بها في الطست، فيطن فيقول: أن كنا نجد في أجوافنا مثل هذا<sup>٢</sup>.

وعن محمد بن عمر عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: حدثني عدة من قومي شهدوا ذلك اليوم يقولون: (لقد رمى رسول الله ﷺ تلك الرمية من الحصى فما منا أحد إلا يشكو القذى في عينيه، ولقد كنا نجد في صدورنا خفقانا كوقع الحصى في الطاس ما يهدأ ذلك الخفقان، ولقد رأينا يومئذ رجالا بيضا، على خيل بلق، عليهم عمائم حمراء، قد أرخواها بين أكتافهم، بين السماء والارض كتائب كتائب ما يليقون شيئا، ولا نستطيع أن نتاملهم من الرعب منهم )

وعن ربيعة بن أزي قال: حدثني نفر من قومي، حضروا يومئذ قالوا: كمنا لهم في المضايق والشعاب، ثم حملنا عليهم حملة، ركبنا أكتافهم حتى انتهينا إلى صاحب بغلة شهباء، وحوله رجال بيض حسان الوجوه، فقالوا لنا: شأمت الوجوه ارجعوا.

فأهزمتنا، وركب المسلمون أكتافنا، وكانت إياها، وجعلنا نلتفت وإنا لننظر إليهم يكدوننا فتفرقت جماعتنا في كل وجه، وجعلت الرعدة تستخفنا حتى لحقنا بعلباء بلادنا، فان كنا ليحكى عنا الكلام ما ندري به، لما كان بنا من الرعب، وقذف الله تعالى الاسلام في قلوبنا.

وعن شيوخ من ثقيف أسلموا بعد ما كانوا حضروا ذلك اليوم قالوا: ما زال رسول الله ﷺ في طلبنا فيما نرى، ونحن مولون حتى إن الرجل ليدخل منا حصن الطائف وإنه ليظن أنه على أثره من رعب الهزيمة.

\*\*\*

ما وصل عبد القادر من حديثه إلى هذا الموضع حتى ارتفعت تكبيرات الجماعة الملتفة حوله، وأعلن الكثير منهم إسلامه.

تقدم أحدهم، وقال: لقد نفخت فينا كلماتنا من روح العزة والهمة ما كنا نفتقده، وقد أيقنا أن النصر من الله، وأن من ينصر الله لا بد أن ينتصر لا محالة.

(١) رواه أبو نعيم والبيهقي.

(٢) رواه عبد بن حميد، والبيهقي.

وقال آحر: لقد كان قومنا يسمونا منبوذين، وقد ظللنا دهرنا نعاين هذا النبذ، ولا نرى لنا من مخرج من هذا النبذ إلا أن نتمسك بالعزة التي يملؤنا بها هذا الدين.  
وقال آخرون كلاما قريبا من هذا.  
لم نجد أنا وبولس إلا أن ننصرف، ومعى بصيص جديد من النور، اهتديت به بعد ذلك إلى شمس محمد.

## تاسعا — طاقات

في اليوم التاسع.. جاءني بولس، واعتذر لي عن عدم مجيئه في اليومين السابقين، وقال لي: لقد اشتقنا إلى التبشير بالمسيح.. وستحدث اليوم عن نوع من معجزات المسيح لم يحصل إلا للمسيح.

قلت: تقصد ما كان للمسيح من طاقات..

قال: نعم.. لقد تجلّت في المسيح جميع القدرات العجيبة التي لا تكون إلا لإله، أو لأقنوم لإله.

سرت معه، ولم نتعد كثيرا حتى رأينا جمعا من الناس يلتفون حول رجل يسير فوق الزجاج من غير أن يؤذى، وقد ملأهم العجب.

وكان أجير بولس حاضرا، ويعلم ما يقول في هذا الموقف، فما إن رأى بولس، حتى صاح: ألا تريدون أن

تسمعوا ما هو أعجب من هذا الذي يمشي على الزجاج؟

قالوا: وما ذاك؟

قال: من يمشي على الماء؟

قالوا: وهل حصل ذلك؟

هنا تدخل بولس، وقال: أجل.. ذلك هو المسيح.. وسأقص عليكم قصة سيره على الماء<sup>١</sup>.

لقد كان المسيح يصلي على الجبل وحده في الليل، بينما كان تلاميذه في السفينة، عندما وقع اضطراب في البحيرة، إذ هاج البحر من ريح عظيمة، وكانت السفينة معذبة من الأمواج لأن الريح كانت مضادة، لم يكن التلاميذ قد نسوا ما علمه المسيح في النوء قبل هذا الوقت بنحو نصف سنة، ولكنه كان وقتها معهم في السفينة، أما الآن فيخيفهم غيابه، فهل ظنوا يا ترى أن الذي يشفي العليل بكلمة، وعن بُعد، يستطيع أن يحفظ ويعطي السلامة عن بُعد أيضا؟

ظلوا يصارعون الأمواج إلى قرب الصباح، دون أن يتمكنوا من عبور البحيرة، وعرف المسيح عذابهم، وهو في منحنج الصلاة الهادئ على الجبل، وهو المحب الذي لا يريد عذابهم إلا بمقدار ما يؤول لخيرهم، فلما رأى اضطرابهم والخطر عليهم، نزل من الجبل ومشى على البحر الهائج معتليا أمواجه في هبوطها وارتفاعها، كأنها اليابسة، وهو مسرع للإفراج منهم.

(١) هذا نص ما ورد من هذه المعجزة في إنجيل متى: «وَبَعْدَمَا صَرَفَ الْجُمُوعَ صَعَدَ إِلَى الْجَبَلِ مُتَفَرِّدًا لِيُصَلِّيَ. وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ كَانَ هُنَاكَ وَحْدَهُ. وَأَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ قَدْ صَارَتْ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ مُعَذَّبَةً مِنَ الْأَمْوَاجِ. لِأَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ مُضَادَّةً. وَفِي الْهَزِيعِ الرَّابِعِ مِنَ اللَّيْلِ مَضَى إِلَيْهِمْ يَسُوعُ مَاشِيًا عَلَى الْبَحْرِ. فَلَمَّا أَبْصَرَهُ التَّلَامِيذُ مَا شَبَّاهُ عَلَى الْبَحْرِ اضْطَرَبُوا قَائِلِينَ: «إِنَّهُ خَيَالٌ». وَمِنَ الْخَوْفِ صَرَخُوا! فَلِلْوَقْتِ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «تَشَجَّعُوا! أَنَا هُوَ. لَا تَخَافُوا». فَأَجَابَهُ بُطْرُسُ: «يَا سَيِّدُ، إِن كُنْتُ أَنْتَ هُوَ، فَمُرَّنِي أَنْ آتِي إِلَيْكَ عَلَى الْمَاءِ». فَقَالَ: «تَعَالَ». فَتَزَلَّ بُطْرُسُ مِنَ السَّفِينَةِ وَمَشَى عَلَى الْمَاءِ لِيَأْتِيَ إِلَى يَسُوعَ. وَلَكِنْ لَمَّا رَأَى الرِّيحَ شَدِيدَةً خَافَ. وَإِذْ ابْتَدَأَ يَغْرَقُ صَرَخَ: «يَا رَبِّ نَجِّنِي». فَفِي الْحَالِ مَدَّ يَسُوعُ يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِهِ وَقَالَ لَهُ: «يَا قَلِيلَ الْإِيمَانِ، لِمَاذَا شَكَّكْتَ؟» وَلَمَّا دَخَلَ السَّفِينَةَ سَكَنَتِ الرِّيحُ. وَالَّذِينَ فِي السَّفِينَةِ جَاءُوا وَسَجَدُوا لَهُ قَائِلِينَ: «بِالْحَقِيقَةِ أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ» (متى



هذا هو الكلمة (الذي كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ) (يوحنا ١ : ٣)، وقد وصفه بقوله: (الْبَاسِطُ السَّمَاوَاتِ وَحَدُّهُ  
وَالْمَاشِي عَلَى أَعَالِي الْبَحْرِ) (أيوب ٩ : ٨)

رفقاً بهم لم يتجه فوراً إلى السفينة لئلا يخيفهم، بل مرّ بقرهم كأنه يتجاوزهم.  
لا شك أنهم اعتادوا القمص الخرافية الدارجة في كل عصر، عن ظهور أشباح روحية مزعجة، والآن  
يشاهدون لأول مرة في حياتهم روحاً أو خيلاً، فصرخوا مرتعدين لعلهم أرادوا أن يخيفوا هذا الخيال ليتعد  
عنهم.

ولكن أتى صدى صراخهم خلافاً لما انتظروا، لأن هذا الخيال أحاجهم بصوت لا يُشْتَبِه به، وبكلام مطمئن  
حي قال: (تشجعوا، أنا هو، لا تخافوا)

ولا زال هذا الصوت الحنون المشجع يُسمع حينما يوجد مؤمن مضطرب من جراء هموم ومخاوف الحياة،  
ولا سيما متى كان انزعاجه نتيجة لثقل خطاياهم ومخاوف الابتعاد الأبدى عن الله.

فلما اقترب المتكلم وعرفوه، تمنى بطرس الجسور أن يتشبه بسيدته في المشي على الماء، فصرخ: (يا سيد إن  
كنت أنت هو، فمُرني أن آتي إليك على الماء)، فهل يسمح له بما طلب، رغم قوله: (إن كنت أنت هو)  
خصوصاً بعد أن قال سيده: (أنا هو) نعم، إذا كان بذلك يقدر أن يُري تلاميذه أن كل شيء مستطاع عند  
الله، فمتى شاء يمكن الإنسان من فعل المستحيلات.

نبح بطرس في أول الأمر لأنه نزل من السفينة ومشى على الماء ليأتي إلى المسيح، لما كان فكره ونظره  
متجهين إلى المسيح لم يكن خائفاً، واستطاع أن يفعل المستحيل.

لكن بنجاحه أدى إلى فشله، لأنه ابتداءً يفكر بذاته ويفتخر بعمل لم يسبقه إليه أحد، فحوّل فكره ونظره من  
المسيح إلى نفسه، فابتدأت الأمواج الهائجة ترعبه، وحالاً أخذ يغرق، ولم تفدّه معرفته بالسباحة، وصار يحسد  
رفقاءه في السفينة، بعد أن كانوا هم يحسدونه لما مشى على الماء. صرخ: (يا رب نجني). ففي الحال مدّ المسيح  
يده وأمسك به ونشله، ثم وبخه بقوله: (يا قليل الإيمان، لماذا شككت؟). فصحّ فيه كلام داود النبي: (تَشَلَّنِي مِنْ  
مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ) (مزمو ١٨ : ١٦).

نجا بطرس من الغرق لأن المسيح أمسك به، وهكذا نجاة الخاطئ عندما تكلّ يده وتغمض عيناه ويرتخي  
تمسكه بالمخلص، فلا يرى أمامه إلا الهلاك، ولكن متى أدرك أن المخلص المقنن الذي لا ينال بتمسك به يحل  
الرجاء عنده مكان اليأس.

لما ظن التلاميذ في السفينة أنهم رأوا خيلاً، صرخوا ليعبّدوه عنهم. أما الآن فقبلوا أن يدخل السفينة،  
فصعد إليهم، وبمجرد دخوله إليها سكنت الرياح وللوقت صارت السفينة إلى أرض جنيسارت، التي كانوا  
ذاهبين إليها.

ويذكر الإنجيل أن التلاميذ (لم يفهموا بالأرغفة، إذ كانت قلوبهم غليظة) فلما رأوا هذه المعجزة الثانية في  
اليوم الواحد بُهتوا وتعجبوا جداً مع أن المسيح أسكت هذا البحر من أجلهم منذ بضعة أشهر، وحالما وصلوا إلى  
الشاطئ تقدموا وسجدوا له سجودهم الأول كجماعة قائلين: (بالحقيقة أنت ابن الله)

لم أكن أتصور أن عبد القادر كان حاضرا في ذلك المحل، فقد توجه للجمع بعد انتهاء بولس من حديثه قائلا: ليس الشأن أن نخالف ما وضعه الله فينا من قدرات، بل الشأن أن نخرق من أنفسنا ما يملؤها بالكدورات.

لقد حصل لكثير من الصالحين من جميع الأمم ما ذكره هذا الرجل من المشي على الماء، أو الطيران في الهواء، ولكنهم لم يكونوا يباليون بكل ذلك.

لقد حدث أبو الحسين النوري عن ذلك، فقال: كان في نفسي شيء من هذه الكرامات، فأخذت قصبة من الصبيان وقمت بين زورقين، ثم قلت: وعزتك إن لم تخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرتال لأغرقن نفسي، قال: فخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرتال، فبلغ ذلك الجنيد فقال: كان حكمه أن تخرج له أفعى تلدغه. وقيل لأبي يزيد: فلان يمشي في ليلة إلى مكة! فقال: الشيطان يمشي في ساعة من المشرق إلى المغرب في لعنة الله.

وقيل له: فلان يمشي على الماء، ويطير في الهواء، فقال: الطير يطير في الهواء، والسمك يمشي على وجه الماء. وقال سهل بن عبد الله: أكبر الكرامات أن تُبدل خلقاً مذموماً من أخلاقك. وكان رجل يقال له عبد الرحمن بن أنس يصحب سهل بن عبد الله، فقال له يوماً: ربما أتوضأ للصلاة فيسيل الماء بين يدي قضبان ذهب وفضة، فقال سهل: أما علمت أن الصبيان إذا بكوا يعطون خشخشة ليشتغلوا بها؟

هنا قام أبحر بولس ببلهته المعهودة، وقال: أراك تقول هذا، لأنه لم يكن لنبيكم شيء من الطاقات.. لقد كان مجرد بشر كسائر البشر.. يحمل ضعف البشر، وفقر البشر.

قال عبد القادر: نعم.. لقد كان نبينا كذلك كما كان سائر الأنبياء — عليهم السلام — فالله تعالى اختار بحكمته أن يرسل للبشر بشرا مثلهم، وقد قال ردا على من طلب أن ترسل لهم ملائكة: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَكَلَّمُوا مَلَكَ أَلَمْ نَأْمُرْهُمْ أَنْ يُنظِرُونَ﴾ (٨) ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾ (الأنعام: ٨-٩)

ولهذا، فليس هناك من حرج في كون النبي بشرا كسائر البشر، بل إن من مهمته أن ينبه الناس إلى كونه مثلهم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠)، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ (فصلت: ٦)

بل إن النبي ﷺ اختار أن يكون كسائر الناس بسيطا متواضعا عبدا، فقد روي أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس، ومعه جبريل عليه السلام، إذ انشق أفق السماء، فأقبل جبريل يدنو من الأرض، ويدخل بعضه في بعض، ويتضائل فإذا ملك<sup>١</sup> قد مثل بين يدي رسول الله ﷺ، فقال: (السلام عليك يا محمد، إن ربك يقرئك السلام،

(١) وفي رواية: إن الله سبحانه تعالى أرسل إلى النبي ﷺ ملكا من الملائكة حجزته تساوي الكعبة، ما هبط على نبي قبلي، ولا يهبط على أحد بعدي، وهو إسرافيل عليه السلام، فقال: وأكمل الحديث.

أنا رسول ربك إليك، أمرني أن أحيرك: إن شئت نبياً عبداً، وإن شئت نبياً ملكاً، فنظرت إلى جبريل عليه السلام كالمستشير، فأشار إلي جبريل بيده، أن تواضع، فقلت: (بل نبياً عبداً، يا عائشة لو قلت: نبياً ملكاً، ثم شئت لسارت معي الجبال ذهباً)، قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يأكل متكناً ويقول: (أكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد)<sup>١</sup>

وعن حمزة بن عبيد الله بن عتبة قال: كانت في رسول الله ﷺ خصال ليست في الجبارين، كان لا يدعوهم أحمر، ولا أسود، إلا أجابه، وكان ربما وجد ثمرة ملقاة فيأخذها، فيرمي بها إلى فيه، وإنه ليخشى أن تكون من الصدقة، وكان يركب الحمار عربياً، ليس عليه شيء<sup>٢</sup>.

وعن جابر بن عبد الله — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ أخذ بيد مجذوم، فأدخله معه في القصة، ثم قال له: (كل باسم الله، وثقة بالله، وتوكلا عليه)<sup>٣</sup>

وعن عبد الرحمن بن جبر الخزاعي قال: بينما رسول الله ﷺ يمشي مع أصحابه إذ أخذ رجل منهم، فستره بثوب فلما رأى ما عليه، رفع رأسه، فإذا هو علاه قبلي ستر، فقال: (مه)، فأخذ الثوب، فوضعه، وقال: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ (الكهف: من الآية ١١٠)<sup>٤</sup>

وعن أبي المثني الأملوكي — رضي الله عنه — قال: كان رسول الله ﷺ، ومن قبله من الأنبياء — عليهم السلام — يمشون على العصا، يتوكئون عليها، تواضعاً لله عز وجل<sup>٥</sup>.

وعن أنس — رضي الله عنه — قال: كان رسول الله ﷺ يركب الحمار، ويردف بعده، ويوجب دعوة المملوك<sup>٦</sup>.

وعن أبي موسى — رضي الله عنه — قال: كان رسول الله ﷺ يركب الحمار، ويلبس الصوف، ويعقل الشاة، ويأتي مدعاة الضعيف<sup>٧</sup>.

وعن عبد الله بن أبي أوفى — رضي الله عنه — قال: كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر، ويقبل اللغو، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، ولا يأنف، ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين يقضي لهما حاجتهما<sup>٨</sup>.

عن ابن عباس، وأنس — رضي الله عنهما — قال: كان رسول الله ﷺ يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويعقل الشاة، ويوجب دعوة المملوك، ويقول: (لو دعيت إلى ذراع لأجبت، ولو أهدي إلي كراع لقبلت)<sup>٩</sup>

(١) رواه أبو نعيم وابن عساكر من طرق عن ابن عباس موقوفاً، وابن سعد عن عائشة، وأبو نعيم عن ابن عمر مرفوعاً.

(٢) رواه ابن سعد.

(٣) رواه أبو داود والترمذي.

(٤) رواه ابن أبي شيبة وعلي بن عبد القدير البغوي.

(٥) رواه ابن الأعرابي.

(٦) رواه ابن سعد.

(٧) رواه الحاكم.

(٨) رواه الدارمي.

(٩) رواه أبو الشيخ عن ابن عباس، وابن سعد عن أنس.

وعن أنس — رضي الله عنه — قال: كان رسول الله ﷺ يركب الحمار، ويعود المريض، ويشهد الجنائز، ويأتي دعوة المملوك، وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بجبل من ليف، على إكاف من ليف<sup>١</sup>.

وعن الحسن — رضي الله عنه — قال: والله ما كان رسول الله ﷺ تغلق دونه الأبواب، ولا يقوم دونه الحجاب، ولا يغدى عليه بالجنان، ولا يراح بها عليه، ولكنه كان بارزا، من أراد أن يلقي نبي الله ﷺ لقيه، كان يجلس على الأرض، ويطعم ويلبس الغليظ، ويركب الحمار، ويردف خلفه، ويلعق يده<sup>٢</sup>.

وعن ابن مسعود — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ كلم رجلا فأرعد، فقال: (هون عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديدة)<sup>٣</sup>

وعن عبد الله بن بسر قال: أهديت إلى رسول الله ﷺ شاة فجننا على ركبتيه، فأكل، فقال أعرابي: يا رسول الله ما هذه الجلسة؟ فقال: (إن الله عزوجل جعلني عبدا كريما، ولم يجعلني جبارا عنيدا)<sup>٤</sup>

وعن أنس — رضي الله عنه — قال: إن كانت الوليدة من ولائد أهل المدينة لتجئ فتأخذ بيد رسول الله ﷺ، فما يترع يده من يدها، حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة<sup>٥</sup>.

وقد روي أن رسول الله ﷺ مر بسلام يسلم شاة، فقال له رسول الله ﷺ: (تنح حتى أريك، فإني لا أراك تحسن تسلم)، فأدخل رسول الله ﷺ يده بين الجلد واللحم، فدخس بها حتى ترادت إلى الإبط، ثم قال: (يا غلام هكذا فاسلم)<sup>٦</sup>

وعن أنس — رضي الله عنه — قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاءه خدم أهل المدينة بأنيتهم فيها الماء فما يؤتى بإناء إلا غمس يده فيه، فرما جاءه في الغداة الباردة، فيغمس يده فيها<sup>٧</sup>.

قام أجيبر بولس، وقال: ما أراك تقول هذا الكلام إلا هربا من الحقيقة.

قال عبد القادر: ما الحقيقة التي أهرب منها؟

قال أجيبر بولس: الحقيقة المعروفة عند الجميع .. وهي أن نبيكم لم تحرق له أي عادة، ولم تكن له أي طاقة.

قال عبد القادر: كأني بك تستفزني للحديث عن ذلك.. فإن شاء الجمع أن أحدثهم عن بعض الطاقات العظيمة التي حبا الله بها نبيه ﷺ ليؤدي الرسالة التي كلف بها حديثهم.

أشار الجمع بالإيجاب، وقد لاحظت سرورا على وجه بولس كان يحاول إخفائه.

- 
- (١) رواه الترمذي.
  - (٢) رواه أحمد في الزهد، وابن عساكر — وقال هذا حديث مرسل — وقد جاء معناه في الأحاديث المسندة.
  - (٣) رواه ابن ماجه.
  - (٤) رواه ابن ماجه.
  - (٥) رواه أبو بكر بن أبي شيبة.
  - (٦) رواه أبو داود، وابن ماجه، وابن حبان، وقاسم بن ثابت، والطبراني عن أبي سعيد وغيره من الصحابة.
  - (٧) رواه مسلم.

## ١ - الوحي

نظر عبد القادر إلى الجمع الملتف حوله، وقال: أول طاقة حبا لله بها أنبياءه، بما فيهم المسيح ومحمد — عليهما الصلاة والسلام — طاقة تلقي الوحي..

إن هذه الطاقة طاقة عظيمة لا يمكن تصورهما.. إنما اتصال الإنسان الضعيف القاصر بالعالم الآخر..

ولهذا عبر القرآن الكريم عن ثقل الوحي، فقال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (المزمل: ٥) وقد ذكر القرآن الكريم أن كلام الله لعبادة لا يتم إلا من خلال ثلاثة أمور، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى: ٥١)

ومعنى الوحي أن يلقي الله المعنى في القلب، أي أن الله تعالى يقذف في روع النبي ﷺ شيئاً لا يمارى فيه أنه من الله تعالى، كما قال ﷺ: إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله واجملوا في الطلب<sup>١</sup>.

والثاني تكليمه من وراء حجاب، كما كلم الله موسى ﷺ، فقد سمع النداء من وراء الشجرة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنهَاهُ نُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (القصص: ٣٠)

والثالث نزول أمين الوحي جبريل ﷺ، كما روي في الحديث عن عائشة — رضي الله عنه — أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ، فقال: يارسول الله: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني — أي يقلع — وقد وعيت عنه ما قال — أي حفظت — وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول<sup>٢</sup>.

وقد كان هذا النوع الأخير هو النوع الذي تنزل به القرآن الكريم، وقد كان أثقل الوحي على رسول الله ﷺ، وإنما كان كذلك لأنه انسلاخ من البشرية واتصال بالروحانية.

أما الثانية فأخفها؛ لأنها انتقال ملك الوحي من الروحانية إلى البشرية بسهولة ويسر، بإذن من الله تعالى. وقد وصف المعاشيون لرسول الله ﷺ كيف كان يأتيه هذا النوع من الوحي، وهو بجد ذاته دليل على أنه حقيقة ملموسة لا علاقة لها بأي مرض كما يشيع المرجفون.

فقد وصفت عائشة — رضي الله عنه — شدة الوحي على رسول الله ﷺ، فقالت: إن كان ليوحي إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته، فتضرب بجرانها فما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه وتلت الآية<sup>٣</sup>.

وقالت: لقد رأيته — تعني النبي ﷺ — يتزل على الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه

(١) رواه ابن حبان.

(٢) رواه البخارى.

(٣) رواه أحمد وعبد بن حميد وابن جرير والحاكم وصححه.

ليتفصد عرقاً<sup>١</sup>.

وقالت: كان رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي يغط في رأسه ويتربد وجهه ويجد برداً في ثناياه ويعرق حتى لينحدر منه مثل الجمان<sup>٢</sup>.

وقال زيد بن ثابت — رضي الله عنه —: أنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي، فكادت فخذه ترض فخذي<sup>٣</sup>.

وقال أبو أروى الدوسي — رضي الله عنه —: رأيت الوحي يتزل على رسول الله ﷺ، وإنه على راحلته، فترغو وتفتل يديها حتى أظن أن ذراعها تنقصم، وربما بركت وربما قامت مotide يديها حتى يسرى عنه عن ثقل الوحي، وإنه لينحدر منه مثل الجمان<sup>٤</sup>.

وقال عبادة بن الصامت — رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد وجهه وغمض عينيه<sup>٥</sup>.

وقال أبو هريرة — رضي الله عنه —: كان رسول الله ﷺ إذا أوحى إليه لم يستطع أحد منا يرفع طرفه إليه حتى يقضى الوحي<sup>٦</sup>.

وقالت أسماء بنت يزيد — رضي الله عنه —: كنت آخذة بزمام ناقة رسول الله ﷺ حين أنزلت عليه سورة المائدة فكاد ينكسر عضدها من ثقل السورة<sup>٧</sup>.

وقال ابن عمر — رضي الله عنه —: أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته فلم تستطع أن تحمله فتزل عنها.

وقال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله هل تحس بالوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك، فما مرة يوحى إلي إلا ظننت أن نفسي تقبض<sup>٨</sup>.

وكان يعلى بن أمية يقول: ليتني أرى رسول الله ﷺ حين يتزل عليه الوحي، فلما كان النبي ﷺ بالجرعانة وعليه ثوب قد أضل عليه، ومعه ناس من أصحابه فيهم عمر، إذ جاءه رحل متضمخ بطيب، فقال: يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرم في جبة بعد ما تضمخ بطيب فنظر رسول الله ﷺ، ثم سكت، فجاءه الوحي، فأشار عمر: أن تعال، فجاء يعلى، فأدخل رأسه، فإذا هو محمر الوجه يغط، ما يغط البكر، كذلك ساعة ثم سري عنه، الحديث<sup>٩</sup>.

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه ابن سعد.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه ابن سعد.

(٥) رواه مسلم.

(٦) رواه مسلم.

(٧) رواه أحمد والطبراني.

(٨) رواه أحمد.

(٩) رواه البخاري ومسلم.

وقال ابن عباس — رضي الله عنه —: كان رسول الله ﷺ إذا أنزل على الوحي تربد لذلك جسده ووجهه وأمسك عن أصحابه ولم يكلمه أحد منهم<sup>١</sup>.

قال أجيير بولس: ألا ترون — أيها الجمع — إلى هذه الخرافات التي يلقونها هذا الرجل.. كيف يمكن لعقل أن يقبل باتصال محمد ذلك البدوي الأمي بالسماء.. كيف يمكن أن يحصل منه هذا الاتصال بالعالم الآخر؟ ابتسم عبد القادر، وقال: لاشك أنك مسيحي، ومخلص للمسيحية.

قال أجيير بولس: لو لم يهديني عقلي إليها ما آمنت بها. قال عبد القادر: لقد ورد في الكتاب المقدس اتصال الله بكثير من أنبيائه.. بل ليس هناك نبي إلا واتصل بالله، ونزل عليه وحي من الله.. أم أنك تنكر ذلك.

فإن كنت تنكر ذلك.. فإن كل النبوءات التي على أساسها تقيم إيمانك بالمسيح غير صحيحة.. وإن كنت تنكر أن يختص الله محمدا بالنبوة لكونه عربي، فأنت لا تختلف عن الشيطان الذي قال لآدم **التَّيْلَةَ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾** (لأعراف: من الآية ١٢)

فالشيطان هو الذي أراد أن يحجر على الله فضله على عباده، وعلى دربه سار الإسرائيليون الذين تتلقون عنهم الدين حين جعلوا فضل الله محصورا في نسل معين من بني إسرائيل امتلا بالكبر والغرور.

أما نحن المسلمين، فنعتقد أن هذا الفضل يمن الله به على من يشاء من عباده، ونعتقد فوق ذلك ما قاله القرآن الكريم من أنه لم تخل أمة من الأمم من وحي الله، كما قال تعالى: **﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾** (فاطر: ٢٤)

ولكن مع ذلك.. فسأجيب عن سؤالك لا باعتبارك مسيحيًا مخلصًا في مسيحيتك، بل باعتبارك رجلا صاحب عقل، يتصور أن عقله يمنعه من الإيمان بالوحي<sup>٢</sup>.

أنا — اليوم — نستطيع أن نفهم هذه المسألة بسهولة تامة بفضل الحقائق المعلومة. إن هناك وقائع كثيرة جدا تجري من حولنا في كل لحظة، ونحن نعجز عن إدراكها، أو سماعها، أو الإحساس بها بوساطة أجهزةتنا العصبية، وقد استطاع العلم الحديث أن ييسر لنا إدراكها بفضل الأجهزة العلمية التي اخترعناها.

وهذه الأجهزة تستطيع أن تدل علي صوت ذباب طائر علي بعد بضعة أميال، وكأنه يطير عند أذنك. ومن الأجهزة العلمية ما وصل التقدم فيه إلى حد أنها تسجل صدام الأشعة الكونية في الفضاء. لقد اخترعناه آلات كثيرة أثبتت أنها تستطيع إدراك كثير من الأحداث التي لا يمكننا سماعها بالطرق السمعية التقليدية.

وهذه الطاقة غير العادية للسمع لا تخص الآلات العلمية الحديثة، وإنما وهبها الله لبعض الحيوانات أيضا. وما لا شك فيه أن جهاز سماع الإنسان محدود جدا، ولكن أجهزة بعض الحيوانات تختلف كل الاختلاف

(١) رواه أبو داود الطيالسي.

(٢) انظر: الإسلام يتحدى، لوحيد الدين خان.

؛ فالكلب، مثلا، يستطيع أن يشم ريح الحيوان الذي مر من الطريق، ومن ثم استغلت الكلاب في البحث عن الجرائم والمجرمين.

وهناك حيوانات كثيرة تسمع أصواتا تخرج عن نطاق أسماعنا، وقد أثبتت البحوث في هذا الميدان أن بعض الحيوانات يتمتع بقوة (الإشراق) Telepathy. فلو أنك وضعت حشرة مما يطلق عليه (Moth)، أو (العثة)، وهي حشرة مجنحة-علي نافذة مفتوحة، فستحدث صوتا يسمعه زوجها علي مسافة بعيدة جدا، وسوف يجيبها هذا الزوج أيضا بطريقته.

وهناك نوع خاص من هذه الحشرات يدعي (الجندب)، يحك رجليه وجناحيه ويصوت بطريق غير عادية، ويسمع علي مبعدة نصف ميل وهو يحرك في هذه العملية ستمائة طن من الهواء، ليدعو زوجته وهذه الزوج ترسل أيضا وهي ساكنة بلا حراك جوابا لا نعرفه، إنما يعرفه الجندب الذكر ثم يلحق بها أينما كانت.

وقد أثبتت البحوث أيضا أن (أبو النطيط) العادي Grasshoper لديه قدرة خارقة علي السماع حتى إنه يستطيع أن يسمع ويحس الحركة التي تحدث في نصف قطر من ذرة الهيدروجين.

وهناك أمثلة أخرى كثيرة، تؤكد إمكان وجود وسائل غير مرئية لدي ذوي الحواس الخاصة. وإذا كان الأمر كذلك فما وجه الغرابة في ادعاء إنسان أنه يسمع صوتا من لدن ربه، لا يدركه عامة الناس ما دام من الممكن أن توجد في هذا العالم حركات وأصوات لا تسمعها آذان الإنسان، ولكن تسجلها الآلات؟ وما دامت هناك رسائل تدركها حيوانات دون أخرى؟

إن الله تعالي- لحكمة يعلمها- يرسل رسائله بوسائل خافتة خفية إلي الإنسان المختار للرسالة بعد أن يودع فيه صلاحية التقاطها وفهمها، فليس هناك من تصادم في الحقيقة، بين مشاهداتنا وتجاربنا العلمية، فهو واقع من الوقائع الكثيرة التي نشاهدها ونجربها في أمكنة وطرق مختلفة فالوحي إمكان وجدناه في شكل الواقع بعد التجربة.

وقد تبين أن تجارب الإشراق أو الانكشاف ومعرفة الغيب لا تخص الحيوانات، وإنما توجد في الإنسان (بالقوة)، يقول الدكتور ألكسيس كريل: إن حدود الفرد في إطار الزمان والمكان هي مجرد افتراض، فيستطيع عامل الإشراق أن يجعلك تنام، وتضحك أو تبكي، كما يستطيع أن ينقل إليك كلمات أو خواطر، ليست علي علم بها. إنما عملية لا تستعمل فيها أية وسائل ولا يشعر بها غير عامل الإشراق وصاحبه.

كيف يستحيل وقوع هذه العملية نفسها بين العبد وربّه؟ إننا بعد الإيمان بالله، والإطلاع علي هذه التجارب الكثيرة بما ذلك الإشراق، لا نجد أساسا لإنكار الوحي والإلهام.

وقد حدث سنة ١٩٥٠ أن المسئولين في (بافاريا) رفعوا قضية ضد أحد النمساويين، واسمه (فرنتر ستروبييل)، بتهمة التدخل في برامج الإذاعة عن طريق الإشراق.

وكان فرنتر ستروبييل يستعرض أعماله في فندق ريجينا، بميونخ، عندما ناول أوراق لعب الكوتشينة إلي أحد المتفرجين، وطلب إليه اختيار ورقة ما، وادعي أنه سوف ينقل اسم تلك الورقة واسم الفندق مع ترتيبهما، كما هما في ذهن المتفرج، إلي المذيع الذي كان يقرأ الأخبار من إذاعة ميونيخ المحلية، ذلك دون أن يعرف المذيع



نفسه شيئا من هذا.

بعد ثوان سمع الناس صوت مذياع مرتعش، هو يقول: (فندق ريجينا- بنت البستوني) وكان الترتيب واسم الورقة صحيحين، كما أراد المتفرج.

وكان الارتعاش والرهبة واضحين في صوت المذياع ولكنه واصل قراءة الأخبار.

استغرب الكثيرون من المستمعين من سكان ميونيخ، واتصل مئات منهم تليفونيا بالإذاعة يستفسرون عن السر الغامض، فكان من الصعب عليهم إدراك علاقة الأخبار (بفندق ريجينا- بنت البستوني): وحضر طبيب الإذاعة للكشف علي المذياع، فوجده في حالة اضطراب خطيرة، وأدلي المذياع ببيانه قائلًا: (إنني شعرت بصداع شديد في رأسي، ولا أعرف ماذا حدث بعد ذلك!)

وقد عرض العلماء نظريات عديدة لشرح هذه الصور من عملية الإشراق، ومنها أن أمواجًا تصدر من المخ

وتنتشر في العالم أجمع بسرعة فائقة، ولذلك سموها بنظرية الموجة المخية Brain Wave Theory

فإذا كان الإنسان — كما يرى هؤلاء العلماء — يستطيع تحويل الأفكار بأكملها إلى إنسان آخر، علي بعد غير عادي، وبدون استعمال أي واسطة مادية ظاهرة، فلماذا تستحيل نفس العملية بين الإله وعباده؟ إن هذا المظهر من كفاءة قوى الإنسان، وأمثله كثيرة لا تحصى، ليس إلا قرينة تجريبية تجعلنا نفهم علاقة الألفاظ والمعاني التي تربط العبد بالإله عندما يرسل رسالاته.

إن الإشراق أمر معروف لدى الناس، وهو يدلنا علي فهم ذلك النظام الإشراقي العظيم بين الإله والعباد. قال رجل من الجمع: ولكن الوحي أخطر بكثير من هذه الأمثلة الإشراقية التي ذكرتها.. قال عبد القادر: ليس هناك شيء لدي أي شخص من الناس يشبه الوحي.. لأن الوحي خاص بالأنبياء — عليهم السلام —

سكت قليلا، ثم قال: لقد ورد في السيرة بأسانيد كثيرة ما يدل علي أن محمدا ﷺ هيئ جسميا لهذا الوحي، كما هيئ للوظائف الكبرى التي يقوم بها. وهذه التهيئة هي ما يسمى حادثة شق الصدر.

فقد تكرر شق صدره الشريف ﷺ — كما يذكر علماء السيرة — أربع مرات:

أما الأولى، وهو ﷺ صغير في بني سعد، فعن أنس — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأهذه فصرعه فشق عن قلبه واستخرج لقلب ثم شق القلب فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه فأعادة مكانه.

وجعل الغلمان يسعون إلى أمه — يعني ظفره حليلة — فقالوا: إن محمدا قد قتل فجاءوه وهو منتقع اللون.

قال أنس: فلقد كنت أرى أثر المخيط في صدره ﷺ<sup>١</sup>.

وعن عتبة بن عبد السلمي — رضي الله عنه —، أن رسول ﷺ قال: كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر، فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ولم نأخذ معنا زادا فقلت: يا أخي اذهب فائتنا بزاد من عند أمنا.

(١) رواه أحمد ومسلم.

فانطلق أحى ومكثت عند البهيم فأقبل إلي طائران كأنهما نسران، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: نعم فأقبلا يبتدراني فأخذاني فبطحاني للققا فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقا فأخرجا منه علقتين سوداوين فقال أحدهما لصاحبه: إيتني بماء تلج فغسلا به جوفي، ثم قال: إيتني بماء برد فغسلا به قلبي، ثم قال: إيتني بالسكينة فذراها في قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبه حصه، فحاصه وختم عليه بخاتم النبوة، وذكر الحديث<sup>١</sup>.

أما المرة **الثانية**، فقد حصلت له ﷺ وهو ابن عشر سنين، فعن أبي بن كعب — رضي الله عنه — أن أبا هريرة — رضي الله عنه — قال: يا رسول الله ما أول ما ابتدئت به من أمر النبوة؟ قال: إني لفي صحراء أمشي ابن عشر حجج إذا أنا برجلين فوق رأسي يقول أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال نعم.

فأخذاني فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط وأرواح لم أرها من خلق قط، وثياب لم أرها على أحد قط، فأقبلا إلى بمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجد لأحدهما مسا، فقال أحدهما لصاحبه: أضجمعه. فأضجمعني لا قصر ولا هصر وفي لفظ: فقلباي لحلاوة القفا ثم شقا بطني<sup>٢</sup>.

فخوى أحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع، فكان أحدهما يختلف بالماء في طست من ذهب، والآخر يغسل جوفي، فقال أحدهما لصاحبه: افلق صدره فإذا صدري فيما أرى مفلوقا لا أجد له وجعا. ثم قال: شق قلبه فشق قلبي فقال: أخرج الغل والحسد منه، فأخرج شبه العلقة فنبذ به، ثم قال: أدخل الرأفة والرحمة في قلبه، فأدخل شيئا كهينة الفضة، ثم أخرج ذرورا كان معه فذره عليه ثم نقر إهامي ثم قال: اغد واسلم، فرجعت بما لم أجد به من رحمتي للصغير ورأفتي للكبير<sup>٣</sup>.

أما المرة **الثالثة**، فعند المبعث، فعن عائشة — رضي الله عنه — أن النبي ﷺ نذر أن يعتكف شهرا هو وخديجة، فوافق ذلك شهر رمضان فخرج ذات ليلة، فسمع: السلام عليك. قال: فظننت أنهما فجاءة الجن، فجئت مسرعا حتى دخلت على خديجة فقالت: ما شأنك؟ فأخبرتها فقالت: أبشر فإن السلام خير.

ثم خرجت مرة أخرى فإذا أنا بجبريل على الشمس له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب، فهلت منه فجئت مسرعا، فإذا هو بيني وبين الباب، فكلمني حتى أنست منه، ثم وعدني موعدا، فجئت له فأبطأ علي فأردت أن أرجع فإذا أنا به وبميكائيل قد سد الأفق فهبط جبريل وبقي ميكائيل بين السماء والأرض، فأخذني جبريل فألقاني لحلاوة القفا، ثم شق عن قلبي، فاستخرجه ثم استخرج منه ما شاء الله أن يستخرج ثم غسله في طست من ماء زمزم ثم أعاده مكانه مكانه ثم لأمه ثم أكفأني كما يكفأ الإناء ثم ختم في ظهري حتى وجدت مس الخاتم في قلبي، وذكر الحديث<sup>٤</sup>.

أما المرة **الرابعة**، فليلة الإسراء، فعن أنس — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: أتيت وأنا في

(١) رواه أحمد والدارمي والحاكم وصححه والطبراني والبيهقي وأبو نعيم.

(٢) وفي لفظ فقال أحدهما لصاحبه: افلق صدره.

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند بسند رجاله ثقات، وابن حبان والحاكم وأبو نعيم وابن عساكر والضياء، في المختارة.

(٤) رواه أبو داود الطيالسي والحارث بن أبي أسامة في مسنديهما، والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل.

أهلي فانطلق بي إلى زمزم فشرح صدري، ثم أتيت بطست من ذهب ممتلئا حكمة وإيمانا فحشي بهما صدري، قال أنس والنبي ﷺ يرينا صدره، فعرج بي الملك إلى سماء الدنيا، وذكر حديث المعراج<sup>١</sup>.  
وعن مالك بن صعصعة — رضي الله عنه — أن النبي ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به قال: بينما أنا في الحطيم مضطجعا إذ أتاني آت فجعل يقول لصاحبه: الأوسط من الثلاثة، فأتاني فشق ما بين هذه إلى هذه يعني من ثغره نحره إلى شعرته، فاستخرج قلبي، فأتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا وحكمة فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار<sup>٢</sup>.  
فهذه الروايات كلها تدل على أن النبي ﷺ هب جسميا لتلقي الرسالة وما يرتبط بها من وحي وغيره، فتنقل الوحي يستدعي طاقات خاصة.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

## ٢ — الاستبصار

نظر عبد القادر إلى الجمع المنتف حوله، فرأى فيهم اهتماما كبيرا لما يقول، فقال: هناك طاقة أخرى من الطاقات القريبة من الوحي، ولو أنها لم تكن تحتاج تنزل ملك.

قالوا: ما هي هذه الطاقة؟

قال عبد القادر: هي طاقة الاستبصار.. فالتبني ﷺ كان يبصر أشياء لا طاقة لغيره بإبصارها، ويسمع أشياء لا طاقة لغيره بسماعها.

قالوا: حدثنا عن ذلك.

قال: من ذلك **رؤيته الفتن**، فعن أسامة بن زيد — رضي الله عنه — قال: أشرف رسول الله ﷺ على أطم من أطام المدينة، فقال: (هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن تقع خلال بيوتكم كوقوع المطر)<sup>١</sup> وعن بلال — رضي الله عنه — قال: رفع رسول الله ﷺ بصره إلى السماء، فقال: (سبحان الذي يرسل عليهم الفتن ارسال القطر)<sup>٢</sup>

ومن ذلك **رؤيته الدنيا وسماع كلامها**، فعن أبي بكر الصديق — رضي الله عنه — قال: كنت مع رسول الله ﷺ فرأيته يدفع عن نفسه شيئا، ولم أر معه أحدا، فقلت: يا رسول الله، ما الذي تدفع؟ قال: هذه الدنيا مثلت لي، فقلت لها: اليك عني، ثم رجعت فقالت: ان أفلت مني فلن ينفلت مني من بعدك<sup>٣</sup>.  
ومن ذلك قوله ﷺ: (أتني الدنيا خضرة حلوة ورفعت لي رأسها وتزينت لي، فقلت: لا أريدك، فقالت: إن انفلت مني لم ينفلت مني غيرك)<sup>٤</sup>

ومن ذلك **رؤيته الجمعة والساعة**، فعن أنس — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (أتاني جبريل، وفي يده امرأة بيضاء فيها نكتة سوداء، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذه الجمعة، يعرضها عليك ربك، لتكون لك عيدا ولقومك، قلت: ما هذه النكتة السوداء فيها؟ قال: هذه الساعة)<sup>٥</sup>

ومن ذلك **ما اطلع عليه من أحوال البرزخ والجنة والنار**، فعن الحسين بن علي — رضي الله عنه — قال: لما توفي القاسم ابن رسول الله ﷺ قالت خديجة — رضي الله عنه — ووددت لو كان الله أبقاه حتى يستكمل رضاعه، فقال رسول الله ﷺ: (إن تمام رضاعه في الجنة)، قالت: لو أعلم ذلك يا رسول الله يهون علي أمره، قال: (إن شئت دعوت الله عز وجل يسمعك صوته)، قالت: بل أصدق الله ورسوله<sup>٦</sup>.

**ومن ذلك** ما روي عن زيد بن ثابت — رضي الله عنه — قال: بينما رسول الله ﷺ في حائط بني النجار

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه الطبراني.

(٣) رواه البيهقي والحاكم وصححه.

(٤) رواه أحمد في الزهد عن عطاء بن يسار مراسلا.

(٥) رواه البزار وأبو يعلى والطبراني وابن أبي الدنيا من طرق جيدة.

(٦) رواه ابن ماجه.

على بغلة له، ونحن معه إذ جادت به فكادت تلقيه، وإذا بقبر ستة أو خمسة، فقال: (من يعرف أصحاب هذه الأقبير؟)، فقال رجل: أنا، فقال: قوم هلكوا في الجاهلية فقال: (إن هذه الامة تبتلى في قبورها، فلولا أن تدافنوا لدعوت الله عز وجل أن يسمعكم من عذاب القبر)<sup>١</sup>

**ومن ذلك** ما روي عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال: مر رسول الله ﷺ على قبرين، فقال: (إنهما ليعذبان، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة بين الناس)<sup>٢</sup>

**ومن ذلك** ما روي عن أسماء — رضي الله عنها — قالت: كسفت الشمس، فصلى رسول الله ﷺ ثم حمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: (ما من شيء لم أكن رأيته الا رأيته في مقامي هذا حث الجنة والنار)<sup>٣</sup>

**ومن ذلك** ما روي عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال: انكسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فصلى، ثم انصرف، فقالوا: يا رسول الله، رأيك تناولت شيئا في مقامك هذا ثم رأيك تكعكت قال: (إني رأيت الجنة، فتناولت عنقودا، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر منظرا كالיום قط أفضع ورأيت أكثرها النساء)<sup>٤</sup>

**ومن ذلك** ما روي عن أنس — رضي الله عنه — قال: صلى رسول الله ﷺ ذات ليلة صلاة، فمد يده ثم أحرها فسألناه، فقال: (إنه عرضت علي الجنة، فرأيت قطوفها دانية، فأردت أن أتناول منها شيئا، وعرضت علي النار فيما بينكم وبين كظلي وظلكم فيها)<sup>٥</sup>

وعنه، قال: بينا رسول الله ﷺ وبلال يمشيان فقال: (يا بلا، هل تسمع ما أسمع؟)، قال: لا والله يا رسول الله، ما أسمع شيئا، قال: (ألا تسمع أهل القبور يعذبون؟)<sup>٦</sup>

**ومن ذلك** ما روي عن أبي أمامة — رضي الله عنه — قال: أتى رسول الله ﷺ ببيع الغرقد، فوقف على قبرين ثرين، قال: (أدفتنم هاهنا فلانا وفلانة؟)<sup>٧</sup> قالوا: نعم، قال: (قد أقعد فلان الآن يضرب)، ثم قال: (والذي نفسي بيده، لقد ضرب ضربة سمعها الخلائق إلا الثقلين ولولا تمرير قلوبكم وتريدكم في الحديث لسمعتم ما أسمع)، ثم قال: (الآن يضرب هذا)، ثم قال: (والذي نفسي بيده، لقد ضرب ضربة ما بقي منه عظم الا انقطع)، وقال: (تطائر قبره نارا)، قالوا: يا رسول الله، وما ذنبهما؟ قال: (أما هذا فانه كان لا يستبرئ من البول، وأما هذا فكان يأكل لحوم الناس)<sup>٨</sup>

**ومن ذلك** ما روي عن عمران بن الحصين وعبد الله بن عمرو — رضي الله عنهما — أن رسول الله ﷺ

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه الحاكم.

(٦) رواه الحاكم، ورواه أحمد رجال الصحيح بلفظ قال: صاحب القبر يعذب، فسنل عنه، فوجده يهوديا.

(٧) أو قال: «فلانا وفلانا؟»

(٨) رواه ابن خزيمة في كتاب السنة.

قال: (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الضعفاء والفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء)<sup>١</sup> **ومن ذلك** ما روي عن عقبة بن عامر — رضي الله عنه — قال: صليت مع رسول الله ﷺ يوماً فأطال القيام، وكان إذا صلى لنا خفف، فرأيتته أهوى بيده ليتناول شيئاً ثم ركع بعد ذلك، فلما سلم رسول الله ﷺ قال: (علمت أنه راعكم طول صلاتي وقيامي)، قلنا: أحل، يا رسول الله، وسمعناك تقول: (أي رب، وأنا فيهم؟)، فقال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده، ما من شيء وعدتموه في الآخرة إلا قد عرض علي في مقامي هذا حتى عرضت علي النار، فأقبل منها حتى حاذى خبائي هذا فخشيت أن تغشاكم فقلت: أي رب، وأنا فيهم؟ فصرفها الله تعالى عنكم، فأدبرت قطعاً كأنها الزرابي فنظرت نظرة، فرأيت عمر بن حرثان بن الحارث أحد بني غفار متكئاً في جهنم على قوسه، ورأيت فيها الحميرية صاحبة القطة التي ربطتها، فلا هي أطعمتها ولا هي سقتها)<sup>٢</sup>

**ومن ذلك** ما روي عن عائشة — رضي الله عنها — قالت: قال رسول الله ﷺ: (رأيت جهنم يحطم بعضها على بعض ورأيت عمراً بن عامر الخزاعي يجر قصبه وهو أول من سيب السوائب)<sup>٣</sup> **ومن ذلك** ما روي عن جابر بن عبد الله وأبي بن كعب — رضي الله عنهما — قالوا: بينما نحن صفوفاً خلف رسول الله ﷺ في الظهر أو العصر إذ رأينا يتناول شيئاً بين يديه في الصلاة ليأخذه، ثم يتناوله ليأخذه ثم حيل بينه وبينه، ثم تأخر وتأخرنا ثم تأخر الثانية وتأخرنا فلما سلم، قال أبي بن كعب: يا رسول الله، رأيناك اليوم تصنع في صلاتك شيئاً لم تكن تصنعه، قال: (إني عرضت لي الجنة بما فيها من الزهرة والنضرة، فتناولت قطعاً منها لاتيكم به، ولو أخذته لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه فحيل بيني وبينه، ثم عرضت علي النار فلما وجدت حر شعاعها، تأخرت، وأكثر من رأيت فيها النساء اللاتي إن اتمنن أفشين، وإن سئلن أخفين، وإن أعطين لم يشكرن، ورأيت فيها لحي بن عمرو يجر قصبه في النار وأشبهه من رأيت به معبد بن أكنم)، قال معبد: أي رسول الله يخشى علي من شبهه فانه والد، قال: (لا، أنت مؤمن وهو كافر، وهو أول من جمع العرب على عبادة الاصنام)<sup>٤</sup>

(١) رواه احمد باسناد جيد عن عبد الله بن عمر والطبراني برجال ثقات عن عمران بن حصين، في رواية عمران: (النساء)، وفي رواية ابن عمرو: (الأغنياء)  
(٢) رواه الطبراني باسناد جيد.  
(٣) رواه البخاري.  
(٤) رواه أحمد، ورواه أيضاً عن أبي بن كعب.

### ٣ - التسخير

قام رجل من الجمع، وقال: لقد أعطي سليمان طاقات كثيرة، فقد كان يسمع منطلق الطير، بل ورد في القرآن أنه كان يسمع صوت النمل، ويضحك من حديثها.

ابتسم عبد القادر، وقال: ذاك سليمان عليه السلام، وقد عاش في واقع تطلب أن يكون بتلك المواصفات، ولذلك دعا ربه أن يهبه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (ص: ٣٥)

وقد راعى رسول الله ﷺ هذه الدعوة، فقد روي بأسانيد مختلفة أن رسول الله - ﷺ كان يصلي صلاة الصبح، فقرأ فالتبست عليه القراءة، قال أبو الدرداء: قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول: (أعوذ بالله منك)، ثم قال: (ألعنك بلعنة الله ثلاثاً)، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من صلاته، قلنا يا رسول الله، قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك، قال: (إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليحعله في وجهي)

فلما فرغ من صلاته قال: (لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي فما زلت أحنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين الإبهام والتي تليها، ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية، حتى تصبحوا وتنظروا إليه، فذكرت قول أخي سليمان: ﴿هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ (ص: من الآية ٣٥)، فرده الله تعالى خائباً، ولو لا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سوراى المسجد تتلاعب به صبيان المدينة.

قام أجير بولس، وقال: فلم يرو عن محمد شيء مما يرتبط بطاقات سليمان من تسخير الأشياء له، وسماعه أصواتها.

قال عبد القادر: لا.. بل روي الكثير من ذلك..

قال بولس: تقصد قصة الحمار يعفور<sup>٣</sup>.

قال عبد القادر: ومن الحمار يعفور؟

قال بولس: لقد حدث أبو منظور قال: لما فتح الله على نبيه ﷺ خيراً أصاب من سهمه أربعة أزواج من البغال وأربعة أزواج خفاف، وعشر أواق ذهب وفضة، وحمار أسود ومكتل.

قال: فكلم النبي ﷺ الحمار، فكلمه الحمار، فقال له: ما اسمك؟ قال: يزيد بن شهاب، أخرج الله من نسل جدي ستين حماراً كلهم لم يركبهم إلا نبي، لم يبق من نسل جدي غيري، ولا من الأنبياء غيرك، وكنت أتوقع أن تركبني، قد كنت قبلك لرجل يهودي، وكنت أعتز به عمداً، وكان يجيع بطني ويضرب ظهري، فقال النبي ﷺ: سميتك يعفور، يا يعفور! قال: لبيك، قال تشتهي الإناث قال: لا.

(١) حاولنا في رسالة (مفاتيح المدائن) من (رسائل السلام) أن نبين المعاني السامية التي يتضمنها هذا الدعاء، فانظره فيها.

(٢) رواه مسلم عن أبي الدرداء، وأحمد بسند حسن عن ابن أبي شيبه، وأبو داود عن أبي سعيد الخدري، وجابر والنسائي عن عائشة.

(٣) من الشبه الخطيرة التي يوردها المسيحيون في مواقعهم.

فكان النبي ﷺ يركبه لحاجته، فإذا نزل عنه بعث به إلى باب الرجل، فيأتي الباب فيقرعه برأسه فإذا خرج إليه صاحب الدار أوماً إليه أن أحب رسول الله ﷺ، فلما قبض النبي ﷺ جاء إلى بئر كان لأبي التيهان فتردى فيها، فصارت قبره جزءاً منه على الرسول.

ابتسم عبد القادر، وقال: هذه قصة مكذوبة على رسولنا.. وأنت تعلم أكثر مني أن كل دين يتعرض للكذابين الذين يريدون تشويهه بما يختلقون من الأكاذيب.

فإن كذبتني في هذا، فعليك تصديق كل الكتب المقدسة التي رمتها مجامعكم بحجة كونها مكتوبة من كذبة لا كتبة.

قال بولس: ومن قال لك بأن هذا الحديث مكذوب؟

قال عبد القادر: المحدثون الذي يعرفون الرواة، ويميزون بين الصادقين منهم والكاذبين.

لقد ذكر ابن الأثير أن القصة ضعيفة لا أصل لها، فقال: (هذا حديث منكر جداً إسناده ومنتناً لا أحل لأحد أن يروي به عني إلا مع كلامي عليه) <sup>١</sup>

وأورد الحافظ الكبير ابن حجر العسقلاني في كتاب لسان الميزان، باب من اسمه محمد بن يزيد هذه القصة كمثال إلى الكذب الذي يروي به محمد بن يزيد، وأورد كلام الحافظ ابن حبان، فقال: (محمد بن يزيد أبو

جعفر: عن أبي حذيفة النهدي ذكر ابن حبان أنه روى عن أبي حذيفة هذا الخبر الباطل )

ثم ذكر ابن حجر القصة كاملة، وقال: قال ابن حبان: هذا خبر لا أصل له، وإسناده ليس بشيء. وقال ابن الجوزي: لعن الله واضعه.

قال ذلك، ثم التفت إلى بولس مبتسماً، وقال: لاشك أن الذي اختلق هذه القصة متأثر بالكتاب المقدس.

قال بولس: كيف عرفت ذلك؟

قال عبد القادر: لقد ورد فيه حديث أتان بلعام، وأنا أحفظ النص، وسأسمعك إياه: ( فَلَمَّا رَأَتْ الْأَتَانُ مَلَكَ الرَّبِّ رَبَّصَتْ تَحْتَ بُلْعَامَ. فَتَارَ غَضَبُ بُلْعَامَ وَضَرَبَ الْأَتَانَ بِالْقَضِيبِ. عِنْدَئِذٍ أَنْطَقَ الرَّبُّ الْأَتَانَ، فَقَالَتْ لِبُلْعَامَ: (مَاذَا جَنَيْتُ حَتَّى ضَرَبْتَنِي الْآنَ ثَلَاثَ دَفْعَاتٍ؟) فَقَالَ بُلْعَامُ: (لَأَنَّكَ سَخَرْتِ مِنِّي. لَوْ كَانَ فِي يَدِي سَيْفٌ لَكُنْتُ قَدْ قَتَلْتُكَ). فَأَجَابَتْهُ الْأَتَانُ: (أَلَسْتُ أَنَا أَتَانُكَ الَّتِي رَكِبْتَ عَلَيْهَا دَائِمًا إِلَى هَذَا الْيَوْمِ؟ وَهَلْ عَوَّدْتُكَ أَنْ أَصْنَعَ بِكَ هَكَذَا؟) فَقَالَ: (لَا).

وقد قال كاتب رسالة بطرس الثانية (٢: ١٦): (إِنَّ الْجِمَارَ الْأَبْكَمَ نَطَقَ بِصَوْتِ بَشَرِيٍّ، فَوَضَعَ حَدًّا لِحِمَاقَةِ ذَلِكَ النَّبِيِّ!)

سكت قليلاً، ثم قال: لقد ورد في النصوص أحاديث كثيرة تشير إلى ما سخر الله لرسوله ﷺ من أشياء من الحيوانات وغيرها، سأسوق لكم بعضها كشواهد على ذلك:

**فمن ذلك** ما روي عن جابر بن عبد الله — رضي الله عنه — قال: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا نزلنا واديا أفيح فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته، فاتبعته بإداوة من ماء، فنظر فلم ير شيئاً يستتر به، فإذا



شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: (انقادي علي ياذن الله)، فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتى أتى إلى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها، وقال: (انقادي علي ياذن الله تعالى)، فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده كذلك، حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما لأم بينهما — يعني جمعهما — فقال: (التمما علي ياذن الله)، فالتأمتا.

قال جابر: فخرجت أحضر مخافة أن يحس رسول الله ﷺ بقربي، فبيتعد، فجلست أحدث نفسي، فحانت مني لفظة، فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبلا، وإذا الشجرتان قد افتترقتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق، فرأيت رسول الله ﷺ وقف وقفه، فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا<sup>١</sup>.

**ومن ذلك** ما حدث به ابن مسعود — رضي الله عنه — قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر، فأراد أن يقضي حاجته، فقال: (يا عبد الله، انظر هل ترى شيئا)، فنظرت، فإذا شجرة واحدة، فأخبرته، فقال: (انظر هل ترى شيئا؟)، فنظرت شجرة أخرى متباعدة عن صاحبته فأخبرته، فقال: (قل لهما: رسول الله ﷺ يأمركما أن تجتمعا)، فقلت لهما، فاجتمعتا ثم أتاهما فاستتر بهما ثم قام، فانطلقت كل واحدة منهما إلى مكانها<sup>٢</sup>.

**ومن ذلك** ما حدث به غيلان بن سلمة الثقفي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فرأينا منه عجبا، مررنا بأرض فيها إشارات متفرقة فقال: (يا غلام، ائت هاتين الإساءتين فمر إحداهما تنضم إلى صاحبته)، فانطلقت، فقامت بينهما، فقلت: إن نبي الله ﷺ يأمر إحداهما أن تنضم إلى صاحبته، فتزل فتوضأ خلفهما، ثم ركب، وعادت تحذ في الأرض إلى موضعها<sup>٣</sup>.

**ومن ذلك** ما حدث به أسامة بن زيد — رضي الله عنهما — أن رسول الله ﷺ قال له في حجة الوداع: (انظر هل ترى من نخل أو حجارة؟)، فقلت: رأيت شجرات متفرقات ورضخا من حجارة، قال: (انطلق إلى النخلات فقل لهن: إن رسول الله ﷺ يأمركن أن تدانين لمخرج رسول الله ﷺ، وقل للحجارة مثل ذلك، فأتيتهن، فقلت لهن ذلك، فوالذي بعثه بالحق لقد جعلت أنظر إلى النخلات يحددن الأرض خدا حتى اجتمعن، وإلى الحجارة يتقافزن حتى صرن رضخا خلف النخلات، فلما قضى رسول الله ﷺ حاجته، وانصرف قال: عد للنخلات والحجارة، فقل لهن: إن رسول الله ﷺ يأمركن أن ترجعن إلى مواضعكن<sup>٤</sup>).

**ومن ذلك** ما روي عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: بم أعرف أنك رسول الله ﷺ؟ قال: (أرأيت إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أبي رسول الله ﷺ، قال: نعم، فدعا العذق، فجعل العذق يتزل من النخلة حتى سقط على الأرض، فأقبل إليه، وهو يسجد ويرفع ويسجد ويرفع حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ ثم قال له: (ارجع)، فرجع إلى مكانه، فقال: والله لا أكذبك بشيء تقوله بعد أبدا أشهد أنك رسول الله، وآمن<sup>٥</sup>.

(١) رواه مسلم وأبو نعيم والبيهقي.

(٢) رواه أبو نعيم ورواه ابن سعد عن عطاء مرسلا.

(٣) رواه أبو نعيم وابن عساکر.

(٤) رواه أبو يعلى وأبو نعيم.

(٥) رواه البخاري في التاريخ والترمذي وصححه وأبو يعلى وابن حبان.

**ومن ذلك** ما روي عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال: أتى النبي ﷺ رجل من بني عامر فقال: يا رسول الله، أرى الخاتم الذي بين كتفك فيني من أطيب الناس، فقال له رسول الله ﷺ: (ألا أريك آية؟)، قال: بلى، قال: فنظر إلى نخلة، فقال: ادع ذلك العذق، قال: فدعاه، فأقبل يخذ الأرض، ويسجد، ويرفع رأسه حتى وقف بين يديه فقال رسول الله ﷺ: (ارجع) فرجع إلى مكانه، فقال: أشهد أنك رسول الله وآمن<sup>١</sup>.

**ومن ذلك** ما روي عن ابن عمر — رضي الله عنهما — قال: كنا في سفر، فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ: (أين تريد؟)، قال: إلى أهلي، قال: (هل لك في خير؟)، قال: وما هو؟ قال: (تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله)، قال: هل لك من شاهد على ما تقول؟ قال: (هذه الشجرة)، فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطئ الوادي، فأقبلت تخذ الأرض حدا فقامت بين يدي رسول الله ﷺ فاستشهدها ثلاثا، فشهدت أنه كما قال، ثم رجعت إلى منبتها.

ورجع الاعرابي إلى قومه، وقال لرسول الله ﷺ: إن يتبعوني أنك بهم، وإلا رجعت إليك فكنت معك<sup>٢</sup>.  
**ومن ذلك** ما روي عن أنس — رضي الله عنه — قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء ضربه بعض أهل مكة، فقال له: مالك؟ فقال رسول الله ﷺ: (فعل بي هؤلاء وفعلوا)، فقال له جبريل: كم تحب أن أريك آية؟ فقال: (نعم)، فنظر إلى شجرة من وراء الوادي، فقال: ادع تلك الشجرة فدعاها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه، قال: مرها فلترجع، فأمرها، فرجعت إلى مكاتها، فقال رسول الله ﷺ: (حسي)<sup>٣</sup>.

**ومن ذلك** ما روي عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود قال: سألت مسروقا من آذن النبي ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن، فقال: حدثني أبوك، قال: آذنته بهم شجرة<sup>٤</sup>.

عن يعلى بن مرة — رضي الله عنه — قال: بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ فترلنا متزلا، فنام رسول الله ﷺ فجاءت شجرة استأذنت تشق الأرض حتى غشيتها، ثم رجعت إلى مكاتها، فلما استيقظ ذكرت له ذلك، فقال: (هي شجرة استأذنت ربما عز وجل أن تسلم علي فأذن لها<sup>٥</sup>).

**ومن ذلك** ما روي عن بريدة — رضي الله عنه — قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله قد أسلمت فأرني شيئا أزداد به يقينا، قال: (ما الذي تريد؟)، قال: ادع تلك الشجرة، فلتأتك، قال: (اذهب فادعها)، فأتاها الاعرابي، فقال: أحيي رسول الله ﷺ فمالت على جانب من جوانبها، فقطعت عروقها، ثم مالت على الجانب الآخر فقطعت عروقها حتى أتت رسول الله ﷺ فقالت: السلام عليك يا رسول الله، فقالت: (بم تشهدين، يا شجرة؟)، قالت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت عبد الله ورسوله، قال: (صدقت)

(١) رواه أحمد والبخاري في تاريخه والترمذي والحاكم وصحاحه وأبو نعيم.

(٢) رواه الدارمي وابن حبان والحاكم وصحاحه وقال الذهبي إسناده جيد.

(٣) رواه أحمد وابن ماجه بسند صحيح، ورواه ابن سعد عن عمر وفيه: فسلمت عليه، انظر: ابن كثير في البداية ٦ / ١٤٢.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) رواه أحمد والبيهقي وأبو نعيم.

فقال الاعرابي: حسبي حسبي، مرها فلترجع إلى مكانها، فقال: (ارجعي إلى مكانك، وكوبي كما كنت)، فرجعت إلى حفرتها، فجلست على عروقتها في الحفرة، فوقع كل عرق مكانه الذي كان فيه، ثم التأمت عليها الارض، فقال الاعرابي: أتأذن لي يا رسول الله أن أقبل رأسك ورجليك، ففعل، ثم قال: أتأذن لي أن أسجد لك؟ فقال: (لا يسجد أحد لآخر)¹

**ومن ذلك** ما روي عن تنكيس الاصنام حين أشار إليها ﷺ، ومما روي في ذلك:

أن النبي ﷺ لما دخل مكة وجد بها ثلاثمائة وستين صنما، فأشار إلى كل صنم بعضا، فقال: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الاسراء: من الآية ٨١) ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ (سبأ: من الآية ٤٩)

فكان لا يشير إلى صنم إلا سقط من غير أن يمسه بعضا.

وفي رواية: دخل رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما، فأخذ بقوسه، فجعل يهوي إلى صنم صنم وهو يهوي حتى مر عليها كلها. وفي ذلك يقول تميم بن أسد الخزاعي:

وفي الاصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثواب أو العقابا

**ومن ذلك** ما روي عن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: ركبت سفينة في البحر فانكسرت، فركبت لوحا

منها، فأخرجني إلى أجمة فيها أسد فأقبل الاسد، فلما رأيته قلت: يا أبا الحارث، أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ فأقبل إلي فدفعني بمنكبه حتى ضربني بجنبه كأننا سمعت صوتا أهوى إليه ثم أقبل يمشي إلي جنبي حراقا حتى أقامني على الطريق ثم همهم ساعة، فرأيت أنه يودعني<sup>٣</sup>.

\*\*\*

ما وصل عبد القادر من حديثه إلى هذا الموضع حتى التف الجمع حوله يسألونه عن محمد ﷺ وعن الدين الذي جاء به.

أما أنا وبولس، فقد انصرفنا.. ومعى بصيص جديد من النور اهتديت به بعد ذلك إلى شمس محمد.

(١) رواه البزار وأبو نعيم.

(٢) رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود والامام أحمد وأبو نعيم والبيهقي عن ابن عباس وابن إسحاق والبيهقي عن علي وأبو نعيم والبيهقي من طريق نافع عن ابن عمر.

(٣) رواه ابن سعد وأبو يعلى والبزار والحاكم وصححه والبيهقي.

## عاشرا — إكرامات

في اليوم العاشر..

جاءني بولس ربما بآخر ذرة من النشاط الذي تعودته منه.. ليلقي آخر قبلة في جعبته.  
قال لي، وفي فمه ابتسامة ذابلة: سنخرج اليوم لنبشر بالتكريمات التي لم ينلها أحد في هذا الكون عدا المسيح..

قلت: إلى أين نسير؟

قال: لقد أعد لنا البعض تكريما خاصا، وسنحضر إليه، لننال ما أراد هؤلاء الأفاضل أن يتحفونا به من صنوف التكريمات، وسنستغل ذلك للتبشير بالتكريمات العظمى التي نالها المسيح.  
قلت: ألا تخاف أن يظهر ذاك الرجلان اللذان لا هم لهما إلا التبشير بمحمد؟  
قال: فليظهرا كما يشاءان، وليتكلمما بما يريدان..  
لاح لي من كلامه شوقا كبيرا لحضورهما، ولو أنه حاول أن يظهر ذلك على أنه من ثقته بنفسه، وبما عنده.

قلت: ولكن ألا تخاف أن ينغصا علينا جلساتنا التدريبية كما تعودا؟

قال: أنا واثق جدا مما عندي، ولا يرهبنني أحد من الناس، والحقيقة التي أمتلئ بها تجعلني أحن للعواصف التي تريد أن تقاومها، لأن لدي من الحصون ما أتحصن به منها.  
قلت: لقد كنت تذكر لي هذا كل مرة.. ولكننا نرجع من غير أن نفعل شيئا، بينما هما يفعلان كل شيء.  
لم يجد إلا أن يقول: هذه المرة تختلف عن كل المرات.. في هذه المرة سنلقي قبلة التكريمات التي لم يحظ بها أحد في العالم كما حظي بها المسيح.

\*\*\*

بعد انقضاء حفل التكريم، واستلام القس للجازة التي أهدتها له بعض الجمعيات الخيرية عرفانا له بما قدم من أعمال خيرية في تلك القرية، أذن لأهل القاعة أن يتحدثوا بما يشاءون، ويسألوا عما يشاءون، كما جرت عادتهم في مثل هذه الأحوال.

استغل أجيير بولس ذلك، فقام وقال: نطلب من القس الكريم الذي نال هذا التكريم أن يحدثنا عن التكريمات التي نالها المسيح.. فلا أحسب أن تكريمه إلا نوعا من تكريم المسيح.  
قام بولس مطاطئ الرأس بيدي تواضعا عظيما، وقال: أشكر هذا السائل الذي أتاح لي الحديث عن المسيح.. فأنا وكل إخواني ذائبون في المسيح فانون فيه، فلذلك نحسب أن يدنا التي امتدت لهذا التكريم هي يد المسيح لا يدنا.. وأن الخير الذي نال هذه القرية خير نالها من المسيح لا منا.

أول تكريم للمسيح هو **أنه الشفيع الوحيد للبشرية**، فالقديس يوحنا بالروح، يقول: ( يَا أَوْلَادِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هَذَا لِكُمْ لَا تُخْطِئُوا، وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الْآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخْطَايَانَا قَطْعٌ، بَلْ لِخْطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا ) (رسالة يوحنا الأولى: ٢/١-٢)

المسيح هو الشفيح الوحيد للبشريّة، لأنّه البار الوحيد الذي بلا خطيئة، والحيّ الوحيد الجالس عن يمين العظمة في الأعلى: (مَنْ هُوَ الَّذِي يَدِينُ؟ الْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ بِلِ الْبَحْرِيّ قَامَ أَيْضاً الَّذِي هُوَ أَيْضاً عَنْ يَمِينِ اللَّهِ الَّذِي أَيْضاً يَشْفَعُ فِينَا) (رومية: ٣٤/٨)

هناك إجماع عليّ أنّه لا يستطيع مخلوق عليّ الإطلاق مهما كان أن يشفع في البشريّة أمام الله، لأنّه لا يوجد مخلوق واحد لم يخطئ، عدا شخص المسيح وحده الذي لم يجرؤ أحد، ولن يجرؤ عليّ أن يقول أنّه فعل خطيئة، فقد أجمع الكلّ عليّ أنّه الوحيد الذي لم يفعل الخطيئة، بل والوحيد الذي كانت تصرخ منه الشياطين قائلة: (مَا لَنَا وَلكَ يَا يَسُوعُ ابْنَ اللَّهِ؟ أَجِئْتَ إِلَيَّ هُنَا قَبْلَ الْوَقْتِ لِتُعَذِّبَنَا؟) (متى: ٢٩/٨)، ويقولون: (آه! مَا لَنَا وَلكَ يَا يَسُوعُ النَّاصِرِيّ! أَتَيْتَ لِتَهْلِكَنَا! أَنَا أَعْرِفُكَ مَنْ أَنْتَ قُدُوسُ اللَّهِ!) (مرقس: ٢٤/١).

ولأنّ المسيح هو الوحيد الذي لم يفعل خطيئة والوحيد الذي كان يرتعب منه الشيطان، كما أنّه الوحيد الذي كان في إمكانه أن يدفع ثمن خطايا كلّ العالم، لذا فهو الشفيح الوحيد والوسيط الوحيد بين الله والناس: (لأنّه يوجد إلهٌ واحدٌ ووسيطٌ واحدٌ بينَ الله والناسِ: الإنسانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ) (١ تي: ٢/٥)

والتكريم الثاني للمسيح **أنه الوحيد الذي شهد له الآب علانية من السماء**، فبالرغم من كلّ الأعمال التي عملها المسيح أمام الجموع، والتي تميّز بها وحده دون سائر الكائنات في الكون كلّ، وكانت تشهد لحقيقة شخصه كالمسيح ابن الله الحيّ الآتي من السماء إليّ العالم، فقد شهد له الله الآب علانية أمام الكثيرين من الناس:

لقد **شهد له في العماد**، فلما أعتد الرب يسوع المسيح انفتحت السماء، يقول الكتاب: (وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدْ انْفَتَحَتْ) (متى: ١٦/٣)، ( وَنَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ بِهَيْئَةٍ جَسَمِيَّةٍ مِثْلَ حَمَامَةٍ ) ( لوقا: ٢٢/٣ )، ( وَصَوْتُ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلاً: ( هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ ) ( متى: ١٧/٣ )

فهنا حدثت ثلاثة أمور: السماء انفتحت أو انشقت، ونزل الروح القدس ظاهراً بهيئة جسمية مثل حمامة، وجاء صوت الله الآب يعلن من السماء: ( هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ )

**وشهد له في التجلي**، ففي حادثة التجلي يذكر الكتاب المقدس أن المسيح أظهر شيئاً من مجده ولاهوته أمام ثلاثة من تلاميذه ( أَحَدَ يَسُوعَ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا أَخَاهُ وَصَعِدَ بِهِمْ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ مُنْفَرِدِينَ . وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَامَهُمْ وَأَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالثُورِ ) ( متى: ١٧/١-٢ )، ( وَصَارَتْ ثِيَابُهُ تَلْمَعُ بَيْضَاءَ جَدًّا كَالثَلْجِ لَا يَقْدِرُ قَصَّارٌ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَبْيَضَ مِثْلَ ذَلِكَ ) ( مرقس: ٣/٩ )، ( وَإِذَا رَجُلَانِ يَتَكَلَّمَانِ مَعَهُ وَهُمَا مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ اللَّذَانِ ظَهَرَا بِمَجْدٍ وَتَكَلَّمَا عَنْ خُرُوجِهِ الَّذِي كَانَ عَتِيداً أَنْ يُكْمَلَهُ فِي أُورُشَلِيمَ ) ( لوقا: ٣٠/٩-٣١ )

وعندما شاهد التلاميذ الربّ والسيد في هذا المشهد السماويّ الروحانيّ الإلهيّ المهيب صاروا في حالة ذهول روحيّ، دهش، وراحوا في غيبوبة روحية، يقول الكتاب المقدس: ( فَجَعَلَ بُطْرُسُ يَقُولَ لِيَسُوعَ: يَا سَيِّدِي جَيْدٌ أَنْ نَكُونَ هَهُنَا، فَلْنَصْنَعْ ثَلَاثَ مَظَالٍ لَكَ وَاحِدَةً وَلِمُوسَى وَاحِدَةً وَإِبْرَاهِيمَ وَاحِدَةً ). لأنّه لم يكن يعلم ما يتكلّم به إذ كانوا مرتعبين ) ( مرقس: ٩/٥-٦ )

وهنا يقول الكتاب المقدس: (وَفِيْمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا سَحَابَةٌ نِيرَةٌ ظَلَّلَتْهُمْ وَصَوْتُ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلًا: (هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ) (متى: ١٧: ٥)

هذا المشهد الإلهي المهيّب يقول عنه القديس بطرس بالروح: (لَأَنَّنا لَمْ نَتَّبِعْ خُرَافَاتٍ مُصَنَّعَةً إِذْ عَرَفْنَاكُمْ بِقُوَّةِ رَبِّنا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَمَجِيئِهِ، بَلْ قَدْ كُنَّا مُعَانِينِ عَظَمَتِهِ. لِأَنَّهُ أَخَذَ مِنَ اللَّهِ الْآبِ كَرَامَةً وَمَجْدًا، إِذْ أُقْبِلَ عَلَيْهِ صَوْتُ كَهَذَا مِنَ الْمَجْدِ الْأَسْتَى: (هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي أَنَا سُرِرْتُ بِهِ). وَنَحْنُ سَمِعْنَا هَذَا الصَّوْتَ مُقْبِلًا مِنَ السَّمَاءِ إِذْ كُنَّا مَعَهُ فِي الْجَبَلِ الْمُقَدَّسِ) (٢ بط ١٦/١-١٨)

**وشهد له أمام الجموع في اورشليم**، ففي الأسبوع الأخير طلب أناس يونانيون من تلميذه فيلبس أن يروا الرب يسوع المسيح، وهنا قال هو ( قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ لِيَتَمَجَّدَ ابْنُ الْإِنْسَانِ )، ثم خاطب الآب مناجيًا: (أَيُّهَا الْآبُ مَجِّدْ اسْمَكَ)

فَجَاءَ صَوْتُ مِنَ السَّمَاءِ: (مَجَّدْتُ وَأُمَجِّدُ أَيْضًا)، يقول الكتاب المقدس: (فَالْجَمْعُ الَّذِي كَانَ وَاقِفًا وَسَمِعَ قَالَ: (قَدْ حَدَثَ رَعْدٌ)، وَآخَرُونَ قَالُوا: (قَدْ كَلَّمَهُ مَلَاكٌ)، أَحَابَ يَسُوعُ: (لَيْسَ مِنْ أَجْلِي صَارَ هَذَا الصَّوْتُ بَلْ مِنْ أَجْلِكُمْ) (يوحنا: ١٢١/٢٣ و ٢٨-٣٠)

لقد شهد الآب لابن علانية أمام الجموع في العماد، وفي الأسبوع الأخير، وفي حادثة التحلي، فهل حدث مثل هذا لأحد غير المسيح؟

والإجابة؛ كلا. فهل يقول أحد بعد ذلك أن هناك أحدًا ما أو مخلوقًا ما في السماء وعلي الأرض أعظم من المسيح؟

قال ذلك، ثم أجاب نفسه بنفسه: والإجابة؛ كلا وحاشا!!

لست أدري كيف اقتصر بولس على هذا فقط، مع أنه كان يمكن أن يقول كلامًا كثيرًا تعود قومنا أن يقولوه في مثل هذه المحافل.

جلس، فقام أجيره ببلاهته المعهودة، وكأنه يستفز المسلمين، وقال: هذا هو المسيح.. وهذه هي منزلته كما ذكرها لنا حضرة القس الفاضل.. وفي ذلك رد عظيم على أولئك المسلمين البسطاء الذي يتصورون أن نبيهم نال من التكريمات ما لم ينله أحد.

لم أكن أتصور أن عبد الحكيم أو عبد القادر في القاعة، فقد كانت قاعة مغلقة، وكان المدعون فيها محدودين، ولكن تصوري كان خاطئًا، وقد فرحت لخطئه، ولا أظن صاحبي بولس إلا مثلي في ذلك، فقد ظهرت علامات السرور على وجهه عندما لاحظ عبد الحكيم، وهو يقوم قائلاً: إن أذنتم لي، فإن لي بعض التعقيبات على ما ذكره هذا القس الفاضل، وعلى ما ذكره بعده هذا الرجل الكريم.

سكت الجمع، وقال رئيس الجلسة: لا بأس.. يسرنا أن نسمع لك، ولا أظن حضرة القس إلا مسرورا بذلك.

أجاب القس بالإيجاب، فتقدم عبد الحكيم، وقال: قبل أن أتحدث بما قد تسيئون فهمه، أحب أن أذكر لكم أن الله تعالى الذي خلق هذا الكون الواسع بمنتهى العدل والرحمة والحكمة ميز بعض خلقه بميزات خاصة،

تجعلهم يستحقون رئاسة معينة على سائر البشر، فهم من جسم البشر كالدماغ والقلب بالنسبة لجسم الإنسان. لقد ذكر الله تعالى ذلك، فقال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (القصص: ٦٨)

وهؤلاء المختارون لهم من الأسباب العادلة ما تفضل الله به عليهم بذلك الاختيار، فهم في طبيعتهم وسلامة نفوسهم وصفاء جواهرهم ما جعلهم أهلاً لحلول ذلك الفضل الإلهي، فهم مثل التربة الطيبة عندما تسقى بالماء الزلال، فتنتج من كل خير، وتنبت من كل طيب.

لقد ذكر الله تعالى ذلك، فقالك: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يُجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام: من الآية ١٢٤)

لقد قال الله ذلك لمن أنكروا أن تفضل الله على محمد ﷺ كما تفضل على إخوانه من المرسلين.

لقد كان هؤلاء الكفار ينظرون باحتقار إلى رسول الله ﷺ، لأنهم كانوا يتصورون أن الرسول عندما يختاره الله سيختاره من تلك الفئة المستكبرة الغنية الوجهية، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف: ٣١)، أو كما يتصور اليهود أن الله تعالى لا بد أن يختار رسولا من بني إسرائيل، وكان بني إسرائيل وحدهم خلق الله، وغيرهم خلق الشيطان.

لقد رد الله على هذا الاحتقار، فقال: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (الزخرف: ٣٢)

وقد قوبل بهذا النوع من الاحتقار جميع الأنبياء — عليهم السلام — بما فيهم المسيح نفسه، وأخونا القس الفاضل يقر بما لا نقر به نحن المسلمين من الإهانة الشديدة التي وجهها اليهود للمسيح حين صلبوه، ووضعوا تاج الشوك على رأسه.

انطلاقاً من هذا، فإن الله الشكور المتفضل على عباده يكرم هؤلاء الأنبياء بمزيد فضله، ليقابل به ما قابلهم به أقوامهم من الاحتقار.

بالإضافة إلى أن هؤلاء الأنبياء نجحوا في أنواع البلاء التي ابتلوا بها، لذلك كان جزاؤهم أن ينالوا تكريمات الله، كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٢٤)

ولذلك، نحن المسلمين لا نخالف القس في كون الله كرم المسيح عليه السلام تكريماً عظيماً، ولكننا نخالفه في قصر ذلك على المسيح، وفي سوء فهم المراد بذلك التكرم.

قام أجيير بولس ببلاهته، وقال: لا.. ذلك التكرم خاص بالمسيح.. وذلك التكرم لا يعني إلا بنوة المسيح

(١) ومثل ذلك قوله تعالى محبراً عنهم: ﴿وَإِذْ رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذُكُرُونَ﴾ (الفرقان: ٤١).

لله.

ابتسم عبد القادر، وقال: رأيت لو أدخلتلك داري، وكلت لك من أنواع الثناء، ومثلها من أنواع الفضل ما كلت لك.. أتراك تخرج للناس، لتزعم لهم أنك ابن لمن كالت لك ذلك الثناء، وأن تلك الدار التي آوتك هي دارك ومللك، وأنت صاحبها.

سكت الأجير، فقال بولس: يحدث هذا كثيرا.. بعض الناس يسيئون فهم التكريمات.. فيتصورونها بخلاف مقصودها.

ونحن المسلمين بحمد الله وقينا هذا، فمع ما ورد في فضل نبينا من نصوص إلا أنا همينا أن نخرج به عن كونه عبدا لله، بل نحن لا نرى لنبينا مقاما أرفع من مقام عبوديته لله.

هذا فيما يخص سوء فهم التكريمات.

أما كونها عامة غير خاصة، فهذا مما لا شك فيه عندنا، ولا عندكم، فالله تعالى أكرم كثيرا من عباده، فالله تعالى يصطفي من يشاء من عباده، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ (البقرة)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ (آل عمران)

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٤) ﴿(الأعراف)

وقال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٥٩) ﴿(النمل)

هذا بعض ما ورد في كتابنا عن اصطفاء الله لمن يشاء من عباده، وهو اصطفاء مفتوح غير مغلق، مفتوح

على كل البشر.. لا على عنصر من الناس، فالله رب البشر جميعا.

وفي الكتاب المقدس مثل ما في القرآن الكريم من هذا، فقد ذكر كثيرا ممن اصطفاهم الله، وليس فيه قصر

للاصطفاء بالمسيح عليه السلام:



## ١ — تكريم الله

هنا قام أجير بولس، وقال بطريقته المعهودة في الاستفزاز: كل كلامك هذا مجرد كلام.. ونحن — كما يقال — نريد أفعالا لا أقوالا.

لقد ذكر — حضرة القس الفاضل — الجوائز العظيمة التي نالها المسيح.. ولكن محمدا الذي تفتخرون به لم ينل حتى فتات الموائد.

هنا قام عبد القادر، وقد احمر وجهه، وقال: إن أذنتم لي أن أحيب هذا الرجل فعلت، فقد تكلم بكلام لا يليق بي — وأنا مسلم — أن أسكت عنه.

أذن له رئيس الجلسة، بعد أن التفت إلى بولس، وأشار له بالإيجاب. قام عبد القادر إلى المنصة، وقال: لقد بدأ حضرة القس الفاضل ذكره لتكريمات المسيح بذكره لسر مجيئه، وهو الشفاعة، وأنا أطلب منه أن يوضح لنا معناها عنده، لأشرح له معناها عندنا، لنرى جميعا إمكانية تحققها في المسيح أو في محمد ﷺ؟

قال بولس: نحن نعتقد أن المسيح صلب ليكفر الخطيئة الأزلية التي ارتكبها آدم تحت تأثير زوجته بإغواء من الحية حينما أكل من الشجرة، وانتقلت هذه الخطيئة بطريق الوراثة إلى جميع نسله، وكانت ستظل عالقة بهم إلى يوم القيامة، لولا أن افتداهم المسيح بدمه كفارة عن خطاياهم.

وسر ذلك يرجع إلى أن من صفات الله العدل والرحمة، فبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبها أبوهم، وطرد بها من الجنة، واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها. وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر.

ولم يكن هناك من طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله الوحيد، ليموت على الصليب كفارة ونيابة عنهم، وبهذا العمل يكون الله قد جمع بين عدله ورحمته مع الانسان وأخذ العدل حقه، وظهرت رحمة الله.

سكت بولس، فقال عبد القادر: وأنتم لم تكتفوا بصلب المسيح ليكفر خطايا البشر، بل أضفتم إلى ذلك تكريمين عظيمين لا يعلمهما كثير من الناس:

أما أولهما، فتكريمه بدخوله إلى جهنم وعذابه فيها.. وأما الثاني، فاعتباره لكم ملعونا، كما جاء في رسالة بولس إلى أهل غلاطية (١٣/٣): (المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة )

قال ذلك، ثم التفت إلى بولس، وقال: أليس كذلك حضرة القس؟

قال بولس: نحن نقول الثانية، ولا نقول الأولى.

قال عبد القادر: بل تقولون بكليهما، أو على الأحرى يقول كثير من قومك بكليهما، وبما أنك سلمت

لثانية، فسأذكر لك أدلة الأولى<sup>١</sup>.

لقد ذكر جواد بن ساباط هذه العقيدة من كتاب الصلاة المطبوع سنة ١٥٠٦ هكذا: (كما أن المسيح مات لأجلنا ودفن، فكذا لا بد أن نعتقد أنه دخل جهنم) وفيليس كوادنولس الراهب كتب في رد رسالة أحمد الشريف بن زين العابدين الأصفهاني كتاباً بالعربية سماه بـ (خيالات فيليس) قال فيه: (الذي تألم لخلاصنا وهبط إلى الجحيم ثم في اليوم الثالث قام من بين الأموات)

وفي بريثربوك في بيان عقيدة أثنانيش التي تؤمن بها المسيحيون لفظ (هل) موجود ومعناه الجحيم. وقد ذكر جواد بن ساباط أن القسيس مارطيروس قال له في توجيه هذه العقيدة: (إن المسيح لما قبل الجسم الإنساني فلا بد عليه أن يتحمل جميع العوارض الإنسانية فدخل جهنم وعُذّب أيضاً ولما خرج من جهنم أخرج منها كل من كان معذباً فيها قبل دخوله)

قال جواد: فسألته هل لهذه العقيدة دليل نقلي، فقال: إنها غير محتاجة إلى الدليل، فقال رجل مسيحي من أهل ذلك المخفل على وجه الطرافة: إن الأب كان قاسي القلب وإلا لما ترك الابن في الجحيم، فغضب القسيس، وطرده من المخفل، فجاء هذا الرجل عندي وأسلم، لكن أخذ العهد مني ألا أظهر حال إسلامه ما دام حياً. وذكر رحمة الله الهندي أن يوسف ولف دخل بلدة لكهنو سنة ١٨٣٣ من الميلاد وكان من القسيسين المشهورين، وكان يدعي الإلهام لنفسه، وكان يدعي أن نزول المسيح يكون في سنة ١٨٤٧ من الميلاد، ووقعت المناظرة فيما بينه وبين مجتهد الشيعة تحريراً وتقريراً في هذا الباب، فسأله مجتهد الشيعة عن هذه العقيدة أيضاً، فقال: نعم دخل المسيح الجحيم وعذب، لكن لا بأس فيه، لأن هذا الدخول كان لنجاة أمته<sup>٣</sup>.

قال ذلك، ثم التفت إلى بولس ينتظر تعقيبا منه، فلم يفعل بولس، فقال: لا بأس، فأنا لم أرد أن أذكر لكم ما يهين به الكثير من المسيحيين المسيح ﷺ، بل أردت — فقط — أن أذكر لكم مفهومنا للتكريم الإلهي لمحمد ﷺ وإخوانه من المرسلين بما فيهم المسيح ﷺ.

وقبل أن أذكر بعض ما ورد في نصوصنا المقدسة من هذا التكريم أحب أن أناقش ما طرحه — حضرة القس — على ضوء العقل والنقل.. على ضوء العقل المجرد الذي هو البرنامج الذي وضعه الله لنا لنعرف به الحقائق، وعلى ضوء النقل الذي يعتمد على حضرة القس الفاضل، وهو الكتاب المقدس<sup>١</sup>.

(١) انظر: إظهار الحق لرحمة الله الهندي.

(٢) ذكر رحمة الله الهندي أن هذا الكتاب طبع سنة ١٦٦٩ في الرومية الكبرى في بسلوويت وأنه حصل له بطريق العارية نسخة قديمة من هذا الكتاب من كنيخانة إنكليز في بلدة دهلي.

(٣) بالإضافة إلى هذا، فقد ذكر رحمة الله الهندي أن بعض الفرق المسيحية تعتقد أن عيسى ﷺ بعد ما مات دخل جهنم ونجى أرواح قاييل وأهل سدوم لأنهم حضروا عنده وكانوا غير مطيعين لإله خالق الشر وأبقى أرواح هابيل ونوح وإبراهيم والصلحاء الآخرين من القدماء في جهنم لأنهم خالفوا الفرقة الأولى. وهذه الفرقة كانت تعتقد أن خالق العالم ليس منحصر في الإله الذي أرسل عيسى ولذلك ما كانت تسلم كون كتب العهد العتيق إلهامية.

(١) هناك تفاصيل كثيرة مرتبطة بالرد على هذه المسألة الجوهرية في العقيدة المسيحية في رسالة (الإنسان) من هذه السلسلة.

ولنبداً بالعقل..

من الواضح — حسب الكتاب المقدس — أن المخطئ هو آدم وزوجته، وليس الأولاد، ومن العجيب أنه يصف الله بالعدل، ثم يدعي أن خطيئة آدم تتعداه إلى نسله، لأنهم ورثة لطبيعته الساقطة.. فأأي عدل في هذا؟! ثم أي عدل، وأي رحمة في تعذيب وصلب إنسان غير مذنب؟ إن معاقبة وتعذيب شخص بريء لم يقترف أثاماً من أجل خطايا الآخرين إنما هو ذرورة الظلم.

ثم من الذي قيد الله، وجعل عليه أن يلزم العدل، وأن يلزم الرحمة، وأن يسعى للتوفيق بينهما؟

ثم أين كان عدل الله ورحمته منذ خطيئة آدم وحتى قصة الصلب؟

وإذا كان الله سبحانه عادل، وفي نفس الوقت محب ورحيم، فأين كانت رحمته وابنه الوحيد يلاقى — دون ذنب — ألوان التعذيب والسخرية، ثم الصلب، مع دق المسامير في يديه؟

وإذا كان الله عادل، وفي كل الشرائع أن العقوبة تناسب الذنب، فهل تم التوازن بين صلب المسيح على هذا النحو، وبين الخطيئة التي ارتكها آدم؟

ولماذا ترك إله العدل والمحبة الانسانية تتوالد تحت ناموس اللعنة والخطيئة، وأن يعم الفساد وينتشر!؟

وأين عدل الله في رجل يحمل خطايا أناس ظلمة قتلة فجرة، وهو قد تعذب وقتل، واخرون يسكرون

ويرقصون مستمتعين بحياتهم؟

قال بولس: لقد قدم يسوع المسيح نفسه طوعاً، وباختياره قاسى عذاب الموت على الصليب ليدفع الثمن

من أجل خطايا الناس.

قال عبد القادر: لا.. إن الأمر ليس صحيحاً تاريخياً، فنحن نقرأ في الأناجيل أنه لم تكن إرادته أن يموت

على الصليب، نحن نقرأ في متى ( ثُمَّ ذَهَبَ يَسُوعُ وَتَلَامِيذُهُ إِلَى بُسْتَانٍ يُدْعَى جَثْسِيمَانِي، وَقَالَ لَهُمْ: اجْلِسُوا

هُنَا رَيْثِمًا أَذْهَبُ إِلَى هُنَاكَ وَأُصَلِّي. وَقَدْ أَخَذَ مَعَهُ بَطْرُسُ وَأَبْنَى زَبْدِي وَبَدَأَ يَشْعُرُ بِالْحَزَنِ وَالْكَآبَةِ. فَقَالَ لَهُمْ:

نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ! ابْقُوا هُنَا وَاسْهَرُوا مَعِيَ! وَابْتَعَدَ عَنْهُمْ قَلِيلاً وَارْتَمَى عَلَى وَجْهِهِ يُصَلِّي، قَائِلاً:

يَا أَبِي، إِنْ كَانَ مُمَكِنًا، فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ وَلَكِنْ، لَا كَمَا أُرِيدُ أَنَا، بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ) (متى ٢٦ : ٣٩)

ونحن نقرأ في الأناجيل أنه عندما أيقن أن أعداءه قد تأمروا على قتله وإزهاق حياته قال لهم كما في

(يوحنا ٨ : ٤٠): ( لَوْ كُنْتُمْ أَوْلَادَ إِبْرَاهِيمَ لَعَمِلْتُمْ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ. وَلَكِنَّكُمْ تَسْعَوْنَ إِلَيَّ قَتْلِي وَأَنَا إِنْسَانٌ كَلَّمْتُكُمْ

بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعْتُهُ مِنَ اللَّهِ )

وقد أعلن يسوع لتلاميذه قائلاً: (نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ. ابْقُوا هُنَا وَاسْهَرُوا. ثُمَّ ابْتَعَدَ قَلِيلاً، وَخَرَّ

عَلَى الْأَرْضِ، وَأَخَذَ يُصَلِّي لِكَيْ تَعْبُرَ عَنْهُ السَّاعَةُ إِنْ كَانَ مُمَكِنًا. وَقَالَ أَبَا، يَا أَبِي، كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَدَيْكَ.

فَأَبْعُدْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ، وَلَكِنْ لِيَكُنْ لَا مَا أُرِيدُ أَنَا، بَلْ مَا تُرِيدُ أَنْتَ) (مرقس ١٤ : ٣٤)

فأنتم ترون أنه يطلب من تلاميذه أن يسهروا على سلامته وحمائته من أعدائه مع جسارته هذه وإيمانه

الوطيد بالله حافظه ومنجيّه.

ومع هذا احتاط لنفسه لمواجهة سافرة مع أعدائه فقال لتلاميذه: ( من له كيس فليأخذه ومزود كذلك،

ومن ليس له فليبيع ثوبه ويشتر سيفاً (لوقا: ٢٢/ ٣٦ - ٣٨)

ثم تقدم قليلاً، وخر على الأرض، وكان يصلي قائلاً: (يا أباي، كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَدَيْكَ. فَأَبْعِدْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ، وَلَكِنْ لِيَكُنْ لِي مَا أُرِيدُ أَنَا، بَلْ مَا تُرِيدُ أَنْتَ!) (( لقد وكل المسيح أمره إلي الله بقوله: (( لا مَا أُرِيدُ أَنَا، بَلْ مَا تُرِيدُ أَنْتَ! )) [ مرقس ١٤ : ٣٦ ]. فأبي عاقل بعد هذا يدعي ان المسيح جاء ليقدم نفسه ويقاسي العذاب طوعاً واختياراً؟

بالإضافة إلى هذا كله، فإن ما تعتقدونه — حضرة القس — من أن المسيح مات مصلوباً فداءً للبشرية وكفارة للخطيئة الموروثة هو اعتقاد مخالف للقواعد والنصوص الأساسية التي اشتمل عليها كتابهم المقدس، والتي تثبت أن كل إنسان يتحمل نتيجة فعله:

ففي سفر التثنية (٢٤ : ١٦): ( لا يُقْتَلُ الْآبَاءُ عَنِ الْأَوْلَادِ وَلَا يُقْتَلُ الْأَوْلَادُ عَنِ الْآبَاءِ. كُلُّ إِنْسَانٍ بِخَطِيئَتِهِ يُقْتَلُ )

وفي حزقيال (١٨ : ٢٠): (الابنُ لَا يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الْآبِ وَالْآبُ لَا يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الْإِبْنِ. بَرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ وَشَرُّ الشَّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ. فَإِذَا رَجَعَ الشَّرِّيرُ عَنْ جَمِيعِ خَطَايَاهُ الَّتِي فَعَلَهَا وَحَفِظَ كُلَّ فَرَائِضِي وَفَعَلَ حَقًّا وَعَدْلًا فَحَيَاةً يَحْيَا. لَا يَمُوتُ. كُلُّ مَعَاصِيهِ الَّتِي فَعَلَهَا لَا تُذَكَّرُ عَلَيْهِ )

وقد قال موسى وهارون للرب: (اللَّهُمَّ إِلَهَ أَرْوَاحِ جَمِيعِ الْبَشَرِ هَلْ يُخْطِئُ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَتَسْخَطَ عَلَيَّ كُلُّ الْجَمَاعَةِ؟) (العدد ١٦ : ٢٢)

وقال الرب في (إشعيا: ٥٥ : ٧): (لِيَتْرِكِ الشَّرِّيرُ طَرِيقَهُ وَالْأَثِيمُ أَفْكَارَهُ، وَلْيَتَّبِعْ إِلَى الرَّبِّ فَيَرْحَمَهُ، وَلْيَرْجِعْ إِلَى إِلَهِنَا لِأَنَّهُ يُكْثِرُ الْغُفْرَانَ )

وقال الرب في (حزقيال: ٣٣ : ١١): (حَيُّ أَنَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنِّي لَا أَبْتَهِجُ بِمَوْتِ الشَّرِّيرِ بَلْ بِأَنْ يَرْتَدِعَ عَنْ عِيهِ وَيَحْيَا )

وفيه (حزقيال: ١٨ : ٢١، ٢٢) قال الرب: (وَلَكِنْ إِنْ رَجَعَ الشَّرِّيرُ عَنْ خَطَايَاهُ كُلِّهَا الَّتِي ارْتَكَبَهَا، وَمَارَسَ جَمِيعَ فَرَائِضِي وَصَنَعَ مَا هُوَ عَدْلٌ وَحَقٌّ فَإِنَّهُ حَتْمًا يَحْيَا، لَا يَمُوتُ. وَلَا تُذَكَّرُ لَهُ جَمِيعُ آثَامِهِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا. إِنَّمَا يَحْيَا بِبِرِّهِ الَّذِي عَمِلَهُ )

وفي (سفر الخروج: ٤٠ : ١٢) نجد الرب يغفر لهارون خطأه، ويأمر بجمعه وذريته كهنة على بني اسرائيل. وفي سفر (أخبار الايام الثاني: ٧ : ١٤): (فَإِذَا تَوَاضَعَ شَعْبِي الَّذِينَ دُعِيَ اسْمِي عَلَيْهِمْ وَصَلُّوا وَطَلَبُوا وَجْهِي وَرَجَعُوا عَنْ طُرُقِهِمُ الرَّدِيئَةِ فَإِنِّي أَسْمَعُ مِنَ السَّمَاءِ وَأَغْفِرُ خَطِيئَتَهُمْ وَأُبْرِئُ أَرْضَهُمْ )

بالإضافة إلى هذا كله، فقد علمكم المسيح أن تصلوا إلى الله قائلين: (وَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا) (متى ٦ : ١٢)

ويقول: (فَإِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلَّاتِهِمْ، يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْبُوكُمْ السَّمَاوِيَّ زَلَّاتِكُمْ. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ، لَا يَغْفِرْ

(١) بناء على ما في الكتاب المقدس أما القرآن الكريم، فهو يرى هارون عليه السلام من ذلك الإثم، انظر (الكلمات المقدسة) من هذه السلسلة.

لَكُمْ أَبُوكُمْ السَّمَاوِيُّ زَلَّاتِكُمْ) (متى ٦: ١٤، ١٥)

إن هذه العقيدة التي تنسجم مع العدل والرحمة هي العقيدة التي جاء بها القرآن الكريم، فالله لا يعاقب إلا من استحق العقوبة بسبب الجرائم التي ارتكبتها، والله القادر على المعاقبة قادر كذلك على التجاوز والمغفرة من دون أن يحتاج إلى أي وساطة.

قام مستأجر بولس، وقال: دعنا من هذا الحديث، وحدثنا عما ترعمه من تكريمات، فلا أراك تذكر ما تذكر إلا لتفر منها.

قال عبد القادر: لا.. كل ما ذكرته يصب في هذه التكريمات، بل يصب في تكريمات المسيح عليه السلام، فنحن نعتقد أن فكرة الاستعاضة أو التضحية النيابية فكرة غير منطقية عقلا، وغير مقبولة نصا.. بالإضافة إلى أنه لا معنى لها، وهي أشبه ما تكون بطبيب يحطم رأسه ليشفي صدام المرضى لديه، فهل يعني ذلك عن مرضاه شيئا؟ ضحك الجمع، فقال: إن مبدأ الكفارة أو التضحية تجعل الأقوم الأول في الثالوث المقدس المكذوب متعطشا لسفك الدم من أجل إظهار التضحية بالذات محبة للأقوم الثاني.

لقد عقب آرثر ويجال Arthur Weigall على مبدأ الكفارة كما يؤمن بها حضرة القس، فقال: (نحن لا نقدر أن نقبل المبدأ اللاهوتي الذي من أجل بعض البواعث الغامضة أوجب تضحية استرضائية، إن هذا انتهاك إما لتصوراتنا عن الله بأنه الكلي القدرة وإلا ما تصوره عنه ككلي المحبة، إن الدكتور كرودن الشهير يعتقد أنه من أجل مآرب لهذه التضحية فإن يسوع المسيح قاسى أشد العذاب أوقعها الله قصاصاً عليه، وهذا بالطبع وجهة نظر يتقزز منها العقل العصري، والتي قد تكون شرطا لعقيدة بشعة ليست منفصلة عن ميول التلذذ بالقسوة للطبيعة البشرية البدائية، وفي الواقع إن هذه العقيدة دخيلة من مصدر وثني وهي حقا من آثار الوثنية في الإيمان.

إن المنهج المسيحي للخلاص ليس فقط لا أخلاقياً ولا منطقياً ومعتلاً، بل أيضا لا سند له في كلمات يسوع المسيح، ربما قال يسوع أنه يتعذب من أجل خطايا الناس، بمعنى أنه من أجل أن يخرجهم من الظلمات إلى النور تجشم النقمة الإلهية على فاعلي الشر، وكانوا سبب تعذيبه ولكن لا يعني هذا أن موته كان تضحية من أجل خطايا الآخرين، وأن أولئك الذين يؤمنون فقط بدمه المسفوك عنهم ينالون غفران الخطايا.

لقد جاء يسوع المسيح لينقذ الناس من خطاياهم بتعاليمه وحياته المثالية في تقوى الله وليس بالموت عمداً من أجلهم على الصليب ومنحهم دمه كفارة لخطاياهم.

وعندما جاء شاب إليه يسأله: (أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، مَاذَا أَعْمَلُ لِأَرِثَ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ؟ وَلَكِنَّ يَسُوعَ قَالَ لَهُ: لِمَاذَا تَدْعُونِي الصَّالِحَ؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلَّا وَاحِدٌ، وَهُوَ اللَّهُ. أَنْتَ تَعْرِفُ الْوَصَايَا: لَا تَقْتُلْ؛ لَا تَزْنِ؛ لَا تَسْرِقْ؛ لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ؛ لَا تَطْلُبْ؛ أَكْرَمُ أَبَاكَ وَأُمَّكَ) (مرقس ١٠: ١٧)

إن المسيح لم يذكر للسائل شيئا عن تضحيته كفارة وقوة فداءه بسفك دمه، وكان جواب يسوع هو نفس جواب كل نبي قبله: (قَالَ لَهُ: لِمَاذَا تَدْعُونِي الصَّالِحَ؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلَّا وَاحِدٌ، وَهُوَ اللَّهُ) (مرقس

(١) سنرى التأثيرات الوثنية في المسيحية في رسالة (الله جل جلاله) من هذه السلسلة.

فحفظ الوصايا — وفقا لكلام يسوع المسيح — هي الطريق إلى الحياة الأبدية، فالخلاص يمكن الحصول عليه بالإيمان بالله، والتنحي عن الشر وفعل الخير وليس بقبول يسوع المسيح ملعوناً على الحشبة والإيمان بدمه المسفوك كفارة لخطايا الجنس البشري)

قام رجل من الجمع، يظهر أنه مسيحي مخلص، فقال: فكيف يكفر الإنسان عن الخطايا التي كتبت في جبينه؟

قال عبد القادر: نحن نعتقد بأن الله العادل الرحيم لم يكتب أي خطيئة في أي جبين، ونعتقد أن كل إنسان مسؤول عن عمله وحده، فربنا يقول لنا: ﴿أَلَا تَرَوْا وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾ (النجم: ٣٨-٤١)

بل إن الله تعالى يخبرنا بأن هذه الحقيقة موجودة في كل الكتب التي جاء بها الأنبياء — عليهم السلام — فهو يقول لنا: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَا تَرَوْا وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى (٤١)﴾ (النجم)

ويقول لنا — مخبراً عن يوم القيامة —: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾ (الزلزلة)

ولهذا، فإن الله تعالى يضع عن كواهلنا جميع الأوزار التي لم تتركها أيدينا، فيقول: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (النور: ٥٤)

ويقول: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٣٤)، ويقول: ﴿قُلْ أَنَحَاثُونَآ فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَكُنَّا أَعْمَالُنَا وَلكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ (البقرة: ١٣٩)، ويقول: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ (القصص: ٥٥)، ويقول: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (الشورى: ١٥)، ويقول: ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا نَعْمَلُونَ﴾ (سبأ: ٢٥)

قام الرجل، وقال: فلنسلم لما ذكرت، ولكن كيف تكفر الخطايا؟

قال عبد القادر: لقد وضع الله تعالى للخطايا قوانين كثيرة:

أما الخطايا الكبرى التي تتعدى جميع الحدود، فتكفر بالعباد،.. بالعباد الشديد الذي يحرق أسباب تلك

الخطايا، ويكون كالداء العضال الذي لا يجدي معه إلا العملية الجراحية.

ومن هذا النوع من الخطايا الشرك بالله باعتباره أساس كل الانحرافات، فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ

أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَعْبُدَ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ (النساء: ٤٨)  
 ومن هذا النوع الظلم والتعدي وسفك الدم بغير حق، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٣)  
 ومن الخطايا ما هو دون ذلك بكثير، فيكفر بأسباب كثيرة وضعها الشرع لتطهر القلب من أوزار الغفلة والمعصية.

## الشفاعة:

قام مستأجر بولس، وقال: والشفاعة.. لا أراك تتحدث عنها.  
 قال عبد القادر: الشفاعة التي وردت بها نصوصنا المقدسة نوعان:  
 أولها ما يسمى بالشفاعة العظمى، وهي الشفاعة في ذلك الموقف العظيم الذي يقفه العباد ينتظرون أن يحاسبوا على أعمالهم، ويجازوا عليها.

فقد أبحر رسول الله ﷺ عن قصة تلك الشفاعة في حديث طويل، فقال: (أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون ممّ ذلك؟ يجمع الله الناس الأوّلين والآخرين في صعيد واحد يسمعون الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم. فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقتك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنّه قد هان عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح إنك أنت أول الرّسل إلى أهل الأرض، وقد سمّاك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربّي عزّ وجلّ قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنّه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبيّ الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنّي قد كنت كذبت ثلاث كذبات نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنّي قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى.

فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبياً، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، فيقول عيسى إن ربّي قد غضب اليوم غضباً لم

يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله — ولم يذكر ذنباً — نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ.

فيأتون محمدًا، فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟  
فأنطلق فأتى تحت العرش فأقع ساجدًا لربي عز وجل، ثم يفتح الله عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع.  
فأرفع رأسي فأقول: أمّي يا رب، أمّي يا رب<sup>١</sup>. فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب. - ثم قال - والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير، أو كما بين مكة وبصرى<sup>٢</sup>

التفت عبد القادر إلى أجير بولس، وقال: هذه هي الشفاعة الأولى.. وهي الشفاعة العظمى، وهي تبين لك بعض التكريم الذي كرم الله به نبيه ﷺ.

لقد وعد الله نبيه ﷺ بهذا المقام الرفيع<sup>٣</sup>، فقال: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (٧٩)﴾ (الإسراء)

أما الشفاعة الثانية، فهي شفاعته ﷺ في بعض المخطئين من أمته بأن يغفر لهم، ويدخلوا الجنة، أو يخفف لهم من النار.

قاطع بولس، وقال: ألا ترى أن كلامك هذا يتناقض مع ما ذكرته سابقا من مسؤولية الإنسان على عمله.

قام رجل آخر، وقال: بل إن كلامه هذا يتناقض مع القرآن، ففي آيات كثيرة يحبر القرآن أنه لا شفاعة عند الله:

ففي القرآن نجد هذه الآيات المحيرة عن عدم جدوى الشفاعة: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة: ٤٨).. ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة: ١٢٣).. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٤).. ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ حَمِيمًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (الزمر: ٤٤).. ﴿فَمَا

(١) في الحديث — كما نرى — شفاعتان: شفاعة عامة وهي في أهل الموقف وشفاعة خاصة، في أمته.

(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٣) قال ابن جرير في تفسير الآية: قال أكثر أهل التأويل: ذلك هو المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس، ليرجعهم بهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم.



تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿ (المدرثر: ٤٨)

وفيه نجد هذه الآية المخيرة عن عدم وجود الشفعاء: ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام: ٥١).. ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَثَهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَسْبَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (الأنعام: ٧٠).. ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (السجدة: ٤).. ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِيعِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ ﴾ (غافر: ١٨)

ومثل هذا نادى محمد في قومه وأهل بيته، فقال: (يا معشر قريش! اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب! لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عممة رسول الله! لا أغني عنك من الله شيئا، يا فاطمة بنت محمد! سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئا)<sup>١</sup>

وقال لعمة العباس: (يا عباس أنت عمي، وإن لا أغني عنك من الله شيئا، ولكن سل ربك العفو والعافية في الدنيا والاخرة)<sup>٢</sup>

بل أخبر عن بعض أصحابه، بأنه لا يتمكن من الشفاعة لهم يوم القيامة، ففي الحديث: (يا أيها الناس! إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلا، ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾ (الانبياء: من الآية ١٠٤) ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنه يجاء برجال من أمي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي أصحابي، فقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ (المائدة: من الآية ١١٧)، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم)<sup>٣</sup>

قال عبد القادر: صدقت.. إن كل ما ذكرته صحيح..

قام أحمير بولس مقاطعا عبد القادر، وهو يقول بسخرية متوجها للجمع: انظروا أيها الناس إلى تناقضات هذا الرجل.. هو يتحدث عن الشفاعة، ويدافع عنها، ثم سرعان ما ينفيتها..

ابتسم عبد القادر، وقال: لا.. لست متناقضا، وليس في الحقائق الأزلية أي تناقض.

لقد ذكر هذا الرجل الفاضل الأصل والقاعدة العامة التي يبنى على أساسها التكليف، فالتكليف مبني على الجزاء.. والجزاء لا يكون إلا على العمل.

قال بولس: ولكن هذا يتناقض مع الشفاعة التي تعني الجزاء الخالي من العمل.

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه أحمد وابن سعد والطبراني في الكبير.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

قال عبد القادر: هذا ما يفهمه العامة الذين لم يدققوا في النصوص، وهؤلاء هم الذين ينبغي أن يخاطبوا بما أورد ذلك الرجل الفاضل من النصوص.

أما الشفاعة في حد ذاتها فهي نوع من الجزاء على أنواع دقيقة من العمل.

سأضرب لكم مثالا يقرب هذا.

لو أن شخصا من الناس كان يحب وجهها من الوجهاء حبا جما، ويخلص في حبه والمنافحة له ما قدر عليه قلبه من الإخلاص، ثم وقع في بعض الإساءات التي لم ترتبط بمصالح الناس، فهل ترون ذلك الوجهه يقعد عن نصرته أو الشفاعة له.

قالوا: لا..

قال عبد القادر: فهكذا الأمر.. فالشفاعة في حقيقتها التي تدل عليها النصوص هي جزاء كسائر أنواع الجزاء التي ينالها الخلق في الآخرة لأعمال عملوها أو صفات اتصفوا بها، وليست كما يتوهم من أنها وساطة ينجو على أساسها قوم في الوقت الذي يحرم منها غيرهم مع تساوي الاستحقاق، لأن ذلك لا يتناسب مع العدل المطلق الذي بنيت عليه قوانين الآخرة<sup>١</sup>.

ونرى بناء على هذا، وبناء على أدلة كثيرة لا يمكن ذكرها هنا أن الشفاعة خاصة بالمقصرين من محبي رسول الله ﷺ الذين قعدت بهم أفعالهم عن النجاة، فرفعتهم محبتهم إلى محل الشفاعة.

ولهذا ورد في الحديث عن أبي هريرة — رضي الله عنه — أنه قال: قيل: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: (لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه)<sup>٢</sup>

وهذا النوع من الشفاعة ليس خاصا برسول الله ﷺ، بل قد ورد في النصوص ما يدل على أن الأنبياء يشفعون في أقوامهم، بل إن المؤمنين يفتح لهم باب الشفاعة، فيشفعوا في أهلهم وغيرهم بشرطين ذكرتهما النصوص.

أما الأول، فهو إذن الله تعالى للشافع: قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة: من الآية ٢٥٥)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (يونس: ٣)

وأما الثاني، فهو الرضى، رضى الله تعالى عن المشفوع، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُّشْفِقُونَ (٢٨)﴾ (مریم)

## الطاعة:

(١) انظر الأدلة الكثيرة لهذا الرأي في رسالة (أسرار الأقدار) من سلسلة (رسائل السلام).

(٢) رواه البخاري.

قام أحمير بولس، وقال: أهذا كل ما كرم به نبيكم؟  
قال عبد القادر: هناك تكريمات إلهية كثيرة لنبينا ﷺ إن شئتم ذكرت لكم منها ما تعلمون به المكانة العظيمة التي هيأها الله لنبيه ﷺ.

أجاب الجمع بالإيجاب، فقال: من أعظم التكريمات التي كرم الله بها نبيه ﷺ أنه قرن طاعته بطاعة رسوله، ولهذا قال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (النساء: ١٣)، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء: ٦٩)، وقال: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴾ (النساء: ٨٠)، وقال: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (النور: ٥٢)، وقال: ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧١)

وغيرها من الآيات الكثيرة التي تقرن بين طاعة الله وطاعة رسوله.

قام رجل من الجمع، وقال: أليس ذلك من الشرك الذي نراكم تنفرون منه؟

قال عبد القادر: لا.. الشرك أن نعبد محمدا، أو نجعله لله ندا.. أما أن نتخذة أستاذا ومعلما ومرشدا إلى الله، فليس في ذلك أي شرك، فنحن في حياتنا نستعمل الوسائط الكثيرة للبلوغ لأي مأرب.

ولهذا، فإن الله تعالى دل من يزعم محبة الله بالبحث عن مرضي الله، ومرضي الله لا نعرفها إلا عن طريق رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٣١)

قام رجل من الجمع، وقال: ولكن الله أرسل رسلا آخرين غير محمد.. لقد ذكر القرآن الكريم ذلك.

قال عبد القادر: نعم.. وتجب طاعتهم على أقوامهم الذين أرسلوا إليهم.

قال الرجل: فنحن مسيحيون.. ولهذا يجب علينا أن نطيع المسيح لا محمد؟

قال عبد القادر: أنت لست من أمة المسيح.. لقد أرسل المسيح ﷺ إلى بني إسرائيل..

لقد كما يصيح في أتباعه قائلا: (إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى

إلى خراف بني إسرائيل الضالة) (متى: ١٠ / ٥، ٦)

قال رجل آخر: فأنا إسرائيلي النسب، وأدين بدين المسيح.

قال عبد القادر: لو كنت قبل محمد ﷺ كان يمكنك أن تدين بدين المسيح، ولكنك اليوم تبع لأمة محمد لا

أمة المسيح.

قال الرجل: أنتم تحتكرون الدين بذلك؟

قال عبد القادر: سأضرب لك مثلا يبين لك هذه الحقيقة.. فكن معي وأجبني.

ألم تظهر أمراض كثيرة لم تعرفها البشرية من قبل؟

قال الرجل: بلى.. أمراض كثيرة ربما مرض بها من قبلنا من غير أن يعرفوها.

قال عبد القادر: فإذا مرض أحد الناس بهذا المرض هل نرشده إلى ما كتبه الأطباء في القرون الوسطى، أم نرشده إلى الأطباء الذين عايشوا المرض، واكتشفوا علاجه؟

قال الرجل: بل نرسله إلى الأطباء الذين عايشوا المرض، واكتشفوا علاجه.١

قال عبد القادر: فهكذا الأمر مع الأنبياء — عليهم السلام — كل منهم جاء لوظيفة خاصة.. وقد أكملهم الله بختهم محمد ﷺ الذي جاء بالشرعية الخاتمة التي تكفي احتياجات البشرية في جميع أزمانها الباقية إلى يوم القيامة.

ولهذا فإن الله تعالى جعل شريعة رسول الله ﷺ هي الشريعة المهيمنة على سائر الشرائع والناسخة لها، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (المائدة: ٤٨) ولهذا أخبر أنه لا يقبل إلا الإسلام، فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٨٥)

وهذا ليس خاصا برسول الله ﷺ، فقد أمر الله كل رسول سابق بأن يؤمن وينصر من تلاه من الرسل، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٨١) فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٨٢) (آل عمران)

ففي هذه الآية يخبر الله تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم ﷺ إلى عيسى ﷺ لَمَهْمَا آتَى اللَّهُ أَحَدَهُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ، وبلغ أي مبلغ، ثم جاءه رسول من بعده، ليؤمننَّ به ولينصرنَّه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته، كما قال طاووس، والحسن البصري، وقادة: أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضا.

وقد ذكر علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس — رضي الله عنهم — تفسير هذه الآية، فقالا: ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بعث محمداً وهو حيّ ليؤمنن به ولينصرننه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته: لئن بعث محمد ﷺ، وهم أحياء ليؤمننَّ به ولينصرنَّه.

ولهذا ورد في الحديث أن عمر جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني مررتُ بأخٍ لي من قُرَيْظَةَ، فكتب لي جوامع من التوراة، ألا أعرضها عليك؟ قال: فتغير وجه رسول الله ﷺ قال عبد الله بن ثابت<sup>١</sup>: قلت له: ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: رضينا بالله ربنا، وبالإسلام ديننا، وبمحمد رسولا، فسُرِّي عن رسول الله ﷺ وقال: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ أَتَبَعْتُمُوهُ وَتَرَكَتُمُونِي لَصَلَّيْتُكُمْ، إِنَّكُمْ حَظِي مِنَ الْأُمَّمِ، وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ)<sup>١</sup>

(١) راوي الحديث.

(١) رواه أحمد، قال الهيثمي في المجمع (١/١٧٣): رجاله رجال الصحيح إلا أن فيه جابر الجعفي وهو ضعيف.

وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: ( لا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَقَدْ ضَلُّوا، وَإِنَّكُمْ إِمَّا أَنْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ وَإِمَّا أَنْ تُكْذِبُوا بِحَقٍّ، وَإِنَّهُ -والله- لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي )<sup>١</sup>

فبمقتضى هذه النصوص، فإن محمدا ﷺ هو خاتم الأنبياء دائما إلى يوم الدين، وهو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر كان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم؛ ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس، وكذلك هو الشفيح في يوم الحشر في إتيان الرب لفصل القضاء.

قال الرجل: فهل تميز هذا الدين عما جاءت به سائر الأديان؟

قال عبد القادر: بأشياء كثيرة لا يمكن حصرها،

وقد تميزت رسالته صلى الله عليه وسلم بأمور ثلاثة تفوق بها على الرسالات التي قبلها وتوَّهلهما لأن تكون خاتمة:

العموم: بمعنى أن رسالة الإسلام ليست محددة بزمن من الأزمان ولا بمكان من الأمكنة ولا بأمة دون الأمم منذ نزولها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

يقول تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ سَبِيْرًا وَنَذِيْرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [سبأ: ٢٨].

ويقول تعالى أيضًا: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِيْنَ} [الأنبياء: ١٠٧].

ويقول تعالى أيضًا أمرًا إعلان هذا الأمر: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُوْلُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيْعًا}

[الأعراف: ١٥٨] وهذه النصوص كلها تدل على عمومية رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وهي من إحدى خصائصه كما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: "أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي.. ثم ذكر من بينها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس كافة" [٥٢].

ويؤيد خصوصية الرسالات السابقة قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيْهَا نَذِيْرٌ} [فاطر: ٢٤].

ثانيًا: الحفظ: حيث تكفل الله بحفظها باقية كما نزلت إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها دون تغيير شيء منها بالنقص منها أو الزيادة عليها.

يقول تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩] وهذا أمر مشاهد اليوم لا ينكره أحد

بحيث لم يتغير منها شيء بعد أربعة عشر قرنًا وستبقى كذلك إلى حين يشاء الله تعالى، بخلاف الكتب السابقة التي تعرضت للتحريف والتبديل من قبل أصحابها كالتوراة والإنجيل.

ثالثًا: الكمال والتمام: ولقد أكملها سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم كما يدل عليه قوله

تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنََكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيْنًا} [المائدة: ٣].

وقد نزلت هذه الآية في حجة الوداع في العام العاشر من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم كما ورد في الحديث الصحيح.

روى البخاري بسنده عن طارق بن شهاب قال: قالت اليهود لعمر: إنكم تقرؤون آية لو نزلت فينا

(١) رواه البزار وأحمد وأبو يعلى.

لا تأخذناها عيداً فقال عمر: "إني لأعلم حيث أنزلت وأين أنزلت وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت يوم عرفة، وإنا والله بعرفة" [٥٣].

ومن هنا أقول إن هذه الآية نزلت بعد جهاد طويل دام ثلاثة وعشرين سنة وفي وقت أظهر الله دينه وفي حجة الوداع الذي لم يحج فيه مشرك لما ورد في الصحيح.

روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "بعثني أبو بكر رضي الله عنه في تلك الحجة في المؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمحى أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان" [٥٤]. وكان ذلك في العام التاسع من الهجرة. ولهذا لم يحج عام حجة الوداع الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مشرك.

كما أرى أقول أيضاً: إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أبلغ الأمة ما كلف به دون كتمان شيء تنفيذاً لأمر الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} [المائدة: ٦٧].

وتقول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في هذا الصدد: "من حدثك أن محمداً قد كتم شيئاً مما أنزل عليه، فقد كذب، والله يقول: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ} [المائدة: ٦٧][٥٥][٥٦].

وقد شهد له بذلك جموع من أصحابه رضوان الله عليهم في حجة الوداع حينما قال لهم أثناء خطبته بوادي عرنة في يوم عرفة: "أنتم مسؤولون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: "نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت" فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكبها [٥٧] إلى الناس: "اللهم أشهد اللهم أشهد، ثلاث مرات.. [٥٨].

ولكني سأذكر لك بعض الأحاديث التي ذكر فيها رسول الله ﷺ تمييز شرعه وأمته عن سائر الشرائع والأمم:

فمن ذلك قوله ﷺ: (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأبما رجل من أممي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد بعدي)<sup>١</sup>

ومنها قوله ﷺ: (فضلت على الناس بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً)<sup>٢</sup>

ومنها قوله ﷺ: (فضلت أنا وأممي في الصلاة تصف كما تصف الملائكة، وجعل الصعيد لي وضوءاً، وجعلت لي الأرض مسجداً، وأحلت لي الغنائم)<sup>١</sup>

ومنها قوله ﷺ: (كان الأنبياء يقربون الخمس، فتجئ النار فتأكله وأمرت أنا أن أقسمه في فقاء أممي)<sup>٢</sup>

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

(١) رواه الطبراني.

(٢) رواه البخاري في (التاريخ) والبخاري والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ومنها قوله ﷺ: (إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء) <sup>١</sup>  
وفي حديث عن معاذ — رضي الله عنه — قال: أخرج رسول الله ﷺ صلاة العتمة ليلاً، حتى ظن الطان أنه  
قد صلى ثم خرج، فقال: (أعتموا بهذه الصلاة، فانكم فضلتم بها على سائر الامم ولم تصلها أمة قبلكم) <sup>٢</sup>  
وفي حديث آخر عن أبي موسى — رضي الله عنه — قال: أعتم رسول الله ﷺ بالعشاء حتى اجمار الليل،  
ثم خرج فصلى فلما قضى صلاته، قال لمن حضر: (أبشروا فإن من نعمة الله عليكم أنه ليس أحد من الناس  
يصلّي هذه الساعة غيركم) <sup>٣</sup>  
وفي حديث آخر عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال: قال رسول الله ﷺ: (ما حسدتكم اليهود  
على شيء ما حسدتكم على آمين، فأكثرُوا من قول آمين) <sup>٤</sup>  
وفي حديث آخر عن عائشة — رضي الله عنها — قالت: قال رسول الله ﷺ: (لم تحسدنا اليهود بشيء  
حسدنا بثلاث: التسليم، والتأمين، واللهم ربنا لك الحمد) <sup>٥</sup>  
وفي حديث آخر عن عائشة — رضي الله عنها — أن النبي ﷺ قال: (إنهم لا يحسدوننا على شيء كما  
حسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها، وضلوا عنها، وعلى قولنا  
خلف الامام آمين) <sup>٦</sup>  
وفي حديث آخر عن حذيفة وأبي هريرة — رضي الله عنهما — أن رسول الله ﷺ قال: (أضل الله تعالى  
عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الاحد، فجاء الله بنا، فهدانا ليوم  
الجمعة، فجعل الجمعة، والسبت، والاحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة ونحن الآخرون من أهل الدنيا،  
والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق) <sup>٧</sup>  
وفي حديث آخر عن ابن عمر — رضي الله عنهما — قال: قال رسول الله ﷺ: (أقيموا الصفوف، فانما  
تصفون كما تصف الملائكة، وحاذوا المناكب، وسدوا الخلل، ولبنوا في أيدي اخوانكم، ولا تدرؤا فرجات  
للشيطان، ومن وصل صفا وصله الله، ومن قطع صفا قطعه الله) <sup>٨</sup>  
وفي حديث آخر عن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يزال هذا الدين ظاهراً  
ما عجل الناس الفطر، إن النصارى واليهود يؤخرون) <sup>٩</sup>  
وفي حديث آخر عن أنس — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله وهب لأمتي ليلة القدر،

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف والبيهقي في سننه.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه ابن ماجه.

(٥) رواه البيهقي.

(٦) رواه أحمد والبيهقي.

(٧) رواه مسلم.

(٨) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي.

(٩) رواه أبو داود، وابن ماجه.

و لم يعطها أحدا من كان قبلكم) <sup>١</sup>

وفي حديث آخر عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال: قال رسول الله ﷺ: ( أعطيت أمي شيئا لم يعطهن أحد من الامم، أن يقولوا عند المصيبة: انا لله وانا إليه راجعون ) <sup>٢</sup>

وفي حديث آخر عن ابن عمر — رضي الله عنهما — أن رسول الله ﷺ قال: ( إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس، أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى إذا انتصف النهار عجزوا، فأعطوا قيراطا قيراطا، ثم أوتي أهل الانجيل الانجيل، فعملوا الى صلاة العصر، ثم عجزوا، فأعطوا قيراطا قيراطا، ثم أوتينا القرآن فعملنا الى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين فقال أهل الكتابين أي ربنا: أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطينا قيراطا قيراطا، ونحن كنا أكثر عملا، قال: هل ظلمتكم من أكرم من شئ؟ قالوا: لا، قال: ( فهو فضلي أوتيته من أشياء ) <sup>٣</sup>

وفي حديث آخر لا يزال ناس من أمي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ظاهرون ) <sup>٤</sup>  
وغيرها من الأحاديث الكثيرة التي تبين ما امتن الله به على أمته وشرعه مما لم يوجد نظيره في الملل الأخرى.

### الصلاة:

قال عبد القادر: ومن التكريمات التي كرم الله بها نبيه ﷺ صلواته علينا، وأمر المؤمنين بأن يصلوا عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦)  
قام أجير بولس، وقال ببلاتته المعهود: ها أنتم تشاركوننا في عبادة محمد.. أليست الصلاة نوعا من العبادة، بل من أهم أنواعها.

قال عبد القادر: نعم الصلاة على رسول الله ﷺ عبادة، ولكنها عبادة لله، لا عبادة لمحمد.

قال رجل من الحاضرين: كيف ذلك؟

قال عبد القادر: لأننا نمارسها طاعة لله، واستجابة لأمره، إن الأمر فيها يشبه أمر الله للملائكة بالسجود لآدم ﷺ، فهل ترى الله في ذلك المحل أمرهم بعبادة آدم؟

سكت الرجل، فقال عبد القادر: أساس الإشكال الذي حصل لكم هو في كون لفظ الصلاة يطلق على

معنيين:

أولهما العبادة المعروفة، والتي لا يتوجه بها إلا لله.

وثانيهما الدعاء والتبريك، ولهذا قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ

إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة: ١٠٣)

(١) رواه الديلمي.

(٢) رواه الطبراني.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري ومسلم.



وقال تعالى في حق المنافقين: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ فَاسْقُونَهُمْ﴾ (التوبة: ٨٤)

وقد ورد في الحديث عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتى بصدقة قال: (اللهم صل على آل فلان)، فأتاه أبي بصدقة فقال: (اللهم صل على آل أبي أوفى)، وعن جابر بن عبد الله قال: أتانا النبي ﷺ، فقالت له امرأتي: يا رسول الله صل علي وعلى زوجي، فقال: (صلى الله عليك وعلى زوجك)<sup>١</sup> فالصلاة في كل هذه المحال تعني طلب الرحمة والمغفرة والتقريب وغيرها من أفضال الله وبركاته<sup>٢</sup>.  
قال الرجل: فرسولكم يحتاج إلى دعواتكم إذن؟

قال عبد القادر: لا أحد من الناس يستغني عن الدعوات.. ولكن مع ذلك، فحاجتنا إلى الصلاة عليه تفضل كل حاجة، لأننا بالصلاة عليه نذكره، وبذكره نتعرف عليه، وبالتعرف عليه نحبه، وبجبه نصل إليه، وبالوصول إليه ننال كل خير في الدنيا والآخرة.

إن المكروب منا يصلي عليه، فيجد من لذة الأنس به ما يشغله عن كربه.  
وإن صاحب الحاجة منا تنسد في طريقه الأبواب، فإذا صلى عليه فتح الله عليه مغاليقها.  
لقد عرفنا هذا بالتجربة، وعرفنا به قبل ذلك نبينا ﷺ، فقد ساق من فضائل الصلاة عليه ما بين عظم المكانة التي جعلها الله له:

فقد أحبر ﷺ أن أول جزاء يناله من صلى على محمد ﷺ أن يصلي الله عليه، وقد ورد ذلك في أحاديث كثيرة ترغب في هذا الجزاء العظيم:

فعن عبد الرحمن بن عوف — رضي الله عنه — قال: خرج رسول الله ﷺ، فاتبعته حتى دخل نخلاً، فسجد، فأطال السجود حتى خفت أو خشيت أن يكون الله قد توفاه أو قبضه، قال: فجئت أنظر، فرفع رأسه فقال: (ما لك يا عبد الرحمن؟)، فذكرت ذلك له، فقال: (إن جبريل عليه السلام قال لي ألا أبشرك؟ أن الله عز وجل يقول: من صلى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه)<sup>٣</sup>

بل ورد في حديث آخر ما هو أعظم من ذلك، قال رسول الله ﷺ: (من صلى علي صلاة واحدة صلى الله

(١) رواه البخاري ومسلم، وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

(٢) رواه ابن أبي شيبة.

(٣) أما طلبنا من الله الصلاة على محمد ﷺ، فيتضمن معاني كثيرة منها:

١. الدعاء له بالرحمة، فعن الضحاك قال: صلاة الله رحمته، وصلاة الملائكة الدعاء، وقال بعض علماء اللغة: أصل الصلاة الرحمة، فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله.

٢. طلب المغفرة، فعن الضحاك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٣) قال: صلاة الله مغفرته، وصلاة الملائكة الدعاء.

٣. ثناؤه وتعظيمه وإظهار شرفه وفضله وحرمة، قال أبو العالية: «صلاة الله عليه ثناؤه عليه عند الملائكة»

(٤) زاد في رواية: «فسجدت لله شكراً»

(١) رواه أحمد والحاكم.

عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيئات<sup>١</sup> و عن أبي طلحة الأنصاري — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والسرور يرى في وجهه فقالوا: يا رسول الله إنا لنرى السرور في وجهك؟ فقال: (إنه أتاني الملك فقال: يا محمد أما يرضيك أن ربك عز وجل يقول إنه لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرًا، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرًا؟ قلت: بلى)<sup>٢</sup>

بل ورد في حديث آخر ما هو أعظم من ذلك كله، فقد قال ﷺ يحكي عن الله تعالى: (من صلى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه)<sup>٣</sup>

التفت إلى الجمع، وقال: هل ترون — أيها الجمع الفاضل — تكريمًا أعظم من هذا التكريم.. الله خالق كل شيء، ومالك كل شيء، وملك كل شيء يقول لنا هذا، ويربط صلاته وسلامه علينا بصلواتنا وسلامنا على محمد ﷺ.

سكت قليلا، ثم قال: وبعد هذا، فقد ورد في النصوص تكريمات أخرى ترتبط بالذين يصلون على محمد ﷺ:

فقد أخبر ﷺ أن الملائكة لا تزال تصلي علي الذي يصلي علي النبي ﷺ، قال رسول الله ﷺ: (من صلى علي صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي، فليقل عبد من ذلك أو ليكثر)<sup>٤</sup>

وأخبر ﷺ أن الذين يصلون عليه هم أولى الناس به، وبشفاعته يوم القيامة، فقد قال رسول الله ﷺ: (إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة)<sup>٥</sup>

وفي حديث آخر قال ﷺ: (إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة من الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة)<sup>٦</sup>

وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: (من قال: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحم على إبراهيم وآل إبراهيم، شهدت له يوم القيامة بالشهادة وشفعت له)<sup>٧</sup>

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه أحمد وابن حبان، وفي رواية أخرى رواها أحمد والنسائي عن أبي طلحة الأنصاري — رضي الله عنه — قال: أصبح رسول الله ﷺ يوماً طيب النفس يرى في وجهه البشر، قالوا: يا رسول الله أصبحت اليوم طيب النفس يرى في وجهك البشر، قال: «أجل، أتاني آت من ربي عز وجل فقال: من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، ورد عليه مثلها»

(٣) رواه أحمد والحاكم..

(٤) رواه أحمد وابن أبي شيبة وابن ماجه.

(٥) رواه الترمذي وابن حبان.

(٦) رواه مسلم وأبو داود والترمذي.

(٧) رواه البخاري.

وأخبر ﷺ عن الأجور الكثيرة بأنواعها المختلفة التي أعدها الله لمن يصلون على النبي ﷺ، فقال: ( من صلى علي من أمتي صلاة مخلصاً من قلبه صلى الله عليه بما عشر صلوات، ورفعها بما عشر درجات، وكتب له بما عشر حسنات، ومحا عنه بما عشر سيئات )<sup>١</sup>

هذا في الأجور.. والتي هي رأس المال المؤمن الذي يرجو الدار الآخرة.  
وبما أن الله رب الدنيا والآخرة، فإنه جعل لمن صلى على حبيبه ﷺ أجورا دينوية بالإضافة إلى الأجور الأخروية:

فقد أخبر ﷺ أن الذي يجعل صلاته كلها للنبي ﷺ يكفيه الله همه ويغفر له ذنبه، فقد سأل أبي بن كعب — رضي الله عنه — رسول الله ﷺ: كم أجعل لك من صلاتي؟ قال: ( ما شئت )، قلت: الربع؟ قال: ( ما شئت، فإن زدت فهو خير لك )، فقلت: النصف؟ قال: ( ما شئت وإن زدت فهو خير لك )، قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: ( إذا يُكفي همك ويغفر ذنبك )<sup>٢</sup>

وفي حديث آخر قال رجل: يا رسول الله أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك؟ قال: ( إذا يكفيك الله تبارك وتعالى ما أهمك من دنياك وآخرتك )<sup>٣</sup>

ولهذا ربط السلف الصالح — رضي الله عنهم — بين الدعاء والصلاة على النبي ﷺ، فعن علي رضي الله عنه قال: ( كل دعاء محبوب حتى يصلى على محمد ﷺ )<sup>٤</sup>

وعن عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — قال: ( إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك ﷺ )<sup>٥</sup>

ولهذا علمنا ﷺ كيف نمزد في دعائنا بين مطالبنا الشخصية وبين الصلاة على رسول الله ﷺ، فعن فضالة بن عبيد — رضي الله عنه — قال: سمع رسول الله ﷺ رجلا يدعو في صلاته لم يمجّد الله تعالى ولم يصل على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: ( عجل هذا )، ثم دعاه فقال له أو لغيره: ( إذا صلى أحدكم، فليبدأ بتمجيد ربه سبحانه والثناء عليه، ثم يصلي علي، ثم يدعو بعد بما شاء )<sup>٦</sup>

وعن عبد الله بن مسعود — رضي الله عنه — قال: كنت أصلي والنبي ﷺ وأبو بكر وعمر معه، فلما جلست بدأت بالثناء على الله ثم الصلاة على النبي ﷺ ثم دعوت لنفسي، فقال النبي ﷺ: ( سل تعطه، سل تعطه )<sup>٧</sup>

(١) رواه النسائي والطبراني والبخاري.

(٢) رواه أحمد والترمذي والحاكم.

(٣) رواه أحمد.

(٤) رواه الطبراني موقوفاً ورفع بعضه.

(٥) رواه الترمذي.

(٦) رواه أبو داود والترمذي وأحمد والنسائي والحاكم، وفي رواية: فليبدأ بتمجيد ربه عز وجل.

(٧) رواه الترمذي.



## ٢ — تكريم السماء

قام أجير بولس: لقد كرم المسيح برفعه إلى السماء.. ولكن محمدا لم يكرم بهذا النوع من التكريم. ابتسم عبد القادر، وقال: لكأني بك تريد أن تستغزني لأحدثك عن تكريم من أعظم تكريمات الله لنبيه ﷺ، وهو تكريمه بالإسراء والمعراج، فإن أذنتم لي حدثتكم عن ذلك. أشار إليه الجميع بالإيجاب، فقال: لقد اختار الله تعالى لذلك التكريم زمناً<sup>١</sup> بلغ فيه البلاء قمته برسول الله ﷺ، وكان الله تعالى — برحمته ولطفه — أراد أن ينفس عن رسوله ما يمر به من أزمات. أو كأنه يقول له: يا محمد إن كان الخلق قد قلوبك وآذوك، فإن السماء، بل إن السموات السبع وما فوقها، كلها بما فيها من الملائكة والأنبياء والأولياء يعظموك ويكفل لك كل المودة والاحترام. ولتعرفوا هذا سأقص عليكم قصة الإسراء والمعراج<sup>٢</sup> كما رويت بالأسانيد الكثيرة التي لا يشك عاقل في

(١) اختلف العلماء في تعيين زمن الإسراء والمعراج على الأقوال التالية:

١. كان الإسراء في السنة التي أكرمها الله فيها بالنبوة، واختاره الطبري.

٢. كان بعد المبعث بخمس سنين، رجح ذلك النووي والقرطبي.

٣. كان ليلة السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٠ من النبوة.

٤. قبل الهجرة بستة عشر شهراً، أي في رمضان سنة ١٢ من النبوة.

٥. قبل الهجرة بسنة وشهرين، أي في المحرم سنة ١٣ من النبوة.

٦. قبل الهجرة بسنة، أي في ربيع الأول سنة ١٣ من النبوة.

وَرَدَّتِ الأقوال الثلاثة الأول بأن خديجة — رضي الله عنها — توفيت في رمضان سنة عشر من النبوة، وكانت وفاها قبل أن تفرض الصلوات الخمس، ولا خلاف أن فرض الصلوات الخمس كان ليلة الإسراء.

أما الأقوال الثلاثة الباقية فليس في النصوص ما يرجح واحداً منها، غير أن سياق سورة الإسراء يدل على أن الإسراء وقع متأخر جداً.

(٢) القصة التي اخترنا سردنا هنا مجموعة من أحاديث مختلفة، جمعها علامة السيرة الجليل شمس الدين أبو عبد الله محمد بن

يوسف الصالح الشامي، في كتابه القيم (سبل الهدى والرشاد في سیر خير العباد)

وقد ذكر في مقدمة جمعه لها ما قد يعترض عليه، وهو مهم جداً لمن قد يعترض على هذا السرد، فقال: اعلم رحماني الله وإياك أن في حديث كل من الصحابة السابق ذكرهم في الباب السابع ما ليس في الآخر، فاستخرت الله تعالى وأدخلت حديث بعضهم في بعض ورتبت القصة على نسق واحد، لتكون أحلى في الأذان الواعيات، وليعم النفع بها في جميع الحالات.

فإن قلت إن أحاديث المعراج كل حديث منها مخالف للآخر، فقد يكون المعراج تعدد بعددها فلم جعلت الكل قصة واحدة؟ فأقول: قال في (زاد المعاد): «هذه طريقة ضعفاء الظاهرية من أرباب النقل الذين إذا رأوا في القصة لفظة تخالف سياق بعض الرواة جعلوه مرة أخرى فكلما اختلفت عليهم الرواة عددوا هم الوقائع والصواب الذي عليه أئمة النقل أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة، ويا عجباً لهؤلاء الذين زعموا أنه وقع مراراً كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة تفرض عليه الصلاة خمسين، ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمسا، ثم يقول: «أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي»، ثم يعيدها في المرة الثانية خمسين ثم يحطها عشرا عشرا؟»

وقد نقل عن ابن كثير في تاريخه، سر اختلاف الرواة، فقال: «وكان بعض الرواة يحذف بعض الخبر للعلم به، أو ينساه، أو يذكر ما هو الأهم عنده، أو ينشط تارة فيسوقه كله، وتارة يحذف مخاطباً بما هو الأنفع له.. ومن جعل كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة، فأثبت إسراءات متعددة فقد أبعد وأغرب وهرب إلى غير مهرب ولم يحصل على مطلب.. وذلك أن كل

صحتها.

فالقصة هي أن سقف بيت النبي ﷺ فرج، فترل جبريل، فشق من ثغرة نحره إلى أسفل بطنه، ثم قال جبريل لميكائيل: اثتيني بطست من ماء زمزم كيما أظهر قلبه وأشرح صدره، فاستخرج قلبه، فغسله ثلاث مرات، ونزع ما كان فيه من أذى، واختلف إليه ميكائيل بثلاث طسوت من ماء زمزم، ثم أتى بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإمانا، فأفرغه في صدره، وملاه حلما وعلما ويقينا وإسلاما.

ثم أطبقه ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة، ثم أتى بالبراق مسرجا ملجما، وهو دابة، أبيض، طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، مضطرب الأذنين، إذا أتى على جبل ارتفعت رجلاه، وإذا هبط ارتفعت يداه، له جناحان في فخذه يحفز بهما رجله.

فساروا حتى بلغوا أرضا ذات نخل، فقال له جبريل: انزل، فصل ههنا، ففعل، ثم ركب، فقال له جبريل: أتدري أين صليت؟ قال: لا، قال: صليت بطيبة وإليها المهاجر.

فانطلق البراق يهوي به، يضع حافره حيث أدرك طرفه، فقال جبريل: انزل فصل، ففعل، ثم ركب، فقال جبريل: أتدري أين صليت؟ قال: لا، قال: صليت بمدين عند شجرة موسى.

ثم ركب، فانطلق البراق يهوي، ثم قال: انزل فصل، ففعل، ثم ركب، فقال: أتدري أين صليت؟ قال: لا، قال: صليت بطور سينا حيث كلم الله موسى.

ثم بلغ أرضا بدت له قصورا، فقال له جبريل: انزل فصل، ففعل، ثم ركب وانطلق البراق يهوي، فقال له جبريل: أتدري أين صليت؟ قال: لا، قال: صليت ببيت لحم، حيث ولد عيسى.

وبينا هو يسير على لبرق إذ رأى عفريتاً من الجن، يطلبه بشعلة من نار، كلما التفت رآه، فقال له جبريل: ألا أعلمك كلمات تقولهن، فإذا قلتهم طفتن شعلته وخر لفيه؟ فقال رسول الله ﷺ: بلى، فقال جبريل: (قل أعوذ بوجه الله الكريم، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برو ولا فاجر، من شر ما يتزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن)، فانكب لفيه وانطفأت شعلته.

فساروا حتى أتوا على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم، كلما حصدوا عاد كما كان فقال: يا جبريل ما هذا؟ قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف، وما أتفقوا من شيء فهو يخلفه.

ووجد ريحا طيبة، فقال: يا جبريل ما هذه الرائحة؟ قال: هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها، بينا هي تمشط بنت فرعون إذ سقط المشط، فقالت: بسم الله، تعس فرعون، فقالت ابنة فرعون: أو لك رب غير

---

السياقات فيها تعريفه بالأنبياء، وفي كلها تفرض عليه الصلوات، فكيف يدعى تعدد ذلك؟ هذا في غاية البعد.. ولم ينقل ذلك عن أحد من السلف ولو تعدد هذا التعدد لأخبر النبي ﷺ به أمته ولنقله الناس على التكرار.»  
ومثل ذلك قال ابن حجر في الفتح نحوه وزاد: «ويلزم أيضا وقوع التعدد في سؤاله ﷺ عن كل نبي وسؤال أهل كل باب: هل بعث إليه؟ وفرض الصلوات الخمس وغير ذلك، فإن تعدد مثل ذلك في القصة لا يتجه، فيتعين رد بعض الروايات المختلفة إلى بعض أو الترجيح إلا أنه لا يعد وقوع مثل ذلك في المنام توطئة ثم وقوعه يقظة» انظر: سبيل الهدى ٧٩/٣، فما بعدها.

أبي؟ قلت: نعم، ربي وربك الله.

وكان للمرأة ابنان زوج، فأرسل إليهم فراود المرأة وزوجها إن يرجعا عن دينهما، فقال: إني قاتلكما، فقالت: إن لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قالت: تجمع عظامي وعظام ولدي، فتدفنا جميعا.

قال: ذلك لك بما لك علينا من الحق، فأمر بنقرة من نحاس فأحميت، ثم أمر بما لتلقى فيها هي وأولادها، فألقوا واحدا واحدا، حتى بلغوا أصغر رضيع فيهم، فقال: يا أمه قعي ولا تقاعسي، فإنك على الحق.

قال: وتكلم أربعة وهم صغار: هذا وشاهد يوسف وصاحب جريح وعيسى ابن مريم عليه السلام.

ثم أتى على قوم ترسخ رؤوسهم، كلما رضخت عادت كما كانت، ولا يفتر عنهم من ذلك شيء، فقال: يا جبريل من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الذين تتشاغل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة.

ثم أتى على قوم أقباهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع، يسرحون كما تسرح الإبل والغنم، ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها، فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم، وما ظلمهم الله شيئا.

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدور، ولحم آخر نبيء خبيث، فجعلوا يأكلون من النبيء الخبيث ويدعون النضيج، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب، فيأتي امرأة خبيثة، فيبيت عندها حتى يصبح، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا، فتأتي رجلا خبيثا فتبيت معه حتى تصبح.

ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب ولا شيء إلا خرفته، فقال: ما هذا يا جبريل؟ فقال: هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه، وتلا: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ (الأعراف: ٧٦)

ورأى رجلا يسبح في نهر من دم، يلقم الحجارة، فقال: من هذا؟ قال: أكل الربا.

وأتى على قوم قد جمع الرجل منهم حزمة عظيمة لا يستطيع حملها، وهو يزيد عليها، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل من أمتك تكون عنده أمانات الناس لا يقدر على أدائها، ويريد أن يتحمل عليها.

ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عاد، لا يفتر عنهم من ذلك شيء، فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء الفتنة من أمتك يقولون ما لا يفعلون.

ومر بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم.

وأتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج، فلا يستطيع، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردّها.

وأتى على واد فوجد رجلا طيبة باردة كريح المسك، وسمع صوتا، فقال: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا صوت الجنة تقول: يا رب إيتني بما وعدتني، فقد كثرت غربي واستبرقي وحريري وسندسي، وعبقري ولؤلؤي

ومرجاني وفضتي وذهي، وأكوابي وصحافي وأباريقي ومراكبي وعسلي ومائي، ولبني وخمري.

قال: لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة، ومن آمن بي وبرسلي، وعمل صالحا، ولم يشرك بي، ولم يتخذ من دوبي أندادا، ومن خشيني فهو آمن، ومن سألني أعطيته، ومن أقرضني جزيته، ومن توكل علي كفتيته، إني أنا الله لا إله إلا أنا، لا أحلف الميعاد، وقد أفلح المؤمنون، وتبارك الله أحسن الخالقين، قالت: قد رضيت. وأنى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا منتنة، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا صوت جهنم تقول: يا رب إيتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسل وأغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وغساقبي وعذابي، وقد بعد قعري واشتد حري، فأتني بما وعدتني.

فقال: لك كل مشرك ومشركة، وكافر وكافرة، وخبث وخبثة، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب: قالت: قد رضيت.

ورأى الدجال في صورته رؤية عين لا رؤيا منام، فقبل: يا رسول الله ﷺ كيف رأيت؟ فقال: (رأيت فيلما نيا أقر هجان إحدى عينيه قائمة كأنها كوكب دري، كأن شعر رأسه أغصان شجرة، أشبهه بعبد العزى بن قطن.

وبينا يسير إذ دعاه داع عن يمينه: يا محمد، أنظري أسألك، فلم يجبه، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا داعي اليهود، أما إنك لو أحبته لتهودت أمتك.

وبينا هو يسير إذ دعاه عن شماله: يا محمد أنظري أسألك، فلم يجبه، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا داعي النصارى، أما إنك لو أحبته لتنصرت أمتك.

وبينا هو يسير، إذا بامرأة حاسرة عن ذراعها وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى، فقالت: يا محمد أنظري أسألك، فلم يلتفت إليها، فقال: ما هذه يا جبريل؟ قال: تلك الدنيا، أما إنك لو أحببتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة.

وبينا هو يسير، فإذا هو بشيء يدعو متنجيا عن الطريق، يقول: هلم يا محمد، فقال جبريل: سر يا محمد، فقال: من هذا؟ هذا عدو الله إبليس، أراد أن تميل إليه.

وسار، فإذا هو بعجوز على جانب الطريق، فقالت: يا محمد أنظري أسألك، فلم يلتفت إليها، فقال: من هذه يا جبريل؟ قال: إنه لم يبق من الدنيا إلا ما بقي من عمر هذه العجوز.

وبينا هو يسير إذ لقيه خلق من خلق الله، فقالوا: السلام عليك يا أول، السلام عليك يا آخر، السلام عليك يا حاشر، فقال جبريل: اردد السلام، فرد، ثم لقيه الثانية فقال له مثل ذلك، ثم لقيه الثالثة فقال له مثل ذلك.

فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: إبراهيم وموسى وعيسى.

ومر على، موسى، وهو يصلي في قبره الكتيب الأحمر، رجل طوال سبط آدم كأنه من رجال شنوعة، وهو يقول يرفع صوته: أكرمته وفضلته، فدفع إليه، فسلم عليه فرد عليه السلام، وقال: من هذا معك يا جبريل؟ فقال: هذا أحمد، فقل: مرحبا بالنبي العربي الذي نصح لأمته ودعا له بالبركة وقال: سل لأمتك اليسر.



فساروا فقال: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا موسى بن عمران.  
ثم مر برجل قائم يصلي قال: من هذا معك يا جبريل قال جبريل: هذا أخوك محمد، فرحب به ودعا له  
ببركة فقال: سل لأمتك اليسر، فقال: من هذا يا جبريل: قال هذا أخوك عيسى.  
ومر على شجرة كان ثمرها السلاح، تحتها شيخ وعياله، فرأى مصابيح وضوءا، فقال: من هذا يا جبريل؟  
قال: هذا أبوك إبراهيم، فسلم عليه فرد عليه السلام، وقال: من هذا معك يا جبريل؟ قال: هذا: ابنك أحمد،  
فقال: مرحبا بالنبي العربي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لأمته، يا بني إنك لاق ربك الليلة، وإن أمتك آخر الأمم  
وأضعفها، فإن استطعت أن تكون حاجتك أو جملها في أمتك فافعل، ودعا له بالبركة.  
فسار حتى أتى الوادي الذي في المدينة يعني بيت المقدس، فإذا جهنم تنكشف عن مثل الروابي، فقيل: يا  
رسول الله كيف وجدتها؟ قال: (مثل الحمم)

ثم سار حتى انتهى إلى المدينة، فدخلها من بابها اليماني، وإذا عن يمين المسجد وعن يساره نوران ساطعان،  
فقال: يا جبريل ما هذان النوران؟ قال: أما الذي عن يمينك فإنه محراب أخيك داود، وأما الذي عن يسارك  
فعلى قبر أختك مريم.

فدخل المسجد، فأتى جبريل الصخرة التي ببيت المقدس، فوضع أصبعه فيها فخرقها، فشد بها البراق<sup>١</sup>.  
فلما استوى بها النبي ﷺ في صخرة المسجد، قال جبريل: يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين؟  
قال: نعم، قال جبريل: فأنتلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن، وهن جلوس عن يسار الصخرة، فانتهى إليهن،  
فسلم عليهن، فرددن عليه السلام، فقال: من أنتن؟ فقلن: (خيرات حسان نساء قوم أبرار، نقوا فلم يدرنوا،  
وأقاموا فلم يظعنوا، وخلدوا فلم يموتوا)

ثم صلى هو وجبريل كل واحد ركعتين فلم يلبث إلا يسيرا حتى اجتمع ناس كثيرون، فعرف النبيين من  
بين قائم ورايع وساجد، ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة، فقاموا ينتظرون من يؤمهم، فأخذ جبريل بيده قدمه  
فصلى بهم ركعتين<sup>٢</sup>.

(١) وفي رواية مسلم: فربطه بالحلقة التي تربط بها الأنبياء.

(٢) وفي رواية: ثم أقيمت الصلاة، فتدافعوا حتى قدموا محمدا، وعند الواسطي عن كعب: فأذن جبريل ونزلت الملائكة من  
السماء وحشر الله له المرسلين، فصلى النبي ﷺ بالملائكة والمرسلين، فلما انصرف، قال جبريل: يا محمد، أتدري من صلى خلفك؟  
قال: لا، قال: كل نبي بعثه الله تعالى.

وفي حديث أبي هريرة — رضي الله عنه — عند الحاكم وصححه البيهقي: فلقى أرواح الأنبياء، فأتوا على ربهم.  
فقال إبراهيم: «الحمد لله الذي اتخذني خليلا وأعطاني ملكا عظيما وجعلني أمة قانتا يؤتم بي، وأتقني من النار، وجعلها علي  
بردا وسلاما، ثم إن موسى أتني على ربه تبارك وتعالى فقال: «الحمد لله الذي كلمني تكليما وجعل هلاك فرعون ونجاة بني  
اسرائيل على يدي، وجعل من أمتي قوما يهدون بالحق وبه يعدلون»

ثم إن داود أتني على ربه فقال: «الحمد لله الذي جعل لي ملكا عظيما، وعلمني الزبور، وألان لي الحديد، وسخر لي الجبال  
يسبحن والطير، وأعطاني الحكمة وفصل الخطاب»

ثم إن سليمان أتني على ربه فقال: «الحمد لله الذي سخر لي الرياح وسخر لي الشياطين والإنس يعملون لي ما شئت من  
محاريب وتمثيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات، وعلمي منطلق الطير وأتاني من كل شيء فضلا، وسخر لي جنود الشياطين

وأخذ النبي ﷺ من العطش أشد ما أخذه، فعرض عليه الماء والخمر واللبن — وفي رواية العسل بدل الماء — فشرب من العسل قليلا، وتناول اللبن فشرب منه حتى روي، فضرب جبريل منكبيه وقال: (أصبت الفطرة ولو شربت الخمر لغوت أمتك ولم يتبعك منهم إلا القليل، ولو شربت الماء لغرقت أمتك )  
ثم أتى بالمعراج الذي تعرج عليه أرواح بني آدم، فلم ير الخلق أحسن من المعراج، فصعد هو وجبريل حتى انتهيا إلى باب من أبواب السماء الدنيا يقال له باب الحفظة وعليه ملك يقال له إسماعيل، وهو صاحب السماء الدنيا، وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنده مائة ألف.

فاستفتح جبريل باب السماء: قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به وأهلا، حياه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المحيى جاء ففتح لهما.

فلما خلصا إلى السماء، فإذا فيها آدم كهيته يوم خلقه الله على صورته، تعرض عليه أرواح ذريته الكفار، فيقول: روح خبيثة ونفس خبيثة، اجعلوها في سجين وعن يمينه أسودة وباب تخرج منه ريح طيبة وعن شماله أسودة وباب تخرج منه ريح خبيثة، فإذا نظر عن يمينه ضحك واستبشر، وإذا نظر عن شماله حزن وبكى.

فسلم عليه النبي ﷺ، فرد عليه السلام، ثم قال: مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح فقال النبي ﷺ: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا أبوك آدم، وهذه الأسود نسمة بنبيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، وأهل الشمال منهم أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر عن شماله بكى، وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة، إذا نظر من يدخله من ذريته ضحك واستبشر، والباب الذي عن شماله باب جهنم، إذا نظر من يدخله من ذريته بكى

---

والإنس والجن والطير، وفضلني على كثير من عباده المؤمنين، وأتاني ملكا عظيما لا ينبغي لأحد من بعدي وجعل ملكي مكلبا طيبا ليس فيه حساب ولا عقاب»

ثم إن عيسى بن مريم أتى على ربه تبارك وتعال فقال: «الحمد لله الذي جعلني كلمته وجعل مثلي مثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له: كن فيكون، وعلمني الكتاب والحكمة، والتوراة والإنجيل، وجعلني أبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله، ورفعني وطهرني. وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم، فلم يكن للشيطان علينا سبيل»

فقال النبي ﷺ: «كلكم أتى على ربه وإني مثل علي ربي»، فقال: «الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا، وأنزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء، وجعل أمي خير أمة أخرجت للناس، وجعل أمي وسطا، وجعل أمي هم الأولون والآخرون، وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما»

فقال إبراهيم صلى الله عليه وسلم: «بهذا فضلكم محمد ﷺ»

ثم تذكروا أمر الساعة، فردوا أمرهم إلى إبراهيم فقال: «لا علم لي بها»

فردوا أمرهم إلى موسى فقال: «لا علم لي بها»

فردوا أمرهم إلى عيسى فقال: «أما وجبتها فلا يعلمها إلا الله، وفيما عهد إلي ربي أن الدجال خارج، ومعني قضيبان، فإذا رأي ذاب كما يذوب الرصاص، فيهلككم الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج، وهم من كل حذب ينسلون فيطأون بلادهم لا يأتون على شيء إلا أهلكوه، ولا يمرون على ماء إلا شربوه، ثم يرجع الناس فيشكونهم إلي، فأدعو الله تعالى عليهم، فيهلكهم ويمتتهم حتى تحوي الأرض من ربحهم، فينزل الله تعالى المطر، فيجرف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر فقيما عهد إلي ربي أن ذلك إذا كان كذلك فإن الساعة كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفجأهم بولادتها ليلا أو نهارا»

وحزن.

ثم مضى ﷺ هنيهة، فإذا هو بأخونة عليها لحم مشرح ليس يقربه أحد، وإذا بأخونة عليها لحم قد أروح وأنتن، عنده ناس يأكلون منه.

فقال: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك يتركون الحلال ويأتون الحرام<sup>١</sup>.

ثم مضى هنيهة فإذا هو بأقوام بطونهم أمثال البيوت فيها الحياة ترى من خارج بطونهم، كلما نهض أحدهم خر، فيقول: اللهم لا تقم الساعة، قال: وهم على سابلة آل فرعون، فتجئ السابلة فتطوهم فسمعتهم يضحون إلى الله تعالى.

فقال: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (البقرة: من الآية ٢٧٥)

ثم مضى هنيهة، فإذا هو بأقوام مشافرههم كمشافر الابل، فتفتح أفواههم ويلقمون حجرا، وفي رواية: يجعل في أفواههم صخر من جهنم، ثم يخرج من أسافلهم، فسمعهم يضحون إلى الله تعالى، فقال: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: من الآية ١٠)

ثم مضى هنيهة، فإذا هو بنساء معلقات بثديهن ونساء منكسات بأرجلهن، فسمعهن يضحجن إلى الله تعالى، فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللاتي يزينن ويقتلن أولادهن.

ثم مضى هنيهة إذا هو بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه، فيقال له: كل كما كنت تأكل من لحم أخيك، فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون.

ثم صعدا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به وأهلا، حياه الله من أخ ومن خليفة، فنعن الأخ ونعم الخليفة ونعم المحيى جاء، ففتح لهما.

فلما خلصا فإذا هو بابني الخالة: عيسى بن مريم، ويحيى بن زكريا، شبيه أحدهما بصاحبه: ثياهما وشعرهما ومعهما نفر من قومهما.

وإذا بعيسى جعد مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الشعر كأنما أخرج من ديماس أي حمام، شبيه بعروة بن مسعود الثقفي.

فسلم عليهما فردا عليه السلام، ثم قالوا: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ودعوا له بخير.

ثم صعدا إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به وأهلا، حياه الله من أخ ومن خليفة، فنعن الأخ ونعم الخليفة

(١) وفي رواية: وإذا هو بأقوام على مائدة عليها لحم مشوي كأحسن ما روي من اللحم، وإذا حوله جيف، فجعلوا يقبلون على الجيف يأكلون منها ويدعون اللحم.

فقال، من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الزناة يملون ما حرم الله عليهم ويتركون ما أحل الله لهم.

ونعم المجدى جاء.

ففتح لهما، فلما خلصا، فإذا هو بيوسف ومعه نفر من قومه فسلم عليه، فرد عليه السلام، ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنيي الصالح ودعا له بخير، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن، قال: من هذا يا جبريل؟ قال: أخوك يوسف.

ثم صعدا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به وأهلا حياه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجدى جاء.

فلما خلصا فإذا هو بإدريس فقد رفعه الله مكانا عليا، فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنيي الصالح ثم دعا له بخير.

ثم صعدا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ فقال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به وأهلا، حياه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجدى جاء.

ففتح لهما، فلما خلصا فإذا هو بهارون، ونصف لحيته بيضاء ونصف لحيته سوداء، تكاد تضرب إلى سرتة من طولها، وحوله قوم من بني إسرائيل، وهو يقص عليهم فسلم عليه فرد عليه السلام، ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنيي الصالح، ثم دعا له.

فقال: يا جبريل من هذا؟ فقال: الرجل المحبب في قومه هارون بن عمران.

ثم صعد إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به وأهلا، حياه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجدى جاء، ففتح لهما، فجعل يمر بالنبي والنبين معهم الرهط، والنبي والنبين معهم القوم، والنبي والنبين ليس معهم أحد.

ثم مر بسواد عظيم، فقال: من هذا؟ قيل له: موسى وقومه ولكن ارفع رأسك فإذا بسواد عظيم قد سد الافق من ذا الجانب ومن ذا الجانب فقيل له: هؤلاء أمتك وسوى هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب.

فلما خلصا فإذا بموسى بن عمران، رجل آدم طوال كأنه من رجال شنوءة، كثير الشعر، فسلم عليه النبي ﷺ فرد عليه السلام، ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنيي الصالح، ثم دعا له بخير، وقال: يزعم الناس أني أكرم على الله من هذا، بل هذا أكرم على الله مني.

ثم صعد، فلما انتهينا إلى السماء السابعة رأى فووه رعدا وبرقا وصواعق، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به وأهلا، حياه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجدى جاء.

(١) وفي رواية أحسن ما خلق الله، قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب.

ففتح لهما فسمع تسييحا في السموات العلاء مع تسييح كثير.

فلما خلاصا فإذا النبي ﷺ بإبراهيم رجل أشمط، جالس عند باب الجنة، على كرسي مسندا ظهره إلى البيت المعمور، ومعه نفر من قومه، فسلم عليه النبي ﷺ، فرد عليه السلام، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح وقال: مر أمتك فليكثرُوا من غراس الجنة، فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة، فقال له: وما غراس الجنة؟ قال: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) <sup>١</sup>

وهو أشبه ولده به، وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس، وقوم في ألوانهم شيء، فقام هؤلاء الذين في ألوانهم شيء، فدخلوا نhra، فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلصت ألوانهم، وصارت مثل ألوان أصحابهم. فجاءوا فجلسوا إلى أصحابهم فقال: يا جبريل من هؤلاء البيض الوجوه ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شيء، وما هذه الأنهار التي دخلوها؟ فقال: أما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم، وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فتابوا فتاب الله عليهم، وأما هذه الأنهار فأولها رحمة الله، والثاني نعمة الله، والثالث: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (الانسان: من الآية ٢١)، وقيل له: هذا مكانك ومكان أمتك.

وإذا هو بأتمته شطرين: شطر عليهم ثياب كأنها القراطيس، وشطر عليه ثياب رمد، فدخل البيت المعمور، ودخل معه الآخرون الذين عليهم الثياب البيض وحجب الآخرون الذين عليهم الثياب الرمد وهم على خير، فصلى ومن معه من المؤمنين في البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، آخر ما عليهم، ثم خرج ومن معه <sup>٢</sup>.

ثم رفع إلى سدرة المنتهى، وإليها ينتهي ما يعرض من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط من فوق فيقبض منها، وإذا هي شجرة يخرج من أصلها أثمار من ماء غير آسن، وأثمار من خمر لذة للشاربين، وأثمار من عسل مصفى، يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها، وإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها كأذان الفيلة، تكاد الورقة تغطي هذه الأمة، تغشاها ألوان لا يدري ما هي، فلما غشيها من أمر الله تعالى ما غشيها تغيرت، فما يستطيع أحد أن يعنتها من حسنها <sup>٣</sup>.

---

(١) وفي رواية: «أقرئ على أمتك مني السلام، وأحبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأن غراسها؟ سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»

(٢) وفي حديث عند الطبراني بسند صحيح: «مررت ليلة أسري بي على المأ الأعلى فإذا جبريل كالحلس البالي من خشية الله»، وفي رواية عند البزار: «كأنه حلس لاطئ»، والحلس هو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب، شبهها به للزومها ودوامها.

(٣) وفي رواية: فإذا في أصلها عين تجري يقال لها السلسيل، ينشق منها نهران: أحدهما الكوثر، يطرد عجاجا مثل السهم، عليه خيام اللؤلؤ والياقوت والزبرجد، وعليه طيور خضر أنعم طير، رأى فيه آنية الذهب والفضة، تجري على رضراض من الياقوت والزمرد، مأوه أشد بياضا من اللبن، فأخذ من آنية، فاغترف من ذلك الماء، فشرب فإذا هو أحلى من العسل، وأشد ريحا من المسك، فقاله جبريل: هذا هو النهر الذي حباك به ربك، والنهر الآخر نهر الرحمة فاغتسل فيه، فغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

ثم أخذ على الكوثر حتى إذا دخل الجنة فإذا فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فرأى على بابها مكتوبا: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر.

فقال: يا جبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لان السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يسأل إلا من حاجة.

فاستقبلته جارية فقال: لمن أنت يا جارية؟ فقالت: لزيد بن حارثة.

ورأى الجنة من درة بيضاء وإذا فيها جنازات اللؤلؤ، فقال: يا جبريل، إنهم يسألوني عن الجنة، فقال: أخبرهم أنها قيعان تراها المسك.

وسمع في خارجها وجسا، فقال: يا جبريل ما هذا؟ قال: بلال المؤذن.

فسار فإذا هو بأثمار من لبن لم يتغير طعمه، وأثمار من خمر لذة للشاربين، وأثمار من عسل مصفى، وإذا رماها كاللداء، وفي رواية: وإذا فيها رمان كأنه جلود الابل المقتبة، وإذا بطيرها كالبخاتي، فقال أبو بكر: يا رسول الله إن تلك الطير لناعمة، قال: أكلتها أنعم منها، وإني لارجو أن تأكل منها.

وبينا هو يسير بنهر على حافيته الدر المحوف، وإذا طينة مسك أذفر، فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هو الكوثر.

ثم عرضت عليه النار، فإذا فيها غضب الله وزجره ونقمته، ولو طرح فيها الحجارة والحديد لاكلتها، فإذا يقوم يأكلون الجيف، فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس.

ورأى رجلا أحمر أزرق فقال: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا عاقر الناقة.

ورأى مالك خازن النار، فإذا رجل عابس يعرف الغضب في وجهه، فبدأ النبي ﷺ بالسلام، ثم أغلقت دونه، ثم رفع إلى سدرة المنتهى، فغشيتها من أنوار الخلائق ومن أنوار الملائكة أمثال الغربان حين يقض على الشجرة ويتزل على كل ورقة ملك من الملائكة فغشيتها سحابة من كل لون.

ثم عرج به حتى ظهر لمستوى سمع فيه صريف الأقلام<sup>٣</sup>.

ورأى رجلا مغيبا في نور العرش، فقال: من هذا؟ ملك، قيل: لا، قال: نبي، قيل: لا، قال: من هو؟ قيل: هذا رجل كان في الدنيا لسانه رطب من ذكر الله، وقلبه معلق بالمساجد، ولم ينتسب لوالديه قط<sup>٤</sup>.

---

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أنه ﷺ رأى جبريل عند السدرة له ستمائة جناح، جناح منها قد سد الافق، تتناثر من أجنحته التهاويل: الدر والياقوت مما لا يعلمه إلا الله تعالى.

(١) الوجس: الصوت الخفي، وتوجس بالشئ: أحس به فتسمع له.

(٢) البختية: الانثى من الجمال البخت.

(٣) أسمع صريف الأقلام: أي صوت جريئها بما تكتبه من أفضية الله تعالى ووحيه، وما ينسخونه من اللوح المحفوظ..

(٤) ورد في بعض الروايات الضعيفة في هذا المحل أن محمدا ﷺ رأى ربه، وليس ذلك صحيحا، وقد ردت عائشة — رضي الله عنها — على من زعم ذلك بقوة، قال مسروق: فدخلت على عائشة فقلت يا أمتاه، هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد قف شعري بما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب — وفي لفظ: فقد أعظم على الله الفرية — من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب وفي لفظ فقد أعظم على الله الفرية، ثم قرأت: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾

ثم كلمه ربه تعالى عند ذلك، فقال له: يا محمد، قال: لبيك يا رب، قال: سل.  
فقال: إنك اتخذت إبراهيم خليلًا، وأعطيته ملكًا عظيمًا وكلمت موسى تكليمًا، وأعطيت داود ملكًا عظيمًا وسخرت له الجن والانس والشياطين وسخرت له الرياح وأعطيته ملكًا لا ينبغي لاحد من بعده، وعلمت عيسى التوراة والانجيل، وجعلته يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى بإذنك، وأعدته وأمه من الشيطان الرحيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل.

فقال الله سبحانه وتعالى: قد اتخذتك حبيبًا، وأرسلتك للناس كافرة بشرا ونذيرا، وشرحت لك صدرك، ووضعت عنك وزرك، ورفعت لك ذكرك، لا أذكر إلا وذكرت معي وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس وجعلت أمتك أمة وسطا، وجعلت أمتك هم الاولون والآخرين، وجعلت أمتك لا يجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي، وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم، وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا، وأولهم يقضى له، وأعطيتك سبعا من المثاني لم أعطها نبيا قبلك، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كثر تحت عرشى لم أعطها نبيا قبلك، وأعطيتك الكوثر، وأعطيتك ثمانية أسهم: الاسلام والهجرة والجهاد والصدقة وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأني يوم خلقت السموات والارض، فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فقم بها أنت وأمتك.

ثم انجلت عنه السحابة، وأخذ بيده جبريل، فانصرف سريعا، فأتى على إبراهيم، فلم يقل شيئا، ثم أتى على موسى، قال: ونعم الصاحب كان لكم، فقال: ما صنعت يا محمد؟ ما فرض عليك ربك وعلى أمتك؟ قال: فرض علي وعلى أمي خمسين صلاة كل يوم وليلة.

قال: فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف عنك وعن أمتك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فإنني قد خبرت الناس قبلك وبلوت بني إسرائيل وعالجتهم أشد المعالجة على أدنى من هذا فضعفوا وتركوه، فأمتك أضعف أجسادا وأبدانا وقلوبا وأبصارا وأسماعا.

فالتفت النبي ﷺ إلى جبريل يستشيريه، فأشار إليه أن نعم إن شئت، فرجع سريعا حتى انتهى إلى الشجرة، فغشيته السحابة، وخر ساجدا، وقال: رب خفف عنا، قال: قد وضعت خمسا.

---

(الأنعام: ١٠٣)، ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذنيه مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الشورى: ٥١)

ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، وفي لفظ: فقد أعظم على الله الفرية، ثم قرأت: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ (لقمان: من الآية ٣٤)

ومن حدثك أنه قد كتم فقد كذب، وفي لفظ فقد أعظم على الله الفرية، ثم قرأت: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٧)، ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين.

وكنت متكئا فجلست فقلت: ألم يقل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (لنجم: ١٣)، قالت: إن أول هذه الامة سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقلت: يا رسول الله هل رأيت ربك؟ فقال: لا، إنما رأيت جبريل منهبطا « والمسألة — على العموم — فيها خلاف قديم.

ثم انجلت السحابة، ورجع إلى موسى فقال: وضع عني خمسا، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك.

فلم يزل يرجع بين موسى وبين ربه، يحط عنه خمسا خمسا، حتى قال: يا محمد، قال: لبيك وسعديك، قال: هن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فلكل خمسون صلاة لا يبدل القول لدي، ولا ينسخ كتابي تخفيفها عنك كنتخفيف خمس صلوات، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت حسنة فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب شيئا فإن عمله كتبت سيئة واحدة.

فتزل حتى انتهى إلى موسى، فأخبره فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك، قال له: قد راجعت ربي حتى استحييت منه، ولكن أرضى وأسلم، فناداه مناد أن قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي.

فقال له موسى: اهبط بسم الله.

ولم يمر على الملائكة إلا قالوا له: عليك بالحجامة — وفي لفظ: مر أمتك بالحجامة — ثم انخدر، فقال جبريل: مالي لم آت لأهل السماء إلا رحبوا بي وضحكوا إلي، غير واحد سلمت عليه فرد السلام ورحب بي ودعا لي، ولم يضحك إلي، قال: مالك خازن النار، لم يضحك منذ خلق، ولو ضحك لأحد لضحك إليك.

فلما نزل إلى السماء الدنيا نظر أسفل منه، فإذا هو برهح ودحان، فقال ما هذا يا جبريل؟ قال: هذه الشياطين يجومون على أعين بني آدم، لا يتفكرون في ملكوت السموات والأرض، ولولا ذلك لرأوا العجائب. ثم نزل رسول الله ﷺ إلى الأرض، فلما أصبح أخبر الناس بما رآه فصدقه كل من آمن به إيمانا قويا، وكذبه الكفار واستوصفوه مسجد بيت المقدس، فوصفه لهم وسألوه عن أشياء في المسجد فمثل بين يديه، فجعل ينظر إليه ويصفه ويعد أبوابه لهم بابا بابا فيطابق ما عندهم، وسألوه عن غير لهم فأخبرهم بما وبوقت قدمها فكان كما أخبر.

## الأجوبة النقلية:

هنا قام بولس، وقال: أليس عجيبا ما تخبر به من هذه الرحلة العجيبة.. إن العقل السليم لا يكاد يصدق ما تقول.

التفت إليه عبد القادر، وقال: أي عقل تقصد؟ هل عقل علماء الدنيا، أم عقل علماء بالدين؟ قال بولس: العقل عقل واحد.. سواء كان لأهل الدين، أم لأهل الدنيا، وكلاهما يشتركان في إنكار ما تقول.

قال عبد القادر: نعم العقل عقل واحد، ولكني أرى أن عقل أهل الدين يتسع لما لا يتسع له عقل أهل الدنيا.

فأهل الدين يعرفون أن قدرة الله التي لا يحدها شيء لا يمتنع عليها ما حصل لرسول الله ﷺ من حوارق، فلا يعجز خالق السموات أن يرفع إليها من يشاء، أو يخفض من يشاء.



قال بولس: ولكن العادة الكونية جرت باستحالة ذلك.

قال عبد القادر: هل هي استحالة مطلقة، أم أنها مستحيلة لأن محمدا ﷺ هو الذي عرج به؟

سكت بولس، فقال: أرأيت لو ذكر لك أن المسيح ﷺ حصل له هذا، أكنت تنكره؟

قال بولس: أنا لا أنكره، لأني أعتقد أن المسيح إله، ولإله أن يتصرف في ملكه بما يشاء.

قال عبد القادر: فأنت تريد منا إذن أن نزعّم لمحمد ﷺ الإلهية حتى نعطيهِ القدرة على القيام بالخورق.

سكت بولس، فقال عبد القادر: على مقتضى مذهبك هذا، فإن هناك كثيرين ممن ذكروا في الكتاب

المقدس ينبغي أن يكونوا أقانيم جديدة في الاتحاد الإلهي الذي تقيمونه.

فأخوخ ﷺ (إدريس) صعد إلى السماء، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾

(مريم: ٥٧)

وقد ذكر القسيس وليم إسمنت في كتابه (طريق الأولياء) أنه رفع إلى السماء بجسده حياً، وقد ورد في قصة

أخوخ في سفر التكوين (٢٤/٥) هذا النص المشير إلى ذلك: (وسار أخوخ مع الله، ولم يوجد لأن الله أخذه)

ومثله إيليا الذي صعد إلى السماء وقصته وارده في سفر الملوك الثاني (١٠/٢ - ١٢) ففيه: (وفيما هما

يسيران ويتكلمان اذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد ايليا في العاصفة الى السماء)

وقد قال آدم كلارك في تفسيره: لا شك أن إيليا رفع إلى السماء حياً.

ومثلهما المسيح ﷺ الذي صعد إلى السماء كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ

عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ

مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨)﴾ (النساء)

وقد جاء في إنجيل مرقس (١٩/١٦): (ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع الى السماء، وجلس عن يمين الله)

ولا شك أن كل طوائف المسيحيين يعتقدون أن المسيح ارتفع بجسده كما هو.

ليس هؤلاء فقط، بل إن بولس يدعي أنه صعد إلى السماء، وأنت تعرف قصته الواردة في الرسالة الثانية

إلى أهل كرونثوس (٢/١٢ - ٤) هكذا: (أعرف إنسانا في المسيح قبل اربع عشرة سنة في الجسد لست اعلم ام

---

(١) نقل رحمة الله الهندي عن جواد بن ساباط في البرهان السادس عشر من المقالة الثانية من كتابه أن القسيس كياروس

سألني في حضور المترجمين: ماذا يعتقد المسلمون في معراج محمد ﷺ؟ قلت: إنهم يعتقدون أنه من مكة إلى أورشليم ومنه إلى

السماء، قال: لا يمكن صعود الجسم إلى السماء. قلت: سألت بعض المسلمين عنه فأجاب أنه يمكن كما أمكن لجسم عيسى عليه

السلام.

قال القسيس: لِمَ لَمْ تستدل بامتناع الخرق والالتئام على الأفلاك؟ قلت: استدلت به لكنه أجاب أنهما ممكنان لمحمد ﷺ كما

كانا ممكنين لعيسى عليه السلام.

قال القسيس: لِمَ لَمْ تقل أن عيسى إله له أن يتصرف ما يشاء في مخلوقاته؟ قلت: قد قلت ذلك لكنه قال أن ألوهية عيسى

باطلة لأنه يستحيل أن يطرأ على الله علامات العجز كالمضروبية والمصلوبية والموت والدفن.

ونقل أن قسيساً في بلد بنارس من بلاد الهند كان يقول في بعض الجوامع تغليطاً لجهال المسلمين البدوين: كيف تعتقدون

المعراج وهو أمر مستبعد، فأجابه مجوسي من مجوس الهند أن المعراج ليس بأشد استبعاداً من كون العذراء حاملة من غير زوج، فلو

كان مطلق الأمر المستبعد كاذباً، فهذا أيضاً يكون كاذباً فكيف تعتقدونه فيبت القسيس.

خارج الجسد لست اعلم. الله يعلم. اختطف هذا إلى السماء الثالثة. وأعرف هذا الانسان أفي الجسد أم خارج  
الجسد لست اعلم. الله يعلم. أنه اختطف الى الفردوس وسمع كلمات لا ينطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم  
بها)

ومع هؤلاء جميعا أنت وطائفتك جميعا تعتقدون أن يوحنا صعد إلى السماء كما يفهم من كلامه في سفر  
الرؤيا (١/٤-٢)، فقد جاء فيه: (بعد هذا نظرت، وإذا باب مفتوح في السماء والصوت الاول الذي سمعته  
كبقوق يتكلم معي قائلا: اصعد إلى هنا فأريك ما لا بد أن يصير بعد هذا. وللوقت صرت في الروح وإذا عرش  
موضوع في السماء وعلى العرش جالس)  
فلماذا تعتقدون أن كل هؤلاء رفعوا إلى السماء، ثم تحيل ذلك على محمد ﷺ.

### الأجوبة العقلية:

قال رجل من الجمع، وقال: أحبت عقل الدين، فأحب عقل الدنيا.  
قال عبد القادر: ليس هناك عصر من العصور يسهل عليه أن يوقن بصدق ما حصل لمحمد ﷺ من هذا  
العصر.

قال الرجل: كيف ذلك؟

قال عبد القادر: لأن الكثير من المفاهيم الخاطئة عن الزمان والمكان لم تصحح إلا في عصرنا.

ثم التفت إلى الجمع، قال: لاشك أنكم تعرفون نظرية النسبية.

قالوا: أجل..

قال عبد القادر: لقد أدمج أينشتين المكان والزمان في نظرية النسبية الخاصة عام ١٩٠٥م، وأعلن أنه ( )  
ليس لنا أن نتحدث عن الزمان دون المكان، ولا عن المكان دون الزمان، ومادام كل شيء يتحرك فلا بد أن  
يحمل زمنه معه، وكلما تحرك الشيء أسرع فإن زمنه سينكمش بالنسبة لما حوله من أزمنة مرتبطة بحركات  
أخرى أبطأ منه (

وقد تحققت ظاهرة انكماش الزمن علميا في معامل الفيزياء، حيث لوحظ أن الجسيمات الذرية atomic  
particles تطول أعمارها في نظر راصدها إذا ما تحركت بسرعة قريبة من سرعة الضوء.

وعلى سبيل المثال، يزداد نصف العمر لجسيم البيون (نصف العمر هو الزمن اللازم لينحل هذا الجسيم  
إشعاعيا حتى يصل إلى نصف كميته) في الساعة العملية الأرضية إلى سبعة أمثال قيمته المعروفة إذا تحرك بسرعة  
قدرها ٩٩ بالمائة من سرعة الضوء.

وطبقا لنظرية أينشتين، فإننا إذا تخيلنا أن صاروخا اقتربت سرعته من سرعة الضوء اقترابا شديدا، فإنه  
يقطع رحلة تستغرق خمسين ألف سنة (حسب الساعة الأرضية) في يوم واحد فقط (بالنسبة لطاقم الصاروخ)

---

(١) انظر: معجزة الإسراء والمعراج من منظور علمي، أ.د/ كارم السيد غنيم، أستاذ بكلية العلوم جامعة الأزهر، أمين  
جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة.

فإذا فكرت في زيارة أطراف الكون فإنك ستعود إلى الكرة الأرضية لتجد أجيالا أخرى وتغيرات كبيرة حدثت على هذا الكوكب الذي سيكون قد مر عليه حينئذ آلاف أو ملايين أو بلايين السنين بحساب أهل الأرض الذين لم يخوضوا معك هذه الرحلة المذهلة، وذلك إذا كنت قد تحركت في رحلتك بسرعة قريبة من سرعة الضوء.. وذلك لأن الزمن ينكمش مع ازدياد السرعة، وتزداد السرعة مع ازدياد القدرة على ذلك. وهكذا أصبح من المقنع للماديين أن السرعة والزمن والقدرة أشياء مترابطة.

قال الرجل: ولكن نظرية النسبية تعتبر أن أكبر سرعة هي سرعة الضوء، وبناء على معلوماتنا الفلكية البسيطة، فإن الأبعاد الهائلة للكون توحنا إلى ملايين السنين الضوئية لنصل إلى بعض ما في الكون من نجوم وأشياء نجوم.

ففي أغسطس سنة ١٩٨٨ تم اكتشاف مجرة راديوية تبعد عنا خمسة عشر بليوناً من السنين الضوئية، وفي نهاية سنة ١٩٨٩ تم اكتشاف شبيه نجم يبعد عنا بمسافة (١٧٤٠٠) مليون سنة ضوئية، ويعتبر بعده أقصى حد وصل إليه علماء الفلك في الجزء المدرك من الكون الذي يتسع باستمرار.

وفوق هذا، فإن قرآنكم يعتبر كل ما نراه سماء دنيا، فيقول: ﴿وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ (فصلت: من الآية ١٢)

وكل هذا يعني أن محمداً لو ركب مركبة ضوئية، فإنه سيحتاج كل تلك الملايين من السنين ليقطع هذه المسافات التي لا تخرج به عن السماء الدنيا.

قال عبد القادر: ومن ذكر لك أن محمداً ﷺ ركب مركبة ضوئية، أو سار بسرعة الضوء.. ومن قال لك بعد ذلك بأن سرعة الضوء هي أكبر سرعة ممكنة.

نعم.. سرعة الضوء في الفراغ (أو الهواء) هي أعلى سرعة معروفة حتى الآن، ولكن العلم الحديث لا ينكر وجود سرعة أكبر من سرعة الضوء في الفراغ، وإن لم يصل إليها حتى الآن، رغم سريان دقائق بيتا (B - particles) في الماء بسرعة أكبر من سرعة الضوء فيه، لأن هذه الدقائق احترقت حاجز الضوء في الماء فقط، وليس في الهواء أو الفراغ، فتسببت في صدور إشعاع يدعى إشعاع كيرنكوف.

قال الرجل: فنظرية النسبية لا تفسر هذه الرحلة إذن؟

ابتسم عبد القادر، وقال: لا.. نظرية النسبية أعجز من أن تفسر هذه الرحلة.. إن هذه النظرية تبين القوانين التي تحكم ما نراه من عالم مادي، ولكنها لا تجرؤ على تفسير كل شيء.

ولهذا، فنحن لا نفسر بنظرية النسبية هذه الرحلة العجيبة، ولكننا نقرب بها إمكاناتها فقط.

ويوشك أن تظهر نظريات في المستقبل تجلي الحقائق التي انطوت عليها هذه الرحلة العجيبة، نحن نوقن بذلك، فربنا يقول: ﴿سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت: ٥٣)

### ٣ - تكريم الأرض

قال عبد القادر: ومن التكريم الذي كرم به محمد ﷺ تكريمه في الأرض، فالله المتفضل الشكور بمن على عباده الذي أخلصوا له برفعة قدرهم وتعظيمهم وتوقيرهم.  
وكما حصل هذا مع سائر الأنبياء - عليهم السلام - فقد حصل مثله لمحمد ﷺ.

#### ١ - تكريم البشر:

فليس هناك من البشر من نال الاحترام الذي ناله محمد ﷺ سواء من أصحابه، أو من غيرهم، فالكل حتى أعداؤه الذي لا يزالون يشتمون في عداوته يعترفون في قرارة نفوسهم بالمكانة السامية التي يحتلها محمد ﷺ، وكل ذلك تصديق لقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: ٤)<sup>١</sup>  
واتتمار بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَحْسَبُونَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: ٢٤)  
وبقوله ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده)<sup>٢</sup>  
فمحببة النبي ﷺ أصل كل خير، كما أن محبة النفس والسعي في هواها أصل كل شر، ولهذا اعتبر ﷺ كمال الإيمان في كمال محبته.

ولهذا كان الزاد الأكبر للمؤمنين هو محبة رسولهم ﷺ، فعن أنس - رضي الله عنه - أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال له: متى الساعة؟ قال: (ما أعددت لها؟)، قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكنني أحب الله ورسوله، فقال: (أنت مع من أحببت)<sup>٣</sup>

وعن عائشة وابن عباس - رضي الله عنهم - أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: لأنت أحب إلي من أهلي ومالي، وإني لأذكرك، فما أصبر عنك حتى أنظر إليك، وإني ذكرت موتي وموتك فعرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإن دخلتها لا أراك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩)<sup>٤</sup>  
وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: (من أحبني كان معي في الجنة)<sup>٥</sup>

وقد روي أن امرأة من الانصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله ﷺ فقالت: ما فعل رسول الله ﷺ قالوا: خيرا هو بحمد الله تعالى كما تحبين، قالت: أروني، فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك

(١) خصصنا لهذا النوع من الاستدلال رسالة خاصة هي (قلوب مع محمد) من هذه السلسلة.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه الطبراني، وابن مردويه.

(٥) رواه الاصبهاني في الترغيب.

جلل<sup>١</sup>.

وروي أن ابن عمر — رضي الله عنهما — خدرت رجله فقيل له: اذكر أحب الناس إليك يزل عنك فصاح: يا محمداه، فانتشرت<sup>٢</sup>.

وعن عروة — رضي الله عنه — أن أهل مكة أخرجوا زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه، فقال له أبو سفيان: أنشدك بالله يا زيد، أتحب أن محمدا عندنا بمقامك تضرب عنقه، وأنت في أهلك، فقال زيد — رضي الله عنه —: والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأنا جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: والله ما رأيت أحدا يحب أحدا كحباب محمد محمد<sup>٣</sup>.

وقد قادت هذه المحبة — التي امتلأت بها قلوب المؤمنين — إلى تحقيق ما أمر الله به من تعظيم نبيه ﷺ وتوقيره وبره، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفتح: ٨-٩)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الحجرات: ١)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات: ٢)، وقوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣)

قد كان الصحابة — رضي الله عنهم — يعظمون رسول الله ﷺ، وتمتلى قلوبهم مهابة له:

حدث أسامة بن شريك قال: أتيت النبي ﷺ وأصحابه حوله كأن على رؤوسهم الطير<sup>٤</sup>.

وعن المسور بن مخرمة أن قريشا لما وجهوا عروة ابن مسعود إلى رسول الله ﷺ عام الحديبية، فرأى تعظيم أصحابه — رضي الله عنهم — ما رأى، وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، فكادوا يقتتلون عليه، ولا يبصق بصاقا، ولا يبصق بصاقا إلا تلقوه بأكفهم، فدلخوا بها وجوههم وأجسادهم، ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يجدون النظر إليه تعظيما له، فقال لهم حين رجع إليهم: يا معشر قريش إني جئت كسرى وقيصر، والنحاشي في ملكهم، وإني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه وفي رواية: إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم محمدا أصحابه وقد رأيت قوما لا يسلمونه أبدا<sup>٥</sup>.

وعن أنس — رضي الله عنه — قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يعلقه، وقد أطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل<sup>٦</sup>.

(١) رواه ابن إسحاق والبيهقي.

(٢) رواه ابن السني في (عمل يوم واليلة).

(٣) رواه البيهقي.

(٤) رواه النسائي وأبو داود وابن ماجه والترمذي، وصححه.

(٥) رواه البخاري.

(٦) رواه مسلم.

وقد قال عثمان — رضي الله عنه — لما أذنت له قريش أن يطوف بالبيت، حين وجهه ﷺ إليهم في القضية، أبي وقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ.

وكما امتلأت القلوب محبة له ﷺ وتعظيما في حياته، فقد امتلأت بما بعد مماته، ولهذا كان العلماء من تعظيمهم لرسول الله ﷺ يخشعون عند ذكره ويسكنون، قال أبو إبراهيم التجيبي: (واجب على كل مؤمن متى ذكر ﷺ أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر، ويسكن من حرته، ويأخذ من هيئته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه، ويتأدب بما أذنا الله تعالى به من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الحجرات: ١)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات: ٢)، وقوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ (النور: من الآية ٦٣).

ولما ناظر أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن عباس ثاني خلفاء بني العباس مالكا في مسجده ﷺ قال له مالك: (يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوما فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾، وإن حرمة ميتنا كحرمة حيا، فاستكان لها أبو جعفر، وقال مالك: يا أبا عبيد الله أستقبل القبلة وادعوا أم استقبل رسول الله ﷺ؟ فقال له: لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله، فإنه تقبل به شفاعتك لنفسك قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (النساء: من الآية ٦٤).

وقال مالك — وقد سئل عن أبي أيوب السخيتاني —: ما حدثكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه. وقال: وحج أيوب حجتين فكنت أرمقه ولا أسمع منه غير أنه إذا ذكر النبي ﷺ بكى حتى أرحمه، فلما رأيت منه ما رأيت، وإجلاله للنبي ﷺ، كتبت عنه.

وقال مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت الزبيري: كان مالك إمام دار الهجرة إذا ذكر النبي ﷺ يتغير لونه، وينحني حتى يصعب على جلسائه لما يراه من هيئته، وعظيم قدره، ورفعة محله عند ربه، فقيل له يوما في ذلك: أي لم تتغير إذا ذكر النبي ﷺ؟ فقال: لو رأيتم ما رأيتم لما أنكرتم علي ما ترون مني، ولقد كنت أرى محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير التيمي وكان سيد القراء لا يكاد نسأله عن حديث ورد عن النبي ﷺ إلا بكى حتى نرحمه، لما يأخذه من لوعة الاحتراق بألم الفراق.

ولقد كنت رأى جعفر الصادق بن محمد الصادق بن زين العابدين وكان كثير الدعابة إذا ذكر النبي ﷺ اصفر لونه مهابة منه وإجلالا له، وما رأيته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة تعظيما لحديثه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٣-٤)، ولقد اختلفت مترددا إليه زمانا فما كنت أراه إلا على ثلاث حصال، إما مصليا، وإما صامتا، وإما يقرأ القرآن، وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله تعالى.

ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم بن أبي بكر الصديق يذكر النبي ﷺ فينظر إلى لونه كأنه نرف — أي

(١) هذه النصوص منقولة ببعض التصرف من (سبل الهدى) للصالح الشامي..

سال منه الدم — وقد جف لسانه في فمه هيبه لرسول الله ﷺ، ولقد كنت آتي عمار بن عبد الله بن الزبير بن العوام، فإذا ذكر عنده الرسول ﷺ بكى حتى لا يبقي في عينيه دموع. ولقد رأيت محمد بن شهاب الزهري وكان من أهنأ الناس وأقررههم فإذا ذكر عنده النبي ﷺ فكأنه ما عرفك ولا عرفته.

ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين، فإذا ذكر النبي ﷺ بكى حتى يقوم الناس عنه، ويتركوه رحمة به، وحذرا من رؤيته على تلك الحالة المحزنة.

وروي عن قتادة — رضي الله عنه — أنه كان إذا سمع حديثا لرسول الله ﷺ أخذه العويل — أي: صوت الصدر بالبكاء، والزويل أي القلق — والانزعاج بحيث لا يستقر بمكان. وقد كانوا لأجل ذلك يعظمون كل ما يتصل برسول الله ﷺ:

فعن عمرو بن ميمون قال: كنت اختلف إلى ابن مسعود — رضي الله عنه — فما سمعته يقول: قال رسول الله ﷺ إلا أنه حدث يوما، فجرى على لسانه قال: قال رسول الله ﷺ، ثم علاه كرب، فرأيت العرق ينحدر عن جبهته، ثم قال هكذا إن شاء الله، أو فوق، أو قريب من ذا، أو ما دون ذا<sup>١</sup>.

ومر مالك بن أنس على أبي حازم — رضي الله عنه — وهو يحدث فحاذاه وقال: إني لم أجد موضعا أجلس فيه، فكرهت أن آخذ حديث رسول الله ﷺ وأنا قائم.

وقال مالك: جاء رجل إلى ابن المسيب — رضي الله عنه — فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس فحدثه، فقال الرجل: وددت أنك لم تتعن فقال: إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجع.

وروي أن ابن سيرين قد يكون يضحك، فإذا ذكر عنده حديث رسول الله ﷺ خشع. وقال أبو مصعب: كان مالك بن أنس لا يحدث إلا وهو على وضوء إجلالا لحديثه ﷺ.

وقال مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت الزبيري: كان مالك إذا حدث توشأ ولبس ثيابه، ثم يحدث من أراد منه أن يحدثه، فستل عن ذلك، فقال: لأنه حديث رسول الله ﷺ فلا أحدثه إلا على وضوء.

وقال مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار: كان الناس إذا أتى الناس مالكا خرجت إليهم الجارية فتقول لهم: يقول لكم سيدي تريدون الحديث أو المسائل؟ فإن قالوا المسائل، خرج إليهم، وإن قالوا الحديث، دخل مغتسله فاغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساحة — بسين مهملة فألف فجيم فهاء — طيلسان أخضر.

قال ابن أبي أويس إسماعيل ابن أخت مالك: فقيل لمالك في ذلك، فقال: أحب أن أعظم حديثه ﷺ ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنا، وكان يكره أن يحدث في الطريق أو وهو قائم أو مستعجل.

وقال ضرار بن مرة — أبو سنان الشيباني الكوفي —: كانوا — أي: من لقيتهم من التابعين كعبد الله بن شداد وأبو الاحوص بن سعيد بن جبير — يكرهون أن يحدثوا عنه ﷺ على غير وضوء.

وقال ابن مهدي: مشيت يوما مع مالك إلى العقيق فسألته عن حديث فاتهرني، وقال لي: كنت في عيني

(١) رواه الدارمي.

أجل من أن تسألني عن حديث من حديثه ﷺ ونحن نمشي، وسأله جرير بن عبد الحميد عن حديث وهو قائم، فأمر بجسسه، فقيل له: إنه قاض فقال: القاضي أحق بالادب.

هذه بعض مواقف التكريم من أهل دينه، أما من غيرهم.. فكل المنصفين يشهدون لمحمد ﷺ بأنه الرجل الوحيد الذي لا يسبقه رجل في العالم صدقا وإخلاصا وإيجابية.

لقد ذكر مايكل هارت في كتابه (العظماء مائة وأعظمهم محمد ﷺ) سبب اختياره لمحمد ﷺ، وكونه الأعظم فقال: (إن اختياري لمحمد ليقود قائمة أكثر أشخاص العالم تأثيراً في البشرية قد يدهش بعض القراء، وقد يعترض عليه البعض.. ولكنه كان (أي محمد) الرجل الوحيد في التاريخ الذي حقق نجاحاً بارزاً في كل من المستوى الديني والدنيوي)

ويقول: (كان محمد الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح في مهمته إلى أقصى حد، سواء على المستوى الديني أم على المستوى الزمني)<sup>١</sup>

وفي ديوانه الرائع (الديوان الشرقي للشاعر الغربي) يخاطب شاعر الألمان غوته، أستاذه الروحي الشاعر حافظ شيرازي فيقول: (أي حافظ! إن أغانيك لتبعث السكون... وإني مهاجر إليك بأجناس البشرية المحطمة، لتحملنا في طريق الهجرة إلى المهاجر الأعظم محمد بن عبد الله)<sup>٢</sup>

ويقول غوته: (إننا أهل أوربة بجميع مفاهيمنا، لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد، وسوف لا يتقدم عليه أحد، ولقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان، فوجدته في النبي محمد، وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلو، كما نجح محمد الذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد)

ويقول الأديب الروسي (ليو تولستوي) والذي حرّمته الكنيسة بسبب آرائه: (أنا واحد من المبهورين بالنبي محمد الذي اختاره الله الواحد لتكون آخر الرسالات على يديه، وليكون هو أيضاً آخر الأنبياء... ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تنجح للسكينة والسلام، وفتح لها طريق الرقي والمدنية) ويقول الشاعر الفرنسي الشهير (لا مارتين): (أعظم حدث في حياتي هو أنني درست حياة رسول الله محمد دراسة واعية، وأدركت ما فيها من عظمة وخلود، ومن ذا الذي يجرؤ على تشبيه رجل من رجال التاريخ بمحمد؟! ومن هو الرجل الذي ظهر أعظم منه، عند النظر إلى جميع المقاييس التي تُقاس بها عظمة الإنسان؟! إن سلوكه عند النصر وطموحه الذي كان مكرساً لتبليغ الرسالة وصلواته الطويلة وحواره السماوي هذه كلها تدل على إيمان كامل مكّنه من إرساء أركان العقيدة. إن الرسول والخطيب والمرجع والفتاح ومصلح العقائد الأخرى الذي أسس عبادة غير قائمة على تقديس الصور هو محمد، لقد هدم الرسول المعتقدات التي تتخذ واسطة بين الخالق والمخلوق)<sup>٣</sup>

ويقول الفيلسوف الإنجليزي جورج برناردشو: (لقد درست محمداً باعتباره رجلاً مدهشاً، فرأيت بعيداً

(١) (المائة الأوائل) مايكل هارت (٣٣)..

(٢) (الديوان الشرقي للشاعر الغربي) غوته ص(٣١)

(٣) (السفر إلى الشرق) ص(٢٧٧).



عن مخاصمة المسيح، بل يجب أن يدعى منقذ الإنسانية، وأوربة بدأت في العصر الراهن تفهم عقيدة التوحيد، وربما ذهبت إلى أبعد من ذلك، فتتعرف بقدرة هذه العقيدة على حل مشكلاتها بطريقة تجلب السلام والسعادة! فبهذه الروح يجب أن تفهموا نبوعي<sup>١</sup>

ويقول المؤرخ ول ديورانت في موسوعته (قصة الحضارة): (إذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس، قلنا إن محمداً رسول المسلمين أعظم عظماء التاريخ، فقد كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية ودين بلاده القديم ديناً واضحاً قوياً، استطاع أن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم)

ويقول المؤرخ فيليب حتي: (لم يسجل التاريخ أن رجلاً واحداً، سوى محمد، كان صاحب رسالة وباني أمة، ومؤسس دولة... هذه الثلاثة التي قام بها محمد، كانت وحدة متلاحمة، وكان الدين هو القوة التي توحيدها على مدى التاريخ)

أما عالم اللاهوت السويسري المعاصر د. هانز كونج والذي يعتقد أن المسيح إنسان ورسول اختاره الله لا غير، فيقول: (محمد نبي حقيقي. بمعنى الكلمة، ولا يمكننا بعد إنكار أن محمداً هو المرشد القائد على طريق النجاة)<sup>٢</sup>

ويقول المؤرخ البريطاني الشهير (أرنولد توينبي): (الذين يريدون أن يدرسوا السيرة النبوية العطرة يجدون أمامهم من الأسفار مما لا يتوافر مثله للباحثين في حياة أي نبي من أنبياء الله الكرام) ويقول الكونت كاتيان في كتابه (تاريخ الإسلام): (أليس الرسول جديراً بأن تقدم للعالم سيرته حتى لا يطمسها الحاقدون عليه وعلى دعوته التي جاء بها لينشر في العالم الحب والسلام؟! وإن الوثائق الحقيقية التي بين أيدينا عن رسول الإسلام ندر أن نجد مثلها، فتاريخ عيسى وما ورد في شأنه في الإنجيل لا يشفي الغليل) ويقول المستشرق المعروف غوستاف لوبون: (نعرف ما فيه الكفاية عن حياة محمد، أما حياة المسيح فمجهولة تقريباً، وإنك لن تطمع أن تبحث عن حياته في الأناجيل)

ويذكر ر. ف. بودي نفس هذا المعنى فيقول: (لا نعرف إلا شذرات عن حياة المسيح، أما في سيرة محمد فنعرف الشيء الكثير، ونجد التاريخ بدل الظلال والغموض) ويقول المستشرق هيل في كتابه (حضارة العرب): (لقد أخرج محمد للوجود أمة، ومكن لعبادة الله في الأرض، ووضع أسس العدالة والمساواة الاجتماعية، وأحل النظام والتناسق والطاعة والعزة في أقوام لا تعرف غير الفوضى)

ويقول بسمارك: (يا محمد أنا متأثر جداً إذ لم أكن معاصراً لك! إن البشرية رأت قدوة ممتازة مثلك مرة واحدة، وأنا أعظمك بكمال الاحترام)

ويقول المؤرخ كريستوفر دارسون في كتابه (قواعد الحركة في تاريخ العالم): (إن الأوضاع العالمية تغيرت

(١) عن (موسوعة مقدمات المناهج والعلوم) أنور الجندي (٨ / ٢١١)

(٢) عن (الإسلام نهر يبحث عن مجرى) الدكتور شوقي أبو خليل (١٥).

تغيراً مفاجئاً بفعل فرد واحد ظهر في التاريخ هو محمد )

ويقول العلامة شيريل، عميد كلية الحقوق بفيينا: (إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها )  
ويقول الباحث الفرنسي كليمان هوارت عن (محمد في الآداب العالمية المنصفة): (لم يكن محمداً نبياً  
عادياً، بل استحق بجدارة أن يكون خاتم الأنبياء، لأنه قابل كل الصعاب التي قابلت كل الأنبياء الذين سبقوه  
مضاعفة من بني قومه ... نبي ليس عادياً من يقسم أنه ( لو سرقت فاطمة ابنته لقطع يدها )! ولو أن المسلمين  
اتخذوا رسولهم قدوة في نشر الدعوة لأصبح العالم مسلماً )

حتى الذين نصبوا محمداً ﷺ العداة عادوا يعتذرون إليه، فهذا الفيلسوف (فولتير) الذي أعلن توبته عن  
مواقفه من الإسلام، ومن محمد ﷺ ولكن الأضواء لا تسلط إلا على أقواله الأولى، أما أقواله الأخيرة فقد  
طُمت.

فهو يعترف بأنه كان ضحية الأفكار السائدة الخاطئة: (قد هدم محمد الضلال السائد في العالم لبلوغ  
الحقيقة، ولكن يبدو أنه يوجد دائماً من يعملون على استبقاء الباطل وحماية الخطأ )

ثم يقول في قاموسه الفلسفي: (أيها الأساقفة والرهبان والقسيسون إذا فرض عليكم قانون يحرم عليكم  
الطعام والشراب طوال النهار في شهر الصيام.. إذا فرض عليكم الحج في صحراء محرقة.. إذا فرض عليكم  
إعطاء ٢,٥ بالمائة من مالكم للفقراء.. إذا حرّم عليكم شرب الخمر ولعب الميسر.. إذا كنتم تتمتعون  
بزوجات تبلغ ثلثي عشرة زوجة أحياناً، فجاء من يحذف أربع عشرة من هذا العدد، هل يمكنكم الإدعاء  
مخلصين بأن هذه الشريعة شريعة لذات؟! )

ويقول: (لقد قام الرسول بأعظم دور يمكن لإنسان أن يقوم به على الأرض... إن أقل ما يقال عن  
محمد أنه قـد جاء بكتاب وجاهد، والإسلام لم يتغير قط، أما أنتم ورجال دينكم فقد غيرتم دينكم  
عشرين مرة )

## ٢ - تكريم الكائنات:

قال عبد القادر: بل إن تكريم محمد ﷺ ومعرفة قدره العظيم لم يقتصر على البشر، فقد شهدت له الأرض  
بجارتها وأشجارها وحيواناتها:

### الحنين:

فقد كانت تظهر له من المودة والحنين والحب ما تنافس به البشر أنفسهم، وقد كان ﷺ يبادل هذه  
الكائنات مشاعرها، فكان يقول عن أحد: (هذا جبل يحبنا ونحبه)<sup>١</sup>

---

(١) اختلف العلماء في سبب حبه له، ومن أقوالهم في ذلك أنه ﷺ كان يستعمل الوتر ويحبه في شأنه كله إشعاراً للأحدية،  
وقد وافق اسم هذا الجبل لأغراضه ومقاصده في الأسماء، ويدل عليه أنه ﷺ بدل كثيراً من أسماء البقاع والناس استباحاً لها، وكان  
ﷺ يحب الاسم الحسن، ولا أحسن من اسم مشتق من الأحدية.  
ومنها أن ذلك تعبير مجازي عبر عنه بلسان الحال، لأنه كان يبشره إذا رآه عند قدومه بالقرب من أهله، وذلك فعل الحب فتزل  
مزلته، (انظر: فيض القدير: ١٨٥/١)، وهو تأويل بعيد لا نرى صحته، قال النووي: «الصحيح المختار أن معناه أن أحداً يجينا  
حقيقه، جعل الله تعالى فيه تمييزاً يجب به «النووي على مسلم: ١٣٩/٩».

وهو يخاطبه كما يخاطب الأحياء، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (صعد النبي صلى الله عليه وسلم أحدا، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم فضربه برجله، وقال: (اثبت أحد، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيدان)<sup>٢</sup> عن سعيد بن زيد قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حراء فتحرك فضربه برجله، ثم قال: (اسكن حراء، فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد)، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وأنا<sup>٣</sup>

وروي بأسانيد كثيرة<sup>٤</sup> أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطف إلى جذع نخلة، فاتخذ له منبر، فلما فارق الجذع، وغدا إلى المنبر الذي صنع له حن له كما تحن الناقة<sup>٥</sup>، فتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فضمه إليه، فسكن، فأمر به أن يحفر له ويدفن<sup>٦</sup> )

ومثله الداخن التي خشيت عليه صلى الله عليه وسلم، فعن عائشة — رضي الله عنها — قالت: كان لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم داخن<sup>٧</sup> فإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعب واشتد وأقبل وأدبر، فإذا أحس برسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل ربض فلم يترمرم ما دام رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت كراهية أن يؤذيه<sup>٨</sup>.

بل قد روي من شفقة الحيوانات عليه ما حدث به نافع بن الحارث بن كلدة — رضي الله عنه — قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، وكنا زهاء أربعمائة، فترلنا متزلا في موضع ليس فيه ماء، فشق على أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فجاءت شاة لها قرنان فقامت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلبها، فشرب حتى روي وسقى أصحابه

---

ونرى أنه صلى الله عليه وسلم كان يحبه لما حصل فيه في غزوة أحد من تقديم الشهداء في سبيل الله، ولعله صلى الله عليه وسلم خشى أن يتشاءم منه، فأخبر عن حبه له.

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري: ١٣٤٨/٣، ابن حبان: ٣٤٨/١٥، الترمذي: ٦٢٤/٥.

(٣) رواه أبو نعيم.

(٤) روى القصة جمع من الصحابة، منهم أبي بن كعب رواه الشافعي وأحمد وابن ماجه والبخاري وابن عساکر، ومنهم أنس بن مالك رواه أحمد والترمذي وصححه وأبو يعلى والبخاري وابن ماجه وأبو نعيم من طرق على شرط مسلم، ومنهم بريدة، رواه الدارمي، وجابر بن عبد الله، رواه أحمد والبخاري والترمذي، والمطلب بن أبي وداعة، رواه الزبير بن بكار، وأبو سعيد الخدري، رواه عبد بن حميد وابن أبي شيبة، وأبو يعلى وأبو نعيم بسند على شرط مسلم، وعائشة رواه الطبراني والبيهقي، وأم سلمة رواه أبو نعيم والبيهقي بإسناد جيد.

كلها روي بألفاظ متقاربة المعنى وهو بذلك حديث متواتر المعنى.

(٥) وفي لفظ: فحار كخوار الثور، وفي لفظ: فصاحت النخلة صياح الصبي حتى تصدع وانشق.

(٦) وقد روي عن مصير هذا الجذع في روايات أخرى أن أبي بن كعب رضي الله عنه أخذه لما هدم المسجد، فلم يزل عنده حتى بلى وعاد رفاتا.

وقد روي في رواية أخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «اختر أن أغرسك في المكان الذي كنت فيه فتكون كما كنت — يعني قبل أن تصير جذعا — وإن شئت أن أغرسك في الجنة فتشرب من أثمارها فيحسن نبتك وتثمر فيأكل منك أولياء الله، فقال: «أختار أن أغرسه في الجنة» وهي رواية يظهر عليها الوضع، وقد قال البيهقي: «قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التي حملها الخلف عن السلف، ورواية الأخبار الخاصة فيها كالتكلف» انظر: فتح الباري: ٦/٦٠٥.

(٧) الداخن: ما يألف البيوت من الحيوانات كالشاة والطيور..

(٨) رواه أحمد والترمذي ومسدد وأبو يعلى والبخاري والطبراني بإسناد صحيح.

حتى رروا ثم قال: ( يا نافع احفظها الليلة وما أراك تملكها )، قال: فأخذتها فودت لها في الارض ثم أخذت رباطا فربطتها فاستوثقت منها، ثم قمت بعض الليل فلم أر الشاة، ورأيت الحبل مطروحا فأخبرت النبي ﷺ فقال: ( ذهب بها الذي جاء بها )<sup>١</sup>

وعن سعد مولى أبي بكر قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فزلنا متر لا، فقال لي رسول الله ﷺ: ( يا سعد احلب تلك العتر )، قال: وعهدي بذلك الموضع لا عتر فيه فحنته، فإذا بعتر حافل فاحتلبتها لا أدري كم مرة واحتفظت بالعتر وأوصيت بها فاشتغلنا بالرحلة ففقدت العتر، وقال رسول الله ﷺ: ( ذهب بها ربما )<sup>٢</sup> ومثلها الطائر الذي حلق بإحدى خفيه ﷺ، فعن ابن عباس — رضي الله عنهما — أن رسول الله ﷺ دعا بخفيه فلبس إحدهما فجاء طائر أحضر فأخذ الحف الآخر فحلق به في السماء فاستلب أسود صالح، فقال رسول الله ﷺ: ( هذه كرامة أكرمني الله عز وجل بها )<sup>٣</sup>

وعن أبي أمامة — رضي الله عنه — قال: دعا رسول الله ﷺ بخفيه، فلبس أحدهما ثم جاء غراب فاحتمل الآخر فرمى به فخرجت منه حية، فقال رسول الله ﷺ: ( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما )<sup>٤</sup>

ومن ذلك ازدلاف البدنات لما أراد نحرهن إليه ﷺ، فعن عبد الله بن قرط — رضي الله عنه — قال: قرب لرسول الله ﷺ خمس أو ست بدنات ينحرهن يوم عيد فطفقن يزدلفن إليه بأيتهن يبدأ، فلما وجبت جنوبها، قال: فتكلم بكلمة لم أفهمها، فسألت الذي يليه فقال: قال: ( من شاء فليقتطع )<sup>٥</sup>

### الشهادة:

وفي الوقت الذي كذب فيه ﷺ كانت هذه الكائنات تقف شاهدة له:

عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال: جاء قوم من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إن لنا بعيرا فطم في حائط، فجاء إليه رسول الله ﷺ فقال: ( تعال )، فجاء مطأطئا رأسه حتى خطمه، وأعطاه أصحابه، فقال له أبو بكر: يا رسول الله، كأنه علم أنك نبي فقال رسول الله ﷺ: ( ما بين لابتيها أحد إلا يعلم أني نبي إلا كفرة الانس والجن )<sup>٦</sup>

وعن جابر بن عبد الله — رضي الله عنه — قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من سفر حتى إذا دفعنا إلى حائط بني النجار إذا فيه جمل لا يدخل أحد إلا شد عليه، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فجاء حتى أتى الحائط فدعا البعير، فجاء واضعا مشفره إلى الأرض حتى برك بين يديه، فقال النبي ﷺ: ( هاتوا خطامه )، ودفعه إلى صاحبه ثم التفت إلى الناس، فقال: ( إنه ليس شئ بين السماء والارض إلا يعلم أني رسول الله ﷺ إلا عاصي الانس

(١) رواه ابن سعد والبيهقي وأبو نعيم وابن السكن وغيرهم.

(٢) رواه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي.

(٣) رواه الطبراني، وأبو نعيم والبيهقي والخرائطي في المكارم.

(٤) رواه أبو نعيم.

(٥) رواه أبو داود والنسائي.

(٦) رواه الطبراني والبيهقي.

والجن) ١

وقد روي بأسانيد مختلفة ٢ بينما أعرابي ببعض نواحي المدينة في غنم له إذ عدا ذئب على شاة، فأخذها، فطلبها الراعي، فاستنقذها منه، فصعد الذئب على تل فاقع واستقر، وقال: ألا تتقي الله عز وجل، تترع مني رزقا ساقه الله عز وجل إلي؟ فقال: يا عجباً لذئب يقع على ذئبه مستذفر ذئبه يتكلم، فقال الذئب: والله إنك تصادف أعجب من هذا قال: وماذا أعجب من هذا؟ قال رسول الله ﷺ في النخلات بين الحرتين يحدث الناس عن نبأ ما سبق وما يكون بعد ذلك ٣، فأقبل الراعي يسوق حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زوايا المدينة، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره.

وفي حديث أبي هريرة فقال له رسول الله ﷺ: (إذا صليت الصبح معنا غدا فأخبر الناس بما رأيت)، فلما أصبح الرجل وصلى الصبح فأمر رسول الله ﷺ فنودي الصلاة جامعة، ثم خرج فقال للأعرابي: (أخبرهم)، فقال رسول الله ﷺ: (صدق)، والذي نفسي بيده، لا تقوم الساعة حتى يخرج من أهله فيخبره نعله أو سوطه أو عصاه بما أحدث أهله من بعده)

ومن ذلك استجارة الغزاة به ﷺ وشهادتها له بالرسالة، فقد روي بأسانيد مختلفة ٤، أن رسول الله ﷺ مر على قوم قد اصطادوا ظبية فشدها على عمود فشطاط فقالت: يا رسول الله أخذت ولي خشفان في البرية، وقد انعقد اللبن في أخلافي، فلا هو يذبحني فأستريح، ولا يدعني، فأرجع إلى خشفي في البرية ٥، فقال لها رسول الله ﷺ: (إن تركتك ترجعين؟)، قالت: نعم، وإلا عذابي أليما)

فقال: (أين صاحب هذه؟)، فقال القوم: نحن يا رسول الله، قال: (خلوا عنها حتى تأتي خشفها ترضعها وترجع إليكم)، فقالوا: من لنا بذلك؟ قال: (أنا)، فأطلقوها فذهبت فأرضعت ثم رجعت إليهم فأوثقوها، فمر بهم رسول الله ﷺ فقال: (أين صاحب هذه؟)، قالوا: هوذا نحن يا رسول الله، قال: (تبيعونها؟)، فقالوا: هي لك يا رسول الله، فقال: (خلوا عنها)، وأطلقوها، فذهبت، وهي تضرب برجلها فرحا وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله.

قال زيد بن أرقم: فأنا والله رأيتها تسبح في البرية وهي تقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد والترمذي والحاكم وصحاحه عن أبي سعيد والبيهقي عن ابن عمر، وأبو نعيم عن أنس وابن مسعود، وأحمد عن أبي هريرة.

(٣) وفي لفظ: يدعو الناس إلى الهدى، وإلى دين الحق وهم يكذبونه.

(٤) رواه الطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن أنس بن مالك — رضي الله عنه — عن زيد بن أرقم والبيهقي من طريق علي بن قادم وأبو العلاء خالد بن طهمان بن عطية عن أبي سعيد الخدري، والطبراني وأبو نعيم عن أم سلمة، وأبو نعيم عن أنس بن مالك وهو غريب، ورجاله خرج لهم في الكتب الستة.

قال القطب الحضرمي في خصائصه: هذا الحديث ضعفه بعض الحفاظ لكن طرقه يتقوى بعضها ببعض، وقال الشيخ: لهذا الحديث طرق كثيرة تشهد أن للقصة أصلا.

(٥) وفي رواية أنس: كنا مع رسول الله ﷺ في بعض سكك المدينة فمرننا بجنا أعرابي وإذا بظبية مشدودة إلى الخباء، فقالت: يا رسول الله، إن هذا الأعرابي اصطادني.

ومما يدخل في هذا الباب ما روي من تسبيح الأشياء بين يديه:

وعن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال: قدم ملوك حضرموت على رسول الله ﷺ وفيهم الأشعث بن قيس، فقالوا إنا قد خبأنا لك خبأً فما هو؟ قال: ( سبحان الله إنما يفعل هذا الكاهن والكهانة في النار )، فقالوا: فكيف نعلم أنك رسول الله عز وجل فأخذ رسول الله ﷺ كفا من حصي، فقال: ( هذا يشهد أي رسول الله )، فسبح الحصى في يده، فقالوا: نشهد أنك رسول الله عز وجل<sup>١</sup>.

وعن ابن مسعود — رضي الله عنه — قال: كنا نأكل مع رسول الله ﷺ فنسمع تسبيح الطعام، وهو يؤكل<sup>٢</sup>.

وعن أنس — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ أتى بطعام ثريد، فقال: ( إن هذا الطعام يسبح )، قالوا: يا رسول الله، وتفقه تسبيحه، قال: ( نعم )، ثم قال لرجل: ( ادن هذه القصة من هذا الرجل )، فأدناها منه فقال: نعم، يا رسول الله، هذا الطعام يسبح فقال: ( ادنهما من آخر ) وأدناها منه فقال: هذا الطعام يسبح ثم قال: ( ردها ) فقال لرجل: يا رسول الله، لو أمرت على القوم جميعاً، فقال: ( لا إنما لو سكتت عند رجل لقالوا: من ذنب ردها )، فردها<sup>٣</sup>.

وعن أنس — رضي الله عنه — قال: تناول النبي ﷺ من الأرض سبع حصيات، فسبحن في يده، ثم ناولهن أبا بكر فسبحن كما سبحن في يد النبي ﷺ ثم ناولهن النبي ﷺ عمر فسبحن في يده كما سبحن في يد أبي بكر، ثم ناولهن عثمان فسبحن في كفه كما سبحن في يد أبي بكر وعمر<sup>٤</sup>.

#### التحية:

وكانت هذه الكائناً بأنواعها المختلفة تهدي لرسول الله ﷺ أصناف التحيات باللغات التي تعرفها: فعن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله ﷺ: ( إني لأعرف حجراً كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرف الآن )<sup>٥</sup>

وعن علي — رضي الله عنه — قال: كنت مع رسول الله ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا قال: السلام عليك، يا رسول الله<sup>٦</sup>.

وعن جابر بن سمرة — رضي الله عنه — قال: ( لما كانت ليالي بعثت ما مررت بشجر ولا حجر إلا قال: السلام عليك، يا رسول الله )<sup>٧</sup>

وعن برة بنت أبي تجرة قالت: إن رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان إذا خرج

(١) رواه أبو نعيم والحكيم الترمذي.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه أبو الشيخ.

(٤) رواه ابن عساکر.

(٥) رواه مسلم وأحمد.

(٦) رواه الترمذي، وحسنه.

(٧) رواه أبو نعيم.

لحاجته أبعد حتى لا يرى بيتا ويفضي إلى الشعاب وبطون الأودية، فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، وكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحدا<sup>١</sup>.

ومن ذلك تحية السجود التي مارسها هذا الجمل العارف بفضل محمد ﷺ، فعن جابر بن عبد الله — رضي الله عنهما — أن جملا جاء إلى رسول الله ﷺ، فلما كان قريبا منه خر الجمل ساجدا فقال رسول الله ﷺ: (يا أيها الناس، من صاحب هذا الجمل؟)، فقال فتية من الأنصار: هو لنا يا رسول الله، قال: (فما شأنه؟)، قالو: سنونا عليه عشرين سنة، فلما كبرت سنه، أردنا نحره، فقال رسول الله ﷺ: (تبيعونه؟)، فقالوا: هو لك يا رسول الله فقال: (أحسنوا إليه حتى يأتيه أجله)، فقالوا: يا رسول الله، نحن أحق أن نسجد لك من البهائم، فقال: (لا ينبغي لبشر أن يسجد لبشر ولو كان النساء لأرواجهن)<sup>٢</sup>

وعن عائشة — رضي الله عنها — قالت: كان النبي ﷺ في نفر فجاء بعير فسجد له، فقال أصحاب رسول الله ﷺ يسجد لك البهائم والشجر، فحنن أحق أن نسجد لك، قال: (اعبدوا ربكم، وأكرموا أحاكم ولو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)<sup>٣</sup>

وعن ابن عباس — رضي الله عنهما — أن رجلا من الأنصار كان له فحلان، فاغتلما فأدخلهما حائطا، فسد عليها الباب، ثم جاء رسول الله ﷺ فأراد أن يدعو له، والنبي ﷺ قاعد معه نفر من الانصار فقال: يا رسول الله، إني جئت في حاجة، وإن فحلين لي اغتلما، وإني أدخلتهما حائطا، وسددت عليهما الباب، فأحب أن تدعو لي أن يسخرهما الله عز وجل، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: (قوموا معنا)

فذهب حتى أتى الباب، فقال: (افتح)، فأشفق الرجل على رسول الله ﷺ فقال: (افتح)، ففتح، فإذا أحد الفحلين قريب من الباب، فلما رأى رسول الله ﷺ سجد له فقال رسول الله ﷺ: (اتني بشئ أشد به رأسه وأمكنك منه)، فجاء بخظام فشد رأسه وأمكنه منه ثم مشى إلى أقصى الحائط إلى الفحل الاخر، فلما رآه وقع ساجدا له، فقال للرجل: (اتني بشئ أشد به رأسه)، فشد رأسه وأمكنه منه، فقال: (اذهب فإنهما لا يعصيانك)<sup>٤</sup>

\*\*\*

ما وصل عبد القادر من حديثه إلى هذا الموضع حتى التفت إلى بولس، فوجدت عينيه تكادان تغرقان في دموع يحاول حبسها، ولكنه لم يستطع، فأخرج منديلا، وتظاهر بأن بعينه شيئا يريد إزالته.

ولما لم يجد معه ذلك شيئا، وغلبته عيناه، وقف منصرفا.

ولم أجد إلا أن أنصرف معه، ومعى بصيص جديد من النور اهتديت به بعد إلى شمس محمد.

(١) رواه ابن سعد.

(٢) رواه أحمد والبيهقي واللفظ له، ورجاله ثقات.

(٣) رواه أحمد وأبو نعيم والطبراني بسند جيد.

(٤) رواه الطبراني.

## الخاتمة

في اليوم الحادي عشر انتظرت بولس صباحا لنذهب للتدريبات الميدانية كما تعودنا.. لكنه لم يأت، وقد احترت في سر ذلك، وخفت أن يكون قد أصابه مكروه، فذهبت إلى بيته، وسألت عنه، فلم أجده.. سألت جيرانه، فلم يعرف أحد أين ذهب، ولا متى غادر بيته. ظللت أبحث يومي ذلك.. فلم أظفر بأي معلومة توصلني إليه. وهكذا ظللت أبحث أسبوعا كاملا.. ولكني لا أعثر على أي معلومة، لا من قريب، ولا من بعيد. ذهبت إلى الشرطة، فابتسموا، وقالوا: أنت كمن يبحث في بحر عميق عن إبرة.. فكف عن بحثك.. فلم يسبق لأحد ضاع في هذه البلاد أن عاد، إلا أن يعود بمحض رضاه. مضى شهر على غيابه، ولم يأت.. ثم مضى شهر ثان، فلم يأت.. وفي الشهر الثالث، لم يأت.. ولكني رأيته.. وعجبا ما رأيته. في ذلك اليوم الذي رأيته فيه سرت إلى عاصمة الهند، لبعض المصالح لي هناك، وفي أحد الشوارع الكبرى من المدينة رأيت إعلانا عن إلقاء محاضرة من طرف قس أسلم. اهتممت كثيرا للموضوع إلى درجة انشغالي عما حدث من أجله. لقد كان الحضور كثيرا، والقاعة مكتظة، ولكني تمكنت بعد جهد جهيد من رؤية المنصة، فقد كنت أحب أن أرى هذا القس الذي تخلص من قيوده.

لم يطل بي الزمن حتى اعتلى عبد القادر وعبد الحكيم المنصة، ثم أخذ عبد القادر مكر الصوت، وقال: يشرفنا أن يجلس معنا اليوم رجل امتلأ قلبه بالإيمان، وامتلا محبة لرسول الله ﷺ.. إنه نموذج حي لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (المائدة: ٨٣)

فهذا الرجل كان مخلصا للمسيح ﷺ غاية الإخلاص، وقد هداه حبه للمسيح إلى محمد ﷺ. ربما يوجد هناك الكثير ممن مر بتجربته، ولكنه لم يجرؤ على أن ينطق بالإيمان، أو ينضم إلى المؤمنين، ولكن هذا الرجل المخلص استطاع أن يتخلص من كل قيوده، ويضم إلى إيمانه بالمسيح وإخلاصه للمسيح بإيمانه. بمحمد وإخلاصه لمحمد.

ما انتهى من قوله هذا حتى اعتلى بولس المنصة أمام تكبيرات الجمهور الحاضر، وقال: قبل أن أعلن لكم عن أعظم قرار اتخذته في حياتي، أود أن أشكر هذين الرجلين الفاضلين اللذين كانا سببا لهذا القرار الخطير. لقد امتلأ عقلي بأوهام كثيرة أفرزها جهلي بالإسلام، وجهلي بمحمد ﷺ.

لقد كنت أغلق عيني، وأصم آذني، فلا أرى، ولا أسمع إلا ما يذكره قومي عن محمد، وعن الإسلام، وقد أتيت لي في هذه البلاد أن أسمع من المسلمين أحاديث عذبة عن نبيهم كان عقلي وقلبي يفتقر إليها. لقد أوهمني أساتذتي الذين تعلمت على أيديهم بأن محمدا في أحسن أحواله لا يعدو كونه بطلا قوميا، أو



مصلحا اجتماعيا، أو رجلا عبقريا، لا علاقة له بالسماء، ولا بخوارق السماء.  
ولكنني في هذه البلاد، وبفضل هذين الرجلين، عرفت أنه لا يوجد في العالم رجل له من الخوارق ما لمحمد،  
بل إن خوارقه لا تزال ممتدة تشهد له بأنه رسول من الله.  
لقد أيد الله رسله بمعجزات كثيرة على قدر من لقيهم من الناس، ولكن معجزات محمد لا تكاد تعد، وهي  
فوق ذلك بيننا حاضرة لا يزال عطاؤها ممتدا.  
بعد هذا..

أريد أن أحذر أولئك المسلمين البسطاء الذين يريدون أن يلغوا هذا الجانب العظيم من جوانب النبوة  
لإرضاء أقوامنا، لأقول لهم ما قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة:  
من الآية ١٢٠)

لقد ذكر الله تعالى السبب الوحيد لرضاهم عنكم، وهو انسلاخكم عن دينكم وهويتكم ونيبكم.  
أما قبل ذلك، فسيظلون يطالبونكم بالتخلي عن كل ذرة تربطكم بدينكم إلى أن يحولوه دينا كديننا نحن  
الذي بعناه لأباطرة الرومان مقابل رضاهم عنا.  
بعد هذا، اسمحوا لي أن أنطق أمامكم بأعظم حقيقة ينطق بها كل الوجود (لا إله إلا الله.. محمد رسول  
الله)

صاح الجمع مكبرين، ولم أدر إلا وأنا أصبح معهم مكبرا من غير شعور.

\*\*\*

ما وصل البابا من حديثه إلى هذا الموضوع حتى عادت الكهرباء، وانطفأت تلك السرج العجيبة التي كانت  
تضيء لنا.. وكأن الكهرباء عادت تأمرنا بلسان حالها أن نعود لعالم الأسباب.. عالم الحكمة والسنن التي أمرنا  
الله بالترامها.

قلت للبابا: لقد ظفرت في هذه الرحلة بأشعة كثيرة من شمس محمد ﷺ.  
قال: لم أظفر بتلك الأشعة فقط.. بل ظفرت معها بمعان عميقة خفتت من غلواء عقلي المتناقل إلى  
الأسباب..

لقد علمت أن الأسباب التي نراها، ولا نرى غيرها، والتي تستعبدنا، وتسجننا في سجوها الضيقة خرافة  
امتلات بها عقولنا، فراحت تفرضها على الله مقدرها وواضع قوانينها فرضا.  
وقد أكسبني ذلك أملا عظيما في الله.. فصرت أشعر بأن الله قادر على كل شيء.. فليس هناك شيء  
مستحيل أمام الله.

قلت: ألم تكفك تلك الأشعة لتعلن إسلامك كما أعلن ذلك القس؟  
قال: لا.. لقد كانت الأشعة كافية.. ولكن أوهاما كثيرة لا تزال تعلق بصدري، وتكاد تخنقني، فلذلك  
كلما اقتربت أبعثني، وكلما أردت أن أتصل بمصدر النور فصلتني..

لقد كان ذلك سببا من الأسباب.. وهو أهم الأسباب.  
أما السبب الثاني، فقد أرسل لي أخي التوأم رسالة يبشرني فيها باعتلائه مناصب رفيعة في سلم الكنيسة،  
وأنه لذلك اختار أن يرسلني إلى بقعة أخرى من العالم تمتلئ بالحضارة والثقافة والعلوم، فحنت نفسي المتشاقلة  
إلى هذا العرض السخي، وأقعدني ذلك عن الاتصال بالنور، وبمصدر النور.  
قلت: ما هي هذه البقعة المثلثة حضارة وثقافة وعلوما؟  
قال: اصبر.. فسأحدثك عنها في رحلتنا الخامسة إلى شمس محمد ﷺ.  
قلت: فحدثني عنها الآن.  
قال: ما أشد شوقي لأن أحدثك عنها الآن.. ولكن لي أوراها من الذكر والقرآن والمناجاة التزمت أمام  
ربي بأدائها.. ولا ينبغي لي أن أقصر فيها.  
قلت: فحدثني عن نوع الأشعة التي نلتها فيها.  
قال: لقد قطفت في تلك الرحلة ثمارا يانعة من شجرة محمد ﷺ ظلت أتمتع بطيب مذاقها في كياني كله  
إلى اليوم.  
قلت: فستحدثني عن (ثمار من شجرة النبوة) إذن.  
قال: أجل.. ذلك ما سأحدثك عنه غدا إن شاء الله.

## الفهرس

٥	المقدمة
١٦	أولا - إرهابات
٢١	١ - قبل الميلاد
٢١	انتظار طويل:
٢٤	حماية الكعبة:
٣٠	٢ - عند الميلاد
٣٠	نجم محمد ﷺ:
٣١	أحداث كبرى:
٣٣	أنوار الميلاد:
٣٦	٣ - بعد الميلاد
٣٦	غلام له شأن:
٣٧	رؤى صادقة:
٣٩	شق الصدر:
٣٩	عصمة النشأة:
٤٢	ثانيا - بركات
٤٨	١ - الصحة المباركة
٤٨	١ - بركاته على أهل بيته:
٥١	٢ - بركاته على أصحابه:
٥١	رجال:
٥٤	نساء:
٥٦	٢ - اللمسات المباركة
٦٦	٣ - الولائم المباركة
٧١	٤ - الأطعمة المباركة
٧٢	الشعير المبارك:
٧٣	اللبن المبارك:
٧٤	الحيس المبارك:

٧٤	التمر المبارك:
٧٦	البيض المبارك:
٧٦	الفريد المبارك:
٧٦	الطحين المبارك:
٧٧	الأحشاء المباركة:
٧٧	طعام من السماء:
٧٩	٥ — المياه مباركة
٧٩	آبار وعيون:
٨٠	تكثر الماء:
٨٢	نوع الماء:
٨٥	عذوبة الماء:
٨٦	ثالثاً — دعوات
٩٤	١ — شفاء
١٠٠	٢ — حاجات
١٠٠	استسقاء:
١٠٣	رزق:
١٠٤	حفظ:
١٠٤	تأليف:
١٠٥	هداية:
١٠٦	أدعية مجرية:
١٠٩	٣ — بركات
١١٦	رابعاً — نبوءات
١١٨	١ — نبوءات من الكتاب المقدس
١١٨	نبوءات عن المسيح:
١٢٦	نبوءات ملفقة:
١٢٨	نبوءات خاطئة:
١٣١	٢ — نبوءات من القرآن الكريم
١٣٢	١ — أنباء من الماضي:
١٣٣	قوم لوط:
١٣٤	ملوك مصر:
١٣٥	قوم سبأ:
١٣٦	قوم ثمود:
١٣٧	٢ — أنباء الحاضر:

١٣٨	٣ — أنباء المستقبل:
١٣٨	انتصار الروم:
١٤٣	انتصار الإسلام:
١٤٤	عصمة الله لنبيه:
١٤٥	غزوة بدر:
١٤٥	فتح مكة:
١٤٥	الفتوحات الإسلامية:
١٤٦	الثبات على الكفر:
١٤٦	إذلال اليهود وإفسادهم:
١٤٩	العداوة بين المسيحيين:
١٥٢	الكشوف العلمية:
١٥٢	٤ — نبوءات لم تحدث بعد:
١٥٤	٣ — نبوءات من السنة المطهرة
١٥٦	أحداث معاصرة
١٥٦	الشر الخفي:
١٥٨	أحاديث خفية:
١٦١	أحداث خفية:
١٦٢	تحديات غيبية:
١٦٥	شهداء وانتصارات:
١٦٧	أخبار الصحابة
١٦٧	١ — أعمار ووفيات:
١٧١	٢ — بلايا ومحن:
١٧٦	٣ — عطايا وامتحانات:
١٧٩	أخبار التابعين
١٨٤	أخبار الفتن
١٨٤	١ — الفتنة الأولى:
١٨٩	ظلم آل البيت:
١٩١	قتل الصالحين:
١٩٤	عزل الأنصار:
١٩٥	تفريق صف الأمة:
١٩٥	٢ — الفتنة الآخرة:
١٩٧	ظهور الدجالين:
١٩٨	الحكام المستبدون:
١٩٨	القتال بين المسلمين:
١٩٩	فتن المتطرفين:

٢٠١	غربة الدين:
٢٠١	وهن الأمة:
٢٠٤	فتوحات وبشائر
٢٠٥	فتح الجزيرة العربية:
٢٠٦	فتح مصر:
٢٠٧	فتح العراق وفارس:
٢٠٩	فتح القسطنطينية:
٢١١	بشائر مرتقبة:
٢١٤	ظواهر وسنن
٢١٤	١ - الانحراف الديني:
٢١٤	التطرف والغرور:
٢١٦	الاهتمام بالمظاهر:
٢١٧	التجارة بالدين:
٢١٧	رفع العلم:
٢١٩	٢ - الانحراف الاجتماعي:
٢١٩	فشو التقليد:
٢١٩	تخلخل العلاقات:
٢٢٠	سلام الخاصة:
٢٢١	٣ - الانحراف الخلقي:
٢٢١	رفع الأمانة:
٢٢٢	رفع الحياء:
٢٢٢	التبرج:
٢٢٢	٤ - التطور المادي:
٢٢٣	الاهتمام بالعمران:
٢٢٣	تقارب العالم:
٢٢٤	وسائل النقل:
٢٢٤	المعادن الجديدة:
٢٢٥	نطق الكائنات:
٢٢٧	نماية الدنيا
٢٢٧	تاريخ الساعة:
٢٣٠	أشراط الساعة:
٢٣٥	خامسا - تحديات
٢٣٦	١ - الخوارق والألوهية
٢٤٩	٢ - الخوارق والنبوة

٢٤٩	دلالة الخوارق على النبوة:
٢٥٣	القرآن ومعجزات محمد:
٢٦٠	سند المعجزات:
٢٦٣	٣ — المعجزة الخالدة
٢٧١	٤ — المعجزة الكونية
٢٧٣	إجابات نقلية:
٢٧٧	إجابات عقلية:
٢٧٧	أولها
٢٨٠	٥ — معجزات أرضية
٢٨٠	إحياء الموتى:
٢٨٣	شهادة الرضيع:
٢٨٣	انقلاب الأعيان:
٢٨٥	أضواء معجزة:
٢٨٧	سادسا — ثبات
٢٩٥	١ — فتنة الصراء
٢٩٥	تأليب أهله عليه:
٢٩٨	إيذاء أصحابه:
٣٠٥	الحصار الاقتصادي:
٣٠٦	الإذية النفسية:
٣١١	الإذية الجسدية:
٣١٣	٢ — فتنة السراء
٣١٣	مساومات:
٣١٥	إغراء:
٣١٨	دنيا:
٣٢٢	سابعا — حماية
٣٢٤	١ — جند الرعب
٣٢٨	٢ — جند الإخفاء
٣٣٢	٣ — جند الدعاء
٣٣٦	٤ — جند الإعلام

٣٤٥	٥ — جند الكفافية
٣٥٥	٦ — جند الهداية
٣٦١	٧ — جند العقوبة
٣٦١	العقوبات الدنيوية:
٣٦١	العقوبات الأخروية:
٣٦٣	ثامنا — انتصارات
٣٦٥	١ — جنود من السماء
٣٧٠	٢ — جنود من الأرض
٣٧٠	الريح:
٣٧٣	المطر:
٣٧٤	النعاس:
٣٧٤	الرعب:
٣٧٨	تاسعا — طاقات
٣٨٣	١ — الوحي
٣٩٠	٢ — الاستبصار
٣٩٣	٣ — التسخير
٣٩٨	عاشرا — إكرامات
٤٠٣	١ — تكريم الله
٤٠٩	الشفاعة:
٤١٣	الطاعة:
٤١٨	الصلاة:
٤٢٣	٢ — تكريم السماء
٤٣٤	الأجوبة النقلية:
٤٣٦	الأجوبة العقلية:
٤٣٨	٣ — تكريم الأرض
٤٣٨	١ — تكريم البشر:
٤٤٤	٢ — تكريم الكائنات:
٤٤٤	الحين:



٤٤٦

٤٥٠

٤٥٣

الشهادة:

الخاتمة

الفهرس

## هذه السلسلة

هذه السلسلة مدرسة متكاملة في براهين النبوة ودلائلها، وفي الحوار الإسلامي المسيحي، وفي رد الشبهات التي ييئها المبشرون والمستشرقون والمستغربون.

وهي تعتمد الحوار العقلي، وتخطب المخالف باللغة التي يفهمها، وتنطلق من المصادر التي يرجع إليها. وقد صيغت بشكل روائي مبسط مليء بالأحداث المشوقة، لتجعل من كل مسلم داعية إلى الله، وحميما يحمي حمى رسوله، ومناظرا ينتصر به الحق، وينهزم به الباطل، وتدفع به الشبهات.. وهذه أجزاءها:

١. أنبياء يبشرون بمحمد
٢. الكلمات المقدسة
٣. معجزات علمية
٤. معجزات حسية
٥. ثمار من شجرة
٦. قلوب مع محمد النبوة
٧. النبي المعصوم
٨. النبي الإنسان
٩. النبي الهادي
١٠. سلام للعالمين
١١. عدالة للعالمين
١٢. رحمة للعالمين
١٣. الله جل جلاله
١٤. الإنسان
١٥. الحياة